

أوجاع مابعد العاصفة الجزء 2

للكاتبه / برد المشاعر

تجميع: فيتامين سي

شبكة روايتي الثقافيه

الفصل الثامن عشر

نظرت للهاتف بصدمة ولأسمها على شاشته عدة مرات

وكأني اكذب عيناى ، لن تتصل وسن لشيء تافه وبى تحديدا

رفعت الهاتف لأذني وكل هواجس الأرض تقودني وكل ما

أخشاه أن يكون أصابها مكروه في الجامعة واحدهم اتصل بي

بهاتفها ، أجبت في صمت فجاءني صوتها الباكي قانلة

"نواس خالتي متعبة تعالى بسرعة أرجوك"

انطلقت راكضا من مكاني وأنا أقول

"ما بها وما أعادك من جامعتك الآن قبل وقتك"

قالت بذات بكائها " بسرعة لا وقت للشرح"

قلت وأنا أركب سيارتي " اتصلي بالإسعاف ستأخذ

مني الطريق بعض الوقت"

فصلت الخط مني دون حتى أن تقول وداعا ، سرت بسرعة

كبيرة وعقلي عجز عن التفكير ، ترى ما أتعبها فجأة هكذا

لو أنها فقط قبلت بأن نباشر المرحلة الثانية من العلاج

وصلت المستشفى بعد وقت ونزلت ركضا وسألت عنها في

الاستقبال ثم صعدت السلالم قفزا حتى وصلت غرفة العناية

دخلت الممر ألهمت من الركض وكانت وسن والممرضة في

آخره فتوجهت نحوهما مسرعا لتقفا ما أن رأتاني فقلت

"ما بها ؟ ماذا حدث"

قالت الممرضة " تعبت قليلا صباح اليوم ورفضت أن

أخبرك أو أخبر وسن وحينما ازدادت حالتها سوءا اتصلت

بوسن بالخفية عنها لتأتي لها وهي اتصلت بك"

نظرت لباب الغرفة ثم رفعت رأسي ومررت أصابعي في

شعري ليصلي صوت وسن الحزين قائلة " نواس"

نظرت لها فقالت ودموعها بدأت بالنزول " هل ستموت خالتي"

قلت بهدوء " لن تموت لا تخافي ستكون بخير"

ثم ابتعد عنهما ووقفت بعيدا فلم يعد قلبي يحتمل أكثر

جلستا حيث كانتا وبدأت وسن بالبكاء مرتجفة وكأنما

أحدهم سكب عليها ماءً بارداً في عز الشتاء وتتمتم بأشياء

غير مفهومة والممرضة تحاول تهدئتها ، اتكأت على الجدر

برأسي وأغمضت عيني بألم أرثي تمزق قلبي على والدتي

التي لا أعلم عن حالها بالداخل والقطعة من قلبي التي ترتعش

هناك كالورقة ، وسن تُعد والدتي الشيء الوحيد المتبقي لها

الآن ، تراها أهلها تراها فرح ووالدها ووالدتها وحتى أنا

وفقدانها بالنسبة لها فقدان لآخر شيء يربطها بالبشر

سحقاً لحظك يا نواس ... ليس الكبرياء من يمنعني الآن

عن دفنها وسط حضني ولملمت ارتجافا بين ضلوعي بل

هوا الحلال والحرام لكنت عندها الآن لعلها هي تخفف عني

النيران المشتعلة في صدري قبل أن أخفف عنها أنا خوفها

على خالتها ، سمعت باب الغرفة انفتح فقفزت واقفا ووقفتا

هما وتوجهت نحو الخارج منها قائلا " كيف هي الآن"

نظر لي وقال " من تقرب لها"

قلت بتوجس " ابنها"

سار أمامي وقال " اتبعني"

تبعته كالدمية غير مصدق أنه قال اتبعني ولم يقل البقاء لله

أو أحسن الله عزائكم أو أي شيء مفجع يعبر عن موتها

دخلت خلفه للغرفة وأغلقت الباب وجلست أمامه فقال

مباشرة " الورم وصل للدماغ"

شعرت بالأرض تتحرك تحتي ولم أستطع الثبات على

الكرسي الجالس عليه ، فوقف وأمسكني قائلاً

"كن قويا وعلينا إكمال العلاج معها في كل الأحوال"

رفعت رأسي ونظرت له ، كان كالضباب لا أستطيع تمييز

ملامحه فأمسكت رأسي بيدي فناولني كوب ماء فأخذته منه

على الفور وشربته ، كان طعمه مالحا ففهمت انه علم أن ضغطي

انخفض ، بعد قليل أصبحت الرؤية عندي أوضح وزال الدوار

من رأسي فقلت بصوت متعب " لا نفع منه سوا قتلها بالبطين"

لا تكذب علي فأنا ملم بمرضها جيدا"

أخفض رأسه وتنفس بقوة ثم نظر لي وقال

"اتركوها هنا أفضل لها لتكون تحت المراقبة والشفاء

من عند الله وحده وعلينا المحاولة للنهائية"

قلت من فوري " ما الذي يمكنني فعله أخبرني عن

أي بلاد آخذها لها وسأفعل فورا"

هز رأسه وقال " لن يفعلوا لها أكثر مما سنفعله نحن"

ثم وقف وقال " كن مؤمنا ولا تياأس فالشفاء لا يحدده

أحد والموت لا يمسه أحد أيضا"

نظرت له للأعلى وقلت " هل يمكنني رؤيتها"

قال مغادرا " ليس قبل اثني عشر ساعة فلا

تتعبوا أنفسكم بالانتظار هنا"

ثم خرج وتركني فوقفت بصعوبة وخرجت لأجد

وسن والمرضة ينتظرانني أمام الباب فقالت وسن

بنظرة رجاء " لم تمت أليس كذلك"

هزرت رأسي بلا فقالت بصوت ضعيف ويدها تقبض على

كم سترتي " هل ستموت يا نواس؟؟ هل ستموت"

قلت ورأسي في الأرض

"لا تقلقي ستكون بخير أزمة وستنتهي"

قالت بعبرة " أريد أن أراها"

نظرت لها لتقع عيني على عيناها الواسعة الدامعة

فأشحت بنظري بعيدا عنها وقلت

"لا تزال متعبة عليكما العودة للمنزل الآن"

قالت بجدية " لن أأغار إلا معها"

نظرت لها وقلت بضيق " وسن ليس هذا وقت العناد

الطبيب قال أنه لا يمكننا زيارتها قبل نصف

يوم فبقائكما لا فائدة منه"

قالت الممرضة " إذا سأغار وأعود لها غدا هل تريدان شيئا"

قلت " هل عادت فتحية من دولتها"

هزت رأسها بلا وقالت " قالت أن والدها ازدادت

حالته سوءا ولن ترجع قبل أسبوع"

هزرت رأسي بحسنا فغادرت في صمت ونظرت أنا

لوسن وقلت بهدوء " علينا المغادرة الآن وسنعود في الغد"

سارت أمامي في صمت ودون كلام ، فقط لأنني سأغار

أيضا لما كانت تحركت من هنا ، ركبنا السيارة وغادرنا

المستشفى ، كنت أود البقاء لكن وسن تبدو متعبة وتكابرو
كعادتها ولا أحد في المنزل لذلك عليا البقاء معها ، وصلنا
المنزل ودخلت هي قبلي وتوجهت من فورها لغرفة والدتي
بعد قليل لحقت بها فكانت تجلس على الأرض متكئة على
السرير بذراعيها وتخفي وجهها فيهما وتبكي فوقفت عند
الباب وقلت " وسن لا تنسي أنك متعبة ، هذا لن يفيد في
شيء ، هي لم تمت وستحسن حالتها"

لم تجب عليا طبعاً فغادرت قبل أن ترميني بكلام يغضبني
وأكون أستحقه ، خرجت لأقرب صيدلية أحضرت لها حبوباً
مسكنة وعدت للمنزل ، دخلت ووجدتها على حالها فوضعت
الكيس على السرير بجاب رأسها وقلت بهدوء
"أحضرتة من نقود والدتي وليس مني"

ثم غادرت الغرفة وتوجهت لغرفتي ، أخرجت هاتفي وفتحته
واتصلت بجواد ، ترددت بادئ الأمر لكي لا أشغله عن دراسته
لكن إن حدث لها شيء فلن ينساها لي لأنه لم يراها للمرة الأخيرة
شعرت بانقباض في قلبي لمجرد الفكرة ، كيف أفقدك يا أمي

أنتي لا تعرفين ما تعنيه بالنسبة لي فمن لي أنا أيضا بعدك

اتصلت وأجاب بعد وقت فقلت من فوري

"ما هي أقرب رحلة يمكنك المجيء عليها"

قال بتوجس " ما بها والدتي"

أغمضت عيناى بألم وقلت " متعبة قليلا وأريدك أن تكون هنا"

قال بعد صمت " نواس لا تكذب علي"

قلت بهدوء " الورم وصل للدماغ سندخلها للمرحلة الثانية

من العلاج ، إن لم يكن بإمكانك المجيء فلا تأتي"

قال من فوره " أسبوعان أو أقل وأكون عندكم ... يا رب

لطفك ، نواس هل ستموت"

قلت بغصة " توقفوا عن سؤالي هذا السؤال وارحموني"

قال بعد صمت " كيف هي وسن"

قلت بحزن " مرابطة في غرفة والدتي وتبكي ، فتحية سافرت

منذ أكثر من يومين لأن والدها متعب كثيرا والممرضة

غادرت وهي الآن وحدها في الغرفة"

قال من فوره " كن بجانبها تعلم عن حالتها جيدا

لا نريد أن نخسر اثنتين"

تنهدت وقلت " تعلم أن اقترابي لن يزيد الأمور إلا سوءا

أنا معها في المنزل ولن أغادر ، هذا فقط ما سأقدر عليه"

قال بحزن " دعني أكلم والدتي ما أن تدخل لها أرجوك يا نواس"

قلت من فوري " حسنا ووداعا الآن"

قال بهدوء " وداعا واعتني بوسن يا شقيقي تعلم كم سيؤثر فيها ذلك"

قلت بهمس " وداعا"

وكأنك متأكد من موتها يا جواد ، من حديثك وعبرتك التي

تحاول كتمها ، وهذه هي الحقيقة مهما كذبت على نفسي

رن جرس الباب فخرجت له وفتحته فكانت صديقة وسن

في الجامعة ، نظرت لي وقالت بقلق " وسن تركت الجامعة

مسرعة ولا تجيب على هاتفها ، زرت منزلكم ثلاث مرات

ولم أجد أحدا ! هل هي بخير"

ابتعدت عن الباب وقلت ونظري للأسفل

"لقد جئت في وقتك ، أدخلي لها هي في الغرفة المفتوحة

نهاية الصلاة ، أرجوك كوني بجانبها قدر المستطاع"

دخلت وقالت " ماذا حدث"

أغلقت الباب وقلت مغادرا من أمامها للداخل

"خالتها متعبة وفي المستشفى"

ثم توجهت للمطبخ لتدخل هي ، من الجيد أنها أتت لتكون معها

*

*

نزلت أبحث عن راضية حتى وجدتها وقلت

"نواس خرج منذ ساعات ركضا لسيارته وبسرعة مخيفة

من المزرعة وهاتفه مقفل ووالدته لا تجيب"

قالت بقلق " سترك يا رب ترى ما الذي حدث"

نظرت من حولي وقلت

"أين وليد أو صديقه الآخر ليجدوا أي حل"

قالت من فورها " معاذ ليس هنا ووليد في"

بترت جملتها على دخول وليد من باب المنزل فتوجهت

من فوري نحوه وقلت بقلق " ماذا حدث مع نواس"

نظر لي باستغراب فقلت

"خرج مسرعا وهاتفه مقفل وحتى والدته لا تجيب"

أشاح بنظره عني متضايقا لتتحول نظرتي للصدمة ثم أولاني

ظهره وقال بهدوء " سأحاول الاتصال به أو أبحث عنه لا تقلقي"

ثم خرج من فوره ونظري يتبعه ورن حينها هاتفي فنظرت له

من فوري فكان نواس فأجبت عليه قائلة بقلق

"نواس ماذا حدث معك وأين أنت"

قال بنبرة غريبة " أنا في منزل والدتي لا تقلقي"

قلت بحيرة " هل حدث شيء"

قال بعد صمت " مرضت أمي وهي في المستشفى الآن"

أغلقت فمي من الصدمة ثم قلت " ما بها"

تنهد وقال بحزن " تعبت اليوم كثيرا والطبيب

نصحنا بتركها في المستشفى لبعض الوقت"

قلت بهدوء حزين " أسأل الله لها العافية ولن أطيل

عليك أكثر وطمئني عليها"

قال بهمس " وداعا وشكرا لك"

أبعدت الهاتف عن أذني وغادرت جهة السلام وصعدت

لغرفتي ، كم أتمنى أن أكون بجانبه ووالدته الآن لكن بقائي

هنا سيكون أفضل فابنة خالته لن تتقبلني وهو يعلم ذلك

جيذا لكان قال أنه سيأتي لأخذي هناك

*

*

جلست أحتضن أغطية سريرها أريد أن أشم ولو رائحتها

خالتي عودي من أجلي لا تتركيني فبعدك سأضيع وأرجع

عالة ومتسولة ويثيمة يرهاها نواس وزوجته ، من أشتكى له

بعدك ، من ينصفني من يحبني ويتحدث معي

قبضت على اللحاف بقوة لتعود دموعي التي لم تتوقف للنزول

مجددا فشعرت بيد على كتفي هي ليست لنواس بالتأكد فنظرت

لصاحبها بسرعة وكأني أتخيل أن تكون خالتي تططب

على كتفي كالعادة وتسالني (لما أنتي حزينة يا ابنتي)

فكانت ملاك ، نظرت لها مطولا ثم قلت ببكاء

"خالتي يا ملاك ستموت وتتركني"

جلست بجواري على الأرض وحضنتني وقالت

"لن تموت هي متعبة فقط وليست المرة الأولى"

قلت بعبرة " لم تمرض هكذا قبلا"

وبقيت لوقت تهدئني وتقرأ على مسامعي

آيات من القرآن ثم مسحت على شعري وقالت

"إنه وقت المغرب هيا قفي توضئي لنصلي واقرئي في

المصحف قليلا وادعي لها بالشفاء"

وقفت ودخلت الحمام توضأت وصليت واتكأت في سرير

خالتي وأحضرت ملاك المصحف وبدأت تقرأ على مسامعي

حتى هدأت وتوقفت عن البكاء فمسحت على شعري وقالت

"وسن لما كل هذا هي حية ولم تمت ، ابن خالتك قلق عليك

كثيرا يكفيه والدته التي في المستشفى"

خبأت وجهي في ذراعي وقلت " ليذهب ويتركني أنا لم

أجبره على البقاء معي"

تنهدت وقالت بضيق " وسن هوا في النهاية ابن خالتك

ويخاف عليك لو رأيت وجهه لتوقفت عن هذا الجنون"

خبئت وجهي في ذراعي أكثر وعدت للبكاء فقالت

"حسنا لن أذكر اسمه ثانيًا فلا تبكي"

وأمضت معي ملاك الليل بطوله ولم ننم للحظة ولا نواس

الذي يطرق علينا الباب من حين لآخر وعند الصباح

قالت ملاك " هيا لتذهبي معي لمنزلي ، جدتي رحبت

بالفكرة وأنتي تحتاجين للابتعاد عن هنا"

نزعت ملابس الصلاة وجلست على السرير وقلت

" لا أريد فعليا زيارة خالتي معه"

قالت بهدوء " منعوا عنها الزيارة نهائيا حتى تنتهي جلسات

العلاج فتعالى معي أفضل لك وله ليتمكن من مغادرة المنزل"

قلت بحدة " أخبرتك أنني لا أجبره على البقاء"

قالت بضيق " أنتي لا تجبرينه لكنه يستحيل أن يذهب

ويتركك في المنزل لوحدهك فإن كنتي حقا لا تريدي

رؤيته فذهبي معي أو ابقى معه هنا"

ثم تأففت وقالت مغادرة الغرفة " سأجمع لك ثيابا

وتبقي معي حتى تخرج خالتك"

ثم غادرت الغرفة فارتيمت على السرير أبكي بحرقة

فها قد بثت عالية حتى على الأعراب ، بعد قليل جلبت

حقيبة أغراضي وقالت " وضعت فيها كل ما رأيته

مهما وإن احتجت شيئا سنعود لأخذه"

خرجت معها من المنزل وأوصلنا نواس بسيارته لمنزلها

نزلت ملاك قبلي وهممت بالنزول حين استوقفني صوت

نواس قانلا " اتصلي بي إن احتجت شيئا"

قلت بهمس وأنا انزل " شكرا لك "

ثم أغلقت الباب ودخلت المنزل ، متى سيقتنع أني لا

أريد منه شيئا سوى أن يتركني ولا يزيدني على ما بي

دخلت وكانت جدة ملاك وزوجة خالها في استقبالي

رحبا بي وسألا عن خالتي فأجبتهم ثم قلت

" أريد أن أنام قليلا أشعر بالتعب "

قالت جدتها مبتسمة

" المنزل منزلك ، خذيها يا ملاك لغرفتك لترتاح "

دخلت خلفها للغرفة فقالت " تبدين متعبة هل أعطيك المسكن "

دخلت للسرير وقلت " أريد أن أنام قليلا فقط "

فخرجت وأغلقت الباب بعدما أطفأت النور

*

*

أمضيت أيام الأسبوع بين المستشفى والمزرعة ومنزل

صديقة وسن لأطمئن عليها من خال صديقتها التي توصل له

ملاك أخبارها ، هي لم تذهب للجامعة منذ ذاك اليوم ولا تتوقف

عن البكاء وتصر على الخروج بنفسها لزيارة والدتي ولا

تريد أن تقتنع أن الأطباء يمنعون عنها الزيارة بالفعل فحتى

أنا لم أدخل لها سوى مرة واحدة ولدقائق معدودة وهي لا

تعي شيئا حولها ، جواد قال أن طائرته ستكون منتصف

الأسبوع القادم ولم يخبر فرح بشيء فهي حامل وإن علمت

ستقلق على وسن ويجن جنونها ولن تهدأ ليلا ولا نهارا

"ألن نتمكن من زيارتها أبدا يا نواس"

رفعت رأسي ونظرت لها وقلت " الأطباء لم يسمحوا بذلك بعد"

نظرت للأرض وقالت بحزن " تبدوا حالتها حرجة"

تنهدت وقلت " ليس بيدنا سوى الدعاء لها"

رن حينها هاتفي فنظرت له ووقفت على طولي وأنا

أرى رقم المستشفى فأجبت من فوري فقال الذي

في الطرف الآخر " مرحبا هل أنت السيد نواس"

قلت بتوجس " نعم هل والدتي بها مكروه"

قال من فوره " تطلب رؤيتك وواحدة اسمها وسن"

أبعدت الهاتف عن أذني انظر له بضياح فقالت مي بقلق

"ماذا هناك يا نواس"

قلت مغادرا من أمامها " سأنزل للعاصمة وقد لا أعود اليوم"

ركبت سيارتي وغادرت مسرعا أحاول فقط أن لا أفكر

وصلت لمنزل صديقة وسن ونزلت ، قرعت الجرس

ففتح لي الباب طفل في السادسة أو السابعة فقلت له

" أين والدك هل هو موجود"

قال من فوره " خرج هوا ووالدي"

قلت " وملاك هل هي في الداخل أم صديقتها فقط"

هز رأسه بلا وقال " في الجامعة صديقتها فقط هنا وجدتي نائمة"

قلت " أخبرها أن رجلا اسمه نواس ينتظرها في الخارج"

ثم أمسكت كتفيه وقلت " قل لها سيأخذك لخالتك"

هز رأسه بحسنا ودخل وما هي إلا لحظات وكانت وسن أمامي

بعباءتها وحجابها واقفة أمام الباب وقالت " هل سنزورها حقا"

هزرت رأسي بعم دون كلام فخرجت وأغلقت الباب وتوجهت

للسيارة بخطوات سريعة وكأنها تريد أن تسابق الوقت لتصل

لها سريرا ، ركبت بجانبها وانطلقت في صمتنا حتى

قالت " هل رأيتها اليوم"

قلت ونظري على الطريق " لا"

نظرت لي وقالت " وكيف سمحوا لنا بزيارتها هل انتهى علاجها"

دخلت حينها سور المستشفى وقلت " هي طلبت رؤيتنا"

أوقفت السيارة في الموقف فأمسكت قلبها وقالت

" هل هي بخير ؟ أخبرني أرجوك يا نواس"

نظرت لعينيها لأول مرة اليوم وقلت

" لا أعلم يا وسن أنا مثلك جئت ولا أعلم شيئا"

قالت ودمعتها تتدلى من رموشها الطويلة

"ستكون بخير أليس كذلك ، قل قسما ستكون بخير"

تنهدت وقلت " كيف أقول شيئا لا أعلمه هيا دعينا ننزل لها الآن"

ثم فتحت الباب ونزلت فنزلت هي أيضا ولحقت بي

دخلنا المستشفى وصعدنا بالمصعد وهي تتكى على جداره

وتبكي فنظرت لها وقلت بهدوء وقلب ينحب أكثر منها

"يكفي يا وسن كوني قوية لتقابلها أو لن يتركوك ترينها"

لم تزد سوى عبارات ونحيب على نحيبها ، اليوم فقط تمنيت

أني سمعت كلام والدتي وتزوجتها ذاك اليوم رغما عنها وعني

لما كنت تركتها الآن تحتضن الجدار الأصم الذي لا أعلم

كيف لم يتحرك ويمسح دموعها ، انفتح المصعد أخيرا ورحمني

فخرجت وهي تتبعني وتمسح دموعها ، وصلنا الغرفة وفتحت

الباب ببطء ودخلت ووسن خلفي ، كانت الأجهزة كلها منزوعة

منها سوى حقة المغذي فما يعنونه بهذا ! ما أن دخلت وسن

حتى توجهت نحوها مسرعة وحضنتها تبكي فرفعت والدتي

يدها بتعب ووضعتها على رأسها وقالت بصوت ضعيف متعب

"إن كنتي تحبينني فتوقفي عن البكاء يا وسن"

قالت بعبرة " لا تتركيني يا خالتي أرجوك فليس لي بعدك

أحد لا ترحلي أنتي أيضا ، ليبقى لي ولو صوتك يكلمني"

نزلت دمعة من طرف عين والدتي ونظرت لي ومدت يدها

فاقتربت منها وأمسكتها وقبلتها فقالت ونظرها على وسن

المحتضنة لجسدها " ضعي يدك هنا في يدي يا وسن"

رفعت رأسها وامتثلت لها لتصبح يدها فوق يدي وكلاهما في

يد والدتي التي قالت ونظرها عليها

" عديني يا وسن وأقسمي لي أنك تفعلين ما سأطلبه منك"

بقيت على صمتها فقالت أمي " عديني يا ابنتي"

قالت وسن بيحة " أعدك"

تنفست أُمي بتعب وقالت " قولي أقسم أن أتزوج من

يختاره نواس ومتى يقرر هوا"

بقيت تنظر لها بصدمة فقالت " لا ترُدني خائبة يا وسن"

غمرت وجهها في جسد والدتي وقالت ببكاء

" أعدك وأقسم لك أن افعل فقط لا تتركيني وحيدة"

نظرت لي أُمي حينها وقالت " وسن أمانتك يا نواس مادمت

حيا ولا تنسى وعدك لي بني فأنت لم تزوجها سليمان لأنك

اخترت الخيار الآخر فكن عند وعدك مهما طال بك العمر"

قلت بحزن " لا تخافي لن أخلفه يا أُمي"

ابتسمت حينها ابتسامة صغيرة متعبة وقالت بهمس

" الحمد لله"

ثم ارتخت قبضة يدها ورفعت وسن رأسها ونظرت لها

وهزتها بيدها الأخرى وقالت بصدمة " خالتي"

فقبضت بيدي بقوة على يدها التي تحت يدي وقلت بألم

ودمعة سقطت من عيني " ليخلفنا الله فيها خيرا يا وسن"

كنت أنظر لها باستغراب كانت فتاة في بشرتها سمرة خفيفة
بملامح جذابة وعينان بنيتان لم تفارقا الزهرة في السلسال
وكأنها رصاصة ستخترق عنقي ، قلت بهدوء " هل يمـ"
قاطعتني ناظرة لعيناي " من أين تحصلتِ على هذا السلسال"

بقيت أنظر لها بحيرة فقالت بحدة " تكلمي"

بقيت أنظر لها بصمت ، أي وقاحة هذه تحقق معي وهي
تراني للمرة الأولى ! وما علاقتها بالسلسال ومن أين تعرفه
رفعت نظري حينها للذي ظهر خلفها وكان نزار فالتفتتُ
هي ما أن انتبهتُ أن عينيائي تبثا خلفها ونظر لها هوا
وقال عاقدا حاجبيه " رهام" !!

دارت بجسدها نحوه وقالت

"نعم رهام صاحبة السلسال الذي أصبح عند غيرها"

قال بجمود ونظره على عينيها " لم تكوني يوما صاحبتة"

قالت بصوت مرتفع قليلا وحاد " بلى أعجبني في المحل

هوا نفسه أعرفه جيدا وكنت معك وتحدثنا عنه"

نظر حينها لي وأنا عينااي عليه ، هذه رهام إذا خطيبته السابقة

تخطاها وتخطاني داخلا فالتفتت ناحيته وقالت بحدة أكبر

"لم أصدق حين سمعت أنك بت تهوى المراهقات

ويعجبك ولكني صدقت الآن"

وقف حينها والتفت لها وقال باستغراب

"ما تعني بما تقولينه"

نظرت لي ثم له ثم قالت من فورها

"أعني أنك أنت أيضا كسرت الشعار وسقط منك القناع"

ضغط على فكيه بقوة حتى خفت من ملامحه ثم أشار

بإصبعه للباب خلفها وقال " أخرجي من هنا وفورا"

قالت بسخرية " نعم وتطردني من أجلها أيضا معك حق"

ثم فتحت حقيبتها وأخرجت منها صورة ووضعتها أمام

وجهي ، كان نزار في الصورة وهي تتكى على صدره
بظهرها ويحيط خصرها بذراعيه مبتسمان وقالت وهي

تحركها أمام وجهي " لا يخبرك انه مثالي ولم يجب غيرك

ولا قبلك لأنه سيكون كاذبا مثلما كذب حين قال لا

أقتنع بحب وزواج المراهقات"

نظرت له فكان نظره ثابتا عليها فعدت بنظري

لها وقلت " حكا لي كل شيء"

ضاعت بنظرها بين عيناى مصدومة فتوجهت نحو نزار

ووقفت بجانبه وتمسكت بذراعه وقلت ونظري عليها

"أخرجى من حياتنا"

فانفتحت عيناها أكثر من الصدمة فرفعت نظري لنزار

فكان على حاله ينظر لها فعدت بنظري عليها فانقلبت

هى بنظرها منى له فقال بجمود " وأغلقى الباب خلفك"

لا اعلم قالها تكلمة لجملى أخرجى من حياتنا أم يقصد بها

باب المنزل لكنه لم ينكر كلامى رغم أنه غير صحيح فخرجت

وملامحها لا يمكن وصفها ولم تضيف حرفا واحدا فابتعدت

عنه بسرعة وتركت ذراعه وقلت ونظري للأرض

"أسفة إن أزعجك ما قلت لكنى إن أنكرت ما قالته

فلن نجنى شيئا وأنا حقا تعبت منهما"

توجه نحو الباب وأغلقه ثم عاد مارا بى وقال وهوا

يجتازنى " فعلتى الصواب فالحقيقة لن يقتنع بها أحد"

ولم اسمع بعدها سوا خطواته يصعد السلالم فتنفست بقوة

وغادرت جهة غرفة خالى ونظري للأرض حتى دخلت

فوصلني صوتها قائلة " ماذا هناك ما كل هذه الأصوات"

نظرت لها وقلت " لا شيء مهم ماذا تريدان على الغداء"

ضحكت وقالت " كان دائما على ذوقك ما تغير الآن"

تنهدت وقلت " لا أعلم"

قالت بحيرة " لا تعلمين ماذا !! سما ما بك ولما صعد نزار

دون أن يلقي علي التحية ومن الذي كان عند الباب"

هزرت رأسي بحيرة ولم اعرف ما أقول ، لا أريد أن اكذب

عليها ولا أن أتحدث عما حدث ، خرجت من عندها وتوجهت

للمطبخ ، وضعت بعض الخضار في طبق وجلست على

الطاولة أمسك السكين في يدي وأقطعها بذهن شارد

ألم تقل خالتي أن السلسال ليس لها ولا تعرف عنه وها

هي تعرفت عليه أو يبدو كما قالت هوا أعجبها في إحدى

المحال فاشتراه لها ليهديها إياه في عيد ميلادها فافترقا قبلها

حسنا لما أنا المتهم دائما دعاء ثم هذه المدعوة رهام ألا يوجد

رجل غيره في هذه البلاد ، أتمنى أن لا تخرج لي واحدة

أخرى بعد قليل لأعلم أنها تحبه أو كان يحبها ، أغضت

عيناى بشدة أحاول محو تلك الصورة من دماغى وهوا

يحصنها مبتسمان لكنها أبت الخروج ولم يخرج من

عيناى سوا دموعى " سما "

ارتجفت لسماع صوته المصدوم ينادى باسمى ليسقط

السكين من يدي فى الصحن وبقع الدم تلون الخضار تحتي

اقترب منى مسرعا وأمسك يدي وقال " يدك تنزف وأنتي

تغمضين عينيك وتبكي ولا توقفين النزيف "

نظرت لوجهه وأشعر بقلبي يرتجف بقوة للمسّه لى

الشعور الذى أصبح يتعاضم يوما بعد يوم ، وقفت لأنه

كان ممسكا يدي ويسحبني جهة المغسلة وفتح الصنبور

عليها ، كان الجرح فى كف يدي اليسرى وهوا يضغط عليه

بأصابعه بقوة حتى احمرت مفاصلها ونظره عليها وعيناى

تسافر فى ملامحه ... العينان الرماديتان والأنف المستقيم

لحيته الخفيفة بشعيراتها السوداء وذقنه البارز قليلا للأمام

شعرت بالدماء ترتفع لوجهي وبخجل شديد ومعدتي تضطرب

حين تذكرت ما حكته لى خالتي يومها عما يحدث بين الرجل

والمرأة والكارثة أنها قالت (هذا شيء مبسط فقط لتعلمي بالأمر

مني قبل غيري وتكوني حذرة بنيتي) إن كان ذلك مبسط

فكيف ستكون التفاصيل ، تمنيت فقط أن يترك يدي التي

كان يمسكها بكل يديه لأنني لم أعد أحتمل أكثر من هذا

رفع حينها أصابعه ليري الجرح وحرك إبهامه في كفي

ليعرف عمقه فقلت بألم " أي "

قال وهو يغادر " لا تخرجي يدك من تحت الماء "

غادر لوقت قصير ثم عاد وفي يده شاش فأخرجت يدي

من تحت الماء ولف كفها بعشوائية وقال وهو يغلق الصنبور

" غيري ثيابك والبسي حجابك عليا أخذك ليخيطوا لك الجرح "

صعدت لغرفتي وغيرت ملابس بصعوبة لأن يدي كانت

تؤلمني بشدة والدماء بدأت تخرج من الشاش ، حاولت لبس

الحجاب ولم أستطع فنزلت به في يدي فكان ينتظر في الأسفل

فقلت وأنا أريه الحجاب " لم أستطع لبسه سأطلب من

خالتي أن تلبسه لي بسرعة "

أمسكه من يدي وقال " والدتي نامت سأساعدك أنا

بسرعة فالجرح لازال ينزف "

لم أستطع قول شيء فأمسك بالحجاب وقلبه كثير ويبدو لم

يفهمه لأنه معد جاهزا لأن يلبس دون لف فأمسكته

معه وقلت مبتسمة " من هنا هذه الفتحة للوجه"

قلبه مرة أخرى وأدخله في رأسي فكان وجهي مغطى بالكامل

فقلت بضحكة " نزار هذا مقلوب وفتحة الوجه في الخلف"

سمعت حينها ضحكة صغيرة خرجت منه فهوا يبدو مستاء

منذ أن تقابل وتلك الرهام اليوم ، غير من وضع الحجاب

بمساعدي بيد واحدة ورفع وجهي له ودس خصلات شعري

جيذا ونظره عليها لتعود لي تلك الرغبة في تأمل ملامحه

مجددا ثم سرعان ما أبعدت نظري عنه وتوجه هوا حينها

ناحية المطبخ قائلا " علينا أن نغير الشاش أولا"

نظرت لكف يدي فكانت الدماء تغطي الشاش كله وزاد

شعوري بالألم فيها وكأنها جرحت للتو ، عاد سريعا وأزال

الشاش منها ولفها مجددا بسرعة لأن الدم لازال ينزف

وهوا يقول بضيق " لا أعلم كيف تجرحين نفسك هذا

الجرح المخيف فليست عادتك يا سما"

لم أستطع التحدث فما سأقول له ... لم أكن أشعر بنفسي

وأنا أقطع يدي أم أني كنت أفكر في تلك الصورة وغائبة

عن كل شيء من حولي ، خرج بعدها وأنا أتبعه قائلة

"والدتك ستستيقظ ولن تجدني وستقلق"

قال وهو يغلق باب المنزل " فكري في نفسك الآن فقط

علينا أن نصل سريعا قبل أن تفقدي دما أكثر ويغمي عليك"

ركبت السيارة وأنا بالفعل أشعر بتنمل في قدمي لكني

لم أتوقع أن يكون ذلك السبب فأنا في كل حال فقدت
دما كثيرا هادان اليومان ويدي نزفت كثيرا تحت الماء

انطلقنا وأنا أمسك كف يدي لأنه يؤلمني بشدة ووصلنا

بسرعة للمستشفى ، نزل ونزلت بعده وكان يسير بخطوات

سريعة فقلت " لا تسرع نزار أشعر بتنمل في قدمي"

وقف والتفت لي وأجلسني على إحدى الكراسي في

الحديقة قائلا " سأحضر كرسيًا يبدووا فقدت دما كثيرا"

وسار مسرعا دون أن يستمع لاعتراضي ومررت خلفه

مباشرة اثنتان وقالت واحدة للأخرى " أنظري كيف

يخاف على زوجته ، ما جنس الذين نتزوجهم نحن"

وصلني صوت الأخرى وهما تبتعدان قائلة بضحكة

"مؤكد عريسان جدد"

عدت بنظري منهما ليدي المجروحة ، لما الجميع يرى

أنا متزوجان ! هل نزار وحده مقتنع بفكرة أني صغيرة

على الزواج ، خرج حينها متوجها نحوي دون كرسي

ووصل عندي وساعدني على الوقوف قائلا

"هل يمكنك السير سأساعدك فلم أحصل على واحد"

سرت بمساعدته قليلا ثم قلت

"قدماي تتيبسان وأشعر بالجفاف في حلقي"

شعرت بعدها بدوار خفيف واضطربت خطواتي ولم

أشعر بنفسي إلا وأنا أرتفع عن الأرض بين ذراعيه

وقد حملني بخفة وسهولة وسار بخطوات سريعة

قائلا بضيق " لا أعلم أي مستشفى هذا لا شيء متوفر فيه"

شعرت حينها بالضيق لأنه منزعج من حملة لي

فقلت بهمس " أنا آسفة"

قال ونحن ندخل باب المستشفى " ولما تعتذري فالخطأ

عليهم وليس عليك ، تمسكي بي جيدا المكان مزدحم اليوم"

وما أن أنهى جملته حتى انفتحت عيناى من الصدمة وأنا

أشاهد العدد الكبير من رجال الشرطة وازدحام الناس

بسببهم فقلت بدهشة " ماذا يحدث هنا" !!

اصدم حينها أحدهم بنزار بسبب الازدحام وكاد يوقعنى

فتمسكت بعنقه على صوته قائلا " سما ألم أقل تمسكى جيدا"

لذت بالصمت أشعر بالإحراج من تشبثى بعنقه ومن تصرفاتى

اليوم التى جميعها لم تعجبه لكنى لحظتها شعرت حقا أنى

تمنيت لو أن دعاء ورهام هنا فما سيكون موقفهما يا ترى

ثم سرعان ما مات ذاك الشعور بالنشوة حين تذكرت كلماته

حين قال (الحقيقة لن يقتنع بها أحد) وهو يعنى بالتأكيد أنه

لا يحببنى كما تعتقدان فنزلت دمعتى دون شعور منى فأبعدت

يذى ومسحتها فقال وهو ينزلنى عند قسم الطوارئ

" هل تألمك كثيرا"

هزرت رأسى بلا دون كلام فدفع الباب وأدخلنى حتى السرير

فجلست عليه واقتربت إحدى الممرضات قائلة

" ما المشكلة"

قال نزار " استدعى لنا طبيبا"

نظرت ليدي وقالت " يمكنني القيام بذلك هي وظيفتي "

تأفف وقال " يا آنسة الطبيب لو سمحت "

قالت بضيق " ترى بنفسك حال المستشفى يعج بالشرطة منذ

يوم أمس ووصلنا اليوم ثلاث حوادث سير كلها لعائلات "

قال مغادرا الغرفة " سأجلبه بنفسي إذا "

لوت هي شفتيها وتمتمت بضيق

" لا أعلم لما الوسيمين أسلوبهم سيء دائما "

ثم نظرت لي واقتربت مني وقالت " أرني يدك "

خبأتها في يدي الأخرى وقلت

" سيغضب مني اتركه حتى يرجع أولا "

قالت مغادرة الغرفة

" هذا ما يقوي الرجال عليكن خوفكن الزائد منهم "

تساندت بالسريير لأن شعور الإغماء بدأ يزداد والدماغ

عادت تملأ الشاشة مجددا فدخل حينها نزار يتبعه الطبيب

وسحب الكرسي وجلس أمامي قائلا " مدي يدك لأراها "

مددت له يدي قائلة " أشعر بدوار "

وقف وقال " يبدوا فقدتِ دما كثيرا سنحقتك بالمغذي"

سحب حامل المغذي نحوي وعلق فيه واحدا وحقتني به

بسرعة في يدي السليمة ولم يفتحه ثم فتح الشاش ونظر للجرح

وتحرك قائلا " يلزمه ثلاث غرز أو أربع تقريبا"

توجه للأدراج في الغرفة وأخرج أشياء وضعها على طاولة

وسحبها نحونا وعقم الجرح كثيرا بادئ الأمر ثم بدأ بخياطته

ومن أول غرزه شعرت بألم فضيع رغم أنه رش كف يدي ببنج

موضعي فقبضت بيدي الأخرى على السرير بقوة وأنا أتألم

وهوا يخيط باقي الغرز حتى شعرت بيد نزار على كتفي تمسح

عليه ببطء ويده الأخرى تمسك ذراعي المصابة وأنيني المتوجع

يزداد فأمسكت طرف سترته بيدي اليمنى ودفنت وجهي فيها

وقد بدأت بالبكاء فقال الطبيب " تحملي قليلا نكاد ننتهي"

فانتقلت يد نزار من ذراعي لرأسي يمسخ عليه قائلا

" قليلا فقط يا سما إنها الأخيرة"

بعد ذلك شعرت بالطبيب يمسخ بشيء على الجرح فأبعدت

وجهي عن سترة نزار ونظرت له فكان قد بدأ بلف الشاش عليها

قائلا " عليكم المجيء لتغييره مرة كل يومين أو ثلاث كحد أقصى"

أنهى لفة وفتح المغذي ثم فتح دفترًا كبيرًا وأخذ بياناتي ونزار يعطيها

له ثم أغلقه ونظر لنا وقال مبتسما " أليست صغيرة على الزواج"

قال نزار من فوره " لسنا متزوجان"

يبدو أغلب الرجال مقتنعون بهذه النظرية وليس نزار

وحده ، وقف الطبيب وقال ضاحكا " لا تشبهان بعضكما

لم يخطر ببالي أن تكونا شقيقان"

ثم اقترب مني ورفع وجهي له وطلب مني أن أفتح فمي

وأخرج لساني وفحص لي عيناى ثم قال " لا علامات لفقر

دم وستكونين أفضل ، لقد خف الدوار أليس كذلك"

قلت بهمس " قليلا"

قال وهو يتأكد من يدي " حاولي أن لا تحركي يدك قدر

الإمكان يا سما كي لا تنفتح الغرز حتى يلتئم الجرح على الأقل"

ثم نظر لنزار وقال " أجلب لها عصير برتقال ، أنت ترى

الفوضى فى المستشفى لكننا أحضرناه لها"

هز له رأسه بحسنا وخرج الطبيب وقال نزار

" سأذهب لجلبه وأعود سريعا"

قلت بخوف " لا نزار لا تتركني وحدي"

تنهد وقال " سأحدث مع أحدهم ليجلبه سأكون هنا عند الباب حسنا"

هزرت رأسي بالموافقة وغادر وهو يجيب على هاتفه قائلا

"نعم يا أمي إنها معي لا تقلقي وسنعود قريباً"

ثم خرج وسمعته يتحدث مع أحدهم ثم عاد للداخل واقترب

مني قائلاً " نامي على السرير يا سما سيكون أريح لك"

اتكأت عليه للخلف ونظرت للمغذي وقلت " هل سيأخذ وقتاً كثيراً"

جلس على الكرسي وقال " ساعة ونصف كحد أدنى"

*

*

بقيت عيناها معلقتان في المغذي لوقت وكأنها تنتظر

أن ينقص ولو قليلاً ، طرقت حينها أحدهم باب الغرفة

ثم فتحه فكان الرجل الذي وجدته في الخارج وفي يده كيس

به علبة عصير كبيرة وأكواب بلاستيكية فوقفت من فوري

وأخذته منه قائلاً " شكراً لك يا أخي أسأل الله أن لا يرد لك طلباً"

قال مبتسماً " لا شكر على واجب وحمداً لله على سلامتها"

ثم غادر من فوره فأغلقت الباب وعدت نحوها وأخرجت

العلبة وفتحتها وملئت منها أحد الأكواب ومددته لها

فأخذته مني وقالت بهمس " شكرا "

ثم سمت الله وشربته ووضعت الكوب على الطاولة

بجانبيها فقلت " عليك أن تشربي واحدا آخر "

هزت رأسها بلا فقلت بضيق " سما عليك شربة الآن "

نظرت للأسفل بخجل وقالت " لا أستطيع سأحتاج الحمام "

حينها ولن أستطيع الذهاب له "

أغلقت حينها العلبة ووضعتها على الطاولة بجانبها وعدت

جالسا على الكرسي من جديد ولا شيء سوا الصمت

غفت سما بعد قليل ونظرت للمغذي فكان في بدايته

جيد أنها نامت فالنوم سينسيها الانتظار لساعتين فما يزيد

رن حينها هاتفها فأسكته سريعا وكانت والدتي فأجبت

عليها قائلا بصوت منخفض " نعم يا أمي "

قالت في الفور " لم يهدأ لي بال بني ما الذي أخرجكم "

وسما لا تخرج إلا للضرورة "

قلت بشبه همس " لقد جرحت نفسها بالسكين وأخذتها للمستشفى "

وخاطوا لها الجرح وحقنوها بالمغذي وهي نائمة الآن "

قالت بصدمة " يا إلهي لم تجرح نفسها سابقا وهل الجرح بليغ"

قلت " أربع غرز ، سنعود للمنزل ما أن ينتهي المغذي"

قالت بقلق " خذ حذرك بني واعتني بها جيدا"

قلت بهمس " لا تقلقي وداعا الآن"

ثم أنهيت منها الاتصال وتنهدت بضيق ، يبدووا سما توترت

من مقابلة رهام واتهاماتها لنا فما كانت ستجرح نفسها اليوم

تحديدا إلا بسبب ذلك ، لا أعلم أي مرض يصيب الفتيات

هل من الضرورة أن أحب فتاة فقط لأنها تعيش معنا!!

وهل كل فتاة ستبقى عندنا لفترة سأحبها ! وما كان قصد

رهام حين قالت (لم أصدق حين سمعت أنك بت تهوى

المراهقات) كيف علمت عن سما ومن أخبرها ! مؤكدا دعاء

فهي صديقتها لكن ما مصلحة دعاء لتقول ذلك وما الذي

عنته سما بأنها قد تعبت منهما ! هل تحدثت دعاء معها أيضا

نظرت لملامحها النائمة بهدوء وتنهدت بحيرة ، كم أخشى

أن يصيبك مكروه عندي يا سما وكل ما أتمناه أن أعيدك

لأهلك سالمة وبدون ولا خدش صغير قد أحاسب عليه واتهم

بالإهمال رغم أنني أحرص عليك أكثر حتى من نفسي

ما يحيرني أنها لم تتساءل عن رهام ومن تكون بل مثلت
الدور أمامها وكأنها تعلم بما يجري ! هل أخبرتها والدتي
عنها يا ترى ؟ لا خيار غيره فهما معا طوال النهار خصوصا
قبل أن تعود سما لدراستها ، وكم مرة كانتا تتحدثان وحين
انزل السلالم تسكتان ، وموقف سما اليوم غريب كذلك
توقعتها ستدافع عن نفسها وتقول أن لا شيء بيننا مما قالته
رهام لكنها خانت توقعاتي بل وتصرفت بجرأة لم أعهدا
فيها قبلا وواجهتها بقوتها الدفينة داخلها ، القوة التي تحملت
بها كل ما مرت به ، إنها كالطاقة العجيبة لا تخرج منها إلا
وقت اللزوم ولا يمكنك أن تتوقع من شخصية هادئة وخجولة
مثل سما أن تكون لديها كل هذه القوة لمواجهة الصعاب
بعد وقت وقفت وفتحت باب الغرفة ووقفت أمامها لعله
يمر الوقت سريعا ، لمحت بين ازدحام الشرطة بعيدا
جابر يقف بينهم فنظرت حولي وتحدثت مع أقرب
الواقفين أمامي قائلا " هل ستبقى هنا طويلا"
نظر لي وقال " نصف ساعة تقريبا"

قالت " توجد فتاة في هذه الغرفة في سن الخامسة عشرة
بحجاب أبيض وعينان زرقاء لا تسمح لها بالخروج حتى
أعود ، سأكون هناك قريبا عند تجمع الشرطة حول ذاك

الرجل باللباس الرسمي"

هز رأسه بحسنا ثم نظر لساعته وقال

"لا تتأخر كثيرا فقد أغانر في أي وقت"

تحركت قاتلا " لا تقلق قليلا فقط وأعود"

توجهت نحوهم بخطوات سريعة حتى وصلت عندهم

وقلت وأنا أجتازهم " المعذرة قليلا"

نظر لي جابر وقال باستغراب " نزار ماذا تفعل هنا!"

صافحته وقلت " بل أنت ما الذي تفعله هنا"

نظر جانبا وقال " لدينا حالة مهمة في هذا المستشفى"

ثم نظر لي وقال بهمس فهمته فقط من حركة شفتيه

"عفراء"

انفتحت عيني من الصدمة وقلت " وجدتها"

هز رأسه بنعم وقال " لكنهم قتلوا زوجها ويريدون

قتلها أيضا وبأي طريقة"

نظرت لعيناه بتكيز وقلت " إذا سما في خطر حقيقي"

هز رأسه بنعم ثم قال " ما الذي جاء بك هنا هل والدتك معك"

قلت " لا ... سما جرحت يدها وجلبتها هنا وهي في

أحد الغرف هناك في قسم الطوارئ"

تغيرت نظرتها للقسوة وفرق بأصابعه لثلاث رجال من

المحيطين به وقال " تتبعونه حالا وتحرسون الغرفة حتى

يغادروا ولا تلفتوا الانتباه للغرفة المحددة"

ثم نظر لي وقال بضيق " هم منتشرون مثلنا هنا في

المستشفى كيف تتركها وحدها يا رجل"

نظرت للخلف من فوري فكان ذاك الرجل ما يزال واقفا

مكانه وعيناه على هاتفه فتركتهم وعدت جهة الممر مسرعا

ورجال الشرطة يتبعونني حتى وصلت وفتحت الباب

فكانت نائمة مكانها فتنهدت براحة ثم التفت لهم وقلت

بصوت منخفض " ما تزال هنا"

هزوا رؤوسهم بالموافقة وانتشروا في الممر وعدت

أنا للغرفة وأغلقت الباب خلفي ولعبت بي الهواجس

وكلما فتح أحدهم الباب خفت أن يكون منهم وتعرف
عليها أو يعرفها ولم أرتح إلا حين شارف المغذي على
نهايته فنزعته منها بنفسي فلن أستطيع مفارقة الغرفة لأنادي
إحدى الممرضات ثم هزرتها قانلا بهمس " سما استيقظي"
فتحت عيناها ونظرت من فورها لقارورة المغذي ثم جلست
فسكبت لها كأسا جديدا من العصير وأعطيتها إياه فشربته
على دفعات كعادتها ثم وقفت ولبست حدانها وخرجنا وذراعي
تحيط بكتفها وكأن ثمة من سيسرقها مني ، لو فقط تنتهي كل
هذه المشكلة وأعيدك لأهلك يا سما ليرتاح بالي وضميري
ركبنا السيارة وخرجنا من المستشفى وبعد مسافة قليلة
نظرت لها ثم للطريق وقلت " هل حدثك والدتي عن رهام"
قالت بعد صمت ورأسها للأسفل " سألتها عن مرضها
فحككت لي أنه كان لديك خطيبة اسمها رهام كنت
ستزوجها لتسافر وتدرس وهي تبقى معها لتتمكن

من إجراء العملية لها"

قلت بهدوء " فقط"

نظرت لي وقالت " هل تصدقني إن أخبرتك"

أوقفت السيارة حينها عند المنزل ونظرت لها وقلت

"بل أثق في صدقك أكثر من نفسي"

نظرت لي مطولا بصمت ثم أخفضت نظرها

وقالت " دعاء أخبرتني عنها أيضا"

بقيت أنظر لها بصمت وصدمة لوقت ثم قلت

"وما شأن دعاء وبما أخبرتك" !!

نظرت لي وقالت " هل تذكر ذاك اليوم حين ذهبت

وخالتي للمستشفى وطلبت منك ألا تتركوني وحدي"

هزرت رأسي بنعم وقلت " أجل اذكره"

أخفضت نظرها مجددا وقالت " جاءت دعاء هنا ودخلت

وبدأت تقول لي أشياء لم أفهمها بادئ الأمر وتحدثت عن

خطيبة لك كنت تحبها وأنها عادت وأنت لم تنساها لذلك لم

تتزوج وقالت أنه عليا أن لا أفكر في أن استحوذ على قلبك

وأنها تنصحني لأنها تريد مصلحتي فقط"

بقيت أنظر لها مصدوما لوقت فرفعت نظرها لي

وقالت " تصدقني أليس كذلك"

تهدت بضيق وقلت " بالتأكيد أصدقك وما الذي قلته أنتي لها'

قالت " قلت لها أنها أمور تخصك وحدك وليس علينا

الحديث عنها ولا التدخل فيها فسألنتي إن كنت طالبة لديك

وتم طردي من المدرسة وحين سألتها كيف علمت قالت

أنك أنت من أخبرها"

قلت بهمس مصدوم " كاذبة"

قالت من فورها " اعلم أنها كانت تكذب"

قلت بحيرة " ومن أخبرها إذا"

رفعت كتفيها وقالت " لا أعلم"

فتحت الباب وقلت " سأنزل أنا أولا ولا تنزلي

حتى أفتح الباب حسنا"

ثم نزلت من فوري وفتحت باب المنزل وانتظرتها حتى

دخلت قبلي وتوجهت من فورها لغرفة والدتي بالطبع فتبعتها

ودخلت خلفها فكانت تجلس بجوارها على السرير فوقفت عند

الباب وقلت " سأنام قليلا ولا تحاولي إعداد الطعام يا سما

ولا تحركي يدك كما قال الطبيب وحين استيقظ سأخرج

لجلب الطعام وسأطهو أنا الأيام القادمة"

قالت والدتي ضاحكة " سنعود للبطاطا المقلية واللحم المشوي"

قلت مبتسما " لقد قررت أن أتعلم من سما طريقتها كي

لا تتعيني فيما بعد ، عن إذنكما الآن"

وصعدت بعدها لغرفتي ودخلتها وضربت الباب خلفي بقوة

يستحيل أن تكذب سما ولا أريد أن تدخلني الشكوك في ذلك

ولن تكون مثلهما بالتأكيد ، لقد جُنت دعاء كيف تختلي بالفتاة

وتقول لها كل هذا الكلام ومن الذي زرع في دماغها فكرة

أني قد أحب سما بل من أين علمت أن سما كانت إحدى

طالباتي وتم طردها ، إن واجهتها فستنكر بالتأكيد ولا دليل

لدي ولا لدى سما على ذلك خصوصا أننا كلانا أنا وأمي كنا

خارج المنزل حينها ، لا أستغرب الآن أن تكون فتشت غرفة

سما بل وحتى غرفتي ، استحمتت وغيرت ثيابي ونمت من

فوري لأنني استيقظت مبكرا ولم أستيقظ إلا على صوت جرس

المنزل يقرع باستمرار فغادرت السرير والغرفة ووقفت

عند بداية السلالم وقلت لسما المتجهة نحوه

"لا تفتحيه يا سما سأنزل أنا له"

عادت من فورها لغرفة والدتي وعدت أنا لغرفتي غسلت

وجهي ثم نزلت وفتحت الباب فكان حسام فصافحته

مبتسما وقلت " كيف حالك وما جاء بك الآن هيا أدخل"

دخل وقال ضاحكا " ثلاث أسئلة دفعة واحدة!"

يفترض بهم تعيينك كمذيع في التلفاز"

أغلقت الباب ودخلت خلفه وقلت ضاحكا

" هذا لأنني استغربت قدومك فقط"

وقف عند غرفة والدتي وحمحم وقال " هل أدخل يا خالتي"

جاء صوت والدتي قائلة " تفضل بني"

دخل وأنا اتبعه قائلا " وما تراني أمامك عمود كهرباء

كنت تركتني آخذ لك الإذن"

صافح والدتي وسما الجالسة على السرير ثم التفت

لي قائلا " أولا أعمدة الكهرباء في الشارع فقط"

ثم ضحكوا ثلاثتهم وتابع قائلا " ثانيا أنت أيضا يلزمك

أخذ الإذن لوجود فتاة غريبة عنك"

قلت ببرود " سما قريبتني وليست غريبة عني مثلك"

ثم قلت مغادرا الغرفة " سأصلي العصر وأعود لك"

صعدت لغرفتي توضأت واصلت ثم نزلت لهم على صوت

ضحكات حسام وكأنه بلع جهاز ضحك ، وقفت عند الباب

وقلت " سأخرج لأحضر الطعام هيا لترافقتي"

تجاهلني وقال " لا أريد الخروج سأنتظرك هنا معهما"

نظرت لهما وقلت " هل تريدان شيئا معنا"

قالت سما من فورها " بيتزا"

ابتسمت وقلت " لم يتغير ذوقك أبدا وأنتي يا أمي"

قالت مبتسمة " أي شيء بني لا فرق عندي"

هممت بالمغادرة فقال حسام " هيه أنت لم تسألني"

قلت مغادرا " أعرف ذوقك في الطعام جيدا برغر حارة"

ثم خرجت وجلبت الطعام سريعا وعدت للمنزل ودخلت

وحسام لازال يقرقر كالمذيع فوقفت عند الباب وقلت

"لا أعلم كيف لا ينتهي الأكسجين من رئتيك"

ضحكا سما ووالدتي فنظر لي وقال بضيق

"نعم شوهتم العروس وتشوه سمعتي أيضا"

تجاهلت ما يلح له فوقفت سما واقتربت مني لتأخذ

الأكياس فقلت مغادرا " أنا سأجهزها ، عليك أن لا

تحركي يدك كما اتفقنا"

تبعيني قائلة " سأساعدك إذا"

دخلت المطبخ ووضعت الأكياس على الطاولة وبدأت

سما بإخراج الأطباق بيد واحدة ومن ثم الكؤوس فقلت وأنا

منشغل بالأكياس " أحضرت البيتزا بلحم الدجاج كما تحبونها"

وصلني صوتها قائلة " خشيت بالفعل أن تنسى ذلك"

دخل حينها حسام قائلا بابتسامة واسعة " من اليوم أنا

أيضا أحب البيتزا وبلحم الدجاج أيضا"

خرجت حينها سما تحمل الصينية التي بها الكؤوس

والعصير بيد واحدة مسندة لها بذراعها الأيسر فنظرت

له وقلت ببرود " الفتاة تخجل كثيرا وأنت لا حسيب

على لسانك ففرق بين المزاح والجد"

وضع يده على كتفي وقال بابتسامة

" ما بك يا رجل لا تتزوجها ولا تتركها لغيرك"

هزرت رأسي بياس وقلت " عندما تصبح عند أهل والدها

أخطبها منهم وتفاهم معهم أما الآن فاترك الفتاة وشأنها

ولا تحاول أن تتلاعب بمشاعرها لأجل ذلك"

حمل صينية منهم وقال مغادرا المطبخ " أنا لا أتلاعب

بمشاعرها فغير أنت نظريتك القديمة عن المراهقات"

حملت باقي الأطباق وخرجت بها من المطبخ فكانا قد أدخلنا

الطاوله للداخل وتناولنا الطعام وأصرت سما أن تغسل هي

الأواني بيد واحدة ولم ترضى حتى أن أساعدها فجلست ووالدتي

وحسام نتحدث حتى وقف فجأة وغادر الغرفة ، ظننته سيدخل

الحمام لكني لم أسمع بابه يغلق ، لقد توجه للمطبخ إذا فهي

فرصته ليكونا وحدهما ، نظرت جانبا وتنفست بضيق من

تصرفاته وخصوصا هذه ، ليس اهتماما بسما ولكن لا أريد

أن يتلاعب بها حقا وهي بهذا السن لا تعرف حتى كيف

توجه مشاعرها ويسهل خداعها ، أيقضني من أفكاري

صوت أمي قائلة " يبدوا حسام مهتما حقا بسما"

قلت بابتسامة سخرية " بل تبدوا الزيارة كلها من أجلها"

قالت بهدوء " وما يضايقك في الأمر ، سما فتاة عاقلة

أكثر من سنها وأنا أفهمتها كل شيء"

نظرت لها باستغراب ثم قلت " كل شيء عن ماذا"

قالت ونظرها على الباب المقابل لها " كل شيء لا تعرفه كي

لا تعرفه من المدرسة أو من رجل دنيء أصل يتلاعب بها"

نظرت للأرض وقلت " لا احد يريد أن يقتنع بتفكيري

ولا اعلم لما العيب بي أنا"

قالت ببرود " لأنه تفكير خاطئ وإن كان أنت لا يعينك كل

مميزاتها كزوجة فأنا سأتحسر حين ستضيع منك لغيرك"

تهتدت بضيق ولذت بالصمت فأنا اعلم أن هذا الحديث

لا جدوى منه ، هذا ووالدتي تعلم أنني أعرف عائلتها

وثرانهم الفاحش وأنها صغيرة وهي كانت في سنها أو

يزيد بعام حين تزوجت وتعلم معنى الزواج المبكر لا وزواج

مصلحة لتبقى تخدمنا طوال العمر ، ثم أهلها لن يرضوا

بهذا فهل سنعيش نحن بأموالها ، هذا إن قبلوا بنا ولم يرموا

لي أبنائي منها في الشارع لأعود للصفير أسوء مما كنت

وأبحث عن زوجة وأم لهم ، أعادني صوتها مجددا

من أفكاري وهي تقول بهدوء

"جربت الراشديات العاقلات فما كانت النتيجة"

وقفت وقلت " أمي لننهي الحديث في هذا الأمر رجاء"

أبعدت نظرها عني وقالت ببرود " لو كان لي ابن غيرك لما

تركتها تضيع مني وأتمنى أن لا تندم يوما يا نزار فالفتاة

أمامك الآن ولا أحد تحبه لكن إن خرجت من يدك لا تعلم

حينها شعورك كيف سيكون فكم من مشاعر دفيئة

خرجت وقت فقدنا لمن كان أمام عينينا"

قلت بضيق " ما هذا الذي تقولينه يا أمي"

قالت ببرود أكبر " لا شيء اعتبر نفسك لم تسمعني"

خرجت حينها من عندها متضايقا ، ما هذا الذي تهدي به

أنا أحبها وأكتشف فيما ذلك بعد ! لا أعلم كيف لا ترى

العشرين عاما التي بيني وبينها ، وقفت عند باب المطبخ

وقلت " حسام لنخرج قليلا"

وقف من كرسي الطاولة وقال " الله أكبر على الحسد

لم تتركني معها دقيقتين"

قالت سما مغادرة من أمامي " عذرا منكما"

غادر أمامي قائلا " هل ارتحت يبدو أنك أخفتها مني"

غادرت خلفه صامتا لا أريد التحدث أو بمعنى أصح التشاجر معه

*

*

بعدهما غادر حسام ونزار عدت لخالتي وساعدتها لتدخل

الحمام وتتوضأ لتصلي المغرب ثم صعدت لغرفتي وجهزت

أغراضي المدرسية للغد بصعوبة فكم من نعم لدينا أنعم بها

الله علينا ولا نحصيها فكم هوا صعب فعل أي شيء بيد واحدة

جلست بعدها في غرفتي ودرست قليلا ولم يرجع نزار إلا متأخرا

وخالتي قالت أنها لا تريد أن تتعشى لأننا تناولنا الغذاء متأخرا

وبعدما أنهيت كل دروسي نزلت لها ووقفت عند الباب وقلت

"خشيت أن تكوني نائمة"

قالت مبتسمة " لن أنام قبل أن نقرأ في روايتنا لا تخافي"

دخلت مبتسمة وأخذتها منها وجلست وفتحتها بصعوبة طبعاً

حمدا لله أنها ليست يدي اليمنى هي المصابة لأنني كنت

أمسك السكين بها لكنك الآن في مشكلة أكبر، فتحت حيث

توقفنا وقرأت ((ركبت السيارة في صمت بعدما اعتذر عما

قاله ولم أستغرب كيف بذر منه هذا التصرف فموكد والدته

هددته أنها ستخبر عمي رياض ، عدنا في صمت تام وأنا انظر

للنافذة طوال الطريق ، وقفنا عند الإشارة وكانت السيارة

المجاورة لنا ناحيتي فيها فتاة حيتني بيدها فركزت عليها

قليلا لأن لا إنارة سوى من أعمدة النور فكانت جوجو

فابتسمت لها ابتسامة باهتة ثم انطلقنا وقال فراس

" هل تعرفينها ؟؟ "

قلت ببرود " لا "

قال " ولما حيتك إذا "

قلت ببرودي ذاته " تبدووا شبهت علي "

قال بلهجة غريبة " آه ظننت فقط "

فنظرت له في المرآة الأمامية فكان ينظر لي فعدت بنظري

للنافذة ، يبدووا يعلم عن علاقة أشرف بها وفهم الآن أني تعرفت

عليها من خلاله أو هي تعرفت علي ، قالت والدته بعد

قليل " متى قال لك عمك مصطفى سيأتي وابنته "

قال بهدوء " خلال هذه الأيام "

قالت مباشرة " وخالك وجدك أيضا قال سيزورنا قريبا "

قال بذات هدوءه " جيد فنحن لم نره من مدة "

جميل لما هذا الهدوء يختفي معي ، لأول مرة أسمع له

نبرة غير الغضب والحدة والغيط والسخرية أيضا

قالت عمتي " ولما لا تزورونه إن كان يعينكم أمره"

قال ببعض الضيق " أمي تعلمين أني أكثر من يزوره

ويسأل عليه وعلى جدي فلما اللوم الآن"

قالت ببرود " أعلم أنك وحدك تفعلها لكن علينا أن نشعر

بكبار السن لأنهم يصبحوا حساسين جدا"

خرجت حينها من صمتي قائلة بحماس

"متى ستذهبين له يا عمتي ؟ أريد أن أذهب معك"

أنا أحب كبار السن كثيرا كم هم رائعين في كل شيء

حديثهم وحركاتهم وحتى طريقة أكلهم ونومهم

قال فراس " سأزوره ووالدتي قريبا"

انطفاً حماسي وقلت ببرود " غيرت رأيي"

قال بلامبالاة " كما تريد"

وصلنا حينها للمنزل ونزلت خالتي وأنا بقيت أتأكد من

أنه لم يبقى شيء تحت كرسي السيارة من عدة ماكياج

ثم هممت بالنزول حين استوقفني صوته قائلاً

"انتظري قليلا"

خرجت من الباب قائلة " يكفيك استجواب لي"

نزل هوا أيضا وقال مستندا بذراعه على بابه

"ومن قال أني سأستجوبك"

ضربت باب سيارته بقوة وقلت بصوت حازم مرتفع قليلا

وأنا مغادرة من أمامه " قسما برب الكعبة يا فراس إن سحبتني

من ذراعي واستجوبتني ثانيًا سأخبر والدك وعلى الفور"

ودخلت باب المنزل عند آخر كلمة قلتها ثم صعدت لغرفتي على

الفور ، استحمت وغيّرت ثيابي وألبست بيجامة النوم ونمت

فورا ولم استيقظ إلا وقت صلاة الفجر ، صليت وجلست

أتابع التلفاز فأنا معتادة على نظام النزل الداخلي ... الإفطار

عند وقت الفجر والمكتبة تفتح ذاك الوقت فقط والإضاءة تفتح في

جميع الغرف وكأنهم يجبروننا على الاستيقاظ ، وجدت فيلما

فكاهيا فجلست لساعتين أشاهده واضحك ثم نزلت للمطبخ

بملايس النوم فالجميع نائم بالتأكيد ، دخلت وفتحت الثلاجة

أخرجت العصير والشطائر ثم حمصت الخبز وأخرجت الزبد

والمربي وأعددت الشاي وجلست أتناول الطعام حتى دخل وائل

ونظر لي باستغراب ، كان بملابس أنيقة كعادته ورائحة عطره

تدخل قبله وتخرج بعده ويبدوا سيذهب للجامعة لما كان

استيقظ الآن ، تعمدت أن لا انظر ناحيته فوقف ونظر

بكل اتجاه وقال " أين الخادمة؟؟ "

قلت ببرود " لم أجد أحدا هنا "

تأفف وتمتم قائلا " أهي تفسد أطباع الخادمت دائما بتدليلها لهن "

أشرت للطعام أمامي وقلت " أجلس وتناول فطورك معي "

قال وهو يتوجه ناحية الباب الخارجي للمطبخ

" أنا لا أكل إلا البيض المقلي بالطماطم في الفطور "

ثم فتح الباب ونظر جهة غرفة الخادمة هنا ثم دخل وأغلق

الباب بقوة فوقفت وقلت " سأعده لك سريعا هيا أجلس "

قال ويديه وسط جسده

" لن يكون على طريقتها وأنا اعتدت عليها "

سحبته من ذراعه جهة الطاولة قائلة

" أجلس أنت فقط وسترى إن لم يكن أفضل من طريقتها "

حضرته له بطريقة الأومليت فأنا أحب إعداده وجعلته بالطماطم

كما يحب وبدون جبن ثم وضعته أمامه فنظر له مطولا ثم قال

"ما هذا؟؟"

قلت بابتسامة " أوملت لكن بطريقة مختلفة كما تريده"

وقف وقال " هل تتعلمين الطهي في يا حمقاء"

قلت بعبوس " هل هذا جزائي ، تذوقه على الأقل"

عاد للجلوس قائلا ببرود " أمري لله فلا خيار أمامي

غيره ولا أحب الخروج دون إفطار"

عدت للجلوس مكاني لأنهي إفطاري وأنا أراقبه كل حين

فأكله كله ثم وقف وقال " ليس سيئا كثيرا"

ثم غادر من فوره ، وقح أكله كله ويقول ليس سيئا كثيرا أي

أنه سيئ بعض الشيء حتى أنه لم يشكرني ، أنهيت إفطاري

على دخول الخادمة التي شهقت وقالت بصدمة " فوضه من السبب"

ثم أشارت لي قائلة " أنت السبب فتاة وسخ"

وقفت وقلت بضيق " وأين أنتي تنامين طوال الوقت يا نظيفة"

نظرت للفوضى وحركت رأسها بقلة حيلة ثم تحركت جهة

المغسلة قائلة " أنا يشتكى لسيد وسيدة منك"

وضعت يداي وسط جسدي وقلت بابتسامة جانبية

"وأنا يوسخ لك المطبخ كل صباح"

دخل حينها فراس وجلس على الطاولة قائلاً

"ماري الفطور بسرعة يا كسولة"

نظرت له وقالت مشيرة بيدها لي

"هذا يسبب فوضى هنا وسخ ولا فطور اليوم"

وقف وقال مغادراً المطبخ "أمري لله"

وأنا أتبعه بنظري بذهول ، هل هي الخادمة هنا أم هم!!

وأين عصبيته تلك تختفي أمامها ، وما هي إلا لحظات

وسمعت أصوات لطيور أو ما شابه في الخارج فصرخت

الخادمة وقالت وهي تركض جهة الباب

"فراس مجنون سيرى من سيد وسيدة سعاد"

وخرجت راكضة وأنا اضحك عليها ، عرف كيف يعاقبها

ضحكت كثيراً ثم قلت " يبدوا لديه بعض المنافع السيد كونان"

"منافع مثل ماذا يا سيدة رُدين"

نظرت للخلف مصدومة لأجد وائل متكأ على باب المطبخ وينظر لي))

أغلقت الرواية وقلت " تسبب لنفسها المشاكل دائماً"

ضحكت خالتي وقالت " بعض البشر هكذا لا يرتاحون إن

لم يكدوا على أنفسهم"

وقفت وقلت ونظري على يدي المجروحة

"أشعر أن الألم عاد لها"

قالت وهي تفتح كيس أدويتها

" هذا لأن مفعول الحقنة المسكنة انتهى"

ثم أخرجت شريطا وأعطتني منه حبتين قائلة

"تناوليهما لتنامي دون ألم وفي الصباح ستكونين أفضل

وإن عاد الألم لها فلا تذهبي للمدرسة"

هزرت رأسي بحسنا وأخذتهما منها وقبلت خدها وأطفأت

النور قائلة " تصبحين على خير"

ثم توجهت للمطبخ أخذت كوبا من الماء وبلعت الحبتين

وصعدت لغرفتي ونمت لأن الألم زال مجددا ، عند الصباح

استيقظت وجهزت نفسي ونزلت ، كان نزار من أعد الإفطار

فدخلت الغرفة وقلت " صباح الخير"

قالت خالتي مبتسمة " صباح النور تعالي نحن اليوم

أميرتان ولدينا من يخدمنا"

قال نزار بضيق " أنتي أميرة دائما"

جلست على الطاولة مبتسمة وقالت خالتي بضيق

"كنت خادمة لسنوات فمن جعل منك رجلا طويلا

عريضا غيري يا ناكر الجميل"

نظرت لخالتي وقلت

"هل كان زوجك طويلا وعريضا هكذا فأنتي قصيرة"

تنهدت وقالت " كان وسيما وطويلا وتعشقه كل فتيات الحي"

ضحك نزار ولم أستطع إمساك ضحكتي فقالت بضيق

"نعم تسخران مني ، من أين جئت أنت بوسامتك إن

لم يكن والدك كذلك"

ضحك نزار كثيرا ثم قال " ضننت أنك أنتي كنتي

الجميلة وورثته منك كما تقولين"

نظرت لي وقالت ببرود " انظري لغروره يقول ورثته

منك يرى نفسه جميلا حقا"

همست لها مبتسمة " ممن ورثه بصراحة"

غمزت لي وضحكنا كلينا فقال بضيق

"أضحكاني معكما"

وقفت وقلت " شيء لا يخص الرجال"

وقف وقال " علمت أنك لن تخرجي من هنا إلا نسخة عن والدتي"

ثم خرج ونحن نضحك عليه وصعدت بعدها لغرفتي أنزلت

حقيبتني وغادرنا وعندما وصلنا باب المدرسة نظر لي وقال

"سما كوني حذرة لقد تحدثت مع مدير المدرسة وجابر

وسيسمحون لك بجلب هاتفك رغم أنه ممنوع فلا تريه

لأحد وأحضريه معك منذ الغد"

هزرت رأسي بحسنا فقال " إن تعبت من يدك أخبري المدير

ليتصل بي وسأتي لأخذك للمنزل ولا تحركيها أبدا"

قلت بهمس " حسنا"

ثم نزلت ودخلت المدرسة ومر اليوم على خير وساعدتني

ريحان كثيرا كي لا أحرك يدي والغريب أن بتول لم تأتي اليوم

ولا تجيب حتى على اتصالاتي رغم أنني حاولت كثيرا أن

أتصل بها بعدما عدت للمنزل

دخلت القصر وأنا أفتح هاتفني فرن على الفور ففتحت

الخط ووضعته على أذني وقلت وأنا أصعد السلالم

"نعم يا مزعج"

قال بضيق " اسمعني جيدا يا جابر عليك أن تحدد لي

موعدا وقريبا جدا وأن تحترمه أيضا"

قلت ضاحكا وأنا أدخل الجناح

"موعد وقريب معقولة ، أن أحترمه فهذا حسب وقتي"

قال بضيق أكبر " وما فائدة الأولين إن لم تتوفر الأخيرة"

جلست على الأريكة في الردهة وقلت وأنا أرمي مفاتيحي

على الطاولة " أنت لا تعلم كم انشغلت هذين اليومين

ثم عليا أن أتحدث مع والدتي أيضا ومع زهور وأرى

ترتيباتهم للأمر ثم عليا أن أفهم مهية تحقيق شروطها

المجنونة وموعد عقد القران سيكون آخر أعمالتي"

قال ببرود " هذه أمور سهلة تنجزها في ساعة أو أقل"

قلت بضيق " ألم تجد لك غير عائلتنا ، خف علي

يا رجل وقد ظروفني"

انفتح حينها باب غرفة النوم وخرجت منه أرجوان بفستانها

القصير ومررت من أمامي لمطبخ الجناح وكأنها لا تراني

وصلني صوته قائلا " لو كان لي رغبة في غيركم ما رميت

نفسي تحت رحمتك ، أنتظر يا سيد مشغول"

ضحكت من فوري فقال بضيق " هل قلت ما يضحك"

قلت وعينا يتابعان أرجوان العائدة للغرفة

"من أين جئتني بهذه الصفة ظننتها بضاعة خاصة"

قال بتذمر " لست في مزاج لفك الغازك يا رجل ، وداعا

الآن لقد سددت لي نفسي أعان الله زوجتك عليك ولا

يكون في ظنك أنك ستتخلص مني بسهولة"

قلت ضاحكا " وداعا يا سيد مزعج"

وقفت بعدها واقتربت من الغرفة لأرى سبب كل هذا التجاهل

فلمن تتزين هكذا على غير عاداتها فلأول مرة تضع ماكياجا

هكذا وترتدي فستان سهرات ، ما أن اقتربت أكثر حتى

سمعت أصوات تهامس ، من معها هنا يا ترى ! أم أنها تحدث

صديقتها في الهاتف فهي من يوم علمت أن القصر به نظام

مراقبة وهي لا تحادثها إلا همسا وكأنها لا تعلم أنه لا وقت

لدي لأراقبها على مدار اليوم لأصيب وقت اتصالها بها
فتحت مقبض الباب ببطء فهذه المرأة تعرف كيف تحرك فيك
الفضول رغم أنني أستنزف كل قدراتي الفضولية في عملي
لكن من ليلة أشيائها المجنونة تلك علمت أنها تفوق المجرمين
ما أن انفتح الباب أكثر حتى فوجئت بها وأبنائي يقفون أمامها
وما أن رأوني وكان ساعة الفرج لألسنتهم جاءت فما أصعب
أن تسكت الأطفال ، صرخوا راكضين نحوي وتعلقوا بي وكل
واحد منهم يحمل هدية مغلقة في يده ، نظرت لأرجوان فكانت
تنظر لهم وهم متعلقين بساقي وتبتسم ابتسامة حنونة فلا يمكنني
تحديد مقدار ولو تخيلي لمدى حبها لهم ، نظرت بعدها لي
وأشارت بيدها على يدها الأخرى وكأنها تشير لساعة في يدها
فنظرت لساعتي على الفور ليلفت انتباهي التاريخ مع أصوات
الأولاد المتداخلة قائلين " كل عام وأنت بخير بابا"
عيد ميلادي اليوم لم أنتبه له بتاتا رغم أنني رأيت التاريخ أكثر
من مرة في أوراق عملي ! ابتعدوا عني ومدوا لي بهداياهم
فنزلت عندهم مستندا بقدمي على الأرض وأخذتهم منهم وقبلت
كل واحد منهم وشكرتهم ثم وقفت وقلت ونظري لأرجوان

"جهزي لي بذلة يا أرجوان وتكوني فعلت لي معروفا كبيرا"

أعلم أن وضعي سخييف جدا لكن ما باليد حيلة فموكد هم

ينتظرونني هنا منذ وقت لأنه لا يمكنها تخمين وقت وصولي

إلا بالمصادفة ، نظرت بيسان لها ثم لي رافعة رأسها للأعلى

وقالت بصدمة " والاحتفال في غرفتنا والكعكة أيضا"

نظرت لأرجوان فكانت تنظر لهم على هدونها دون أي

تعبير حتى في ملامحها فعدت بنظري عليهم وقلت

"مشغول حبيبتي في وقت آخر حسنا"

مدوا شفاههم بعبوس وقالت ترف بحزن " منذ الصباح ونحن

نجهز ذلك وتعبنا كثيرا لأن سيلا أوقعت الكعكة وأعدناها"

توجه أمجد نحو الباب ورمى بيده في الهواء قائلا بتذمر

"أخبرتكم منذ البداية أنه لن يبقى"

خرجت حينها أرجوان من صمتها قائلة بحدة

"أمجد"

التفت لها فكانت تنظر له باستياء فنظر ناحيتي وقال

بهدوء ونظره أرضا " آسف بابا"

قالت بعدها بجديّة " اسبقوني للغرفة"

خرجوا يتبعون بعضهم والاستياء واضحا عليهم ، لم تتركهم
يتكلموا أما هي فلن تفوتها بالتأكيد ، التفت للخزانة من فوري
وفتحتها ووضعت هداياهم فيها ثم قلت لنبتعد عن الموضوع
ولتفهم أني معترف بخطئي " ما كان عليك توبيخه فأنا المخطئ

على كل حال لكني حقا منشغل"

تعمدت أن لا أقول لها مشغول لأنها ستذكرني بها فيما بعد

سمعت حركتها في الغرفة ولم تعلق بادئ الأمر ثم قالت

"كان عليه احترامك في كل الأحوال"

ثم اقتربت من الخزانة الأخرى فتحتها وتابعت قائلة

"أمجد خصوصا ولأنه ذكر عليه احترامك أكثر حتى من شقيقتاه"

أخرجت لي ملابس داخلية ورمتها على السرير وأخرجت

منشفة مدتها لي وقالت ونظرها حتى الآن تبعده عن نظري

"لا تخرج من الحمام وشعرك مبلل يا جابر فكم من

أشخاص أصابتهم جلطة دماغية بسبب ذلك"

أخذت منها المنشفة في صمت وتوجهت نحو الحمام ، لازالت

تحتفظ بصمتها لكن لا يمكنها إخفاء الاستياء في ملامحها

استحمت سريعا وخرجت أجفف شعري بالمنشفة فكانت
تجلس أمام مرآة التزيين وقد غيرت فستانها وتمسح ماكياجها
توجهت ناحية السرير وأخذت ملابسها من هناك فلاحظت
الهدية الموجودة عند الطاولة في طرفها من السرير وبيدوا
لم تعد ترغب في تقديمها لي ، لبست ملابسها الداخلية ومؤكدا
سأعتمد على نفسي في لبس بذلتي هذه المرة فقد كانت تخلصني
من ربط ربطة العنق لأنني لا أحب فعل ذلك إلا مجبرا ، لكن
المفاجأة أنها وقفت وتوجهت نحو البذلة أخذتها وتوجهت نحوي
ومدت لي البنطلون فأخذته منها ولبسته سريعا ثم لبست القميص
ورفعت ياقته قائلا " أربطي ربطة العنق يا أرجوان فأنتي
لا تعلمي أي عمل سيء بالنسبة لي خلصتني منه"
امتثلت من فورها وربطتها ثم ألبستني السترة أيضا عكس
القميص الذي لبسته وحدي هذه المرة ثم قالت وهي تمد
لي الحزام ونظرها لازال أرضا " مرُ بالأبناء في الغرفة ولو
واقفا سيكون أمرا مهما بالنسبة لهم مهما كان قليلا"
أخذته منها ولبسته ثم حضنت وجهها بيدي وقبلت خدها

وقلت بهمس " آسف يا أرجوان وأعدك أن أعوض

هذا في وقت آخر"

هزت رأسها بحسنا ثم قالت وهي توليني ظهرها

"كن بخير فقط هذا ما يهمني ويهمهم"

تنهدت وقلت " لو كان أمرا يمكن تأجيله لأجلته"

التفتت لي وابتسمت هذه المرة رغم أنها ابتسامة صغيرة

ونظرت لعيناي لأول مرة وقالت بهدوء " الخطأ مني ، كان عليا

أن أسألك إن كان لديك وقت اليوم لكنني أردت حقا أن نفاجنك"

تضع اللوم على نفسها أيضا رغم أنني المذنب الوحيد

أذكر في السابق كانت حسناء تجهز حفلا خاصا لنا في مثل

هذا اليوم وقت مجيئي ليلا لكنه ينتهي بشجار طبعاً لأنها

لا تفتأ تذكرني بواجباتي وإهمالي على حد قولها

رفعت المنشفة من الأرض ورميتها على السرير

قائلا " ألن ترافقيني لهم"

هزت رأسها بلا دون كلام فقلت ببرود " أرجوان إن كنتي

غاضبة مني فلا تسجني ذلك في نفسك كي لا تصيبك أنتي أيضا

جلطة دماغية ولا تؤجلي عتابك لي لأنني الآن بحال أفضل"

نظرت لي مطولا بصمت ثم قالت " بل لا أريد أن يشعروا أنني

أنا من أجبرك على فعل ذلك لأنهم كانوا مستاءين ، أريد أن

يشعروا أنك حقا مهتم لما فعلوه اليوم لأنهم شاركوني في

صنع وإعداد كل شيء ومنذ الصباح الباكر"

دائما ما تخون توقعاتي بإجاباتها وتهدا وقت أتوقع

غضبها ، خرجت من الغرفة دون أي كلمة إضافية ولا

أعلم لما اهرب دائما من التحدث معها أكثر

توجهت لغرفة الفتاتين ونظرت من خلف الباب فكانوا

يجلسون على طاولة طويلة ومؤكداً أحضروها من غرفة

التدريس بالأسفل ، الغرفة كانت مليئة بالباليونات والزينة

كانوا يحضنون وجوههم بأيديهم ومستاءين جدا على ما

يبدوا ، مدت ترف يدها فضربتها ببيسان قائلة

"لا تأكلي شيئا حتى تأتي ماما"

قالت ترف بضيق " ومن قال أنها ستأتي فقد تخرج

هي وبابا للغداء ونحن هنا ننتظر"

وما سر الغداء أيضا هل كانت تخطط لغداء في الخارج أم ماذا!!

دخلت لهم وما أن رأوني حتى ارتسمت الدهشة على وجوههم

ثم ابتسموا ابتسامة واسعة فنظرت للطاولة المليئة وقلت

"ما كل هذا ؟ هل كل هذه الأشياء من أجلي"

نزلت ترف من الكرسي ولأول مرة وحدها وكانت النتيجة أنها

وقعت أرضا ولكنها سرعان ما قفزت واقفة وتوجهت نحوي

مسرعة فحملتها بين يداي وقبلتها واقتربت منهم فحضنتني

ترف بقوة وقالت ورأسها يتكأ على كتف

"ضننا أنك لن تأتي لترى الغرفة والطعام"

قالت بيسان " أين ماما أليست من أحضرك هنا"

إذا كما توقعت أرجوان كانوا سيضنون أنها من سيطلب

مني هذا ، قلت وأنا آخذ الشوكة من على الطاولة

"لا هي لا تعلم أنني جئت هنا"

قالت بيسان وهي تشير بإصبعها

"تذوق الكعكة بابا لقد أعدناها معا"

تذوقت منها لقمتين وقلت " رائعة هي لذيذة جدا"

قالت ترف وهي تضرب بيدها على ظهري

"تلك بابا تلك ، أنا من خلفها بالشكلاته ووضعت عليها الحلوى"

أخذت منها قطعة وأثبتت عليها ولم يتركوني حتى تذوقت من
كل شيء وهم يحكون لي ما ساعدوا به في إعداده وأنا أحسب
الوقت بعيناي وعقلي وهو يضيع لكن الأمر كان يستحق

وقد أسعدهم كثيرا بالفعل وإن كانت دقائق معدودة

أنزلت بعدها ترف للأرض وقلت " عليا المغادرة الآن"

ثم خرجت من فوري وغادرت القصر مجيبا على

هاتفي الذي يرن منذ وقت وقلت

"نعم قادم في الطريق وأعلم أنني تأخرت"

قال بضيق " هل لاحظت انك منذ تزوجت لم تعد تحترم وقت العمل"

قلت ضاحكا " ألزم حدودك يا وقح وجهز رجالك سنغادر

فورا فيبدووا هذه المرة المشوار يستحق"

قال ضاحكا " أتمنى في الأيام القادمة أن نجد وقتا لنراك فيه"

قلت مختصرا " وداعا قبل أن أهينك"

وأغلقت منه الخط لأن عمي منصور كان متوجها نحوي

دسست هاتفي في جيبتي وصافحته قائلا

"مرحبا بالعم أين لا نراك أبدا"

قال ببرود " ذكر نفسك بهذا يا قاطع الأرحام ، بالله عليك

كم ساعة هي التي تجلس فيها مع زوجتك وأبنائك"

قلت بابتسامة جانبية " وقت تناول الطعام"

هز رأسه وقال مبتسما " أعانهم الله على غيابك في رمضان"

انفجرت ضاحكا فقال " أين معتصم"

قلت باستغراب " ليس هنا ولما لا تتصل به" !!

قال " لا يجيب وبتول جاءت هنا لتتحدث معه منذ قرابة

اليومين وبعدها سجنتم نفسها في غرفتها ولم تخرج منها

حتى الآن رغم كل محاولاتنا فأريد أن أفهم منه ما حدث"

بقيت أنظر له بحيرة فقال " أخبرتها أن معتصم رفض فكرة

أن تغير دراستها وتذهب مع خالها فجن جنونها وفتحت لي

جميع الدفاتر ... لما يراني دون حجاب لما يدخل غرفتي

ولما تسكتون عنه وكيف يتحكم بي وبأي صفة فطلبت منها

أن تسأله بنفسها فغادرت المنزل متوجهة لقصركم هنا وهو

كان موجودا ليختفي هو بعدها وتسجن هيا نفسها فعلينا

إيجاده لنحل هذه المشكلة"

قلت بهدوء " هل أخبرها أنها زوجته؟"

رفع كتفيه وقال " الحقيقة لا يعلمها غيرهما ، قد يكون

شد عليها في الكلام فقط أو حتى ضربها"

ثم قال بضيق " وسأقطع يده إن كان فعلها فأنا لم

أزوجها له ليمد يده عليها"

فتحت باب السيارة قائلاً " كان تصرفه خاطئاً منذ البداية

فإن كان أخبرها الآن بزواجهم يكون رد فعل طبيعي

منها ويستحق هوا كل ما سيأتيه"

قال بضيق " نريد حلاً لها الآن هي لم تتناول شيئاً منذ ذاك

الوقت ولا تجيب علينا أخاف أن يكون أصابها مكروه"

قلت وأنا اركب السيارة " سأحدث معه وإن لم يجيب

سأرسل من يخرج من تحت الأرض قبل المغيب

فعليه أن يجد حلاً لأفكاره الجنونية"

ثم انطلقت خارجاً من القصر وسيارتان من الحراس تتبعني

وركبت سماعة الهاتف واتصلت به مراراً ولا يجيب فأرسلت

له (أجب حالاً أو تعرف جيداً كيف سأجلبك خلال ساعات)

بعدها بقليل اتصلت فأجاب قائلاً " لا تهددني وهذا ما ينقص

تلقي القبض علي كالمجرمين"

قلت بضيق " تتهم بتول بالتصرفات الصبيانية وأنت لا تقل

عنها جنونا ، هي على الأقل تحترم من هم أكبر منها"

قال ببرود " ماذا تريد"

قلت بغضب " كيف لا تجيب على عمك يا وقح يتصل بك

مرارا وتتجاهله ، نعم فهو يستحق ثقته بك وتزويجك ابنته

الوحيدة ودون حتى أخذ رأيها ، الفتاة تسجن نفسها في غرفتها

منذ أتت هناك في القصر ولا يعلمون حتى إن كانت حية

أم ميتة وأنت يعجبك دور المتجاهل كثيرا وهو باله

مشغول ويحاول أن يجد حلا لابنته"

قال باختصار " سأحدث معه"

قلت بحدة " بل تأتي لتتفاهم معها وأخبرها أنك تزوجتها أو

أنا من سيفعلها هذه المرة وإن كنت ضربتها فقسما يا معتصم

قسما بربي وربك أني أنا من سأخذ الحق منك وليس والدها"

قال بضيق " زوجتي ولا أحد يتدخل بيننا"

قلت بحدة " ذلك عندما تتصرف بعقل يا عاقل يا راشد

يا من وثقنا بك وهي لا تزال طفلة ولا تتقبلك حتى التقبل

تسمعي جيدا وتنفذ ما أقول تذهب لها فورا وتخرجها

وإن بكسر الباب عليها وتتحدث معها عن الأمر إن لم

تكن تعلمه أساسا وهو سبب سجنها لنفسها أو

سأتصل بالحرس في القصر ليفعلوها"

قال بغضب " نعم هذا ما كان ينقص يكسرون عليها باب

غرفتها ليروها بملابس المنزل وسيدعون الشهامة

لإخراجها لأنه مغمى عليها"

قلت ببرود " ما لدي قلته ، أمامك ثلاث ساعات وسأتصل

بعمي منصور إن لم تخرجها سأنفذ ما قلت ولك أن تختار"

ثم أغلقت عليه الخط وتأففت بغضب واتصلت بعمي

منصور فأجاب من فوره قائلا " هل أجب عليك"

قلت بهدوء ممزوج بالضيق " نعم وسيأتي في أي لحظة

أو سيكسر الحرس الباب عليها فتركها أكثر سيكون جنونا

والله وحده يعلم ما حدث بينهم وما فعلت بنفسها ، وما كان

عليك تركها حتى الآن سجينه الغرفة فيومان ليس بقليل"

تنهد وقال " كانت تلك فكرة رضا أيضا لكني عارضته

فلا أريد أن نرعبها وكأننا في فيلم بوليسي"

قلت بضيق " ذلك أفضل من أن نكتشف بعد فوات الأوان

أنها آذت نفسها ولن ينفعا الندم حينها ، وشيء آخر إن

لم يكن أخبرها بزواجهما أو لم يفعلها الآن فافعلوها

أنتم أو فعلتها أنا ما أن أرجع"

قال " لتفتح لنا الباب أولاً ثم لكل حادث حديث"

قلت بهدوء " هل تأمرني بشيء آخر"

قال على الفور " لا وشكرا لك يا جابر"

قلت مباشرة " وعلى ماذا الشكر الخطأ خطأ ابننا

فالتمس لنا أنت العذر"

قال ببرود " ابنتي وأعترف أنها أيضا مدللة ومجنونة"

قلت مختصرا " وداعا الآن واتصل بي إن لم يأتي وتفتح

هي الباب خلال ثلاث ساعات"

قال " حسنا"

ثم أنهيت الاتصال منه وكنت قد وصلت العاصمة لأنطلق

والفريق للجنوب من جديد فيبدووا ثمة خيط في القضايا

وجدناه وإن كان رفيعا جدا

*

*

أعدت الهاتف لجيبي أتأفف بضيق فضحك معاذ بجانبني

وقال " أزمنها وجننا نحلها فوجدناها أزمة فأحضرنا

المؤزم فزادها تأزما"

نظرت له وقلت بضيق " لم أعرف أن وليد عداك

بشعاراته الهابطة وكأنه ينقصك شعارات سخيفة"

ضحك مجدد ووضع يده على كتفي وقال

"أغضبوه وغضب علينا فجئنا نهدئ غضبه فزاد

غضبا ونسي المغضوب عليه أنه"....

لكمته على أنفه ليسكت ففركه متألما وقال

"تغار من أنفي المستقيم يا أحمق"

قلت ببرود مغادرا " من يسمعك يظن أن انفي أفطس"

ركبت بعدها سيارتي وغادرت المزرعة أسترجع ذكريات

ما حدث يومها حين أخبرتها ففتحت عيناها على اتساعهما

من الصدمة وقالت " كذب ... كاذب يا معتصم"

فقلت بحدة " بلى صدقي ذلك يا ابنة عمي ولن تعتب

قدماك خارج منزلكم إلا هنا لغرفتي"

فاختفت من أمامي في لمح البصر وكأنها سراب أشرقت

عليه الشمس فهي من الذكاء أن تربط الأمور ببعضها

لتفهم أن ما كنت أقوله حقيقي فقررت أن أجنبها رؤيتي حتى

تستوعب الأمر ، تسرعت وتهورت أعترف بذلك لكنها

أفقدتني أعصابي بجنونها ولسانها الطويل

وصلت منزلهم بسرعة لأني في ذات المنطقة ونزلت من

فوري وطرقت الباب ليفتح لي عمي منصور ، نظر لي بصمت

بادئ الأمر ثم قال مبتعدا لأدخل " ماذا حدث يا معتمص"

قلت وأنا أتخطاه داخلا " لقد علمت بزواجنا"

ثم التفت له وقلت " سأصعد لها"

هز رأسه بياس وقال " لن تخرج فنحن نحاول معها

منذ أكثر من يوم ولا فائدة"

قلت متجها جهة السلام " سأكسر الباب إن لم تفتحها"

لحق بي هوا ورضا الذي خرج من جهة المطبخ وقال

وهوا يصعد خلفنا " بالرفق يا معتمص لا تقسوا

عليها ولا بكلامك"

قلت وأنا أصدد آخر الدرجات

"لا تقلق يا رضا لن يحدث شيء مما في بالك"

وصلت باب غرفتها وطرقته وقلت " بتول افتحي الباب"

ولا مجيب فطرقته أكثر وقلت بصوت أعلى

"أفتحي أو كسرناه حالا فأنتي خارجة في كل الأحوال"

ولا فائدة طبعاً فالتفت لهما وقلت " أريد شيئاً نكسره به

وساعداني لنكسره بأقل أضرار"

نظر عمي منصور لرضا ثم لي وقال " ألا حل غيره"

قلت بضيق " وما الحل برأيك ، نرسل لها فأرا من تحت الباب"

ضحك رضا وقال عمي منصور " فكرة ناجحة فهي تخاف

حتى من الصرصور الصغير فكيف بفأر"

تنهدت وقلت " علينا كسره إلا إن كنت تخاف على الباب"

قال بضيق " بل أخاف عليها فهي ابنتي ووحيدتي

ولا أريد أن نخيفها"

قال رضا مبتسماً " من يسمعك لا يصدق أنه

لديك ثلاث أبناء غيرها"

قلت بضيق " ليس وقت نقاشات الآن علينا أن نكسر الباب حالا"

نزل عمي منصور لوقت ثم صعد وفي يده مثقاب جدران كهربائي

فضحك رضا وقال " أنت من سيخيفها بصوت هذا"

قال ببرود " هذا أرحم من أن نضربه بالفأس"

قال رضا مبتسما " كنتم أحضرتم أحد حرس جابر

الضخام وكان سيكسره بضربة واحدة من قدمه"

قلت بضيق " هل جنت أم ماذا ، لن يكسر واحد منهم باب

غرفتها ويفتحها عليها ولا على جثماني"

اقترب عمي وناولني إياه ثم أوصله بالكهرباء ووقف عند

الباب وقال " بتول سنكسر الباب بالمثقاب إن لم تخرجي الآن"

انتظرنا قليلا ثم أشار لي برأسه أن أبدأ العمل فشغلته وكسرت

به اللوح حول قفل الباب حتى ابتعد عنه قليلا ثم ضربناه بقدمينا

أنا ورضا ضربة واحدة فانفتح على اتساعه ونظرت للغرفة

نظرة شاملة فلم تكن فيها فنظرت لهما بتوجس وكل مخاوفي

أن لا تكون هنا من أساسه ، كنا ننظر لبعضنا كالبكم أعيننا

فقط التي تتحدث والقلق والخوف يملأها فدخلت الغرفة لأبحث

عنها في الحمام رغم أنه كان مفتوحا وهذا يعني أنها ليست
فيه وما أن دخلت أكثر حتى وجدتها جالسة في الجانب الآخر
من السرير تخفي رأسها في ساقها المحتضنة لهما فنظرت
لهما وأشرت لمكانها بأنها هنا ثم أشرت برأسي أن يتركنا
وحدنا فأشار لي عمي أن بالرفق عليها فأومأت له برأسي
بمعنى حسنا فغادرا مباشرة واقتربت منها وجلست بجوارها
وقلت بهدوء " هل يعجبك هكذا تفتني الجميع عليك"
لم تجب طبعاً فقلت بذات هدوئي " بتول ما الذي تريدينه
بهذا ، أن تموتي مثلاً ؟ هل تكرهيني لهذا الحد"
بدأ صوت بكائها يخرج واضحا فشددتها لحظني وقلت
"توقفي عن البكاء يا بتول ودعينا نتحدث بروية"
قالت بعبرة " أكرهك وكرههم جميعاً"
حضنتها أكثر أمسح على شعرها ثم قبلت رأسه وقلت
وأنا أثبت ذقتي عليه " اعلم أنك تكرهيني ولا تطيقيني
في أرض ، فقط توقفي عن كل هذا"
أمسكت قميصي بقبضتها بقوة ودفنت وجهها في صدري

تبكي بمرارة وتقول " لماذا فعلتم بي هذا لماذا"

وغابت كلماتها بين شهقاتها المتتالية ولم أزد أنا حرفا

وبقيت محتضنا لها لتهدأ أولا حتى خف بكائها قليلا

فقلت مبتسما " هيا فقد اختبرتِ محبة الجميع لك"

ابتعدت عني وقالت مشيحة بوجهها " ابتعد عني ولا تلمسني"

قلت بعد ضحكة " الآن بعدما نمت في حضني حتى شبعنا"

نظرت لي بضيق فقلت بقلق وأنا أنظر للامحها

"بتول انظري لوجهك في المرأة ، كم ساعة بكيتي يا غبية"

وقفت وقالت بحدة " أبكي ما أبكيه لا شأن لك بي أم تريدي أن

افرح بذلك وأرقص ، كيف طاواعتكم قلوبكم تلعبون بي وتزوجوني

دون علمي ولا موافقتي ، لن أنساها لكم يا معتصم ما حبيت"

تنهدت بضيق ورفعت إحدى ساقي منصوبة أمامي

ووضعت ذراي عليها وقلت

"لا أريد أن أجرحك يا بتول فلا تفقديني أعصابي"

ابتعدت عني وأولتني ظهرها وكتفت يداها لصدرها ولم

تتحدث فقلت بهدوء " تعالي اجلسي دعينا نتحدث قليلا"

لم تتكلم ولم تلتفت إلي فوقفنا واقتربت منها وأحطت

خصرها بذراعي وقبلت خدها ثم قلت مغادرا

"سأعود في وقت آخر فاهدني الآن"

ثم خرجت من عندها ووجدت رضا ووالدها عند السلالم

فاجتزتهما نازلا وقلت " أخذت نصيبي وبقي دوركما أنتما

ولا أنصحكم بالمحاولة الآن"

*

*

ما أن نزل معتصم حتى نظر لي رضا وقال

"أرى أن تتحدث معها الآن لابد وأنها أفرغت أغلب

غضبها به وستكون منهكة ولن تلومك كثيرا"

ضحكت وقلت " ستجد وقتا آخر فالأيام أمامنا طويلة"

ثم توجهت نحو غرفتها وهوا يتبعني قائلا " كنت أخبرته

أن يأخذها معه فورا لتهرب من مواجهتها"

دخلنا غرفتها فكانت تقف مولية ظهرها للباب وتفرك خدها

وتبكي وكأنها تمسح شيئا من عليه ، نظرنا لبعضنا ثم اقتربت

منها ووضعت يدي على كتفها وقلت بهدوء

"بتول بنيتي كيف تقلقيني عليك هكذا"

ابتعدت بخطوات للأمام ثم التفتت لي وقالت بحرقة

"أتوقعها من الجميع إلا منك يا أبي"

تنهدت وقلت " أنا وعدت عمك وعدا حرا هل

ترضي أن أخلف وعدي له"

قالت ببكاء مشيرة لنفسها " وأنا ورأيي ، لما لم تفكر بي"

ثم تابعت وهي تعد على أصابعها وتنظر لهم

" هل نسيت أنه لازال أمامي سنتين في الثانوية وجامعة"

ثم نظرت لي مجددا وقالت بعبرة " أي ظلم واضطهاد هذا

عمري ستة عشرة سنة فقط ولم أحقق أي حلم في حياتي

لأصبح زوجة فجنه ولمن لمعتصم وبالخفية عني

وتتركونني كالبلهاء المغفلة"

قال رضا بهدوء " هوا من أراذك وأصر عليك وقال

أنه لن يجرمك دراستك وهو من أصر أن لا تكشف

لك أمر زواجه بك سريعا"

ضربت كف يدها بظهر يديها الأخرى عدة مرات

وقالت بحرقة " تكذبون وتتحايلون في كل الأحوال"

ثم أشارت لنا وقالت " هل تعلمان كم مرة ناداني بالعلكة

بالفراولة بالمدللة الطائشة الطفلة فلما يريد أن يتزوجني

ويصر علي هل ليربيني على طريقته أم يختبر قدراته بي"

قلت بهدوء " بتول ما هذه الأفكار هوا أراذك زوجة له

حقا لما كان طلبك من نفسه"

صرخت بحرقه " طلقوني منه ، أنتم فعلتموها وأنتم تنهونها"

قلت بصدمة " بتول ما هذا الكلام الذي تقولينه"

قالت ببكاء " لا أريده لا أريد ولم أعد أرغب في

الزواج من أساسه فاطلبها منه أنت أو طلبتها

بنفسي من جابر ليجبره على ذلك"

قلت بحدة " بتول لقد تغاضيت عن صراخك بي وخالك

دون احترام لنا مقدرا لصدمتك بالخبر لكن أن تضربي وعدي

عرض الحائط وتكسري كلمتي لن تكوني ابنتي ولا أعرفك"

ثم خرجت من عندها غاضبا ورضا يتبعني قائلا

"منصور هل جنت ليس هذا وقت ما قلته لها"

أشرت له بيدي وأنا أتابع سيرتي وقلت

" عد لها هي تحبك كثيرا فحاول تهدنتها"

ثم نزلت للأسفل لتقابلني أميرة عند أول السلالم وقالت

بقلق " ماذا حدث معكم هل فتحت الباب"

قلت متوجها لباب المنزل

"نعم وهي بخير ورضا معها فاتركيهما وحدهما"

*

*

نزلت للأسفل متوجهة للمطبخ وبيسان معي متجاهلة عمتي
وضيوفها ولم أنظر ناحيتهم حتى النظر ، أعلم أنها ستخبرهم
أني من أرفض الذهاب لهم ولكن لحسن الحظ أنه حين عدت
لأصعد السلالم من جديد كانت إحدى اللتان أهانتني أمامهما
موجودة معهن فموقف عمتي هذه اللحظة ضعيف ولن تصدقها
تلك وستحكي للباقيات الموقف بالتأكيد ، فلن أقابل ضيوفها
وأسلم عليهم حتى يتحدث جابر معها وتتوقف عن إهانتني
أمامهم لأنني متأكدة أنه لم يحدثها بعد فحتى أنا لم أراه هذه
الأيام إلا لدقائق معدودة ، لا أعلم ماذا ترك لرئيس البلاد
والوزراء فما أن يدخل الجناح حتى يتصلوا به ليستعجلوه
للذهاب لهم وكأنهم يخشون أن يهرب منهم أو أسرق من
وقته بل وكأنهم لا يعلمون أنه يعشقهم وعمله بجنون وأني

وأبنائه في آخر حساباته

عدت لغرفة الفتاتين بعدما أنهت الخادمتان تنظيفها ، على

الأقل شارك أبنائه ولو قليلا فهم لم يتوقفوا عن التحدث عن

أنه أكل مما صنعوه وأنه أعجبه وأثنى عليه وما لا يعلمونه

أنه كان سيغادر دون حتى أن يفكر في رؤية الغرفة ولو من

باب الفضول وليس جبرا لخواطرهم أو خاطري ولن أتحدث

عن نفسي لأنني الأكثر خذلانا منه بينهم ، دخلت وقلت

"بيسان نادي شقيقك بسرعة لنصلي المغرب حبيبتي"

انطلقت من فورها مسرعة وعادت وهوا معها توضحوا

وصلينا معا ثم التفت لهم وقلت " ترف أحضري المصحفا"

جلبته وعادت مكانها وبدأت اقرأ على مسامعهم بعض

الآيات وأشرحها لهم وأعلمهم عن بعض المحرمات بالأدلة

من كتاب الله وبعض الأحاديث ، عليا أن أتحدث مع والدهم

لنظمهم لحلقات تدريس القرآن وأنا أيضا بدلا من جلوسي

في المنزل لا زوج ولا عمل أقوم به ، قالت ترف

"ماما ما يعني يوصلوا شعورهم"

قلت بابتسامة " يعني شعرها قصير تلحقه بآخر

ليصبح طويلا ثم تزيله"

قال بيسان بصدمة " ويحرقها الله بالنار"

هزرت رأسي بنعم وقلت " بل يلعبها ويغضب عليها"

قالت ترف " هل شعرك أنتي موصول لذلك هوا طويل"

ضحكت وقلت " لا حبيبتي شعري طويل دون أن أوصله

أنا لا أريد أن يغضب الله مني"

قالت وهي تسحب إحدى جديلتيها للأسفل

"ولما أنا ليس طويل إذا ، المربية قالت لي سابقا إن

أمسكته بالمشابك سيصبح طويلا لقد كذبت علي"

قلت مبتسمة " عيب ترف هي لم تكذب عليك فحتى أنا

حين كنت في عمرك كان شعري قصيرا مثلك"

قالت بيسان " نعم حتى عمتي زهور كان شعرها

مثلي والآن هوا أطول"

نظرت لها بحيرة وقلت " ومن أخبرك أنتي بذلك"

قالت من فورها " أررتني صورة لها حين كانت مثلي"

شردت قليلا بفكري ثم نظرت لها وقلت " سبق وأخبرتني

أنها أعطتك ذاك الفستان الأبيض أليس كذلك"

هزت رأسها بنعم فقلت " هل هي نادتك أم أنتي ذهبت لها"

قالت " بل أنا ذهبت لأخبرها أنك ستأتي للعيش معنا"

قلت بحيرة " هل استقبلتك وأحببتك"

هزت رأسها بنعم وقالت " وعزفت لي ورقصت وتركتني"

أشاهد حوض الأسماك في غرفتها وسألتني إن كنت أحبها"

قلت مبتسمة " لما لا تزوروها إذا مادامت تحبكم"

نظروا لي باستغراب فقلت " لما لا تذهبون لها"

قالت ترف مبتسمة " حقا نذهب لها"

قلت بابتسامة " نعم لكن حين اسمح لكم فقط"

قالت بيسان " هي جميلة ماما وفستانها جميل كالذي أعطته لي"

قلت مبتسمة " نعم بنيتي لا تخبريني عن جمالها لأنه لا يوصفا"

قال أمجد " هل رأيتها" !!

وقفت وقلت " هيا وقت العشاء الآن"

وقفوا وقالت بيسان " بابا لن يأتي كالغداء ؟؟"

قلت وأنا أسبقهم " يبدو ذلك"

هوا لم يكلف نفسه حتى عناء إخباري إن كان سيتأخر أو يبات

خارجا لا أعلم حتى متى سأصبر على هذا الحال ، ما بك يا

أرجوان ألم تتزوجيه من أجل الأبناء فقط إذا ما شأنك به يتأخر

يبات هناك أو يفعل ما يحلوا له فيبدوا أعجبتك فكرة تغييره

وصلنا للأسفل وكانت جدتهم غير موجودة ويبدوا لن نتناول

العشاء فهي لا تأكل وجبتين إلا نادرا ، أنهينا عشاننا وصعدنا

صلينا العشاء ودخلنا غرفة قلعة بيسان درستها قليلا ولعبوا بها

حتى وقت النوم فأوصلتهم لغرفهم وذهبت لجناحي استحممت

وجففت شعري ولبست بيجامة حريرية فلا حاجة للقمصان

اليوم ثم دخلت السرير أمسكت بهاتفني لأرسل له رسالة ثم

غيرت رأبي ورميت الهاتف على الطاولة وأطفأت نور

السرير وأخذت وقتا طويلا لأدخل أعماق النوم رغم أن

اليوم كان متعبا منذ الصباح الباكر وليثه بنتيجة تستحق

*

*

قال بضيق " لا جدوى من بقائنا بعدما مات هوا أيضا"

غادرت من أمامه قائلا

"إن لم يكن لهم جواسيس في وسطنا لا أكون جابر"

ثم خرجت من عنده بل وغادرت الجنوب وعدنا صفر

اليدين بعدما قتلوا دليينا الثاني ، بث أشك أن من وراء هذه

الجرائم ذراع كبيرة في الدولة فسأترك الأطراف وأغامر

بالبحث في الرؤوس فيما أن تتوقف هذه الجرائم أو يقتلونني

ويريحوني من كل هذا التعب ، وصلت مدينتي عند الثالثة

فجرا ، دخلت القصر وصعدت لجناحي ودخلت الغرفة

شغلت النور وكانت نائمة ولم تخرج لي حتى بيجامة النوم

كعادتها ، يبدوا عتابا من نوع آخر ... لا رسالة فيها أنها

منشغلة علي ولا حتى سألت إن كنت سأبات خارجا أم لا

توجهت نحو هاتفها رفعتة وفتحت آخر مكالماتها وكما

توقعت رقم غريب ومميز ، خرجت من الغرفة واتصلت لأنني

أعلم انه يجيب طوال النهار وما أن فتح الخط حتى قال

"مرحبا معكم مطعم النرجسة البيضاء هل نخدمكم بشيء"

قلت " هل حجز لديكم هذا الرقم أي طاولة يوم أمس"

قال " قليلا فقط لأبحث"

قلت من فوري " تحت اسم جابر حلمي"

قال مباشرة " مرحبا سيدي نعم كان هناك حجز اليوم باسمك

على طاولة للغداء والعشاء لتحدد لنا أي الوجبتين ستختارون

لكن المتصلة اعتذرت عن الغداء قبل وقت الظهيرة ثم

عن العشاء عند العاشرة"

قلت بهدوء " أعطني حسابكم لأحول لكم ثمن الوجبتين"

قال " لا تقلق بشأن هذا سيدي"

قلت " كما تريد وداعا"

أغلقت منه الخط وعدت للغرفة وأعدت الهاتف حيث كان

مؤكد مستيقظة فهي ما أن يفتح النور في الغرفة تشعر به فورا

ولا تنام قبل أن ينطفئ ، نظرت حولي وفتشت الخزانة بحثا عن

ضالتي ولم أجدها فتوجهت للدرج بجانبها وفتحته فكانت هناك

أخرجتها وتوجهت بها للأريكة وفتحتها فكانت حافظة لمصحف

خاصة بالسيارات أنيقة ومذهبة و بها مصحف كحجم ذاك الذي

أعطته لي سابقا ، لما لم تقدمها لي كالأطفال وتركها بل

وخبأتها في الدرج !! وضعتها على الأريكة وتوجهت للخزانة

أخرجت بيجامتي ورميتها على السرير خلعت سترتي ورميتها

على جسدها ثم ربطة العنق والقميص والبنطلون وهي على

حالتها تدعي النوم ، أخذت المنشفة وقلت متوجها للحمام

" أعلم أنك مستيقظة "

استحمت سريعا وخرجت بالمنشفة لأجدها على حالها

الفرق الوحيد ملابسي التي رميتها عليها غير موجودة

والهدية أيضا اختفت ، ابتسمت ابتسامة جانبية ثم جلست

على طرف السرير حيث هي نائمة وقلت " أعلم أنك

غاضبة مني ، هيا لا داعي لهذه الحركات الصبيانية "

قالت وعيناها مغمضتان " لست غاضبة فأطفئ النور

أنا متعبة وأريد أن أنام "

قلت بمكر " وإن لم أطفأه "

عقدت حاجبيها وقالت بضيق " جابر من أين تجد كل

هذا النشاط لو كنت مكانك لنمت عند باب القصر "

ضحكت وشدت خصلة من شعرها الطويل فغطت رأسها

بالحاف تتأفف بضيق فسحبته منها بقوة ورمىته بعيدا

فجلست تجمع شعرها للوراء وتحركت حتى جهتي من السرير

ورمت عليا ببجامتي وقالت " يبدو أنك أحببت تلك الجهة "

اضطجعتُ في مكانها ومددت لها يدي فنظرت لها مطولا

ثم اقتربت مني وقالت ببرود

"فقط لأنني أخاف أن أحاسب إن رفضت"

قربتها لحظني وقلت " هكذا إذا"

قالت بهمس " نعم"

قلت وأنا أغرس أصابعي في شعرها " ولما تحديدا"

خبئت وجهها في صدري العاري وقالت بهمس

"من اجل لا شيء"

قلت وأنا ملي تسبح في شعرها الكثيف

" هل هناك من يغضب من أحد دون سبب"

قالت بذات الهمس " أجل أنا"

قلت بهدوء " لما لم تخبريني أنني مدعوا على العشاء معك"

لم تتحدثت وشعرت على صدري بشيء أعرفه جيدا فشددها

لحظني أكثر وملت برأسي لأذنها وهمست

"لما البكاء الآن يا أرجوان"

لم تتحدثت فتنهدت وقلت " كنت عاقلة طوال الصباح

وتصرفت بحكمة ما بك الآن وأنا من أخبرك منذ البداية

انه إن كان لديك عتاب لا تدخره لليل

أحاطت خصري بذراعها بقوة وقالت ببيكاء

"قلقت عليك"

ابتسمت وقلت " لهذا فقط يا مشاغبة وأنا من كان يفكر

كيف يعتذر ويخلص نفسه ، إذا كنت محقة حين قلتي

بأنك غاضبة من لا شيء"

قالت ببحة " بل منك"

ضحكت وقلت " اثبتني على واحدة"

لم نتحدث فقلت بهدوء " حسنا يا سيدة أرجوان أنا لم أخبرك

أين سأذهب ظهر اليوم لأنني لم أرد أن أفسد الأمور أكثر

يكفي الحفل الذي لم أحضره"

لم نتحدث أيضا فقلت " هيا اجلسي أود أن نتحدث قليلا"

ابتعدت عني ونامت على وسادتي وأغمضت عيناها

وقالت " لا تمن عليا بشيء هوا ملكي وحدي"

ابتسمت ومددت يدي وسحبته لحظني مجددا وقلت

" حسنا تمتعي بأملكك إذا"

أعدت ذراعها حول خصري وقالت

"ماذا كنت تريد أن تقول"

مسحت على شعرها وقلت " نتفق على بعض الأمور"

أبعدت وجهها من صدري ونظرت لي وقالت

"مثل ماذا"

دسست وجهها في حضني مجددا وقلت

"لا تتركي أملاكك يا مستهتره"

ثم تابعت " مثل أني هذه الفترة على قدم وساق كما تري"

نظرت لي مجددا وقالت " وأنا لم أشتكى كما طلبت"

مررت أبهامي على خدها وقلت بابتسامة

"اعلم وأريد أن يستمر هذا"

نظرت لعيناي مطولا بحيرة ثم قالت " وحتى متى"

قلت " حتى تنتهي هذه الأزمة في البلاد"

قالت باختصار " ثم"

قلت باستغراب " ثم ماذا"

قالت " بعد ذلك هل ترجع لتكون موجودا

عند وجبات الطعام فقط"

لذت بالصمت أحاول مجددا فهم خبايا دماغها لأنني

كلما قلت شيئا كان جوابها مغايرا لما اعتقدت

وعندما طال صمتي جلست وقالت " جابر سأتحديث ولا

تقاطعي حتى أنتهي ومهما قلت أو لن أتكلم وننسى كل هذا"

هزرت رأسي بحسنا لتتكلم فقالت " أبعدني أنا جانبا ولن نتحدث

في هذه النقطة بتاتا ، ألا تحب أطفالك مؤكدا الجواب نعم

ألا تشتاق لهم لرؤيتهم كما يشتاقون لك هم ويفتقدونك

أتعلم في الماضي في يوم عيد ميلادي كنت أتمنى أن

يحضروا لي هم هدايا من أنفسهم دون أن أعلم لشدة حبي

لهم وكنت أتخيل كيف ستكون سعادتني وتدمع عينايا كلما

تخيلت ذلك لهذا فكرت أن أفعل هذا لك بالأمس لأنني اعتقدت

بأنك ستشعر بكم السعادة الذي كنت أنا أتخيله لكنك حتى

ابتسامتك لهم وأنت تشكرهم كانت تدل على أن دماغك

مع شيء آخر وليس معهم"

سكتت فقلت " هل انتهى كلامك"

نظرت ليديها في حجرها وقالت " لنعتبره انتهى"

جلست أيضا وقلت " إذا هذه نقطة وقوف فقط"

نظرت لي بصمت فقلت مبتسما

"تبدین أخطر مما تصورت هل تقرئين الابتسامات أيضا"

قالت بضيق " نعم وابتسامتك هذه معناها أنك تسخر

مني أو أنك لم تعر ما قلت أي اهتمام"

قلت بهدوء " لو كان الأمر كذلك ما تركت النوم مع

كل تعبتي وجلست أتحدث معك"

قالت " إذا دعنا نستغل الوقت لتنام ولو لوقت

قليل قبل أن يتصلوا بك"

قلت " دعينا نؤجل نقطة تواجدي معهم قليلا كما

تؤجلين تلك النقطة دائما وبمزاجك"

لاذت بالصمت ولم تعلق فقلت " وغيرها دعينا نتناقش فيها"

قالت من فورها " أي شيء غير ذلك"

قلت " تقريبا"

رمتني بالوسادة وقالت بتذمر " أنت لا يمكن محاصرتك أبدا

أي حظ هذا الذي رماني على رئيس محققين"

ضحكت وقلت " لن يفهمك أحد مثله يا أرجوان

وعرف حظك أين يضعك"

لوت شفيتها بعدم افتناع فقلت " إهانة مقبولة منك فتابعي"

قالت وهي تعد على أصابعها " أريد مسبحا للأطفال مادام لا

يمكنهم الخروج كي لا يتعرضوا لأي خطر وأن نلحقهم بدورات

لتحفيظ القرآن ، أريد أن يخرجوا للحديقة ونشتري لهم دراجات

أريد أن يكون لهم مراجيح والعباب في الحديقة الواسعة بلا فائدة

أريدهم أن يشعروا أنهم أطفال أريد لهم غرفة العباب ولو ليدخلوها

لأوقات محددة بدلا من اللعب بدمى القلعة فقط"

بقيت أركز على ملامحها بصمت حتى انتهت وسكتت

فقلت " ألا يوجد شيء لك كله لهم"

نظرت للأسفل وقالت " إن سعدوا هم سعدت أنا"

قلت بهدوء " هل تعني أن السعادة ما ينقصك هنا أم أنك لا

تريدي غير سعادتهم ولا شيء لديك"

رفعت نظرها لي وقالت " منذ تزوجنا كان اتفاقنا أنه زواج

من أجل الأولاد فإن طالبت بشيء منك لي أكون أستحق

الجدد ويكفي أن مالك مفتوح لي لا تحاسبني عليه وأنا

أحترم كل بنود ذلك الاتفاق كما ترى"

نظرت لها مطولا بتركيز حتى ابتعدت بنظرها مجددا

ثم قلت " تعني أنك لم تغضبي اليوم مني لأنك تنفذين الاتفاق"

لأنت بالصمت فقلت " ولما اشتريت لي هدية إذا وتزينت

وحجزت من اجل العشاء لنا فالأطفال خارج كل هذا"

ابتعدت لتغادر السرير فأمسكتها وقلت

" حسنا لن نتحدث في هذه النقطة حتى تسمح لي بهذا"

ثم قلت بهدوء " أنتي تعلمي أن والدتي لن توافق كل ذلك

فاختاري شيئا واحدا منهم حاليا والباقي لنتركه للوقت"

قلت بهدوء " لكن امجد يحب الدراجات وترف تحب السباحة

وبيسان تحب المراجيح فمن بضمنك سيختاره قلبي على الآخر"

قلت " المسبح يأخذ وقتا وعمال يحتاجون من يراقبهم ولا

وقت لدي كما تري وكذلك الألعاب الثابتة في الحديقة"

قالت باستياء " إذا بقي الدراجات فقط"

قلت بجدية " أرجوان عليك أن تقدرني ظروفني أيضا فأنتي

لا تعلمي أنني أستمتع لسيل من الملاحظات من والدتي وأتجاهله

كله لاتفاق زواجنا فأن أقوم بما تريدين وأتجاهلها هي

أمر سيجرحها بالتأكيد وهي في النهاية والدتي"

أقربت مني قبلت خدي وقلت " إذا نسي كل ما قلناه ، وبالنسبة

لي ما كنت سأحدث عنه وأنت من فتح هذا الموضوع"

شددتها لحظني وقلت " نؤجله فقط"

قالت بعد ضحكة صغيرة " حاضر يا سيد تأجيل"

لم أستطع إمساك ضحكتي التي انطلقت مرتفعة ثم قلت

"لقد أصبنتي بحساسية من كلمة مشغول والآن

تريدي أن تضيفي هذه لها"

نظرت لي وقالت " وتيني أيضا"

أمسكت أنفها وقلت " إذا لدي ما لم أتحدث عنه بعد يا مشاغبة"

نظرت لي باهتمام فقلت " نحن متزوجان من فترة وأرى دورتك

منتظمة ولا مشاكل فيها فلما لم تحملي بعد"

لم تستمع حتى لكلماتي بل هزتها مجددا وعيناها معلقتان

في وجهها المبتسم وقالت بهمس موجع " خالتي"

أنزلت رأسي للأرض وقلت بحزن " لا فائدة يا وسن"

عم الصمت في الغرفة فرفعت رأسي ونظرت لها فكانت تنظر

لي بضياح لتتدحرج دموعها قائلة بصدمة " ماتت" !!

ابتلعت غصة مع رريقي وهزرت رأسي بنعم فقالت بصوت

ضعيف تانه بالكاد يخرج من حنجرتها

"لم تعد تسمعي !! لن أراها ولن أتحدث معها مجددا"

قبضت بقوة أكبر على يدها التي لازالت في يدي وقلت بحزن

"كوني قوية يا وسن من أجلها ومن أجل ما أوصتك"

هزت رأسها بلا وقالت بعبرة " لن ترحل هي أيضا"

ثم قبضت يدها لصدرها وقالت بحرقة

"لماذا رحلتم وتركتموني ؟ لماذا جميعكم تركتموني وحيدة"

ارتفع نحيبها وصوتها قائلة بألم " لما الموت يختار الجميع عداي

أنا ، لما الرحيل يسافر بكم وأنا لا ؟ لما لم لا أمت لماذا"

قلت بضيق " وسن توفقي عن قول هذا"

أبعدت يدها من يدي بقوة وقالت بحدة

"لن أتوقف أعد لي خالتي يا نواس أعدها"

قلت بحزن " لو كان الأمر بيدي ما رحلت لأعيدها"

قالت بألم " لم تعد لي خالة ، تصور هي معي هنا ولا تسمعني

لقد تركتني وحيدة تركتني مثلكم جميعا قالت لن أتركك يا وسن"

توقفي يا وسن وارحمي حالتي لما لا تريني أمامك وكأني

غير موجود لما تقتلينني فوق ما أنا ميت يكفيني حرقتي

على والدتي فأنا مثلك بعدها وحيد ، نظرت لها بضياح وهي

تنظر لوالدتي باستجداء وكأنها تتمنى أن تكون الحقيقة غير

ذلك وقالت ببكاء " خالتي تكلمي أرجوك ، ليثني مت أنا"

لم أشعر حينها بشيء سوى بيدي تمتد لها لأسحبها من أمامي

وأدسها في حضني وطوقتها بذراعي بقوة وقلت بألم

"ارحميني يا وسن أرجوك ارحميني"

انطلقت حينها صرختها المكبوتة لأدسها بين ضلوعي

وأخفف من صداها في الغرفة ، كان على هذه الصرخة

أن تخرج قبل أن تموت من الصدمة ، كنت أشدها

لضلوعي ودموعي تتساقط فوق صرخاتها المتوجعة

ولا أعلم من فينا حاله أقسى من الآخر ومن منا ثلاثتنا
الميت ومن منا الاثنان يحضن أوجاع الآخر ، وكل ما فعلته
أن حضنتها ... نعم فعلت ما منعت نفسي عنه لأيام لكني لم
أكن أشعر بها بل بأوجاعها الكثيرة تقطع جسدي وقلبي

حتى اختلفى صوتها وارتخى جسدها بين ذراعي

فأبعدتها عن حضني ومسحت على وجهها وقلت بصدمة

"وسن ما بك"

لم تجب ولم تتحرك فشعرت بأدق عرق في عروقي يتفتت

وكان ثمة من ضربني بسلك كهربائي ، لا تفعليها بي يا

وسن يكفي نصف قلبي الأول جثة بجانبني ، لا تقتليني

بحسرتي عليكما ، ضربت خدها مرارا أناديها وبلا فائدة

فوقفت وحملتها بين ذراعي وغادرت بها من الغرفة لأترك

خلفي جثة وأسير وبين يداي أحمل شبه جثة ولست سوى

جثمان مثلهما ولكن لا يشعر بي أحد

"نواس نم قليلا على الأقل"

أخرجني من ذكرى ذاك اليوم الموجه صوت خاطر

فنظرت له وقلت " ليس وقت نوم"

تنهد وقال " أنت لا ترحم نفسك إما في المستشفى أو هنا

تستقبل المعزين ، لن يحدث شيء إن نمت قليلا"

أبعدت نظري عنه وعدت للصمت ، ها قد مر ثلاث أيام على

وفاة والدي ووسن ملازمه المستشفى من حقنة مهدئ لحقنة

منوم لمسكن بعدما أصابها انهيار عصبي حاد ولا أحد هنا

يستقبل المعزيات سوا مي ووالدة فرح التي بقيت معها

اليوم ، وقفت فقال معاذ " كنت في المستشفى الآن

هي نائمة ولم تستيقظ بعد فاجلس وأرحم ساقيك"

قلت مغادرا " عليا استقبال جواد وزوجته في

المطار سيصلان بعد ساعة"

لحق بي قائلا " انتظر سأذهب معك إذا"

خرجنا معا على دخول ملاك التي وقفت أمامي قائلة

"ذهبت للمستشفى ولم يتركوني أدخل لها كيف هي حالتها"

قلت بهدوء " أفضل بقليل وفي الغد ستكون أحسن هكذا قال الطبيب"

قالت بحزن " لا أعلم لما أساتذة الجامعات لا يصيبهم شيء

والطلبة بلى ، الأسبوع الماضي ماتت زميلة لنا بحادث وقبله

واحدة تزوج عليها زوجها أخشى الأسبوع القادم أن أموت أنا"

لم استطع كتم ابتسامة حزينة شقت ملامحي العابسة ونظرت

لمعاد فكان رأسه للأسفل ويضحك بصمت فنظرت لها وقلت

"شكرا لك يا ملاك لن أنسى وقوفك معنا كله"

قالت متوجهة نحو الداخل " لا تشكرني على واجبي"

نظرت لمعاد فقال " وكأنها ليست داخلة لعزاء"

سرت قائلا وهو يتبعني " هذه بكت مع وسن حتى جفت

دموعها ، بعض البشر يحاول الترفيه عن نفسه وقت الحزن"

قال وهو يفتح باب سيارته " بل يبدووا حاولت أن ترفه

عنك أنت ، هل هذه هي صديقة ابنة خالتك"

فتحت باب سيارتي وقلت وأنا أركبها " نعم"

ثم انطلقنا كلن في سيارته لنصل المطار على الوقت فالطريق

يأخذ حوالي نصف الساعة رغم أننا في العاصمة

وصلنا ونزلنا هناك وجلسنا في صالة الانتظار رأسي للأرض

متكأ على ركبتي بمرفقاوي ولا شيء سوا الصمت رغم

الضجيج من حولنا حتى أعلنوا عن وصول الرحلة فوقفنا ننتظر

حتى دخل جموع المسافرين ورأيت جواد من بينهم وفرح تسيير

بجانبه ، هوا لم يخبرها حتى الآن كي تصل أولا لأنه يعرفها
جيدا يجن جنونها على شقيقتها إن علمت ، توجه نحوي مسرعا
وسابقته الخطوات وتعانقتا عناقا مؤلما بكت له عينا جواد أما

أنا فقد شبت عيناى وجفت على ما يبدا ، مسحت على

ظهره وقلت " اسأل الله أن يخلفنا فيها خيرا"

قالت فرح بصدمة " من مات" !!

نظرنا لها كلانا فقالت بحدة " تكلمنا من الذي مات؟"

قال جواد ونظره للأرض " والدتي"

شهمت بقوة ثم نظرت لي وقالت بصدمة " وسن"

قلت " بخير لا تقلقي من"

قاطعتني مخاطبة لجواد

"لما أخفيت الأمر عني خذني لشقيقتي فورا"

قال بضيق " فرح علينا أن ننتهي من الإجراءات

أولا ثم آخذك حيث تريدن"

بدأت بالبكاء من فورها فقال بضيق أكبر

"فرح لا تنسي أنك حامل وتوقفي عن هذا"

قالت بحرقة " للجحيم أنا وابنك خذني لشقيقتي قلت لك"

تأفف وتوجه جهة موظفي الجوازات ليختم للدخول ، فرح لم

تتغير بل يبدوا ازدادت تعلقا بشقيقتها حتى أنها لم تعزي أي

واحد منا ، عاد جواد سريعا وغادرنا المطار وركبا معي

وفرح لم تسكت طوال الطريق وهي تبكي وتردد أن وسن بقت

وحيدة وجواد يحاول تهدئتها ، لا استغرب منها أن تتجاهلني فهذه

عادتها لم تعد تطيقني منذ عام وكأني أنا الملام وليس شقيقتها

بعد وقت تذكرت أخيرا أن تعزينا ووصلنا حينها للمستشفى

أولا حسب أوامرها

*

*

جواد لن يتغير أبدا يهوى إخفاء الأمور المهمة عني

لاحظت طوال الفترة الماضية ضيقه وتوتره اللذان تحولوا

لحزن هذه الأيام لكني لم أتخيل أن يكون كل هذا يجري

وأنا آخر من يعلم ، وصلنا المستشفى ودخلت مسرعة حتى

وصلنا لغرفتها فقال جواد بصوت منخفض " إن كانت

مستيقظة فلا تقتربي منها ، ستخرج في الغد أو بعده كحد

أقصى فلا نريد أن تزداد حالتها سوءا"

هزرت رأسي بالموافقة وفتحت الباب ببطء ونظرت لها

فكانت مستيقظة وتنظر للسقف بشرود فأغلقتة ببطء وبدأت

بالبكاء فقال جواد هامسا بضيق " فرح توقي وكفي

ها قد رأيتها بنفسك بخير ومستيقظة فيكفي جنون"

قلت بضيق " مما مخلوقين أنتم الرجال لا قلوب لكم

أتركني أبكي لأرتاح ، الدموع تخرج مني أم منك"

ثم تركتهما وخرجت من المستشفى وهما يتبعاني ، كان

عليا رؤيتها أولا لأنه سوف يجن جنوني إن لم أرها بعيني

غادرنا المستشفى ووصلنا لمنزل جواد سريعا ، دخلت وأول

من وقعت عيني عليه كان والدتي فتوجهت نحوها من فوري

وحضنتها بقوة وبكاء ثم عزاني البقية الموجودين وجلست

معهم وكان كل حديثهم عن والدة جواد كيف ماتت ومتى

تقهقرت حالتها وثمة فتاة تلوذ بالصمت طوال الوقت ولم

أرها قبلا ، كنت سأسأل والدتي عنها حين سمعت صوت

نواس من الخارج قانلا "مي"

فوقفت من فورها وذهبت له ، هذه زوجته إذا ! لو علمت

بها ما سلمت عليها من أساسه ، خرجت بعد قليل من جهة
المطبخ تحمل الشاي والقهوة لتعطيهم له وحمدت الله مئة
مرة أن وسن ليست هنا فقد رحمها الله بأن نامت في المستشفى
وصدق من قال (قد يكون العذاب رحمة من عذاب منار)

كنت لا إراديا أنظر لها نظرة كره وأتمنى أن تغادر فورا
نظرت لي فجأة وخفضت بصرها سريعا ، ومر باقي اليوم
والذي يليه وأنا استقبل فيه زميلاتي الآتي درسن معي في
الجامعة هنا وبعض صديقات وسن الآتي لم يعلمن أنها لم
تخرج بعد من المستشفى وبعض نسوة من أصدقاء لنواس
"فرح أنتي لم تتناولي شيئا اليوم ففقي واطلبي من

فتحية أن تعد لك شيئا تأكله"

قلت بهدوء " لا رغبة لي في الطعام يا أمي لكنت أكلت"

تنهدت بضيق ونطقت المدعوة مي ولأول مرة أمامي

وقالت " من غير الصحي للحامل أن لا تأكل"

قلت ببرود " أعلم بذلك"

فوقفت واستأذنت ودخلت المطبخ مع فتحية دون أن

تضيف حرفا آخر وقالت أمي بضيق " فرح ما الذي

فعلته لك الفتاة تصبين حزنك وغضبك بها"

قلت ببرود " أنا لم أقل لها شيئاً"

قالت بضيق أكبر " يكفي نبرتك وطريقة كلامك ونظراتك

لها ، الفتاة لم تشده من شعره ليتزوجها"

قلت بغيض " أمي ارحمني لا أعلم كيف تعاملينها بلطف

كيف نسييتي أنها أخذت مكان وسن وأحرقت قلبها معاً"

قالت بحدة " مجنونة ولن تتغيري ، الفتاة تعاملني معاملة ابنة

لوالدتها ووقفت هنا ورفعت العزاء واستقبلت الناس وحدها

كيف سأعاملها بقسوة ، أنا لم أفقد عقلي بعد"

تأففت ولذت بالصمت وعادت تلك للجلوس معنا في صمتها

المعتاد ودخلت امرأتان المنزل ، اليوم هو اليوم الخامس

للعزاء ولم يعد يأتي الكثير وكلهم ينتظرون خروج وسن

ليأتوا لتعزيتها ، وقفنا وسلمنا عليهما وجلسنا قليلاً ثم دخلت

وسن من الباب بملامح ما تزال متعبة بل يلفها الحزن أكثر

من التعب فوقفنا من فوري وهي توجهت مسرعة نحوي

وحضنتني بقوة وبدأت بالبكاء وقالت بعبارة

"ماتت خالتي يا فرح تركتني مثلكم ورحلت"

قلت ببكاء " لا تقولي هذا يا وسن لن يتركك أحد"

قالت بنحيب اكبر " بل تركتموني جميعكم ، من مات

مات ومن رحل رحل وبقيت وحدي"

كنا نبكي معا بحرقة ، ابكي شقيقتي أكثر مما أبكي فقد خالتها

المرأة الطيبة التي لم أرى منها يوماً شيئاً سيئاً ونمت في

حضانها منذ كنت طفلة ، هي ماتت وارتاحت من المرض

والتعب لكن وسن بقيت لتموت مئة موته ، توجهت والدتي

نحونا وأبعدتنا عن بعضنا قائلة " يكفي يا فرح هي خرجت

من المستشفى للتو هل تريدي أن تعيدها إليه"

ابتعدت عنها وسلمت عليها والدتي وعزتها ثم توجهت نحو

البقية عزوها وكان دور المدعوة مي ، وقفت ومدت يدها

لها وقالت بحزن أو لا اعلم شفقة " أحسن الله عزائك يا وسن"

صافحتها وسن وهي تتجنب النظر لها وقالت بهمس

"شكرا لك"

ثم جلست مع والدتي بنفس الأريكة وغابت بنظرها

للأرض في شرود أو بالأحرى هروب من الواقع

واستقبلنا بعدها عددا لا بأس به من المعزيات من سمع

بوسن وجاء لأجلها حتى مر أغلب النهار ثم وقف نواس

عند الباب من الخارج وقال بصوته الثقيل " مي "

فوقفت تلك من فورها ونظرت أنا لوسن بسرعة ، كانت

على هدونها وشرودها لتتدلى دمعها من بين رموشها

الطويلة وكأنها تخرج من عروق قلبها وسقطت من نهاية

رموشها لحجرها مباشرة ، قطع الله لسانك يا نواس إن

كانت مناداته لفتحية سابقا مزقت لها أحشائها فكيف الآن

هل يتعمد فعل هذا أم ما قصده ، بعدها دخلت تلك ونادت

على والدتي لتتبعها للمطبخ ويبدوا شيئا ما ورائها

عدت بنظري لوسن فكانت تمسك معدتها بقوة وكأنها تمزقها

مستندة بيدها الأخرى على الأريكة ورأسها للأسفل فههمت

بالوقوف لها فخرجت منها أنات مكتومة متوجعة ، طبع وسن

كتم كل شيء حتى الأمها وهذا يعني أنها تعاني الآن وبشدة

توجهت نحوها بسرعة وأمسكت يدها وقلت

"وسن أنتي متعبة قفي لأدخلك غرفتك بسرعة"

وقفت معي من فورها ولم تمنع فأخذتها لغرفة جواد سابقا
والتي تكون غرفتها الآن وهي تسير بصعوبة ، وصلنا الغرفة
لأفاجأ ببابها مخلوع خلعا ، ما فعلتم بشقيقتي يا وحوش ومن
كسر عليها الباب ولما ومؤكداً ذلك المتوحش الجلود المغرور

أخذتها للسريير فاضطجعت عليه وقالت بتعب

"العلاج بقي في سيارة نواس يا فرح أحضريه لي"

خرجت من فوري ووقفت عند باب الصلاة وناديت على

جواد فخرج لي فورا من مجلس الرجال فقلت من فوري

"دواء وسن في سيارة شقيقك أحضره بسرعة يا جواد"

قال بقلق " ماذا هناك "

قلت بنفاد صبر " بسرعة يا جواد وسن تتألم بشدة "

قال بصدمة " لما " !!

قلت بضيق " اسأل شقيقك عن السبب بل أخبره أن

لا يُسمعنا صوته مجدداً "

ثم رفعت أصبعي له وقلت بجدية " أقسم يا جواد قسما

بمن خلقتي وخلقته إن خسرت شقيقتي بسببه فلن

يريحني إلا دمه وعلى يدي أيضا "

تأفف في وجهي ثم التفت ونادى قائلاً " نواس "

خارج ذاك من فوره ينظر لنا بقلق ثم قال

" ما بكم "

قال جواد " أحضر دواء وسن من سيارتك "

ثم نظر لي وقال " إن كانت حالتها سيئة فلا تستمعني

لرفضها ودعينا نعيدها للمستشفى "

أدار نواس جواد جهته وقال " ما بها "

دخلت حينها قائلة ببرود

" نادني أنا يا جواد لآخذ الدواء منك "

عدت جهة غرفة وسن فقابلتني والدتي قائلة

" نواس أرسل علاج وسن مع مي لكني لم أجدها في الغرفة

تبدوا في الحمام فأخبريها عنه ما أن تخرج فعلياً العودة لـ " ...

قاطعتها بصدمة " أرسله لها مع زوجته !! ما يعني بهذا "

قالت مغادرة " بل أخبرها أن تعطيه لك أو لي "

غادرت أتمتم بسخرية " يالا حنيتة "

*

*

على الكرسي الخلفي ودمعتها ما تزال معلقة في رموشها ، لما

يحدث معنا كل هذا يا وسن !! موت أمي كان فاجعة لنا جميعا

لما أنتي يقتلك أكثر ؟ هل تحبينها أكثر منا أم فقط لأنك ترينها

آخر أهلك أم لسبب آخر ، منذ توفي والدي وحياتي تعاني التقلبات

الدائمة فأسوء سنين حياتي تلك التي عشتها خارج هذه البلاد أعمل

في البناء في رفع الحديد والإسمنت والطوب ولم أترك شيئا لم

أعمله حتى غسل الأطباق في المطاعم لأوفر لوالدتي وشقيقي

لقمة العيش ولا يحتاجا لأحد ، إحدى عشر سنة قضيتها هناك

أحرث على جسدي وصحتي وأخرج المال من تحت الصخور

وبعدما عدت هنا ضننت أن الحياة ابتسمت لي ، سأعيش مع

عائلتي في منزل كبير ومستقل عكس تلك الغرف المتهرئة التي

كنا نعيش فيها ، وحضن دافئ عكس الغربة المريرة التي نخرت

قلبي بل ووجدت هدية أروع تنتظرني وهي الطفلة ابنة الأربع

سنوات أصبحت امرأة تضج أنوثة تنتظرني كهدية على سنين

غربتي وتعبي ونسيت في غمرة سعادتي بتلك العودة أن تقلبات

حياتي قد لا تتركني فوجدت نفسي فجأة من دون تلك

الحسنة ولا شقيقي ولا حتى والدتي التي رحلت رحيلاً

أوجع من رحيلهما كليهما رحيلاً أبدياً مؤلماً

نظرت للنافذة حيث سيارة جواد وهو يؤشر لي على عداد

السرعة في سيارته ثم عاد للوراء فنظرت له فكان يؤشر

لتخطيا السرعة المسموح بها في الطرقات الداخلية فخفت

السرعة ووصلنا المستشفى بعد قليل ، نزلت وأنزلتها وهما

يتبعانني وأعدناهما للغرفة التي لم تغادرها إلا اليوم وبقينا

نحن في الخارج ووقفت مبتعداً عنهما تجنباً للاحتكاك بفرح

فلن أتحمّل هذه الإنسانيّة أكثر وأخشى من أن تفقدني أعصابي

بعد قليل خرج الطبيب وتوجهت نحوه فقال دون أن نسأله

"سوء تغذية وفقر دم حاد وتبدوا تناولت الدواء على معدة

خاوية ، المسكنات يلزم أخذها بعد الطعام"

قالت فرح " هل ستكون بخير"

قال " عند الصباح ستكون أفضل فاهتموا بطعامها وأكرر

وأقول الراحة النفسية أمر ضروري وحثوها على عدم

الانزواء على نفسها وكبت انفعالاتها"

أمسكت فرح فمها بيدها وبدأت بالبكاء وغادر الطبيب فقال

جواد بتذمر " فرح لا تنسي أني اشترطت عليك قبل مجيئنا

أن لا تبكي ولا تتكلمي لتأتي معي فوافقنا

لم تزد إلا نحيبا فاحتضنها وقال بهدوء " يكفي حبيبتي

هي بخير وستخرج غدا فارحمي نفسك أنتي أيضا هل

تفكري بها فقط وتنسي صحتك"

قلت وأنا ابتعد عنهما قليلا

" اتركها تدخل لها يا جواد فسترتاح إن كانت بجانبها"

توجه بها جهة الغرفة فتحها ودخلا معا وبقيت وحدي مستندا

بالجدار ومتكأ برأسي عليه حتى وصلت رسالة لهاتفني فأخرجته

فكانت من مي فتححتها فكان فيها (تعالى لإرجاعي للمزرعة الليلة)

اتصلت بها من فوري فأجابت بعد وقت فقلت

" من أزعجك يا مي ولما تريدين المغادرة"

قالت بصوت منخفض " لا أحد أقسم لك يا نواس

لكني أريد العودة للمنزل"

تنهدت وقلت " كما تريدين وما أن أتمكن من

المغادرة سأذهب لإيصالك"

قال بهمس " شكرا لك وداعا"

أعدت الهاتف لجيبي لحظة خروج جواد من الغرفة

وقف بجانبني وقال ونظره على قدمه الممدودة أمامه

على الأرض " ما ستفعل الآن بشأن وسن"

قلت بهدوء ونظري على الممر في الجانب الآخر

"ستبقى معي طبعاً"

نظر لي فعدت بنظري تحتي وقلت

"والدتي رحمها الله أخذت مني عهداً أن أتزوجها"

وقف مستوي على طوله ومقابلا لي وقال بصدمة

"متى" !!

نظرت له وقلت " قبل وفاتها ومرضها الأخير بمدة"

قال بعد صمت " وهل ستفعل ذلك"

عدت بنظري للأرض وقلت " نعم لكن ليس الآن"

قال " ولما" !!

تنهدت وقلت " لا أستطيع يا جواد لا أستطيع"

قال بجدية " زوجها بغيرك إذا"

هزرت رأسي بلا فقال بضيق " لا اعلم أي دماغ هذا الذي

لديك أيعجبك حالكما هكذا ارحمها بإحداهما وأشفق على حالتها"

لذت بالصمت فقال ببرود " لما رفضت سليمان كان

حلا مناسباً لكل شيء وهي وافقت عليه"

ابتعدت من على الجدار وقلت " كلانا قطع عهده لوالدتي

وما قلته لك اتركه سرا بيننا يا جواد حتى يحين وقته"

نظر للممر الآخر وقال باستغراب

"ما سر كل هذا الانتشار الأمني في المستشفى"

نظرت حيث ينظر وقلت " منذ أيام وهم على هذا الحال

يبدوا ثمة حالة مهمة في هذا المستشفى"

نظر بتركيز لوقت ثم قال

"ذاك أليس شقيق معتصم رئيس الشرطة الجنائية"

نظرت حيث ينظر ثم قلت

"لا اعلم لم أره سابقا إلا في الصحف"

هز رأسه بنعم ثم قال ونظره لازال عليه

"وأنا لم أره سابقا سوى مرة واحدة لأن معتصم

كان يهرب بي من القصر قبل قدومه"

قلت بابتسامة صغيرة " معه حق يهابه يبدوا شخصية

مسيطرة وقيادية من هيئته وملامحه الحادة"

أومئ بنعم فقلت " خذ زوجتك للمنزل"

نظر لي وقال " وأنت"

قلت " سأذهب لأخذ مي للمزرعة وأعود هنا"

قال بهدوء " لا جدوى من البقاء معها خذ زوجتك ونم

الليلة وارتاح والصبح لكل حادث حديث"

أبعدت نظري عنه ولم أتحدث فقال " وما أخبرك وزوجتك"

هزرت رأسي بدون كلام فقال " أتمنى ذلك"

ثم توجه للغرفة دخل وخرج بعد وقت وفرح تتبعه قائلة

"وما في الأمر إن بقيت معها"

قال وهما يبتعدان " فيه أنه عليك المغادرة وستخرج لك غدا"

تنفست بقوة ونظرت لباب غرفتها مطولا ثم غادرت

المستشفى ووصلت المنزل واتصلت بمي لتخرج لي

وما هي إلا لحظات وخرجت وركبت السيارة وانطلقنا

وقالت بعد قليل " كيف أصبحت الآن"

قلت ونظري على الطريق

"ستخرج غدا ، مجرد فقر دم وسوء في التغذية"

نظرت ليديها في حجرها لوقت ثم قالت

"سأبقى في المزرعة فلم يعد لوجودي من داعي"

قلت بهدوء " مي ماذا حدث صارحيني"

نظرت لي وقالت " أقسم لم يحدث شيء"

قلت ونظري لم يغادر الطريق " ولا بينك وبين وسن"

قال من فورها " لم تتحدث معي مطلقا ، فقط أنا أشعر أنني

سبب مرضها وتعبها وكرهت وجودي كجدار بينكما"

قبضت على المقود بقوة وقلت " أنتي لست الجدار بيننا

يا مي فلا تحملي نفسك إثم أمور ليس لك فيها أي يد"

عادت بنظرها ليديها وقالت " في وجهة نظرها هي على الأقل"

ثم تابعت بحزن " لبيتك لم تتزوجني يا نواس أو لم تضع

ذاك الشرط لزواجك بي ، لما قتلتها وقتلت نفسك"

قلت بهدوء " لننهي الكلام في الأمر"

لأذت بالصمت ولم تعلق وساد الصمت حتى وصلنا المزرعة

ونزلنا وتوجهت من فوري لغرفتي استحمتت وغيرت ثيابي

وخرجت عائدا للمستشفى من جديد وتوجهت من فوري
لغرفتها فتحت الباب ودخلت ببطء وجلست بجوارها أراقب
ملامحها المتعبة النائمة وهي تغضن جبينها بين الحين
والآخر دليل التألم لتخرج منها أنة صغيرة لا تتعدى مجرى
حنجرتها ، أدخلت يدي في جيبتي وأخرجت الورقة منه
ودسستها لها بين أنامل يدها وأطبقتهم عليها بيدي وقربتها
لشفتاي ثم ما لبثت تلامس يدها الناعمة حتى أعدتها حيث
كانت وأشياء كثيرة منعني عن فعل ذلك ، ثم خرجت من
عندها واتصلت بجواد وأخبرته أن يأتي هوا غدا
لإخراجها وعدت أنا للمزرعة

*

*

مر قرابة الأسبوعان لم استمع فيهما لبرنامجي المفضل على
الذياع ، عدت بأصابعي ثم تنهدت بضيق ... ست حلقات
مع اثني عشرة إعادة ضاعت في أيام مرض خالة وسن ووفاتها
وضعت السماعات في أذناي وكان البرنامج قد بدأ للتو ، اليوم
سأستمع لجميع المداخلات باستمتاع عكس السابق وهذا من كثرة
ما اشتقت لهم وافتقدتهم ، لم أصدق نفسي حين كانت المداخلة

لأحزان السنين فليس من عادته أن يكون من المتصلين في الجزء

الأول من الحلقة ، قال بهدوء " مساء الخير صفوان وكل

متابعي برنامجك الرائع"

قال المذيع بصوت مبتسم " مساء الخير وحمدا لله على السلامة"

فتحت عيناى بدهشة ، ما الذي حدث بعدي ولا اعلم عنى!!

قال أحزان السنين " سلمك الله كان حادثا بسيطا جدا

فقط احتجت لوقت لاتعافى جيدا"

ضحك المذيع وقال " قلقتنا عليك بعد اتصالك لتخبرنا

بالحادثة وصوتك كان متعب جدا"

أمسكت قلبي وتنفست بهدوء ، حمدا لله أنى تغيبت

هذه الفترة لكنت مت من الانشغال عليه

قال بصوت مبتسم " آسف حقا لكنى لم أرد أن أتغيب لحقتين

دون أن أقدم أعذارى لأنكم بتم عائلتي الثانية"

قال المذيع بعد ضحكة " نعم فيكفينا غياب

مرجان وملاك الطويل"

اضطربت دقات قلبي وأنا أنتظر تعليقه لترتفع

دقاته أكثر وهو يقول " ملاك الليل غابت كثيرا

وشغلتنا عليها أتمنى أن تكون بخير"

قال المذيع " سنتمنى أن تتصل بنا الليلة فأميّات

الليل كما يقولون تتحقق سريعا"

قال بضحكته الهادئة

" إذا لن أتمنى أميه في الصباح بعد اليوم"

ضحك المذيع كثيرا ثم قال

" إذا تمنى شيئا فهذا محور حلقتنا اليوم"

قال بصوت بتسم " سأتمنى مثلك أن تتصل ملاك الليلة

وتطمئنا عليها وطبعاً أن لا تحزن إن سرق الحزن أياما

من سنينها ، وعمتم مساء"

من الفرحة حضنت الهاتف لوقت وعيناي مغمضتان

هل الحب جميل هكذا ؟ هذا وأنا لم أره بعد آه يا قلبي

استمعت لباقي المداخلات ولم أتصل حتى مقربة نهاية

الحلقة كي لا أظهر بمظهر من كانت تتعمد أن لا

تتصل ، أدخلوا مكالمتي على الحلقة فقلت

"مساء الخير صفوان"

قال بصوت مبتسم " مساننا جميل اليوم وتحققت

فيه أمنيتنا واتصلت لنعلم أنك بخير"

قلت بهدوء " أسفة حقا كان لدي ظرف عائلي وتوفيت قريبة

لي فلم أتمكن حتى من الاستماع لحلقات البرنامج"

قال " أحسن الله عزائكم في الفقيدة وجعل مثواها الجنة"

قالت بهمس " شكرا لك"

ثم تابعت بهدوء " أشكر كل من افتقدني وأشكر شكرا

خاصا أحزان السنين وحمدا لله على سلامته

لو أخبرنا بسم المستشفى لزرناه"

ضحك المذيع وقال " لن يتسع المستشفى لنا

فالجميع سيذهب لزيارته"

اكتفيت بضحكة دون تعليق ولو كان الأمر بيدي لقلت

سأقطع سيقان من ستذهب إليه غيري ، قال بهدوء

"ماذا ستتمنى ملاك في هذا المساء"

قلت بحزن " يبدوا أن هذا المساء تتحقق فيه الأمنيات

لذلك سأتمنى لصديقتي المقربة لي أن تجمعها الحياة

بحبيبها مجددا لأنهما تعبا كثيرا وأنا منشغل بالي عليها"

قال بهدوء " نتمنى لك ولصديقتك السعادة الأبدية"

قلت مبتسمة " أنت تغش يا صفوان فانظر كم أمية

تمنيها الليلة ونحن لنا واحدة فقط"

ضحك كثيرا ثم قال " هذا لأني أريد لجميع أمنياتكم أن تتحقق"

قلت " شكرا لرحابة صدرك وتصبحون على خير جميعا"

انتهى بعدها البرنامج وأنا أتمنى من قلبي أن تتحقق أمنيتي

بالفعل وترجع وسن لابن خالتها ويكونا معا حتى آخر العمر

*

*

جلست متكأ بمرفقاي على ركبتاي ونظري للأرض

وفرح ووالدتها يجلسان أمامي وقالت فرح

"لم تجبني يا جواد وسن ما مصيرها"

بقيت على صمتي فقالت والدتها " هل تحدثت ونواس في الأمر"

نظرت لهما وقلت " نعم واتفقتا"

قالت فرح " اتفقتما على ماذا"

تنهدت وقلت " على ما فيه مصلحة الجميع"

نظرتا لبعضهما باستغراب فقلت " طائرنا بعد يومين يا فرح

ونواس سيتكفل بالأمر ، لم أتمكن من تأجيل الرحلة أكثر"

وقفت وقالت " أنا لن أذهب معك"

نظرت لها بصدمة وقلت " ما تعني بذلك" !!

قالت بجدية " لن أذهب لأي مكان بدونها وسأبقى

هنا معها وفي شقتنا"

***** **

انفتحت عياني من الصدمة وقلت بدهشة

"ماذا تعني بهذا يا رهام"

قالت بضيق " أعني ما سمعته جيدا وما حدث أمام عياني"

قبضت على الهاتف في يدي بقوة حتى كدت أحطمه بين

أصابعي وقلت بغيض " إذا صدقت توقعاتي وهو لم ينكر"

قالت " ولم يؤكد ذلك أيضا لكن تلك الطفلة أجراً وأقوى مما توقعنا"

وقفت وقلت " وداعا الآن يا رهام"

قالت بسرعة " ما الذي ستفعلينه"

قلت " سأؤكد من ذلك بنفسي"

قالت " أعلميني بكل جديد إذا"

قلت وأنا أخرج ملابسي وحجابي " حسنا ووداعا الآن"

غيرت ثيابي وخرجت من المنزل ، لم أخدمه ووالدته كل

هذه السنين وانتظرت وضيعت عمري لتأتي هي أو غيرها

لتأخذه في غمضة عين ، أنا الغبية من البداية لو كنت صارحته

منذ زمن في رغبتني أن أكون زوجة له وأن أبقى مع والدته

لكن البعثة ضاعت منه يا مغفلة ، حسنا كنت أخبرته أنني سأعتني

بوالدته وأكون زوجة له فما في الأمر إن قلتها له أفضل من

أن تركته ضاع مني لغيري ، لا لم يضيع ولن يضيع أبدا

خرجت وركبت سيارتي قاصدة منزلهم

*

*

أبعدت يدي وقالت بتألم وهي تحاول سحب

يدها الأخرى من قبضتي " آآآآي"

أمسكت يدها بقوة وقلت " تحملي قليلا يا سما"

قالت وهي تقبض عيناها بيدها الأخرى

" مؤلم ألا طريقة غير هذا آي بالرفق نزار أرجوك"

قالت والدتي ضاحكة " لم أعرفك مدللة هكذا من قبل"

قالت وهي تمسح دموعها " لم أستطع احتمالاه مؤلم كثيرا"

قالت بصوت مبتسم " معقم الجروح هكذا لا أحد يحبه

لكنه ضروري لقتل الجراثيم"

قالت وهي تهف على الجرح بيدها الأخرى

"كنت أرى شقيقي سامي كيف يبكي حين يعقمون له جرحه

عندما وقع من الدراجة لكني لم أتصور الألم فضيعا هكذا"

قلت وأنا ألهه بالشاش " لو لم يكن المستشفى خطرا عليك

هذه الفترة لأخذتك للطبيب ليعقمه ولن تتكلمي أمامه يا مدللة"

قالت بضيق " بل هوا لن يعقمه كثيرا مثلك فلم

يبقى سوا أن تسكب باقي القارورة عليه"

لم أستطع إمساك ضحكتي التي خرجت عالية فأبعدت يدها

وقالت بضيق أكبر " خالتي انظري لابنك ما يفعل"

قالت أمي ضاحكة " سيرى عقابه منا لا تقلقي"

وقفت لأن جرس الباب يُقرع وقلت مغادرا الغرفة

"متفقتان ضدي دائما ولا أحد لي وستريان أنتما أيضا"

فتحت الباب فكانت دعاء ، لم استطع أن انظر لها نظرتي

المحترمة السابقة ولم استطع أن أنسى ما فعلته من أجلي

ووالدي فقلت " مرحبا تفضلي بالدخول"

قالت مبتسمة وهي تدخل " لم أجد المفتاح صباحا فقررت

أن أزورها وقت وجودك لتفتح لي"

قلت وأنا أدخل أمامها " ما كان عليا أن أثق في الجميع

وأترك أحدهم يفتش غرفنا ويفسد طعامنا لذلك رفعت

المفتاح وغيرت القفل ولا أريد أن أتهم شخصا معينا"

سكنت لوقت ويبدووا ألجمتها الصدمة ثم قالت ونحن نقرب

من غرفة والدي " ومن سيفعل ذلك ؟ قد تكون توهمت"

قلت وأنا ادخل " بلى متأكد من ذلك"

دخلت خلفي وسلمت علي والدي وسما وقالت

"سلامتك ما بها يدك"

لم تجب سما ونظرت لي من فورها وقالت والدي

" جرحها السكين وخاطوه لها وجاءت سليمة"

نظرت لأدوات الصيدلية المنزلية على الطاولة وقالت

"ولما تعقموه في المنزل أو كنتم اتصلتم بي وأنا سأتكفل بهذا"

قالت سما وهي تخبأ يدها خلف ظهرها " شكرا نزار يقوم بذلك"

نظرت لي وقالت مبتسمة " لكن نزار مهندس وأنا الممرضة"

خرجت حينها سما من الغرفة ونادتني من خارجها فخرجت
لها على نظرات دعاء المصدومة ، وقفت أمامها فقالت بهمس

"لا أريدها أن تفعل ذلك فلا توافق كي لا أخرجك معها"

قلت بابتسامة " لا تقلقي لن أوافق رغم أنك تستحقين

كي لا تنتقديني مجددا"

صدمتني دموعها التي نزلت لتتركني راضية جهة السلام

ثم صعدت للأعلى فتنهدت وصعدت خلفها وصلت باب

غرفتها وطرقته قائلا " سما كنت أمزح فقط"

ولم تجب فتركها ونزلت ، أعرفها حساسة جدا لكنها بقلب

أبيض ستنسى سريعا ما حدث ، فقط عليا تركها وحدها الآن

*

*

ما أن خرج نزار حتى نظرت لي دعاء وقالت

" هل أخطأت في شيء"

قلت " لا كيف حال والدتك وشقيقتك"

جلست وقالت وهي تتعمد العودة لذات الموضوع

"تبدوا سما مدللة كثيرا أو أنكم تفرطون في

تدليلها وخصوصا نزار"

لم أستطع كتم ابتسامتي ثم قلت " سما ليست مدللة مطلقا

ولكنها حساسة بعض الشيء ونزار كما تعرفيه لم يتغير

بقلب حنون ولا يحب أن يجرح أحدا"

وقف حينها نزار عند الباب وقال

"سأخرج قليلا يا أمي ولا تتركي سما تعد الطعام"

قلت باستغراب " أليست في المطبخ الآن !! لما لم تكلمها"

قال مغادرا " بل غضبت مني وأغلقت على نفسها باب غرفتها"

وهنا تحول وجه دعاء لشيء لا يمكن وصفه وبعدها سمعنا

صوت إغلاقه للباب نظرت لي وقالت " نصحتها أن لا

تأتي وتكلمه وتنساه للأبد لكن رهام متهورة دائما وعلى

نزار أن يحذر منها بعدما حدث منه وسما أمامها"

نظرت لها بحيرة فيبدووا ثمة ما حدث كما توقعت وأنا

لا أعلم به ، قلت " نزار يُعد رهام ماضي وانتهى"

قالت بابتسامة جانبية " هي لا تعده كذلك

وقد فاجأها ما عرفته بالأمس"

قلت " وما الذي تريده رهام منه الآن وهي

التي تركته وتخلت عنه"

قالت بابتسامة سخرية " كان بالنسبة لها فرصة وحين

وجدت أفضل منها تركتها وبعدها فقدت الآخر

عادت الآن تبحث عما أضاعته سابقاً"

هزرت رأسي بيأس وقلت " لا أعلم كيف تفكر هذه وهل

تضنه لعبة في يدها ترمها ثم ترجع لها متى تريد"

قالت بعد تردد " هل صحيح نزار سيتزوج من سما"

نظرت لها باستغراب فأبعدت نظرها وقالت

"أعني هل صحيح ما قصدها بما حدث أمامها

أم كانت تمثلية ليتخلص منها"

قلت بحيرة " وما الذي حدث أمامها"

نظرت لي بصدمة وقالت

"ألم يخبرك أحد !! ظننتك تعلمين بالأمر"

قلت " لا ... لا علم لي فأخبريني أنتي"

لأنت بالصمت مطولاً ثم سردت ما قالت لها رهام أنه

حدث أمامها وأنا أستمع لها بصدمة ثم قلت بضيق

"وما علاقة سما لتريها تلك الصورة"

قالت بارتباك " قد تكون ظنت أنه ثمة شيء بينهما"

قلت مباشرة " ومن أخبرها عنها لتظن"

توترت كثيرا ثم قالت " صراحة عندما أزعجتني بكثرة

إلحاحها أن أتكلم معه وأسأله عن مشاعره نحوها أخبرتها

أن ثمة قريبة له تعيش معكم وقد يكون يحبها لتبتعد

عنه ولم أتخيل أن تفعل هذا"

قلت بضيق " ولكنك أخطأت بفعل ذلك يا

دعاء وتسببت بمشاكل للجميع"

قالت بارتياح " هل تعني أنه ما حدث أمامها كان

تمثيلية منهما فقط وليس حقيقة"

قلت ببرود " لا أعلم"

قالت بعد صمت ونظرها على يديها

"صراحة أناآآ ... أقصد أود أن"

قلت " ما بك يا دعاء لما التردد وما الذي تودين قوله"

قالت ونظرها لا يزال للأسفل " صراحة أريد معرفة إن

كان نزار يقبل الزواج بي وسأخدمكما وأساعده في توفير

المال ومصاريف المنزل والعلاج أيضا ، أنا متأكدة من

أنك تعلمين بما أقول من قبل أن أقوله وأريد معرفة

رأيه دون أن يعلم أنني تحدثت معك"

تنهدت وقلت " لا أستطيع أن أعدك بالكثير لكنني سأحاول"

وقفت وقالت " عن إذنك الآن"

ثم خرجت من فورها هاربة من فضحها لمشاعرها

واتكأت أنا للخلف أنظر للباب بشرود وفي حيرة من

أمري فعليا أن أتأكد من بعض الأمور أولا قبل أن أسأله

ما أن غادرت دعاء حتى دخل نزار وكأنه كان يهرب

منها ، وقف عند الباب وقال " لم تنزل سما بعد ؟"

هزرت رأسي بلا فغادر جهة المطبخ وبدأت أصوات

الأواني وكأنه في حرب وطار كل ذلك الهدوء حين كانت

سما تعد الطعام وكأنه لا يوجد أحد في المطبخ ، بعد وقت

جاء يجر الطاولة للداخل فقلت مبتسمة " انتهيت من

إعداده سريعا يبدو أن عشاننا الليلة بيض مسلوق"

ضحك وقال " بل أكلتك المفضلة في العشاء فقد كتبت

لي سما طريقتها بالأمس"

قلت بصدمة " وكيف أعددتها سريعا هكذا"

قال " هي سهلة فقط سما تعقدها بكثرة طهوها"

قلت بابتسامة " الحكم على الطعم كما كنت تقول لها"

ضحك وقال مغادرا " سأناديها كي لا يفوتها طبق اليوم"

عاد بعد قليل وهي تتبعه وكأنها لم تغضب منه منذ قليل

دخلت وهوا غادر جهة المطبخ فقلت مبتسمة " هذه فرصتك

لتنقمني منه ، هيا اجلسي فقد نبات الليلة بلا عشاء"

جلست وقالت بابتسامة " لن ننتقده قبل أن

نشبع كي لا نخسر كل شيء"

ضحكت وقلت " معك حق"

دخل حينها بالصينية تخرج منها الأبخرة ثم وضعها على

الطاولة وقال مبتسما " ما رأيكم في الشكل قبل الطعم"

نظرت لسما فكانت تنظر للصينية بصدمة ثم

نظرت لي فقلت " لا حكم إلا على الطعم"

جلس وقال " لن ترفعا الملاعق إلا وهوا فارغ

أنا متأكد أنكما لن تقاوما طعمه"

نظرنا لبعض نكتم ضحكنا وهو يسكب لنا في الأطباق

وضع أحدهما أمامي والآخر أمام سما فنظرت لما فيه

بصدمة ثم لسما التي كانت تنظر لطبقها بصدمة لا تقل

عن صدمتي وقال نزار بثقة " هيا أعطيني رأيكما في طعمه"

رفعت الملعقة وتذوقت منه قليلا فلم أستطع مضغه فحاولت

بلعه مباشرة فغصت اللقمة وبدأت بالسعال فوقفت سما

بسرعة وناولتني كوب ماء فأخذته منها وقلت بهمس

"لا تخاطري بحياتك"

قال نزار " فيما تتهامسان"

قلت من فوري " لا شيء شكرتها فقط"

نظر لي بتشكك وقال " إذا أعطني رأيك"

قلت بابتسامة صفراء " لقد شرقت ولم أتذوقه

جيذا وحلقي أصبح يؤلمني"

نظر جهة سما التي لست مكانها وقال " تذوقي

وأعطني أنتي رأيك إذا"

هزت رأسها بلا دون كلام فقال " هكذا إذا ستأكلانه كله

أو لا طعام بعد اليوم إلا البطاطا المقلية"

نظرنا لبعضنا بصدمة ثم قالت سما " تأكل خالتي معي أو لن أكل"

أمسكت رقبتي وقلت " حلقي لا يمكنني ذلك"

وضع نزار يديه وسط جسده وقال بضيق

"ما المعنى مما تفعلان ، هل هذا جزائي على تعبي"

قالت سما وهي تحرك الطعام بالملعقة " البصل لم ينضج

بعد واللحم محترق من الخارج ونيئ من الداخل ، الأرز

نصف نضج والباذنجان سميك جدا و"

قاطعها قاتلا " ليست أول مرة أطهوا فيها ، هي نفس

مقاديرك فقط الطريقة مختلفة"

نظرت سما لي فهزرت لها رأسي بمعنى نأكل وأمرنا الله

وبدأنا نجبر أنفسنا على الأكل وكل واحدة منا تمضغ اللقمة

مرتين فقط ثم تتبعها بالعصير لتبلعها حتى كدنا ننهي الإبريق

كله وهو ينظر لنا حتى قالت سما " لما لا تأكل أنت"

مد يده وسحب صحن البطاطا وقال

"أنا لم أتذمر من البطاطا المقلية وهي تعجبني"

وبدأ يأكلها ونحن أكلنا طبخته السيئة تلك حتى امتلأت بطوننا

ثم وقف وجمع الأطباق في صمت وأخذهم للمطبخ ثم عاد

سريعا وقال " لا يزال هناك القليل كلاه بدلا من أن نرميه"

قالت سما مغادرة بسرعة لخارج الغرفة

" عليا أن أدرس وأجهز أغراضي"

وعدلت أنا جلستي على السرير وقلت

"تناوله أنت لأنك لن تشبع من البطاطا فقط"

غادر للمطبخ وبعد وقت صعد لغرفته من توقف ضجيجه

في المطبخ وبعد حوالي الساعتين دخلت سما وقالت بصوتها

الهادئ " خالتي معدتي تؤلمني"

وكانت تمسكها فضحكت وقلت " لست بأفضل حالا منك

هذا لأننا لم نمضغه جيدا فتعسر على معدتنا هضمه"

أمسكت فمها وركضت جهة الحمام ويبدو أنها ستتقيأ

ثم خرجت بعد وقت تمسح فمها بمنديل ورقي وقالت

"حمدا لله الآن فقط أشعر بالارتياح"

قلت مبتسمة " في المرات القادمة قفي على رأسه

حتى ينهيه على طريقتك"

ثم ضحكنا كلينا وقالت " إذا لن نقرأ روايتنا الليلة لأنك متعبه"

قلت مبتسمة " لا عليك بنيتي لا تؤلمني كثيرا"

جلست وقالت " إذا نقرأ"

مددت لها الرواية وقلت

"أجل فقد تشعرني بالغثيان وافرغ معدتي مثلك"

قالت بهدوء " ألا حل غيره"

قلت مبتسمة " ثمة حل غيره فهل ستساعديني فيه"

قالت من فورها " بالتأكيد"

مددت يدي لها وقلت " إذا ساعديني على الوصول

للحمام لأفرغ ما في معدتي"

أوصلتني للحمام وأفرغت كل ذاك الشبيه بالأكل ثم

خرجنا وأنا أقول " آسفة صغیرتي لما رأيتہ للتو"

وضعتني على السرير وقالت وهي تغطي لي ساقاي

" لا عليك خالتي رأيت قبله شيئاً مشابها له"

ضحكنا كلينا ثم قلت " لم يهضم أبدا لازل كما هو"

وعدنا مجددا للضحك ثم جلست وأمسكت الرواية ، فتحت

حيث توقفنا آخر مرة وبدأت بالقراءة ((نظرت للخلف بريبة

مخافة أن يكون فراس فكان وائل أمامي ولأول مرة لا يسمعي

صاحب المسبة ، توجه نحو الطاولة أخذ مفاتيحه من عليها

وقال ونظره علي " لازل فراس في الخارج"

نظرت له بصدمة ، هذا تهديد واضح وصريح

نظر لي بسخرية فقلت بابتسامة " وإن يكن"

أمسك بخصلة من شعري وقال بمكر وهو يلعب

بها بين أصابعه " سأخبره يا زوجة والدي العزيزة"

قلت برجاء " وائل هل يرضيك أن يؤذيني ، أنت

تراه كيف يفقد أعصابه بسهولة وأنا ضعيفة ومسكينة"

غادر ووقف عند الباب وقال موليا ظهره لي

"إذا أسكت عنك ولكن بشرط"

قلت بتذمر " ما بكم أنتم مع الشروط وكأنكم

تنتظرون قدومي لحل مشاكلكم"

التفت لي وقال " ومن هذا الذي حلت له مشكلة"

قلت مغيرة مجرى الحديث " هيا قل ما هوا شرطك لنتهي

من هذه المسألة وينقطع لساني إن تفوهت بعد اليوم بشيء

لأنكم على ما يبدو تترصدون لي عند الأبواب"

ضحك وقال " أولا تُعدّين لي الفطور كالיום كل صباح"

قلت بصدمة " ماذا كل صباح" !!

قال بابتسامة جانبية " هذا أولا فقط"

وضعت يداي وسط جسدي وقلت بضيق " لا يا عم هوا

طلب واحد فقط ثم أنت قلت أنه سيء ولن أصنعه لك مجددا"

قال مغادرا " إذا سأخبره"

تبعته راكضة وقلت " انتظر لتفاهم أولا"

قال مغادرا " ورائي محاضرات ولا وقت لدي لك"

ثم خرج من باب المنزل فصعدت لغرفتي راكضة كي لا

يعود لي فراس بعد أن يخبره ، صعدت بسرعة ودخلت

غرفتي ووقفت عند النافذة أراقب حتى خرجت سيارة وائل

لكن سيارة فراس لم تخرج ، يبدو أنه خرج قبله وذاك

المحتمل كان يكذب علي ، طرق أحدهم باب غرفتي ففتحت

فكان عمي رياض الذي قال مبتسما " ما بها رُدين تركض هاربة"

قلت بابتسامة " صباح الخير عمي"

قال بحنان " صباح النور هيا انزلي لتشربي معي شاي الصباح"

لم أستطع قول أي فطرت أو أن أرفض طلبه فنزلنا معا وكان

يتحدث معي وأنا أضحك وتوجه هوا لغرفة الجلوس ودخلنا

أنا للمطبخ لأخضر له الشاي فشهقت بصدمة وأنا أرى فراس

يجلس على الطاولة حيث تركت طعامي ويتناوله فنظر لي

ثم عاد بنظره للطعام وقال " ما بك شهقتي وكأنك رأيت

ملك الموت وأنتي للتو كان ضحكك سيوقع الجدران"

تجاهلته وتوجهت حيث أبريق الشاي ودخلت عمتي

سعاد قائلة " صباح الخير ما هذا النشاط اليوم"

قال فراس بابتسامة جانبية " أنا ووالدي وأنتي هذا

وقتنا منذ سنوات فمن تعني بالنشاط اليوم"

توجهت نحوه وأخذت كأس الشاي من أمامه وقلت

" هذا أعدته الكسولة ولن يعجبك فانتظر

خادمتكم النشيطة حتى ترضى عنك"

ثم سكبت ما كان فيه في المغسلة وغسلته وأعدته

للخزانة وسكبت آخر لعمي رياض وأخذت معي أبريق

الشاي أيضا وخرجت من المطبخ قائلة " عمتي إن كنت

تريدين شرب الشاي معنا فأحضري كأسا لك"

وخرجت من المطبخ مبتهجة ، يبدوا أن وائل لم يخبره

جيد يبدوا يملك بعض المميزات لولا الغرور الزائد عنده

لكن عليا معرفة خباياه أولا فقد يكون كأشرف ، دخلت الغرفة

ووضعت صحن التقديم على الطاولة وسكبت الشاي وقدمته

لعمي رياض ودخلت عمتي سعاد تحمل كأسا في يدها وقال

هوا ضاحكا " ما بكم وكأنكم تهربون بالشاي من أحدهم"

ضحكت وقالت وهي تجلس بجانبه " هذه رُدين حرمت فراس

من شرب الشاي الذي أعدته"

أخذت كأسها وسكبت لها الشاي قائلة " لأنه لا يستحقه

أنا يقول عني كسولة وأنا التي لا أنام بعد الفجر"

قال ضاحكا " يبدوا لن تختاري أحد أبنائي أبدا"

جلست وقلت " لازال الوقت مبكرا لأحكم"

قال مبتسما " رُدين كما أخبرتك سابقا وسأعيدها مرارا

أنتي لست ملزمة أن تختاري أحدهم ، صحيح أني لا أريد

أن تخرجي من تحت رعايتي حتى يأخذني الموت لكن لا أريد

إلا أن تكوني راضية وستتزوجين من تختارينه كان من يكون"

قلت مبتسمة " لا تقلق يا عمي"

قالت عمتي بضحكة صغيرة " يبدو انه لا نصيب لأولادك

فيها فلست تعلم كم أعجبوا بها النسوة في حفل الزواج"

وضع كأس الشاي بعدما أنهى شربه ووقف قائلاً

" أعلم أنهم حمقى ولا يجيدون اختيار ما هو

مناسب ، هل توصون شيئاً قبل أن أغادر"

قالت عمتي " سلامتك فقط"

وضع يده على رأسي وقال بابتسامة " خذي حذرك من

فراس يا رُدين فهوا أذكى مما تتصوري وحاول مرارا

محاصرتي بأسئلته وأجزم أنه لم يقتنع بعد"

لويت شفّاتي وأنا أنظر له في الأعلى فلعب بيده في

شعري وقال ضاحكا " إن كان ثمة من سيستحقك وسيحافظ

عليك فسيكون هوا ويبقى الاختيار لك وحدك"

وفقت وقلت " أخشى أن يكون اكتشف كل شيء"

قال مغادرا " لا أن يكتشف صعب ، يشك ممكن"

غادر وخرجت بعده ، لا أعتقد أن ما يضمنه صحيح فكيف

لفراس ذاك أن يكون من سيستحقني ويحافظ علي ، سنرى ما
يمكن جمعه فيه من مميزات ، أنا لم أو من يوماً بالحب ما قبل
الزواج ولن أحب غير زوجي وأنا محتارة حقا في أمر نفسي
واختياراتي ، نظرت ليدي وعددت بأصابعي وأنا أتوجه لغرفتي

فراس عصبي ومخيف ونكدي وبارد جدا لا يعرف حتى
كيف يمزح ، وائل مغرور ولم أكتشف الباقي بعد ، أشرف
مستهتر وزير نساء ، اصطدمت بأحدهم فجأة فقلت بتألم
وأنا أمسك جبهتي " ما بكم لا أحد هنا يرى أمامه"
شدتني يد من يدي وسحبنتي معها لإحدى الغرف وأغلقت
الباب فنظرت لصاحبها ثم انفجرت ضاحكة فقال بضيق
"ما المضحك بي يا عقربه"

لم استطع التكلم من كثرة الضحك فقال بغضب
"تكلمي أو قتلتك"

أشرت بإصبعي لشعره الواقف للأعلى وقلت بضحك
"شعرك أنظر كيف هههههه"

شدني من يدي وسحبني بقوة حتى أجلسني على السرير
وقال بضيق " شخص مستيقظ من النوم كيف سيكون شكله"

قلت مبتسمة " وما أيقضك باكرا على غير عادتك يا كسول"

رمى لي بهاتفه وقال " تتصلي بهذا الرقم فوراً"

رميت بالهاتف جانبا وقلت " لن اتصل بجوجو مجددا تفهم"

غرس أصابعه في شعره محاولا ترتيبه فلم يزد إلا سوءاً

فعدت للضحك فقال بحدة " توقفي أو كسرت لك أسنانك"

أغلقت فمي بيدي فقال بغضب " هي ليست جوجو وستكلمينها"

قلت ويدي لازالت على فمي " من إذا"

جلس وقال " لا دخل لك المهم تخبريها أن والدي

يرفض زواجنا وأنا نحاول إقناعه"

أزلت يدي وقلت بجدية " لا تحلم بذلك ثم أنت قلت جوجو فقط من

تخدعها بالزواج بها والأخريات ما أن تذكر الزواج تتركها فوراً"

وضع ساق على الأخرى وقال " لا شيء دون مقابل"

قلت بضيق " لو كنت شقيقتك هل كنت ترضى أن

يفعل أحدهم معي مثلك"

قال بغضب " لا تعلميني حدودي ثم أنا أرحم من غيري وكنت

أستطيع أن أضيع شرف كل واحدة منهن لكنه ليس مبدئي وشقيقتي

إن كانت مثلهن مستهتره وتبيع نفسها بالمال فتستحق ما سيأتيها"

قلت بضيق أكبر " ليست حجة يا أشرف ثم أنا لو كان

لي شقيق ما كنت لأتمنى أن يكون مثلك"

قال راميا بيده في الهواء " اتركينا من المثاليات الزائدة

وبسرعة ننهي الأمر لأنني أريد أن أنام"

وضعت يداي وسط جسدي وقلت " نم إذا من يمنعك وأنا لن

أتحدث مع واحدة أخرى مهما حدث ثم فراس يبدوا كان

يعلم بجوجو خاصتك وتلك الغيبة حينتي وأنا في سيارته

ورآها وسألني إن كانت تعرفني"

قال بعد ضحكة " بالتأكيد تعرفه ويعرفها فأنا عرفتها من خلاله"

فتحت فمي من الصدمة غير مصدقة))

نظرت لي وابتسمت ابتسامة خبيثة فقلت

" انتهى وكما اتفقنا ننتهي عند نهاية الصفحة"

أغلقتها وقالت " ترى من ستختار !! أنا أراها أصبحت تقتنع بوائل كثير"

قلت مبتسمة " لا تحكمني الآن فمزال أمامك الكثير"

قالت بحيرة " ترى هل فراس كأشرف يعرف جوجو وغيرها"

قلت بمكر " المرة القادمة سنعلم"

تنهدت وقالت بقلة حيلة " أمري لله سأنتظر"

قلت ونظري على ملامحها

"سما هل تعلمي عما تحدثت معي دعاء اليوم"

نظرت لي باستغراب بادئ الأمر ثم هزت رأسها

وقالت " لا بالتأكيد"

قلت " إن أخبرتك هل تعديني أن يبقى سرا بيننا"

قالت بحيرة " ولما تخبريني عنه"

قلت " أريد أن أتحدث مع احدهم فقط فعديني"

قالت من فورها " أعدك لن يعلم به أحد"

قلت " جاءت تخبرني أن أفهم من نزار إن كان يوافق

أن يتزوجها وتخدمني وتشاركه ادخار أموالها معه"

تغير لون وجهها وتوقف تنفسها من الصدمة فقلت

لأتأكد أكثر " وأنا فكرت أن أقنعه بالأمر"

امتلات عيناها بالدموع ثم وقفت لتغادر ، كما توقعت

إذا هي تحبه وهوا كالصخرة يتمسك بشعاراته التافهة

قلت بسرعة " اجلسي يا سما لم ينتهي الحديث بعد"

جلست تحاول أن تخفي وجهها فقلت " لكني لا أراها مناسبة له"

نظرت لي من فورها وقالت " ألن تقنعيه بها"

هزرت رأسي بلا وقلت " سأعرض عليه الأمر فقط

كما طلبت مني ولن أقنعه بها"

بقيت تنظر للأرض بشرود فقلت " هذا الموضوع كان

يشغل بالي ولم أرتح إلا حين تحدث عنه الآن ، سما لما

لا تفتحي قلبك لي ولو قليلا فأنا أراك شاردة الذهن أغلب

الوقت وحزينة أحيانا وأسئلتك تكثر عن فهم

مشاعرك ، تكلمي وسترتاحين بالتأكيد"

قالت بحزن " هل تكتمي سري ولا تسأليني عن شيء"

قلت بجدية " بالتأكيد فأخبريني فقط عما تريدين قوله لي"

*

*

نزلت قاصدا المطبخ فلفت انتباهي غرفة أُمي ضوءها لم

يظفاً بعد ، مؤكداً سما معها ولا بد وأنهما أعدا شيئاً ليأكلانه من

ورائي وأنا جائع ولم تشبيني البطاطا أبداً ، نزلت بخطوات

بطيئةً لأمسكهم بالجزم المشهود فاستوقفني صوت أُمي قائلة

"وكيف تحبين شخصا ولا تعرفي إن كنتي حقا

تحبينه وإن كان يحبك"

قالت سما بحيرة " لا اعلم خالتي كل الأمور التي

قلتها لي تنطبق عليه وأشعر بها فما يعني هذا"

قالت أمي بعد ضحكة " يعني وقعتي في الحب بنيتي

ولا تخافي منه فهذا شعور جميل فطر الله عليه

البشر فقط البعض شوهه"

تنهدت وقالت " لما يحدث معي هذا"

قالت أمي " أئن تخبريني من يكون"

ساد الصمت طويلا وأنا أنتظر أن أعرف من يكون ثم

قالت أمي " كما تريد بنيتي فلن أضغط عليك وأي

وقت تريدي إخباري تعالي وقولي لي لنجهز عليه معا"

سمعت حينها أصوات الأجراس في حذاء سما وخطواتها

تقترب قائلة " إذا تصبحين على خير الآن"

عدت أدراجي مسرعا ودخلت غرفتي وأطفأت النور وجلست

على السرير بذهن شارد ، ترى من هذا الذي تحبه سما ، هل

هوا حسام أم أحد مدرسيها وقد يكون حتى من حراسها ، آه نزار
يا مغفل كيف تحبهم وهي لا تراهم إلا للحظات ، قد يكون قريب
لإحدى زميلاتها تعرفت عليه ، حسنا وما علاقتي أنا بالأمر هل
سأحاصرها في هذه أيضا بحجة أن لا يفسدها أحد فالحب

شيء لا يمكن لأحد التحكم به ، اضطجعت على السرير

محاولا النوم لكن السؤال الذي لم يتركني أنام ولا اعرف لما
هوا من هذا الذي تحبه سما ولا تريد قول اسمه حتى لوالدي
رغم أنها حدثتها عن كل شيء يخص مشاعرها نحوه على ما
يبدوا ، نمت بعد وقت وعند الصباح وقفت في الأسفل أنتظرها

أن تنزل لأوصلها فنزلت ودخلت غرفة والدي وأنا اتبعها
فساعدتها لتلبس حجابها ككل يوم منذ جرحت يدها وودعتها
وخرجت تتبني ، كنت اليوم وكأني لأول مرة أراها وكله
بسبب الفضول ووجدت نفسي لا شعوريا أركز على ملامحها

وطريقة كلامها وابتسامتها لأراها بعين الشخص الذي تتحدث
عنه ثم خرجنا من المنزل وأوصلتها للمدرسة وكنت طوال
الطريق أراقبها إن كانت تنظر لسيارة حرسها خلفنا أم لا
فكانت لا تنظر لهم أبدا ونزلت للمدرسة ولم تلتفت ناحيتهم

ولم تتركها عيناى حتى دخلت المدرسة ، عدت بعدها
للمنزل لأن والدتي طلبت منى أن أمر عليها قبل حصصى
فما يكون هذا الأمر الذى لا يمكن تأجيله حتى أرجع
هل تريد أن لا تسمعه سما ولا بالمصادفة لذلك اختارت
وقت تغيبها عن المنزل أم هوا بخصوص الشخص الذى
تحدثت سما عنه معها !! ولكن ما علاقتى لتخبرنى عنه
قد تكون والدتى تعرف من يكون من حديث سما الدائم
عنه وستفتح معى الموضوع ذاته عن زواجها وتزويجها
وتقول ختام الأمر ها قد أضعتها من يدىك ، نفضت كل
تلك الأفكار التى سيطرت على عقلى اليوم ودخلت المنزل
وتوجهت من فري لغرفة والدتى

نظرت لها بصدمة وقلت " هل أنتى متأكدة يا سىلا"
هزت رأسها بنعم وقالت بهمس " متأكدة سيدتى ورأيتها
بعينى فكما تعلمى من كثرة ما أكلت من الكعك تلك الليلة
معدتى كادت تقتلنى وعندما كنت متوجهة للأسفل لأشرب

عصير الليمون عله يخفف ألمها رأيتها تحاول الدخول
لجناحك والسيد وحين رأني ادعت أنها تحمل الغسيل من
الأرض وتنهاي طريقها وأنا تعاملت مع الأمر بشكل طبيعي"
هزرت رأسي بيأس وقلت " هي خادمتها المقربة ورفيقتها

الدائمة ومؤكد فعلت ذلك بأوامر منها"

قالت " وما ستفعلين الآن هل ستخبرين السيد"
تنهدت وقلت " مؤكد سيعلم لكن عليا استغلال هذا الأمر
لتلقين تلك العجوز درسا فسأبحث ذلك أولاً"
قالت بتوتر " قد تطردني السيدة إن علمت فلا تخبريه
فقط أغلقي جناحكما بالمفتاح"

هزرت رأسي بلا وقلت " مستحيل لن أترك هذه الفرصة
تفوتني ولا تخافي لن تتمكن من طردك وهي تعلم ذلك
جيذا لأنها موقنة من أن جابر يثق بك ويعتمد عليك في
كل شيء ومنذ سنوات"

هكذا إذا تتجسس على ما نقوله ليلا لتعلم ما يجري من ورائها
عائلة تسكنك الرعب من أفكارها وتصرفاتها فيكفي ابنها الذي
كاد البارحة يوقف لي نبض قلبي حين سأل عن حملي ولو لم

يرن هاتفه الخاص بالعائلة وجعله ينتفض واقفا لتأخر الوقت

لكنت في خبر كان فأنا أعرف مدى ذكائه فهوا يقرأ حتى

الملاحم وردود الأفعال حين أجيب على سؤاله

"سيدة أرجوان أنا أحببتك ولا أريد أن يخسرک السيد

بسببها كما فعلت مع حسناء"

قلت باستغراب " وما دخلها فيما حدث مع حسناء"

فركت يديها بتوتر ثم قالت

"لا شيء فقط خمنت أن تكون هي السبب"

غريب فما أعلمه أنها كانت من اختيارها هي وهذا ما

فهمته من كلام جابر معها بخصوص زهور فلما ستتخلص

منها وسيلا لو كانت تعلم شيئا فلن تقول عنه لأنها في النهاية

خادمة ولن تتق في أحد ولا حتى أنا وقد تكون خمنت ذلك

فقط أو ترى أنها بسبب ما تفعله والدته هربت حسناء

نظرت لها وقلت " هل كانت السيدة الكبيرة تكيد كثيرا لحسناء"

قالت بعد صمت " لا أعلم سيدتي"

تنهدت بضيق تبدوا وفيه أكثر مما ينبغي أو خائفة فوق اللزوم

قلت " حسننا علاقة السيد بحسناء كيف كانت"

قالت " كما أخبرتك كانا يتشاجران دائما"

قلت بفضول " عن ماذا تحديدا ألا تعلمي"

قالت بعد تفكير " لم تكن تتحدث كثيرا كانت تبكي لوقت

طويل وفي مرة قالت أمامي أنها لم تعتد تحتمله

ووالدته وأنه يطيعها حد العبودية"

قلت بهمس " أستغفر الله فلا عبودية لغير الله"

إذا هوا كان يراها تتشكى وتنتقده وهي تراه تابع لوالدته

لم يبدوا لي كذلك أبدا أراه يحترمها كثيرا فقط ويعاملني حتى

الآن بالحسنى ، صحيح أنه جاف ومتحجر وغير موجود ولا

مبالي لكنه ليس سيء لسان أو طباع حتى أنه يتقبل مزاحي

أي ليس باردا كما كنت أراه ، آه منك يا جابر أذفع عمري

ثمنا لفهمك أو لترويضك وإن فعلتها سأكون أستحق وساما

ذهبيا من رئيس البلاد ولن يكون ذلك إلا حين ينطق بأم

لسانه أني مهمة في قلبه وليس حياته وانه لا يمكنه العيش

بدوني وأنه يحبني ، تنهدت وقلت بحسرة

"آه ياله من حلم بعيد المنال يا أرجوان"

قالت سيلا بحيرة " ما هوا ذاك"

وقفت وقلت " لا شيء لا تشغلي بالك وابقى

بالقرب من الأولاد حتى أعود حسنا"

هزت رأسها بحسنا مبتسمة ونظرت أنا لهم وهم

منشغلين بالقلعة وقلت " لا تتعبوا سيلا حسنا"

لم يجب أحد فابتسمت على أشكالهم وهم منسجمين في

اللعب حد أنهم لا يعون لما حولهم وترف الأناية تلك

تجمع الدمى في ثيابها حتى امتلأت ، خرجت من عندهم

وأنا مطمئنة مادامت سيلا معهم ونزلت للأسفل ، دخلت

المطبخ ووقفت وقلت للخادومات " الطابق الثالث لا يصعده

أحد غير سيلا إلا بأوامر مني مفهوم"

نظروا لبعضهم فقلت " لم أسمع ردا"

قالوا معا " مفهوم"

قلت مغادرة المطبخ " وأبلغوا الغائب بذلك"

ثم عدت للأعلى بعدما نفذت الجزء الأول من مخططي

مؤكد ستكسر تلك العجوز كلمتي وأنا من ستجعل جابر

يقولها لهم بنفسه وسأكسب جولة ثانية لإيهامها بأنني من
لا يعصي لها أمرا ، عدت للغرفة ووقفت عند الباب وقلت

"سيلا تعالي قليلا"

خرجت تتبعني وقلت بصوت منخفض

"أين خادمة عمتي تلك الآن"

قالت بهمس " مؤكد تنظف جناح السيدة الكبيرة أو

معها فيه لأنهما لم يخرجوا اليوم"

قلت وأنا اسبقها " اتبعيني إذا لننهي المخطط"

نزلنا للطابق الثاني ووقفنا مبتعدتين عن جناحها نراقبه

وانتظرنا قليلا حتى خرجت الخادمة فأشرت لها برأسي أن

نعود للسالم ثم نزلنا قبلها وكأنا لا نعلم أنها خلفنا وقلت

محدثه سيلا " كما اتفقنا يا سيلا أريد الليلة في غرفتي مميزة

وسأطلب من جابر العودة مبكرا فلا تنسي جلب كل ما أوصيتك"

قالت من فورها " بالتأكيد سيدتي لن أنسى شيئا"

قلت ونحن ننزل آخر العتبات " وكما قلت لهن جميعا لا

أريد غيرك في الطابق الثالث بأكمله اتفقنا"

ثم ابتعدنا عن مكان وجهتها وهي المطبخ وتركناها حتى

دخلت وعدنا للأعلى لتعود سيلا حيث الأولاد وتوجهت أنا
لجناحي استحمت وخرجت بمنشفة الحمام ملفوفة حول جسدي
وشعري الرطب يغطي ظهري وأكتافي وأخذت طلاء الأظافر
وجلست فوق السرير ، هوا يأتي الآن أغلب الأوقات وسألعب
لعبته حين يغريني بمنشفة الحمام يستعرض عضلاته وهوا
يعلم أن ذلك أكثر ما يرهق النساء ويلفت انتباههن
مضى وقت حتى شعرت بالضجر وبدأ شعري ينشف فدخلت
الحمام مجددا بللته هوا وجسدي وخرجت ، أسوء ما في هذا
الرجل أنه من سابع المستحيلات أن أحدد وقت عودته
ما أن خرجت من الحمام حتى سمعت باب الجناح يغلق
فقفزت على السرير من فوري وعدت لطلاء أظافري وأنا
اغني أغنية للعندليب عبد الحليم لأنني بصراحة لا أحفظ غيرها
كانت لي زميلة في الثانوية من كثرة ما كانت ترددها حتى
حفظتها عن ظهر قلب لأنني لم أكن أسمع الأغاني كثيرا
انفتح الباب وأنا عيناى على قدماي مدعية أني لم أشعر
به فوصلني صوته قائلا " من هذا الذي تهوينه"

نظرت له نظرة سريعة وعدت بنظري حيث

كان وقلت " أخبرتك سابقا شخص لا تعرفه"

دخل وأغلق الباب خلفه قائلا

" هل تعلمي ما عقوبة الخيانة يا سيدة أرجوان"

أدخلت خاتما في أصبع قدمي ومددتها له وقلت " ما رأيك

سمعت عن هذا وسخرت منه لكن يبدووا ليس سيئا"

خلع سترته ورمأها علي كعادته وقال

"البسي ملابسك قبل الخواتم"

أبعدت سترته عني وقلت بلامبالاة ونظري على

الخاتم رافعة قدمي قليلا " جناحي وغرفتي وزوجي

أرتدي ملابسني أبقى من دونها شيء يحق لي دائما"

خلع قميصه واقترب مني وجلس بجواري وأمسك

بالمنشفة وقال بمكر " وانزعيها إذا"

أمسكتها بقوة وقلت بضيق " جابر ماذا تفعل"

ضحك وقال " جناحي وزوجتي وأفعل ما يحلوا لي

ثم لا شيء خفي عني تستحي منه"

ضربت يده وقلت " وقح كان ذاك كله في شبه الظلام أم تظنني

مثلك تستعرض عضلاتك بمنشفتك كل ليلة"

شدني من خصري وقال " إذا تستعرضين أنتي أيضا الآن"

ابتعدت عنه بصعوبة وقلت " بسرعة سيد مشغول عليك أن

تدرك قضايك ماذا تفعل هنا للحمام فوراً"

وقف ورفعني من على السرير ودخل بي الحمام فقلت صارخة

وأنا أتمسك بعنقه " ماذا تفعل أخرجني الآن"

فتح على الحوض بقدمه لتدفق المياه له من كل جانب وقال

بسخرية " ما رأيك في أن تعيدي حمامك مجددا سيدة مشاغبة"

تمسكت به بقوة أكبر وقلت برجاء " أرجوك جابر لا"

قال " إذا"

قالت " إذا ماذا"

قال بمكر " تعلمين ماذا"

قلت وأنا متمسكة به ووجهي في عنقه " آسفة ولن أقولها مجددا"

قال " لم افهمها"

أبعدت وجهي وقبلت خده وقلت " فهمتها الآن بالتأكيد"

قال بصوت مبتسم " ليس بعد"

قبلته أخرى وثانية وثالثة حتى ضحك وقال " غيري المكان "

شهرت بصدمة فقال " زوجك وحمامك وفي جناحك فنفذي بسرعة "

أخفيت وجهي في عنقه مجددا وقلت " مستحيل "

قال " إذا للحوض ومن هذا العلو فلن أنزلك برفق "

تمسكت به وقلت بخوف " لا لا انتظر "

نظر لي وقال بابتسامة جانبية " أنتظر ماذا "

قلت " أنزلني أولا "

أرخی ذراعيه من تحتي فقلت بذعر " لا جابر لا "

قال بهمس " يداي تعبنا وستقعين مني "

قلت برجاء " جابر أنزلني ثم نتفاهم "

رفع رأسه للأعلى وقال " واحد ، اثنان "

أبعدت وجهي عن عنقه وقلت " توقف "

نظر لي بصمت فعضضت شفتي ثم قلت بهمس

" أغمض عينيك أولا "

هز رأسه بلا وشبه ابتسامة ترسم على شفتيه فقلت

" إن غرقت ستأخذ ذنبي "

زادت ابتسامته ولم يعلق فقلت

"وأخبر الأولاد أنك السبب يا رجل العدالة"

أمال رأسه وهمس في أذني قائلا " لا شيء ورائي غيرك"

قلت بسخرية " سنرى إن لم يرن هاتفك بعد قليل

وترميني للخلف وتركض له"

ضحك بلا شعور منه ثم قال

"حسنا ننتظر ونرى لكن إن تعبت فلا تلومي إلا نفسك"

خبأت وجهي في عنقه وقلت " أغمض عينيك جابر"

قال ببرود " قلت لا ثم من يسمعك لا يصدق أنك زوجتي من مدة"

هذه نتائج مشاغبتك ومخططاتك يا أرجوان انقلبت عليك

يا إلهي مما مخلوق هذا الرجل كيف يريد مني أن أفعلها

فأنا لم أفكر فيها سابقا ، ابتعد عن عنقه مسلمة أمري لله

تجنبت النظر لعينييه لأنني حينها سأفضل حوض الاستحمام

على فعلها ، قربت وجهي ببطء وأغمضت أنا عينايا بدلا

عنه ولا أعلم أي مشاعر انتابتني حين تلامست شففتينا

وكانه لم يقبلني قبلا فلم أعتقد أنه حين ستكون مني سيكون

الأمر مختلفا ، لم أزد على ما فعلت شيئا فأرخی يديه وكانه

سيوقني فتمسكت به بقوة لتتحول شبه القبله تلك لقبله حقيقيه

ولا أعلم أي جنون أصبح يقودني حينها لعل ذلك بحرفيه

وأي مشاعر اجتاحتني وأنا من يقدم على ذلك ويقوده وفي

غمرة ما كنا فيه جفلت وابتعدت عنه حين استفتقت لنفسي

ولم أعرف أين أختبئ منه فقلت هامسة ببحة وعيناي

ما تزالا مغمضتان " أنزلني "

وصلني صوته هامسا " أين بالتحديد "

قلت " للأرض طبعاً "

ضحك ضحكة صغيرة وقال " أعلم للأرض فأى أرض منها "

قلت بضيق " جابر أنزلني "

قال بمكر " افتحي عيناك لتفهمني "

فتحت عيناي ببطء ثم صرخت من الصدمة وغطيت

جسدي بالمنشفة جيدا فضحك وخرج بي من الحمام

ورماني على سرير الغرفة وقال وهو يتوجه للخزانة

" لا ينفدك مني في كل مرة سوى تعمدك لهذه الأوقات "

أخرج منشفة من هناك وعاد جهة الحمام فخرجت من

السرير وقلت وأنا أعدل منشفتي " جابر انتظر "

وقف مقابلا لي ودفعني بإصبعه من جبيني حتى أوقعني

جالسة على السرير وقال " أرجوان ابتعدي عني فلا وقت لدي"

ثم دخل الحمام وأغلقه خلفه فتأففت وتوجهت لغرفة الملابس

ارتديت فستانا قطنيا عند الركبتين وخرجت ، سرحت شعري

وتركته مفتوحا ثم نظرت لقدمي ومددت يدي لها ثم غيرت

رأبي وتركت الخاتم فيها ، وضعت كحلا وأحمر شفاه

وسمعت باب الحمام يفتح فرميته بسرعة في الدرج

وأغلقته فخرج حينها بالمنشفة فلم أستطع إمساك ضحكتي

فقال مبتسما وهو يتوجه نحو الخزانة " أرجوان يكفي يا طفلة"

توجهت نحو بذلة عمله وشغلت نفسي بنزعها من علاقتها

ثم التفتت له ومددت له بالبنطلون فأخذه ولبسه وأعطيته

القميص بعدها فمد يده وقال " ألبسيه لي ما تغير اليوم"

رميته عليه وقلت " اليوم لا"

مد خطوته وأمسك ذراعي وقربني له وقال

"تعالى ... تعالى ، ما تعنى باليوم لا"

قلت ونظري على صدره بالقميص الأبيض الداخلي

مشدودا عليه " لم أعني شيئا"

فلم أشعر سوى بقبلته المجنونة التي أشعر أنها اليوم غير
عن كل مرة ولا أعلم صدرت منه مختلفة أم أنا بث أشعر بها
مختلفة عن قبل ، وبعدها ابعث شفتيه وقد أتملني اتكأت على

صدره وقلت وبدون حتى أن أرتب كلماتي ككل مرة

" جابر كن بخير من أجلي"

وما أن أنهيت كلماتي حتى رن هاتفه فأحطت جسده بذراعي
بقوة وقلت بصوت ضعيف " اعطني بنفسك جابر من أجلي أرجوك"
طوقني بذراعيه وقال بصوت مبتسم " وأين الأولاد هذه المرة"
ابتعدت عنه دون كلام ورفعت القميص من الأرض وألبسته
له ثم ربطت العنق في صمت من كلينا وقلت وأنا

أربطها ونظري عليها " متى سترجع الليلة"

وصلني صوته قائلا " ولما تسألني على غير العادة"

توجهت للسترة وأمسكتها قائلة " هل ستتأخر كثيرا"

ألبستها له ولم يجب فلكرمت صدره بقبضتي بخفة وقلت

" جابر تكلم"

قال وهو يغلق أزرارها الفضية " يحق لي الصمت متى أريد مثلك"

بجانبه وقلت ونحن ننزل السلالم " هل أخرج بالأبناء ... مرة فقط"

قال وهو يعدل سلاحه " لا يا أرجوان وسبق وتحدثنا في هذا الأمر

ولا أريد أن نقول لاحقا ليت ما كان لم يحدث"

قلت بهدوء " وهاهم يخرجون للمدرسة"

قال وهو يتوجه جهة مكتبه في الأسفل " أفكر جديا في تدريسهم

في المنزل وحتى الامتحانات سيقدّمون عليها هنا"

فتح باب المكتب ودخل فتبعته قائلة " متى قررت ذلك"

وقف وقابلني وقال ببرود " أرجوان ما الذي تريدان الوصول إليه"

نظرت للجدار خلفه وقلت بتنهيذة " ما عساي أقول غير أمري لله"

توجه نحو الخزانة فتبعته وقلت " وحتى متى ذلك"

نزل مستندا بساقيه أمام المكتبة وقال وهو يفتح الرف

السفلي فيها " حتى تنتهي سلسلة الجرائم هذه"

ملت عليه وحضنته من الخلف مطوقة لعنقه بذراعي

وقلت بهمس " لم تخبرني متى ستعود الليلة"

أخرج شيئا من الخزانة ووقف وقابلني فقلت مبتسمة

" أعني هل ستعود مبكرا"

قال " ولما"

فتحته وورقت بعض أوراقه فكانت صور لفساتين خطوبة

واكسسوارات و عطور وماكياج ، ورقت باقي أوراقه

بسرعة ثم رميته على الأريكة وقلت بضيق

" لا تأتيني بشيء منه ثانيًا "

نظرت لي باستغراب فتنفست بقوة مهدئة نفسي ثم قلت

" حين يعود أعطيه له وقولي زهور قالت الأمر لا يحتاج "

هزت رأسها بحسنا دون كلام ثم قالت بهدوء حزين

" ستتزوجين وترحلي سيدتي لقد اعتدت عليك لسنوات كثيرة "

قلت بشروود وابتسامة حزينة " لا تخافي سأعود لك بسرعة "

قال بصدمة " ولما "

نظرت لها وقلت " اتركيني وحدي "

خرجت من فورها وتركتني وحدي فهذا حالي منذ أربع

سنوات إما معها أو وحدي ولو كان الأمر بيدي لبقيت من دونها

نظرت للخطوط في كف يدي لتعود لي الذكريات التي لا تتركني

" ((رضا ما تعني هذه الخطوط "

أمسك بكفي وقال وهو يتبعها بسبابته " هذا طريق

منزلكم وهذا طريق المدرسة وهذا طريق الشارع الذي

أهريك له لتلعبى فيه"

قلت بابتسامه " وهذا"

نظر لوجهى وقال بابتسامه " هذا طريق قلبى"

ثم نظر لكفى وقال وهو يتابعه بسبابته

" ويصل إلى منزلكم هنا"

ضحكت على الكلمات التى لم أفهمها حينها فرفع كفى

وقبله قبلة طويلة ثم غطى فعلته بمشاغبته الدائمة بأن

بدأ يعضه بأسنانه وأنا أضحك))

ضمت كفى لحننى وسافرت بي الذكرى مجددا لبعء ذاك

اليوم بسنوات حين أمسكه مجددا وقال ونظره عليه

" زهور هل تذكرى حين قرأت لك كفك فى طفولتك"

سحبته منه وقلت بخجل الأنثى

" لم تكن قراءة بل قل شرطى مرور"

ضحك بقوة ثم نظر لوجهى بتركيز وقال

" ليئه كان بإمكانى قراءته لأعلم عن مستقبلنا حبيبى"

غادرت من أمامه مسرعة وأنا أقول " والدتى ستفتقدنى

وقد تخبرها إحدى الخادمت عن مكاني وداعاً

وركضت عائدة للقصر ولا أعلم خروجي للحديقة في

ذاك الوقت من أجل الزهور أم لأراه وهل يأتي هوا من أجل

الزهور كما يقول أم ليراني ، أبعدت كفي عن حضني ووقفت

وتوجهت من فوري لمرآة الخزانة ونظرت لظهري فيها

وأنزلت حمالة الفستان لتكشف عن تلك الآثار بل عن

ذكرى ذاك الضرب الوحشي كي لا أنسى ما سببه لي

المدعو رضا وكي لا تتغلب الذكريات الجميلة على التعيسة

فلا أسوء من تلقي ذاك الضرب من ذاك الزوج سوى أنني

لازلت عروساً والأسوأ من كل ذلك أنني لا أفهم حتى السبب

قبضت على حمالة الفستان بقوة ونظرت للأرض لتتساقط

دموعي عليها ولا أعلم أبكي الماضي أم الحاضر أم ما بينهما

أعدت حمالة الفستان ثم مسحت دموعي وابتعدت عن المرأة

وعن كل أفكاري تلك ، ستنتقمين لنفسك يا زهور نعم ستأخذين

بحقك منه وتجريه ما جرعتك منه ومن نفس الكأس

خرجت لردة الجناح وتوجهت لحوض الأسماك وأنزلت

لهم الطعام من العلبة المخصصة له لينساب وسط الماء

ويبدوون التسابق له وأنا أشاهدهم بتركيز وأتابع حركتهم

بحدقتي عيناى لىبعدها عنهم طرقاى مبقطعة وخفيفة على

الباب وكأنها من أكأر من شخص ومن أىدى صغيرة

ومنخفضة الطول ، نظرت للباب مطولا بتركيز ثم قلت

"تفضل"

انفأ الباب لتظهر من خلفه فتاة قصيرة تقف على

أطراف أصابعها لتفأ مقبضه بجدىلتى لشعر بنى شدىد

النعومة وملامح جمىلة وابتسامة قالت خلالها

"عمتى زهور هل نأأ"

هذه ترف ابنة جابر إذا ، بقىى أنظر لها بصمت حتى انأفأ

للأمام بقوة لىظهر من كان خلفها وقال الفتى ملتفتا للخلف

"بىسان لا أأفعىنى"

ألأفأ لهم ترف بعمدا استوت فى وقفتها وقالت بضىق

"انظرا كىف أأأأمانى قبل أن تأذن لنا سأأبر ماما عنكما"

أأارت لها بىسان بىدها أن أأأ للخلف فرأضت بأأاهم

ووقفت معهم عند الباب ونظرت لى وقالت بأبأسامة

"لم ادخل عمتي أنتي هيئ لك فقط"

لم استطع إمساك ابتسامتي لتتحول لضحكة صغيرة

ثم قلت " ادخلي يا ترف"

دخلت وقالت وهي تتوجه نحوي ونظرها عندهم ملوحة

بيدها لهم " لم تقل أنتما قالت ترف"

فوضعت بيسان يديها وسطها ومدت شفيتها مستاعة ووصلت

ترف عندي وحضنت ساقي قائلة " كم أنتي جميلة عمتي أجمل

من بيسان وفستانك أجمل من فساتينها"

حملتها عن الأرض وقلت " أدخلنا بيسان أمجد"

دخلا وأغلق أمجد الباب وأجلست ترف على الأريكة وجلسا بجانبها

وجلست وقلت وأنا أتلمس جديلتها الحريريّة التي تصل لعنقها

"كانت فكرة من فيكم لتأتوا إلي"

قالت ترف من فورها مشيرة لهم بيدي " أصمنا أنا أجيب وحدي"

ثم نظرت لي وقالت وهي تمسك خيطا من خيوط فستاني

المتدلّية من كتفه " ماما قالت لنا وأذنت لنا أن نزورك

قليلًا ، أنتي جميلة عمتي"

أمسكت وجهها الصغير بيدي وقلت " وأنتي كذلك"

قالت بسرور " أجمل من أمجد؟"

لم استطع إمساك ضحكتي فقفزت من على الأريكة وقد

انتبهت للتلو لحوض الأسماك فألصقت وجهها به وبخار

تنفسها شكل دائرة عليه وقالت بدهشة " سمك حي"

نظر لي أمجد وقال " هل نقرب منه عمتي"

هزرت رأسي بحسنا فتوجه له هوا وبيسان أيضا وقالت

بيسان بصوت منخفض " ستري من ماما يا ترف ألم تقل لا

نتحرك ولا نلمس شيئا إلا إن أذنت لنا عمتي زهور"

لم تهتم لها طبعاً لأنها كانت تتابع حركة إحدى الأسماك

بإصبعها ونظرها عليها ولا تزال ملتصقة بالزجاج

ثم نظرت لي وقالت " ونحن لدينا قلعة فيها جنود كثييير

وأناس في الداخل لا يخرجون أبدا هل تأتي معنا لتريها"

قلت بابتسامة " في وقت آخر"

عادت بيسان وجلست معي على الأريكة وقالت

" ماما قالت لنا قليلا ونخرج"

قلت وأنا العب بغرتها الشقراء " لما قالت لكم أن تأتوا إلي"

رفعت كتفيها وقالت " هي قالت أنك تحبيننا وعلينا أن

نزورك لكن قليلا ومتى ما هي سمحت لنا"

قلت " ما أسم والدتك"

قالت من فورها " أسمها أرجوان هي كانت شقيقتنا نناديها ماما

ثم ظهر أنها ليست شقيقتنا ووالدنا حي ثم أصبحت معنا هنا

وترف تقول أن بابا اكتشف أنها ابنته أيضا"

توجهت ترف نحوي وقالت بحيرة " نعم ولكن ماما تنام معه

ونحن لا وهي ابنته مثلنا هل يحبها أكثر منا"

ضحكت هذه المرة ضحكة شعرت بها خرجت من عمق

قلبي فقالت بتفكير وأصبعها على فمها الصغير

"لكن ماما قالت أنهما متزوجان"

أمسك أمجد بيدها وقال وهو يسحبها معه

"هيا لنخرج هيا بيسان"

قلت " لما تريدون الخروج"

قال وهم يتوجهون نحو الباب " ماما ستغضب منا إن تأخرنا"

حيثني ترف عند الباب قائلة " سنأتيك ثانيًا"

ابتسمت لها وبادلتها التحية ثم ركضت بيسان عائدة

ناحيتي وقبلت خدي وقالت " وداعا عمتي "

ثم خرجت خلفهم وأغلقت الباب ، وأنا انظر لهم بذهول

لما والدتي ترى أن طريققتها فقط صحيحة في التربية

ها هوا أكبر دليل أمامها

*

*

" هل يمكنك التحدث سيدة عفراء "

قالت بصوت ضعيف متعب " قليلا "

قلت بهدوء " سأسألك وأجيبني بنعم أولا فقط ، لن أتعبك هذه المرة "

هزت رأسها بحسنا ثم قالت بتعب " هل ستسجنني "

قلت بابتسامة " لا أبدا "

نظرت لي باستغراب فقلت " سما تعرفينها مؤكدا "

انفتحت عيناها من الصدمة وقالت وتنفسها اطرب كثيرا

" سما مااااا بها اااااين هي "

أمسكت يدها وقلت " اهدني هي بخير وهي من أثبتت لنا

أنك بريئة من كل جرائم زوجك "

نزلت منها دمعة في طرف عيناها وقالت بهمس ضعيف

"مسكينة تلك الفتاة"

قلت بجديّة " عليك أن تساعدني وتساعدني"

هزت رأسها بلا وقالت " لا شيء لدي مفيد"

قلت " قد يكون غير مفيد بالنسبة لك لكنه مهم بالنسبة لنا"

هزت رأسها بحسننا فأريتها مجموعة صور لأشخاص إن

كانت رأتهم ولم تتعرف إلا لشخص واحد ثم أشارت لي بورقة

وقلم فقلت بأمر لمن خلفي " ورقة وقلم بسرعة"

مدهم لي وناولتهم لها فكتبت بيد مرتجفة (خالد الصقار)

ثم سقطت يدها وغابت عن الوعي فتقدم نحوها الأطباء وخرجنا

جميعنا ونظري على الورقة ، لم نخبرنا على الأقل ما علاقتها

به وعلاقته بهم ومن صاحب الصورة ، سلمتهم الورقة وقلت

"أريد كل من يحمل مثل هذا الاسم عندي في أقرب وقت"

ثم تابعت سيرتي قائلاً " اتصلوا بأسعد وعمموا الاسم على جميع

المراكز ولا أريد أن يخرج من البلاد كل من يحمل ذات الاسم"

خرجت من المستشفى وركبت السيارة متوجها للوزارة هذه المرة

*

*

قالت بهمس " جد حلا لابنتك هل يعجبك حالها"

نظرت لها وهي تغير ثياب عدي وقلت " أمازلت على صمتها"

تنهدت وقالت " وكأنها بكماء لا كلام ولا مدرسة حتى

الطعام تأكله بالحيلة"

تأففت في صمت فقالت " هل تحدثت مع معتصم"

قلت بذات الهمس " قال اتركوها قليلا وسيتصرف في الأمر"

وقفت بتول حاملة عدي بين يديها وصعدت به فقلت بأسى

"لم أتخيل أن تكون النتيجة هكذا وصمتها أكبر دليل على

إصرارها على الطلاق منه"

قالت ببرود " لم أوافقك منذ البداية فجد حلا لأفكارك"

وقفت وقلت " مادام رضا لم يؤثر فيها ويخرجها من صمتها سيبقى

جابر فقط فلن تصمد أمامه وسيجعلها تتحدث وإن مجبرة"

نظرت لي للأعلى وقالت " قد تكون لا تريد الحديث إلا معه ألم

تقل سأطلب من جابر أن يجبره على ذلك"

تنهدت بقلة حيلة وأخرجت هاتفي واتصلت به كثيرا ولا

يجيب لتصلني بعدها رسالة منه وفيها (أعذرنى يا عمي سأصل

بك فيما بعد إن كان ثمة شيء ضروري أرسله لي في رسالة)

أعدت هاتفي لجيبي وخرجت أتنفس النسائم الليلية ووقفت أميرة

بجانبى قائلة " ما رأيك فى الشاي فى الحديقة لم نفعلها منذ وقت"

ابتسمت وقلت " فكرة جيدة مادامت بتول تمسك عدى عنك"

ضحكت ضحكة صغيرة وقالت

"لا اعلم كيف سأصرف إذا ما ذهبت مع زوجها"

ضحكت كثيرا ثم قلت " ظننتها مدللة ولا تصلح لشيء"

سحبنتى نحو الطاولة قائلة " لا توجد أم لا تتذمر من ابنتها

لكنها يدي اليمنى وصغيرة ويعز عليا فراقها"

دخلت بعدها وأحضرت الشاي وقضينا وقتا كلياينا السابقة

*

*

دخلت القصر وأنا أنظر لساعتي ، لقد تجاوز الوقت منتصف

الليل بقليل وفقدنا المدعو خالد على ما يبدو لكن مخططي نجح

وعلمت أن ذراعا قوية وراء كل ذلك وأنا لست سوى غطاء

لأعمالهم ، ينقصني فقط أن أعرف من يكون أو يكونون هؤلاء

دخلت الجناح ولا شيء سوى الصمت ، أعادتني مبكرا لأجل

لا شيء وويلها إن كانت نائمة ، فتحت الغرفة وكانت خالية

اقتربت من السرير وكان عليه وردة بيضاء وبطاقة رفعتها

وقرأت ما فيها وكان مكتوب (مطعم النرجسة البيضاء يدعوكم

للعشاء على شرف حرمكم اتصل بنا قبل أن تأتي) ثم رقم

هاتف أرجوان وبعدها مكتوب (الدخول بمنشفة الحمام ممنوع)

ضحكت ووضعت الورقة في جيبتي ، أين ستكون تلك

المحتالة وما سر العشاء ولما ليس هنا!!

غادرت الغرفة والجناح بل والطابق كله ونزلت للطابق الثاني

وبما أنني عدت مبكرا بعض الشيء فهي فرصتي للحديث معها

طرقت باب الجناح عدة مرات حتى جاء ردها قائلة

"أدخل يا جابر"

دخلت ووجدتها تهتم بالجلوس فوصلت عندها وهي

قد استوت على الأريكة فقبلت يدها وجلست بجوارها

فقلت من فورها " عدت مبكرا الليلة"

قلت باختصار " نعم"

ثم تابعت " رضا يصر على عقد القران سريعا فانظري

وزهور ما ترتيباتكم للأمر"

قال من فورها وبيروود " زهور مطلقة وتعلم بنفسيتها فلن

توافق على حفل ولا شيء من ذلك"

نظرت للأرض وقلت " لكن رضا لم يسبق له الزواج ومن

حقه أن نفعل ما يريد"

قالت بذات برودها " وما الذي يريده"

قلت " حفلا ولو عائليا جدا"

نظرت للبعيد وقالت " أقنعها هي بهذا وليس أنا رغم

أني غير مقتنعة بكل هذه المهزلة ثم منذ متى كان رضا

رجلا للزواج وليس لديه سوى الورق والكتب وسبق

ورفضنا من يساوونه بعشر أمثاله"

قلت ببرود " اختيار زهور ولن نناقشها فيه"

قالت بضيق " ويوم ترجع مطلقة للمرة الثانية؟"

قلت بجدية " سأقف معها وتتزوج متى تريد ومن تريد"

وقفت وقالت بضيق " جابر لاحظ أنه لم يعد لي عندك رأي"

وقفت وقلت " وشيء آخر خلافاتك وأرجوان شيء

مثلما لا يظهر لي لا يظهر للناس"

نظرت لي نظرة ثاقبة وقالت " ما تعني بهذا"

قلت " أعني لا داعي أن يعلم الخلق أنكما لستم على وفاق

تاريخها وماضيها وسبب زواجي بها أشياء لا داعي أن تذكر لهم"
قالت بسخرية " وهذا كلامك أم كلامها وأنت لا تحظر تجمع النساء"
نظرت لها وقلت " تعترفين إذا أن ما قلته حدث بالفعل"
أشاحت بنظرها عني ولم تتحدث فقلت " أنا لم أراجع عن كلامي
وما بينكما لا دخل لي به إلا ما رأيته خطأ فسأغيره رغم أنف
الجميع وكلامك عنها أمام الناس شيء لم أحبه ولو فعلتها
هي لكان حسابي معها شديدا"
اكتفت بابتسامة سخرية دون تعليق وكأنها تقول لي كلام بدون
أفعال فقلت " إذا لا داعي لأن تجتمعا أمام الناس"
قالت بضيق " وما سأقول لهم وأسئلتهم لا تتوقف عنها"
قلت ببرود مغادرا " تتوقفين عن الكلام عنها أو لن تنزل لأحد"
خرجت من جناحها وأغلقت الباب ثم اتصلت بأرجوان
نصف مزاجي تعكر بقي الآخر ستكون جنت على نفسها
إن عبثت به ، أجابت بعد وقت قائلة " مرحبا سيدي بما نخدمك"
وقفت في نصف الطريق وقلت " أرجوان لست بمزاج لك"
قال بذات هدونها " عفوا سيدي الأكلة التي طلبتها غير موجودة"
قلت بشبه ابتسامة " لديكم واحدة بهذا الاسم تخرج

أو حسابها معي عسيرا"

قالت بتذمر " جابر ما بك بارد هكذا"

قلت بسخرية " وكيف عرفت اسمي يا آنسة"

ضحكت وقالت " أنا لست آنسة"

قلت بنفاد صبر " لدينا حجز على طاولة عندكم للعشاء"

قالت " تحت اسم من"

قلت وأنا أتابع سيرتي وأفتح كل باب أصله " لا أعلم"

ضحكت وقالت " كيف لا تعلم"

قلت " تحت اسم جابر حلمي"

قالت بعد قليل " هذا الاسم لم يحجز لدينا"

قلت وأنا أنزل للطابق الأول

"إن وصلت لك أريتك نتائج أعمالك هذه"

قالت ببرود " إن كان لك طلب سيدي ورائي عمل كثير"

قلت وأنا أتوجه جهة غرفة الطعام

"ابحثي عن اسم أرجوان فارس"

قالت " نعم موجود"

فتحت الغرفة فلم يكن هناك أحد فقلت

" أين مطعمكم هذا إذا فزوجتي تنتظرنني هناك"

قالت " نعم المسكينة كلما انتهت شمعة طلبت غيرها حتى

أكملت علينا الشموع في مطعمنا"

قلت بابتسامة وأنا أتوجه جهة المطبخ الداخلي

" أطردها إذا وارتاحوا منها"

قالت " أين أنت الآن لندلك على المكان"

قلت " في الطابق الأول يا متعبة وعند المطبخ"

ضحكت فقلت بضيق " نعم اضحكي سترين حسابك مني"

قالت ببرود " عذرا وما ذنبي أنا وأنا مجرد عبد مأمور في

قسم الاستقبال والحجوزات"

صعدت من الطابق لأنه من ضحكاتها ليست فيه بأكمله وقلت

وأنا اصعد الدرجات " أنا الآن في الطابق الثاني ولست

فيه طبعا لأنني فتشته"

قالت " اصعد بعد سيدي"

صعدت للثالث وقلت " والآن"

قالت " بعد"

قلت " أين فلم يتبقى سوا الجدران هل أتسلقها"

ضحكت ضحكة طويلة ثم قالت " كم هي محظوظة زوجتك

بك ومعها حق تنتظرك وتبدل الشموع منذ وقت"

قلت بمكر " هل تتغزلين في زبائنكم يا وقحة"

قالت بضيق " أنا لست وقحة ولعلمك زوجي له مركزه

وسينهيك من على وجه الأرض"

استندت ببدي على الجدار وقلت " حقا ... لقد أخفتني وما

تصنعين أنتي في مطعم وزوجك بمركز مرموق"

قالت ببرود " خصوصية لا أحد يتدخل بها"

ضحكت وقلت " ولعلمك أنا أيضا لي زوجة إن سمعتك

ستقطع لسانك لأنها تغار كثيرا"

سكتت حتى ظننتها اختفت فقلت " هيه أين ذهبت"

قالت " أصعد قليلا لتجد زوجتك وأرحني منك"

قلت بسخرية " لم أراك علق على جملي الأخيرة"

قالت " بسرعة زوجتك الغيورة أهلكها البرد"

قلت بصدمة " أرجوان يا غبية ما تفعلين هناك"

نهاية الفصل

التنزيل إن شاء الله بيكون أحد وأربعاء لوقت غير معلوم وبعطيكم

خبر لو تغير ودمتم بكل خير أحبتي

الفصل العشرون

قلت بصدمة " فرح ما معنى ما تتفوهين به"

أشاحت بنظرها عني وقالت ببرود

" أعني لن أترك شقيقتي ، إما أن تكون معي أو أكون معها"

وقفت وقلت " هل جننتي كيف تبقين هنا معها ثم في كل

الأحوال لن يسمح أحد ببقائكما وحدكما"

خرجت دون أن تضيف أي كلمة فنظرت لوالدتها وقلت

" يعجبك كلام ابنتك؟"

تنهدت وقالت " أنت تعرف مدى تعلق فرح بوسن ولن

ترضى أن تبقى مع نواس وهي بهذه الحالة"

قلت بضيق " نواس ليس طفلا وقال أنه سيتدبر الأمر وعلينا
أن نتق به وأخبريها أن لا تذكر هذا أمامه لأنني حينها سأزيح

تساهلي وتغاضيا عنها وسترى وجهها آخر لي"

ثم غادرت من عندها أيضا لأن غضبي وصل حده

ولا أريد أن أفرغه في أي منهما

*

*

مد لي يده وقال " وسن تعالي"

نظرت للوحد تحتي ثم ليده ثم ليده الأخرى وهي تمسكها

بقوة وكأنه لا يريد تركها ولا التخلي عنها ، عدت بنظري

له فقال بإصرار أكبر " وسن مدي يدك وتعالي"

عدت بنظري ليديهما الممسكتان ببعض وبدأت دموعي

بالنزول ثم فتحت عيناى فجأة لأجد أمامي سقف أبيض

نظرت من حولي فكانت الغرفة التي خرجت منها

متى عدت ولما !! شعرت بحرقه في حلقي وكأني كنت

أكتم بكائي ثم سرعان ما نزلت دمعتي حين تذكرت ذاك

الحلم بل الكابوس ، ضغطت قبضتي بقوة فشعرت بشيء

فيها فرفعتها لوجهي ونظرت لها فكان فيها ورقة مجعدة

رفعت يدي الأخرى لأفتحها وحركتها ببطء لأن المغذي

محقون في ظهر كفها ، فتحتها ونظرت للأسطر المكتوبة

(وسن قولي فقط أنك تريدان الزواج برغبتك أنتي

وسأزوجك بسليمان وفي أقرب وقت نواس)

قبضت عليها بقوة لترسل عيناى جيوش دموعها ، ما معنى

ما تفعله يا نواس هل تريد فعلا التخلص منى ، ليثني لم أقطع

ذاك الوعد لخالتي فكيف أنقضه وهو آخر ما أوصتني به

انقلبت على جانبي الأيمن وأخفيت وجهي في ذراعي وازددت

بكاء على بكائي ، تبا لك يا وسن ولقلبك أقسم لولا عهدي

لخالتي لما تزوجت أبدا ، سمعت طرقات على الباب ثم

دخل أحدهم واقتربت خطواته ويد مسحت على شعري

فأبعدت ذراعي ونظرت لها فكانت والدة فرح فجلست

بصعوبة وساعدتني هي على الجلوس قائلة

"كيف أنتي اليوم بنيتي"

قلت ببحة وأنا أجمع شعري بيد واحدة

"بخير ألبسيني حجابي"

وقفت من فورها وألبسته لي قائلة

"جواد في الخارج سآذن له بالدخول"

فتحت الباب وقالت كلمات لأحدهم بصوت منخفض ودخلت

ولحق بها جواد بعد قليل ووقف عند بداية السرير وقال

"كيف حالك الآن يا وسن"

قلت ونظري للأرض " الحمد لله"

قال بهدوء " عليك أن لا تهملني صحتك وطعامك ليقاوم

جسدك ويعيش فهوا أيضا له عليك حق"

قلت بابتسامة حزينة " الموت حين يأتي يقتل حتى المتخم بالأكل"

قال بصوت مبتسم " وإن يكن ، يموت شعبانا على الأقل"

نظرت له وقلت " أين فرح لم تأتي ، هل هي متعبة"

نظرا لبعضهما ثم قال جواد " سأنتظركما في الخارج يا خالة"

ثم غادر الغرفة من فوره ونظرت لها وقلت " ما بهما"

تنهدت وقالت وهي تجمع أدويتي " تشاجرا البارحة مرتين

وضننت أنه لن تطلع عليهما شمس الصباح وهما زوجان"

قلت بصدمة " لما ما الذي حدث!!"

مدت لي عباأتي وقالت " فرح تريد أن تبقى معك لتعيشا في

شقتكم وجواد رفض وهي تصر على ذلك وقالت له بصريح

العبرة طلقني إن كنت لا تريد أن تتركني برضاك"

قلت بضيق " هل جنت فرح أم ماذا"

اكتفت بالتنهد دون كلام فأوقفت المغذي بالبكرة وسحبته

من الإبرة وتركتها هي ثم لبست عباءتي بمساعدتها وغادرت

السريير وخرجنا ثلاثتنا من المستشفى ولا شيء سوا الصمت

طوال الطريق حتى رن هاتف جواد وأجاب عليه قائلا

"نعم يا نواس"

سكت لوقت ثم قال " أجل أخرجتها ولم يزد الطبيب شيئا

على ما أوصانا به بالأمس"

سكت طويلا ثم قال " سأرى وداعا الآن"

اتكأت على الزجاج أشاهد الطريق ، لا أريد أن ابكي أكثر

وعلى هذه الدموع أن تنشف والضعف أن ينتهي فلم أكن

هكذا يوما ضعيفة أمام عواطفني ، نزلت مني دمعة فمسحتها

سريعا من وجهي لكنها بقت تحرق قلبي بجرياتها عليه بدلا

عن خدائي ، أقسم أنني أتوق له بجنون ولهفة ارحمني يا رب

عندما وصلنا المنزل نزلت خالتي وبقيت في السيارة

وقلت لجواد " أخبر نواس يأتي وأنت معه"

ثم نزلت من فوري دون أن أسمع جوابه ولا تعليقه

ودخلت المنزل وتوجهت من فوري لغرفة خالتي فوجدت

والدة فرح عند الباب وقالت بهمس " نائمة"

هزرت رأسي وقلت بذات الهمس " أفضل حتى يصلأ أولاً"

ثم غادرت جهة غرفتي واضطجعت على السرير بعباءتي

وحجابي فوقفت خالتي عند الباب وقالت " ساعد لك شيئاً تأكلينه"

قلت بهدوء " لا رغبة لي في الطعام سأستحم فقط"

قالت بإصرار " بل ستأكلين وإن مكرهة فنواس صب

جام غضبه بنا ليلة البارحة وحملنا المسؤولية"

ثم غادرت من فورها ولا تعلم ما تركت بي ، أرحموني

أرجوكم أرحموني ولو من ذكر اسمه

وقفت وتوجهت للحمام رميت العباءة والحجاب عند

الباب ودخلت استحمت وخرجت ولبست تنوره طويلة

وقميص وجلست أجفف شعري بيد واحدة فدخلت فرح ثم

حضنتني من ظهري قائلة " وسن كيف حالك الآن حبيبتي"

قلت بعتب " لو كنت تحبينني ما أغضبت زوجك بسببي"

أخذت مني مجفف الشعر وبدأت تجفف شعري قائلة

"ليس وحده يحب شقيقه وتهمه كلمته وشخصيته"

قلت بهدوء " لنا حديث فيما بعد"

*

*

" أنسة ملاك انتظري قليلا"

التفت للصوت ونظرت لصاحبه بصدمة لأنه كان

الشاب الذي كان ذاك اليوم يجلس بعيدا وينظر لنا

قلت بحيرة " عذرا هل تعرفني"

قال مبتسما " نعم"

قلت " لكني لا أعرفك وأنت لست من هنا أليس كذلك"

هز رأسه بنعم فنظرت خلفه لدكتور المادة المقرب منا

وقلت باستعجال " اعذرنى عليا المغادرة"

قال وهو يلحق بي " انتظري قليلا فقط"

قلت وأنا أسير مسرعة " بعد المحاضرة أعذرنى"

دخلت قبل الدكتور بأعجوبة وجلست ألهمت فدخل قائلا

" أتمنى مرة أن أدخل ولا أجدك تركضين أمامي"

قلت بصوت منخفض " وأن لا تنتقدني"

ضحك من سمعني بأصوات منخفضة فالتفت لنا

وسكت الجميع ثم قالت إسراء هامسة

" ما بهم جميع دكاترة المواد عليك يا ملاك"

قلت ببرود " يغارون مني"

وأضيت المحاضرة لا أعلم مما يقول شيئا وبالي مع

وسن من جهة لأنها لم تجب طوال ليلة أمس على هاتفها

ولا حتى فرح ومن جهة أخرى مع ذاك الشاب الغريب الذي

تركته خلفي ، وما أن انتهت المحاضرة حتى خرجت من

فوري وسمعت صوتا خلفي مناديا " ملاك"

التفت له فكان ظلال وقف أمامي وقال

"ماذا بشأن عملنا على رسالتنا لقد توقفنا كثيرا"

قلت بقلة حيلة " أنا آسفة حقا لكنك تعلم بظروف

وسن وما مرت به ولا أريد أن تشعر أننا استغينا عنها"

قال " دعونا نؤجلها للعام القادم ونتفرغ للمواد فقط هذا العام"

قلت بصدمة " ولكن ظلال أنت"

قاطعني قائلا " نعم أحتاج أن أخرج هذا العام لكن

عليا تقدير ظروفكم"

قلت بحيرة " سأرى ظروفى أيضا إن ساعدت أن

أمدد دراستى حتى العام المقبل"

قال " حسنا انظري ما يحدث معك أولا ثم نقرر"

هزرت رأسى بحسناً فقال " الشاب الذى كان

يتكلم معك قبل المحاضرة هل تعرفينه"

هزرت رأسى بلا دون كلام فقال " كوني حذرة من الغرباء

يا ملاك فأنا أراه يراقبك منذ أيام ومن بعيد"

قلت بصدمة " ولكن لماذا!!"

قال مغادرا " لا أعلم فقط كوني حذرة منه وإن

احتجت شيئا لا تترددى"

بقيت أنظر له بصدمة وهو مغادر ، لا أعلم من فيكما

يراقبنى فكيف علمت أنت عنه !! خرجت بحثا عنه ولم

أجده وكأنه تبخر واختفى ، نظرت لساعتي ثم أخرجت

هاتفى واتصلت بوسن فأجابت فقلت بسرور

"وسن شغلتنى عليك كنت سأذهب لك حالا إن لم تجيبى"

قالت بهدوء " أنا بخير وسأداوم خلال أيام لا تقلقي "

قلت بارتياح " هذا خبر جيد وسأساعدك فيما فهمته وانتبهت

له وستستعينين بطلال كثيرا لأنني أجلس وبالي معك "

قالت بذات هدونها " لا بأس وشكرا لك يا ملاك "

قلت بحيرة " وسن مابك هل حدث معك شيء "

قالت بحزن " لا شيء مهم ، سنتحدث لاحقا وداعا "

نظرت للهاتف بحيرة ثم دسسته في حقيبتي وغادرت

الجامعة عائدة للمنزل ، وصلت وفتحت الباب ودخلت لأقف

مكاني من الصدمة وأنا أرى الجالس هنا في وسط المنزل

بكل جبروته وسلطته المعتادة فقلت بارتباك " أب - ي "

قال بجدية " جيد لم تتأخري "

أغلقت الباب بعدما استفتقت من صدمتي واقتربت منه

قبلت يده وقلت بخوف " كيف حالك "

قال " بخير أجلسي "

جلست وحمدت الله في قلبي مئة مرة أي لم أذهب لزيارة

وسن في منزلها لكنت تأخرت وقطع لي رأسي اليوم أو

أعادني معه لمنزلنا وزوجته ، طال الصمت فقلت

"كيف هم إخوتي"

قال باختصار " بخير وما هي أمور دراستك"

بلعت ريقى لأكتشف جفاف حلقي تماما ولم أجد ما

أبلعه ثم قلت ونظري لم أرفعه فيه أبدا

"جيدة فقط رسالة التخرج تأخرنا فيها قليلا"

قال بجديته ذاتها " ولما"

شعرت بمشاعر لا أعرف بما أصفها قد تكون كالرغبة

في البكاء كالأطفال فلم يزرنني والدي هنا سابقا وكان يتصل

بخالي كثيرا فقط فزيارته لن تكون لأمر طبيعي وكثرة

أسئلته أيضا ، قال بحزم " لما تأخرتم"

قلت بتلعثم " لأن لـ - أن زميلتي لديها ظروف منعتها

من المداومة هذه الفترة - مرة"

لم أسمع سوى حركة مفاتيحه فدست رأسي بين ذراعي

لأن ذكرى ضربه الدائم لي بهم لم تغب عن بالي ، كنت

أغض عيناى بشدة مختبئة عنه حين وصلني صوته

قائلا " هل تحدثت والدتك معك"

رفعت رأسي من ذراعي حين لم تصطدم مفاتيحه بي

ونظرت له لأول مرة من دخولي فقال " تكلمي "

قلت بصوت ضعيف " لا "

نظر لي نظرة حادة وقال بحزم " لا تكذبي عليا يا ملاك "

قلت من فوري " أقسم لم يحدث ، فمنذ اتصالي في العيد

حين سمحت لي بأن أكلها لم أتحدث معها أقسم لك "

وقف حينها قائلاً " متى ستنتهي دراستك "

وقفت كالمسوعة ، سيأخذني من هنا بالتأكيد لا يا رب ستكون

نهائتي ، أمسكت يده وقبلتها وقلت برجاء " أبي أتركني هنا أرجوك "

جمد مكانه ولم يبدي أي ردة فعل ثم استل يده مني ووضعها على

رأسي وقال بجدية " انهي دراستك ثم لكل حادث حديث "

ثم قال مغادراً جهة الباب " اتصلي بوالدتك "

وفتح الباب وغادر وأغلقه خلفه على نظراتي المصدومة

*

*

دخلت ونظرت يمينا ويسارا وقلت " ألم يرجع نواس بعد "

قال وليد " لا ... هل من خطب "

تنهدت بضيق وقلت " أين يختفي ولا يجيب على هاتفه "

رفع كتفيه وقال " عاداته هل سيشتريها"

ثم نظر جهتي وقال " سأعادر ومعاذ للمخازن هل ترافقتا"

قلت مختصرا " لا"

ثم تركته وتوجهت جهة منزل المزرعة دخلت وطلبت من

راضية أن تنادي لي مي وما هي إلا لحظات ونزلت من السلالم

ووصلت عندي وقالت " مرحبا جواد كيف حالك والجميع"

قلت بهدوء " بخير جميعنا هل كلمك نواس أو تحدثت معه"

قالت " لا هل هناك خطب ما"

قلت " جربي الاتصال به فهو لا يجيب"

توجهت للأعلى مجددا ثم نزلت بعد وقت وقالت

"لم يجب أيضا لكنه أرسل لي أنه قادم بعد قليل"

هزرت رأسي بحسننا وقلت " سأجلس انتظره إن لم يزعجك ذلك"

قالت من فورها " أبدا المنزل منزلك قبلي ، هل أجلب لك شيئا تشربه"

قلت بامتنان " لا وشكرا لك يا مي"

ثم غادرت هي وجلست ورأسي للأرض بشرود أحاول أن

أجد حلا ولو واحدا لمشاكلنا وبالي مع رسالته

(أخرج وسن من المستشفى وأسألها ما قررت)

لكني لم أسألها حتى أفهم منه وزاد الأمر غموضاً طلبها

أن تأتي معاً ، بعد قليل دخل نواس من الباب فوقفت

وقلت " اشرح لي حركات الصبيان هذه"

توجه نحوي وقال ببرود " جواد احترمني"

قلت بضيق " لما لا تجيب علي هاتفك"

جلس وقال " ها قد جئت بنفسي ، ماذا حدث معك"

جلست وقلت " في ماذا"

قال ونظره بعيد عني " فيما طلبت منك"

قلت " لا شيء"

نظر لي بجمود فقلت " وسن تطلب رؤيتنا معاً"

نظر لي مطولاً بحيرة ثم قال " هل سألتها وتحدثت معها"

قلت باختصار " لا"

قال " ولما"

أبعدت نظري عنه وقلت " لا أعلم"

قال بضيق " ما يعني لا تعلم"

نظرت له وقلت بجديّة " نواس ما الذي حدث بينكما"

نظر للأرض وقال " خيرتها في وعدي لوالدي "

قلت " كيف !! لم أفهم ! "

رفع رأسه وتنهد وقال " وعدتها أن أتزوجها أو "

أزوجها سليمان تحديداً "

قلت بعدما استوعبت الأمر " وأنت الآن وضعت "

الأمر في اختيارها "

لأذ بالصمت ولم يتكلم فقلت " وهل تعلم هي أنك الخيار الثاني "

هز رأسه بلا فقلت " وهل ستزوجه بها فعلاً "

تنفس بقوة ثم قال " بل أنت من سيزوجها "

قلت بصدمة " ماذا!! "

قال ببرود " سأؤكلك لذلك قبل سفرك "

قلت بضيق " هل جنت يا نواس ، مادمت مجنوناً بها "

هكذا زوجها لنفسك وأرحم قلبك "

نظر لي وقال بغضب " احترت معكم إن رفضت تزويجها "

طلبتم مني أن أرحمها وأتركها وإن وافقت زواجها طلبت "

مني أن لا أفعل وفي النهاية أنا الظالم المتجبر المتعطرس "

الذي يمسكها لينتقم منها ، ها أنا سأخلصها مني إن كنت

سأكبر في أعينكم"

وقفت وقلت " زوجها أنت له إذا"

نظر للجانب الآخر وقال " مستحيل"

ضغطت قبضة يداي وقلت بحرقة " نواس لا تقتل نفسك بها"

وقف وقال " سأخرج للإسطبالات هل ترافقتي"

قلت " بل نعود للعاصمة المشاكل كلها معلقة هناك

ويبدوا وسن تريد حلها"

نظر لي باستغراب فقلت " تشاجرت وفرح البارحة

لأنها تريد البقاء مع شقيقتها"

هز رأسه بياس ثم قال مغادر " أنتظرك في السيارة فلنرى

إن كان الحل في زواجها من سليمان ذاك"

تبعته بقلة حيلة ، أقسم أنهما يقتلان أنفسهما قبل بعض

ركبت سيارتي وغادرنا للعاصمة وصلنا ونزل هوا قبلي

وانتظرتني حتى نزلت واقترب مني وقال

"ما ستختاره هي سننفذه"

هزرت رأسي بياس وقلت " تحمل النتائج إذا وأنا لن أتدخل"

دخلت قبله وهو يتبعني وفتحت الباب ودخلنا للداخل

فقابلتنا والدة فرح قائلة " إنهما في غرفة وسن"

ثم توجهت هناك ونحن نتبعها ودخلنا فكانتا هناك ، كانت

وسن تجلس على السرير وفرح تقف عند النافذة المغلقة

مولية ظهرها للجميع ، جلس نواس ووالدة فرح على

الكرسيين هنا وبقيت أنا واقفا فقالت وسن

"فرح تعالي"

اقتربت منا تتجنب النظر لي وتابعت وسن

"تسافرين مع زوجك يا فرح"

نظرت لها تود التحدث فقالت بجدية " قلت تسافرين

معه فبقائك من اجلي أنا لا أوافق عليه"

نظرت للجانب الآخر وقالت وسن

"وتعندري منه الآن لأنك المخطئة في حقه"

لم تتحرك من مكانها فقالت وسن بحزم " فرح إن كنت

شقيقتك وتحترمينني تعذرين من زوجك الآن"

قالت ببرود " أنا لم أخطأ"

فتحت وسن فمها لتتحدث فأسكتها بيدي وأشرت لها أن تترك

الأمر لي وقالت فرح " لن أسافر وأتركك يا وسن إلا ميتة

يخرجونني جثة من هنا"

تنفست بقوة وقالت " أتركوني ونواس وحدنا"

نظرنا لبعضنا باستغراب ثم خرجنا الواحد يتبعه الآخر

وأغلقت الباب خلفنا وتوجهت حيث فرح في غرفة الجلوس

وقفت عند الباب وقلت " هل نستطيع التحدث بعقل الآن"

قالت بضيق " نعم فأنت تراني مجنونة"

تأففت وقلت محاولا تهدئة نفسي " فرح لا أحد ينكر عليك

أن تحبي شقيقتك لكن هل من العقل بقائك معها وبقائكما وحدكما"

كتفت يديها لصدرها وقالت ببرود مشيخة بنظرها عني

"نبقى ووالدتي كالسابق"

قلت بضيق " في السابق كنت أنا معكما أغلب الوقت

الآن تغير كل ذلك"

سمعنا حينها ضربة قوية لباب المنزل وقالت فرح

بسخرية " اذهب وانظر لنتائج ما خلفه بعده مؤكد أهانها

قبل أن يغادر ويكفي الباب المخلوع عليها ، لا اعلم

أي قلوب هذه التي لديكم وأنتم أبناء خالتها"

تنهدت وقلت " نواس سيزوجها وعليك أن تسافري

معي وانتهى يا فرح مفهوم"

نظرت لي بصدمة ثم قالت " يزوجها بمن" !!

قلت ببرود " ولما ستهتمين أليس المهم عندك أن تتزوج"

وقفت وقالت " وذاك يوم السعد فسلیمان ينتظر"

هزرت رأسي وقلت بأسى " لا اعلم لما لا تفكرين

في مشاعر شقيقتك ومصاحتها"

قالت مغادرة من أمامي " مصاحتها في أن تبتعد عن شقيقتك"

أمسكتها من ذراعها وقلت " لم ينتهي حديثنا بعد"

قالت مبتهجة " انتهى الأمر مادام سيخلصها منه"

ثم غادرت وتركتني فدخلت وجلست على الأريكة وأشعر

أنني أنا المهموم أكثر منهما ، والدتي رحمها الله ما اختارت

أن يتزوجا إلا لأنها تعرف أنه لا حل غيره ، ليثها لم تربط

سليمان مع وعده لها لأنني أعرف نواس حينها سيلتزم به

مهما كان ضد رغبته ، أمسكت رأسي بيدي جالسا مكاني

لوقت حتى دخلت فرح مجددا وقالت بقلق

"حالتها لا يعجبني ولا تريد أن تقول غير أنها قالت له"

قاطعها صوت رنين هاتفها فكانت مي فأجبت عليها

وقالت من فورها صارخة ببكاء " جواد الحق شقيقك بسرعة"

دخلت غرفتها ألقيت التحية وجلست أمامها وقلت

"نعم يا أمي ما هوا هذا الأمر الذي لا يحتمل

التأجيل حتى أعود من المدرسة"

قالت بهدوء " بخصوص دعاء"

نظرت لها باستغراب فتابعت " لمحت لي شيئا عن قبولها

الزواج بك ومساعدتك في ادخار المال وعلاجي"

بقيت لوقت أنظر لها محاولا ترجمة كلماتها ثم قلت

"كيف لمحت !! لم أفهم"

قالت بتذمر " لمحت وانتهى ليس هذا موضوعنا"

قلت بضيق " وما هوا موضوعنا إذا"

قالت ببرود " موافق أو لا"

قلت بسخرية " أمي بالله عليك هل أنا فتاة

يطلبونها للزواج ويأخذون رأيها توافق أو لا"

قالت بابتسامة " لو كنت فتاة كنت زوجتك منذ زمن

فتبدوا ممن خلقهم الله يعشقهم البشر"

قلت بتذمر " أمي هذا ليس وقته"

قالت " الفتاة شبه عرضت نفسها عليك فما رأيك وانتهى"

وقفت وقلت " مهزلة لم أتصور أنك بعقلك الكبير تقولينها لي"

قالت بجدية " أجلس كلامنا لم ينتهي بعد"

نعم لم ينتهي بعد فالمفيد لم أصل إليه ، جلست وقلت

" أعلم ما ستقولين فتاة محترمة وجيدة وستساعدني من

جميع النواحي وجوابي انسي الأمر يا أمي"

قالت مبتسمة " ومن قال أني كنت سأقول ذلك"

قلت باستغراب " هذا كان رأيك بها سابقا"

حركت كتفها وقالت " نعم وأنت رفضت"

قلت " أنتي تعلمي أنها من فتش الغرف وخرب الطعام يومها"

نظرت لي بجمود فتابعت " وتحدثت مع سما واستفردت

بها هنا تهددها أن لا تحاول استمالي وأن لي

خطيبة أحبها وسأعود إليها"

رمشت قليلا بصدمة ثم قالت " دعاء فعلت كل هذا" !!

قلت ببرود " نعم إلا إن كنا سنكذب سما"

قالت بحيرة " سما لا تكذب أبدا لكن لما تفعل

دعاء ذلك فليست تلك أطباعها"

قلت بسخرية " هذا درس لنا كي لا نتق في أحد خصوصا النساء"

قالت ببرود " خطأ ... لا تحكم على البشر من نفس المنظور"

قلت بضيق " بلى كلهن يكذبن ويتلون لأجل تحقيق

مآربهن فلم أرى غير هذه النماذج"

تنهدت وقالت " ألهذا السبب ترفضها؟؟"

قلت ببرود " لا طبعا فالفكرة ملغية عندي من أساسها"

قالت بضيق " نزار فارق جنونك هذا ، فأنت ترفض دعاء شيء

يخصك لكن أنت ترفض فكرة الزواج شيء لن أقبله تفهم"

نظرت للجانب الآخر وقلت

"مؤقتا على الأقل وارحميني يا أمي رجاء"

تأففت في صمت فنظرت لها وقلت " أعلم ما ستقولين

أضعتها وتضيعها حتى تصير لغيرك"

قالت بصدمة " من !! دعاء "

ضحكت كثيرا ، أُمي أنا أسبح في وادي وأنتي في وادي

آخر ، قلت بعدما انتهى ضحكي " سما طبعاً"

تجاهلنتي هذه المرة ولم تتكلم ، غريب ليس طبعها وأنا من

ضننت أنها ستلمح لهذا الأمر ! هل تكون تجهل الشخص

الذي حدثتها عنه سما أم تتعمد عدم الكلام ، وقفت وقلت

"لن أمد يدي لغيري مجددا ... وامرأة خصوصا"

قالت بجدية " فقط"

قلت باستغراب " ما تعني فقط"

قالت ببرود " أعني هل هذا هو السبب فقط"

قلت مغادرا " نعم ولا أريد نسخة جديدة عن رهام

فأفهميها الأمر كما يحلو لك"

وغادرت المنزل متوجها للمدرسة ، قال أتزوجها قال هل

جننت لأعود نفس الخطأ فحتى إن فرضنا وتزوجت فلن

تكون إلا واحدة معدومة لا تملك ولا حتى وظيفة كي

لا تتبجح عليا بتصدقها علينا بمالها فيما بعد

لكن الغريب أن والدتي لم تفتح موضوع زواجي بسما علي

غير العادة ويبدووا اقتنعت أنها تحب شخصا ولن تكون لي في

كل الأحوال حتى أنها لم تتكلم عن موضوع تزويجها بأحد

أمي لا تسكت دون سبب أعرفها جيدا ومؤكدا تدبر لأمر ما

*

*

نظرت لها فوقي وقلت " ترى ما سر بتول تغيبت كثيرا

عن المدرسة ولا تجيب على هاتفها"

جلست بجانبها وقالت بحيرة " نعم غريب أمرها كنت أود

زيارتها في منزلهم لكن والدي منعي"

فتحت حقيبتي وقلت " نزار يعرف أبناء عمها سأطلب

منه أن يسألهم عنها"

نظرت جهتي وقالت بابتسامة

" ما حدود علاقتك بالنزار الوسيم ذاك"

نظرت لها باستغراب فضحكت وقالت

" أعني قريب فقط صديق أم حبيب أو خطيب"

وقفت وقلت " ريحان ما هذا الجنون الذي تقولينه"

وقفت وقالت " سألت فقط ثم أنا وضعت جميع الاحتمالات"

وضعت الحقيبة على كتفي وقلت " لا شيء من كل ذلك"

قالت بصدمة " كيف أليس قريبك" !!

توجهت نحو البوابة قائلة " لا أريد التحدث في كل هذا"

خرجت وكانت سيارة نزار تنتظرني فتوجهت نحوها

وركبت ملقبة التحية فأجاب وانطلقنا في صمت حتى قال

"سيارة الحرس ليست خلفنا هل لاحظت ذلك"

نظرت في المرآة وقلت " صحيح لم ألاحظ"

ضحك وقال " ألم تنتبهي أنها غير موجودة حين

خرجت من المدرسة"

نظرت له وقلت " لا لم أنتبه ولكن لما"

قال ونظره على الطريق " جابر يبدووا اكتشف أن اللعبة

أكبر مما نتصور جميعنا وبات يخاف عليك حتى من رجاله"

قلت بحيرة " لم أفهم" !!

قال " ما فهمته أن ثمة جواسيس ينقلون جميع تحركاته ويبدووا

أنهم من الشرطة لأنه لو كانوا من رجال التحقيق لعرفوا بمكانك"

بقيت انظر له بحيرة فنظر لي للمحة ثم عاد بنظره للطريق

وقال " لقد قتلوا زوج عفراء وهي في المستشفى الآن

ويحاولون قتلها بأي طريقة"

شهقت بصدمة وقلت " الخالة عفراء وجدوها"

هز رأسه بنعم دون كلام ثم قال " وأي دليل يحصلون عليه

يقتلونه فوراً أو يخرجوه من البلاد لذلك قام جابر بإبعاد الحرس

عنك تحسباً لأي طارئ ماداموا لم يعلموا بمكانك حتى الآن"

نظرت لحقيبتني في حجري وقلت بحزن

"أخاف أن يؤذوك أنت وخالتي أيضاً بسببي"

لأذ بالصمت مطولاً ثم قال " ما تعني بهذا يا سما!!

قلت بحزن " أعدني للقبو فإن أمسكوني أموت وحدي"

أوقف السيارة فجأة حتى كدت أصطدم بمقدمتها ثم نظر

لي وقال بضيق " سما لا أسمع منك هذا الكلام مجدداً مفهوم"

قلت بصوت ضعيف " ولكن"

قاطعني بحدة " سما لا تكرريه أمامي ولا تفكري

فيه وتنفذيه تفهمي"

نزلت دموعي دون شعور مني وبدأت أمسحها فقال

بهدوء " آسف لم أقصد الصراخ بك"

هزرت رأسي بلا وقلت " لست غاضبة منك لكني

حقا لا أريد أن تتأذوا بسببي"

انطلق مجددا وقال " لن يتأذى أحد لا تخافي فوالدك

حصنكم جيدا قبل موته"

نظرت له وقلت " وماذا عن دعاء ومعرفتها بتلك الأمور"

قال ونظره على الطريق " تحدثت معه في الأمر وتحري

عنها وعلم أن شقيقتها من والدتها إحدى طالباتي ودرست معك"

قلت بصدمة " وكيف لم تعلم بها"

نظر لي ثم عاد بنظره أماما وقال " لا تحملان نفس

الاسم لأن والدهم ليس والدها وهوا طلق والدتها

منذ سنوات ولم أكن اعلم عن اسمه"

قلت بعد تردد " منذ كم من السنوات تعرفونها"

قال بعد صمت " كانت صديقة مقربة لرهام

وعرفناها من خلالها"

قلت بهدوء " وكيف تتقون بها وهي صديقتها"

وقف حينها أمام المنزل وقال بضحكة وهو ينزل

"معك حق ما كان علينا أن نتق بمن يصادق أمثالها"

بقيت أتابعه بنظري وهو يتوجه لباب المنزل ليفتحه ، ترى

هل فعلا لم يعد نزار يحبها ؟ ولكن تلك الصورة تبين غير ذلك

فهل الحب أمر ينسى بسهولة ويتوقف متى نريد ، نظر لي

وأشار أن أنزل فنزلت بسرعة ودخلت خلفه وأغلقت الباب

وتوجهت من فوري لغرفة خالتي قبل حتى أن أصعد لغرفتي

دخلت وقبلت رأسها وجلست بجوارها فقالت مبتسمة

"كيف كان يومك"

قلت مبتسمة " جيد وأنتي"

ضحكت وقالت " أنا لا ينفع معي هذا السؤال فأيامي كلها متشابهة"

نظرت ليدياي وقلت بتردد " أعني ما قال لك نزار بشأن دعاء"

مسحت بيدها على خدي وقالت " قال أن لا افتح موضوعها مجددا"

نظرت لها وقلت " رفض طلبها"

هزت رأسها بنعم مبتسمة فقلت باندفاع " ذلك أفضل"

قالت بابتسامة جانبية " أفضل في ماذا"

وقفت وقلت " أعني أفضل أن لا يتزوجها هي فهي لا تستحقه"

قالت بلهجة لم أفهمها " من التي تستحقه إذا"

نظرت للأرض وقلت " لا أعلم المهم هي لا تستحقه"

لم تتكلم فرفعت رأسي ونظرت لها وقلت " هل ستخبرينها بذلك"

قالت مبتسمة " بالتأكيد"

قلت بعد تردد " بمن سيتزوج إذا أم سيبقى دون زواج"

رفعت كتفيها وقال بذات لهجتها الغريبة تلك

" من الذكية التي ستعرف كيف تجعله يتزوجها"

قلت باستغراب " ألم يخبرك شيئا"

هزت رأسها بلا ثم قالت " قال أن الموضوع مؤجل قليلا"

تنهدت وغادرت من أماها فوصلني صوتها قائلة

"يراك صغيرة على الزواج ويؤجل هوا الموضوع ذاته

أي قد افلح في إقناعه بك بعد وقت"

حضنت حقيبتني بقوة من كثرة خجلي وقلت وأنا مولية

ظهري لها " خالتي ما هذا الذي تقولينه"

ضحكت وقالت " نؤجل الأمر قليلا كما قال فأنتي لديك

شخص تحببته ونزار ضاعت منه الفرصة"

خرجت من عندها وصعدت لغرفتي راكضة ودخلت

وأغلقتها خلفي ووقفت على الباب وقلت بهمس

"ماذا إن علمت أنه هوا المعني بما قلت"

آه بث أشعر أحيانا أنني أريد الالتصاق بالجدار الفاصل

بين غرفتي وأنا لأكون أقرب له ، لا أعلم كيف يتحملون

من يحبون شخصا لا يرونه إلا نادرا

استحممت وغيّرت ملابسني ثم نزلت وتوجهت للمطبخ

حيث نزار فقال ما أن دخلت " أعرف هذه الأكلة

جيذا فلا تقفي على رأسي "

استندت بكتفي على الباب وقلت بابتسامة

" إن كانت كتلك يومها فلن تأكلها إلا وحدك "

ضحك ولم يعلق فاقتربت من القدر أحركه بالمعلقة

*

*

قالت وهي تحرك الزيت والبصل " لا تقل أن

صديقك سيوقف دراستي لأنني لن أوافق "

نظرت لها باهتمام إذا ذاك الشخص في المدرسة ، قلت

وأنا أقطع الطماطم ونظري على ملامحها لأدرس ردة

فعلها " لا أعلم قد يغير مدرستك أو يلغي دراستك "

رمت المعلقة في القدر وقالت واضعة يديها وسط جسدها

"لا لن أترك دراستي يا نزار ، يغير مدرستي يفعل

ما يحلو له لكن لن أتركها"

جيد يبدووا ليس في المدرسة قالت بعدها بشروود وحزن

"وصديقتاي هناك اعتدت عليهما ، لما أنا لا يبقى لي أحد"

ثم نظرت لي وقالت برجاء " أخبره أن لا

يخرجني من هناك أرجوك نزار"

يبدووا أنه أحد أقارب صديقتها حسنا لنرى ، قلت وأنا

أفك اللحم المتجمد " من هما صديقتاك"

أبعدت القدر عن النار وقالت وهي تتوجه للطماطم

الذي قطعته " بتول تعرفها جيدا وأخرى أسمها ريحان

هما صديقتان من قبل أن أدرس معهم"

أعدت القدر على النار بعدما برد قليلا وسكبت هي فيه

الطماطم وقلت وأنا أحركه " وما يميزهما على

البقية لتكونا صديقتاك تحديدا"

جلست على الكرسي وقالت " بتول تعرفت عليها بطلب

من جابر أم نسيت وأعجبتي مرافقتها كثيرا فهي فتاة

مرحة وبشوشة وأخلاقها تعجبني كثيرا"

نظرت لها وقلت باهتمام " والأخرى "

قالت وهي تحرك الأرز في الصحن أمامها " لا أشعر

أنها كبتول هي تحب إهدار المال في الأكل وتصادق ابن

جيرانهم وتشتري له هدية لكني لم ألحظ عليها شيئا سيئا

غيره هناك أبدا وأغلب الوقت ترافق قريبتها

هناك وأنا وبتول نكون معا "

سكبت اللحم وقلت " كيف تصادقه هل يزورها في المدرسة

هل سبق ورأيت أحدا يقرب لهما أو يخصصهما "

هزت رأسها بلا وقالت " لم أره أبدا ولم أرى سوا ابن

عم بتول ذاك الذي جاء لإيصالها كم مرة "

ثم نظرت لي وقالت " آه نعم ومرتين زار المدرسة شقيق

ريحان من أجل أن يأخذ إننا لها ويخرجها "

هناك اثنان في اللانحة إذا معتصم وشقيق تلك ، غطيت

القدر وقلت " وهل تعلمي أن ابن عم بتول ذاك متزوج "

لا أعلم لما قلت لها ذاك تحديدا قد يكون لأحاصرها لكنها

قالت بلا مبالاة ونظرها على الأرز بين أصابعها

"لا اعلم ولم أهتم لسؤالها عنه"

معتصم مستبعد إذا من القائمة ، جلست أمامها

وقلت " وشقيق ريحان هل هوا متزوج"

نظرت لي وضحكت فقلت بضيق " هل قلت شيئا يضحك"

قالت بضحكة " عمره خمسة عشرة سنة فقط وهو أصغر منها بعام"

وقفت وعدت للقدر ، كم أصبحت أبدو سخيفا ما علاقتي بها

رفعت الغطاء وحركته مجددا فقالت " ستفسد شكل اللحم

ويتفتت من كثرة تحريكه"

أغلقت القدر وقلت بضيق " حاضر شيف سما"

وقفت وفتحت الصنبور على صحن الأرز وقالت

"بل مساعدة فقط"

سكبت الماء من الإبريق في القدر وقلت مبتسما

"بل أنا المساعد هنا فكل شيء تحت أوامرك"

اقتربت ووضعت صحن الأرز المغمور بالماء بالقرب من

القدر وقالت " لا تنسى أنك من طلب أن أعلمك طريقي"

قلت مغادرا المطبخ وهي تتبعني " كان أسوء قرار قررتة"

دخلت غرفة والدي وهي تتبعني قائلة " خالتي انظري لابنك"

ضحكت أُمي ولم تعلق والتفت أنا لها وقلت بضيق

"كم مرة تشتكيني لها ، هل تريني طفلا أمامك"

جلست بجوار والدتي وقالت " لأنها وحدها تدافع عني"

جلست وقلت ببرود " نعم متفقتان علي يا كسولتان"

نظرت ليدها وقالت " متى سأزرع هذا الشاش لقد تعبت منه"

قلت " اليوم سنفتح الغرز لن يطول الأمر كثيرا"

قالت والدتي " حتى تشعرين أن الجرح بدأ يهرشك

حينها يكون بدأ يلتئم هكذا كنا نعرفه في الماضي"

قالت بعبوس " شعرت فيه بكل شيء إلا الهرش"

ثم ضحكت ووالدتي معها وعيناى متركزة على ملامحها

لأول مرة أنتبه أن لها غمازتين تظهران عندما تضحك بل

لأول مرة أنتبه لأسنانها الصغيرة المصطفة التي تميز

ابتسامتها وضحكتها هل كل هذا بسبب الفضول يا نزار

بقيت أراقب كل حركاتها وهي تتحدث مع والدتي منسجمتان

فيما تقولان وكأني أختبر قدراتي في إظهار الاختلافات في

شكلها سابقا والآن ، عيان زرقاوان واسعتان تميزهما النظرة

الخبولة وحاجبان مستقيمان معقوفان للأسفل في نهايتهما

ومهذبان الشعر وكأنهما محددان من قبل خبير تجميل

ملاح يميزها الهدوء قبل الجمال وشعر حريري غير

مقصوص منه ولا حتى غرة تمسكه دائما للخلف و...

يكفي حتى هنا يا نزار بقي أن تفتش جسدها أيضا

أخرجني من تأملي صوت والدتي قائلة " ما رأيك أنت يا نزار"

نظرت لها وقلت " ما رأيي في ماذا"

قالت بابتسامة جانبية " رأيك فيما كنت تسرح فيه طبعاً"

وقفت وقلت بتذمر " خرب الأرز وأنا جالس أستمع

لا أريد أن يتلاعب بها أحد ويستغلها ولا أن تصدم في حقيقة

من سترسم له نموذجاً مثالياً وتكتشف غير ما اعتقدت لكن

ذلك يفترض أن لا يستدعي مني كل هذا الاهتمام

نظرت سما ناحيتي وقالت " نزار هل لي بطلب"

قلت " بالتأكيد"

قالت " بتول لم تحضر منذ أيام ولا تجيب على هاتفها

اسأل عنها ابن عمها"

هزرت رأسي بحسنا دون كلام فقالت " وشيء آخر "

قلت " نعم "

قالت ونظرها على طبقها " أريد الخروج تعبت من البقاء في

المنزل ولو للحديقة أنا وخالتي التي باتت سجينة بسببي "

قلت بهدوء " لن نغامر يا سما "

نظرت لي وقالت بحزن " مرة فقط "

تتهدت وقلت " سأحدث مع جابر في ذلك وأرى

أي مكان يمكننا الخروج له "

ابتسمت برضا وقالت " شكرا لك يا نزار كم أنت رائع "

نظرت لها باستغراب فضحكت والدتي وقالت

" يفترض بك الآن أن تسعى في ذلك بكل جهدك "

نظرت لها بضيق فعادت للضحك مجددا ووقفت سما

وغادرت قائلة " سأصعد لأرى دروسي "

خرجت ونظري يتبعها ثم نظرت لوالدتي وقلت

" لقد أخرجتها هي قالتها بعفوية "

عدلت من جلستها ورفعت ساقيها على السرير

وقالت ببرود " وأنا قتلتها بعفوية "

قلت بضيق " أمي أعرفك عندما تتعمدين تعكير

الأجواء فقولي ما لديك"

اكتفت بالصمت فزادتنى غيضا على غيضي فقلت بضيق

" أنتي المقربة الآن من سما وبيت أسرارها فكوني حريصة

عليها وحذريها مما قد يضرها لأنك ستكونين الملامة يا أمي"

أمسكت مسبحتها وقالت " وما مناسبة هذا الكلام"

وقفت وقلت وأنا اجمع الأطباق " لا مناسبة غير أني بث

أستغرب شرودها في شيء لا تريد الإفصاح عنه"

ولم تعلق طبعاً وكأنها تتعمد ذلك فخرجت بالأطباق للمطبخ

ونظفت الطاولة وأعدتها مكانها وغسلت الأواني

وصعدت لغرفتي استحمت ونمت من فوري

*

*

وصلت منزلهم وطرقت الباب ، يبدوا مظهري سخيفا

لكن عليا أن أعلم ما قال لها بسرعة ، سيارته هنا فسيفتح

لي بالتأكيد أو ستفتح سما لأنها لن تجد عذرا لفتح الباب

وهوا موجود معهما ، بعد وقت فتحت الباب وقالت وهي

تعطيني ظهرها مغادرة أمامي " خالتي مستيقظة"

ولم تلتفت لي ولم تتحدث معي ولا مجرد الحديث بغير

تلك الكلمات فأغلقت الباب ودخلت وهي توجهت ناحية

المطبخ ، ما أن أصير زوجة لنزار سأريك فموكد لن

يرفض عرضا يساعده في عملية والدته ، دخلت غرفتها

ملقية التحية فقالت بغير ابتسامتها المعتادة

"وعليك السلام تفضلي يا دعاء"

سلمت عليها مستغربة من تبدل حالها فهي كانت

تستقبلني بابتسامة دائما ، جلست وقلت

" ما بك يا خالة تبدين مستاءة من أمر ما"

قالت بهدوء " لا شيء مهم كيف هم والدتك وشقيقتاك"

قلت بابتسامة صغيرة " بخير جميعهن كيف صحتك أنتي"

هزت رأسها دون كلام فقلت " يبدووا مزاجك سيئا هل

رفض نزار ما قلت له"

قالت " دعاء يا ابنتي سأكون ناكرة جميل إن نسيت كل

ما قدمته لنا لسنوات وسبق وتحذثت مع نزار منذ أكثر

من عام في أمر الزواج منك ورفضه كليا والآن أيضا

وقال ليس لعيب بك لكنه لا يفكر في الأمر بل وأجله

أيضا وهوا لا يريد أن تتكرر تجربته مع رهام"

قلت " لكني لست مثلها فهل سيرى الجميع متشابهين"

تنهدت بحزن واكتفت بالصمت فقلت

"ليس هذا ما غيّرك وحده هل من خطب يا خالة"

قالت بعد صمت " تعرفيني لا أحب اللف والدوران

وقلب الأمور فما أريد قوله لك ولتعلم رهام به أيضا

أنه إن كان نزار يريد الزواج بإحداكما فلن أمانع رغبته

ولن أعارضه أبدا ، لكن سما أبعدها عن كل هذا الأمر

هي فتاة يتيمة مرت بظروف صعبة جدا وتحملت ما ليس

لأي امرأة طاقة لتحمله فكيف بمن في سنها ، كما أنه لها

أهل والذ ستعود إليهم إن عاجل أو آجل فلا تكذروها

بموضوع نزار وتوقفا عن تهديدها فليس بينهما شيء"

قلت بصدمة " ما تعني بهذا يا خالة"

قالت ببرود " أعني ما فهمته يا دعاء أنا أقدر مشاعرك

كأنتى قد يضايقها اقتراب سما من نزار لكنه حقا لا يرغب

بالزواج ولا حتى بها فأبعديها عن تفكيرك ، أنتي كابنتي
وكما أخبرتك أقدر مشاعرك وما تكنينه لابني وما فعلته
من أجلنا لكن سما خط أحمر لا يتجاوزه أحد وها قد

أكدت لك أنه لا مشروع زواج بينهما"

بلغت ريقي ولم أعرف ما أقول ، ترى هل حكمت سما

لهم ما حدث بيننا ، قلت بصوت منخفض

"أنا لم أهدها بل هي من اتهمتني بمحاولة استمالتها"

نظرت لي بسرعة قائلة " هل نواجهها بما تقولين والآن"

لم أعرف ما أقول إن رفضت افترض أمري وإن وافقت

ستنكر طبعا ، سمعنا حينها خطوات نزار نازلا من

السلام ونادى قبل وصوله قائلا " سما"

فجاء الرد منها بصوت بعيد ومنخفض رغم رفعها

لصوتها قائلة " هنا في المطبخ"

توجهت خطواته هناك ولم أفهم ما كانا يقولان ثم سمعت

ضحكته وخرج جهة باب المنزل فأنزلت رأسي للأرض

وقلت " لا داعي لذلك لا أريد مشاكل مع نزار ومعك"

ثم وقفت قائلة " أنا كما هي لم أتغير سواء قبل بي كزوجة

أم لا فلا تترددي في طلب أي شيء"

قالت بهدوء " لا أريد غير أن تنتهي من هذه المشكلة

وأعلمي رهام أيضا لتبتعد عن طريقها وتحاول وحدها

إعادة ما ضاع منها"

غادرت من عندها دون تعليق وتقابلت وسما خارجة

من المطبخ فوقفت وقلت لها بسخرية " لا تحاولي تأليبهم

علي فلم يصدقك أحد فهم يعرفونني قبلك"

ثم غادرت من هناك ومن المنزل برمته وكأني أريد

إفراغ غضبي منه بها بأن أرحها بكلماتي ، المهم أنه

لن يتزوجها هي أيضا فلن تكسب شيئا مثلي ، إلا إن كانت

والدته تكذب علي فما بينهما لا يبدا شيئا عاديا أبدا فأين

تحفظه في تعامله معي فحتى ابتسامته لم تكن تظهر

إلا نادرا بل وعيناه لا يلتقيا بعيناي إلا للضرورة وأنا

أراه الآن يعاملها عكس كل ذلك

*

*

غادرت لجلب بعض الحاجيات التي أوصتني بها سما

للمنزل وحين عدت دخلت بها للمطبخ وضعتها هناك

وتوجهت جهة غرفة والدتي وقفت عند الباب وقلت

"أين سما"

قالت بهدوء " لم أرها منذ وقت"

استغربت الأمر هي عادتا في هذا الوقت تكون في

المطبخ من أجل مساعدتي في العشاء خصوصا أنها

درست بعد الظهر ، تركتها وصعدت للأعلى وطرقت

باب غرفتها عدة مرات ففتحت لي ونظرها للأرض

تخفيه عني فقلت " سما ما بك ما يبكيك"

قالت ببحة " لا شيء"

تنهدت وقلت " لو تتخلصي من كلمة لا شيء هذه"

نزلت دموعها مجددا وأخفت عيناها تمسحهما بظهر كفها

وتحول الأمر لبكاء فقلت بهدوء " سما يكفي بكاء أنا آسفا"

يا لي من غبي قد تكون تذكرت عائلتها ، أبعدت يدها عن

وجهها وقلت " أخبريني الآن ما يبكيك ولن أنزل قبل أن أعلم"

شهقت شهقتين متتاليتين ولم تتكلم فسحبتهما من يدها نازلا

بها حتى وصلنا غرفة والدتي ودخلت ويدها في يدي قائلا

"أمي من ضايقها هي لا تريد الكلام وانظري

لعيناها من كثرة ما بكت"

مدت والدتي يداها لها وقالت " تعالي بنيتي"

توجهت نحوها من فورها ونامت في حضنها تبكي

ووالدتي تمسح على شعرها قائلة

"ما بك يا سما كنتي بخير ما قلب حالك هكذا"

قالت سما من بين شهقاتها " أشعر بالضيق"

أشارت لي بيدها أن أخرج فوضعت يداي وسط جسدي

رافضا الأمر فنظرت لي نظرة تهديد وأعدت إشارتها

لأتركهما وحدهما فقلت ببرود مغادرا الغرفة

"سأتعشى مع عوني لا تنتظروني على العشاء"

وخرجت من المنزل ، لما تريد والدتي أن تبعدي مؤكدا

ذاك الشاب في القصة ، هل تحدثه عبر الهاتف يا ترى!!

فهي كانت بخير عندما خرجت من المنزل للسوق

وصلت لمنزل جارنا عوني طرقت الباب ففتح لي

وقال مبتسما " جئت مبكرا ، المغرب لم يقام بعد"

دخلت قائلا " من قال لك تدعوني على العشاء تحملني إذا"

أغلق الباب ودخل خلفي وقال ضاحكا " قلت لم أرك من

مدة لتعشى معا ومنتسامر فجيد لم أخبرك منذ الصباح

لكنت تناولت الغداء أيضا معي"

دخلت وجلسنا في المجلس نتحدث وأبنائه يتقافزون

حولنا وتناولنا العشاء ثم وقفت قائلا " شكرا لك وأعذر

قدومي مبكرا لكن والدتي طردتني ولم أجد غيرك"

ضحك كثيرا ثم قال " معقول والدتك تطردك وأنت مدللها"

رفعت كتفائي وقلت مبتسما

"باعنتي بمدللتها الجديدة فما عساي أفعل"

أمسك كتفي وقال " زوجها لشقيقي حازم إذا فهو لا زال ينتظر"

قلت بضيق " سبق وقلتها أخبره أن ينسى الأمر ، لقد جن

شقيقك ذاك هل سيتزوجها أم سيربيها"

قال مبتسما " وهل سألتها هي عن رأيها أم هوا رأيك وحدك"

قلت بصدمة " ومن أين لك بهذا الكلام هل تحدث معها"

قال رافعا كتفيه " لا أعلم"

قلت بضيق " عوني أخبر شقيقك يبتعد عن سما"

قال بعد ضحكة " حسنا حسنا أجلس فالوقت ما يزال مبكرا"

قلت مغادرا من أمامه " لدي تحضير لبعض الدروس

وعمل على الخرائط وداعا"

خرجت من عنده وصلت المنزل ودخلت وتوجهت من

فوري لغرفة والدتي فكانت وحدها هناك تستمع للمذياع

فما أن رأيتني أوقفته فقلت " أين سما هل نامت من الآن"

قالت مبتسمة " ما بك اليوم أين سما أين سما"

نظرت لها ببرود فضحكت وقالت

"في غرفتها طبعا وتدرس حد قولها"

قلت " هل تعشيتما"

شغلت المذياع من جديد قائلة " نعم"

قلت " هل أخبرتك عما كان يبكيها"

هزت رأسها بلا دون كلام ففتحت فمي لأتحدث فقالت

ببرود وهي تبحث في موجات الراديو " ليس علينا التركيز

على كل تصرفاتها ، نحن نخنقها ألا تلاحظ ذلك"

لم أعلق بشي وهممت بالمغادرة حين استوقفني صوتها

قائلة " اطرق عليها باب غرفتها وإن كانت مستيقظة

أخبرها أن برنامجها المفضل سيبدأ قريباً"

قلت بفضول " وما يكون برنامجها هذا"

نظرت لي نظرة ما يعينك أنت تحشر أنفك فتركتها

وصعدت ، معها حق وما يعينني أنا يبدو أنني

أشعر بالفراغ وأتسلى بمراقبتها

*

*

صعد نزار ونزلت سما بعد قليل ووقفت عند

الباب فقلت مبتسمة " يبدو لا رواية اليوم"

دخلت وقالت " بل علينا التسلي بها قليلاً"

قلت وأنا أراقبها تجلس أمامي " هل تحدث معك نزار الآن"

هزت رأسها بلا فقلت بضحكة " غريب رغم أنه

استجوبني قبل أن يصعد"

نظرت لي بحيرة فقلت مبتسمة " لا تفكري كثيراً في

هذا وأخبريني هل تحدثت معك دعاء اليوم ، أريد

جواباً دون تهرب كالمرّة السابقة"

نظرت للأسفل وقالت بحزن " لا أريد التحدث

في الأمر خالتي أرجوك"

تنهدت وقلت " حسنا كما تريدین ، أنا نبهتها وأخبرتها أن

تنبه رهام كي يبعداك عن طريقهما لأنك لست سبب رفض

نزار لهما لكن يببوا أنها ضربت كلامي عرض الحائط"

لم تعلق أيضا وكأنها تتعمد إنهاء الموضوع ، غريب

أمرها اليوم وحال نزار أيضا هذه الأيام فلقد أصبح فضوليا

بشكل مزعج وعلى غير عادته ، سما أعرف مياها أين

تسكب لكن نزار لا أفهمه جيدا حتى الآن ، فتحت سما

الرواية وقالت " هل نقرأ"

قلت مبتسمة " نعم"

قرأت ((نظرت له بصدمة مطولا ثم قلت

"فراس يعرف جوجو" !!

قال بابتسامة جانبية " نعم"

ابتسمت ابتسامة خبيثة أم ابتسامة نصر أو لا اعرف ما

تكون وقلت بفضول " كيف ولما ؟ وهل يعرف غيرها"

قال ببرود " لن أقول ولا علاقة لك"

قلت بإصرار بعد قفزة صغيرة على السرير حيث

أجلس " هيا أشرف أخبرني "

قال بمكر " ولما تريدان معرفة ذلك "

قلت مبتسمة " لامسك عليه زلة ولو صغيرة

وانتقم منه على ما يفعل لي "

وضع يديه وسط جسده وقال " وهل سيكون دوري بعده "

وقفت وقلت " لا طبعا فأنت حليفي "

قال ببرود مكتفا يديه لصدرة " لا حلفاء للأفاعي "

لويت شفطاي مستاءة فقال بنصف عين " إلا إن ... "

قلت باستغراب " إلا إن ماذا !! "

أمسكني من ذراعي وأجلسني على السرير وقال

" إن فعلت ما طلبت منك طبعا "

تأففت وقلت " اشرف أبعدني عن مغامراتك الهابطة "

قال مشيرا بإصبعه للباب " رافقتك السلامة إذا "

تنهدت بضيق وقلت " أمري لله هات هاتفك فعلى ما

يبدوا لن أتخلص من جوجو كل حياتي "

مده لي وقال " ليست جوحو هذه أسوم"

ضحكت وقلت " من أين تأتي لهم بهذه الأسماء"

رمى عليا بالهاتف وقال " بسرعة بلا كثرة كلام"

أخذته من حجري حيث رماه فقال " افتحي مكبر الصوت"

تأففت واتصلت بها لأنها مسجلة لديه بذات الاسم فأجابت

من فورها قائلة " مرحبا شروف حبيبي"

نظرت له وضحكت ضحكة صامتة فنظر لي بغل

فحممت وقلت " مرحبا أسوم"

قالت بعد ضحكة " مرحبا رُدين هذه أنتي"

نظرت له بغل وقلت بهمس من بين أسناني

" لا تخبر شلتك الفاسدة عن اسمي مجددا"

لوح بيده بلا مبالاة فقلت " نعم أسوم والدتي تنادينني ، أنا

وشروف نعمل جهدنا مع والدي ولا تقلقي"

قالت مبتهجة " حقا ظننته يكذب علي"

قلت وأنا انظر له بضيق

"أتمنى أن تمسكيه من عنقه وتنزوجيه"

استل الهاتف مني وأنهى المكالمة معها فقلت بضيق

"أشرف خاف الله في بنات الناس"

قال بلا مبالاة " أخرجي هيا وشكرا لك"

وقفت وقلت " هيه اتفاقنا لم ينتهي بعد"

قال وهو يدخل سريره " أخبرتك أني عرفتھا

من خلاله لكنه لا يعرفھا كما تضنين"

نظرت له بحيرة فقال وعيناه مغمضتان

"أطفئي النور قبل خروجك"

قلت ويدي وسط جسدي " لم أفهم"

انقلب للجانب الآخر وقال " وجدت رقمها لديه وقال

أنھا فتاة تزعجه ولم يعرف كيف يتخلص منها فقدمت

له أنا هذه الخدمة وظهر في النهاية أنها تعمل معه وتعرف

من يكون وأرادت الدخول له من هذا الجانب لكنها فشلت"

قلت بنصف عين " حقيقة هذه أم كذب"

غطى رأسه باللحاف وقال " لست مجبرا على التبرير لك

ولا يهم إن صدقتني أم لا ، أخرجي هيا ولا تنسي النور"

خرجت وتركت الباب مفتوحا ولم أطفئ النور أيضا ، إذا

جوجو تعمل مع فراس وحاولت أن تستدرجه بالهاتف

فهذا يعني أنها لم تجد طريقا له هناك فحاولت تعليقه بشباكها

دون أن يعرف من تكون ، ضحكت حين فكرت أن أفعل كما

فعلت وأتلاعب به وأنتقم منه ، سمعت صوت أشرف مناديا

لي بصوت عالي فعدت جهة غرفته وأطفأت النور وأغلقت

الباب بعدما قلت " نم وأنت كالعجائز المعاقين"

ثم عدت جهة غرفتي دخلت ووقفت في منتصفها واضعة

يدي وسط جسدي ، عمي رياض يبدوا ورطني في أبنائه

رغم أنه لم يقيدني باختيار احدهم وترك الخيار لي حتى

إن اخترت غيرهم لكني لن استطيع فعل ذلك وهم ثلاثة

وليس واحدا أجد فيه عيب أتحجج به ثم هل سأقف أسرد

له عيوبهم هذا به وذاك فيه وفي النهاية لا بشر كاملا

وسأتزوج من رجل له عيوب ومميزات

المشكلة الأخرى لا أحد منهم يتقبلني ولا مجرد التقبل

سأستبعد أشرف رغم أنه أيسرهم معاملة إلا أنه يملك

واحد من أكبر العيوب إلا إن كنت سأستحمل طوال

حياتي جوجو ومرمر وأسوم وغيرهم الكثير وهذا أمر

لا تقبله أي امرأة ، نأتي لفراس لا لا لا ذلك مستحيل
لا أتخيل أن أكون وهوا في كان واحد كيف بغرفة مغلقة
علينا ستكون النتيجة أهدنا ميت ، بقي وائل يكرهني أكثر
من البقية بل ويشمنز من وجودي ولكن قد يكون خيارى
الوحيد ، توجهت للخزانة أخرجت ثيابى وغيرت ملابسى
ارتديت بنطلون من الجينز وقميص وغادرت غرفتى
أبحث عن عمى سعاد حتى وجدتها تجلس فى الحديقة
فتوجهت نحوها قبلت خدها وجلست بجوارها فقالت
ضاحكة " ما أسعدنى بابتة لم أهدا بها من قبل"
قلت مبتسمة وأنا أسكب القهوة لى " وما
أسعدنى بوالدة بعدما كبرت"
ثم نظرت لها باهتمام وقلت
" ألم تنجى بنات أبدا ما بك مع الشبان"

ضحكت وقالت " لم يكتب الله لنا بذلك لقد أنجبت فراس
فى أول سنة تزوجت فيها عمك رياض وبعده بعامين رزقنا
بأشرف ثم لم يثبت لى حمل أبدا لخمس سنين حتى رزقنا

بوائل ثم عادت وتكررت المأساة وماتت لي ابنة حديثة ولادة

وتأزمت كثيرا فقرر عمك رياض أن لا نحاول بعدها وأن

ما رزقنا الله بهم يكفي وزيادة وأن غيرنا لم يتحصل ولا

على واحد ويتمناه وإن كان لنا نصيب سيكون في

أحفادنا وبقيت هكذا أم لشبان فقط كما قلت"

قلت بحيرة " إذا وائل أكبر مني بأربعة أعوام"

قالت مبتسمة " نعم وأشرف بتسع وفراس بإحدى عشر عاما"

قلت بعبوس " عجوز فراس هذا لما لم تزوجه حتى الآن"

ضحكت كثيرا ثم قالت " عمره ثلاثون عاما فقط أنتي

حسبتها بالمقارنة بعمرك"

قلت " وإن يكن فالشباب من سن الخامسة والعشرون

يصبح مؤهلا للزواج"

ثم رشفت رشفة من القهوة وقلت بفضول " وائل عمره أربع

وعشرون كيف يدرس في الجامعة حتى الآن"

قالت مبتسمة " هوا يكمل لرسالة الماجستير ، ألم تلحظي

أنه يدرس في غير وقت الجامعات لكنت أنتي

أيضا تدرسين الآن"

قلت " آه صحيح لم أنتبه"

وأمضينا وقتا طويلا من موضوع لآخر وأنا أقلد لها

من كن في الحفل وهي تضحك حتى سمعت صوتا

خلفي يقول " أمي كثرة الضحك تميت القلب"

نظرت له فكان وائل ينظر لها ثم تابع

"متى قال لك فراس عمي مصطفى قادم"

رفعت كتفيها وقالت " لا أعلم قال الأيام القادمة"

سحب قطعة بسكويت من الصحن وقال بعدما قضمها

"وكم سيبقى وأين سيقيم"

قالت مبتسمة " لم أتناقش معه في هذا لما تسأل أنت"

ضحكت أنا وقلت " قالوا أن الفضول يطيل في

العمر يبدوا لأجل ذلك"

شعرت بشيء صلب ضرب رأسي فأمسكته متألما ونظرت

للخلف فكان مغادرا يلوح بمذكرته ويضحك فنظرت لها وقلت

بضيق " أنظري لأبنائك لم يتركوا شيئا لم يجربوه علي"

ضحكت وقالت " أخبرت عمك أن لا يتخذ هذه الطريقة

ويتركك تعيشين معنا على حقيقتك كابنة لصديقه وأنتي

تختاري منهم لكنه رفض"

قلت ببرود " معه حق فما كانوا سيُقربونني من عالمهم

الحقيقي حينها وها قد اكتشفت كم ربيتما وتعبتما"

ضحكت كثيرا ثم قالت " ما الذي علمته عنهم جعلك هكذا"

وضعت يدي على خدي وقلت بحزن " سوء المعاملة يكفي"

وضعت يدها على يدي الأخرى وقالت

"رُدين أبنائي لم يعتادوا الفتيات معهم هنا والطريقة التي

أدخلك بها والدهم علينا وتعلقهم الشديد بي منذ صغرهم

هوا ما جعلهم يتصرفون هكذا"

قلت بحزن " وأنا لاحظت فراس خصوصا رغم ما يفعله

بي يعامل حتى الخادمة بلطف ويتحدث معك بهدوء واحترام"

قالت مبتسمة " أشرف أكثر من يعرف كيف يتعامل مع النساء

حتى أن بنات خالته كن يتسابقن على التحدث معه حين يأتيننا

في الإجازة ومنذ صغره يحب اللعب مع الفتيات وائل شخص

نظامي جدا ومرتب ويكره الفوضى والأشخاص الغير مرتبين

فتجديه ينتقد الجميع حتى في كلامهم وتصرفاتهم لأنه يهتم

بالمظاهر أما فراس فمنذ كان طفلا تعود أن يهتم بأخويه
فبقي حتى كبر يدقق عليهما وينتقد أخطاءهم حتى والده حين
كان يسافر يعتمد عليه وحده في كل شيء فلاحظي عمهم
مصطفى تفاهم معه دون الجميع على وقت قدومه وخاله
وجده كذلك وكل هذه الصفات جعلت فيهم عيوباً ومميزات"
نعم معها حق فأشرف معرفته الجيدة بعالم النساء وفهمه
لهن جعلت منه رجلاً يعرف كيف يعامل المرأة كميّزة
وزير نساء كعيب ووائل لإنسان مرتب كميّزة ومغرور
مترفع على غيره كعيب وفراس شخص يمكن الاعتماد
عليه كميّزة وانتقادي صارم كعيب ، أي يا رُدين أفهمي
أنه مثلما لأبنائها عيوب لهم مميزات وتوقفي عن انتقادهم
أمامها كل حين وكأنك تخبريهم أنهم يورطونك بهم وأنهم
لم يحسنوا التربية ، قلت بهدوء " معك حق لكل بشر عيوب
ومميزات ولا إنسان يخلوا من العيوب خصوصاً ، وأنا أيضاً
رباني عمي رياض لأكون قوية في مواجهة ظروف
فصار طول لساني عيب بي"

ضحكت كثيرا ثم قالت " وصراحتك أجمل ما فيك

وطبعا بعد وجهك الجميل"

قلت بضحكة " هل تعلمي ما قال لي أشرف يوم أخذني للسوق"

قالت مبتسمة " ماذا قال"

ضحكت ثم قلت " قال من يراك صامته يقول ما هذا الملاك

وحين تتحدثين يكره جمالك الزائف"

ثم بدأنا بالضحك وبعدها سكت وقلت بحزن " لكنه أهانني"

رأيت حينها يد تمتد للكرسي الآخر وسحبته وجلس صاحبها

نظرت له فكان فراس وفي يده صحن به لوز أخضر بقشوره

بقي يمسكه في يده ولم يضعه على الطاولة ووقفت حينها

عمتي سعاد وقالت " ردين انتبهى لحوض النعناع أن يفيض

فيه الماء ، عمك رياض دخل المنزل سأذهب له قليلا"

ثم غادرت من فورها بعدما ربطتني للجلوس مع هذا

المخلوق ، نظرت له فمد لي بالصحن بمعنى هل ترغبين

فهزرت رأسي بلا بلامح باردة فقال بابتسامة جانبية

" غريب رغم أنك تحبين اللوز الأخضر ... أليس كذلك"

حينها كادت تخرج عيناى من الصدمة بما قال))

أغلقت الرواية وقالت " والآن كيف علم"

ضحكت وقلت " سنعرف فيما بعد"

نظرت للرواية في يديها لوقت ثم قالت ولم ترفع

نظرها عنها " خالتي هل أسألك سؤالاً"

قلت مبتسمة " بالطبع صغيرتي"

قالت وحالها كما هوا عليه " هل من يحب ينسى بسهولة"

قلت " لا بنيتي أصعب شي يكون ممن تحبينه فجرحه

صعب وهجرانه صعب ونسيانه أيضا صعب"

نظرت لي حينها وقالت " وكيف نسي نزار رهام إذا"

قلت مبتسمة " لم يكن الأمر سهلا بادئ الأمر فقط الرجال لا

يعبرون بسهولة كالنساء لكن الجرح كفيل بفعل ذلك

فأصعب خذلان يكون ممن نحب"

قالت بحزن وعيناها تنظر في الفراغ

"لما الحب صعب ومتعب هكذا"

قلت بهدوء " لا يا سما هوا جميل أيضا حين يكون

من الطرفين ويكونان على وفاق"

نظرت لي وقالت باهتمام " وكيف نجعله من الطرفين"

قلت بعد ضحكة " أخبريني من يكون لأساعدك"

حضنت الرواية وقد احمر وجهها من الخجل

وقالت بهمس " لا استطيع"

قلت مبتسمة " إذا حين تستطيعين أخبريني اتفقنا"

هزت رأسها بحسنا ثم وقفت وأعطتني الرواية وقالت

" هل تريدن شيئا قبل أن أصعد"

قلت وأنا أجلس مبتعدة عن ظهر السرير

"ساعديني لأصل للحمام واملني لي الماء في الإبريق فقط"

*

*

ساعدتها حتى دخلت الحمام وأوصلتها للسرير وملاّت

لها إبريق الماء ثم أطفأت النور وخرجت من غرفتها

وصعدت الدرجات ببطء انظر لخطواتي عليهم بشرود

وأفكر إن كان نزار يحبني أم هوا من طرفي وحدي وكيف

سأعلم ! لن استطيع إخبار خالتي أنا أخجل منها حقا ولا أن

اخبره فأنا أخجل منه أكثر من والدته ولا أريد أن ألقى

مصير دعاء ، وصلت أعلى السلالم وتابعت سيرتي

بشروء أءء بأصابعي كم جمعت من مصروفني حتى وقفت

لأفاجئ بنزار يقف مستندا بكتفه على الجءار الفاصل

بين غرفتنا

قلت بصدمة " أرجوان يا غبية ماذا تفعلين هناك"

وكانت النتيجة طبعا أن أغلقت الهاتف في وجهي لأنها

باتت تعلم أنني ذللت المكان فعدت أدراجي ونزلت السلالم

وغادرت القصر ولففت ورائه وصعدت السلم النحاسي

الملتف الذي يقود للسطح لمشروع والدي الذي لم يكمله

وكان مخططه أن يوصله بسلالم القصر الداخلي ، وصلت

للأعلى وكان المكان مظلما سوى من إنارة عند طاولة

مصدرها الشموع الكثيرة حولها وفوقها وتلك المشاغبة

ليست هناك " بما نخدمك يا سيد"

نظرت جانبا فكانت هي ترتدي ملابس نادلات وتمسك

ورقة في يدها فنظرت لها ببرود دون كلام فقالت مبتسمة

"تفضل بما نخدمك"

أمسكت قبعتها من رأسها ورميتها بعيدا وقلت " أريد زوجتي"

وضعت يدها على رأسها وقالت بضيق " وما فعلته لك قبعتي"

أمسكتها من ذراعها وسحبتهأ لصدري وقلت بابتسامة جانبية

" وسيتبعها باقي ملابسك أيضا"

شهقت وقالت " هل تعلم ما عقوبة التحرش الجنسي"

قلت ونظري على شفتيها الممتلئة " ماذا"

لفت ذراعها حول عنقي وقالت " إسقاطك من هنا للأرض"

مررت أصابعي في شعرها وقربت وجهها بغثة وقبلتها بقوة ثم

تركتها وقلت متوجها نحو الطاولة " أضيفي هذه لقائمة العقوبات"

لحقت بي حتى جلست وقالت " لا بأس معتادين على هذا من زبائننا"

ضحكت وقلت " أرجوان قسما برب هذه السماء إن فقدت

أعصابي سأفرغ فيك غضبي من كل شيء"

قالت متجاهلة ما قلت " ما طلباتك"

رميت الشمعة أمامي على الأرض وقلت

" زوجتي وبسرعة لو سمحتي"

قالت ببرود " أعانها الله عليك"

نظرت لها بضيق فهربت من أمامي ضاحكة وغابت لوقت

وأنا أراقب السطح حيث الأعمدة الحديدية التي تغطيه وكأنها

أقفاص أو قبب مساجد والأحواض النحاسية والفضية المنتشرة

في أرضيته ، مشروع والذي الذي لم يكتب له الاكتمال لأنه مات

قبل أن ينهيه وحتى أوراق مخططته لازالت موجودة ، يبدو أنني

أهملت حلمه الذي كنت قررت أن أحققه وغفلت عنه لسنوات

طوال من التأجيل حتى نسيته ، بعد قليل أضاعت الأعمدة بأضواء

ملفوفة حولها لتتحول مع الظلام لمشهد رائع وتراءى لي طيفها

قادمة من خلف الظلام ويبدو أنها ترتدي شينا طويلا حتى

أرضية السطح ، اقتربت وظهر فستانها الحريري الطويل

المفتوح من أعلى بدون أكمام وشعرها الحريري الطويل يغطي

ظهرها وأكتافها وماكياج ثقيل لا أعلم كيف وجدت الوقت

لتضعه وطقم زواجنا تلبسه للمرة الأولى أمامي ، وصلت

عندي مبتسمة فقلت بابتسامة صغيرة

"لا تجلبيني لهذا المطعم ثانيًا حتى يغيروا طقم

عامليه وخصوصًا تلك التي تجيب على الهواتف"

لوت شفيتها وقالت بضيق " جابر كان يفترض ببيسان

أن علمتك كيف يستقبلون الأميرات"

ضحكت ضحكة صغيرة ثم وقفت مغادرا الكرسي

ومددت يدي لها فوضعت يدها فيها فقبلتها وقلت

"هل أنتي راضية الآن يا أميرة أرجوان"

قالت بابتسامة "لا"

نظرت لها نظرة باردة فضحكت وقالت

"اسحب لي الكرسي أيضا"

سحبته لها وقلت "هل أنا المدعو هنا أم أنتي"

جلست وقالت "أنت طبعاً"

جلست وأنا أقول "إذا الخدمات تكون لي وليس لك"

رفعت بعض الشموع من الأرضية تحتها ووضعتها

على الطاولة وقالت "يكفي لا كم أنتي جميلة ولا ما هذا

الحسن تحت ضوء القمر وتريد أن أخدمك أيضا"

كتفت يداي لصدري وقلت ببرود "نعم زيدي من طرح عيوبي"

رمت ما سقط من شعرها أماما للخلف وقالت

"ليست عيوب بك بل عيب بي أنا لم أتخلص منه"

قلت بجدية " وهوا "

نظرت لي وهي تتكى بذقنها على يديها المسندة لهما

بمرفقيها على الطاولة وقالت بابتسامة

" هوا أني أتوقع أشياء يفترض أن لا أنتظرها "

نظرت لها بضيق فأبعدت ذقنها ونظرها عني

وقالت " أنا قلت عيب بي وليس بك فلا تنسى "

نزعت سترتي ورميتها على حافة الطاولة وقلت

ببرود " أرجوان لا تلعبى معي "

قالت بتذمر " كن رومانسيا مرة واحدة ما هذا لا تلعبى معي "

ابتسمت وقلت " سنتعبين معي إن تحولت لرومانسي "

لوحى بيدها أمام وجهها وقالت بابتسامة " دعني أجرب "

غادرت الكرسي وتوجهت نحوها وهي تنظر لي بحيرة

وترقب فرفعتها من عليه بين ذراعي وتوجهت بها نحو

الحافة الأقرب للسطح فتمسكت بي قائلة

" لا لا أريد أي رومانسية منك ... لقد تبت "

ضحكت ثم أنزلتها وأوقفتها أمامي مولية ظهرها لي

ثم أحطت خصرها بذراعي نشاهد أنوار المدينة

وقلت بهمس " هل أخبرك سرا"

لاذت بالصمت ولم تتحدث وما أن فتحت فمي لأتكلم حتى رن

حينها هاتفي في جيب بنطالي فأخرجته بيد واحدة والأخرى

لا تزال تحضن خصرها وأجبت عليه قائلا " نعم يا خليل"

قال " خرج بسم مزور سيدي وأمسكوه حيث نزل في"

قبلت خدها وقلت بابتسامة انتصار " رائع سنطالب بتسليمه إذا"

ثم أنهيت منه الاتصال واتصلت بأسعد الذي أجاب من فوره

قائلا " سمعت بالأخبار بالتأكيد"

غمرت وجهي بيت شعرها وعنقها وقبلته فارتجفت

وكأني سأسقطها من هنا وليس أقبلها وقلت

"نعم سمعت ولن يهدأ لي بال قبل أن نجلبه من حيث وصل"

ثم ابتعدت عنها لمكان متطرف ومر بعض الوقت أتناقش معه

في أمره وكلما نظرت ناحيتها كانت على حالها تقف تشاهد

المدينة ولم تتحرك وما أن أنهيت الاتصال منه حتى رن مجددا

ففتحت الخط وانشغلت مع المتصل من وزارة الخارجية

ثم التفت لها فكانت غير موجودة فجلت بنظري في المكان

حتى رأيتها تنزل من السلالم فتوجهت نحوها حتى أمسكت
ذراعها وأعدتها معي قائلا " نتحدث لاحقا في الأمر وداعا"
وأنهيت المكالمة منه واتصل أسعد مجددا فأجبت وأنا أسير بها
نحو مقعد نحاسي متحرك كالأرجوحة وجلست وأجلستها

بجانبي قائلا " نعم يا اسعد"

قال من فوره " هل أنت متأكد من إرجاعه سالما"

أحطت كتفاها بذراعي وقلت " لا طبعاً"

قال " إذا ما نفع ما سنفعل"

قلت وأنا أرى يدها التي أمسكت يدي " ستعلم لاحقا ما

نفع كل هذا وداعا الآن"

قال بعد ضحكة " نعم ضاعت تلك الأيام التي تخرج

فيها هذا الوقت من منزلك لأجل أقل من هذا الخبر"

قلت بعد ضحكة " أسكت يا وقح"

ثم ضحكت كثيرا حين قال " أتبت لي غير ذلك

وأخبرني أين أنت الآن وماذا تفعل"

أخذت أرجوان الهاتف مني وأنهت الاتصال وأغلقتة

نهائيا ووضعته بجانبها فقلت وأنا انظر لملامحها بتركيز

"لماذا نزلتي سيدة أرجوان هل تتعيني كل هذا التعب

لأجد مكانك هنا ثم تنزلي وتتركيني"

قبضت على يدي بقوة واتكأت برأسها على كتفي دون

كلام فشددتها لحظني بيد واحدة وقلت

"أرجوان كم مرة شرحت لك هذا الأمر"

لم تزد إلا ضغطا على يدي وصمتا فقلت بهدوء

"أرجوان ماذا قلنا في آخر مرة"

رفعت ساقها وقالت " كعب الحذاء انكسر ونزلت لأغيره"

ضحكت حينها وقلت " قولي هذا من البداية ، لا

أعرف لما تخونين توقعاتي دائما"

قالت وهي تغمر وجهها في كتفي " بل أنت من يظلمني دائما"

رن حينها الهاتف الذي في جيب سترتي عند الطاولة

فأمسكت بخصري بقوة فأحطتها بذراعي وقبلت رأسها

وقلت " لن أجيب عليه ولن أتحرك لكنه الهاتف

الخاص بالعائلة وليس عملي"

قالت وهي تشد خصري بقوة " لا علاقة لي"

قلت بضحكة " حسنا لن أجيب"

ثم قلت وأنا امسح على شعرها " هل فكرت يوماً

أن تضعي نفسك مكان أي واحدة من أصحاب قضاياي

فما كنت لترضي أن أتقاعس في قضيتك"

ابتعدت عني ونظرت لعيناى بعينان بدأت تمتلئ بالدموع

ثم قالت " ولو كانت هي مكاني هل كانت ترضى أن أضع

زوجها في الخطر وأسرق ليله في المجهول ونهاره في

صراع الموت والأحياء بقلوب ميتة ، أنا لا أفتقد وجودك

معنا أكثر من أني أخاف أن نخسرك يا جابر فأن

تبتعد نهايته ستعود لكن أن تموت فلن تعود أبدا"

أرجعتها لحظني وقبلت رأسها وقلت

"لا تخافي يا أرجوان سأكون بخير"

لا اعلم إن كانت هذه المرأة تختار ما تقول أم يخرج منها هكذا

عفويا فهي بذكاء لا أعرف من أين جاءت به لم تذكر في عبارتها

كلها ما أكره أن اسمعه منها وسيقلب أمسيننا هذه لشجار محتم

رغم أنه الوقت المناسب لذكرها ذاك الأمر فمن أي نوع من

النساء أنتي يا أرجوان ، اتكأت بظهري على ظهر الكرسي

وهي في حضني ليتحرك متأرجحا بنا مصدرا صريرا
واضحا وقلت " كيف تمكنتِ من تربية أبنائي وأنتي في
ذاك السن ، بمن استعنتِ في ذلك"

وضعت كفها على صدري وقالت بهدوء " لم أتخيل حياتي
أن أكون في ذاك الموقف ، ترف كانت لم تتجاوز الثلاث
أشهر بعد وحتى امجد كان عمره ثلاث أعوام أي أطفال
لم يزرع أحد بهم شيء وعقول بيضاء أنا من سيكتب فيها
كان ذلك أول ما فكرت فيه ... لا كيف سأربيهم ولا من أين
سأصرف عليهم ، فقط فكرت على ماذا سأربيهم ثلاثتهم فجلست
وسط المنزل وترف بين ذراعي وبيسان تقف أمامي تبكي
وأمجد يحاول إسكاتها ، لا تعلم كم أثر بي ذاك المشد وتعلمت
منه درسا لم أنسه يوما وهوا أنك مهما كنت ضعيفا ولا حيلة
لديك فحاول ولا تياس كما كان أمجد وقتها ، فتحدثت معه هوا
أولا قانلة (هل نرعى شقيقتك معا)

فهز رأسه بنعم لأبتسم وتدمع عيناى فهوا لم يقل لا أستطيع
أو لا املك المال وأنا طفل ، تصور ما قال لي بعدها"

مسحت بإبهامي دمة انسابت على خدها وقلت " ماذا قال"

ضحكت ضحكة صغيرة وقالت " قال لكننا لا نعرفك

ومنذ ذاك اليوم عاهدت نفسي أن أربيهم جيدا قبل أن أراهم

لم أنم بعدها لليالي من بكاء ترف وبيسان وعندما بدأت تنفذ

النقود لدي أدركت أنني بحاجة لدخل لي ولكن كيف بشهادة

ثانوية عامة وحتى إن تحصلت على وظيفة فمن سيبقى

معهم وقت غيابي بل ووقت بحثي عنها لأنني حتى

للسوق كنت آخذهم معي"

شدت بقبضتها على قميصي وقالت " وصلت لمرحلة أن

نمت بلا طعام لأيام لأوفر المال لأجلهم وقرأت كتب

تربية الأطفال كي لا أقصر في تربيتي لهم وأحاسب أمام

والدي يوم الحساب ولم أتصور أنني سأحاسب أمامك

في الدنيا لأنك أنت والدهم وليس هو"

قلت باستغراب " كيف تحاسبين أمامي أنا"

جلست وقالت " تذكر أول ما أخذتهم حاسبتني على

دخول بيسان للحمام"

لعبت بشعرها بين أصابعي وقلت ونظري عليه

"أنا لا أنتقد تربيتك لهم أبدا"

قالت بحزن " لكني بث أخجل من وجودي في حياتك وحياتهم"

أخرجت يدي من شعرها وقلت وأنا انظر لها بحيرة

"كيف تخجلي من وجودك في حياتنا"

أمسكت بيدي وضمتها لصدرها وقالت

"جابر أرجوك اشرح لي مكان والدي من كل ما حدث"

حضنت وجهها بيدي وقبلتها قبلة صغيرة ثم قلت

"لا تفكري في كل هذا يا أرجوان فوالدتهم حين خرجت

بهم من هنا كانت ترف في نهاية شهرها الثاني من ولادتها

لها ولم يكن بينها ووالدك ما في مخيلتك ولا يمكنني

قول أكثر من ذلك"

أمسكت يداي بيديها وقالت بدمعة نزلت من عينيها

"حمدا لله حمدا لله"

وقفت وأوقفتها قائلا " الجو يبرد أكثر ستمرضين

وأنتي هنا بهذا الفستان"

توجهت نحو الطاولة أخذت سترتي ووضعتها على كتفيها

وقالت وهي تتوجه جهة السلام " شكرا على إطرائك
لفستاني وللأمسية الجميلة وعلى أنك ألبستني سترتك
لأن الجو بارد ولا تريد أن ننزل سريعا وعلى أنك

شكرتني على كل هذا"

ثم التفت لي وأنا واقف مكاني يداي وسط جسدي وقالت
"لكنها أجمل أمسية بالنسبة لي فشكرا لأنك عدت مبكرا
ولأنك لببت الدعوة هنا لن أنسى هذه الليلة ما حييت"
ثم نزلت وتركتني ولا أعلم ما قصدتها بهذا تنزل وحدها
وتقول ذلك لي من بعيد وتتركني هنا ، بقيت قليلا مستندا
بقدمي على حافة أحد الأقواس من الأسفل وأجريت باقي
مكالماتي بهاتفي الذي بقي على الكرسي وفهمت الآن لما
تركتني وحدي ونزلت ، وبعدها أنهيت جميع المكالمات
نزلت للأسفل ودخلت القصر ودخلت الجناح والغرفة
مباشرة فكانت هناك تجلس على السرير بقميص النوم
ونظرها على المبرد الذي تبرد به أضافرها وقد جهزت
لي المنشفة وثيابا فوضعت الهاتف على الطاولة وأخذت
المنشفة ودخلت الحمام استحمت وخرجت بالمنشفة طبعاً

وتوجهت لجهتي من السرير واتكأت بمرفقي بجانبها وأخذت

المبرد من يدها ورمىته بعيدا ثم شدتها لحظني فقالت

"شغل حاسوبك وجهاز المراقبة على ممر الجناح والردهة أولا"

نظرت لها باستغراب ثم قلت " ولما"

ابتعدت عني وقالت وهي تغادر السرير

"سأحضر لك الحاسوب من الردهة وستعلم بعد قليل"

أحضرتة من هناك وأغلقت الباب ووضعته على السرير

فنظرت لها باستغراب فقالت قبل أن أتحدث

"ستفهم كل شيء فقط افعل الآن ما أقول لك"

وابتعدت عني وشغلت نفسها بأدراج طاولة التزيين وكأنها

تخبرني أن اطمئن أنها لن ترى كيفية تشغيل نظام المراقبة

فتحت الحاسوب وفعلت كما طلبت وانقسمت الشاشة على

صورتين واحدة لردهة الجناح والأخرى للممر وأبعدت

الحاسوب قليلا وقلت " تعالي انتهت المهمة سيدي"

توجهت نحوي ودخلت السرير ونظرت لشاشته ثم

نامت في حضني وقالت " لا يغيب نظرك كثيرا عنه"

ابتسمت وشدتها لحضني وبعد وقت ليس بقليل أيضا
قفزت مبتعدا عنها وأنا أرى الخادمة التي تتسلل لجناحنا
بعدها تركت سلة غسيل كبيرة أمام الباب وفتحته ودخلت
تمشي على رؤوس أصابعها حتى اقتربت من باب
عرفتنا وقربت أذنها من الباب تستمع لنا وأنا انظر لما
يجري أمامي بصدمة ثم أمسكت المنشفة من جانبي
بقوة ولففتها حول خصري أتففس بقوة وغيض فأمسكت
أرجوان بيدي وقالت بهمس " جابر لا يأخذك الغضب
فتصرف بروية وحكمة كما أعرفك"
استللت يدي منها بقوة وقلت بغل من بين أسناني وأنا أهم
بمغادرة السرير " أقسم لن ينقذها مني إلا الموت"
أمسكت ذراعي بقوة وقالت برجاء " جابر تحلى بالحكمة
كما كنت دائما فما تنوي فعله الآن لن يعالج الأمر"
عدت جالسا على السرير وتحركت هي قائلة
بصوت مرتفع " لا تقلق أراهم في غرفهم وأعود"
خرجت حينها تلك الخادمة مسرعة من الجناح على نظري
فنظرت لها وقلت " لما لم تتركيني أمسكها متلبسة"

جلست وقالت " وما الفائدة إن لم تنهي المشكلة في حد ذاتها"

نظرت لها باستغراب ثم قلت " وكيف علمت أنتي بها"

ارتدت قميصها وربطت الحزام وقالت

"سيلا رأتها بالمصادفة في إحدى الليالي"

أبعدت بيدي الحاسوب وقلت بغل " الأمر يحدث هنا

منذ وقت وأنا نائم عنه لتكشفه لنا سيلا"

قالت بهدوء " لاحظ أنها خادمة والدتك"

نظرت لها مطولا بصدمة ثم قلت " ما قصدك يا أرجوان"

قالت " تفهم قصدي جيدا لن تكون جاسوسة من الخارج

تتجسس على أحاديثك وزوجتك ليلا وهي تعلم انك لن تخبرها

عن أمور عملك أبدا وخصوصا هذا الوقت ولا فضول خادمت

من دفعها لغرفة متزوجان لأنك رأيت بعينك هي قربت أذنها

وليس عينا من خرم الباب فلن تستفيد شيئا من إمساكك

بها لأن الفاعل سيكررها كان من يكون"

نظرت لها مطولا ثم قلت " لن أتهم والدتي بذلك

في وجهها ولو كنت متأكدا"

مسحت على خدي بيدها وقالت بهدوء

"ولا أنا أشجع فعل ذلك"

بقيت أنظر لها بصمت وكأن عقلي يقول استمع لرأيها

هي فقالت " هذا الطابق لنا وللأولاد وزهور التي

ستتزوج قريبا ولمعتصم الذي يتغيب أكثر مما يبقى"

بقيت أستمع لها بانتباه فتابعت " سيلا وحدها تكفي للاهتمام

به وهي أتق بها أكثر من نفسي وأمر واحد منك

سيمنع البقية من الصعود لكل الطابق "

قلت بعد تفكير " العمل هنا سيتعبها وحدها"

حركت يدها على خدي وقالت

"سأساعدها المهم لا يكون غيرها هنا"

ابتعدت وقلت " لن أرتاح قبل أن اعلم منها من وراء ما تفعله"

قالت " وما الذي ستستفيد منه إن استجوبتها

سيعلم من وكلها بذلك وسيجد البديل"

عدلت وسادتي بغيض ونمت عليها موليا ظهري لها

وغطيت جسدي بالحاف بغل ، أنا جابر تضحك مني

خادمة وتتجسس علي في وسط جناحي وأظهر بهذا المظهر

المنقص لي كرجل له حدوده هنا قبل مركزي وأجهزة
مراقبتي ، إن كانت والدتي فهذا أكبر دليل أنها ما تزال
تراني طفلا وتعتقد أن أرجوان تؤثر بي وإن كان شخصا
من خارج القصر فقد أثبتت له أنني أسد في الخارج وفار

في الداخل يسهل على خادمة أن تتجسس عليا وفي
غرفتي ، بقيت لوقت أزفر بغيض وأتأفف بقوة حتى
شعرت بيدها تمسح على ذراي العاري ثم قبلت كتفي
وحضنت خصري بذراعها ودست وجهها بين كتفائي
وقالت بهدوء أقرب للهمس " لو كنت اعلم أنها ستعكر
مزاجك لي هكذا لكنت أخبرتك في النهار وذهبت

بغضبك هذا هناك لعملك"

قلت بهدوء " أرجوان أنتي آخر من أريد أن

افرغ غضبي الآن فيه"

قبلتني بين كتفائي وقالت بهمس

"حسنا لن أتحدث تصبح على خير"

*

*

نام بعد وقت وأنا لم يغمض لي جفن كان يتنفس بقوة وغيض

حتى ظننته سينفجر ، كم أعجز عن فهم هذا الرجل فحتي

غضبه من غيري أعجز عن إخماد نيرانه فكيف إن غضب

مني أنا ، كنت أتمسك بخصره بقوة وكأنه سيطير أستمع

لتنفسه الهادئ المنتظم بعد كل ذاك الهيجان والإطراب فقط

لأن خادمة تتجسس عليه يعني ويلك يا أرجوان أن تخطني

غمرت وجهي بين كتفيه أكثر ولا أعلم لما أصبحت في كل

يوم أتعلق به أكثر حتى نبرة الحزم في صوته باتت تشدني

له وحتى بروده وتحجره أصبح عندي أفضل من غيابه

لم أتصور يوما أن أصل لهذه المرحلة فكل ما كان في

مخيلتي أني سأكون مربية ومعلمة لأبنائه وحتى بعدما

اكتشفت الحدود التي رسمها لي في أول ليلة نام فيها معي

كزوجين فعلا تخيلت أن حدودي ستكون السرير فقط وسيبقى

شينا جانبيا ووسيلة لأكون مع الأولاد ليس إلا ، أخرجني من

تلك الأفكار صوته المشبع بالنوم قائلا " أرجوان لن أقع

من السرير ابتعدي عني لأنام قليلا ورائي ما لا

تتخيلي حجمه في الغد"

قلت بابتسامة " أخبرتك مرارا أن لا تمن عليا بما هوا ملكي"

التفت ناحيتي وشدني لحضنه وقال " عكرت مزاجي تلك

الحشرة نامي ولا تتحركي كثيرا كي لا أرميك خارج السرير"

نمت في حضنه ولم أعلق بشيء لأنه ليس وقت كلام

فكما قال ورائه نهار طويل ولا مكان لي فيه فعليا أن لا

افسد الوقت الذي لي

نمت ولم اشعر إلا بثقل يده تبعد عني ففتحت عيناي

فكان مغادرا السرير ودخل الحمام ، جلست ونظرت

للساعة فكان وقت صلاة الفجر قد اقترب فغادرت السرير

أيضا وتوجهت لحمام الجناح استحمت وخرجت بالمنشفة

لأنني نسيت أخذ ثياب معي دخلت الغرفة فكان يرتدي

ملابسه فركضت مسرعة جهة غرفة الملابس كي لا

يسخر من منشفتي كما فعلت معه ، ارتديت ملابسي

وخرجت على حركته الكثيرة في الغرفة فنظرت

باتجاهه وقلت " هل أضعت شيئا لأساعدك"

قال وهو يفتح الخزانة " لا"

توجهت للسريير وقلت وأنا أرتبه

"سأعد لك شيئا تأكله لا تذهب دون إفطار"

توجه نحوي ومد لي ربطة العنق قائلا

"لا وقت لدي ، بسرعة ألبسيها لي"

أخذتها منه وأدرتها حول عنقه وأنا أقف على رؤوس

أصابعي ثم ربطتها له وأغلقت له أزرار سترته وقلت

"استودعتك الله الذي لا تضيع ودائعه ، جابر

دعنا نصب عينيك دائما"

قال وهو يثبت سلاحه " حاضر يا أرجوان كم

مرة ستذكريني بها"

قلت وأنا انظر لملامحه " كلما تخرج لهم لأنني أعرفكم

ترمون بأنفسكم للخطر ولا تفكرون في أحد"

أمسك وجهي بيديه وقال " كنتي تعيشين وترعيهم من

دوني ولم تحتاجي لي يوما"

نمت في حضنه أخفي الدموع التي خانتني وقلت بهمس

"كان ولا يمكن أن يعود كما كان أفهمها يا جابر"

مسح على شعري وقال " لن يصعب عليا فهمها يا

أرجوان ولا تقلقي لا أحد يموت قبل أوانه"

ثم أبعدي عنه وقال وهو يمسح دموعي

"قد لا أعود الليلة فلا تقلقي إن تأخرت"

ثم غادر جهة الباب فقلت " جابر"

التفت في صمت فقلت " أخبرني إن كنت

ستنام خارجا ولو برسالة"

هز رأسه بحسنا وغادر ككل يوم لا أسمع سوا خطواته

الثقيلة على أرضية الجناح ، رفعت شعري خلف أذني

وأغمضت عيني بشدة أسترجع كلماته حين قال

(إن يصعب عليا فهمها يا أرجوان)

هل أنا عارية المشاعر أمامه لهذه الدرجة أم هوا

من الذكاء أن يفهم خبايا قلبي مثل عقلي الذي يقلبه

بين يديه كالجريدة ، جمعت ثيابه ووضعها في سلة

الغسيل ثم غادرت لغرفة الفتاتين فوجدت ترف كعادتها

مستيقظة وتتحدث مع نفسها أو مع أشخاص مجهولين

لا افهم فقط ما أعرفه أنها مرحلة مرت بها ببسان أيضا

ودونا عن أمجد ، ما أن رأنتي حتى مدت يداها لي

فتوجهت نحوها وحملتها من السرير فقالت

"صباح الخير ماما"

قبلت خدها وقلت " صباح الخير يا حبيبة ماما

أنتي متى تستيقظين"

قالت مبتسمة " عندما يقول الله أكبر"

ابتسمت وأنزلتها للأرض ثم أيقظت بيسان ومسحت

لها وجهها بالماء لتركز معي وقلت " ادخلا وتوضنا

سأوقظ أمجد وآتي إليكما"

هزت رأسها بحسنا وترف ركضت قبلها للحمام طبعاً

توجهت لغرفة امجد لأوقظه ، عليه أن يأخذه معه للمسجد

أمجد ليس صغيراً أنا سأتكفل بإيقاظه ليكون جاهزاً وقت

خروجه المشكلة انه اغلب الأحيان يخرج قبل الصلاة

بقليل يصلي ويغادر من هناك من فوره ولا رجال هنا

غيره سأحدث مع معتصم حين يكون هنا يأخذه معه

أو حتى عمه منصور فممنزله ليس بعيد أبداً ، كما أنه

علياً زيارتهم فكل مرة أجل الأمر حتى أصبح مظهري

سخيفا جدا امامهم ، وصلت غرفته وأيقظته وبدا يومي

بروتينه المعتاد صلينا وتناولنا الإفطار وغيروا ملابسهم

ليذهبوا للمدرسة ، سيفقدون حتى هذا المتنفس الوحيد

ولن يبقى لهم سوا أبناء عم جابر أطفال يلعبون معهم بل

أشكالا غريبة عن يرون هنا ، دخلت سيلا وقالت بابتسامه

عريضة " السيد جابر زارنا في المطبخ قبل أن يغادر"

نظرت لها بصدمة وقلت " وماذا حدث"

ضحكت وقالت " قال لا أحد يصعد للطابق هنا غيري

إلا من تطلبين منه أنتي الصعود أو هو"

ثم قالت مبتسمة " وقال لا نهارا ولا أواخر الليل لأن

من سيخالفني سيموت على يدي ، ولو رأيت وجه خادمة

السيدة الكبيرة كيف أصبح من الخوف"

ابتسمت ابتسامه انتصار لقد ربحت الجولة وستصاب

والدته اليوم بالحمى

*

*

"بتول تكلمي معي أنا ما ذنبي فيما حدث"

وقفت وغادرت السرير وتركتها ، ذنبك طبعا انك

وافقت زوجك فيما فعل ، لبست حجابي وعباءة فوق

فستاني القطني القصير وخرجت من الغرفة ومن

منزلنا لقصر عائلة عمي ، جابر هذا لن أجد فرصة

لأراه أعان الله زوجته عليه لا أعرف كيف لم تترك

له أطفاله وتهرب ، لذلك لا حل أمامي سواها لتتحدث

معه فمؤكد تراه ولو ليلا ، دخلت القصر على دخول

سيارة معتصم بعدي ، لا أعلم هذا المخلوق من يخبره

أني هنا ، دخلت راكضة كي لا يدركني وصعدت من

فوري حتى وصلت غرف الأطفال ووجدت أرجوان

خارجة من أحدها فأمسكت يدها وقلت وأنا أسحبها معي

"بسرعة نذهب لجناحك لدي ما أود التحدث معك فيه"

كانت تركض معي غير مستوعبة ما يحدث حتى دخلنا

جناحها وأغلقتة خلفنا بالمفتاح فقالت بحيرة ونفسها يلهث

"بتول قطعتي لي تنفسي من هذا الذي يركض خلفك"

وضعت يداي وسط جسدي وقلت " زوجك هذا

لا اعرف كيف تستحمله متى ترينه بالله عليك"

نظرت لي بصدمة ثم ضحكت كثيرا وقالت " صدقي أنني

لا أراه إلا ليلا ومرة بالمصادفة في منتصف النهار"

هزرت رأسي وقلت " أهربني وأنفذي بجلدك ما

هذه الحياة التي تعيشينها"

قالت مبتسمة " هذا قدرني ونصيبي ما سأفعل"

رميت يدي أمام وجهها وقلت ببرود

"في النهاية هوا أفضل من غيره"

قالت مبتسمة " هل ستخبريني الآن ما جاء بك راكضة"

قلت " لدي كلام أود أن تنقله لزوجك المختفي عن الأنظار"

قالت بعد ضحكة " حسنا لكن قد لا يأتي حتى الغد"

جلست على الأريكة وقلت بتذمر

" أرجوان بالله عليك تجدي حلا لحياتك هذه"

جلست مقابلة لي وقالت مبتسمة " أخبريني بما

تريدين إيصاله له وما أن يأتي سأخبره"

قلت باختصار " يطلقني منه"

نظرت لي بصدمة وقالت " هل أنتي زوجة جابر"

ضحكت وآخر ما كنت أفكر فيه الضحك وقلت

"لو كان زوجي ما تركته لك"

قالت بحيرة " يطلقك ممن وحد علمي

أنتك غير متزوجة"

قلت بأسى " وأنا كنت أضن ذلك لكنهم غدروا بي

وزوجوني من غير علمي وعلى هذه المهزلة أن

تنتهي وأن يطلقني منه فورا فوحده يقدر على هذا"

بقيت تنظر لي بعدم فهم فقلت " قولي له فقط بتول قالت

لك كن عادلا وقف في صفي وطلقني منه لأنني لا

أريده وهو سيفهم ما أقول"

تنهدت وقالت " حسنا رغم أنني لا أفهم شيئا ولكن

لا يحق لي السؤال عما لا يعينني سأوصل

رسالتك له ما أن يأتي"

وقفت وقلت " وهذا ما أريده ولا تخبري أحد

غيره بما دار بيننا اتفقنا"

قالت " لا تخافي لن يعلم أحد لكن لما وقفتي أجلسي"

قلت مغادرة جهة الباب " عليا العودة للمنزل

أراك في وقت آخر"

فتحت الباب ورأيت معتصم يعبر الممر موليا ظهره لي

فعدت للداخل وأغلقت الباب ونظرت لها وقلت

"يبحث عني"

قالت باستغراب " من هذا الذي يبحث عنك"

قلت بهمس " معتصم"

بقيت تنظر لي مصدومة ثم وقفت وقالت وهي تتوجه

لغرفة في الجناح " لو افهم شيئا واحدا مما يجري معك"

خرجت من الغرفة ترتدي حجابا فقلت لها " أخرجي

وانظري أين هوا الآن ولا تخبريه أني في جناحك"

ضحكت وقالت " ماذا فعلت له تهربين منه هكذا"

قلت بضيق " قولي هوا ما فعل لي وليس أنا"

قالت باستغراب " غريب معتصم مهذب كثيرا وشاب

رائع لا أتخيل أنه يؤذي أحدا"

قلت باشمئزاز " هذا لأنك لا تعرفينه جيدا"

خرجت وعادت بعد وقت وقالت " لم أجده وسيارته

ليست في الأسفل يبدوا غادر"

فتحت الباب وقلت مغادرة " شكرا لك يا

أرجوان ولا تنسي ما أوصيتك به"

خرجت من عندها ونزلت وخرجت من القصر أسير

بسرعة حتى دخلت منزلنا وتنفست بارتياح ، جيد يبدوا

كان مستعجلا وإلا ما تركني قبل أن يعكر مزاجي السيئ

صعدت لغرفتي ونزعت العباءة والحجاب في السلالم

ودخلت لها لأفاجأ به جالس على سريري ماذا ساقية

ويداه خلف رأسه ينتظرني هنا فاستدرت لأخرج وما أن

خطوت خطوتين حتى شعرت بيده تمسك ذراعي بقوة

وسحبني منها للداخل فلم أتحدث ولم أقاومه ، أغلق الباب

الذي كسره سابقا وسار بي حتى الأريكة وأجلسني وجلس

بجانبي وقال بهدوء " أرى أن الوقت أصبح مناسباً لننحدث"

لم أتكلم ولم انظر له فقال " بتول لا احد تجاهلك ولم يفكر

في مستقبلك أنا لم أكن أنوي إخبارك بالأمر حتى أكمل

دراستي وتكلمين أنتي أيضا دراستك على الأقل تصلين

لمنتصف المرحلة الجامعية لكنك يومها أفقدتني

أعصابي وقلت ما قلت"

لم أتكلم وبقيت على صمتي وعلى حالي فأمسك

وجهي من ذقني وأداره ناحيته وقال " بتول تكلمي"

أبعدت وجهي عنه بقوة ولم أتحدث فوقف وتحرك حتى

أصبح أمامي ونزل مستندا بساقيه ليصبح مقابلا لي ثم

أمسك وجهي بكلتا يديه ورفع له وقال

"دعينا نتفاهم على بعض الأمور يا بتول"

بقيت أنظر لعينه بجمود مصرة على الصمت فتنهد

وقال " هل تصدقي لو أخبرتك أنني اشتقت لصوتك"

لم أستطع منع دموعي من النزول لأن أول ما جاء

في بالي سخريته الدائمة من طريقة كلامي وصوتي

مسح لي دموعي وقال بهدوء " بتول لا تختبري

أهميتك عندي لأنك لم ولن تفهميها يوما"

بقيت أنظر لعينه بحيرة فقبل شفطاي قبلة صغيرة

جعلتني ابتعد بشهقة مصدومة ووقف وتوجه نحو

الباب فتحه ووقف وقال " بما أنك علمتِ بأمر زواجنا

فلم يعد من داعي ليعيش كل واحد منا في مكان

وغادر وتركني بتنفس قد توقف من الصدمة

*

*

نظرت ناحية صالون الضيوف بدهن شارد وأنا جالس

وسط المكان ثم انتقلت به لستائر الصلاة فوضع

يده على كتفي وقال " أين وصلت بك الأفكار "

مررت أصابعي في شعري لتتساقط خصلاته تحتضن

جبيني وقلت " أفكر فيما سأجده في الشقة "

ضحك وقال " يا عيني عرسان جدد وتجديد

وصديق مطرود للخارج ليس له إلا الشارع "

قلت بسخرية " قد أصبح مطرودا مثلك قريبا فلا

تنسني في مكان وخبز وماء "

جلس بجواري وقال بهدوء " رضا لا اعلم كيف تفكر

تكتب لها كل ما تملكه وأنت تعلم بنواياها "

اتكأت للخلف وقلت ونظري للسقف " لم اصدق يوما أن

تنزاح جميع العوائق وتصير لي وأكبرهم والدتها فلن

أدع الفرصة تفوتني ، أنت لا تعلم معنى العشق يا فواز

لا تعلم معنى أن يحتل أحدهم قلبك ويسري في عروقك

لسنوات فكلمة أني أحبها لا تفي مشاعري حقها أبداً

تنهد وقال " اللهم عافني من مرض العشق فأنت تعلم

بحالي ليس لدي لا شقة ولا سيارة جديدة وكتاب

ورصيد في المصرف لأقدمه لها"

ضحكت وقلت " بل الحب أجمل ما في الوجود

يا أحمرق هوا شعور لا يقدره إلا العاشقون"

وقف وقال بضيق " نعم نعم ذكر نفسك يوم تزوجت

حبيبتك بغيرك وما حدث معك ولا تنسى كم قاسيت

بعدها وما سيأتيك منها ولا تنسى أنها امرأة مجروحة

والمرأة حين تُجرح تتحول للبوه بأنياب ومخالب لا

ترى سوا فريستها"

نظرت للأرض وقلت ببرود " إما أن تعود لي زهور

التي أعرفها أو تأخذ بحقها مني ومنتصافي ويرتاح

ضميري وفي الحاليتين أنا اعد نفسي الكاسب"

هز رأسه بيأس وقال " أتمنى الأولى لأن الثانية سترجعك

لحالتك تلك التي لم يخرجك منها سوا خبر طلاقها الذي

من حضنا السيئ وصلنا متأخرا جدا لأننا كنا خارج البلاد"

ثم قال متوجها جهة باب الشقة " الصالون

الجديد هدية مني لك"

وفتح الباب وخرج وأغلقه خلفه فأخرجت هاتفني من

جيبني واتصلت بجابر كثيرا وعلى حاله لا يجيب ، لو

أمسكه بين يدي أكرس له رأسه ، كتبت له رسالة فيها

(غدا سأكون عند عمك منصور وستزوجني بها

أو فعلت ما لا يعجبك) وأرسلتها له

*

*

"ماما انظري لسيلا إنها تغش"

نظرت لها فابتسمت ابتسامة صفراء وهزت رأسها

بلا فقالت بيسان وهي تشير لها بإصبعها

"بلى تغشي رأيك تنظرين لورقة أمجد"

نظر لها أمجد بصدمة وابتعد زاحفا بورقته فنظرت

لها وقلت ببرود " سيلا صفر"

تدمرت رافضة على ضحك بيسان وأمجد عليها

ثم وقفت وقالت " أذهب لأكمل أعمالى أفضل لى"

وتابعت وهى تخرج " ما يدرينى أنا أين

ولد الرسول و متى المهم أنه ولد"

ثم غادرت الغرفة ونظري يتبعها مبتسمة ثم نظرت

للى تغنى وتكتب فى ورقها منذ وقت ولا تعلم مما

يجرى حولها شىئا وقلت " ترف أرنى ماذا كتبتى"

خبنت الورقة خلف ظهرها وقالت " لا ماما لم أنتهى بعد"

ابتسمت وقلت " حسنا أكملى رغم أنى متأكدة

من أنك ترسمين فى الورقة"

رن حينها هاتفى نظرت للمتصل فكانت سوسن

فوقفت وقلت " سأذهب قليلا وأعود لكم ولا

أحد يغش كى لا يأخذ صفرا"

قالت ترف بمرح " أنا أنا أراقبهما"

قلت ضاحكة " نعم فأنتى لا تفلحين إلا فى هذا"

خرجت من عندهم وتوجهت لجناحى دخلت غرفتى

وجلست على السرير واتصلت بها فأجابت قائلة

"إن لم أتذكرك أنا لا تذكرينى أبدا يا ناكرة العشرة"

اتكأت على إحدى الوسائد وضحكت وقلت

"كما تعلمين وقتي مفتوح لكن أنتي لا أعلم متى يكون

الوقت مناسباً لديك لأتحدث معك ولا تنسي أني في كل

مرة أقطع اتصالك وأتصل بك أنا"

قالت ببرود " أنتي زوجة اللواء وليس أنا وماله

مفتوح لك لا يحاسبك عليه أحد فمن يتصل بمن يا

بخيلة وتسكنين قصراً ويخدمك الخدم وزوجك طوال

اليوم يركض خلف الجرائم فمن لديه وقت أنا أم أنتي"

قلت ضاحكة وأنا ألعب بخصلات من شعري

"حسناً وأنا لم أعترض ما بك اليوم تفرغين غضبك بي"

ضحكت وقالت " أحسبك ليس إلا فمئذ رأيت زوجك

في أخبار البارحة وأنا أموت منك حسداً كلما

تخيلت أنه زوجك وتنامين في حضنه"

قلت بضيق " سوسن الله أكبر من عينك ، إن

حدث له شيء اليوم لن ينقذك مني أحد"

قالت بدهشة " الله أكبر عليك أنتي منذ متى

كل هذا الخوف عليه"

تنهدت وقلت " مصير لا مفر لي منه"

ضحكت وقالت " نعم يا سيدة الحظ السعيد أحبيه

كما تشائين لأنه يستحق"

نظرت لصورته على الجدار وحضنت الوسادة تحتي

وقلت بحيرة " لا أعلم كيف أتصرف يا سوسن أنتي

تعلمين أن الحب ضعف والمتسلح به خاسر في النهاية"

قالت مباشرة " بالعكس هوا من يتمسك ويناضل للرمق

الأخير وهذا زوجك وأنتي لم تقترفي عيبا ولا حراما"

قلت بحزن " إن لم أجعله يبادلني ذات الشعور لن أكسب شيئا"

قالت من فورها " هذا شيء لا يمكن انتزاعه بالقوة انظري

لنفسك هل أجبرك هوا على ذلك"

قلت بضيق " هذا لأننا نحن النساء غيبات نذوب

من أشياء أقل حتى من الكلام"

ضحكت وقالت " تبدووا حالتك حرجة جدا فحاذري من

أن تكشفني له مشاعرك قبل أن تستحوذي عليه"

قلت بقله حيلة " أنتي تهذين يا سوسن هوا يقلبني

كالكتاب أمامه فماذا سأخفي وما سأكشف"

قالت بضيق " بل أنتي السبب ، ماذا سيكون مثلا

جني يعلم ما في نفسك"

قلت بضيق مماثل " نعم الكلام سهل لأن التطبيق لم

تجربيه ، أنا لم أكشف له شيئا أنتي لا تعلمي الأسئلة

الملتوية التي يحاصرني بها فلم أجد سوا الصمت

مهربا وكل ظني كان أنه لا يقرأه وعندما لمحت للأمر

فقط قال بكل صراحة أنه لم يعجز أبدا عن فهم دواخلي"

ضحكت كثيرا فقلت بضيق " نعم اضحكي هذا من كنتي

تقولين أنه رجل كباقي الرجال وأنه يمكنني ترويضه وسحبه

ناحيتي ووو وفي النهاية انقلب السحر على الساحر"

قالت بصوت مبتسم " وإن يكن علم هذا زوجك يا مغفلة

أنتي فقط ابقِي على طريقتك ولا تفسدي الأمر بأن تضعفي

فقط لأنه يعلم ما في قلبك ، استمدي القوة أمامه من هذه

النقطة وليس الضعف"

قلت ببرود " لا حل أمامي غير هذه الخرافات التي

قرأناها سابقا فإما أن تنجح أو تفسد كل شيء"

قالت بعد ضحكة " ماذا عن موضوع الحمل هل فتحه مجددا"

قلت بذعر " اسكتي كدت أموت يومها من الخوف

هذا الرجل أشك أنه يقرأ الأفكار بسهولة"

ضحكت وقالت " أخبرتك منذ البداية أن لا

تتلاعبي في هذا الأمر"

قلت ببرود " لن يكون هناك أطفال قبل أن

أعرف أين أنا هنا"

قالت بهدوء " لا تنسي أنه قد يأخذك لطيبة

وستكتشف بسهولة أنك تأخذين موانع للحمل"

قلت بهمس " وقتها لكل حادث حديث وداعا الآن يا سوسن"

لأنني سمعت باب الجناح انفتح دون أن يطرق عليه

أحد وقفزت خارج السرير بذعر حين انغلق بابه بقوة

صدعت الجدران ، غريب ما سيأتي بجابر الآن!!

وما به غاضب هكذا ، توجهت نحو باب الغرفة وفتحته

لأجد والدته في ردهة الجناح مكتفة يداها لصدرها

وتنظر لي بجمود

نهاية الفصل 20

الفصل الواحد و العشرون

ركضت خارجا وأنا أقول " ماذا يا مي ماذا حدث"

قالت من فورها " لا أعلم هوا في مكتبه ويحطم كل

شيء أخاف أن يؤدي نفسه ولا أحد هنا ولا حتى وليد"

قلت وأنا أتوجه لسيارتي " أنا قادم فوراً"

ركبت السيارة وتوجهت هناك بأسرع ما لدي ، ماذا حدث

بينهما وما قالته له جن جنونه هكذا إن كان سيزوجها

بسليمان بملأ إرادته ، وصلت بعد وقت ونزلت ركضا

ودخلت المنزل ووجدتها تنتظرني بالمقربة من الباب

فقلت " ماذا حدث أمازال هناك"

قالت ببكاء " نعم في المكتب توقف عن تحطيمه لكنه

لم يخرج ، ماذا حدث يا جواد"

قلت متوجها نحو السلام " هل تحدثتِ معه "

قالت وهي تتبعني " لم يجب علي ، حاولت وبلا جدوى "

وصلت باب مكتبه وطرقته بقوة وقلت " نواس افتح الباب "

ما نفع ما تفعله ، مابك يا رجل هذه ليست أطباعك "

لم يجب طبعا فقلت بصراخ غاضب " زوجتك تبكي عند "

الباب لقد أفرعتها بجنونك ارحمها على الأقل "

خرج حينها صوته قائلا بهدوء " اتركوني وحدي "

قلت بغضب " تخرج أو كسرنا الباب عليك "

فتح الباب حينها وخرج وضم مي لحضنه بيد واحدة وقال

وهوا يسلمني ورقة باليد الأخرى " أنا بخير لا تقلقي "

بقيت أنظر للورقة في يده بحيرة فحركها لأخذها منه

فمدت يدي وأخذتها فأبعد مي عنه وقال مغادرا

" سأخرج للبر ولا أعلم متى سأعود لكنني لن أتأخر "

تبعته حتى الخارج وقلت " نواس انتظر "

توجه حيث موقف سياراته وفتح باب السيارة الصحراوية

دون أن يجيب ثم ركبها وقال قبل أن يغلق الباب

"التوكيل لديك أتم الأمر قبل أن تسافر"

وخرج من المزرعة ولم يزد على ما قال شيئا ، اختارت سليمان

إذا لكن ما سبب كل هذا الإعصار والتدمير ، هذا ما لا يملك

جوابه أحد غيرهما ، عدت جهة منزل المزرعة ودخلت لأجد

المغلوبة على أمرها زوجته تنتظرنى وقالت ما أن رأتنى

"أين البر هذا وهل سيكون بخير"

قلت بهدوء " لا تقلقى سيكون بخير لديه صديق هناك يزوره

دائما وسيعود خلال أيام ، إن احتجت شيء اتصلى بي ، وليد

ومعاذ سيكونان هنا الليلة بالقرب منكما حتى يعود نواس

اعذرينى فلدى ثلاث نساء هناك لا يستطيع

تركهم فى العاصمة وحدهم"

قالت من فورها " لا تقلق على ولا تنسى أن وليد ابن

خالتي إن احتجت شيء لجأت له"

هزرت رأسى بحسنا وغادرت من عندها ، الغريب أنها لم

تُصر لمعرفة ما حدث ، غادرت من هناك عائدا للعاصمة

ولمنزلنا ، نزلت من السيارة ودخلت المنزل وتوجهت لغرفة

وسن ، وقفت عند الباب فكانت وفرح جالستان هناك

فقال فرح من فورها ما أن رأني

" هل أتحدث مع عائلة خالي وابنهم سليمان"

نظرت حينها لوسن التي تدرجت دمعها من عينها

ومسحتها بسرعة وقلت مغادرا " اتبعيني يا فرح"

توجهت لغرفة نواس وهي تتبعني وما أن دخلت حتى

أغلقت الباب خلفها وقلت " ماذا قالت لك"

رفعت كتفيها وقالت " لا شيء"

قلت بنفاد صبر " كيف لا شيء ألم تسألها عما دار بينهما"

قالت بضيق " وما بك معي سألتها كثيرا ولم تجب"

ثم تابعت " وما قال لك شقيقك؟؟"

نظرت للجانب الآخر وقلت ببرود " ترك لي توكيلا بتزويجها به"

قالت مغادرة " فعل الصواب أخيرا"

ثم خرجت وأغلقت الباب خلفها فتهتدت ونظرت لورقة التوكيل

بقلة حيلة ، لا أعلم لما يصنع بنا الكبرياء كل هذا ، لو كنت وفرح

مكانهما ما استطعت أن أبعدا عني رغم كل عيوبها وما رضيت

أن يأخذها مني أحد ، لنرى إن كان هذا سيأتي بالحلول للجميع

*

بعدها خرج والدي من هنا جلست مقربة الساعتين في مكاني

ثلثها أرتجف من الخوف الذي لم يغادرني بعد والثلث الثاني

استفيق من الصدمة والأخير أستوعب فيه ما قال وما حدث

بعدها توجهت لغرفتي وسجنت نفسي فيها أفكر في أنه سيأخذني

من هنا ما أن تنتهي دراستي فسؤاله اليوم لن يكون بدون سبب

بكيت كثيرا ولا أعرف لما تحديدا ... أساسا كل شيء لدي

يستدعي البكاء وحالي كله يبكي ، بعدها أخذت هاتفي واتصلت

بوالدي فطلبه مني الاتصال بها أيضا أمر يدعو للريبة لأنني

ممنوعة من محادثتها إلا في المناسبات والأعياد حتى أنها لا

تأتي هنا دائما لزيارة والدتها وشقيقها لبعد المسافة فلم نرها

منذ عيد الفطر ، أجابت بعد وقت قائلة " ملاك كيف حالك بنيتي"

قلت بحزن " بخير أمي وأنتي كيف حالك وأخوتي

جميعهم وعمي سعيد"

قالت بصوت مبتسم " بخير جميعنا كيف هي

جدتك وخالك"

قلت ببحة ودمعة نزلت من عيني " بخير"

قالت بحزن " ملاك حبيبتي لما الحزن والبكاء"

قلت بعبرة " لا اعلم لما أنا من بين كل البشر حالي هكذا سيأخذني

من هنا حتما ويعيدني لها وللعذاب مجددا ، لما ليس لي أبا حنونا

عطوفا كالجميع ، لما ليس لي منزلا فيه أب وأم وأخوة"

قاطعتني قائلة " لن تعودني هناك يا ملاك لا تخافي"

مسحت دموعي وقلت " ومن قال لك ذلك"

قالت " منذ أكثر من شهرين وعمك سعيد يحاول مع والدك

وبكل الطرق لنجد حلا كي لا تعودني لمنزله وزوجته"

شهقت شهقة صغيرة بسبب بكائي وقلت

"وما يكون هذا الحل"

قال من فورها " ابنه علاء وافق على الزواج بك

لتعيشي معي هنا"

قلت بصدمة " ماذا ! ومن يكون علاء هذا ومتى

صار رجلا ينفع للزواج"

قالت بضيق " ملاك لما هذا الكلام الآن علاء ابنه من

زوجته رحمها الله يعيش معنا هنا ، لن يوافق والدك إلا

إن كنتي زوجته ، لقد تعب سعيد كثيرا من أجل إقناعه"

قلت بحدة ودموعي عادت للنزول " ما هذا الهراء لما يجب

أن أكون زوجته لأكون مع والدتي ، لا يا أمي لن يتصدق

عليا ابن زوجك بالزواج به فقط رافة بحالي ثم ما اعرفه

أنه يكبرني بعام أو يزيد قليلا ومؤكدا لم ينهي دراسته

بعد أو تخرج حديثا"

قال " وإن يكن المهم أن تكوني معي وتبتعدي عن تلك

الحياة أليس هذا ما تريدينه وعلاء زارك في الجامعة

كم مرة ليتحدث معك"

هوا ذاك الشاب إذا عريس الغفلة أبو الشهامة ، قلت ببرود

"أنا لست موافقة "

قالت بصدمة " ملاك لا تضيعي تعبنا سدا"

قلت بضيق " تعبك في ماذا ؟ في أن أقنعتي ابن زوجك

أن يعطف على هذه المسكينة ليتزوجها ، لا يا أمي لن

أتزوج شخصا يمن عليا يوما بأفضاله ويعايرني

بحالي الذي تزوجني من أجله"

قالت بضيق أكبر " ملاك ما لا تعلميه أن زوجة والدك

تخطط لتزويجك بشقيقتها الصعلوك الفاسد كي لا تعودى

إليها فلا ترمى نفسك للنار بساقيك وما وافق والدك على

علاء إلا لأنه يعلم أنك متزوجة لا محالة منه أو من ذاك

على الأقل هنا أنا ووالده ولن ندعه يقربك بسوء ثم هوا شاب

مهذب جدا ، صحيح فاشل في دراسته لكنه ليس سيء"

قلت بعبرة " ما به حظي من بين جميع الخلق هكذا"

قالت بهدوء " وافقي يا ملاك ولا توقعي نفسك في برائن

زوجته وشقيقتها لأنهم لن يرحموك"

قلت وقد زادت عبراتي " لا أريد أن أتزوج بهذه الطريقة

ولا أريد هذه الحياة وهذا الواقع كله لا أريد"

قالت بحزن " فكري جيدا بنيتي أقسم لو كان في يدي

حل غيره لفعلته لكنك تعرفين والدك جيدا ، لن أعتبر

كلامك جوابا أخيرا ، فكري وقرري على مهل"

قلت بأسى " ليثني أموت وارتاح وارتاح الجميع مني"

قالت بضيق " استغفر الله يا ملاك ما هذا الذي تقولينه"

قلت بحزن " وداعا يا أمي"

ثم أنهيت المكالمة ولم ازدد إلا بكاء على بكائي السابق

وسجنت بعدها نفسي في غرفتي ولم أخرج ولا حتى للجامعة

*

*

قلت بهدوء " هل جهزتم كل شيء طائرتنا

في الغد يا فرح"

تأففت وقالت " ما بك يا جواد مستعجل هكذا عليها

أن تأخذ وقتها كغيرها يكفي أنا"

قلت بضيق " وما بك أنتي"

دفعنتي بيدها من صدري وقالت بابتسامة

"لا شيء تزوجت بأروع رجل لكن على عجل"

قرصت خدها وقلت " بل متزوجان قبل زفافنا

بعام كامل إن نسيت ذلك"

أبعدت يدي وقالت وهي تمسح خدها بتألم " بل كل شيء بعجلة

حتى ابنك مستعجل على القدوم ولم يتركني أنهى دراستي"

أمسكت وجهها وقبلت خدها وقلت " بل لو تأخر أكثر

لكننا وجهنا له نداء مستعجلا "

وقفت حينها وسن عند الباب وقالت " فرح أريدك قليلا"

التفتت لها وقالت " قادمة حالا"

ثم غادرت تتبعها فأخرت أنا هاتفني الذي يرن ونظرت

للمتصل فكان سليمان فأجبت عليه قائلاً " نعم خارج لك حالا"

*

*

كنت انظر بشرود لليد الصغيرة التي تلعب في كف يدي

وهوا جالس على فخذي حين شعرت بيد والده على

كتفي وصوته قائلاً " هل أنت مرتاح الآن بما فعلت يا نواس"

رفعت نظري للجبال البعيدة أمامي وقلت بهدوء

"لو قلت لك أنها نار تشتعل في داخلي ما وفيت ذلك

حقه ... لا يوصف يا خاطر لا يمكن وصفه"

قال بشبه همس " لما لم تتزوجها إذا"

ابتسمت بسخرية وقلت " حتى لو كان ذلك خيارى الأخير

بعد الذي قالته ما كنت سألجأ إليه فلكل شيء حدوده ولكن

كرامته التي لا يرضى أن يدوسها أحدا"

تنهد وقال " وهذا ليس حلاً أيضاً يا نواس وما تشعر

به الآن أكبر دليل"

رفعت نظري قليلا ليعانق زرقة السماء وقلت بحسرة

"أقسم لك أنه كل نساء الأرض لا تساوي عندي انسداد جفن

عينيها لكن الجرح جرح والكبرياء كبرياء وعلى الرغم من

ذلك كنت سأدوس عليهما لو لم تختبر ذاك الرجل"

قال بسخرية " وهل كنت ستفعلها من أجلك أم من

اجل وعدك لوالدتك"

عدت بنظري لكف يدي وقلت بحزن " بل من أجل هذا السعير

الذي يغلي في جوفي فلم تعد لدي طاقة لاحتماله يا صديقي"

قال مغادرا " الخطأ خطأك يا نواس أنت من لم ترحم نفسك"

ضغظت بقبضتي على يده الصغيرة وأنا أتذكر كلماتها

ذاك اليوم بعدما أخرجتهم لنبقى وحدنا وقالت

"من هو الشخص الذي تركتُك والدتك تختاره لي"

نظرت لها مطولا بحيرة حتى خيل لي للحظة أنها خمنت

أنه أنا حتى تابعت قائلة بنظرة ثابتة معلقة في عياني

"من يا نواس وما سر المدة التي أنت ستحددها"

أبعدت نظري عنها بل هربت من عينيها وقلت

"شخص أعرف أنه سيرعاك جيدا مهما كانت ظروف

زواجك به ، وسليمان ما كنت سأوافق عليه لو لم يكن

ضمن العهد الذي بيني وبين والدتي"

قالت ببرود " وإن قلت لا أريدهما كليهما"

قلت ونظري لازال بعيدا عنها " حلليني حينها من

عهدي لها لأنه في عنقي حتى أموت"

قالت بسخرية " لا يا نواس لن أعطيها لك يا ابن خالتي

ولن أبقى حتى تقرر أنت تزويجي بالمجهول كان من يكون

لو كنت مكاني ما رضيت بها وأعرفك لن تزوجني أبدا"

نظرت لها نظرة قوية وقلت بصدمة " ما قصدك بهذا يا وسن"

أشاحت هي الآن بنظرها عني وقالت ببرود

"قصدي لن أتركك تكويني بنار العيش معك

وزوجتك لأنه هذا هوا مخطئك"

وقفت وقلت بضيق " مجنونة"

وقفت وقالت بغضب " نعم مجنونة وجننت يوم أحببتك يا

نواس ، يوم سلمتك قلبي لتحرمني منه لتطعنه ألف طعنة

ثمنا لذنب أُجبرت أن أكون فيه"

تدحرجت بعدها دمعة من عينها وتابعت بحرقة

"قتلتني قتلتني مرارا وتكرارا ولم يعد يؤثر بي

حتى لو عشت في كنفك معها لذلك سأزوج سليمان فقط

كي لا تفرح بها ولا بينك وبين نفسك"

أشرت بيدي جانبا وقلت بغضب " ها قد قلتها بنفسك لم أعد

أعنيك في شيء فلما سيل الظنون الباطلة التي ترميني بها

لما تضمنيني مجرما لهذا الحد لأفكر بهذه الطريقة ولا

تنسي أنك أنتي من قالها لوالدتي ذات يوم وبالحرف

الواحد : لو كان زوجي به سيحرق قلب نواس

سأوافق عليه"

ثم أشرت لوجهها بسبابتي وقلت بحرقة " في تلك الحالة فقط

سأوافق يا خالتي في تلك الحالة فقط ، قلتها هكذا بالحرف

يا وسن تذكرين أم نسييتي كلامك ، فلا ترميني بطباعك"

قالت بصراخ " وما غرضك أنت يوم كويت قلبي بأخرى

أقسم يا نواس قسما بمن خلق في ضلوعي قلبا عشقك يوما حد

الثمالة أنهم لو جلدوني بسياط من نار ليلة نمت في حضنها

لكان أرحم عندي من شعوري ذاك ، لقد قتلت قلبي ولن أنسى

تلك الليلة ما حييت ، فاهناً بها لأنك نلت مرادك يومها"

غادرت المكان بنار تشتعل في جوفي من الغضب منها

ومن نفسي ومن قلبي ولو لم أفرغ غضبي يومها بتحطيم

مكتبي لكنت أقدمت على عمل سأدفع ثمنه ندماً لباقي

حياتي لأنني كنت سأرمي الوسن بالرصاص

أخرجني من تلك الذكرى صوت الطفل الباكي لأستيقظ

لنفسي وليدي التي تقبض على يده بقوة جعلته يبكي من

الألم فتوجه والده نحوي قائلاً " هات عنك هذا كصفارة

الإنذار إن اشتغل لن يسكت ، سأخذه لوألدته"

أخذه مني فتوجهت لسيرتي وفتحها من الأمام لأفحص

زيتها فاقترب مني ووقف مستنداً بها وقال

"لما تتفحصها يبدو أنك ستغادر"

أغلفتها وقلت وأنا انفض يداي من الغبار

"نعم فجواد طائرته أقلعت منذ ليلة أمس وعليها العودة"

ربت على كتفي وقال " يلزمك أن ترجع هناك لتنام على

الأقل فانا أعلم بأنك لم تنم هنا ولا لثانية"

مسحت على ظهره بكفي وقلت " شكرا لك يا خاطر

وأعذر ثقل زيارتي لكني لا أرتاح إلا هنا"

قال بعد ضحكة " تعودنا على زيارتك التعيسة

وسنعوضها بأخرى أفضل منها ككل مرة"

ابتسمت له وفتحت باب السيارة وركبتها ثم أنزلت

زجاجها واستندت عليه بذراعي وقلت

"باشر في فكرة بناء بعض الغرف هنا سريعا فهي فكرة صائبة

بما انك لا تريد أن تترك هذه الصحراء ولترحم تلك المسكينة"

ضحك وقال " في المرة القادمة ستجد الأساسات هنا

هل يرضيك هذا"

شغلت السيارة وقلت " ولا تنسى الماء والكهرباء أو أخذتها

وابنها منك واشتكتك لجمعية حقوق الإنسان والطفل

مما تفعله بهم"

ضحك كثيرا ثم لوح لي وأنا أبتعد بسيارتي للخلف

وغادرت من عنده لأرجع لواقعي الذي لم أتركه خلفي كما

ظننت ولم يتركني أغادر دونه كما كنت أتخيل بل جاء معي

أحرق قلبي وسرق نومي بل واستل عروقي من أحشائي

فما أقساه من شعور وما أمره

وصلت هناك مقربة الظهيرة لأنني غادرت من عنده بعد

الفجر بقليل وقادنتي سيارتي ليس لمزرعتي ولا لمنزل

والدي بل لشقة خالتي هنا وكأني أريد زيارة أطياف

الذكرى قبل أن ترحل هي أيضا ، وقفت تحت عمارتهم

ما يقارب النصف ساعة ليس لأقنع نفسي بالنزول بل أقسم

أني كنت امنعها من ذلك ثم توجهت لمنزلنا هنا وكأني

أقنعها بالقليل وكأني أقول لها حسنا لم أنزلك هناك سننزل

هنا ، خرجت من السيارة وأغلقت الباب وتوجهت لباب

المنزل وفتحته ودخلت وسط الظلام الذي يغزوه ولا أعلم

لما أتيت قد يكون لأشاهد بقايا موت الحلم الذي ولد هنا في

تلك الغرفة ومات فيها

توجهت عنوة ناحية غرفة والدتي وفتحت بابها ببطء لأقف

مكاني أنظر بصدمة للنائمة على سرير والدتي تحضن

مصحفها وثوب صلاتها واللحاف الذي كانت تتغطي به

وتخفي وجهها في ذراعها الأخرى ... وسن هي أم هيئ

لي !! وما تفعله هنا ، نظرت تحت قدمي لأجد ورقة
التوكيل التي تركتها لجواد ممزقة لأربعة أجزاء ومرمية
أرضا عند العتبة فعدت بنظري لها بعدما تأكدت أنني لم
أتوهم هذا واتكأت بكتفي على حافة الباب أنظر لها بضياح
وحزن أراقب تشبثها بأغراض والدتي وتنفسها الهادئ
الذي يدل على نومها ، أنا احترق هناك طوال ليلة البارحة
وأتخيلها في حوض غيري وأحاول إخماد نيرانني بسكب الماء
على وجهي كل حين وهي هنا تنام في حوض ذكرى والدتي
مررت أصابعي في شعري حين قال لي عقلي أن هذا يعني
أنها لم تتزوجه بل يعني كارثة أعظم أنها نامت هنا وحدها
طوال ليلة أمس فخرجت من المنزل وركبت سيارتي واتصلت
بجواد الذي أجاب من فوره قائلا " لم يطاوعني قلبي لفعلها
يا نواس ، اقسم أنها كانت علي أشد مما كانت عليك أنت
تزوجها وارحم نفسك وارحمها ولا تفكر في سليمان مجددا
لأنه لن يوافق بعد الآن"

قلت بغضب " مجنون كيف تتركها وحدها هنا يا مغفل ماذا لو
لم أرجع اليوم بل ماذا لو لم آتي لمنزلنا بتاتا ، لا أعرف أي

عقل هذا الذي لديك يا جواد"

قال ببرود " كنت أعلم أنك ستذهب هناك"

قلت بحدة " وما كان يدريك أنها ستبقى وماذا إن فعلت

في نفسها شيئا أو غادرت ولم نجد لها ، أنت لا

يمكن الاعتماد عليك أبدا"

قال بضيق " توقف عن الصراخ والغضب ، سأكون مجنونا وبلا

عقل ولا يمكن الاعتماد علي لو كنت السبب في فراقكما لآخر

العمر ، تصافيا في حساباتكما كما تشاءا وفي النهاية لن يموت

الحب يا نواس بل سيقتلكما إن كنت فعلتها وزوجتها به"

ثم تنفس بقوة وقال بشيء من الهدوء

"وسن أمانتك يا شقيقي ولا تنسى ما أوصتك والدتي

وما عاهدتها عليه وداعا"

ثم أغلق الخط فرميت الهاتف بعيدا عني أتأفف بغضب

لم أتصور كل هذا ولم يعطني حتى الوقت لأخطط له وأجهز

مكانها في المنزل هناك بل ما الذي سيقنعها الآن ويجرها

من هنا لتذهب معي خصوصا بعدما قالته يومها ، بعد وقت

أمسكت هاتفي واتصلت بوليد فأجاب من فوره قائلا

"مرحبا نواس متى عدت"

قلت بهدوء " منذ قليل أين أنت الآن"

قال مباشرة " اليوم المرافعة الأولى لقضية أموال والدي

هل هناك أمر ضروري"

تنفست بقوة وقلت " لا ابق فيما أنت فيه الآن ولا تشغل بالك"

ثم أنهين الاتصال منه واتصلت بمعاد الذي أجاب بعد

وقت فقلت مباشرة " أين أنت يا معاذ"

قال " في العاصمة هل تأمرني بشيء"

قلت بهدوء " أنا عند منزلنا هنا تعال بسرعة"

قال " دقائق فقط وأكون عندك"

اتصلت بعدها بصديقة وسن لتأتي وتكون قريبة منها فلا

خيار غيرها فوالدة فرح ستكون في بلدة أشقائها بالتأكد

بعد قليل وصل معاد ونزل من سيارته وقال

"ماذا بك وما تفعل هنا"

تنفست بضيق ولم أتحدث على اقتراب ملاك منا

التي وقفت وقالت " ماذا حدث هل وسن بها مكروه"

نظرت لها وقلت " ألا تعلمي أنها هنا ووحدها"

قالت بحيرة " لا فأنا لم اخرج من منزلنا من أكثر من ثلاثة

أيام ولم أفتح هاتفي إلا اليوم ، ماذا حدث"

أشرت بيدي للمنزل وقلت " كوني بقربها رجاءا

لوقت لن يكون طويلا"

هزت رأسها بالموافقة وتوجهت من فورها ناحية المنزل

وقال معاذ من فوره " ولما أحضرتني هنا على

عجل ، ما موقعي من كل هذا"

قلت " أريد منك أن تذهب للمزرعة و"

قاطعني خروج ملاك من المنزل مجددا فنظرت لها

باستغراب وهي تقترب منا

*

*

خرجت مشتعلة غضبا من ذاك المنزل بسبب هذه المجنونة وسن

وهي تقول عودي لمنزلك حالا لأنني أيضا لن أبقى فخرجت

عائدة ناحيته أتمتم بغيض " وكأنه ينقصني هموم على همومي"

اقتربت منهما ووقفت ونظرت لنواس وقلت

"طردتني بالعربية الفصيحة"

نظر لي بصدمة وقال " طردتك" !

نظرت لصديقه فكان يخفي شفتيه بحركة من إصبعيه

ويبتسم فقلت بضيق " نعم وكأنه منزلها فأرجع لي

كرامتي المهدورة واطردها"

ضحك حينها الذي كان يمسك ضحكته منذ وقت

فتجاهلته وتابعت ببرود " وقالت أنها أيضا ستغادر"

تنفس نواس بغيض وقال " هل جئت هذه أم ماذا"

ابتعدت عنهم مغادرة وهو يتأفف غاضبا حين سمعت ضحكة

صديقه مجددا وصوت نواس قائلا وبضيق " لا تقلها أو

قطعت لسانك فهمناها لن أحزن لأنه سرق الحزن

من سنيني فغير شعارك الهابط هذا"

تسمرت حينها مكاني والتفت أنظر لهما بصدمة وهما

يوليان ظهرهما لي على قول صديقه وهو يمسك يده

"آه نواس بالرفق"

قال نواس بحيرة " أمازالت تؤلمك ! الحادث مر عليه

أكثر من أسبوعان منذ وفاة والدتي"

زادت حينها صدمتي وعياني قليلا وتخرجا من مكانهما

وقال ذاك بتألم " لا أعلم ما بها ما تزال تؤلمني"

قال نواس متوجها جهة باب منزلهم " عد للمستشفى إذا

ليرو ما بها بدلا من إهمالها حتى حين لا ينفع الندم

ولعلك تتوقف عن جنونك الدائم في القيادة"

التفت حينها ليفاجئ بوجودي خلفهم وأنا انظر له دون

أن أرمش أحزان السنين هوا أمامي بشحمه ولحمه

الشعار نفسه والحادث لا اصدق هل أنا في حلم ، وضع يده

في جيبه ونظر لي بابتسامة مائلة وكأنه يقول ما يوقفك خلفنا

فابتسمت وقلت بمشاكسة " قالوا أن التجسس ينمي أعصاب

المخ ويقويها لكني لا أصدقهم ولم أتجسس عليكما"

نظر لي بابتسامة لعوب فقلت مغادرة " حسنا توبة لن أعيدها"

ثم ركضت مبتعدة وأنا أشعر بسعادة العالم كلها تسكن داخلي

أحزان السنين هوا يا ملاك هل تصدقي هذا ، كم تمنيت أن

أراه فقط ولو من بعيد ولم أتخيل أن يكون صديقا لقريب

أقرب صديقة لي ، هل أنا في حلم يا بشر بل ياله من لقاء

رائع انتهى بفكرة سيئة أخذها عني بالتأكيد ، لكن لا يهم
المهم أن اعرف الآن من يكون ، ركضت وأنا أعبر الشارع
وأحضن حقيبة يدي وضحك كالمجانين ولو كان

بيدي لقفزت فرحا كالأطفال

بقيت واقفة أنظر له باستغراب من وقوفه هنا وفي
هذا الوقت ، وقفت متجمدة مكاني ولم أتقدم في خطواتي
أكثر أنتظر أن يقول أي شيء فلا بد وأنه كان واقفا
ينتظرني من أجل شيء ما ، لكنه فاجئني حين ابتعد عن
الجدار واستدار وعاد لغرفته ودخل وأغلق الباب خلفه
دون كلام فبقيت لوقت مكاني أنظر لباب الغرفة باستغراب
ثم توجهت لغرفتي دخلت وأغلقت الباب وارتديت بيجامة
النوم وفتحت شعري ودخلت السرير فتذكرت أنني لم أحضر
الماء فغادرت السرير وخرجت من الغرفة لأفاجئ بنزار
خارج من غرفته ومر من أمامي ونزل دون أن يتكلم
فرفعت كتفائي بعدم فهم ونزلت خلفه ، توجهت للمطبخ

ووجدته واقفا هناك ولا يفعل شيئا فتوجهت لقارورة الماء

أخذتها وخرجت فأوقفني صوته قائلا " سما انتظري"

التفت أنظر له بصمت وقد طال صمته ولم يتحدث وهو

ينظر لأصابعه على الطاولة المستند عليها بيده

فقلت بهدوء " نعم نزار هل تريد شيئا"

تحرك حينها مارا من أمامي وقال " لا تهتمي

للأمر لا شيء مهم تصبحين على خير"

بقيت انظر لظهره حتى اختفى وهو يصعد السلالم بخطوات

سريعة ، ما به يا ترى وماذا كان يريد أن يقول ولما

غير رأيه ، تنهدت وغادرت أتمتم بحزن

"ما هذه المصيبة المسماة حب ليثني لم أعرفه ولم أجربه"

عدت لغرفتي ودخلت سريري أحاول النوم لأنه طار من

عيناى ، كنت نائمة على ظهري أراقب السقف بشرود

أفكر في مستقبلي وما قد يحدث معي ، لأول مرة يزورني

هذا الهاجس ، كنت دائما أفكر فيما أنا فيه الآن وأفسر واحلل

مشاعري وما يحدث معي ولم يخطر في بالي أن أبحث عن

نفسي في المستقبل فلم أصل قبلا لهذه النقطة ، جلست بسرعة

حين سمعت طرقات على باب الغرفة مؤكدا نزار وقد يكون
قرر أخيرا أن يقول ما يريد قوله ، غادرت السرير وتوجهت
للباب وفتحته فكان واقفا أمامه ومسندا يده على الجدار
وقال من فوره " أريد هاتفك قليلا إن لم يكن لديك مانع"

نظرت له باستغراب بادئ الأمر ثم قلت

"بالتأكيد لن أمانع"

ثم دخلت وأخرجته له ومددته له قائلة

"يمكنك إبقائه لديك كيف تشاء"

نظر لي حينها نظرة لم أفهم مغزاها وكأنه لم يكن يتوقع

ما قلته فمده لي دون أن يفعل به شيئا فنظرت ليد

ثم لعينيه ورفعت شعري خلف أذني وقلت

" هذا فقط !! هل انتهيت منه"

أعاد يده ونظر لشاشته وفتش أو فعل شيئا لا أفهمه

ثم مده لي وقال " هذا فقط شكرا لك"

أخذته منه وأنا انظر له باستغراب فقال متوجها ناحية

غرفته " أردت أن أبقيه قليلا لأمر مهم لكنني تذكرت

أن غدا مدرسة و عليك أخذه معك"

ثم دخل غرفته وأغلق الباب فعدت لغرفتي ونمت أحاول

أن لا أفكر في شيء لأني لا أفصح ولا حتى في التفكير

فكيف سأفسر ما يجري

في الصباح استيقظت متأخرة بسبب سهري البارحة

دون فائدة أراقب السقف بشروود وكأني أرسم عليه لوحة

ركضت على طرق نزار على الباب وأنا أتوجه للحمام

قائلة " قليلا فقط وسأنزل لك"

خرجت من الحمام وأخذت حقيبتي ومشبك الشعر وحجابي

وخرجت ركضا ونزلت السلالم بسرعة ودخلت غرفة خالتي

ونزار كان هناك يقف مستندا بالجدار فجلست أمامها وقلت

" امسكي لي شعري أولا"

جمعته للخلف لأنه تناثر بسبب ركضي وقالت وهي تعدله

" سأضفره لك ما رأيك"

قال نزار بتذمر " أمي مارسي أمومتك فيما بعد لقد تأخرنا"

نظرت للأرض بخجل من نفسي وقالت خالتي بتذمر

" مهلك علينا قليلا لن تطير المدرسة"

ثم قالت وهي تمسكه " سأقص لك غرة أيضا

فيما بعد وستعجبك"

تأفف حينها نزار وخرج فألبستني حجابي وعدلته

لي فوقفت وقلت " ما به يبدوا مستاء ! لم يغضب

هكذا حين تأخرت تلك المرة"

مدت لي حقيبتني وقال بلامبالاة " لا تكثرني له فالرجال

يتضايقون لأسباب خارجية ويصبون غضبهم على النساء"

وصل صوته من الخارج مناديا " بسرعة يا سما"

خرجت مسرعة وأنا أقول " وداعا يا خالتي"

خرجت خلفه وركبت السيارة وانطلقنا في صمت سوا

من تنفسه القوي الغاضب بين الفينة والأخرى فقلت بهمس

" أنا آسفة لم أقصد أن"

قال بهدوء ممزوج بالضيق " لا بأس"

كان وكأنه يريد أن ينهي الكلام وأن لا يسمع صوتي ، يبدوا

مستاء جدا اليوم لابد وأن تلك الرهام وراء هذا ، نظرت للنافذة

ولذت بالصمت حتى وصلنا المدرسة ونزلت دون كلام ودخلت

ووجدت ريحان عند الباب فنظرت لها وقلت باستغراب

"ماذا تفعلين هنا" !!

ضحكت وقالت " وأنتي ماذا تفعلين هنا"

قلت ببرود " أدخل للمدرسة طبعاً"

ضحكت وقالت " وأنا أخرج منها"

قلت باستغراب " ولما تخرجي" !

قالت " لا دراسة اليوم"

قلت بصدمة " ولما" !!

رفعت كتفيها وقالت " لو شاهدت التلفاز مثل

غيرنا لعلمت بذلك"

نظرت جهة الباب ثم لها وقلت

"وكيف يعلنون عن العطلة من التلفاز"

ضحكت وقالت " وكأنك لم تدرسي حياتك في

المدارس الحكومية"

قلت بحيرة " والعمل الآن؟؟"

قالت ببرود " لا شيء تقفي مثلي حتى يكتشف

أهلك أنه يوم عطلة ويأتوا لأخذك"

مستحيل نزار سيذهب للشركة التي يعمل فيها قريبه حسام

ويسلم لهم الخرائط ويبدوا لا يعلم بأمر العطلة اليوم ولن يعود

قبل الظهر ، تذكرت هاتفي فابتعدت عنها وفتحت حقيبتني

وفتشت كثيرا ولم أجده ، لا يا إلهي كيف نسيتته ، كله بسبب

الاستعجال ، كان في حقيبتني البارحة وحين أخرجته لنزار

لم أرجعه لها ، توجهت ناحيتها وقلت

"خالتي تستمع للمذياع دائما لما لم تسمع عن العطلة"

قالت بضيق " أعلنوا عنها صباح اليوم ، لا أعلم هذه الدولة

كيف يفكرون ! هذا اليوم ملغى منذ سنوات ولا عطلة فيه

كانوا أخبرونا منذ وقت كي كسبناه في النوم والراحة"

قلت " عليا أن أجد هاتفا وبسرعة قبل أن يبتعد نزار"

قالت وهي تقترب من الباب " لا حل أمامي سوا أن أعود

للمنزل سيرا على قدمي رغم أنه بعيد قليلا"

قلت بصدمة " وأنا!! "

قالت " تعالي معي ونتصل من هناك بقريبك يأتي لك"

قلت بشبه همس " لا أستطيع"

قالت متوجهة نحو الخارج " لا حل لك إذا سوا انتظاره"
نظرت للخارج وكان ثمة شابان يقفان هناك وينظران لي
ويبتسمان فشعرت بالذعر من كلام خالتي ، لم أكن أخاف
من الرجال بهذا الشكل رغم كل خوفاي منهم ولم أشك للحظة
أنهم مخيفين هكذا ، توجهت نحوها وأمسكت يدها وقلت

"انتظري أين مدير المدرسة"

ضحكت وقالت " لم يأتي طبعاً نام وتركنا نكتشف المفاجأة هنا"

تهددت بضيق ثم نظرت للبعيد حيث غرفة الحارس وقلت

"لنأخذ هاتف الحارس ونتصل ليأتوا لأخذنا"

قالت وهي عائدة معي " فكرة جيدة"

ثم تابعت بضيق ونحن نسير نحوها " الحق عليهم لما

يمنعون الهواتف في المدارس ، قوانين فاشلة مثلهم"

ريحان لا تتوقف عن ذم نظام البلاد وكأنها ليست دولتها

هي لم تجرب أن تخرج منها لأحببتها بكل عيوبها ، اقتربنا

من غرفته وطرقنا الباب ولم يفتح لنا فقالت ريحان بهمس

"قد يكون ميت"

لم استطع إمساك ضحكتي ففتح لنا الباب وشعره مبعثر

ووجهه منتفخ من النوم وقال ببحة

" ما بكما ألم يخبركم احد أنني لا أنام طوال الليل"

نظرنا لبعضنا وقالت ريحان بابتسامة " عم صابر نريد

هاتفك قليلا لنتصل بأهلنا يأتوا ويأخذونا من هنا"

قال بحدة " لو كنت من أصحاب الهواتف ما كنت هنا"

ثم أغلق الباب في وجهنا بقوة فنظرنا لبعضنا بصدمة

وقالت ريحان " وأين يذهب براتبه إذا هذا الكاذب"

فتح حينها الباب ونظر لنا بغضب فركضنا مبتعدتين ولم

نشعر بنفسينا إلا ونحن خارج سور المدرسة نلهث من

الركض وقلت " ما العمل الآن"

قالت وهي تسير " أنا الغبية تركت باقي بنات الحافلة ذهبن

ولم أذهب معهن وتأملت أن يتذكرنا صاحب الحافلة أو أحد أهلي"

تبعتها مسرعة وأنا أقول " ريحان لا تتركيني وحدي"

وكنت انظر للخلف حيث أن الشبان تحركا خلفنا فوقفت

وقالت " تعالي معي أو ابقى هناك حتى يأتي قريبك

وقت الظهر لا خيار ثالث أمامك"

ارتجف كل جسدي حين شعرت بيد لامست خصري
وقفزت مبتعدة على عبور أحد الشبابين جهتي ثم نظرت لي
للخلف مبتسما فنزلت دموعي دون شعور وقلت بعبرة

"وقح لقد لمسني"

سحبتني من يدي قانلة " لم تري شيئا بعد إن بقيتي هنا"
سرت معها ولا خيار أمامي وأنا أستمع لهمسات خلفنا فالتفت
فكان ذاك الشاب فقلت بخوف " ريحان إنه خلفنا متى سنصل"
قالت ونحن نزيد سرعتنا حتى كدنا نركض " كله بسببك
زرقاء العينين بيضاء البشرة ممشوقة القوام لما لم
يلحقتي أنا البدينة السمراء"

قلت بضيق " وما ذنبي أنا ثم لست وحدي زرقاء العينين
من يسمعك لا يصدق أنه يوجد مثلي وبكثرة"

قالت ونحن نعبر الشارع " لا حل سوا السير بسرعة وإن
أمسك لا اعترف بك سأهرب وأبلغ الشرطة عنه

لأنه لن يصنع بي شيئا"

قلت بصدمة " ماذا تهربي وتتركيني"

وما أن أنهيت جملي حتى شعرت بحقيقتي تُسحب

للخلف بقوة ثم أمسكت يد بذراعي فصرخت بخوف

وفرت ريحان راكضة وهي تقول " اتركها سأبلغ عنك الشرطة"

وبدا يسحبني جهة منزل لم يكتمل بنائه بعد وكان رفيقه يقف

هناك وكأتهما متفقان على إمساكي هنا ، صرخت

بريحان فقالت صارخة وهي تركض

"سأطرق أول باب أجده أمامي وسترون"

قال الآخر بصوت مرتفع " أتركها ستخبر عنا

تلك المدينة القبيحة لقد أفسدت كل شيء"

حاولت سحب نفسي لأعيق خطواته وأنا ابكي وأترجاه أن

يتركني لكنه لم يستمع حتى لصديقه فسمعت فجأة صرخته

القوية وأفلتني لأسقط أرضا بعد عدة خطوات ونظرت

للخلف فكان نزار يضربه بقوة ممسكا قميصه ويلكمه على

وجهه ويصرخ به قائلا بغضب ووجه محمر

"سأربيك يا حثالة إن لم تجد من يربيك يا صعلوك

يا فاشل ألا تخجل من نفسك"

كان يضربه بعنف ويصرخ ويشتم وذاك لا حيلة لديه لأن

نزار اكبر وأقوى منه أما الآخر فقد فر عندما رأى ما حل برفيقه

ثم رماه أرضاً ووجهه مغطى بالدماء وبصق عليه وقال باحتقار

"لعلك تستفيق لنفسك فلن أبلغ عنك وأسلمك للشرطة

وأضيق مستقبلك ، غادر بسرعة"

وقف ذاك يترنح في مشيته يحاول أن يسرع وتوجه نزار

نحوي وأمسكني من ذراعي وأوقفني بقوة سائرا بي نحو

السيارة وفتح الباب وقال بحدة " اركبي بسرعة"

ركبت وأغلق الباب بقوة وركب وشغل السيارة وسار بها

وقال بغضب " ما الذي أخرجك من المدرسة تكلمي "

كنت أرتجف من الخوف الذي لازال مسيطرا علي وأبكي

ولم استطع الكلام ، وصلنا حينها لريحان تركض

فأوقف السيارة وقال من نافذته " اركبي"

ركبت بسرعة ودون تفكير وكأنها هي المطاردة وليس

أنا وما أن ركبت وانطلق حتى قال بذات غضبه

"ما الذي أخرجك من هناك في وقت مبكر هكذا ولم

تنتظريني ، تكلمي الآن يا سما"

قالت ريحان ببكاء " لم نكن نعلم أن اليوم عطلة و"

صرخ بها بحدة " أصمتي أنتي"

سكنت من فورها وقال بصراخ غاضب " لما لم تتصلي بي"

قلت بتنفس متقطع " نسيتته في الغرفة"

ضرب على المقود ولف بالسيارة يمينا وهو يقول بحدة

" لا اعلم متى ستتوقفين عن التصرف كالأطفال بل الأطفال

يثبرون من تصرفاتك الصببانية ، ماذا لو لم الحق بكما ؟ ماذا

لو حدث لك شيء هناك ، ماذا سأقول لعائلتك حينها تكلمي"

لم ازدد إلا بكاء وتابع قائلا " لما لم تدخلي للمدير وتخبريه"

أبت الكلمات أن تخرج وصرت أشهق كالغريق

وقالت ريحان " قالوا لم يأتي"

صرخ بها بقوة " ألم أقل تصمتي ثم من أخبرك بذلك ، لو

دخلتي للداخل يا نبيهة لوجدته في الإدارة وباب المدرسة

مفتوح أيضا لكن اللوم ليس عليك بل على هذه التي خرجت

معك ، بل وعلياً أنا قبلها لأنني ظننتها كبيرة وعاقلة"

قالت ريحان حينها " لقد"

قاطعها بغضب " أصمتي"

قالت بحدة " لقد فت طريق منزلي هل ستأخذني معكم

لأسمع باقي التوبيخ ، أنا لست مستغنية عن عمري"

وقف حينها ونزلت ريحان وقالت بضيق

"شكرا على إيصالي"

ثم ضربت الباب وغادرت جهة أحياء بعيدة قليلا لأنها

تسكن على أطراف المدينة في طريق خروجنا وتابع

الطريق وكان يقود بغضب واضح ويتأفف ويزفر بغيض

فقلت بهمس " أنا لم"

قطعني بحدة " أصمتي ولا كلمة"

فلذت بالصمت أتابع بكائي حتى وصلنا ونزل وفتح باب

المنزل ودخل وتركه مفتوحا فنزلت احضن حقيبيتي

وأرتجف من البكاء والخوف

*

*

انفتح باب المنزل بقوة فنظرت لباب غرفتي بترقب

سما في المدرسة ونزار خارج العاصمة ولا مفتاح لدى

غيرهما فمن سيكون هذا !! وما هي إلا لحظات ودخل

نزار ووقف عند باب غرفتي ينظر حيث يمر باب المنزل
وكأنه ينتظر أحدهم ليدخل فقلت " نزار ما الذي عاد بك"
قال وهو ينظر هناك وأصبعه يشير لي وبلهجة حادة
" ادخلي هنا لنرى"

دخلت حينها سما تبكي وترتجف وركضت فوراً جهتي
وارتمت في حضني فمسحت على رأسها وما أن فتحت
فمي لأتكلم حتى صرخ نزار قائلاً " لا مدرسة بعد اليوم
تدرسي هنا تبقي من دونها لا يهم"

قلت بصدمة " ما بكما" !!

قال بضيق " اسأليها ما يخرجها من المدرسة مع فتاة
لا تعرفها وأين كانت ستذهب وماذا كان سيحدث لها لو
لم أدركها ، لم تخبريني أنك تريدين زيارة منزلهم
لأخذتك بنفسك تسكعت هناك"

قلت بضيق " نزار ما هذا الكلام الذي تقوله"

قال بغضب موجه حديثه لها وكأنه لا يراني

"ماذا كنت سأقول لعائلة والدك حينها ... ابنتكم

ضاعت مني وضاع شرفها وشرفكم من أجل دراسة"

قلت بغضب مماثل " نزار توقف حالا الفتاة ترتجف

بشدة وفي حالة هستيرية من الذعر"

قال مغادرا وبصراخ " اقسام لو كانت اصغر

بقليل لضربتها لتتعلم كيف تتصرف"

وصعد بخطوات ثقيلة غاضبة وتركها ترتجف بشدة في

حضني وتبكي بهستيرية ، حاولت التحدث معها وتهدئتها

وبلا فائدة فبدأت أقرأ عليها آيات من القرآن وأمسح على

شعرها بعدما نزعنت لها حجابها وبقيت كذلك حتى

هدئت قليلا فأبعدتها عن حضني وقلت

"ماذا حدث يا سما ؟ ما أغضبه منك هكذا"

حاولت أن تحكي لي لكني لم أفهم شيئا من عبراتها وشهقاتها

وارتجافها الذي عاد كما كان ، كانت تُخرج حرفا وتبلغ عشرة

وما فهمته أنه ثمة من طاردها وكان سيأخذها لمنزل مهجور

فحضنتها مجددا وقلت " اهدني يا سما أنتي بخير وحمدا

لله أن الأمر انتهى على هذا ... اهدني"

هدأت بعد وقت طويل وخف بكائها وارتجافها وبعد وقت

نزل نزار متوجها لباب المنزل فناديت بصوت مرتفع

"نزار"

لكنه لم يكثرث لي وخرج ضاربا الباب خلفه بقوة

فنظرت لسما التي نامت على السرير بالعرض جسدها

فوقه وساقاها خارجه حاضنة ليديها عند صدرها ولازالت

تشهق بين الفينة والأخرى ، مسحت على شعرها وتهدت

بقلة حيلة ، حمدا لله انه وصل هناك في الوقت المناسب

حمدا لله الذي حفظك ورعاك يا ابنتي لأنني اعرف شعور

نزار وأقدره فما كانوا أهلك سيغفرون له إهماله وسيضعون

اللوم عليه حينها وأقل ما سيقولونه لو جلبتها لنا منذ البداية

لحميناها بأنفسنا ، ولو كنت مكانهم لصنعت ذات الشيء

بعد وقت دخل نزار ووقف عند الباب هذه المرة ونظر لها

وهي نائمة مكانها ثم لي فقلت بضيق وصوت منخفض

"تصرف بلين لقد أرعبتها فوق رعبها"

قال بحدة وصوت منخفض " أمي لا تفتحي معي هذا

الموضوع كي لا أزيد غضا فوق غضبي"

ثم غادر جهة المطبخ ولم اعد استمع إلا لأصوات

الأواني وكأنه إعصار دخل المطبخ وبعد وقت حركت

كتفها وهمست قائلة " سما بنيتي استيقظي "

فتحت عيناها بصعوبة ثم قفزت جالسة بذعر فقلت

بهدوء " لا تخافي أنتي في المنزل "

التفتت في كل اتجاه وقالت بخوف " كان هنا "

مسحت على شعرها وقلت " لا احد هنا كل شيء انتهى "

هيا اصعدي لغرفتك صلي الظهر وانزلي لتتناولي غدائك "

وقفت وقالت بملامح متعبة من البكاء والخوف

" هل عاد نزار ؟ صوته في المطبخ "

هزرت رأسي بنعم وقلت

" لا تتحدثي معه الآن لازال غاضبا جدا "

نزلت دموعها وقات ببكاء " لم اقصد إغضابه كنت خائفة

من الشابين وريحان ستغادر وتتركني وحدي وهي

قالت أن المدير ليس هناك و".....

وعادت تسرد عليا كل ما حدث مجددا فقاطعتها قائلة

" نعم يا سما اعلم ولكنك أخطأت بنيتي الوقت كان مبكرا

والشوارع لا حركة فيها والشباب المراهق المنحرف لا يخاف

ولا يستحي وخرجوك كان خطرا أكبر من بقائك هناك"

زاد بكائها فتنهدت وقلت " توقي عن البكاء ولا تتحدثي

معه أبدا ، هيا اصعدي وصلي صلاتك وارتاحي"

تركنتي وصعدت لغرفتها وبعد وقت دخل نزار يجر

طاولة الطعام في صمت وخرج وجلب الأطباق

والأكواب ثم جلس وقال بضيق " اتصلي بها لتنزل"

سويت من جلستي ورفعت هاتفي واتصلت بها فأجابت

بعد وقت فقلت مباشرة " انزلي لتتناولي الغداء معنا يا سما"

قالت بصوت واضح عليه البكاء " لا رغبة لي في الطعام"

تنهدت وقلت " حسنا نامي الآن وارتاحي وتناوليه فيما بعد"

ثم أنهيت المكالمة ونظرت لنزار الذي كان ينظر لي وقد

حول نظره بسرعة لطبقه وقال ببرود " لا تفتحي الموضوع

معي يا أمي رجاء المدرسة انتهى أمرها وغيره لن نتكلم فيه"

تنهدت ولذت بالصمت لأن الكلام لن يجدي الآن

أنهينا غدائنا وأخرج كل شيء وعاد لضججه في المطبخ

ثم صعد لغرفته ولم أره باقي اليوم ولا سما التي كلما

اتصلت بها قالت أنها بخير ولا رغبة لها في النزول ولا

الطعام وعند أول المساء دخل نزار من الخارج وقف

عند باب غرفتي وقال " هل أعد العشاء"

قلت بهدوء " أنا لا رغبة لي في الأكل وسما لم تتناول

حتى غذائها ، إن كنت أنت تريد شيئا فأعده لنفسك"

قال بعد صمت " اتصلي بها وانظري ما بها قد تكون مريضة"

قلت ببرود " أنت أسرع يمكنك الصعود والاطمئنان عليها"

قال مغادرا " انسي الأمر إذا"

قلت منادية " نزار تعال قليلا"

عاد عند الباب فقلت " أدخل"

فتح فمه ليعترض فقلت بضيق " نزا لا تنسى أني والدتك

وقد تغاضيت عنك صباحا لان مزاجك كان سيئا من

قبل حتى أن تأخذ سما للمدرسة"

نظر لي باستغراب فقلت بإصرار " أدخل يا نزار"

دخل وجلس على الأريكة مبتعدا عني قليلا فقلت

" ما بك بني"

نظر لي بجمود دون كلام فتنهدت وقلت " قد تكذب

على الجميع لكن قلب الأم لا وثمة ما كان يزعجك قبل

مشكلة سما كلها ، أنا معك أنها أخطأت لكن الشبان كانا

أمام باب المدرسة ويطرصدان لها وصديقتها ستذهب وتتركها

وحارس المدرسة صرخ بهما وأغلق باب غرفته ونام ومؤكد

أنت تعلم أن غرفته بعيدة عن الباب وهما رأتا باب

المدرسة الداخلي مغلق بالفعل"

قال بضيق " لكني اتصلت بمدير المدرسة وأنا ذاهب وقال

انه هناك وفي الداخل ولا احد في المدرسة فما أدراه بذلك"

قلت بجدية " وسما لن تكذب تحت أي ظرف كان وكانت

في موقف سيء وأنت أكثر من يعلم أنها لن تعرف

كيف تتصرف في هذه الأمور"

أشاح بنظره عني وقال بضيق " أخطأت يا أمي أخطأت"

تنهدت وقلت " أعلم لكن غضبك كان مبالغاً فيه

وسببه لم يكن هي فقط"

بقي على حاله هاربا بنظره مني ولم يعلق ولا يعترض

على كلامي فقلت بهدوء " رهام أليس كذلك"

نظر لي بسرعة وصدمة فابتسمت بسخرية وقلت

"لم أكن أتصور انك لازلت تحبها"

وقف ينظر لي بملامح عابسة وقال بصوت مشمئز

"أمي ما هذا الجنون أنا أحب تلك"

قلت ببرود " فسر لي سبب حالتك هذه إذا"

قال بحرقة وغضب ملوحا بيده في الهواء " نعم سببها هي

ولكن ليس كما تتخيلي ، بلى ما أن أراها واسمع صوتها أموت

بالعرق لكن ليس حبا لها بل لأنها باتت شيئا يذكرني بواقعي

ما أن أراها حتى أشعر بك وبعجزك عن الحركة وعجزي

عن مساعدتك ، ما أن أراها حتى أتذكر أن من هم في سني

أبنائهم حولهم وطولهم يقاربهم ، ما أن أراها أتذكر أن من

كانوا اقل من مستواي في دفعتي يعيشون الآن في الخارج

وصورهم تملأ الصحف والمجلات ، هل تعلمي الآن ما

تفعله بي رهام وما يفعله بي ذكر حتى اسمها ، هي من

تركني خلف الجميع ليسير الكل للأمام إلا أنا ، هل تتصوري

معنى أن يكون الرجل عاجزا عن مساعدة الجميع وحتى

نفسه ، هذا هو أنا هذا هو ابنك نزار فاشل يفترض به

أن يخجل حتى من صورته في المرأة"

ثم خرج من فوره ولم أتكلم ولا امنعه فهذا ما كنت أريده

أن يفرغ الغضب الذي في داخله قبل أن يدمره أكثر والذي

سببه تلك الرهام لا بارك الله فيها ولا في عملها

*

*

مرت عدة أيام على ذلك اليوم ونزار يرفض حتى التحدث

معي ومجرد أن ادخل مكان وهو فيه يخرج ويتركني ولم

أذهب للمدرسة طبعاً منذ ذلك اليوم ، أعلم أنني مخطئة

واعترف بخطئي فلما يأخذ مني كل هذا الموقف ولما غضبه

وتجاهله لي أمر لا أحتمله ويحرق قلبي حرقاً ولا أجد سوى

البكاء وحدي وسيلة لتخفيف ذلك عني حتى جفت دموعي

نزلت متوجهة لغرفة خالتي أنظر للجرح في يدي بعدما

نزعت الشاش وبقي أثره لم يشفى بعد ، دخلت وكان

نزار هناك فوقف وخرج من فوره طبعاً دون حتى أن

ينظر ناحيتي ، نظرت حينها لخالتي وقلت بحزن وهمس

"هل رأيت كيف يعاملني"

قالت بابتسامة " قد يكون يختبر معزته عندك"

تنهدت وقلت " ولما يختبرها أنا حقا لا أحب أن يغضب مني"

ربت بيدها على السرير بجانبها وقالت " تعالي أفهمك شيئا"

توجهت نحوها وجلست رغم أنني لا افهم شيئا فأمسكت يدي

وحضنتها بين كفيها وقالت " سما بنيتي الرجال التعامل معهم

ليس كالنساء ، هل تذكرني حين كان يود أن يعتذر منك ما فعل"

قلت بهمس " أشتري لي هدية"

قالت مبتسمة " وأنتي أول ما تفكرين فيه أن تعتذري أليس كذلك"

هزرت رأسي بنعم فقالت " وهذا هوا الاختلاف ، هوا لا

يعبر عن مشاعره مثلك بوضوح كذلك سيقبل اعتذارك

لكن ليس بطريقتك"

قلت من فوري " هل اشتري له هدية"

ضحكت وقالت " لا طبعاً"

ثم تنهدت وشردت بنظرها للفراغ وقالت بحزن

"نزار تغير كثيرا منذ انتهت قصته مع رهام وجرحته

ذاك الجرح ، كان شابا متفائلا يفكر كيف سيكون في

المستقبل وينظر له بإشراق ، أحبها ورأى فيها مجدافه
للمستقبل ليكتشف أن ذاك المجداف مكسور فتحول لإنسان
متشائم لا يثق بأحد ولا حتى بنفسه ونظرته للحياة أصبحت
سوداوية والأسوأ من ذلك أنه بات ينظر لنفسه على أنه
عاجز عن فعل أي شيء لأي أحد وهذا أكثر ما يدمر الرجال
يا سما هذا أكبر مطب قد يصطدم به الرجل لينهيه كرجل"
قلت بحيرة " ولما يرى نفسه هكذا ! بالعكس أنا لا أراه
رجلا عاجزا وفاشلا أبدا يكفي بره بك وتضحيته من أجلك
وما فعله لي لن أنساه ما حييت يا خالتي أبدا ما حييت
وما كان غيره ليفعله وحينما رأيت ما حدث لي من ذاك
الشاب يومها أدركت أكثر أنه يتميز عن غيره بالكثير
حتى أنه أخبره بأنه لن يبلغ عنه الشرطة كي لا يضيع
مستقبله وعله يستفيق لنفسه"

مسحت بيدها على خدي وقالت مبتسمة " نعم هذا ما
ينقص نزار ليعلمه وأنتي من عليه إيصاله له قبل غيرك"

قلت بحيرة " لما قبل غيري لم أفهم" !!
قالت بعد ضحكة صغيرة " كمسابقة التفاحة من يقفز أكثر

يقضمها ويفوز بها ويكون الأسرع بل الأذكى ولا احد يعلم"

ثم ضغطت على كفي بقوة وقالت " رهام كسرت شيئا

كبيرا داخل نزار تفاقم مع السنين وجعله ينظر لنفسه نظرة

استصغار ودعاء لم تتحلى بالذكاء الذي يجعلها تلمس ذاك

الوتر الحساس والذكية من تصل له وتعزف عليه بإتقان"

بقيت أنظر لعينيها بتركيز وأترجم ما تقول فقالت " إن كنتي

تريدين أن يقبل اعتذارك مسي ذاك الوتر فقط فيقبله مباشرة"

قلت بهمس " كيف؟؟"

ابتسمت ولم تتحدث ثم تركت يدي وقالت " ذكائك عليه أن

يفهمها وإن لم يفعل يكون الوقت غير مناسب لهذا يا سما"

نظرت مطولا لكف يدي الذي كان بين يديها استرجع ما

قالته ، هي لم تقل شيئا مبهما ولا صعبا بل شرحت بكل

تفصيل فلما أشعر بأني لم افهم !! هوا الخوف فقط من أن

أجرب وأفشل ، وقفت وغادرت غرفتها وعدت لغرفتي أفكر

في كل حرف قالته ، رهام حطمت ثقته بنفسه وأصبح

يرى أن الناس لا تتق به ودعاء لم تُرجع ذاك في داخله لكن

كيف ألمس ذاك الوتر كما قالت ؟ أنا افهم معنى كل كلمة

قالتها لكن كيف أطبقه ! أنا حقا أشعر بالعجز

وبقيت على ذاك الحال طوال النهار أحاول صياغة ولو

جملة تشمل ما قالته خالتي وفي النهاية استسلمت ولكن ليس

لفشلي بل أن أترك الجمل تصوغ نفسها بما أن خالتي قدمت

لي المضمون على طبق من ذهب وكان بإمكانها أن تعطيه

لدعاء ولم تفعل ، نزلت للمطبخ وكان حينها بداية المساء

وكان هناك فهوا لم يتركني اطبخ حتى بعدما شفيت يدي

أو أنا من لم تتجراً أن تتحدث معه في الأمر وهو غاضب

مني هكذا ، وقفت عند الباب وكان يقطع البصل فنظر لي ثم

عاد بنظره على يديه ولم يتحدث ولا يمكنه الهرب مني طبعا

توجهت للطاولة سحبت الكرسي وجلست وقلت بهدوء ونظري

على يداي فوقها " نزار حلفتك بالله أن لا تخرج

وتتركني ، استمع لي فقط على الأقل"

لم يتحدث ولم يلتفت لي ولم يخرج وهذا الأهم ، تنفست بقوة

أهدئ اضطراب قلبي وقلت بهدوء " لو كان لي شقيقا اكبر

مني لما تمنيت أن يكون إلا مثلك لأنك تعرف كيف ترعاني

كفتاة ولو كان لي زوج ما حلمت أن يكون أفضل منك لأنك

تملك كل تلك المقومات وحتى ابني إن اخترت كيف سيكون

سأختاره مثلك ليكون لي كما أنت الآن مع والدتك ، أنت لا

تعلم كم تذكرني بوالدي رحمه الله حتى خوفك علي مثله

تماما وأدركت بعد تلك الحادثة انه كان علي صواب دائما

نزار أنت رجل يعرف كيف يكون في المقام الأول في حياة

كل من يحيطون به ، وأنت لست شقيقي ولا ابني ولا زوجي

لكني لا أريد أن أخسرك في كل حياتي فقط ولو أن تذكرني

دائما بذكريات جميلة وتتحدث عني بالحسنى"

نزلت دمعة من عيني مسحها وقلت " أنت قدمت لي ما

عجز عنه حتى من يمثلون العدالة في هذه البلاد ويحتمي

الناس بهم ، ما عجز حتى رئيسها أن يعطيه لي وهو

الأمان في أشد خوفاي ولا أريد أن أخسرك أبدا ، أنا آسفة

عدد شعر رأسي وأعترف أنني أخطأت ، لا أريد مدرسة

ولا دراسة فقط لا تغضب مني"

زادت حينها دموعي ولحقتها عبراتي أخفي وجهي بذراعي

متكئة على الطاولة فسمعت صوت السكين وهو يضعه في
المغسلة ثم بخطواته تقترب ويده تمسح على شعري ووصلني
صوته قائلا " توقفي عن البكاء يا سما لست غاضبا منك هيا توقفي"

سويت جلست ومسحت دموعي ونظري للأسفل لم أرفعه فعاد

لما كان يفعل وعاد للصمت أيضا فوقفت أشعر بكم هائل من
الفشل وخيبة الأمل وتوجهت جهة الباب لأخرج فأوقفني صوته

قائلا " تحدثت مع جابر وستدرسين في المنزل ووافق

أيضا أن نخرج للبحر لأنه مكان مزدحم وسيوفر لنا الحماية

لقد وافق بصعوبة فقط لأنه متأكد من بعدهم عنك ، جهزي

نفسك سنذهب في الغد"

بقيت انظر له بصمت وهو نظره على ما يفعل لم ينظر

ناحيتي أبدا ثم وضع السكين ونظر لي وقال " وأنا أيضا

لو كان لي شقيقة أو زوجة أو ابنة ما تمنيتهم أقل منك

أنا آسف أيضا أعلم أنني أناتي وأفكر في نفسي فقط"

ارتسمت حينها على شفطاي ابتسامة وقلت بهدوء

"شكرا لك يا نزار"

لم أجد وقتها غيرها لأقولها لأنه لا كلمات قد تعبر عما

اجتاحني من مشاعر حينها ولو تركت العنان للساني لقال
مالا أحب أن يقوله أبدا ، ثم غادرت مسرعة ودخلت غرفة
خالتي وقلت مبتسمة " لقد تصالحنا أخيرا ولم يعد غضب مني"

قالت بابتسامة " جيد علمت انك ستفهمين مقصدي يا سما"
بعدها بوقت أدخل نزار الطاولة وجلب العشاء وجلس يتناوله
معنا ويتحدث ويحاول أن يبتسم لكن ليس كالسابق وكأن
ثمة ما غيرته فجأة لكنه أفضل بكثير من الأيام الماضية
وجميعنا تصرفنا وكأن شيء لم يكن وأمضينا وقتا تحكي
خالتي عن رحلاتهم سابقا للبحر وحكت عنه في طفولته حين
كانوا يأخذونه إليه وأنا أضحك وهو غضب منها وصعد لغرفته
بسببها كأغلب المرات ، نظرت لها وقلت مبتسمة

"أغضبه ككل مرة"

قالت ضاحكة " من يكره أن يحكوا له عن طفولته

هو لا يقدر هذا النعيم"

نظرت للأرض بحزن وقلت " نعم فلن أجد أنا

من سيحكي لي عما نسيته من طفولتي"

قالت " لما لا نقرأ روايتنا ونترك عنا الأحزان

فنحن لم نقرأها منذ ذاك اليوم الحزين"

تنهدت وقلت بأسى " لا أحب أن أتذكره أبدا"

ضحكت ومدتها لي وقالت " هيا خذي لنعلم ما حدث مع رُدين"

أخذتها منها وعدت للجلوس مكاني وفتحت حيث وقفنا وقرأت

((نظرت له بصدمة ثم قلت " ومن أخبرك أنني أحبه"

وضع الصحن على الطاولة وقال " علمت وحدي"

بقيت أنظر له بحيرة يستحيل أن يعلم ! هذا خبيث يمارس

ذكائه علي ولأنه محقق يملك حيلة كثيرة بالتأكيد"

قلت ببرود " لعبة قديمة وسخيفة ومكشوفة أيضا"

رفع حبة لوز وفتحها وقال " فسريها كما تشائين"

بقيت أنظر له بتشكك وهو منشغل بما يفعل ، هذا الأحمق

يلعب بأعصابي وأفكاري ويريد إيهامي بأشياء غير موجودة

سأل إن كنت أحب اللوز الأخضر وليس لأنه يعرف فإن صادفت

هو الراح وإن فشل لن يخسر شيئا ، كان يأكل ويرمي

القشور على الطاولة بعشوائية ثم قال

"ماذا ستدرسين في الجامعة"

نظرت له وقلت بسخرية " وقل ما أحب من

التخصصات أيضا يا ذكي"

رمى بقشرة أمامي تماما وقال ببرود ونظره عليها

"المحامة"

وقفت حينها على طولي أنظر له بصدمة لم أستطع إخفائها

فرفع نظره لي ومد لي بيده مليئة باللوز الذي قشره وقال

"أنتي الخاسرة إن رفضت فلا يوجد غيره في الداخل"

قلت ناظرة له متجاهلة يده " لما تجمع كل هذه المعلومات

عني ومن أخبرك"

أعاد يده وقال وهو يأكل منها " لم يخبرني أحد مجرد

لعبة سخيفة وقديمة وصادفت"

وضعت يداي وسط جسدي وقلت بسخرية " لم أكن أعلم أنني

مهمة لديك هكذا تتحرى عني وتترك أعمالك"

ركز نظره على خصري حيث أمسكه بيدي بنظرة غريبة

بتركيز فأنزلت يدي وقلت بحدة " أبعد نظرك يا وقح"

رفع نظره لعيناي لثواني بهدوء وصمت ثم أبعد عني

وقال ببرود " أنظري لإصبع يدك التي جهة الوقح"

رفعتها ونظرت لأصابعي وصرخت بكل صوتي انفض

من عليها الحشرة الخضراء الكبيرة وهو يضحك علي

فتوجهت لحوض النعناع مغتاظة وأخرجت خرطوم المياه

منه فوقف وقال بتحذير " أقتلك إن فعلتها"

لكني طبعا من حرقتي ولأنني رُدين التي لا تضع حقها مهما

كانت النتائج رششته فورا بالماء ولم أتوقف حتى وصل عندي

فرميته عالية وهربت عائدة جهة المنزل وما أن وصلت الباب

حتى شعرت بذراعين أمسكتاني من خصري بقوة ورفعتاني

عن الأرض وسارتا بي حيث كنا وأنا أرفس واصرخ لعل

عمي رياض أو عمتي سعاد يسمعاني وبلا نتيجة ، وصل بي

عند حوض النعناع الكبير ورماني فيه بكل بساطة لأجد نفسي

في الماء والطين والحشرات ، رفعت يداي ونظرت له وهو

يقف يقطر ماء وعيناه ستحترق من الغضب فأشرت له بإصبعي

وبدأت بالضحك ، قد تكون حالة دفاعية فقط كي لا أشعره أنه

هزمني لكن شكله كان مضحك بالفعل ، توجه جهة الخرطوم

رفعه ورشني به وأنا وسط سيقان النعناع الطويلة أشعر بالماء

والتراب تحتي أخفي وجهي بذراعي وهو يرشني دون توقف

حتى صرخت به " يكفي يكفي هذا توقف يا فراس"

فرماه عليا وغادر فوقفت من فوري وأمسكته ولحقت

به أرشه من ظهره فالتفت لي ولم أتحرك من مكاني أرشه

بأكبر قدر أستطيع عليه فوصلني يحمي وجهه بذراعه

وأصبحنا نتشاجر على الخرطوم أنا أمسكه بقوة بكلتا يداي

وهو يسحبه مني والماء يطير في كل اتجاه مرة عليه ومرة

علي أو في الأرض أو الهواء حتى توقف ضخ الماء فجأة

وأصبح الخرطوم بين يدينا لا شيء ينزل منه سوا بعض

القطرات ، التفت للخلف ليرى من أغلقه وظهر لي من كانا

ورائه والده ووالته ينظران لنا باستغراب ثم انفجرا

ضاحكين على أشكالنا وتحرك فراس وقال بضيق مارا

بجوارهما " زوجوها بسرعة رجاء"

أما أنا فبقيت أنفض يداي من الماء وأبعد شعري عن وجهي

وأبصق التراب من فمي وأمسحه حتى تحول الأمر لبكاء

أخفي عيني بذراعي وأبكي بحرقة ، أنا من النوع الذي

لا ترى دموعه إلا نادرا وها أنا أبكي للمرة الثانية

هنا وبسببه هوا في المرتين

اقتربت مني عمتي سعاد وأمسكت يدي وأدخلتني وأنا

على حالي أبكي بشدة وصعدت بي حتى غرفتي وأخرجت

لي ثيابا ووضعتها في الحمام وخرجت وقالت " أدخلني هيا

استحمي وغيري ثيابك وسيرا فراس عقابه منا وإن

فعلتها أنا وحدي وحقك لن يضيع"

جلست على الأرض ولم أزدد سوا بكاء وأنا عن نفسي

أستغرب لما أبكي هكذا ، شعرت أني أبكي حزن كل سنيني

وعقباتها التي واجهتها بقوة وصمود حتى تعبت ثم وقفت

ودخلت الحمام استحمت ولبست ثيابي وخرجت جففت

شعري وأنا أشعر باستياء لم أشعر به حياتي لن يأخذ أحد

حقي إلا نفسي وسيرى ، لم اخرج من غرفتي باقي النهار

ورفضت حتى أن أتناول العشاء ولم يغمض لي جفن

تلك الليلة حتى أشرقت شمس الصباح وما أن ذهب

ذاك المتوحش لعمله حتى جلست وأمسكت هاتفي انتظر

وأنظر لساعتي وبعدها مضى أكثر من نصف ساعة

على خروجه اتصلت بجوجو فقالت مباشرة

"مرحبا رُدين ما هذه المفاجئة"

قلت بابتسامة خبيثة " مرحبا جوجو أين أنتي الآن"

قالت من فورها " في عملي طبعا هل من مشكلة"

قلت مباشرة " أعطني فراس قليلا"

قالت باستغراب " من فراس"

قلت بصدمة " فراس ابند آآآ أعني شقيقي

وشقيق أشرف"

قالت بعد صمت " وما علاقتي به أعطيه لك أنا

لا يعمل معي أحد اسمه فراس"

قلت بصدمة أشد " وأين تعملين أنتي"

قالت من فورها " موظفة في شركة تصدير"

كذب عليا أشرف ذاك المحتال ليأخذ مني ما يريد ، قلت

"لكنه تعرف عليك عندما حبيبتني وأنا راكبة السيارة معه"

قالت بعد صمت " تلك أول مرة أراه فيها ، أنا حقا لا اعرفه"

ضغطت على أسناني بقوة من الغيظ ، أشرف المخادع

وها هي خطتي فشلت ، لكن مهلا كيف عرفها إذا ولما
سألني إن كنت أعرفها ، الحقيقة كلها عند أشرف ، قلت
من فوري " شكرا لك يا جوجو يبدو أنني أنا من فهم

الأمر خطأ ولا تخبري أشرف رجاءا ... وداعا"

أنهيت المكالمة معها ورميت بالهاتف بعيدا عني ثم خرجت
من غرفتي وتوجهت لغرفة التين النائم أشرف ، فتحت الباب
ودخلت وهزرتة بقوة قائلة " أشرف استيقظ"

قفز جالسا وقال " ما بكم ماذا حدث لكم"

وضعت يداي وسط جسدي وقلت بغيض

" حدث أنك كاذب وكذبت علي وخدعتني أيضا لكني أحفظ

رقم أسوم تلك ومرمر ووجدان وكل من رأيت

أرقامهم في هاتفك وسأنتقم منك"

قال بضيق " توقظيني لأجل هذا يا أفعى"

أخذت الوسادة وضربته بها على رأسه وقلت

"نعم فأنت الكاذب وأنا المكذوب عليه"

أبعد الوسادة عنه وقال " أنا لم أكذب عليك"

قلت بحدة " بلى كذبت وقلت أن جوجو تعمل مع فراس

وهي تعمل في شركة تصدير ولا تعرفه أيضا"

نظر لي بصدمة وقال " من أخبرك" !!

قلت بضيق ملوحة بيدي " علمت ولا يهم وإن لم تخبرني

بالحقيقة أفسد عليك كل مغامراتك يا قيس النساء"

عاد نائما في سريره وغطى رأسه فسحبت اللحاف

منه قائلة " قل الحقيقة أو ندمت على ما أخبرتني"

أعاد اللحاف على رأسه قائلا " جاءني بشعاراته الهابطة

مثلك عندما رأني معها لذلك عرفها فاتركيني وشأني"

وضعت يداي وسط جسدي وقلت " لم أفهم"

جلس وصرخ بي " أخرجي حالا"

فهربت خارجة وأغلقت الباب من زمجرة هذا الأسد على

ظهور فراس من نهاية الممر فغادرت بخطوات مسرعة

لا أريد أن أراه حتى النظر هذا الوقح القذر ، وما أن وصلت

لغرفتي حتى كانت ذراعي في قبضته ولفني حوله فقلت بتذمر

متجنبة النظر له " ماذا بقي لم تفعله جئت لتمارسه علي"

ضغط على ذراعي بقبضته بقوة وقال من بين أسنانه

"ماذا كنتي تفعلين في غرفة أشرف)) "

نظرت لها وقلت " يبدووا تعقدت الأمور أكثر"

قالت مبتسمة " ولن يسكت لها عليها طبعاً أو تتوقعين العكس"

رفعت كتفائي وقلت " لا أعلم لا أستطيع أن أتوقع شيئاً"

ثم قلت بحيرة " لكن هل أخطأت بدخولها لغرفته"

قالت " نعم هوا يبقى رجل ولكن حدوده"

قلت ونظري للأرض " لكني أدخل غرفة نزار ليشرح لي

بعض المسائل أو آخذ ثيابه أو أضع المكوية وهوا موجود

هل أكون مخطئة مثلها"

وصلني صوتها مبتسمة " لا خوف من ابني نزار وأعرفه

جيداً وردين دخلت غرفته وهوا نائم أما أنتي فتطرقين

الباب أليس كذلك"

نظرت لها وهزت رأسي بنعم وقلت

"ولا أدخل أبداً إن لم يأذن لي"

ثم قلت بشرود " لكنه لا يدخل غرفتي أبداً وإن أراد شيئاً

قال لي أن أخرج للممر ليتحدث معي ، إذا أنا

مخطئة أليس كذلك"

قالت بعد ضحكة " لو رأى أنك مخطئة لن يخجل من

قولها لك وتعرفين نزار جيدا ثم غرفة الفتاة ليست كغرفة

الرجل ولا يجوز أن يدخلها إلا إن كان مُطرا"

تنهدت واكتفيت بالصمت فمدت يدها وقالت

" هاتي هيا وللنوم لتستيقظي باكرا من أجل الرحلة للبحر"

وقفت و مددتها لها وقلت مبتسمة " أجل عليا أن أنام

باكرا لأستيقظ باكرا نشيطة"

وعند الصباح استيقظت منذ الفجر وكانت فرحتي لا

توصف لأنني سأخرج أخيرا من المنزل ، جمعت كل ما قد

نحتاجه من أغراض هناك وجهزت نفسي وطرقت باب

غرفته ففتحه يتساءب وقال " سما ما كل هذا النشاط"

قلت بتذمر " نائم حتى الآن وأنا أنتظر أن تنزل

في أي لحظة !! بسرعة نحن جاهزتان"

خلل أصابعه في شعره وقال بعين واحدة مفتوحة

" البحر قريب لما كل هذه العجلة منذ الفجر"

أدرته للخلف ودفعته جهة الحمام وأنا أقول

"بسرعة أمامك عشرون دقيقة فقط وتكون في السيارة"

ثم خرجت من فوري ونزلت للأسفل وساعدت خالتي

لتجلس على الكرسي ووضعت جميع الأغراض عند الباب

وأخرجتها للصالة على نزول نزار قائلاً بابتسامة

"ما كل هذا النشاط يا كسولتان"

قالت خالتي ضاحكة " بقي أن تشغل لك السيارة

فقط وتناديها بالكسولة"

وصل عند كرسيها وأخذته مني فأعدته منه قائلة

"ضع الأغراض في السيارة أنا من سيوصلها هناك"

قال وهو يتوجه جهة الباب " بل أنتي من تخرج للسيارة مباشرة"

نظرت لي خالتي للأعلى وقالت " ما كل هذا التدليل

ما الذي قلته له بالأمس"

شعرت بالدماء تصعد لوجهي من الخجل وقلت ونظري

للأرض " دائما يحرص على هذا كي لا يعرفني

أحد قد يكون يبحث عني"

قالت وهي تحرك العجلات بيديها " ذلك كان في السابق

أما الآن فلا حاجة له وها قد سمحوا لك حتى بالذهاب

للبحر وليس فقط الوقوف لدقائق في الشارع"

دخل حينها نزار وأمسك بيدي كرسيتها وسحبها خارجا

بها وتبعتهم لأرى إن كان كلامها صحيحا ووقفت معهم

في الشارع حتى انزلها وأركبها السيارة ووضع الكرسي

في حقيبة السيارة وبالفعل لم ينبه علي للصعود ثم

قال وهو يتوجه لبابه " يبدوا ستبقي هنا"

ابتسمت وفتحت الباب الخلفي وصعدت وقلت وأنا

أغلقه " رأيتِ خالتي يريد إبقائي هنا"

ضحكت وقالت " الرحلة كلها من أجلك كيف نبقيك"

انطلق قائلا " كنت سأخبر عوني يأتي معنا لولا

تيقتي من رفضك يا أمي"

قالت خالتي " لا نريد أن نمضي الوقت نراقب الأطفال

وتركضون خلفهم ، وحدنا أفضل"

نظر ناحيتها وقال " وكيف ستفعلين مع أحفادك الذين

تنتظرينهم وتريدين الخروج معهم"

ضحكت وقالت " سأقوم وحدي بالواجب أنت فقط تزوج"
غريب ذكر نزار للزواج ! أول مرة يتحدث عن شيء يخص
هذا الأمر ، تُرى كيف كان في الماضي إن كان كما قالت
خالتي أنه تغير كثيرا بعدما تركته رهام !

وصلنا سريعا وكان عدد الناس قليل ، نزلت من السيارة أنظر
للبحر وأشعر أنني تحررت من قيود كثيرة ، ما اغرب هذا
الشيء يشعرك بالحزن والفرح والراحة في آن واحد وأهم
شيء يشعرك فعلا بوجودك

نظرت للناس بحزن وتذكرت خروجي في السابق وعائلتي
له وشعرت بالكآبة غزت فرحتي وأفسدتها ، التفت للخلف
فجأة فكان نزار يُنزل خالتي وحملها بين ذراعيه لأنه طبعا
لا يمكن للكرسي أن يتحرك على الرمال ثم قال

"سما أحضري الكرسي رجاء"

توجهت بسرعة له ورفعته بصعوبة وتبات حتى وضعته
في مكان بعيد قليلا ومناسب وعاد هوا جهة السيارة ينزل
باقي الأغراض وبقيت أنا مع خالتي وعيناوي لم تفارق البحر
لحظة وكأنني أغسل نفسي بمياهه ثم اقتربت بضع خطوات

من الشاطئ حتى أصبح صوت أمواجه في أذناي وكأنه يتحرك
في رأسي ثم عدت سريعا جهة خالتي وأمضينا الوقت نتحدث
عن كل شيء أمامنا وأعدنا الطعام والشاي ، كان كل شيء
ممتع رغم أن نزار كان يتجنبنا طوال الوقت وكأنه يهرب من
التحدث إما يشوي أو يرتب الأغراض أو يشرذ بعينه حيث
الأطفال وبعدها صلينا الظهر جلس مبتعدا عند صخرة كبيرة
ينظر للبحر بشرود لوقت طويل وعينا لم تتوقفا عن النظر له
بين الحين والآخر وأنا أتأمله بينظونه الأسود وقميصه الأسود
أيضا والجمجمة المرسومة على ظهره بخطوط بيضاء رقيقة
مع بياض ذراعيه ووجهه وسواد شعره ولحيته الخفيفة ، كان
الهواء يحرك شعره بطريقة غريبة تجعلك تتأمله دون توقف

ولا مثل ، لأول مرة يرتدي ملابس كلها سوداء هكذا

لا أعلم لما يبدوا لي حزينا وكئيبا وكأنه مثلي حين نزلت وكان
البحر قد ذكره بذكرى قديمة وحزن كبير ، كانت الإذاعة عند
برج المراقبة تصدح بأغاني أجنبية منذ وصلنا وفجأة وقفت
الأغنية وغيرها بوحدة عربية ، كانت من قصائد نزار قباني

تغنيها مغنية أسمها غادة رجب ، أعرفها جيدا فوالدي كانت

تحب جميع الأغاني المغناة لذاك الشاعر لحبها له وتسمعها

من أشرطة الكاسيتات لأن والدي كان لديه تحفظات كثيرة

بشأن التلفاز ، عم صوتها الأرجاء وهو ينتقل مع الريح قائلة

(لماذا تخليت عني إذا كنت تعلم أنني أحبك أكثر مني لماذا)

امتلت حينها عيناى بالدموع وأنا أراقبه على وقع تلك

الكلمات على مسامعي ، لم أكن أهتم لها في السابق ليس فقط

لأنني لا أفهمها لكني لا اشعر بها ، وما أن كررتها مجددا

(لماذا تخليت عني إذا كنت تعلم أنني أحبك أكثر مني لماذا)

حتى خلل نزار أصابعه في شعره ونظر للجانب الآخر

وأخرجني حينها صوت خالتي من أفكاري قائلة

"نزار لا يعجبني أبدا هذه الأيام"

نظرت لها بصدمة فتابعت ونظرها عليه " عيب الرجال

أنهم لا يفتحون قلوبهم بسهولة والأم آخر من يستطيع أن

يجد حلا لفلذة كبدها وهذا أكثر ما يتعبها"

نظرت له فكان يمسك ذراعه بيده الأخرى ويقبض عليها

بقوة تكاد أصابعه تخترقها ونظره لازال للأفق ، شعرت

بغصة اعتصرت قلبي ودموعي تستعد للنزول وقلت ببحة

"والحل يا خالتي"

تهتدت وقالت " نزار يحتاج لمن يغسل حزنه ويجبر كسوره

لكنه يكابر ويعاند ويفرض على نفسه الخيارات الخاطئة ويتمسك

بأفكاره وشعاراته وكبريائه وسيخسر الكثير ولا يدرك ذلك"

نظرت لها وقلت بحيرة " خالتي كلامك مبهم جدا لما لا أفهمك"

ابتسمت وقالت " أنا أفضض عن خاطري فقط ، ما رأيك

أن تذهبي له لا أحب عزلته هكذا ، أشعر انه يسجن نفسه في

حزن قديم فاستخدمي ذكائك مجددا وأخرجيه منه ولو الآن فقط"

بقيت انظر له لوقت ، قد لا يكون ذكائي من جعله يرضى عني

يوم أمس وهي المصادفة ليس إلا لكني حقا أتألم لرؤيته هكذا

وخصوصا بعد كل الكلام الذي قالته خالتي ، وقفت دون تردد

وتوجهت نحوه بخطوات بطيئة حتى وصلت ووقفت خلفه

مباشرو وهو لم يشعر بي وقلت بهدوء " هل أجلس"

نظر للأعلى حيث وجهي فنظرت للأسفل وقلت بذات هدوئي

"لو كنت تريد البقاء وحدك أخبرني ولن أغضب منك أبدا"

عاد بنظره للبحر وقال " أبدا ... يمكنك الجلوس يا سما"

ابتسمت برضا وجلست بجانبه وغلب الصمت على جلستنا

هوا لم يقل شيئا وأنا ضاعت مني الحروف وكأني لم اجلس

حياتي بقربه ، لكن حقا لم يكن قريبا هكذا حتى أنه لو حرك

ذراعه ستصطدم بذراعي مباشرة ، قلت بعد قليل ونظري

عليه " نزار هل أسالك سوألا تجيبني عليه بصدق"

قال ونظره لم يغادر الأفق " نعم"

ولم يزد شيئا فتمنيت أني لم أتحدث فيبدووا لا يريد إلا سجن

نفسه كما قالت خالتي ، نظر حينها باتجاهي وقال

"ماذا كنتي تريدين أن تسألني"

وقفت وقلت " إنسا الأمر يبدووا أني أزعجتك حقا"

وهممت بالمغادرة حين قال " أجلسي يا سما"

التفت له وقلت مبتسمة " لا تقلق لن أغضب من ذلك

وسأتركك وحدك"

قال وهو يشير بنظره حيث كنت جالسة

"أجلسي أو غضبت أنا منك"

عدت للجلوس حاضنة ساقاي وقلت مبتسمة

"لا رجاء فأنت إن غضبت يصعب إرضائك"

قال بصوت مبتسم " ولا تنكري أنني لا أغضب بسهولة"

قلت ونظري على قدمي " لا أنكر ذلك أبدا"

قال وهو ينظر لي " هل ستسألين سؤالك أم غيرتي رأيك"

نظرت لوجهه وشعرت بقلبي ينبض بشدة حتى خيل إلي انه

يسمعه فهربت بنظري وعدت به لقدمي فوق تلك

الصخرة وقلت بهدوء " أمازلت غاضب مني"

لاذ بالصمت لوقت ثم قال بنبرة استغراب

"لما هذا السؤال يا سما" !!

رفعت نظري للأفق وقلت " لأنك لست كما كنت وكأنك

غاضب من احدهم بشدة ، وليس غيري حمقاء تخطئ دائما"

قال من فوره " لا تقلقي لست غاضبا منك أنتي

ولست حمقاء أيضا"

نظرت له وهو ينظر للبعيد وقلت " ممن إذا"

أنزل يده للصخر وأخذ حصا صغيرة ورمها في البحر

وقال ونظره حيث سقطت " غاضب من نفسي"

لم اعرف ما أقول بقيت أنظر لملامحه بشعور لم استطع
تفسيره سوى بشيء واحد لم أفكر فيه من قبل أبدا وهو أنني
أردت أن أحضنه ولو لدقيقة واحدة فقط ومرة واحدة أيضا
عاد الصمت مجددا وعيناي معلقتان به لتتخلله كلمات الأغنية
بوضوح (وخلفت هذي الصديقة هنا عند سور الحديقة على
مقعد من بكاء لماذا) فرفع نظره للبحر مجددا وقال
بهدوء " تعجبنى كثيرا هذه الأغنية"
شعرت بدمعتي طارت مع هواء البحر ، هوا لم يراها
بالتأكيد وخدي لم يحتضنها لأنها طارت من عيني مباشرة
ولا أعلم أين استقرت ، مسحت طرف جفني بأصابعي
وقلت بحزن " والدتي كانت تسمعها دائما ، لم أكن أفهم
يوما معناها لكني الآن فهمت كم هي جميلة وحزينة
وتعبر عن الجرح والخذلان"
نظر حينها ناحيتي لتقع عيناه على عيناى مباشرة وقال
"سما هل أسألك أنا الآن سؤال تجيبي عنه بصدق"

وقفت أنظر لها باستغراب بل باستنكار ، كيف تدخل

جناحي دون حتى أن تطرق الباب وتأخذ الإذن ، كتفت

يذاها لصدرها وقالت بحقد " من تظنين نفسك يا ابنة فارس

لا تغتري كثيرا بما بثي فيه ولا تفرحي بصمتي عن تجاوزاتك"

كتفت يداي لصدري مثلها وقلت بسخرية " وما تسمين

دخولك هكذا يا من تحترمين المظاهر والأخلاقيات فحتى

ترف تربية ابنة فارس لا تدخل قبل أن تطرق الباب"

قالت ببرود " أعتقد أن القصر قصري إن نسيتي"

قلت بابتسامة جانبية " وإن نسيتي أنتي أيضا أنا

زوجة ابنك وله ما لك هنا يا سيدة القصر"

قالت من بين أسنانها " لا تفكري في فرض أرائك

هنا لأنني حتى الآن لم أضعك في رأسي"

قلت ببرود " أنا لم أفرض رأي على أحد ولم أمسسك

بشيء فاتفخي ريشك على من كان السبب"

قالت بسخرية " جميل وتؤلبيني على ابني أيضا

يا ابنة خريج السجون"

أنزلت يداي جانبا وقبضت عليهما بقوة وقلت بحرقة

"شرف لي وإن كان تاجر مخدرات أيضا"

قالت بذات سخريتها " لن أستغرب أن تكون ابنته هكذا إذا"

قلت بغضب " بل أنتي التي لا تستحق الأبناء ويفترض

بهم سجنك على جرمك حيالهم"

برز عرق جبينها الواسع من الغضب وقالت بحدة

"وما لا يعجبك في تربيتي يا ابنة الحسب وأحدهم

من انتشلك من مزبلك وشرفك بين الناس"

كتمت كل ألمي وغصتي وقلت بثبات " أنا لم أضربه

على يده لينتشلني من مزبلي ولولا من خفت أن تضيعهم

كما ضيعتي من قبلهم ما قبلت بهذا الشرف والعز"

قالت بحقد " احترمي نفسك واحترميني ، أنا رببت وكبرت

ولم أترك أبنائي وأسافر ليربيهم الشارع"

قلت بابتسامة جانبية " والنتيجة ابنة سجيئة غرقتها محرومة

حتى من بهجة الحياة فاتنة الجمال يفترض أنه يزحف خلفها

الرجال وليس مطلقة ومعقدة ، وابن يهرب أكثر مما يقيم

هنا فقط لأنه ليس على تربيتك ، ولا تفتخري بجابر ومركزه

وقوته فداخله ميت بسببك لا يعرف كيف يسعد نفسه قبل أبنائه

لقد دمرتهم مع مرتبة الشرف يا فاضلة فلم أرك يوما اجتمعت

معهم ولا على طاولة طعام ، قصر ميت بلا حياة لا أعرف

كيف تكوني أم وأنتي بهذا التحجر حتى أصوات ضحك

ولعب الأطفال التي لا يضاهاها شيء في الوجود

تكرهينها ، من أي نوع من البشر أنتي بالله عليك"

أشارت لي بسبابتها وقالت " من النوع الذي سيكسر أنفك

هذا ولا يأخذك الغرور أن تضني أن جابر سيضع كلمتك

فوق كلمتي تفهمي"

قلت بهدوء " أنا أرأف لحالك وحالهم لا أحقد عليك وأكرهك

كما تضنين فاستفيقي لنفسك ولعائلتك قبل أن تنهار

أكثر وأنتي تتفرجين عليها"

صفت بيديها وقالت " شكرا لن تغريني بأطروحاتك كغيري"

توجهتُ جهة الباب حيث تقف وقلت وأنا أفتح مقبضه

"لا أريد أن أخطأ في حقك أكثر من أجل ابنك وليس من أجلك"

وما أن أدت المقبض أكثر حتى شعرت بذراعي تسقط للأسفل بقوة

*

فتحت الباب وقلت وهو يتبعني " بما أني متأكد من أنه

لن يصل هنا حيا فلن أتعب نفسي ككل مرة فلدي أمور

عائلية عالقة عليا إيجاد وقت لها أيضا لذلك يوم غد انسوا

أنه هناك مخلوق على وجه هذه الأرض يدعى جابر حلمي"

ثم ركبت سيارتي وأغلقت الباب خلفي فوقف مستندا

بالنافذة وقال " اترك هاتفك مفتوحا إذا"

شغلت السيارة وقلت " بل سأغلقه من الليلة"

عدل وقفته وقال " جيد كي لا تلقي باللوم على أحد

إن جد شيء ولم تعلم"

انطلقت قائلا " لن يتركوا لنا جديدا اطمئن ووجودي

كعدمه ... وداعا"

ثم زدت سرعتي وتوجهت فورا لمدينتي وللقصر ، نظرت

للساعة في يدي فكانت الحادية عشرة فرفعت هاتفي واتصلت

برضا فأجاب وقلت من فوري وأنا أنتظر بوابة القصر تفتح

أمامي " غدا عند الغداء تكون هنا ونتم كل شيء"

قال مباشرة " وأخيرا رأفت بنا سيد مشغول"

ابتسمت وأنا أعبر البوابة ولم أعلق فقال

"لا تعتذر في الغد أو أجذك غير موجود تفهم"

أوقفت السيارة وقلت " لا تخف ما بك لا تثق في كلامي"

قال ببرود " أرى أن نتم الأمر فجرا لأنني من كثرة

ما أتق بك لا أستأمنك حتى وقت الغداء"

أغلقت باب السيارة وقلت ضاحكا وأنا أدخل بخطوات

سريعة " لا تقلق كن أنت على الموعد فقط ، هيا وداعا"

أنهيت الاتصال منه وصعدت وما أن وصلت لممر جناحي

حتى فوجئت بترف و بيسان وحتى أمجد يجلسون أمام بابه

وسيلا تقف معهم وما أن رأوني حتى انطلقوا نحو ركض

وتعلقتا الفتاتان بي تبكيان وأمجد أمسك يدي يسحبني ولم

أفهم شيئا مما يقولونه لأنهم يتحدثون مع بعض وترف

تبكي بصوت مرتفع فقلت بضيق " اهدعوا لأفهم شيئا"

سكتا بيسان وأمجد وترف على حالها فرفعتها وقلت

موجها حديثي لسيلا " ما بهم وما تفعلون هنا ومن

المفترض أنهم نيام منذ ساعة"

قالت من فورها " السيدة أرجوان في الداخل تبدا متعبة
أو لا أعلم ، قالت لا أحد يدخل لها ولا حتى الأولاد وهم
رفضوا التحرك من هنا ويبكيان دون توقف وأنا وأمجد

لم ننجح في إسكاتهما"

نظرت لباب الجناح بحيرة ومسحت الدموع من خدا

ترف قائلا " توقفى عن البكاء هيا هي بخير"

ثم نظرت جهة سيلا وأعطيتها إياها قائلا

" خذهم لغرفهم حالا"

أمسكت ترف مني وقالت ببسان ببكاء

"لكن نريد أن"

قاطعتها بأمر " لغرفكم فورا وستأتكم هناك

إن لم تكن متعبة"

انصاعوا مكرهين وغادروا برفقتها وأعينهم عندي للخلف

فراقبتهم حتى اختفوا ثم فتحت الباب ودخلت ، غريب يستحيل

أن تبعد أرجوان الأطفال عنها ! لا وتتركهم في الخارج

وتمنعهم من الدخول ولا تهتم حتى إن ناموا أو لا ، عندما

غادرت فجرا كانت بخير فما جد الآن ! كان الجناح يعمه

السكوت توجهت لباب الغرفة وفتحته فكانت نائمة على

السرير تخفي وجهها بإحدى ذراعيها والأخرى تحت وسادة

بجانبيها وتبدوا نائمة ، لكن سيلا قالت أنها متعبة ثم هي لا

تنام في النور أبدا ، اقتربت من السرير وقلت

"أرجوان"

رفعت ذراعها عن وجهها ونظرت لي وكانت عيناها

متورمتان من البكاء ، لا تكون تشاجرت مع والدتي ويا

ليلتك الليلة يا جابر ، توجهت نحو الخزانة وفتحت أحد

أبوابها قائلا " الأطفال وجدتهم جالسين على الأرض في

الممر يبكون وأنتي نائمة وهم يضحون أنك مريضة"

وصلني صوتها قائلة " متعبة قليلا وأخبرت سيلا

لا تتركهم وتضعهم في أسرهم"

أخرجت المنشفة والتفت فكانت تغطي وجهها بذراعها

مجددا وصوتها لم يكن طبيعيا ، اقتربت منها وقلت

" هل ذهبت للمستشفى أو اتصلتم بالطبيب"

قالت دون أن تتحرك " الأمر لا يحتاج سأكون بخير"

دخلت الحمام وتركتها ، صحتها وهي أدرى بها المهم لا

لائحة طويلة عريضة من الشكاوى وشجار كما ضننت

استحمت وخرجت وجلست على الطرف الآخر للسرير

واتصلت بعمي منصور فأجاب بعد قليل قائلا

" جيد لم تتذكر رضا وتنسني"

قلت مبتسما " لا لم أنساك قطعا لكن موضوع رضا

كما تعلم سيأخذ وقتا فتحدثت معه أولا"

قال ضاحكا " لا يحتاج أن تبرر يا ابن أخي المهم أنك بخير"

قلت " وما لديكم أنتم ذاك المنزل تطاردونني طوال الوقت"

ضحك وقال " احترم عمك يا ولد"

ضحكت ضحكة صغيرة وقلت " على رأسي أنت

وعائلتك جميعهم فأمرني"

قال بهدوء " بتول يبدوا مات لسانها"

اتكأت للخلف ونظرت جهة أرجوان وقلت

" مستحيل تمزح أكيد"

قال مباشرة " بل حقيقة ولا تجيب علينا ومهما حاولنا ولم

تعد تذهب للمدرسة ، تعال تحدث معها أنت حلنا الوحيد"

أمسكت يد أرجوان التي تغطي بذراعها وجهها وأنا أقول

"وأين زوجها عن كل هذا"

عقدت حاجبائي باستغراب من حرارة أصابعها وسمعته

يقول " هو أكثر من تقاطعهم ولم ترد عليه أيضا"

قلت باختصار وأنا أضغط على يدها بين يدي ونظري

على عيناها المنسدلتان للأسفل شبه مغمضتان

"حسنا سأرى إن استطعت غدا أن أمر بكم"

قال من فوره " أتمنى ذلك تعلم أنني لا أريد أن

أقسوا عليها بعد كل هذا وداعا الآن"

أبعدت الهاتف عن أذني ومررت يدي الأخرى على

ذراعها وقلت " أرجوان حرارتك مرتفعه انهضي

هيا آخذك للمستشفى"

سحبت يدها مني وأعادتها حيث كانت وقالت بشبه

همس " سأكون بخير لقد انخفضت كثيرا"

تأففت وقلت بضيق " لا أريد أن أكون منتصف

الليل في المستشفى فدعيني آخذك الآن"

قالت باختصار " أنا بخير"

تركتها وغادرت السرير وتوجهت لغرفة الملابس ولبست

بنطلونا رياضيا اسود اللون بخطين أبيضان على جانبيه

وقميص أبيض بكتابة سوداء وخرجت وتوجهت للأريكة

وقربت الطاولة منها قليلا وفتحت حاسوبي وانشغلت به

ما يقارب الساعة ونصف ثم نظرت جهتها فكانت على

حالتها فوقفت وتوجهت نحوها وأبعدت ذراعها ولمست جبينها

فكانت حرارتها كما هي لم ترتفع ولم تنخفض أكثر

خرجت من الغرفة ومن الجناح كله وتوجهت لغرف الأطفال

دخلت غرفة أمجد فكان نائما فتوجهت لغرفة الفتاتين وكانتا

في سريريهما لكن ثمة صوت بكاء مكتوم وأحدهم يتكلم

بخفوت وتمتمة فدخلت ببطء واقتربت من بيسان فكانت

نائمة فنظرت لسرير ترف فكانت تخبئ رأسها تحت الوسادة

وتبكي وتتمتم بكلام غير مفهوم فتوجهت نحو سريرها

واقتربت منها أكثر حتى وضح لي صوتها فكانت تقول

"يا رب لا تموت ماما لا تموت ، لا تأخذها منا"

هزرت رأسي مبتسما ونزعت الوسادة عنها فجلست من
فورها تنظر لي وعيناها تلمعان من الدموع في ضوء
الغرفة الخفيف فحملتها من السرير وقلت بصوت منخفض

"ترف هل أنتي طفلة تتصرفين هكذا"

نامت برأسها على كتفي وقالت بعبرة " أريد ماما"
خرجت بها من هناك وعدت للجناح أدخلتها معي للغرفة
وأنزلتها عند السرير وقلت " أرجوان تحدثي معها
لتتأكد انك بخير تضنك ستموتين"

رفعت ذراعها عن وجهها وجلست بمساعدة تلك اليد
فقط ومدتها لها قائلة " تعالي حبيبي أنا بخير لا تقلقي"
صعدت لها للسرير ونامت في حضنها وهي تمسح
على شعرها قائلة " لما تبكي ترف ألم أقل لكم أني بخير
وسأنام ، لما تتعبون والدكم وسيلا هكذا"

ضمتها بذراعيها ونامت على صدرها وقالت بشهقة

"ظننتك سترحلين كوالدتنا ولا تعودين"

مسحت دمعة نزلت من طرف عيناها وقالت " لن ارحل

بنيتي هيا عودي لغرفتك ونامي أنا بخير كما ترين"

ابتعدت عن حضنها وقالت " ويدك لم تعد تؤلمك؟ "

نظرت ليدها من فوري وبحيرة فكانت متورمة وحمراء

جهة الرسغ لذلك لم تحركها وأنا لم أنتبه ، لفتت للجانب

الآخر من السرير وجلست فوقه واقتربت منها وشدت

يدها بيدي قائلا " أرني ما بها يدك "

سحبته وقالت بتألم " آي جابر بالرفق "

سحبته مجددا ولم آبه لتألمها وحركتها على صرختها

المتوجعة وقلت بحزم " ما بها هكذا يبدو شعبا فيها وأنتي

تخفيها بالوسادة وتقولين انك بخير "

قالت برجاء ودموعها بدأت بالنزول

" جابر لا تحركها أرجوك "

غادرت السرير وتوجهت للخزانة وقلت بحدة وأنا

أفتحها وأخرج ثيابا داخلية " قلت لك منذ البداية نذهب

للمستشفى وترفضين وتخفين أمرها عني أيضا يا

أرجوان ، لا أعلم كيف تفكرين "

كنت سأنزع ثيابي حين سمعت صوت ترف

تقول بكاء " ماما لا تبكي ... هل تؤلمك "

فنفضت قميصي الذي كدت أنزعه ناسيا أمر الصغيرة

التي هنا وتوجهت لغرفة الملابس غيرت ملابسني هناك

وخرجت وأخرجت عباءتها وألبستها لها ومررت يدها فيها

بصعوبة وقلت وأنا أعدلها " ما الذي حدث لك أصبحت هكذا "

قالت بألم " كان حادثا بسيطا وظننتها ستكون أفضل في الغد "

لففت حجابها ولم أعرف كيف أتصرف فيه وما يدريني

أنا بهذه الأمور وعندما عجزت وهي تساعدني بيدها

اليسرى تأففت وعدلته من منتصفه على رأسها ورميت

طرفاه للخلف وسرت قائلا " ألحقيني للسيارة "

ثم نزلت مسرعا حتى وصلت السيارة وفتحت لها الباب

وخرجت هي بعد قليل تتبعها ترف وركبت وبقيت تلك واقفة

تنظر لنا وكل دمعة تلحقها الأخرى فتوجهت جهة بابي

وقلت ناظرا لها " أدخلي يا ترف ولغرفتك فورا

نحن سنعود سريعا "

أخفت عيناها بذراعها ودخلت في نوبة بكاء فقلت

من بين أسناني " يا ليلة جابر الليلة"

أنزلت أرجوان زجاج نافذتها وقالت " ترف تعالي"

رفعت ذراعها واقتربت منها فأدخلت أرجوان يدها تحت

وشاحها تحركها لوقت ثم أخرجتها وفيها السلسال الذي

ألاحظها تقتنيه دائما ومدته لها وقالت

" اتركه لديك لتتأكدي أنني سأعود بنيتي"

أخذته منها وقالت من بين شهقاتها " سترجعين إليه أليس كذلك"

هزت أرجوان رأسها بنعم فدخلت ترف راكضة ثم وقفت

وألقت علينا نظرة من عند الباب ثم دخلت مسرعة فركبت

السيارة وانطلقت خارجا من القصر للمستشفى فورا ، وصلنا

ونزلت وهي تتبطني حتى دخلنا حجرة الطبيب وأنا معها

كشف عليها ووقف وقال " سنصورها رغم أنه واضح

انه تشعب بسيط لكن لكي نتأكد"

قلت من فوري " وهل ترتفع الحرارة بسببه شككت سيكون كسرا"

قال وهو يتوجه جهة الباب " لهذا أريد أن أتأكد بالصورة"

وقفت أرجوان وخرج ونحن نتبعه ثم دخلا لقسم الأشعة

وبقيت أنا في الخارج وأغلب من مر بي يعرفني وكرهت

نفسى من قول (شكرا لاهتمامك زوجتي متعبة قليلا فقط)

ربطوها لها بجبيرة خاصة ووصف لها بعض الأدوية

والمسكنات وغادرنا من المستشفى للصيدلية للقصر

نزلت أرجوان قبلي وأنا خلفها بمسافة وما أن وصلنا

الطابق وكما توقعت توجهت من فورها لممر غرف

الأطفال فهي هناك في المستشفى وقلبها هنا مع ترف

لحقتها لا أعلم وقت فراغ ليس لدي أين أقضيه أم فضول

رغم أنني أعرف ما يكون ، توجهت لغرفة أمجد أولا

وكعادتها طبعاً تخرج لهم كل ليلة مرتين كحد أدنى

وأمجد في عمره هذا كله لازالت تغطيه ليلاً أكثر من

مرة ، وقفت عند الباب ووجدتها تسحب اللحاف من

تحتة بيدها اليسرى لتغطيه جيداً فهوا ينام فوقه ولا

يشعر حتى بسحبها له فقلت بصوت منخفض

"اتركي عنك كل هذا الليلة ألا تري أن حالتك لا تسمح"

نظرت لي وقالت " تعال غطه أنت لم أستطع"

قلت ببرود " قلت ما قلت لتذهبي لغرفتك وترتاحي

لا أن تجعليني أقوم بأعمالك اليومية"

قالت بضيق " أعتبره أحد من يلجنون

لمكتبك بقضاياهم ولو مرة"

تركتها وغادرت فتبدوا لديها طاقة من الغضب تود

تفجيرها بي ، أستحق هذا لأنني لحقت بها منذ البداية

دخلت الجناح وشغلت التلفاز وجلست أقلب القنوات

ومر الوقت ولم أرها دخلت ، وقفت وأطفأت التلفاز

ودخلت الغرفة غيرت ثيابي وأطفأت النور ونمت على

السريير ، يبدوا قررت أن تنام هناك وما ذنبي أنا تلوي

معصمها وتنفت غضبها بي ... حسنا هي لم تقل لي شيئا

وما معنى تصرفها هذا منذ متى تنام مع الأطفال وتتركني

نمت بعد وقت ولم استيقظ إلا على أذان الفجر فتحت عين

واحدة ووجدت النور مشتغل والتكييف مطفى وأرجوان

تفتح الستائر عن الشرفة ثم فتحتها فأغمضت عيني مجددا

وقلت ببرود " جيد تذكرت أن لك غرفة وزوج"

لم تعلق وأنا أتابع سير خطواتها وعيناي مغمضتان

دخلت غرفة الملابس ثم خرجت وحركت شيئا

عند طاولة التزيين ثم قالت " جابر تعال"

فتحت عيناى ونظرت ناحيتها فكانت تجلس على

كرسي الطاولة وتنظر ناحيتي وتمسك مشطا في

يدها ، نظرت لها باستغراب فاستدارت جهة مرآة

الطاولة وقالت ونظرها علي في المرآة

"مشط لي شعري وأمسكه لا استطيع فعلها وحدي"

انقلبت للجانب الآخر ولم أجيب لتجرب معنى

التجاهل ، قالت بعد قليل " الطبيب قال ستتحسن يدي

منتصف النهار فلا تمن عليا بخدمة بسيطة"

وضعت الوسادة على رأسي ولم أتكلم فاقتربت

خطواتها من السرير وجلست عليه وحاولت نزعها

من على رأسي لكني أحكمت عليها بذراعي ولم

تستطع سحب أنش منها فقالت بتذمر

" جابر بالله عليك ما فعلته أنا تعاملني هكذا"

لم أجب فتأففت وقالت " لو لم أرى أن الأنسب

لي عدم النوم هنا البارحة ما نمت هناك"

قلت ببرود " لا يهم تنامي أين ما تريدين تلك مشكلتك"

قالت بعد صمت " ولما تتصرف معي هكذا إذا"

رميت الوسادة عني ووقفت وقلت متوجها جهة الحمام

" ليس من وظائفك كزوج مشط الشعر ، ما رأيك أن

اغسل لك أسناتك وأغير لك ثيابك أيضا"

دخلت الحمام وأغلقت الباب توضأت وخرجت فلم

تكن في الغرفة وقد جهزت لي بذلتي فغيرت ثيابي ببنتلون

من الجينز وقميص وسترة رمادية ونزلت للذهاب للمسجد

صليت وعدت وتوجهت من فوري لجناح والدتي لأتحدث

معها بخصوص موضوع زهور ، طرقت باب الجناح

أكثر من مرة ففتحته لي ودخلت أمامي قائلة

" لا تكن حشت لك رأسك ضدي وجئت لتمارس ذلك علي"

بقيت انظر لها باستغراب فرفعت سجادتها وقالت وهي

تطحها " ولا تقل لما مددت يدك عليها لأنها تستحق"

اتسعت عيناى من الصدمة والتفتت هي ناحيتي وقالت

بضيق " علمها كيف تحترم والدتك قبل أن تتركها

تربي أبنائك لتخرجهم نسخا عنها"

ثم تابعت بسخرية وهي تلبس رداء الصلاة

"أنا ابنة خريج السجون الحثالة تقيم تربيتي لكم وتنتقدها"

ثم وقفت على سجاداتها وكبرت وكأني غير موجود ، مدت

يدها عليها ! إذا ذاك لم يكن حادثا كما قالت ولهذا كانت

مستاءة ليلة البارحة ولم تنم معي في الغرفة بل ولهذا ارتفعت

حرارتها بدون سبب ، وما هذا الذي قالته لها جعلها تضربها ؟

بل كيف ضربتها لتكون النتيجة هكذا ! بقيت واقفا مكاني حتى

أنهت صلاتها وطوت سجاداتها وجلست تسبح تسبيح ما بعد

الصلاة فقلت " لم آتي لأجل ذلك ولا علم لي به إلا منك لقد

أخذتها البارحة للمستشفى بسبب ما حدث ليدها فهل هنا

حلبة مصارعة وأنا لا أعلم"

لم تجب ولم ترفع نظرها لي فقلت بجدية

"ماذا حدث لتصلا لهذا الحد"

قالت ببرود " اسألها ماذا قالت وإن كنت ابني فستكسر لها

رأسها وليس يدها كي لا تستنقصك وتستنقص تربيتي لك"

قلت بضيق " لم أتدخل في مشاكلكم كي لا تكبر ليس

معناه أن تصل لأن تتقاتلا كالأطفال"

قالت بحدة " خسنت تمد يدها علي أقسم أن اقطعها لها"

خرجت من عندها ولم أتحدث معها حتى فيما جئت من

أجله ، توجهت لغرف الأطفال ووقفت عند باب غرفة

الفتاتين فكانوا في الداخل جالسين أمامها وهي تمسك

المصحف ويبدوا تشرح لهم آيات منه ، نظروا جميعهم

لي ونظرت أرجوان لملايس نظرة استغراب ثم عادت

بنظرها للمصحف فقلت مغادرا " أرجوان تعالي"

توجهت لجناحنا دخلت ووقفت وسط ردهته وبعد قليل

دخلت وأغلقت الباب فقلت موليا ظهري لها

"ماذا حدث بالأمس"

قالت بعد صمت " في ماذا"

قلت بحزم " في الحادث الذي حدث لديك طبعاً"

لم تجب فالتفت لها وقلت بضيق " أسلوب الصمت تنسينه

ماذا قلت لوالدتي لتضربك هكذا ولما لم تتكلمي عما حدث"

بقيت تنظر لي بصمت فقلت بغضب " أرجوان لا

تطريني لفعل شيء لن يعجبني قبل أن لا يعجبك"

مدت لي يدها السليمة دون أن تتكلم وكأنها تقول لي أفعل

مثلها فبقيت أنظر لعينيها بتركيز وأتنفس بقوة وهي على

حالتها يدها ممدودة لي ونظرها ثابت على عيني

لم أستطع أن أقول أنا لم أتربى على ضرب النساء لأن

يدها الملفوفة تناقض ذلك ، تنفست بقوة وكأنني

إعصار وقلت " أنزلي يدك وتكلمي "

قالت بعد صمت طويل حتى ظننتها ستستمر في

عنادها " قلت أنك لن تتدخل فلا تخل بشرط الزواج

أو لا تلمني إن أخللت أنا به "

قلت بجدية " وقلت إلا إن رأيت في تدخلني

مصلحة إن كنتِ تذكرين "

أنزلت يدها وقالت بدمعة محبوسة " لا أريد أن أجرحك

بكلامي يا جابر وما نمت طوال ليلة البارحة على الأريكة

كي لا أخطأ في حقك لأهدم كل ذلك اليوم "

مسحت قفا عنقي بيدي حتى وصلت بها للأمام وتنهدت

بضيق ثم قلت " هو سؤال واحد ماذا قلت لها لفعلت هذا "

قالت بتبات " جاءت تذكرني بواقعي فذكرتها بواقعها

أيضا ، كل خطئي أني قلت أنها فشلت كأم وعليها أن

تنقد الوضع قبل فوات الأوان"

قلت بضيق " وما علاقتك بكل هذا يا أرجوان

وها قد جاءتك النتائج"

قالت بحدة " لا أريد أن أسرد لك كل الحوار وأخبرك

بما قالت أيضا وأخبرتني أنني لا أريد أن

أجرحك بكلامي يا جابر"

قلت بضيق أكبر " وهل كان حلا أن رددت على كلامها

ظننتك عاقلة في كل شيء وتعرفين كيف تتصرفين

بحكمة لكني أخطأت"

أنزلت رأسها للأرض وقالت " والمطلوب مني الآن"

شعرت بأنها حاصرتني فإن قلت تعتذرين منها أخل

بالشرط بل أتصرف بالنقيض مع موقفها هي حين

وقفت معها في إهانة والدتي لها أمام الضيوف لأنها لم

تعتذر منها وإن قلت لا يتكرر ما حدث أكون غيبا لأن

ما فهمته أنها هي من جاءتها هنا فلم يكن من حل أمامي

سوا محاصرتها كما فعلت فقلت بهدوء " تمنيت سابقا

أن يكون أمجد معك مستقبلا مثلي مع والدتي فإن كان

في موقفي الآن فما ستتمنين أن يفعل"

قالت ورأسها للأسفل لم ترفعه وقد أمسكت ذراع يدها

المصابة بيدها السليمة " أسأل الله أن لا يصل بي الحال

لأن أتهدم على زوجته في جناحها وأسبها وأعيرها

بماضيها وحالها وأضرب لها يدها بتحفة ثقيلة محشوة

بالخشب فقط لأنها أرادت أن تفتح الباب وتخرج ولا تكبر

المشكلة أكثر ، وأن لا يصرخ في زوجته ويضع اللوم عليها"

ثم رفعت رأسها وقالت وعيناها في عيناها " لكني لن ألومه

أبدا لأنه بين خيارين صعبين إن كان يحب زوجته أو

حتى يقدرها على الأقل"

ثم أشاحت بنظرها جانبا وقالت بهدوء " لا تتدخل في

الأمر يا جابر أرجوك لأنه سيكبر فوق ما قد تتصور"

أبعدت سترتي ببداي وأمسكت بهم وسط جسدي ونظرت

للجانب الآخر ولم اعرف بما اعلق ولا أقول لتفاجئني باقترابها

مني وذراعاها تعانق عنقي تقف على رؤوس أصابعها

بحدائها الأرضي ودست وجهها في عنقي بينه وبين

ذراعها وقالت بهمس " ولتمنيت الآن أن ضمها بحنان

وخفف عنها الألم الذي يوجع قلبها أكثر من يدها"

أغمضت عيناى بقلة حيلة وتنهدت ثم لففت ذراعاى

حولها وشدتها لي بقوة وقلت بهدوء " أرجوان إن كان

لي مكانة لديك ولو ذرة واحدة لا تجاريتها في الكلام ثانيئا

أنا أعرفك وأعرف كل ما يخص حياتك واخترتك زوجة

لي وأم لأبنائي ولا يعنيني من واقعك وماضي والدك

شيء وأنا أمامك رجل قانون وأمثله"

شدت ذراعاها حول عنقي أكثر ففهمت أنه ليس هذا

ما تنتظر مني فقبلت كتفها وقلت بهدوء " امسحها في

وجهي هذه المرة وعديني أن تنفذي ما طلبت منك"

ارتخت ذراعاها حينها وابتعد عني وقالت

ورأسها أرضا " حسنا"

نظرت ليدها الملفوفة وشعوري لم يكن كما في الليل

حين اعتقدت أنها سقطت عليها ، الآن أشعر بعجزى

عن إنصافها حتى أني وقفت في صف والدتي بطلبي
منها أن لا تجيب على سبها لها مجددا وعجزت أن أجد
للأمر حلا غير هذا كما عجزت البارحة عن إقناع ترف

بالدخول دون حدة وأوامر ونجحت هي بسهولة

أمسكت أطراف أصابع يدها المصابة ورفعتها ووضعها
كلها على صدري كما تحب أن تفعل عندما تخاطبني وهي
واقفة أمامي ووضع يدي عليها وقلت " كما أخبرتك سابقا
يا أرجوان أنا لا أريد أن أرفع ولا صوتي عليها وتبقى في
النهاية والدتي ولا أحد يختار أهله وأريدك حقا الزوجة
التي تتفهم هذه المسألة"

قالت بهدوء ونظرها على يدي فوق يدها " لم أشتكى

لك يا جابر لاحظ أنك في كل مرة أنت من يفتح

الموضوع ثم تبرر وأنا لم أتحدث فيه"

قلت ونظري على ملامحها " وإبقاء المشاكل معلقة

أيضا اكتشفت أنه لا ينجح"

أبعدت يدها وابتعدت ودخلت الغرفة وأغلقتها خلفها

*

*

دخلت الغرفة وتوجهت للحمام دخلت وأغلقت خلفي

ونزلت الدموع التي امسكها منذ وقت ، لو كنت أنا من

فعل لها هذا هل كان سيتصرف ذات التصرف ؟ أنا لن

ألومه في والدته وموقفه صعب وأعترف لكن لما حقي

أنا المهضوم دائما ومتأكدة انه لم يعتب عليها ولا مجرد

عتب على ما فعلت وليس لدي سوا كتم كل هذا لأنني

إن تكلمت سأكون الخاسرة ولا أعلم إن كنت سأتحمل أكثر

غسلت وجهي ونشفت بالمنشفة وخرجت ، عليا العودة

للأطفال لن أترك أي شيء يؤثر على رعايتي لهم وحرصني

على ما اعتدنا عليه ، لا أعلم لما لم يُنزع جبهم من داخلي

لا هم أخوتي كما كنت أعتقد ولا أبنائي ، هم أحفاد تلك المتوحشة

وأبناء ابنها البار ، تنهدت واستغفرت الله على هذه الوسوس

وغادرت الجناح ، ما ذنب الأطفال أحملهم إثم ما فعلته هي

دخلت غرفة الفتاتين لأفاجئ بجابر جالس معهم على الأرض

متكى بظهره على سرير بيسان مادا لأحد ساقيه والأخرى

منصوبة أمامه ويسند يده عليها ببنطلونه الجينز وقميصه

الرمادي والسترة مرمية فوق السرير وترف تعدل لباس

الصلاة الخاص بها حول وجهها وتتحدث معه طبعاً دون

توقف و بيسان تورق المصحف وأمجد كعادته جالس بهدوء

توجهت من فوري نحو بيسان وأخذت منها المصحف وقلت

بضيق " كم مرة سأقول أن هذا كلام الله له احترامه

وليس ألبوم صور نوره بامتهان"

نظرت ترف ناحيتي وزحفت جهة بيسان وقالت

" هيا نكمل ماما"

جلست مقابلة لهم حيث يكون جابر خلفي ولكن ليس

خلفي مباشرة إن نظرت جانباً وجدته أمامي وفتحت

المصحف وقلت " أين كنا"

قال أمجد " كيف يعامل والديه"

شعرت أن قدراً من الماء البارد سكب فوق رأسي كيف

نسيت هذا ولن أستطيع تغيير الموضوع الآن ، ورقت في

المصحف قليلاً ثم قلت الآية التي أحفظها دون بحث عنها

وأكملت من حيث وقفنا وقلت " ويقول تبارك وتعالى

{وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا

كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}

نظرت لوجوههم المستمعة لي بانتباه وقلت " يعني هذا

أن تعاملهما برفق ورحمة درجة الذل من كثرة ما ترحمهما

وتدعوا لهما بأن يرحمهما الله كما ربياك وأنت صغير وتعبا

من أجلك وسهرا فتكافئهما عند كبرهما على كل ذلك"

شعرت وكأن الكلام موجه لي وليس لهم كي لا أنسى أن

عليه بر والدته مهما فعلت حتى إن ضربته هوا وليس أنا

لكنه ظلم في حقي ، هوا والدته وعليه فعل هذا أنا ما ذنبي

أغلقت المصحف وقلت " ولا ينسى الإنسان أبدا أنه

كما يفعل في والديه سيفعل له أبنائه تماما دون نقصان إن

برهم بره ولو واحد منهم وإن عقهم عقوه جميعهم"

قالت ترف " كيف عقوه"

ابتسمت ومسحت على وجهها بيدي وقلت

"دائما تسألين عن نفس الكلمات ، البر حبيبتني يعني

الإحسان لهما والعقوق هوا العكس"

ثم مدت لها المصحف وقلت " ضعيه مكانه وتعالى لنحكي حكاية"

ركضت به مسرعة وعادت تقول " لا تحكي قبل أن أصل"

ابتسمت على قفزتها جالسة مدمنة الحكايات هذه ثم قلت

"كان ثمة رجل لديه والد كبير في السن ولا يمكنه الحركة

فشعر بالضجر من وجوده معه ومن خدمته فقرّر أن يرميه

في الغابة ليجده أحد أو تأكله الوحوش ويتخلص منه"

شهقت ترف واضعة يدها على فمها وقالت بصدمة

"ياكلونه الوحوش كيف سيركض"

قالت ببسّان بتذمر " أصمت يا ترف لما تقاطعين الحكايات دائما"

تابعت مبتسمة " فحمله على كرسي خشبي يوضع على

الظهر وابنه الصغير معه وذهب به كثيرا في الغابة حتى ابتعدا

ثم أنزله هناك عند شجرة وتركه عائدا هوا وابنه وعندما بعدا

مسافة رمى ذاك الرجل كرسي والده لأنه لم يعد يحتاجه فقال

له ابنه (اتركه يا والدي نرجعه معنا للمنزل)

قال الرجل باستغراب (وما نضع به فلم يعد يلزمن)

قال له ابنه (لأجلبك به هنا وأتركك عندما تكبر)

فندم الرجل وأعاد والده"

بقوا ينظرون لي بصدمة ثم ضحكت بيسان وقالت

"كيف خطر عليه أن يقولها له"

قلت بعد ضحكة غلبتني " بيسان الحكاية من ساجل أن نأخذ

منها العبرة لا أن نضحك عليها هذه ليست نكتة"

قالت ترف " وما العبرة"

قلت " أن لا تعصي والدك ولا تغضبيه كي لا

يفعل لك أبناءك ذلك عندما تكبري"

قالت مباشرة " ولا حتى أنتي ماما أليس كذلك"

قلت مبتسمة " ولا أنا"

وقفت وتوجهت جهة جابر وجلست في حضنه وقالت

"لن أفعل ذلك بابا لن أرميك في كرسي كي لا يرموني"

ضحك حينها وقبل خدها وقال " أوجد أحضر ورقة وقلم بسرعة"

وقف امجد من فوره وتوجه لمكتب بيسان وأحضر كشكولها

وقلما وأعطاه له فأبعد ترف عن حضنه ووضع الكراسة

مفتوحة على الأرض وقال " تعالوا جميعكم هنا"

توجهوا نحوه وجلسوا حوله وأنا اکتفیت بالالتفات أنظر
بحيرة لما سيفعل فرسم مربعا كبيرا وفيه آخر صغير عند
الطرف ومربعان في الجوانب كل واحد قسمه لثلاث ودائرة
عند المنتصف ثم قال وهو يشير للمخطط بالقلم " هنا القصر
الذي نحن فيه الآن أما الدائرة فهي الحديقة والنافورة وهنا
منزل الخادمت والحرس والسائق ، هنا الملحق والثلاث
مساحات الشاغرة هذه تختارون إحداها من اجل أن
يكون فيها المسبح"
نظروا له بصدمة لثواني وصدمتي لا تقل عنهم
ثم وقفت ترف واحتضنت وجهه بيديها الصغيرتان
وقالت بصدمة " سيصبح لدينا مسبح نسبح فيه"
ابتسم في صمت ثم نظر ناحيتي وقال " نعم"
قالت " وواسع ليس كحوض الاستحمام"
نظر لها وقال " نعم وفي الحديقة وحيث ستختارون"
احتضنته تصرخ و بيسان وأمجد يصفقان بفرح ثم ابتعدت
ترف عنه وأصبحت تقفز مثلهم فلم أستطع إمساك ضحكتي
على منظرهم ثم التفت لجابر الذي كان ينظر لهم بابتسامة

واسعة تكاد تتحول لضحكة ومددت يدي حتى لامست بها يده

التي يستند بها على الأرض فنظر لي فقلت بهمس مبتسمة

"شكرا لك يا جابر"

عاد بنظره عليهم وقال بهدوء " تمنيت أن كان بين

تلك اللائحة شيء لك كي أفعله بدلا عن هذا"

أبعدت يدي عن يده وعدت مولية ظهري له وقلت

"وهذا أعتبره من أجلي فسعادتي من سعادتهم"

لم أرد أن أشكره على المسبح فقط بل على جلوسه معهم

واستماعه لكل ما كنا نقول دون أن يغادر وحتى هواتفه

ليست معه ، قال بجدية " لا تأتوني في الغد وتقولوا

أين المسبح لأنه سيأخذ وقتا وسأكلف من يشرف عليه كي

ينتهي بسرعة وسيكون الخروج له بأوقات مناسبة من حيث

الطقس تحددها والدتكم فمتى قالت تدخلوا يدخل الجميع ومن

ستمعه من الخروج له ممنوع أو ألغيته وأغلقتة مفهوم"

هزوا رؤوسهم بالموافقة وقالت ترف مشيرة بيديها بدائرة حولها

"أريد بطة كتلك التي يسبحون بها في البحر كي لا أغرق"

قالت بيسان " وملابس نسبح بها تلك لم تعد على مقاسنا"

وقف وقال " لينتهي أولا ثم تشتري لكم والدتكم كل ما تريدونه"

وخرج بعدها من الغرفة وقال أمجد " هل نشاهد الكرتون الآن"

وقفت وقلت " نعم ولا أجدكم قريبين من التلفاز

لأني سأغضب منكم"

خرجوا ثلاثتهم مسرعين وحديثهم طبعاً عن الحلم الذي

أصبح حقيقة وهو مسبح يسبحون فيه وحدهم متى أرادوا

أخذت سترته من على السرير وخرجت وتوجهت لجناحي

دخلته ودخلت الغرفة ولم يكن هناك ، يبدوا توجه لمكان

آخر وداخل القصر لأنه لم يغير ثيابه ولم يأخذ سترته

*

*

خرجت من غرف الأطفال وتوجهت من فوري لجناح

زهور ، اليوم هوا يوم الدوريات الداخلية ولم أنهي منها سوا

واحدة فقط وهي أرجوان والأولاد وعيا العودة لوالدتي مجددا

طرقت باب الجناح ودخلت فلم تكن هناك فطرقت باب الغرفة

ودخلت فكانت في الشرفة ويبدوا تطعم عصافيرها وما

أن رأيتني حتى وضعت ما في يدها ودخلت وأغلقت الباب
فجلست على الأريكة وقلت " تعالي أجلسي سنتحدث قليلا"
توجهت نحوي وجلست مقابلة لي في صمت ، لو كسب رضا
شيء من هذه الزواج فسيكون صمتها الدائم ، نظرت ليدي
المشتبكتان في بعض وقلت " اليوم سنعقد قرانك ورضا
سيكون هوا وكاتب العقود هنا عند الغداء"
طبعا لا شيء غير الصمت فتابعت " كنت سأخذ كشوف
حسابه من المصرف لكنه بنفسه أرسلها لي بأوراق تثبت
أنه لم يسحب منها مليما من قبل التاريخ الذي وضعت فيه
شروطك ، اليوم ستكون شقته وسيارته وأمواله باسمك"
ثم رفعت نظري لها وقلت " وأنتي باسمه طبعا"
قبضت بيدها على فستانها بقوة وهي تضعها على فخذها
ودمعة تترقرق في عينها فتنهدت وقلت " لم نفعل شيء
بعد إن لم تكوني مقتنعة نلغي الأمر يا زهور"

هزت رأسها بلا دون كلام فقلت " لو لم يكن رضا
مصرا وموافقا على شروطك ما وافقت هذا ، ما يعزيني

فقط أنك قد تكوني تريدين ضمانات كي لا يتكرر ما

حدث في زواجك السابق"

خرجت من صمتها أخيرا وقالت بصوت حزين

وعيناها في عياني " جابر هل ستكون سندا لي

مهما طال الوقت وحدث"

بقيت أنظر لها مطولا بحيرة ثم قلت بجدية

"نعم يا زهور لا يحتاج أن تسألي عن هذا"

قالت " حتى إن طلبت منك يوما أن تطلقني منه"

لم أعرف ما أقول وبقيت أهدق فيها بصمت فقالت

"إن كرهت العيش معه هل تطلقني منه"

قلت بجدية " نعم وقبل أن يُمسي المساء على قرارك"

كسرت نظرتها حينها وقالت " حتى إن كان الثمن

أن تخسر صداقته وللأبد"

قلت من فوري " حتى لو خسرت كل العالم لن يتكرر ما

حدث في السابق يا زهور ، أقسم لو أخبرتني عنه حينها

ما نفذ مني بجلده ولكنك أدقته أمر مما أذاقك من ضرب وتعذيب

وأعلم الآن مكانه وما يمسكني عنه رفضك أنتي أن أفعل ذلك"

قالت بحسرة " ذاك ماضٍ وانتهى "

ثم رفعت نظرها لي وقالت " أنا أتق بك يا جابر "

وقفت وقلت " إلا إن مت يا زهور وحده الشيء الذي

سيمنعني من تنفيذ ما تريدينه "

وقفت هي أيضا فقلت " لما لا يكون حفلا بسيطا اليوم

رضا يصر على ذلك ، ليكن لعائلتنا وشقيقته فقط "

نظرت للجانب الآخر وقالت بضيق " لا أريد "

تنهدت وقلت " رغم انه ستكون جميع أمواله لك إلا أنه

اشترى خواتم الزواج وكان يريد شراء فستان العقد

هوا يتزوج للمرة الأولى راعي مشاعره على الأقل "

لأذت بالصمت كعادتها وكأنها تطردني فقلت

" من أجلي يا زهور يلبسك ما اشتراه فقط "

أنكست رأسها للأرض وقالت " من أجلك فقط وقليلًا وأغادر "

تنهدت بضيق وقلت " حسنا قليلا وتغادري "

ثم غادرت من عندها وخرجت من جناحها ، ما يجعلني أطيع

رضا معرفتي بمشاعره نحوها فمن جنونه بها حتى أنا شقيقها

لم يخجل أن يهذي بها أمامي وما يجعلني أسكت عن جنونها

في شروطها تلك أني لا أريد أن يتكرر معها ما حدث في

السابق ، هذه المسألة الأخرى انتهت منها بأيسر من سابقتها

نزلت للطابق الثاني وتوجهت جهة جناح والدتي طرقت

الباب ودخلت فكانت وخادمتها تلك معا فقلت

"اتركينا وحدنا"

خرجت وأنا أتبعها بنظري ، كنت أنوي فعلا طردها

من القصر لكن وكما قالت أرجوان إن لم يزول السبب

لن يتوقف الأمر فستتجسس غيرها لأن والدتي ستضع

بديلة لها ، لو لم أسمع حديثهما بأذني لشككت أنها تتجسس

لصالح شخص خارج القصر فلم أتوقع من والدتي أن تفعلها

نظرت لها ووضعت يداي في جيوبي وقلت " اليوم سنعقد قران

رضا وزهور وسيأخذها بعد نشر كتابه وقال شهرين أو أقل"

لم تتحدث ولم ترفع نظرها لي فيبدووا لن نخرج من تلك المشكلة

أبدا ، قلت بضيق " أمي أنتي أخذت حقك بيدك وأنا تحدث

معها ولن تقول لك مجددا ما قالته فهل سننتهي من هذا"

قالت ببرود " لا أريد أقوال أريد أفعالا"

قلت بجدية " لن تثني كلمتي والقصر مراقب أسمع

وأرى كل ما يجري كلام قيل شخص يتجسس من

خلف الأبواب كله سيكون مسجل وسأشاهده"

نظرت لي بسرعة نظرة ثاقبة والصدمة تغطي

ملاحها ثم قالت " ماذا تعني بمراقب"

قلت وأنا أتجول بنظري على اللوحات المطرزة بيدها

ومعلقة على الجدار " أعني أن القصر مزود بنظام مراقبة

منذ وقت لكني لم أكن أشغله ويعمل آليا عند الخطر فقط

لكن الآن سيعمل على مدار الساعة وسأعود لكل ما

ما سيكون فيه ريبة ، أي لن ينكر أحد إن قال شيئا"

قالت بضيق " وكيف هكذا مراقبين أين الحشمة يا جابر"

نظرت لها وقلت " الحمامات وغرف الملابس لا

لكن الكلام مسموع في أي مكان"

وقفت وقالت " والسبب"

أخرجت يداي من جيوبي وقلت " السبب من المفترض

أن تعرفيه لوحدك ، من أجل حمايتكم أنا لا أضمن للغد ما

قد يحدث خصوصا بعد الجرائم الجديدة في البلاد"

قالت بامتعاض " وما نفع المراقبة ، الحرس يكفون لذلك"

قلت مغادرا " لو لم تكن ذات نفع ما كنت كلفت نفسي

عناء تركيبها يكفي أنها كشفت لنا حقيقة الخدم والمربيات"

خرجت وأغلقت الباب خلفي وهذا الباب الثالث سدده

بقي بتول سأزور منزلهم فيما بعد ، نظرت للساعة في يدي

وأنا أتجه جهة السلام فكانت الثامنة ومرت إحدى الخادمت

فقلت وأنا أصعد " أريد الفطور في جناحي"

ثم توجهت للجناح من فوري دخلت وتوجهت للغرفة فتحت

الباب ووقفت أمامه مكتفا يداي لصدري أنظر بابتسامة

جانبية لما يجري أمامي

نهاية الفصل وإلى لقاء قريب بإذن الواحد الأحد

الفصل الثاني والعشرون

دخلت المنزل أجهز نفسي لحرب طويلة لإخراجها من هنا

وأعلم أي يوم ينتظرنني اليوم ، توجهت من فوري لغرفة

والدتي فكان بابها مفتوحا فوقفت أمامه فكانت مكانها على

السريير لكنها الآن جالسة فوقه وأغراض والدتي في حجرها

ونظرها عليهم ويدها متشبثتان بهم وكأن ثمة من سيأخذهم

منها ، ما أن فتحت فمي لأتكلم حتى قالت بشبه همس

"لن أخرج من هنا"

نظرت جانبا وتنهدت بضيق ممررا أصابعي في شعري

فتابعت ببرود " قلتها سابقا أخرج من شقتنا لمنزل

خالتي ولا أغادر منه إلا لها"

نظرت ناحيتها وجمعت كل ما أملك من هدوء وقلت

"وسن توقي عن الجنون فبقاء لوحدك لن تبقي"

سقطت دمعها على مصحف والدتي في حجرها وقالت

بأسى " تركوني لك يا نواس جميعهم رحلوا وتركوني لك

كل من يريدني رحل عني وتركني لمن لا يريد حتى رؤيتي"

أمسكت مقبض الباب بقوة وكأني سأحطمه وقلت بضيق

"وسن توقي قلتي لك"

رفعت رأسها ونظرها لي وحضنت المصحف ولباس

الصلاة لصدرها وتابعت وكأنها لم تسمعني وقالت بحرقة

"خذلوني جميعهم ، وعدوني واخلفوا مثلك حين قلت أنه

لن تسكن حضنك غيري وخلفت ، نعم وعدتني وأخلفت

وأقسمت وحنثت بيمينك وكأنك ما أقسمت"

ضربت بقبضتي طرف الباب وقلت بحدة " أغلقتي الدفاتر القديمة

يا وسن كم مرة سنعيد ذات الكلام"

لوححت بيدها في الهواء وقالت بغضب " نعم لأنك ربحت

أنت من كسبت في النهاية وبقيت أنا اليتيمة العالة في

عهدتك تنتقم منها كيف تشاء"

دفعت الباب بيدي لينفتح على مصرعه وقلت بغضب أشد

"توقفي عن حشو رأسك بهذه الأفكار السوداء ، أنا

لم أفكر في الانتقام منك يوماً"

ابتسمت بسخرية ولم تعلق وقالتها لي بذلك من دون

كلام (كاذب) ، تنفست بقوة وغضب وقلت بجدية

"ستخرجين من هنا ومعى ولمنزلى ولا نقاش فيما أقول"

رمت الأغراض من يدها وخرجت من السرير واقفة وقالت بحدة

"زوجنى للإمعة الآخر وارحمنى فلعلى أموت على يديه"

صرخت بحدة " لا تقولى عنه إمعة"

فتحت ذراعيها وقالت بسخرية

"وما سيكون هذا الذى تتحكمون فى قراراته"

ثم أشارت لى بإصبعها وقالت " لولا عهدى لخالتي ما

تركته تتحكم فى مصرى وما وافقت على من ستختره

أنت وإن كان رئيس البلاد"

قلت مغادرا " ولولا عهدى لها ما زوجتك به"

فماذا إن علمت أنه أنا وأنى مثلك قطعت يمينا أنفذه

أحبت نفسى أم كرهت ، توجهت لغرفتها هنا وكان فيها

حقيبتان جاهزتان ومؤكدا لها ، أجهل حقيقة ما حدث هنا

بعدي لكن الواضح أن جواد أوصل الأمر لنهايته ثم مزق

التوكيل وسافر ، أخرجت الحقيبتان وخرجت بهما للسيارة

حيث معاذ لازال واقفا هناك ، وضعتهم على الأرض

خلفها ثم فتحت حقيبة السيارة ووضعتهم فيها وأغلقت
بابها بقوة ووقفت واضعا يداي وسط جسدي أنظر للأرض
وأتنفس بغيض فقال معاذ " هل ستأخذها هناك"

نظرت جانبا وقلت " أسدي لي معروفا يا معاذ واسبقني

للمزرعة ، أريد أثاثا في آخر غرفة في الممر

الغربي من الطابق الثاني"

قال بعد صمت " لكنك لا تستخدم غرف ذاك الممر لأنه

مطل على ساحة التدريب وجزء من الإسطبلات ولا

شيء فيه سوا مكتبك"

نظرت له وقلت " لا حل أمامي غيره فالجانب الشرقي

لا أستطيع وضعها فيه والطابق الأول فيه وليد ولن أخرجه

منه تحت أي ظرف كان ولا أريد أن يخرج في كل الأحوال"

قال بهدوء " وليد سيقدر الأمر فلم تعد الظروف كما كانت

سابقا ويمكنك أن تشتري له منزلا قريبا من المزرعة"

هزرت رأسي وقلت " مستحيل ينقطع لساني ولا أقولها له"

ثم أشرت له بإصبعي وقلت بتحذير

" وإياك يا معاذ أن تلمح له ولا مجرد تلميح"

ثم أخرجت هاتفي من جيبي قائلا " الممر في الجناح الغربي

مستقل عن باقي الطابق ولا حل أمامي غيره كما أني أعرف

وسن جيدا ليست من النساء الفاسدات لتجلس للعمال في نافذتها

وإن رفع واحد منهم نظره هناك فقأت له عيناه ليكون درسا لغيره"

قال متوجها جهة سيارته " كما تريد ستكون الغرفة جاهزة

بعد وصولي هناك بأقل من ساعة"

ثم ركب سيارته وغادر فنظرت لهاتفي مطولا بتفكير

ثم اتصلت بمي فأجابت من فورها قائلة

"مرحبا نواس وحمدا لله على سلامتكم"

قلت بهدوء " سلمك الله ، مي سيكون معاذ في المزرعة بعد

أقل من نصف ساعة فلا تخرجي من غرفتك لأنه والعمال

سيكونون في الأعلى وبعد أن يغادروا أطلبي من راضية

أن تنظف الغرفة التي أدخلوا لها الأثاث وتضع فيها أغطية

وكل ما يلزم في الغرفة والحمام"

قالت من فورها " حسنا سأفعل كل ما طلبت"

تنفست بعدها بقوة وقلت بهدوء " مي وسن ستعيش معنا

هناك لا أريد أن تحتكي بها تحت أي ظرف كان واستحليها
من أجلي ، هي ستكون في جانب مستقل من الطابق ، وسن
ليست سيئة طباع مع الناس لكنك تعلمين ظروفنا جيدا"

قالت مباشرة " لا يحتاج الأمر أن تشرح لي

وسأفعل ما تأمرني به"

قلت بامتنان " شكرا لك يا مي وداعا الآن"

لا أعلم أي أيام تنتظرني هناك لكني متأكد من أنها سيئة على
الجميع ، تهتدت بأسى ثم عدت جهة المنزل ، دخلت ووجدتها
تقف في الصالة فقلت بهدوء " وسن أقسم ليس غرضي

الانتقام منك فاخرجي معي وأريحيني"

أشاحت بنظرها عني ولم تتكلم فقلت

" أغراضك في السيارة ومكانك هناك جاهز ومستقل

ولن تحتكي بأحد أو تريه فدعينا ننتهي من هذه المشكلة"

قالت ببرود ونظرها لازال بعيدا عني " ومتى ستزوجني به"

قلت بضيق " وسن أفهم ما تفكرين فيه ولن يحصل

نظرت لي وقالت بجدية " حللني من وعدي ووعدك إذا"

قلت بهدوء وعينا تسافر في ليل عينيها " لا أستطيع"

كتفت يداها وقالت بجمود " ولما"

ابتسمت بسخرية وقلت " لن تفهمي مهما شرحت"

جلست على الأريكة وقالت ببرود ناظرة للأرض

"إذا لن أخرج من هنا إلا معه"

ابتسمت بألم على الواقع المرير الذي ليبتها تعلمه وتعلم أي

مأساة يحمل وقلت " ولما لم تتزوجي بسليمان"

أشاحت بنظرها جانبا وقالت بسخرية

"تخلي عني وتركني لك كما الجميع"

ثم نظرت لي بعينان ممتلئة بالدموع وقالت بأسى

"وتقول أنك لا تريد الانتقام مني يا نواس وأول

ما فعلته الآن أن سخرت من حالي"

أوليت ظهري لها واستندت بقبضتي على الجدار وأنزلت

رأسي للأرض مغمضا عيني بألم فعند هنا انتهى إلا عيناها

دامعة كل شيء أستحمله إلا هذا المشهد حدقتها الواسعة تلمع

من سجن الدموع ، وبقيت على حالي ذاك حتى وصلني صوتها

قائلة بهدوء حزين " لن تشعر بي أبدا يا نواس كما لم

يشعروا بي جميعهم لأنكم لستم في مكاني"

ابتعدت عن الجدار وتوجهت نحوها وأمسكت يدها وسحبته

معي سائرة خلفي قائلا " ليتك أنتي تشعرين بما أشعر

لكنك لست في مكاني أيضا"

ثم خرجت بها من المنزل والغريب أنها لم تقاوم

*

*

بعدما اتصل نواس بحوالي الربع ساعة طرقت عليا راضية

باب غرفتي ففتحت لها فقالت باستغراب " طرقت باب

غرفتك ونواس كثيرا ولم تجيبي ظننتك هناك" !!

قلت بارتباك " كنت هنا واتصل بي نواس وطلب أن لا

أخرج لأن العمال سيصعدون ولم أستطع الخروج"

قالت مباشرة " نعم معاذ قال لي الآن أن أعطيك

خبرا أنه سيصعد والعمال للأعلى"

هزرت رأسي بحسنا ثم قلت " ونواس طلب مني أن

أخبرك لتنظفي الغرفة التي سيضعون فيها الأثاث

هنا وتري كل ما يلزمها وتضعيه فيها"

قالت بحيرة " هل سيأتي أحد للعيش هنا" !!

قلت بهدوء " أجل إنها ابنة خالته المسنول عنها"

هزت رأسها بحسنا ثم غادرت فأغلقت الباب ووقفت عليه

كادت تكتشف الأمر رغم حرصي الشديد حتى أني لم أخرج

أغراضي من هناك وحتى الحمام أدخل الذي في غرفته لأنها

لا تصعد إلا مرة واحدة صباحا من أجل التنظيف ، تنهدت

بحيرة وتوجهت نحو السرير وجلست عليه أنظر للأرض

بشروء ، تري ما ينتظرنني وينتظرك هنا يا وسن ؟ صحيح

أني ونواس زوجان بالاسم فقط وأنها حين التقينا في عزاء

خالتها لم يبدر منها أي تصرف عدواني اتجاهي ولا بنظراتها

حيث كانت فقط تتجنب النظر لي بل ولكل الجانب الموجودة

أنا فيه عكس شقيقتها التي كانت ستمزقني بنظراتها الكارهة

لوجودي لكني حقا متخوفة من مواجهتها ، أعلم بشعورها

وكراهيتها لوجودي لكني لا ذنب لي فيما حدث فأنا مجرد

ضحية مثلها رماهما حظهما التعيس هنا ومعا ، وضعت

يدي على خدي وجلست لوقت أبحر مع الأفكار ثم وقفت

وتوجهت للنافذة حيث أنها مطلة على جزء بسيط من نهاية ساحة

الخيال لأن أغلبه في الجانب الآخر من المزرعة وهذه النافذة

متنفسى الوحيد لأرى منه العالم الخارجى وليس كذلك فقط

بل وأراقب وليد ولو مارا أو يركب إحدى الخيول ويعبر بها

من هذه الجهة ابتعدت وعدت مكاني أراقب السماء منها بحزن

ترى هل أنا بهذا مخطأة !! متزوجة بصديقه ومشاعري معه

لي زوج أخونه بقلبي ومشاعري ، لكن كيف أعطيه كل شيء

وهوا لا يحبني بل ويعشق أخرى يا رب ألهمني للصواب

ولا تلمني على ما غلبتني نفسي فيه ، بعد قليل جاءت راضية

لتخبرني أنهم غادروا لأعود لغرفتي ولا تعلم بأنني فيها الآن

وقفت وقلت " سأنزل معك أشعر بالملل والوحدة"

قالت مبتسمة " ها هي ستاتيك من تسليك"

ابتسمت بألم وخرجت خلفها هذه لن تسليني بل ستزيدني

عزلة وسأزيدها ألم ووجع فوق وجعها ، وصلنا المطبخ وكأني

أريد الاختباء فيه من لقائها ، قلت بعد وقت

" أين الغرفة التي جهزوها لها"

قالت دون أن تنظر لي " في ممر مكتب نواس"

قلت باستغراب " ذاك الممر لا يستخدم غرفه أحد أليس كذلك"

رفعت المقلاة من على النار وقالت وهي تتوجه بها للطاولة

"نعم لأنها مطلة على ساحة التدريب والإسطبلات وهم

والعمال دائما فيها فحتى في الطابق الأرضي تلك الجهة

بها غرفة وليد فقط"

إذا اختارها لتبتعد عن كل الجهة التي نحن فيها أم لتكون

عنده في كل وقت ليشعر بها بجواره حتى وهو هناك ، ترى

هل يفكر هكذا ! لكن لا مستحيل مؤكداً يجنبها ممر غرفنا بما

أن وليد يعيش هنا في هذا الطابق ، رفعت رأسي لأتحدث

على صوت نواس المرتفع في وسط المنزل مناديا

"راضية"

*

*

ركبت سيارته يقودني شيء غير قدامي قد يكون قدري

الذي لا مفر لي منه أو استسلامي للأمر الواقع فعليا أن

أكمل محكوميتي التي لم ولن تنتهي، فبعد كل هذا لم

ينتهي عقابي بعد !! أقسم أنني اكتفيت أقسم أنني وصلت

لمرحلة الموت البطيء وتخطيتها ، كانت أحشائي

تشتعل كالسعير كلما اقتربت المسافة وأنا أكتم بكل

قوتي كي لا يلحظني فوسن القديمة عليها أن تموت

هناك مع الماضي كما مات حبه لها وكما ماتوا أهلها

جميعهم وأن أواجه كل شيء بقلب أجوف ولو من

الخارج حتى يبدأ الفصل الجديد من مسرحية عذابي

ويأتي الزوج المجهول الذي لم يدفعني ولا الفضول

يوما لمعرفته وليس يعينني فكلهم سواسية ماداموا ليسوا

صاحب هذا العطر والنفس الواضح رغم هدوء ليست

هذه اليدين والأصابع الطويلة ومادام ليس هذا الشخص

فلا يعينني ولن يكون هوا طبعاً لأنه قتلني من تاريخه

وداس على قلبي قبل حلمي ولأني لست الأولى والوحيدة

اتكأت للخلف على مسند الكرسي مغمضة عينايا لأني

لم أعد أحتمل فوصلني صوته قائلاً " إن كنتي متعبة

نذهب للمستشفى أولاً مادامنا لم نبتعد كثيراً"

قلت بهمس لا أعلم كيف خرجت معه الحروف " لا"

فسمعت تنهيدته الطويلة وتابعنا السير وأنا مغمضة العينان

أريد أن أخرج نفسي من هذا العالم ، أعتبر نفسي في سيارة

ليس هوا من يقودها وليست له ولست ذاهبة لمنزله لأعيش
معه وزوجته و لم تمت خالتي ولا والدي ولا أحد ولم يرجع
نواس من سفره ولم يحدث شيء من كل ما حدث آه كم
كان سيكون ذلك جميلا ، ابتسمت بعدها بألم عندما لم يتقبل
عقلي فكرة أن لا يكون هوا في ذاك العالم وكأنه يريد مني
رسم مخطط جديد ... ذاهبان لمنزلنا وابننا معنا في الخلف
لأننا متزوجان من عامان وخالتي تنتظرنا هناك بكامل
صحتها ، نزلت دمعة من طرف عيني فمسحتها ونظرت
جهة النافذة فحتى الهروب من الواقع لم ينجح فلن ينجح
شيء يا وسن ، ليثهم حين كنا صغارا لم ينبهونا عن الحديث
مع الغرباء والذهاب معهم لا تتحدثي مع أحد ولا تذهبي
لأحد يناديك أبدا مهما ناداك لنطبقها كالمنهاج كل حياتنا
ليثهم بدلا عنها قالوا لا تحبي أحدا مهما حدث ، لا تنقي
في كلام العينين والقلوب ، لا تسلمي قلبك لأي كان ولا
تدعيه يركض له ولا تصدقي أكاذيب الحب وكلام العشاق
اتكأت عليها وابتسمت بألم ، وبعد مسافة وصلنا لمزرعة
كبيرة واكبر مما كانت في مخيلتي وتوجهنا فورا لمنزل كبير

من الخارج وبطابقين ، وقفت السيارة أمامه ونزل قبلي

وتوجه للخلف فنزلت ببطء ووقفت انتظره حتى دخل

أمامي بالحقائب ، لو يعلم ما فيها من أشياء اشترتها فرح

ترغمني على أن أخذها لمنزلي وسليمان لسخر مني أكثر

من سخريته السابقة ، دخلنا ووقف في منتصف المكان

الواسع وقال بصوت مرتفع " راضية"

لتخرج امرأة أربعينية من أحد الأماكن تنشف يديها

بمنشفة مطبخ وقالت مبتسمة " نعم يا نواس"

غريب إن لم تكن خادمة من تكون أم أنها اعتادت

على أن تناديه باسمه فقط!!

وضع الحقائب وقال " هذه وسن ابنة خالتي وستعيش معنا

هنا خذوها لغرفتها وانظري ما ينقص وتريده هناك "

قالت مبتسمة " كل هذه الملاك ابنة خالتك ولا نعلم "

أنزلت نظري وابتسمت بحزن وقال نواس " سأخرج

للعمال ولا تنتظروني على العشاء سنخرج أنا ووليد من

المدينة اليوم وقد نعود متأخرين"

ثم خرج من فوره دون أن يضيف أي كلمة ولا أن

يسأل عن زوجته أو يُعلمها هي بهذا رغم انه كان في
البر لأيام حيث أنه جاء هناك بسيارته المخصصة لذلك
لابد وأنها في زيارة لأهلها لذلك ليست هنا ولم يسأل عنها
صعدت أمامي بإحدى الحقيبتين قائلة " اتبعيني يا وسن
سأوصلك لغرفتك وأنزل لجلب الحقيبة الأخرى"
لكني حملتها معي وسرت خلفها فأكثر ما أكره الاتكال
على الخادمت في كل شيء وكانهن بغال يحرثون
عليهن فقط لأنهن يأخذن منهم راتبا ، سارت دون التفات
حتى وصلنا لممر معين وسارت بي لآخر غرفة فيه
ووضعت الحقيبة وقالت " هذه غرفتك إن احتجت
شيئا نادني من أعلى السلالم فقط وسأكون لديك"
قلت مبتسمة " شكرا لك يا راضية فقط أريد كوب
ماء لآخذ المسكن لو سمحتي"
قالت من فورها " توجد ثلاجة صغيرة في الغرفة بها
كل ما تحتاجينه من السوائل ووقت العشاء عند التاسعة
وسأعلمك حين يجهز وإن كنتي لم تتناولي الغذاء

أجلب لك شيئاً تأكلينه"

فتحت الباب قائلة " لا رغبة لي في الطعام شكراً"

غادرت من فورها ودخلت أنا للغرفة أجر الحقيبة

معي ، كانت واسعة وأثاثها جديد ويبدوا راقيا لكن لم

يدخل عليه الذوق الأنثوي أبدا ، توجهت للثلاجة أخرجت

علبة عصير صغيرة ووضعتها فوقها ثم أخرجت الحبوب

من حقيبة يدي وتناولت ثلاث منها فحتى الاثنتان لم تعودا

تفيان بالعرض ، ارتميت بعدها على السرير أصبر نفسي

حتى يبدأ مفعول الحبوب ويزول الألم ولو تدريجيا

بعد ساعتين كان وقت المغرب صليت وبدأت في

ترتيب أغراضي في الخزانة ولم انتهي حتى مقربة

العشاء فليس بينه وبين المغرب وقت طويل ، كانت أغلب

ملابسي خاصا بالعرائس ... بيجامات حريرية وفساتين

قصيرة وقمصان نوم وتفاهات كثيرة لم أكن ولا أعد

أحتاجها فرتبتها كلها في خزانة مستقلة وأغلقتها بالمفتاح

كما أغلقت سابقا الأحلام المنسية التي لن تعود ولن تُفتح

لها الأبواب مهما طال الزمن ، صليت العشاء ثم استلقيت

على السرير أحاول إقناع نفسي بوضعي الجديد ، بعد

فترة طرق أحدهم الباب فقلت " تفضلي "

قالت من الخارج " هلا فتحتي لي رجاء "

غادرت السرير مستغربة وفتحت لها الباب فكانت

تحمل صينية طعام دخلت بها ووضعتها وقالت

" نواس قال أنك لم تتناولي شيئاً طيلة النهار فكلي

ولو مجبرة نفسك على القليل "

ثم توجهت جهة الباب ووقفت وقالت " الطابق الأرضي

يسكنه صديق لنواس فلا تنزلي إلا للضرورة وبحجابك

وقال أن أخبرك أن السائق سيأخذك صباح الغد للجامعة "

ثم قالت وهي تخرج من الباب " تصبحين على خير "

أغلت الباب أشعر بغصة في قلبي ولا أعرف لما وعلى ماذا

توجهت للطعام رفعت القصدير عن الأطباق وتناولت القليل

فقط رغم أنني لم أتناول شيئاً لا اليوم ولا الأمس ، توجهت

بعدها للحمام غسلت أسناني وتوضأت وخرجت ثم صليت

ركعات الليل وبعدها نمت على السرير بما أنه لا يمكنني

النزول بهذا الطعام حسب الأوامر ونمت بعد وقت قليل ولم
استيقظ إلا على صوت منبه الساعة في هاتفي وقت صلاة
الفجر ، أطفأته وجلست أشعر بكسل كبير وأني لم أتم جيدا
فوقفت ونظرت جهة الطاولة فلم تكن صينية الطعام هناك

غريب هل أنت راضية لأخذها !! دخلت الحمام توضأت

وصلت ثم عدت للسرير ونمت مجددا ولم استيقظ هذه

المررة إلا على صوت طرقات على باب الغرفة فأبعدت

اللعاف وجلست ولممت شعري وقلت " من "

جاء الصوت قائلا " راضية ... هل أدخل "

قلت من فوري " نعم تفضلي "

وغادرت السرير أرتبه على دخولها بصينية الفطور

وقالت مبتسمة وهي تضعها على الطاولة

" صباح الخير ظننتك جاهزة فالسائق ينتظر "

قلت وأنا أتوجه جهة الحمام " أخبريه أنني لن أذهب

اليوم سأذهب لها غدا أشعر أنني متعبة وأسدوا لي

معروفا ولا تخبروا نواس أنني لم أذهب "

هزت رأسها بحسنا وقالت " سأتي لأنزل الصينية

للمطبخ فلا تتعبي نفسك كالبارحة وتنزليها "

ثم غادرت وبقيت أنظر لمكانها باستغراب ثم رفعت

كتفائي وأغلقت باب الحمام وغسلت وجهي ونظرت

لملامي في المرآة أراقب الهالات السوداء التي بدأت

تظهر في مساحة صغيرة جدا تحت عياني ثم تنهدت بأسى

وغسلت أسناني وخرجت ، تناولت الفطور وشغلت التلفاز

لبعض الوقت أقلب القنوات بلا تركيز حتى رن هاتفي

فنظرت للمتصل فكانت ملاك ، لابد ستسأل لما لم أذهب

للجامعة أو ستوبخني على ما قلته لها بالأمس فهي لن

تتوقع ذهابي اليوم ولو لم تكن غاضبة مني لاتصلت منذ

البارحة ، أجبت فقالت من فورها صارخة بحماس

"وجدته يا وسن وأخيرا"

قلت بانزعاج " توقفي عن الصراخ لقد ثقبت لي

طوبة أدني ، من هذا الذي وجدته"

ضحكت وقالت " لو كنت أمامي لقتلتك بصراخي

فلم انم البارحة أنتظر الصباح لأخبرك"

ما أن فتحت فمي لأتحدث حتى قالت بسعادة

"وجدته وجدته وجدته يا وسن وجدته"

قلت بضيق " من هذا الذي وجدته يا حمقاء"

قالت بعد ضحكة " ومن غيره أحزان السنين"

قلت بصدمة " ماذا" !!

قالت من فورها " أنا أيضا لا أصدق حتى الآن"

قلت ببرود " وأين وجدته مؤكد عند باب أستوديو القناة"

قالت بضيق " وسن لا أعلم لما لا تفرحين معي مرة

واحدة فقط ، أنا قادمة لك حالا فلا محاضرات اليوم"

قلت بسخرية " أين ستأتيني أنا في مزرعة نواس"

سكنت لوقت ثم قالت بصدمة " ماذا !! هل أخذك معه"

قلت بهدوء " دعينا من كل هذا وأخبريني عن

فارس أحلامك المغوار"

قالت من فورها " نواس"

بقيت مصدومة لوقت ثم قلت " ماذا نواس" !!

ضحكت وقالت " لا يتوقف قلبك ليس هوا"

قلت بسخرية " لم يتوقف حتى حين تزوج بأخرى"

قالت بحماس " هيا وضيقتك الآن"

قلت باستغراب " وما وضيقتي"

قالت " وجدته واقفا مع نواس بالأمس حين دخلت

لك في منزل خالتك ، عليك أن تعرفيه من

يكون وفي أسرع وقت"

قلت بضيق " ملاك اقسم انك جنت كيف عرفت أنه

هوا ثم أنا حين خرجت لم أجد هناك أحدا"

قالت بتذمر " وسن عليك مساعدتي وما أن نتقابل

سأحكي لك كيف عرفت المهم أني متأكدة أنه هوا"

قلت ببرود " أنا لم اجن لأقول له من صديقك الذي كان

معك بالأمس لان صديقتي تعرفه من المذيع"

قالت بصدمة " حاذري أن تخبريه يا متهوره

لا أريد أن يعلم من أكون"

قلت بامتعاض " ملاك وكأنك لا تعلمين أي حال عليه

أنا ونواس ، كيف أسأله سوألا غبي كهذا ودون حتى أن

أشرح السبب ثم سيسألني كيف علمت به وأنا لم أراه"

قالت باستياء " نعم كيف فأتنتني هذه"
قلت بهدوء وأنا أقلب القنوات من جديد " ملاك ابتعدي

عن الحب وخزعبلاته كي لا تنتهي لمصيري"

تهدت وقالت " لا أستطيع فلم انم البارحة أفكر فيه"

قلت ببرود " نصحتك وسيأتيك كلامي يوما"

قالت بتذمر " حسنا لأجرب الحب والجرح لا بأس المهم

هوا طويل وشعره أسود جميل وابتسامته مشاكسة

وساحرة ويده تؤلمه"

ضحكت رغما عني ورغم حزني وما بي وقلت

"ما كل هذا الوصف الدقيق يا مجنونة فجميع

الرجال تقريبا طوال وشعرهم أسود"

قالت باستياء " لا علاقة لي أخرجيه من يكون من تحت

الأرض فأنتي طريقي الوحيد إليه"

قلت " نلتقي غدا ونتحدث ولتحكي لي سبب بكائك

تلك الليلة حين اتصلت بي"

قالت ببرود " اتركيني في فرحتي أنسى الأسي

قليلًا وداعًا وملتقي غدًا لقد نكدتِ عليّ"

أنهيت الاتصال مبتسمة على حماسها وخانفة عليها

لعلها تنتهي نهاية جواد وفرح ليس بالضرورة تنتهي

لما انتهيت أنا إليه بما أنها اكتشفت أنه مخلوق بشري

موجود على كوكب الأرض ، رميت جهاز التحكم من

يدي ثم وقفت وتوجهت للنافذة وأبعدت الستائر وفتحتها

ثم سرعان ما عدت وأغلقتها عندما رأيت الحركة والخيول

في الخارج ، فتحت فتحة صغيرة لأرى قليلًا ما يجري

هنا فكانت ساحة تبدو واسعة جدًا ورجال يتحركون مارين

بها ورجلان يقفان عند السياج ويبدوان يمزحان مع بعض

لأن أحدهما ضرب الآخر على رأسه وصوت ضحكهم

واضح لقرب المكان ، انتقلت بنظري بعدها للخيول وكان

منظرها مبهرًا أغلبها بنية غامقة ومنها المرقطة ومنها

السوداء والحمراء وواحدة بيضاء ناصعة شعرها أسود

فاحم اطرب قلبي لرؤيتها وحدها من بين الجميع والمفاجئة

ليست هنا بل في الذي تلعب يده بشعرها وتمسح الأخرى

على وجهها وهو نواس الذي يرتدي بنطلونا رياضيا

وقميصا قطنيا وهي كانت تستنشق ثيابه وكأنها تحضنه
وكان وكأنه يحدثها في أذنها ثم انطلقت فجأة تركض في
الساحة ليتطاير شعرها الأسود وأنا أوسع النافذة أتابع
حركتها وكأنها مغناطيس لعيناي حتى صرخ أحد الواقفان
وصفر الآخر قانلا بصوت مرتفع " ما سر فرسك اليوم
تركض منذ الصباح بنشاط"
رفع حينها نواس يده جانبا حيث كان ظهره لي ونادى
ناحيته بصوت مرتفع " الوسن تعالي"

بقيت تنظر لي لوقت ثم قالت " نعم نزار يمكنك
السؤال عما تريد"
وما أن فتحت فمي لأتحدث حتى تقدمت للأمام بقوة
وكان ثمة من دفعها فنظرت خلفها فكان ثمة طفل يبدا
في العامين أو أقل يحضنها من ظهرها ويناديها بسم غير
مفهوم وليس اسمها فأبعدت يده لتبعده عنها فركض لها
من الأمام وحضنها جالسا في حجرها ولازال يناديها بذات
الاسم فأحاطته بذراعيها تقبل خده وكأنها تعرفه وتحاول

سؤاله عن اسمه ومن يكون فجلس في حجرها مقابلا

البحر وكأنه ليس يحفظها فقط بل يحفظ كيف يجلس عندها

وحضنته هي بذراعيها مبتسمة تقبل خده كل حين وهو يحكي

لها أشياء غير مفهومة وكأنه يتحدث بلغة جديدة عن البشر لا

أفهم منها سوى ماما وبابا وبيت ونيئة والاسم الغريب الذي
يناديها به ، كان مشهدا غريبا جعلني أتأمله لوقت وهي وكأنها

نسيت وجودي فلم تلتفت ناحيتي ولا من باب الاستغراب لما

يحدث معها ، فاتكأت بذقتي على ذراعي الملتفة حول ركبتي

أشاهدهما بتأمل ، تبدوا سما كما قالت والدتي تحتاج من يعوضها

عن كل ما رأت تحتاج طفل لها وليس لغيرها وزوج يكون

أقرب لها من الجميع ، نعم تحتاج لعائلة تنسيها فقدما عائلتها

أبعدت نظري عنهما وابتسمت بسخرية على أفكارني ، قل أنك

أنت ذاك الزوج لتكتمل المسرحية يا أبله ، اقترب حينها

منا صوت مناديا " قصي تعالى هنا"

التفتنا كلينا على اقتراب سيدة تبدوا في منتصف الثلاثين

أو يزيد قليلا ، اقتربت منا وأمسكت يد الطفل وسحبته قائلة

" عذرا منك أنتي تشبهين كثيرا ابنتي المتوفاة منذ شهرين

وهوا كان متعلقا بها كثيرا فضنك هي"

قالت سما ناظرة لها " لا عليك سيدتي يرحمها

الله ويخلفكم فقدها خيرا"

شكرتها وغادرت به تجره بصعوبة وهوا يبكي وينادي

اسم شقيقته تلك التي يرضاها هي ، عادت حينها سما

بنظرها للأمام وقالت بحزن " مسكين يبدا فقد

الأحياء أمر صعب حتى على الأطفال"

ثم رفعت نظرها للبحر وقالت بعينان تكادان تدمعان

"لما وجد الموت وهوا مؤلم هكذا"

نظرت حيث تنظر وقلت بهدوء " لا يفعل الله أمرا عبثا يا

سما فلا تتركي للشيطان مدخلا فلو لم تمت الناس ما وجدنا

مكانا لنا على الأرض فأين سنعيش جميعنا"

فاجأتني حينها بضحكتها فنظرت لها باستغراب فنظرت

لي وقالت مبتسمة " لا يمكنني تخيل ذلك"

نظرت لها مبادلا إياها الابتسامة ومستغرابا تبدل مزاجها

بسرعة من كلماتي ثم وقفت واقتربت من الموج ترفع بنطالها

الجينز لما يقرب ركبتيها وبدأت تلعب بالموج بين يديها منحنية

قليلا لتمر الموجة عليهما واقتربت للداخل أكثر حتى غمر

الماء أغلب ساقها وجديلتها أصبحت تلامسه وهي

تلعب بيديها مع الأمواج فقلت بصوت مرتفع

"سما لا تبتعدي كثيرا"

قالت وهي لا تزال منحنية " لا تقلق أعرف السباحة"

لم تستطع عيناى تركها ليس لأراقبها مخافة أن يأخذها

الموج ولا أعلم لما تسبح عيناى في هذا المشهد وهي

تغمر يداها في الموج والماء ثم تخرجهما وتقف على

طولها يداها جانبا يتطاير منهم الماء مبتسمة لأنتبه لأغنية

(زيديني عشقا) التي تصدح منذ وقت ليرتبط عندي

الكلام بمنظرها (يااااا أحلى امرأة بين نساء الكون أحبيني

يااااا من أحبتك حتى احترق الحب أحبيني ... إن كنتي

تريدين السكناء أسكنتك في ضوء عيوني حبك

خارطتي ... حبك خارطتي ما عادت خارطة العالم تعينني"

فأبعدت عيناى عنها ونظرت للجانب الآخر ، ما بي

اليوم حتى منظر الأولاد يلعبون عاد يشدني بعدما

يئسّتهم ونسيت هذا من سنوات ولم يعد يؤثر بي

ما الذي سأقدمه لزوجتي أتزوجها وأولاد أنجبهم غير

خيبات الأمل والتقصير في دفع المال لشراء ما

يلزمهم ، ما سيقدمه فاشل وعاجز مثلي ؟ يبدو أنه

كلمات سما لي في المطبخ بالأمس هي من أعادت

لي تلك الأفكار والأحلام فلم أتخيل أن ينظر لي أحد

كشخص فعل له الكثير بل أهم لديه من رئيس البلاد

وجهازها الأمني وأنهم عجزوا هم ونجحت أنا بل

وتقول أي أعرف كيف أكون في المقام الأول لدى

الجميع من حولي وأنا أرى أنهم جميعا مستغنين عني

ولست سوا شخص زائد وجد هكذا لأن الموت لم يأخذه

بعد ، كيف ترينني يا سما أصلح شقيقك وزوجك وابنك

بل وشبهتني بوالدك ، عادت كلمات الأغنية لتحتل مخيلتي

مجددا (وضلي قربي غييلي فأنا من بدأ التكويني أبحت

عن وطن لجبيني عن حب امرأة يأخذني لحدوود

الشمس ويرميني) فأغضت عيناى بشدة ليخرجني من

أفكاري صوتها منادية " نزار نزار "

نظرت لها بسرعة فلوحت لي قائلة " تعال الماء "

هنا بارد ومنعش اقترب هيا "

لوحت لها ببدي فقط ولم أتحرك فنزلت تجمع الماء بكفيها

ونظرت أنا جهة والدتي التي كانت تنظر جهتنا مبتسمة

فشعرت بقطرات ماء على جانب وجهي فعدت بنظري

هناك فكانت سما هاربة جهة المياه ونظرت لي وعادت

تجمع الماء في كفيها فقلت مبتسما " توقفي يا مشاغبة "

لكنها ضحكت ولم تكثرث لي واقتربت تركض والماء

ينزل من بين أصابعها ورشتني بما تبقى منه فأخفيت

وجهي بذراعي وقلت ضاحكا " سما توقفي قلت لك "

لكنها عادت هناك ولم تكثرث لي فوقفت أنوي العودة

جهة والدتي فاستوقفني صوتها المنادي قائلة

" نزار لم أعرفك جبانا هكذا أين تهرب "

وتراني شجاعا أيضا إذا لن أغير نظرتها لي ، عدت

ناحيتها واقتربت منها بابتسامة مشاكسة كمن ينوي شرا

وهي تبتعد وترمي الماء ناحيتي ضاحكة فرفعت بنظروني

ودخلت وبدأنا نتقاذفه على بعضنا بأيدينا ونضحك وهي

تبتعد لأنني بالطبع سأتغلب عليها ثم توقفت وقلت

"ستتبلل ملابسك أكثر وتمرضي يكفي هيا"

لكنها استغللت الفرصة واستمرت ترميني بالماء بحركة

سريعة وتضحك فتوجهت ناحيتها مسرعا وأمسكتها من

يدها وخرجت بها مسرعا وهي تركض خلفي ضاحكان

حتى وصلنا عند والدتي وقالت سما " أرأيت يا خالتي

هزمته فأخرجني مرغمة"

ضحكت أمني وقالت " رأيتك وهو يكاد يوقعك وأنتي

تتراجعي فأني هزيمة هزمته بها"

ضحكت وقلت وأنا أنشف ساقاي من الماء

" لأول مرة تقفي في صفي ضدها"

وضعت سما يديها وسط جسدها متضايقة فرميت لها

بالمنشفة قائلا " نشفي قدميك وساقيك كي لا تمرضني"

جلست على البساط تنشف ساقها وقالت " كنت وشقيقي

سامي نتسابق دائما في المسبح ورغم صغر سنه كان

يسبقني وكان يحب السباحة كثيرا"

ثم تابعت ونظرها على ساقبيها والمنشفة فوقهما

"والدي كان يقول عنه دائما بأنه سيكون سباحا ماهرا

أما أنا فلم تكن لدي مواهب أبدا ولا اعرف لما"

نظرنا أنا وأمي لبعضنا فلأول مرة تتحدث سما عن

عائلتها وماضيها معهم ، كانت دائما تتجنب الحديث عنهم

ونحن لا نفتح أي موضوع يخصهم مراعاةً لها ، يبدووا

بدأت تجتاز أزمته شيئا فشيئا ، قالت والدي مبتسمة

"بلى لديك موهبة الطبخ فأنتي طبخة ماهرة"

طوت المنشفة وقالت وهي تنزل بنطالها ونظرها

عليه " عندما كنت في الثالثة عشرة أصررت على

والدي أن يدخلني معهدا لتعليم العزف حتى أني لم

احدد أي آلة سأعزف عليها"

ثم رفعت نظرنا لنا وقالت مبتسمة " كنت أتأمل

أن تكون لي موهبة مدفونة ولا أعلم عنها"

قلت مبتسما " وما اكتشفتِ هناك"

قالت بعبوس " لم أنجح في ولا واحدة واقتنعت

أنه لا موهبة لي"

ضحكنا عليها كلينا ثم قلت " وأنا لا موهبة لي

هذا أمر طبيعي جدا"

ضمت ساقها لبعضهم متربعة وقالت بحماس

"حقا لا موهبة لك"

ضحكت وقلت " نعم كان لدي طموح أن أصبح مهندسا

وعندي هواية وهي لعب كرة الطائرة أما موهبة

فلا يوجد ويبدو لا يوجد شيء منهم جميعهم"

نظرت لوالدي التي بادلتها النظرة ولا أفهم لما ثم

قالت سما " بل من يرى خرائطك التي ترسمها يكون

متأكدا أنك صاحب موهبة وليس طموحا فقط ورغم

ظروفك التي منعتك من إكمال مشوارك إلا أنك وبالذليل

لازلت ترسم الخرائط بحرفية وإتقان ، لو كنت مكانك

منقطعة عن الدراسة لأعوام لن أعرف كيف أخط خطأ

فوق ورقة وهذا يدل على أنك لم تتوقف عن الرسم

رغم توقف دراستك أليس كذلك"

بقيت أنظر لها باستغراب فأنا لم أفسر الأمر هكذا

يوما ثم قلت منتظرا جوابها " نعم لم أتوقف أبدا"

قالت مبتسمة " هذا يعني أنه ليس طموحا لكان مات

مع توقف مسببه فإما أنها موهبة وإما أنك إنسان

مناضل لا يعترف بالهزيمة"

قالت والدتي مباشرة " وأيهما في نظرك يا سما"

نظرت لوالدتي وقالت " أراها عزيمة وإصرار وقليلون

هم من ينجحون في فعل هذا فهناك من كانوا أطباء

ناجحين وتركوا مهنة الطب بما فيها بسبب خطأ طبي

لأنهم استسلموا لليأس وهم من أكملوا مشوار دراستهم

للنهاية وتركوا اليأس يتغلب عليهم"

كنت أنظر لها بحيرة لم يسبق وجلسنا وتحدثنا

عن أي أمر يخلصنا وأولها ما اكتشفت هذان اليومان

وهي نظرتها لي ! لم أفكر في أن عقلها يترجم هكذا

وكأنها محلل للشخصيات أو درست علم النفس

وقفت بعدها وقالت " ساعد معكرونة فأجمل شيء يؤكل

عند البحر هي المعكرونة باللحم وسترون كيف ستعجبكم"

قالت أمي ضاحكة " لما تتعبين نفسك كنتِ

تركنتنا نشترى أكلا جاهزا نأكله"

قالت متوجهة جهة الأغراض " مستحيل كيف

تكون نزهة مع أكل جاهز ، الطعام يكون أطيب

عندما يطهى في الهواء الطلق"

قالت أمي وأنا أراقب ما تفعل هناك

"تبدوا سما بدأت تتحرر من حزننا شيئا فشيئا"

عدت بنظري منها ونظرت لقدمي على الأرض

وقلت " نعم فسما فتاة قوية وذكية لن يصعب عليها

اجتياز كل ذلك لكن أخشى أن يؤثر عليها في

شيء نحن لا نعلمه أو لا نلاحظه"

قالت باستغراب " كيف ذلك" !!

نظرت للبعيد وقلت " بعض الذين يمرون بأزمات مشابهة

تظهر نتائجها في المستقبل في أمور لا تكون إلا وقتها"

قالت بعد صمت " تعني أنه عليها زيارة طبيب نفسي"

عدت بنظري لقدمي وقلت بهدوء " لولا خوفاي أن تتأثر

بهذا وتفهمه بشكل خاطئ لعرضت عليها الأمر"

تنهدت وقالت " معك حق فقد تعتقد أنك تراها مريضة"

نظرت لها وقلت " أفكر أن نعرضها على أحدهم دون

علمها وجابر سيساعدني في ذلك بالتأكيد"

قالت من فورها " لكني أراها طبيعية جدا"

هزرت رأسي بلا وقلت " لم تري كيف انسلخت عن

العالم حولها وهي تحضن ذاك الصغير هناك ، كانت وكأنها

غائبة عن الواقع حتى أنها لم تعي ما كان يقول لها"

قالت مبتسمة " شغلتنني يا أحمق"

نظرت لها باستغراب فقالت بعد ضحكة " ذاك أمر

طبيعي بني إنها مشاعر الأمومة شيء منغرس عند كل

امرأة ومنذ طفولتها ويخلقها الله عليه لترعى أبنائها ولولا

ذلك لكنا كالحوانات كل أم تذهب وتتركهم"

قلت بجدية " هل هذا رأيك"

قالت مبتسمة " نعم ومتأكدة منه وستبقى سما تعاني

الفراغ العاطفي داخلها فلن أستطيع ولا حتى أنا ملئه ، فقط

زوج وأبناء أو أم وأب وأخوة أو حتى أحدهم والمرأة

ليست كالرجل في هذا بني"

نظرت للأرض وقلت بشرود " وأنتي بعد وفاة

جدي وجدتي من ملئه لك"

تتهدت وقالت " لم يمتلى إلا بعد أن تزوجت وأنجبتك بني

وكنت تكفيني وحدك كل عمري حتى بعد وفاة والدك رحمه الله"

غادرت بنظري عنها للبحر ولذت بالصمت لوقت حتى

جاءت سما بطبق كبير ووضعته قائلة

"سأسكبها الآن ولن نأكل حتى تبرد قليلا"

ثم توجهت نحو القدر وأحضرتة تمسكه بمنشفة

مطبخ ووصلت وقالت " انزع الغطاء نزار"

ضاحكة " سيجتمع علينا كل من هنا بسبب هذه الرائحة"

رفعت الشوكة وقربتها قائلا " هذا إن وجدوا فيه شيئا"

ضربت لي شوكتي بالملعقة الخشبية وقالت " ليس بعد

حتى تبرد قليلا طعامها سيصبح أفضل"

مددتها مجددا وقلت مبتسما " لن أقاومها حتى

تبرد سأذوق لقمة واحدة فقط"

أمسكت يدي وأبعدتها قائلة باستياء

" خالتي أخبريه يبتعد عن طبختي "

ضحكت أمي وقالت " نزار أتركها حتى تسمح لك هيا "

قلت بضيق " لو أعرف سر حبك الشديد لما تطهيه لتضعي

كل هذه القوانين الصرامة ولا تقدري مشاعر البشر "

وضعت يداها وسطها وقالت " هل تعرف ما هوا شعورك

حين ترسم إحدى خرائطك الصعبة المعقدة تلك وآتي

أنا واسكب لك عليها الحبر ، هذا نفس شعوري أنا "

ضحكت وقلت " شعور سيء جدا "

قالت ملوحة بيدها " ابتعد إذا حتى تبردا "

قلت باستسلام " أمري لله لقد تغلبت علي "

*

*

كان هذا من أجمل أيامي شعرت فيه أنني مع عائلتي

الحقيقية التي فقدتها منذ أشهر وهما الاثنان أغنياني حتى

عن أهلي الحقيقيين المجهولين فأولئك تخلوا عني وعن

والداي وهؤلاء لا رغم أنهم ليسوا عائلتي ولا من بعيد

غمزت لي خالتي بعينها على نزار الذي كان يأكل المعكرونة

لآخر قطعة منها يتتبعها في الطبق وهو يقول " لذيدة

وأذ من التي تعدينها في المنزل رغم أن تلك مذاقها رائع"

ضحكت خالتي وقالت " اترك شيئا للماء يغسله"

ضحكت أنا وربما هوا الشوكة في الطبق وقال بضيق

"قولي أنك تغارين منها"

شهقت خالتي بقوة ونظرت له أنا بصدمة فضحك كثيرا

ثم وقف قائلا " هيا يا كسولتان لنعود للمنزل سيقرب المغيب"

قلت بصدمة " كيف ونحن لم نصلي العصر بعد"

قال متوجها جهة الأغراض " ما أن نضع الأغراض

في السيارة ونغسل الأواني نكون بعد العصر

ويقترب حينها وقت غياب الشمس"

وقفت وقلت باستياء " لا أريد أن نعود الآن"

ضحكت خالتي وقالت " عليك أن تطيعه كي

نحظى بنزهة أخرى"

قلت بتذمر " أمري لله فإن غضب خسرنا هذه وغيرها"

قالت ضاحكة " هذه انتهت لما ستخسرينها"

قلت وأنا أجمع البساط " ما الفائدة منها إن انتهت

بغضبه فستترك ذكرى سيئة لنا"

قالت مبتسمة " معك حق"

غادرنا بعدها بقليل وعدنا للمنزل وأنزل نزار خالتي ثم

الأغراض يضعهم عند الباب وأنا أدخلهم للداخل ثم قضيت

وقتا طويلا أرتب المطبخ وأعيد كل شيء مكانه بعدما غسلته

مجددا ودرست بعض دروسي بمساعدة نزار في غرفة

خالتي فهوا سيساعدني في مواد الرياضيات والفيزياء والباقي مواد سهلة تحتاج الحفظ فقط بما أن لغتي الانجليزية والفرنسية

ممتازة ، وحمدا لله لم يتبقى كثيرا على العام الدراسي وينتهي

رفع رأسه وقال " هكذا نكون انتهيا ، هل كل شيء واضح لك"

هزرت رأسي بنعم وقلت " شكرا لك نزار أنا أتعبك معي"

وقف وقال " أبدا فأنا اشرح للطالبات كل يوم ، أنتي على

الأقل تفهمين من أول مرة ويثمر فيك التعب"

ضحكت خالتي وقالت " احمد الله أنها ذكية لكنك

طوال النهار تعيد كالبيغاء"

ضحك كثيرا ثم قال مغادرا الغرفة

"لن استكثر فيها التكرار لأنها تستحق"

ثم خرج وصعد السلالم وأنا ذابت جميع مفاصلي وأشعر
أنني أصبحت كبقعة ماء على الأرض من مشاعر الفرحة
لدي وأوليت خالتي ظهري بسرعة اجمع كتبي في صمت
فوصلني صوتها قائلة " تبدين متعبة الليلة ولا رواية"

التفت لها محتضنة كتبي وقلت " بل كنت أخشى أنك

أنتي المتعبة ولم أرد أن أخرجك ، سأضع كتبي

في غرفتي وأعود لك"

خرجت بهم وصعدت بسرعة أحمد الله أنها لم تنتبه

لكلماته وتعلق عليها ، كم أتمنى فقط أن أعلم بمشاعره

نحوي هل أنا مجرد مسئولية كما كان يقول وأمانة سيعيدها

لأصحابها أم شيء آخر أنا أتمناه فقط وقد لا يكون له وجود

عبرت الممر راکضة وشاردة مع أفكارني لاصطدم

بشي أوقعني أرضا وتناثرت الكتب وقلت بتألم

"آي هذا مؤلم ، نزار ما بك لا ترى أمامك"

ضحك وقال وهو يجمعهم من الأرض " أنتي من لم

تريني وليس أنا ، ثم لست وحدك المتضررة وأنا

حطمت لي ضلوع صدري"

شعرت بالإحراج من كلماته ووقفت وأشعر بمؤخرتي

تحطمت ولا أستطيع لمسها وتخفيف الألم عنها والغريب

أنه حمل الكتب ولم يساعدني أنا على الوقوف كعادته

كلما وقعت بل شغل نفسه بها عني حتى وقفت وحدي

أولا ثم رفعها عن الأرض مع بعضها ، مدهم لي

فمددت يداي له ووضعهم فيهم قائلا بابتسامة

"حسنا أنا آسف رغم أن الخطأ عليك"

قلت بعد ضحكة صغيرة " لقد أفسدت الاعتذار

كنت تركتهما كلاهما بدلا من تذكيري بخطئي"

اكتفى بابتسامة أراها أجمل في كل مرة ورفع كفيه

وكتفيه علامة لم أعرف ما أقول فزادني على ما بي

آه يا نزار ليتك تعلم فقط ما تفعله في قلبي بكل هذا

تركني وتوجه جهة السلالم مغادرا فالتفت له

وقلت " نزار"

التفت لي فاقتربت منه حتى صرت أمامه حاضنة

كتبي لصدري وقلت ونظري للأرض " شكرا على كل

شيء اليوم لن أنسى هذا اليوم ما حييت ولو كان لدي

شيء غير عبارات الشكر لقدمته لك"

وصلني صوته مبتسما " ولما الشكر يا سما لم أفعل شيئا يستحق"

رفعت نظري له وقلت " بلى فعلت الكثير وتستحق الشكر"

شئت نظره بعيدا وكأنه ارتبك وقال بهدوء

"المهم أنها أعجبتك فهي من أجلك"

ثم نزل وتركني حائرة في أمره الليلة وكأنه يتهرب

مني ومن عيناى والحديث معي وليس كالسابق

رفعت كتفاي بعدم فهم وتوجهت لغرفتي ووضعت كتبي

هناك ورتبتها مكانها ثم نزلت لغرفة خالتي ودخلت

قائلة " يبدوا نزار نزل ولن نستطيع القراءة"

مدتها لي قائلة " رأيته وهو يصعد مجددا اطمئني"

أخذتها منها وجلست وفتحت أين وقفنا وقرأت

((ضغظ على ذراعي بقبضته بقوة وقال من بين

أسنانه " ماذا كنتي تفعلين في غرفة أشرف"

سحبت ذراعي منه بقوة وبلا فائدة وقلت بتألم

"أتركني لقد أمتني"

قربني منه أكثر حتى بات تنفسه الغاضب يلفح وجهي ثم

قال بغضب " ماذا تفعلين في غرفة رجل نائم يا رُدين"

أبعدته بيدي من صدره بقوة حتى ابتعد وترك ذراعي

وقلت بحدة " ما تقصد بهذا يا وقح أنا أنزه من

أفكارك وهو ابن زوجي إن نسيت"

سحبني للجدار مسندا لي عليه ووقف أمامي ويده

تمسك ذراعي بقوة وقرب وجهه حتى أصبح أنفه

سيلامس أنفي وفحيح نفسه يخرج كالإعصار وقال

"تكلمي هوا من ناداك أم ذهبت لوجدك"

بقيت انظر لعينيه الملتصقة بي دون كلام فقال بهمس

"تكلمي هل هوا قال لك أن تدخلها"

قلت بهدوء وعيناي لازالت في عينيه

"أنا دخلت لأسأله عن"

قال بجدية وذات الهمس " عن ماذا"

وضعت يدي على صدره أدفعه وقلت بضيق

"فراس ابتعد"

اقترب دافعا يدي بصدرة حتى تلامست أنوفنا هذه المرة

وقال " لا أراك في غرفة أحدهما مرة أخرى تفهمي"

قلت بضيق " ابتعد يا فراس واستحي أنت أولا

ولا تنسى هم أبناء زوجي وأنا لم أخطأ"

قال بحدة " كذا"

ثم تأفف وهز رأسه بقوة وقال بحدة أكبر

"قلت لا تدخلني تفهمين"

دفعته بقوة حتى ابتعد وقلت بغضب

" هذه آخر مرة تتصرف معي هكذا يا وقح ابتعد"

قال مغادرا " حذرتك وجربي أن تفعليها مجددا ولا

تنسي أنني أيضا ابن زوجك يا أم زوج"

ثم غادر وتركني اغلي من الغيظ ، ما يعني بما يقول

وكيف يشك بي وبشقيقه هكذا ، هذا المريض المتخلف

سيرى إن لم أخبر والده ليضع له حدا ، دخلت غرفتي

أنفض ثيابي بغيض وأشعر أنني سأحترق واحرق الدنيا

بما فيها ، ما قصد أشرف بما قال ! ترى هل هوا صادق

هذه المرة وفراس وجدته معها سابقا ونصحه بالعدل عما
يفعل ، أذكر عمتي سعاد قالت أن فراس اعتاد منذ صغره
على مراقبة تصرفات شقيقه وبنهاهم عن الخطأ لكن يبقى
أشرف لا ثقة في كلامه وفراس لا ثقة فيه كله على بعضه

أختار أشرف بشلة فتياته ولا أتزوج بهذا الخرف العفن

جلست على السرير أتأفف طوال الوقت وكأني بركان

يوشك على الانفجار حتى طرق أحدهم الباب وكانت

عمتي سعاد دخلت ويتبعها الغضنفر فراس ، اقتربت

مني وجلست بجواري على السرير وهو وقف مستندا

بالجدار فقلت ببرود ونظري للأرض " أخبرني ابنك

يخرج من غرفتي بكرامته قبل أن أطرده"

تنهدت وقالت " رُدين يا ابنتي استهدي بالله فعمك

رياض منذ رآك تبكي بالأمس وهو لا يكلمه

أنهيا هذه المشكلة المعقدة"

أشرت له بيدي وأنا انظر لها وقلت " يخرج من

غرفتي حالا فحسب ما أعتقد أنني أنا فقط عديمة

الأخلاق التي تدخل غرف الرجال وهم نيام"

وطبعا ذاك الحجر لم ينطق بأي حرف ، قالت بهدوء

"لما كنتي في غرفة أشرف أخبريه الحقيقة ليرتاح"

قلت بضيق " لا يهمني أن يرتاح أو لا فليمت من التعب

لا يعنيني ذلك ولن أبرر له لا هوا أبي لا أخي ولا زوجي"

أمسكت يدي وقالت " وإن طلبت منك أنا هذا

لتنهي المشاكل يا رُدين"

قلت بأسى ضاربة على صدري " وحقي يا عمتي

وحقي من يأخذه لي ، ذلني وأهانني بالأمس واتهمني

في أخلاقي اليوم وعلياً أنا فقط أن أبرر له"

تنهدت وقالت " تكلمي وحقق لن يضيع"

وقفت مقابلة لها ووضعت يداي وسط جسدي وقلت

"ومن سيأخذه منه وماذا إن خدعني ثم بأي صفة أبرر له"

قالت بعتب " لم أتصور أن لا خاطر لي عندك"

تنهدت بضيق ثم قلت " أشرف كذب علي وخدعني

من أجل أن أساعده في مخططاته الفاشلة وحين اكتشفت

كذبه ذهبت له وأيقظته وسألته عن الحقيقة فقط هذا ما حدث"

قال حينها الحجر الصامت " وهذه أول مرة أم لا "

نظرت له وأشرت بإصبعي وقلت بغضب

" أنت لا تتحدث أبقي على صمتك "

قال بغضب " احترميني أنا أكبر منك "

قالت عمتي سعاد بحدة " فراس يكفي وأنتي

يا رُدين كلامك معي وليس معه "

نظرت جهتها وقلت " لا علاقة لي يورطوني

أبنائك في مصائبهم وأدفع أنا الثمن "

ثم تابعت وأنا أعد بأصابعي " أخذني للسوق وابتزني

وجعلني أقابل جوجو وأخبرها أنني شقيقته وأنه سيتزوجها

ثم تحايل علي وجعلني أكلم أسوم وأخبرها أنني شقيقته

ووالدي يرفض زواجه بها ونحن نقتعه ثم اكتشفت أنه

يكذب فيما ابتزني لأطيع رغباته ومخططاته كنت مجبرة

وكم نصحته أن يبتعد عن بنات الخلق وأن يعتبرهن

شقيقاته أو بناته وفي النهاية أنا عديمة الشرف التي

دخلت له لغرفته وهو نائم وكان ينقص أن يقول أنني

نمت معه منذ الليل ، أليس هذا ما يفكر فيه "

قالت عمتي سعاد " أستغفر الله يا ابنتي هوا

لم يفكر هكذا مطلقا"

قلت بأسى " وبما فكر إذا"

نظرت له ثم لي وقالت " هوا رآك خارجة مسرعة

من غرفة أشرف وظن أن أشرف من أدخلك وأجبرك

على الدخول وأن يكون فعل شيئا فقط هذا ما حدث"

قلت ببرود " لا أصدقه فما قاله لي ليس كذلك يزمجر

بي كالتنين يضنني جدار لا يشعر ثم يغير أقواله"

ابتعد عن الجدر وقال " أنا لم أغير شيئا وما قلته لك

قلت له ولست خائفا من أحد لأغير كلامي"

قلت ببرود " ما لدي قلته واسألوا ابنكم إن لديكم شك

هذا إن لم يكذب عليكم كما كذب علي"

قالت عمتي " المهم الآن لا يسمع رياض بكل هذا"

قلت بجدية " أبدا كله سيكون لديه وكلام ابنه هذا

بالتحديد وبالحرف الواحد أيضا"

قال بضيق " رأيت كيف تهددني يا أمي"

نظرت ناحيته وقلت بضيق أكبر " سأسألك سوألا واحدا

يا حضرة المحقق ، عندما أخبرت شقيقك أن يخرجنا

ويتركنا وحدنا وأغلقت الباب واستفردت بي وعندما

سحبتني للمجلس وأغلقت الباب علينا وعندما جئتني

هنا لغرفتي ماذا تسمى كل هذا أم أنه لا بأس لأنني

لست أنا التي ذهبت إليك"

كان سيقول شيئا فسبقته والدته قائلة

"أخرج الآن يا فراس"

كان سيتحدث معترضاً فقالت بجديّة

"أخرج ولنا حديث آخر معاً"

خرج وضرب الباب خلفه فقلت بحرقة

"هل هذا هو حقي الذي ستأخذينه منه"

تنهدت وقالت " أجلسي يا رُدين"

جلست أنظر للجانب الآخر وأشعر بكل مشاعر الغضب

والاستياء فوصلني صوتها قائلة بهدوء " رُدين فراس كان

خائفا عليك حقاً وخاف من أن يكون أشرف أذاك ، ليس

معنى أن يعتقدوا أنك زوجة والدهم يعني أنهم ليسوا رجالاً

والشيطان يعرف كيف يدخل للإنسان فكم من فتيات تعرضن

لمواقف بشعة من العم أو الخال وحتى الشقيق أو الأب

وفراس معه حق في هذا"

قلت بأسى " ولما هوا يستفرد بي أليس رجلا مثل

الجميع ثم كيف يضمن بشقيقه هكذا ، صحيح أن أشرف

يصادق الفتيات لكنه ليس بالشكل الذي يعتقد فراس

هوا لا يستغلهن أبدا ولا يمسس شرفهن ولم يبدر منه

ناحيتي أي تصرف مشين ولا بكلمة أو لمسة بالعكس

كانت هذه الأمور أبعد ما يفكر فيه وإلا ما كنت دخلت

غرفته ثم أنا تركت الباب مفتوح ولم أغلقه"

أمسكت بيدي وقالت بجدية " رُدين عمك رياض لا يستحمل

فيك شيئا ولم تسمعي سيل الشتائم التي تلقاها فراس منه

بسبب بكائك بالأمس رغم أننا وجدناكما مبلان كليكما

والإهانة له كرجل كانت ستكون أكبر ولو لم أكن متأكدة

من أن فراس كان خائفا عليك بالفعل من لهجته وكلماته

ما كنت وقفت في صفه ففراس اعتاد كل حياته تحمل

مسئولية من حوله ويخاف على جميع المحيطين به"

قلت بحرقة " لا أريد أن يخاف علي لا شأن له بي"

وقفت وقالت " أنا متأكدة منك ومن تربيتك جيدا يا

رُدين ويستحيل أن تكوني السبب في فجوة بين رياض

وابنه قد تستمر طوال العمر لأنني أعرف كم سيجن

جنونه لو أخبرته أن فراس اتهمك في أخلاقك

وفراس حقا لم يفكر هذا التفكير"

ثم غادرت الغرفة وأغلقت الباب وتركتني وحدي

ولم أغارها حتى جاءت الخادمة تخبرني أن الغداء

جاهز ولو لم يكن عمي رياض موجودا على الغداء

ما نزلت لأنني لا أريد أن يسأل لما لم أتناوله معهم

نزلت وتوجهت من فوري لطاولة الطعام وجلست

بجوار والدتهم مقابلة لهم ثلاثتهم أتجنب النظر للجميع

وبدأت بالأكل لا أنظر إلا للطبق أمامي وكانوا يتحدثون

عن عمهم القادم اليوم وابنته وأنا لم انطق بحرف ، بعد

وقت رفعت نظري فوق على فراس ينظر لي فأبعدته

فورا ونظرت جانبا بضيق ووقف حينها عمي رياض

وتبعته زوجته ووقف بعدهم أشرف وقال واضعا

يديه وسط جسده " رُدِين تَعَالِي أَرِيدُكَ قَلِيلًا"

قلت ببرود وأنا أسكب مشروبا غازيا لي في كأس

"لن أذهب مع أحد ولن يخاطب لساني لسان أحد

وأي إهانة لي مجددا لن أسكت عنها ، لو لديك

شيء قلّه هنا وأبعدي عن خطئك ومغامراتك"

قال من بين أسنانه " قلت تأتي يعني تأتي"

قال فراس بحدة " أشرف أترك الفتاة وشأنها

كلامك معي وليس معها"

نظر له أشرف وقال بحدة مماثلة " لا علاقة لك أنت"

وقفت وقلت بضيق مشيرة بإصبعي لهما بالواحد

"لا علاقة لك ولا له ولم اسكت عما حدث إلا من

أجل عمّتي سعاد ولن أسكت مجددا"

قال وائل بسخرية " ها قد جاءكم كلامي ولم تروا

شيئا بعد حتى تفرق العائلة عن بعضها"

أشرت له بإصبعي وقلت بغضب " أصمت ولا تتهمني

بما فيكم من قبل مجيئي فأنا لن أكافئ الرجل الذي رباني

ورعاني أن أشتت عائلته فانظر لأنفسكم أنتم

ما عيوبكم ولا تلصق الأمر بي"

وقف وقال بحدة " ومن كانت تهدد الآن وتتوعد بأنها

لن تسكت ، بماذا يسمى هذا غير أنك تفتنين"

قلت بحرقة " وما تضنني أنا حجر أسمع الإهانات

والسب والشتم واسكت ، احترموني احترمكم"

فتح فمه فصرخ به فراس قائلا " يكفي اتركوا الفتاة وشأنها

وإن تعدت هي على أحدهم يكون الحل بالتروي ولا

أحد يدخلها في شيء يخصه بعد اليوم"

قال أشرف بضيق " تسد"

صرخ به أكثر " أنت خصوصا لا تتحدث فكم نصحتك

تترك عنك هذه الحركات الطائشة ولن تتربي إلا

بدرس تدفع ثمنه الكثير"

قال بغضب مغادرا " أترك مثالياتك لك وحدك

ولا تتدخل في حياتي"

وغادر وائل بعده بعدما قال ببرود " لقد أثبتت لكم هذه

الطفلة أنكم شلة من الحمقى يا أبناء رياض"

وابتعد حتى خرج فوقفت أنا مغادرة وقلتموجهة كلام

ي لمن بقي هنا وهو فراس

"لا تتحدث بالنيابة عني ثانيًا ولا دخل لك بي"

ثم غادرت والمعجزة أنه لم يتحدث بشيء عما قلت

عدت لغرفتي وضربت بابها بقوة ، أنا أفتن بينهم .. أنا

الأفعى وعديمة الأخلاق ولا يرون ما يفعلون بي

عدت لسجن نفسي في غرفتي ولم أنزل إلا حين طلبت

مني عمتي سعاد أن أقابل ابنة عمهم وأتعرّف عليها

فوافقت لأنهما وحدهما الآن في الأسفل ، نزلت أتبعها

حتى وصلنا وكانت تجلس في صالون الضيافة وسط

المنزل وليس غرفة الضيوف ، كانت فتاة بلامح

جذابة ذات قدر لا بأس به من الجمال وابتسامة

رقيقة وتبدوا تتسم بالهدوء ، تصافحنا وقالت مبتسمة

"سررت بالتعرف عليك يا رُدين لم أتخيلك جميلة هكذا"

جلست وقلت مبتسمة " ومن هذا الذي أخبرك أنني قبيحة"

ضحكنا ثلاثتنا ثم قلت " وأنا سررت بمعرفتك

وأنتي جميلة كما تخيلتك"

قالت عمتي سعاد " طبعا هذه جوري ابنة عمك مصطفى

شقيق عمك رياض هوا لديه ثلاث أبناء وفتاة واحدة

يعيشون في الخارج ويأتي هوا وجوري مرة في

العام يبقى هنا لفترة ويرجع هناك ، لديهم منزلهم

هنا لكنهما سيقضيان يومين معنا أما رُدين

فسبق وعرفتك بها قبل أن تنزل"

قلت مبتسمة " سررت بمعرفتك وسنقضي

وقتا ممتعا معا"

قالت مبتسمة " نعم بالتأكيد"

تبادلنا أطراف الحديث وتعارفنا أكثر واكتشفت أنها في

نفس سني وترغب في دراسة المحاماة مثلي وأمضينا

ثلاثتنا وقتا ممتعا أنساني بعض الشيء كل ذلك الضيق

والهم ، بعد وقت مر فراس داخلا من الخارج واقترب ناحيتنا

وصافح ابنة عمه قائلا " مرحبا يا جوري أنورت البلاد"

وأنا طبعا لم أرفع نظري له أبدا وكنت ألعب بأصابعي بخيوط

وسادة الأريكة ونظري عليهم وأجابت جوري قائلة

"شكرا لك يا فراس والبلاد نورها بساكنيها"

ثم قال مغادرا " أتمنى أن تقضي وقتنا ممتعا هنا

فردين مشاكسة وتعرف كيف تستمتع بوقتها"

نظرت له بصدمة وهو يصعد السلالم ، ما به هذا

منذ متى كل خفة الدم هذه ! تأففت ونظرت جهة

والدته فضحكت وقالت " أمازلتما متشاجران"

قلت بضيق " نعم وما وعدتني به لم يحدث

وقد خدعتاني أيضا"

قالت جوري مبتسمة " أمازال فراس كما كان

يتشاجر مع الفتيات ولا يحبهن"

ضحكت والدته وقالت " ووجد نموذجا أمامه لكني

أراه بدأ يخف كثيرا عن السابق"

قالت بعد ضحكة " أذكر كيف كانت والدتي تركض

خلفه لتحضنه وتسلم عليه وهو يهرب منها"

قلت مغيرة مجرى الحديث الممل عنه

"وأين والدتك لم تأتي معك"

قالت مبتسمة " والدتي ليست عربية وتلك

هي بلادها ولا تحب الخروج منها"

وعدنا ننتقل من حديث لآخر حتى غادرت عمتي سعاد

للمطبخ وبقينا نحن الاثنتين وقد انسجمت معها كثير

فهي فتاة تدخل القلب بسرعة ، بعد وقت أشارت برأسها

بحسنا لأحدهم خلفي واعتري ملامحها ارتباك وخجل

واضحين فالتفت للخلف فكان وائل مغادرا ، جميل يبدو

ثمة شيء بينهما ولو لم أكن قررت أن أبتعد عنهم

وأجنبهم لكنت انتقمتم منه على ما قال لي هذا الحشرة

المغرورة ، عدت بنظري لها وقلت بابتسامة

"ما قصتكما"

ارتبكت ونظرت للأرض مبتسمة بخجل فقلت بمكر

"اعترفي أو أفسدت كل شيء"

قالت بصوت منخفض " سيخبر والده ووالدي من أجل

خطبتي لأن والدي لن يوافق أن يزوجني قبل أن تنتهي

دراستي الجامعية وهو سيكمل دراسته أيضا وكل ما

نخشاه أن لا يوافق والدي لأنه لا يحب الحديث في الأمر

وعمي رياض أيضا يؤجل الأمر ولم يوافق عليه"

آه جيد يبدووا أنه هناك روميو جديد ، أنقذك حضك مني

يا وائل لكنت دفعتك ثمن كلامك وسأحاول أن لا أتدخل

كانت ستقول شيئا لكن قاطعنا قدوم عمتي سعاد فقلت

بهمس قبل أن تصل " لا تقلقي لن يعلم أحد بما أخبرتني"

واستمر الوقت في السمر والأحاديث حتى وقت العشاء

وكان الجميع مجتمعاً على طاولة العشاء والأحاديث كانت

ساخنة والضحك وأنا ألوذ بالصمت أكثر من جوري التي

تتحدث أحيانا حتى قال عمهم " رُدين ما رأيك بعريس

تعيشين معه خارج البلاد"

نظرت له باستغراب فضحك وقال " ابني الأوسط

يريد أن يتزوج من بنات بلاده ولا يريد أن ينزل

هنا ليختارها وكلفني بالمهمة"

نظرت مباشرة لثلاثتهم فنظرا وائل وأشرف لبعضهما

وعمز وائل بعينه وابتسما وكأنه يقول له سنتخلص منها

أما فراس فكان نظره على والده وبتركيز وكأنه ينتظر

أن يبدي رأيه فيما قيل ، سترى مني يا وائل يا مغرور
قلت بابتسامة جانبية " بل لما لا تزوج ابنتك وها هم أبناء

عمها كل واحد أطول من الثاني"

نظروا لي جميعهم فتابعت بابتسامة مكرة

"أرى أشرف أنسبهم جميعا"

وكما توقعت ضحك من فوره وقال " جاهز على الفور"

ليمتقع وجه وائل وكأن سهما أصاب قلبه فنظرت له هوا

تحديدا وقلت ببرود " إلا إن كنت ترفض أبناء شقيقك"

قال عمهم بعد قليل " لا بالطبع لن نجد أفضل منهم"

كاد يغمى على وائل وهنا وكزنتي جوري ، أقسم من

أجلها فقط لكنت علمته درسا لن ينساه باقي حياته هذا

المتعجرف لكن لا بأس تكفيه هذه الطعنة ، قلت بابتسامة

"لكن أشرف لديه واحدة يريد لها زوجة له فوائل مناسب

أكثر وناجح في دراسته وسيسافر ليكملها بالتأكيد ، أنا

خطبت منك ابنتك لشقيقي وائل ، هيا لما لا تعطي جوابك"

تحول وجه وائل للحماس ينظر له باهتمام وقال عمهم

"وهل هناك من يخطب لأحد وهو موجود ودون رأيه"

قلت بعد ضحكة " لو كان رافضا لتكلم ، لما يتركون هذه

الماسة حتى تضيع منهم ويتزوجها أبناء الغرب ، أنت فقط

وافق وكل الأمور ستسير على ما يرام"

نظر لشقيقه وضحكا معا وقال عمهم " ما هذه التي

ربيتها يا رياض تخطب لابنك أيضا وأنت جالس"

قال مبتسما " وما سأفعل إن كان لا لسان لدى غيرها

لو كان لأحد اعتراض فليقله"

عمي رياض يفهمني جيدا ويعلم أنني لن أقول هذا إلا

لأنني أبعدته من قائمة مخطط اختيارنا فهو لم يعارض

خطبتها له إلا من أجل مخططنا ، لكنه لم يخبرني سابقا

أنه يريد خطبة ابنة عمه آه يا عمي رياض هل رغبتني

أهم عندك حتى من رغباتهم كم أنت رجل رائع

قلت بحماس " وائل هل أنت موافق"

قال مبتهجا " بالتأكيد وكنت أنتظر أن يفتح والدي

عمي مصطفى في الموضوع وسأنتظرها حتى

تنتهي دراستها وانهي دراستي"

وقفت وقلت " وجوري موافقة ماذا قلت يا عمي"

ضحك وقال " وما سأقول معك يا مشاغبة لكن

ابني ينتظر عروسه فوافقي أنتي أيضا"

قال عمي رياض " سنضيفه للائحة وأرى

من المناسب لأزوجها به"

ضحك وقال " ولديها لائحة من الخاطبين أيضا

حسننا ننتظر الجواب"

شدت جوري من يدها وقلت " هيا يكفيك

أكل سنصعد لغرفتي"

وقفت معي ضاحكة على ضحك الجميع ومررت بوائل

وهمست له في أذنه ممررة رأسي بينه وبين فراس

" أقسم أنها من أجل جوري وليس من أجلك أما الأولى

فدرس لك كي لا تتهمني ثانيا ومبارك يا عريس"

وما أن أبعد رأسي حتى قال فراس بصوت منخفض

" ابنه صاحب سمعة سيئة هناك"

ابعد رأسي قائلة بصوت منخفض أيضا " إذا سأوافق"

و غادرت وجوري وصعدنا لغرفتي وأغلقت الباب

فحضنتني وقالت " شكرا لك يا رُدين لقد خدمتني

خدمة لن أنساها ما حبيت"

قلت مبتسمة " أقسم فعلتها من أجلك لأنك تستحقين"

ثم ابتعدت عنها وقلت بقرف " لكنه مغرور ومتعجرف

كيف ستستحملين الحياة معه"

ضحكت وقالت " أحبه كيف سأفعل مع قلبي"

ثم تابعت وهي تجلس على السرير " لكنك كدت توقعين

لي قلبي حين قلت أشرف وهوا وافق"

ضحكت وقلت " تلك مزحة فقط مع وائل"

وقضينا باقي الوقت حتى كان موعد النوم وغادرت

هي لغرفتها واتفقنا أننا صباحا سنجلس في الحديقة

واكتشفت أنها تحب الاستيقاظ منذ الفجر مثلي ، كان

يفترض أن تزوجتها أنا وليس هوا ههههه ، وعند

الصباح نزلت ووجدتها سبقتني في المطبخ وخرجنا معا

وأحضرت لنا الخادمة الفطور في الخارج بعدما وضعنا

بساطا لنتناوله على الأرض وانضمت لنا عمتي سعاد أيضا

ومر بنا وائل ذاهب لجامعته وقال مبتسما " صباح الخير"

ثم اقترب وقال " رُدين لن أنساها لك ما حييت"

قلت بابتسامة جانبية " الأولى أم الثانية"

قال مغادرا بضحكة " الثانية طبعاً"

رغم أنك لا تستحق لكن لا بأس لما أكثر أعدائي سأربحه

في صفي ، قالت عمتي سعاد " لو لم تفعل ذلك

ما حدث هذا ، لقد فاجأت الجميع"

نظرت لها وقلت " ليقتنعوا أنه أحيانا يكون

رُب ضارة نافعة"

وضحكنا معا لأنها تفهم مقصدي وهوا كرههم لوجودي

هنا وما جلب من منافع ، مر حيناً أشرف وقال مبتسما

" صباح الخير يا أفعى"

أشرف قلبه أبيض ولا يحقد أبدا وينسى بسرعة

قلت قبل أن يختفي " وما أيقظك باكرا على

غير العادة يا ثعبان"

توقف ورفع حجرا ليرميني به فاخترت خلف والدته

أضحك فقال ضاحكا " ستري حسابك مني يا أفعى يا رقطاع"

ثم غادر وقالت جورى مبتسمة " يبدوا منسجمين معك

كثيرا ألا يفكرون في الزواج منك"

قلت بمكر " لم تتركي لي وائل لأتزوجه"

ضحكت محرجة ولم تعلق فضحكت عمتي سعاد وقالت

" أشرف كما تريه أمامك وفراس هي وهوا كالكقط والفأر

لا يتقابلان دون أن يتشاجرا ووائل حجزته فلم يتبقى لها أحد"

وأضينا الوقت كالأمس ومر النهار من أجمل ما يكون

فقد خرجنا ثلاثتنا برفقة عمي رياض وشقيقه ولم نرجع

حتى المساء من دون واحد من أولاده ثقلاء الدم ثم غادر

عمهم وابنته لمنزلهم وودعتها وطلبت منها أن نتقابل

ثانيتها فهي كانت فتاة من أروع ما قابلت وبعد خروجهم

وقف عمي رياض وقال " رُدين أريدك في أمر اسبقيني

لغرفتي سأحدث وعمتك قليلا وألحق بك"

صعدت لغرفته وكل الظنون تلعب بي ودخلت وجلست

على الأريكة وكل مخاوفي أن يوبخني على موقف وائل

وجوري لكنه لم يتغير تصرفه معي بعدها والأمر كان

منذ ليلة أمس ، بعد وقت دخل وحده وأغلق الباب
وجلس على السرير مقابلا لي وقال " خطبك أحدهم
رأتك والدته في حفل الزواج وأخرى تحدثت مع عمك
سعاد رأتك هنا ، ومصطفى شقيقي فتح معي

موضوع ابنه مجددا"

قلت من فوري " ما تريده سأنفذه"

قال بجدية " كل ما أريده"

هزرت رأسي بنعم وقلت " لن أتني رأيك وأرفضه

ولو كان فيه موتي"

قال بهدوء " أريدك حقا لأحد أبنائي"

ثم تابع قبل أن يعطيني فرصة للكلام وقال

"أريدك لفراس والاختيار لك يا رُدين"

كاد قلبي يتوقف ، لما فراس أشرف بنسائه أرحم منه

فقد يعتدل حاله ، ذاك الفراس لا ... حتى أنه لم يعتذر

عن أخطائه في حقي ، قال " ها ما رأيك وما ستقولينه

سيكون ومهما كان)) "

نظرت لها وقلت مستاءة " لما دائما تنتهي

الصفحة نهاية ناقصة وسيئة"

ضحكت وقالت " وهذا الممتع فيها أليس كذلك"

قلت مبتسمة " نعم تترك تفكرين فيما سيجري"

وقفت ومددتها لها فأمسكتها وقالت " شكرا لك

يا سما على ما فعلته اليوم من أجل نزار"

قلت باستغراب " ماذا فعلت" !!

قالت مبتسمة " يكفي الكلام الذي سيحيي نزار الميت

داخله فحتى ابتسامته اليوم تغيرت و ضحكته ونظراته

لمن حوله ، كنت متأكدة أنه سيعود يوما كما كان

ولو بالتدريج وسيكون ذلك على يديك"

نظرت للأسفل وقلت بحيرة " أنا أريد ذلك حقا لكن

لا أعلم كيف وتأتي الأمور هكذا بعشوائية وأقولها

ولا أعلم هل تصلح الأمر أم تفسده"

قالت مبتسمة " أتركي كل شيء هكذا بعفوية فلا

شيء ينجح مثلها فالخطط دائما تبوء بالفشل والدليل

أمامك في دعاء ورهام"

توجهت جهة الإنارة ونظرت جهتها وقلت مبتسمة

"علينا أن ننام كي لا نستيقظ متأخرتان ويناديننا بالكسولتين"

قالت ضاحكة " نحن كسولتان لديه في كل الأحوال"

قلت مبتسمة بعدما أطفأته " تصبحين على خير"

ثم صعدت لغرفتي وأشعر كل يوم بمشاعري نحوه تكبر

وتتعاضم ، ترى عند أي نقطة يتوقف الحب وإلى أي حد

يصل ! ستكون كارثة إن كان لا حد له فأنا الآن أشعر

أنه بحجم الكون ، لا أعرف كيف سأعيش من دونه

كيف سيكون يومي وهو ليس فيه ! كيف يكون هوا في

مكان وأنا في آخر ولا أسمع صوته يوميا ... ضحكته

وجهه ابتسامته وحدته وهو ينصحنى وينهاني في كل

شيء ، حتى ثيابه التي أغسلها وأكويها لا يمكنني

التفكير في أن تبتعد عني ويكون يومي من دونها

وصلت غرفتي ودخلت وكل هذه الأفكار تولد لدي

رغبة في البكاء لأنني أعلم أن كل ما أخشاه سيحدث

وكل هذا سيضيع مني يوما قد يكون قريبا جدا فبقدر

ما أريد أن يمسكوا بالمجرمين الذين قتلوا أهلي بقدر

ما أكره أنها ستكون بداية لابتعادي عن هنا

أغلت باب الغرفة وركضت جهة سريري وارتيمت

عليه وحققت لعيناي وقلبي غرضهما واستسلمت للدموع

حتى نمت ، وعند الصباح وكما توقعت استيقظت متأخرة

عن وقت ذهاب نزار ولم أعد له ولخالتي الإفطار فنزلت

مباشرة ودخلت غرفتها أفرك عيني وقلت " خالتي لما

لم يوقظني لما تركتموني أنام كل هذا الوقت"

ضحكت وقالت " لم يرضى وركب دماغه أن تنامي

حتى تنهضي لوحدهك رغم أنني أخبرته أنك لا تريدين

هذا كي تنامي ليلا دون تعب"

حككت شعري وتأففت منه فقالت بعد ضحكة " اذهبي

وأغسلي وجهك وتعالى قبل أن تغيري ملابس النوم"

نظرت لها بحيرة وقلت " ولما" !!

قالت مبتسمة " ستعرفين في وقته هيا بسرعة"

خرجت من عندها ودخلت الحمام السفلي وغسلت وجهي

وعدت لها وقلت وأنا ادخل " هل تناولت فطورك"

قالت مبتسمة " نعم تعالي أخرجي المقص من

ذاك الدرج هناك وأحضريه لي"

توجهت حيث قالت وأحضرتة لها فأخذته مني وفتحت

درج الطاولة التي بجانب سريرها وأخرجت مشطها

وقالت " أحضري ذاك اللحاف هناك"

قلت وأنا أحضره " هل ستقصين شعرك"

قالت ضاحكة " أنا لا ... غيري نعم"

أعطيته لها وقلت بصدمة " لا أنا لا أريد أن أقص شعري"

قالت مبتسمة وهي تفرد اللحاف " لن أقصه لا تخافي تعالي

سأقص لك غرة فقط وستعجبك وتزيدك جمالا فوق جمالك

بدلا من إمسائك هذا الشعر الحريري الجميل للخلف دائما"

جلست مقابلة لها وقلت " حقا ستجعلني أجمل"

قالت وهي تنزل لي رأسي أماما " بالتأكيد وستري بعينك"

مشطت لي شعري للخلف من الأعلى بعدما أخذت منه

جزنا للأمام ومشطته وحده ثم رفعته للأعلى وقصته

لينزل متدرجا على جبيني وأطراف وجهي وفرقتها

ومشطتها وقالت مبتسمة " أنظري في المرآة الآن

وستحبين شكلك وشعرك أكثر"

وقفت وتوجهت للمرأة في المكتبة ونظرت لأفاجئ

بالتغير في مظهر شعري حيث كان سابقا ينزل بطوله

لا معنى له وكأنه قطعة قماش أما الآن أصبح أجمل

ولم أعد أريد حتى أن أمسكه ، كانت الخصلات القصيرة

تحتضن أطراف عيناى وخداى فقلت مبتسمة وأنا

أعدلهم أكثر بأصابعى " ما أجملنى هكذا يا خالتى

الآن فقط اكتشفت أنى كنت بشعة"

ضحكت وقالت " بل كنتى جميلة والآن صرتِ

أجمل وليرحم الله قلوب الرجال"

توجهت نحوها وقلت " لا أريد أن أمسكه أحببته هكذا"

ضحكت وقالت " أعانه الله إذا"

قلت باستغراب " من " !!

ضحكت كثيرا ثم قالت " المشط لأنك لن تتركه

من يدك بعد الآن"

ثم مدت لى بالحاف بعدما جمعته وقالت

" أرمى هذا وانفضى الحاف جيدا"

أخذته منها وفعلت ما طلبت مني ثم عدت لها وأعدته
حيث كان وعدت للمرأة مجدد وقلت وأنا أرتبها من
جديد " كم تعجبني ولا أريد أن أتوقف عن رؤيتها"

سمعنا حينها باب المنزل يغلق فقالت خالتي

"ها قد جاء الطعم"

نظرت لها بحيرة فقالت مبتسمة " ما رأيك أن

تلفي لفة كاملة حول نفسك وبسرعة"

ضحكت على الفكرة لكني سرعان ما طبقتها ولم

أنهي اللفة إلا ونزار عند الباب فأبعدت شعري

عن وجهي لتتدلى الغرة للأسفل بسبب حركته معي

حين لفتت فرفعتها بأصابعي لتسقط من جديد محتضنة

وجهي وجبيني فنظرت لخالتي وكانت تنظر للمذيع

في حجرها فانتقلت بنظري سريعا لنزار فكان على

صمته وينظر لي فرفعت شعري خلف أذني أنظر

للأرض وخرجت من الغرفة مارة به وهوا دار

معي حتى خرجت وصعدت لغرفتي مباشرة لأغير

ملايس النوم أو لأهرب منه ومما فعلت

*

*

"نزار هل أصابك الصمم"

نظرت لها وقلت " نعم يا أمي"

قلت مبتسمة " أكلمك منذ وقت وناديتك مرارا ولا نتيجة"

مررت أصابعي في شعري ووقعت مفاتيحي مني على

الأرض فرفعتها وبدل أن أضعها في الجيب وضعتها

خارجه فسقطت مجددا وقالت أمي ضاحكة

" ما بك وكأن أحدهم ضربك على رأسك"

لمست رأسي وقلت بحيرة " ما به"

عادت للضحك دون توقف فقلت بضيق

" أمي توقي عن التسلي بي"

قالت وقد عادت بنظرها لمذياعها

" أنا لم أتسلى بك أنت من تتصرف بغرابة"

خرجت وتركتها ونظرت لأعلى السلالم ثم عدت ووقفت

عند الباب وقلت " هل أنتي من قص لها غرتها"

قالت ولم ترفع نظرها بي " نعم هل هي سيئة"

لم أعلق فنظرت لي وقالت " رأيك فيها أنها سيئة إذلا

إياك أن تقولها لها لأنها أحببتها وستصيبها بالإحباط"

قلت مغادرا " إما أنك بارعة أو أن شعرها هوا السببا"

ثم صعدت وتوجهت لغرفتي غيرت ثيابي وجلست على

الانترنت قليلا ولا أعلم ما الشيء الذي في داخلي يقول

لي لا تخرج من غرفتك ولا تنزل ، مررت أصابعي في

شعري واتكأت للخلف على ظهر الكرسي أنظر للسقف

بشروود أنت لست صغيرا يا نزار لتحتار في فهم نفسك

أنت تهرب من أن تولد مشاعر في قلبك لا تريد أن تكون فيه

أنت لم تتم ليلة البارحة ليس لأن النوم جافا عينيك بل لأن

كلماتها لم تغب عن مخيلتك حتى أنك الآن تبحث في الانترنت

عن شيء نسيته منذ أعوام وهوا تطوير قدراتك في مجال

الهندسة ، ما الذي فعلته في رأسك مراهقة صغيرة وحركت

ما مات مع الزمن وتلاشى ؟ ما هذا الذي ستوقع نفسك فيه

يا نزار ؟ هل كل هذا من تأثير فضولك الغبي ، عدلت جلستني

مجددا وعدت أشغل عقلي بالشاشة أمامي لكن مشهد اليوم لم

يغب عن عيناى فأغلقته و غادرت الغرفة من فوري ونزلت

وقفت أنظر لها لوقت وهي تحاول مشط شعرها بيدها

اليسرى ولأنه كثيف وطويل تمسكه بالجزء للأمام

وتمشطه فتوجهت من فوري للسرير وجلست متكأ على

ظهره وقلت " لما لم تطلبي من سيلا تمشطه لك"

قالت وهي تجمعها للخلف بالمشبك نازلا للأسفل

"بتول جاءتني بالأمس وتركت رسالة لك"

قلت باستغراب " جاءت هنا من أجلي" !!

وقفت والتفتت لي وقالت " بل جاءت لترك كلامها

لك معي لأنها موقنة من أنها لن تجدك نهارا"

ثم تابعت وهي تسير جهة الخزانة

"قالت كن في صفي وطلقتني منه"

قلت بحيرة وأنا أعدل ساقي " فقط"

التفتت وقالت " فقط فلم أسالها ولم تشرح لي"

نظرت للسقف متكأ برأسي للخلف وضغطت على عيناى

بقوة ، أصعب موقف تضعيني فيه يا بتول ما بكم اليوم معي

على الطلاق ، لم أعتد كل حياتي إلا على إنصاف من كان

على حق وبتول محقة لأنهم غافلوها ولم يأخذوا رأيها

كنت سأحاول إقناعها فقط بأن تتقبل الأمر وتحاول أن

تكون أقرب له ولم أتخيل أن يكون هذا ما تفكر فيه

وصلني صوت أرجوان قائلة " لم أعرف سابقا أنها متزوجة"

تنفست بقوة وأبعدت يدي ونظرت لها وقلت

"نعم ومن معصم"

قالت بصدمة " زوجة لمعصم ! كيف!! لم أسمع بهذا"

دلكت رقبتي بيدي وقلت بهدوء ونظري للأسفل

"منذ عام وهي لا تعلم"

قالت وهي تغلق الخزانة وتقف مستندة بها

"غريب كيف تتصرفون هذا التصرف"

وضعت ذراعي خلف رأسي وقلت وأنا أنظر لها

"هكذا حدث ، ثم ألم أقل لا تمسكي شعرك وأنا موجود"

توجهت جهة الأريكة وجلست حاضنة لوسادتها قائلة

"ترى بنفسك حال يدي ولن يساعدني أحد عليه"

مددت يدي لها في صمت لتأتي فهزت كتفها مبتسمة

بمعنى لا أريد فقلت بابتسامة جانبية " ألا تريني أمامك

أم لا تري السرير العريض الذي أجلس عليه لتجلسي

هناك على الأريكة سيدة أرجوان"

لوحت بيدها السليمة وقالت " يدي تؤلمني جابر

فاتركني وشأني"

مددت يدي مجددا وأشرت لها بأصابعي تعالي

فرمت الوسادة ووقفت واقتربت قائلة ببرود

"لا اعلم أين مشاغلك اليوم بالتحديد تحررت منهم"

وصلت عندي فشدتها لتجلس بجواري وقلت " هذا بدل

أن تسعدي لوجودي تتذمري يا من تناقضين نفسك"

نظرت لي بصدمة ووضعت يدها وسط جسدها

وقالت بضيق " ما تقصد بهذا"

شددتها لحظني قائلا " أقصد أن زهور سنعقد

قرانها اليوم عند الغداء"

أحاطت خصري بذراعها وقالت " غريب أمر شقيقتك

زهور من غرفتها لمنزل زوجها ! لما لا تخرج"

مسحت على شعرها وتنهدت وقلت " زواج فاشل مبهم

وغامض صنع منها إنسانة منعزلة عن الجميع"

قالت ويدها تمسح على عضلة صدري

"لكن الأولاد حين ذهبوا لها قالوا أنها تتحدث

معهم وتضحك ولم تتذمر من وجودهم"

نظرت للأسفل حيث رأسها يتكأ على صدري

وقلت بحيرة " الأولاد ذهبوا لها" !!

هزت رأسها بنعم ورفعته ونظرت لي وقالت

"بيسان كانت أول من تسلل لها بدون علم المربية

وقالت أنها أرتها صورتها في صغرها وكيف أنها

تشبهها وسألتها إن كانت تحبها بل وألبستها أحد

فساتينها في صغرها وعزفت وهي رقصت لذلك

طلبت منهم يومها أن يذهبوا لها ثلاثتهم وأن لا

يتأخروا وأحبت بالفعل زيارتهم لها"

قبلت جبينها وقلت " فعلت الصواب يا أرجوان كيف

لم يخطر في بالي هذا"

جلست ونظرت لي وقالت " ولن تكون الأخيرة وعلى

ذاك الذي سيصبح زوجها أن يساعد في هذا أيضا"

تهددت وهزرت رأسي وقلت " لا أعتقد هذا

فأنا أراها لا تتقبل الأمر ولا أفهم لما وافقت"

أمسكت يدي من فوق فخذي وقالت بنظرة مركزة

على عيني " جابر هل أسالك سؤالا تجيبني عليه

دون أن تفهم مقصدي بشكل خاطئ"

بقيت أنظر لها بحيرة لوقت ثم قلبت يدي

لتصبح يدها في كفي وقلت " وهوا"

نظرت ليدها التي تلعب أصابعها بين أصابعي

وقالت بهدوء " ماذا تعرف عن طفولة والدتك"

عقدت حاجبائي أنظر لها بتركيز وتفكير ثم

قلت " ماذا تعني بهذا السؤال يا أرجوان"

تركت يدي ومسحت بيدها على خدي وقالت

" جابر أخبرتك أن لا تفهمني بشكل خاطئ"

أمسكت يدها وقلت " وأنا أسالك كي لا

أفهمك بالشكل الخاطئ"

أعدت يدها لحجرها حيث يدها الأخرى وقالت ونظرها

عليهم " أرى تصرفات والدتك غير طبيعية أبدا كيف

تهمل أبنائها بهذا الشكل ، كيف لا تفكر في نتائج ما تفعله

بهم أجزم أنها لم تفكر أن تجد حلا لمشكلة زهور مع العزلة

معتصم هارب من القصر ولا تهتم ، حتى يوم تأخرت أنت

في الجنوب ولم تخبرنا وكنت أسأل سيلا إن اتصلت هي بك

مرت بجواري وقالت أنك لست طفلا نظارداك ، كيف ترى

كل هذا الدمار المحيط بعائلتها ولا تكثرث ! كيف ترى

نفسها أم ناجحة وطريقتها في التربية سليمة ، أبنائك وهم

ليسوا أبنائي أقسم أن أفقد عقلي إن أصاب أحدهم مكره

والدتك عانت من شيء في طفولتها بكل تأكيد"

مددت يدي لذراعها وأعدتها لحظني قائلا " لكننا لسنا

مجرمين ولا صعاليك ولا منحرفين تربينا تربية

سلوكية جيدة أم ترين عكس ذلك"

تنهدت وغمرت وجهها في صدري وقالت بهمس

"كما ضننت ستفهمني بشكل خاطئ"

اتكأت برأسي للخلف وقلت وأنا أشدها لحظني " لم أفهمك

خطأ يا أرجوان وأعلم جيدا ما تريدين شرحه ، والدتي
تحملت لأجلنا الكثير لاحظي أن لا عائلة لنا ليس لأنه لا
أعمام أو عمات لنا بل لأنهم كانوا سينهشون لحومنا كالكلاب
من أجل مال والدي الذي تركه ونحن صغار ، عمي منصور
الوحيد الذي وقف في صفنا ، حاربتهم والدتي ووقفت في
وجوههم وحيدة بعدما توفي حتى شقيقها الذي ساندها بادئ
الأمر ، هي من اعتنت بنا حتى كبرنا وصرنا رجالا
كان نظامها قاسيا ومتجبرا وخاطئ في بعض الأمور لا
أنكر لكنها صنعت منا رجالا فحتى معتمص رغم أنه
رفض أن يكون كما تريد فهو رجل يمكن الاعتماد عليه
وله مميزات كثيرة ، هذه والدتنا فهل تبريت أنتي من والدك
بسبب ماضيه وهو فار من البلاد لأنه مطلوب سياسي
هذا واقعنا يا أرجوان وعلينا تقبله ، لو كانت ابنتي أو
زوجتي لعرفت كيف أتصرف معها وضربتها حتى
الضرب لكنها والدتي ولها مميزات كغيرها من البشر ولن
أنسى أنها ربنتي وتحملت من أجلي ، والدتي لم تمر بطفولة

صنعت منها هكذا ، هذا طبعها وعائلتها جميعهم تربوا

على هذا النظام الصارم ويروونه صحيح وسليم"

سمعت حينها طرقات على الباب وصوت سيلا قائلة

"الفتور جاهز سيدي"

ابتعدت عن حضني ووقفت خارج السرير وقالت

"وما وصلت له معها بشأن ما حدث بيننا بالأمس"

قلت بابتسامة صغيرة " تأخر هذا السؤال

ظننتك ستسألينه منذ البداية"

مدت يدها السليمة لي لأغادر السرير قائلة

"كنت انتظر حتى تجيب على السؤال الذي سألته بخصوصها"

أمسكت يدها وغادرت السرير وطوقت كتفاها بذراعي

وقلت ونحن نتوجه لباب الغرفة " القصر به نظام مراقبة

كما تعلمي وبعد اليوم سأشغله على مدار الساعة

لأجد كل شيء مسجل ويشهد لك أو عليك"

دفعني بعيدا عنها وقالت بضيق " أنا فقط"

ضحكت وفتحت الباب وقلت خارجا للردهة

"وهي طبعاً وسيكون لي كلام في الأمر مع الفاعل"

وصلت حيث الطاولة المخصصة للطعام وجلست

وجلست أمامي قائلة " كيف يعمل في السابق لم أفهم"

سكبت كوب حليب وقلت وأنا آخذ الخبز " أي شيء يخترق

النوافذ يفتحه كذلك الركض بقوة لأشخاص وزنهم يزيد

عن الخمسين كيلوا غرام والزوايا مزودة بأعمدة أي شيء

يصطدم بها يفتح النظام ، يعلن بصفارة إنذار ثم تشتغل

كميرات المراقبة بالصوت والصورة عدا الحمامات

وغرف الملابس الصور محجوبة فيها"

وضعت يداها وسط جسدها وقالت ببرود

"والحفلات ستراقبها أيضا"

قلت بعد ضحكة صغيرة وكدت أغص باللقمة

"إن كنتِ فيها طبعاً لنرى ما يجري إن اشتكيتِ"

نظرت لي بنصف عين وقالت بضيق

"وغيره ... أقصد إن لم أحضر"

قلت بابتسامة جانبية " تغارين يا أرجوان"

رمت يدها ثم أبعدت بها شعرها خلف أذنها

وقالت ببرود " لا طبعا ولما أغار"

قلت بمكر " إذا لا بأس في أن ألقى نظرة"

رمت ما كان في يدها في الطبق وقالت بضيق

"نعم أغار ولا تراهم أو غضبت منك"

ضحكت وقلت " وها أنا أشاهد التلفاز"

وقفت وقالت مغادرة جهة الغرفة

"هؤلاء لا ، ولا تتبعني ولا تتحدث معي تفهم"

ثم دخلت وأغلقت الباب فوضعت ما كان في يدي

ووقفت ولحقت بها

*

*

قلت وأنا أعدل ربطة عنقي وانظر للمرأة

" هذا اللون أفضل أليس كذلك"

قالت مبتسمة " هذا عقد قران فقط ماذا

ستفعل ليلة ستتزوجها"

أمسكت رأسها وقبلت جبينها وقلت

"لا يمكنني تخيل ما سأفعله"

أمسكت يداي ورفعت رأسها ونظرت لوجهي

وقالت مبتسمة " أسعدك الله يا رضا وعوضك

عن كل ما قاسيت في حياتك من وحدة وتعب"

قبلت جبينها مجددا وقلت بابتسامة

"وما غير رأيك فجأة تباركين ومبسوطة"

قالت بدمعة تملأ عينيها " يكفي الفرحة في عينيك

أعترف بأنني كنت أنانية ولم أقدر مشاعرك

التي كبرت معك منذ طفولتكما"

حضنتها وقلت " ولا أنسى طبعاً تربيتك لي طفلاً

وأنتي لازلت طفلة واهتمامك بي ولولا مشاعري

كما قلتي ما خالفت رغبتك في من أتزوج"

ثم أبعدتها عن حضني وقلت " سأذهب وأحاول مع

تلك التمثال الصامت عليها تكون معنا اليوم"

مسحت دمعها وقالت بحزن " كم يشغلني أمرها يا

رضا وأرى الجميع يهملها ولم يفكروا في حل لها"

تنهدت وقلت " كما تري يا أميره حاولنا جميعنا وبكل

الطرق ، بتول مدللة كثيرا وعنيدة ولا نريد أن نجرحها

أكثر ، جابر وعد والدها أن يتحدث معها وسنرى ما سيجري"

قالت وهي تجمع ربطات العنق المرمية أرضا

"وما ذنب جابر المسكين أي مشكلة يركض الجميع

له ليحلها ، أرحموا الرجل منكم ويكفيه عمله"

قلت وأنا أعدل سترتي على المرأة " الذنب ذنبه أنا

كما تعرفيني إن أدمعت عيناها أمامي سأضعف فورا

ومنصور أسوء مني فجابر وحده يعرف كيف يقنعها

أو يجبرها وستحترمه أو تخاف منه"

نفضت لي كتفا سترتي تعدلها وقالت " وإن أصرت

على صمتها أو أخبرته أن يطلقها منه كما قالت لكم"

التفت جهتها وقلت بهدوء " حينها سيتصرف جابر

بالتأكيد وكل الخوف في أن ينصفها ويقف في صفها

لأنه سيحدث ما سيقرره وأنتي تعرفين جابر جيدا وهذا

الأمر ستكون نتائجه عكسية في علاقته بشقيقه

معتصم لاحقا وحتى بعمه إن تطور الأمر"

ضربت كف بالآخر وقالت " المشكلة أن منصور متمسك

بوعدہ لشقیقہ فأنت تعرف کم کان یحبہ وإن قرر

جابر تطلیقہا منہ ستکون کارثة"

قلت مغادرا الغرفة " سأحدث معہ الیوم لیحاول

إقناعہا أولا قبل أن یفعل ما تقول"

غادرت الغرفة وتوجهت لغرفة بتول ولم أجدہا هناك

فبحث عنہا مطولا حتی وجدتها فی غرفة شقیقہا الأصغر

تغیر ثیاب عدي ویبدوا كانت تحممه فاقتربت منہا

وقلت مبتسما " ما أسعد زوجک بک أم جاهزة"

نظرت لی نظرة قاسية دون کلام ، یالك من أحمق یا

رضا ما مناسبة هذا الکلام الآن ، جلست بحوارہا

وحضنت کتفیہا وقلت " ألن تشارکی الیوم خالك

رضا حبیبک یا بتول كما تقولین دائما"

لم تتحدث طبعاً فقبلت خدہا وقلت

"بتول ما تفعلیہ بوالدیک لا یجوز"

نزلت منہا دمة فضممتها لصدري وقلت بحنان

"بتول معتصم یحبک ویریدک وقالها لی بلسانہ فلا

تتسببی فی مشكلة بینہ و بین شقیقہ و بینہما ووالدک لأن

كل واحد سيصر على رأيه إن قرر جابر تطليقك منه"

ابتعدت عني بقوة وحملت عدي بين ذراعيها وخرجت

ويبدوا كلامي لم يعجبها وليس لم تقتنع به فقط

خرجت من الغرفة ونزلت للأسفل وتقابلت وأميرة

فقلت " لم ينجح الأمر ألن تغيري رأيك أنتي"

هزت رأسها بلا فقلت بعتب " ولا من أجل شقيقك الوحيد"

تنهدت وقالت " حين تتزوجا زواجا رسميا سأقيم لك

بنفسي حفلا هنا أما الآن دون أن تدعوني والدتها لن أذهب"

قلت بضيق " ولما كل هذه الرسميات والشكليات يا

أميره أنا شقيقك وزهور ابنة عم أبناك وشقيقة

زوج ابنتك فلما كل هذا"

قالت ببرود " هي من تتعامل معي برسمية ولست أنا

وكانني غريبة عنهم ولست زوجة شقيق زوجها حتى أنها

لا تزورني إلا في المناسبات ويوم تزوج معتصم

ببتول لم تتصل حتى بالهاتف من باب الدوق"

تنهدت وهزرت رأسي بقلة حيلة ثم غادرت المنزل

وتوجهت لقصرهم على دخول سيارة معتصم الذي نزل

أمامي وصافحني قائلا " ما بكم معنا تزوجت شقيقتي

وزوجتموني ابنتكم بقي بنات جابر تزوجوهم

أيضا وارتاحوا"

ضربته على كتفه وقلت ضاحكا " لا تستغرب شيئا"

وضع ذراعه على كتفي وقال سائرا بي جهة مجلس

الرجال " هيا هيا قبل أن تغير والدتي رأيها فقد يموت

جابر في أي لحظة ولن تحلم بها حينها ما حييت

لأنك صعلوك ولا مستقبل لك"

ضحكنا معا ودخلنا حيث جابر وابنه أمجد وعمه

منصور تصافحنا جميعنا وقلت وأنا أجلس

"بسرعة أين الشيخ والكاتب قبل أن يموت جابر"

ضحك جابر وقال " سحقا لبشر لا تسيرهم إلا المصالح

لن يكون هناك شيء قبل أن نتناول غدائنا"

تأففت راميا يدي أمام وجهي وقلت ناظرا جهة معتصم

"أنت ابتعد ولا تجلس بجانبني تشاءمت منك يا رجل"

ضحك كثيرا والتصق بي أكثر وقال " زد العيار إذا

من الشؤم ولن يمر اليوم على خير"
وقفت مبتعدا عنه وجلست حيث جابر وابنه وقلت
"سأجلس هنا جهة الناجح تزوج مرتين وأنجب وصيته

في كل البلاد قاهر المهمات الصعبة مالي ومال

الصعاليك طالب وحتى زوجته لم تعترف به"

ضحكا منصور وجابر وقال هوا بضيق " لن أزوجك

شقيقتي صعلوك يكتب الكلام الفارغ وحياته تقف

على بيع الورق ، قم هيا غادر لمنزلك"

قال منصور ضاحكا " لا أعلم كيف ستعاشران

صهران من الجانبين"

اقتربت من جابر وهمست له " علمت بأنك ستحدث

مع بتول فجرب إقناعها قبل أن تأخذ بقرارها وفكر في

مصلحة الجميع فعمك مصر على وعده لوالدك"

هز لي رأسه بحسنا ثم نظر لي وقال بهمس

"سأجرب فقط لكن إن اقتنعت أنها لا تريد فلن تشرق

عليها شمس الصباح إلا وهي مطلقة منه"

هزرت رأسي بقلة حيلة وقلت " جنبنا المشاكل

بين رجال العائلة يا جابر"

ابتعد عني وقال بهدوء " حتى وقته يكون

لكل حادث حديث"

بعد قليل وصلا المنتظران وأخيرا وأدخلت الخادمت

الغداء ثم قام الكاتب بتحقيق شروط العقد أولا ولم يبقى لي

سوا راتبي من الجريدة التي أعمل بها هوا الشيء الوحيد

الذي لم تسلبني إياه وكان هذا بيننا أنا وجابر لم يحضره

أحد بطلب مني وبعدها انتهينا وقفت وقلت

"بسرعة نتم باقي الأمر أخشى أن تموت الآن"

ضحك ووقف دون تعليق وعدنا حيث البقية وأتممنا

الزواج وجنيت الثمرة من كل ما خسرتة للتو وصار

باسمها وصارت هي بسمي وهذا الأهم وبعدها غادروا

وقفت وقلت " هيا أين عروسي بسرعة"

وقف منصور وقال مغادرا " إن كان قبل أن يتزوجها

لم يستحي من أحد كيف الآن"

ثم تابع وهو يخرج من الباب ضاحكا

"أعان الله زهور عليك"

نظرت له حتى خرج واضعا يداي وسط جسدي ثم

نظرت لهما وقلت " ما تفعلان أنتما جالسان هنا أريد

أن أرى زوجتي وألبسها خاتم الزواج"

وقف جابر وقال " أمجد أذهب وأخبرها تأتي وأنت يا

معتصم لا تتركهما وحدهما فلا مامن من هذا الرجل"

نظرت له بضيق فضحك ومر بجواري ووضع

يده على كتفي وقال بهمس " أسمع يا رضا أنت صديق

طفولة لنا وأعزك وأقدرك كمعتصم وأكثر لكن إن كرهت

زهور البقاء معك وطلبت أن أطلقها فستفعل ولو بالقوة"

وضعت يدي على ذراعه وقلت بجدية

" هذا الكلام سابق لأوانه يا جابر فأنا لم آخذها من هنا بعد

وحتى وقتها سأفعلها من نفسي حين ستطلب هي ذلك"

شد على كتفي بقوة وقال " وهذا عشمي فيك يا رضا

وأتمنى أن لا تخسر زهور رجلا مثلك"

ثم غادر من المجلس وخرج من القصر أيضا من

الباب الخارجي للمجلس فنظرت لمعتصم

وقلت " ماذا تفعل هنا"

وضع ساق على الأخرى وقال " أكون موجودا

أو لن يكون هناك شيء"

قلت بضيق " حسود لأنك لم تحضا بهذا"

*

*

" عمتي زهور هذا أرسلته لك ماما"

نظرت لما في يدها باستغراب وقلت " لي أنا" !!

وضعت الكيس وقالت " هل تسمحين لها بالمجيء أيضا"

لم أعرف ما أقول فبنات جابر لم يفارقنني اليوم من

أكثر من ساعتين وترف ترقص وبيسان تصفق وتغني

وأشعراني أنني في حفل زواج حقيقي وأتعباني من كثرة

الضحك حتى أنني نسيت حزني اليوم وكنت أضن أنني

سأبكي بحرقة وأنا أصبح زوجة من دمر حياتي

قالت ترف وهي تفرد يداها " هيا يا بيسان غني"

قلت مبتسمة " ألم تتعبي من الرقص"

أمالت خصرها بطريقة مضحكة تمد فيهما

مؤخرتها وقالت " علمتني بتول الرقص وقالت نرقص

عندما يتزوج أحدهم فاليوم تتزوجين أنتي يعني نرقص"

عادت بيسان للتصفيق يداها جانب وجهها تصفق وتغني

أغاني أطفال غريبة وترف ترقص ولا أعلم من أين

وجدت كل هذه الطاقة ، نظرت لبيسان وقلت

"أخبريها تأتي"

لا أعلم لما وافقت فكم رفضت أن أقابل ممن طلبوا

مقابلتي ولم أرى أحدا غير خادمتي ووالدتي منذ أربع

سنوات لكن حب الأطفال لهذه المرأة وطريقة تربيتها

لهم جعلت عندي الفضول لأعرفها ، لا أصدق أنه حتى

الرقص يكون بإذنها إن سمحت به فقط يفعلوه

خرجت بيسان مسرعة وعادت تمسك في يدها شخصا

دخل بعدها كانت بلامح جذابة ليست بجمال حسناء

زوجته الأولى لكن عيناها ملفتة للنظر وابتسامتها أيضا

جميلة وشعرها يبدوا جميلا ، اقتربت مني ومدت يدها

وقالت مبتسمة " مبارك لك يا زهور وسعيدة

حقا بأن تعرفت عليك"

صافحتها وقلت بصوت منخفض " شكرا لك يا أرجوان"

شدتها ترف من فستانها وقالت " رأيت عمتي زهور"

قالت مبتسمة " رأيتها بنيتي جميلة مثلكم"

ثم نظرت لي وقالت " الأطفال يحبونك كثيرا وبيسان

لا تتوقف عن التحدث عنك ولا تخلوا عبارتها من كلمة

(ما أجملها يا ماما) وصدقت بل لم تفيك حقك"

نظرت للأسفل وقلت بابتسامة " هذا فقط لأنها تشبهني"

ضحكت وقالت " بل حقيقة هي ومحظوظ هذا الذي تزوجك"

غزى ملامحي الحزن وأشحت بوجهي وقلت

"تفضلي بالجلوس"

قالت معتذرة " أمجد جاء ليخبرك أن جابر طلب منه

إخبارك لتنزلي للمجلس لذلك لن أعطك وكانت فرصة

سعيدة أن تعرفت بك واعذري مضايقة الأولاد لك

اليوم لكني من سعادتهم حين علموا أنك تتزوجين

لم أستطع منعهم من المجيء لك"

قلت بابتسامة صغيرة " بل كان الوقت ممتعا

معهم ووجودهم سلاني وأنسني"

ثم خرجت من الغرفة قبلها وهي تبعتني قائلة

"بيسان ترف بسرعة تعاليا معي"

وسارت هي معهم في الجانب الآخر يحدثانها عما

فعلاه عندي وتوجهت أنا حيث السلام لأنزل للعريس

السعيد جدا بنفسه ونسي أنه سبب قهري ولولا جابر

ما كنت نزلت

*

*

ما أن خرجت من عنده حتى توجهت لمنزل عمي لأنهي

الأمور المعلقة جميعها وأجد الراحة لباقي اليوم ، أرسلت

رسالة لنزار ووصلت باب منزلهم طرقت الباب ففتح لي

عمر وقال مبتسما " والدي ليس هنا ... أدخل"

قلت ضاحكا وأنا أدخل " تطردني وتدعوني في نفس الوقت"

توجهت والدته ناحيتي تلف حجابها قائلة " مرحبا يا

جابر تفضل ما قال لك هذا المغفل"

قلت مبتسما وأنا أصافحها " كيف حالك يا أميرة"

قالت مبتسمة " بخير وما أمورك أنت وأين لا يراك أحد"

ضحكت وقلت " تعبت من كثرة ما سمعت هذه العبارة

سينتهي ما أنا فيه وتشبعون من رؤيتي"

ثم تقدمت بضع خطوات للداخل قائلا

"أريد رؤية بتول أخبريها تنزل لي رجاء"

قالت مشيرة بيدها جهة مجلس الضيوف

"تفضل وسأخبرها حالا"

دخلت المجلس وعمر يتبعني وجلس معي أيضا ومضى

بعض الوقت أسأله عن سنه وما يدرس وكأنه ليس ابن

عمي ويسكن أمانا وبعدها بقليل دخلت بتول فقلت

"أخرج يا عمر وأغلق الباب"

امتثل لي في الفور واقتربت بتول ومدت يدها لي

قائلة بشبه همس " مرحبا يا جابر"

صافحتها قائلا " جيد أنا وزوجتي لسنا من

المغضوب عليهم أم أنا مخطئ"

أنزلت رأسها ولم تتكلم فقلت " اجلسي يا بتول"

قالت في الفور " إن كنت ستقف معي أتحدث أو لا داعي لذلك"

قلت بجدية " دعينا نتفاهم بروية ولن أخرج من

هنا إلا وأنتي راضية أعدك"

جلست وقالت " لا أريده طلقني منه يا جابر"

تنفست بقوة وقلت " حسنا نتحدث الآن فقط ولا

تفهمي الأمر وقوفا مني ضدك أو تخليا عنك مفهوم"

هزت رأسها بحسنا فقلت " السبب يا بتول ، ما سبب رفضك له"

أشاحت بنظرها عني وقالت بحزن " يكرهني وأكرهني فيه

ينتقدني دائما ويعيرني ويقتنص الفرص للسخرية مني

علمني كيف أقرف منه وأكرهه بجدارة فلما

يتزوجني وكيف يريد مني أن أتقبله"

قلت بهدوء " مسألة يكرهك أزيلها جانبا لأنه غير صحيح

أما أنك تكرهيه هذا ما عليك التحقق منه أولا يا بتول"

نظرت لي وقالت بضيق " كيف لا يكرهني هل

كل ما قلته لا يدل على ذلك"

قلت بجدية " وكيف يتزوجك وهو يكرهك اشرحها لي"

هزت رأسها وقالت " ذاك السؤال وجهه له أما أنا

فلن أقتنع بغير هذا"

قلت " وإن أتبت لك عكس ذلك"

هزت رأسها بلا دون كلام فقلت " أعطه فرصة يثبت

ما يقول وتتأكدي أنني من مشاعرك وسأقف معك

يا بتول إن قررت الانفصال عنه"

كانت ستتحدث فأشرت لها بيدي وتابعت " أنتي لديك

دراسة تنهينها وهو كذلك وتكون فرصة لكما وحين

يحين الوقت ستقررين أنني رغم أنوف الجميع فلم

يكن الأمر باختيارك منذ البداية"

"تفضل وسأخبرها حالا"

دخلت المجلس وعمر يتبعني وجلس معي أيضا ومضى

بعض الوقت أسأله عن سنه وما يدرس وكأنه ليس ابن

عمي ويسكن أمانا وبعدها بقليل دخلت بتول فقلت

" أخرج يا عمر وأغلق الباب"

امتثل لي في الفور واقتربت بتول ومدت يدها لي

قائلة بشبه همس " مرحبا يا جابر"

صافحتها قائلا " جيد أنا وزوجتي لسنا من

المغضوب عليهم أم أنا مخطئ"

أنزلت رأسها ولم تتكلم فقلت " اجلسي يا بتول"

قالت في الفور " إن كنت ستقف معي أتحدث أو لا داعي لذلك"

قلت بجدية " دعينا نتفاهم بروية ولن أخرج من

هنا إلا وأنتي راضية أعدك"

جلست وقالت " لا أريده طلقتي منه يا جابر"

تنفست بقوة وقلت " حسنا نتحدث الآن فقط ولا

تفهمي الأمر وقوفا مني ضدك أو تخليا عنك مفهوم"

هزت رأسها بحسنا فقلت " السبب يا بتول ، ما سبب رفضك له"

أشاحت بنظرها عني وقالت بحزن " يكرهني وأكرهني فيه

ينتقدني دائما ويعيرني ويقتنص الفرص للسخرية مني

علمني كيف أقرف منه وأكرهه بجدارة فلما

يتزوجني وكيف يريد مني أن أتقبله"

قلت بهدوء " مسألة يكرهك أزيلها جانبا لأنه غير صحيح

أما أنك تكرهيه هذا ما عليك التحقق منه أولا يا بتول"

نظرت لي وقالت بضيق " كيف لا يكرهني هل

كل ما قلته لا يدل على ذلك"

قلت بجدية " وكيف يتزوجك وهو يكرهك اشرحها لي"

هزت رأسها وقالت " ذاك السؤال وجهه له أما أنا

فلن أقتنع بغير هذا"

قلت " وإن أتبت لك عكس ذلك"

هزت رأسها بلا دون كلام فقلت " أعطه فرصة يثبت

ما يقول وتتأكدي أنني من مشاعرك وسأقف معك

يا بتول إن قررت الانفصال عنه"

كانت ستتحدث فأشرت لها بيدي وتابعت " أنتي لديك

دراسة تتهينها وهوا كذلك وتكون فرصة لكما وحين

يحين الوقت ستقررين أنني رغم أنوف الجميع فلم

يكن الأمر باختيارك منذ البداية"

فتحت باب المجلس قبل أن تتحدث وقلت

" معتصم تعال أريدك في أمر"

نظر لرضا بضيق فضحك عليه وقال طاردا له بيده

" بسرعة واسمع كلام شقيقك"

قلت مبتسما " أعقل فزوجتك هنا عند الباب

لا تغير رأيها بك"

توجه جهة معتصم وأمسكه من يده وسحبه قائلا

"بسرعة تشرفنا بمعرفتك ورافقتك السلامة"

خرج معتصم يتبعني ضاحكا وتوجهت أنا وهو جهة

المجلس العائلي حتى وصلنا لجدار المجلس فوقفت

ووقف أمامي وكنت مستندا بيدي على الجدار والأخرى

في جيبي وقلت بجدية " لقد تحدثت مع بتول"

نظر لي باهتمام وقال " وتكلمت معك" !!

هزرت رأسي بنعم فقال من فوره " ماذا قالت"

قلت " تريد الطلاق"

فتح فمه فأشرت له بإصبعي على شفثاي

ليسكت ثم قلت " ومعها حق"

تحولت ملامحه للحدة يريد الاعتراض لكني كررت

حركتي لإسكاته بنظرة حازمة فسكت وتابعت بجدية

"أقنعتها أن تعطيك وتعطي نفسها فرصة حتى تنهي

دراستك فإما تكون زوجتك متى ما أذنت هي بذلك

ولو كان في الغد أو تطلب أن تطلقها بعد الثلاث أعوام"

عاد لمحاولة الاعتراض فأسكته بإصبعي على شفثاي

مجددا وقلت بجدية وهوا لازال عليهما " ستطلقها حينها

ورغما عن أنفك يا معتصم ولو بالقوة"

ثم أبعد أصبعي وقلت بجدية " والوقت أمامك طويل

وأنت وشطارتك ومتى ما وافقت أن يكون زواجكما

رسميا كان ذلك ولو الليلة وغيره لا فغير من أسلوبك

القديم معها فهي قالت وبالحرف أن ما أكرهها فيك

انتقادك الدائم لها وانتهاكك الفرص لتسخر منها ولم

تقل أي عيب بك ولا من أي جانب وتراك تكرهها

أيضا فالأمر في يدك الآن والقرار في يدها ولن

أقف ضدها مهما حدث"

ثم رفعت أصبعي أمام وجهي وقلت بتهديد

"وإن اشتكت لي منك لن يكون حسابنا يسيرا

يا معتصم وستنسى أنه هناك زوجة لك تدعى بتول"

*

*

بقي نظري على الباب وكأني أنتظر الحياة أن تخرج

لي منه وأنا عن نفسي لا أعلم من أين أجد كل هذا الحب

الذي أحبه لها ، ولا ألوم نفسي أنني كدت أفقد عقلي يوم

تزوجت بغيري ، مرت اللحظات تلو اللحظات ولم تدخل
وفكرة مجنونة تقول لي اقترب من الباب وافتحه وأدخلها
بنفسك قبل أن تهرب وما كادت تكون الفكرة حقيقة حتى

انفتح الباب ببطء ودخلت منه بدون حجابها بفستانها

الحريري الطويل عارية الذراعين مفتوح عند الصدر

بفتحة مربعة الشكل لتتخلله شريطة بنية تنتهي عند الكتف

معقودة هناك وكأنه ثمة من أخبرها أنه يوجد عاشق هنا

يتمنى الارتواء منك ، هناك من أتبعه وأضناه الشوق

والانتظار بالسنوات ، هناك من يتوق بجنون لكل هذا

لكل تفصيل من تفاصيلك أميرتي الفاتنة ونيسان قلبي

بأزهاره وعبيره ، بقينا لوقت ننظر لبعضنا وكانت

لا تزال نظرة الخذلان والحزن تسيطر على ملامحها

وعينيها الزرقاء الغامقة ولا أعلم إن كانت تقرأ العشق

في نظراتي كما أقرأ كل هذا في كل انسداد من رموش

عينيها ، وقفت مكانها ولن تفكر طبعاً في الاقتراب فتقدمت

بخطواتي وأمسكت ذراعها وتقدمت بها للداخل أسير بجانبها

ويدي أخرى تحتضن كتفها حتى كنا في وسط المجلس فابتعدت
هي وسافرت بنظرها ورأسها للأرض فابتسمت بحب حتى
لتمنعها عني ، أدخلت يدي في جيبتي وأخرجت علبة الخاتمين
قبل أن أترك العنان للسانني لأنه إن تحدث فلن يسكت وستخرج
وتتركني بسببه ، فتحت العلبة وأخرجت خاتمها وأمسكت
يدها ورفعتها لي فكانت تطبق على أصابعها بقوة وتشيح
بوجهها جانبا معلنة رفضها لكل هذا وهي من وافقت عليه
بملاً إرادتها ، رفعت يدها لشفتاي وقبلت كل أصبع فيها
على حدا وكأني أترجاهم أن يفتحوا لي الطريق وأن يفسحوا
لي المجال ، حاولت مجددا وكانت على حالها ترفض
الانصياع وعلى صمتها القاتل فرفعت يدها لشفتاي مجددا
وقبلت رسغها هذه المرة لأصعد بقبلاتي على الساعد الثلجي
الناصع البياض وحينما وصلت قبلاتي المتلهفة المجنونة
لمفصل مرفقها من الداخل شدت يدها وسحبتها مني والتفتت
لتغادر فأمسكت ذراعها ولففتها لي مجددا وأعدت المحاولة
ورفعت يدها لي من جديد وفتحت أصابعها فانصاعت هذه
المررة لأنها باتت تعرف ما ستكون النتيجة إن تمردت أكثر

فتحتهم بالأصبع وكأني أفرد السنين أمامي وكأني أعد بهم

سنين عمري التي ضاعت في انتظار هذه اللحظة

ألبتها الخاتم الذي لا يليق إلا بها ولو لبسته كل نساء الكون

الخاتم الذي كلفني راتبي من الجريدة كاملا لأكمل الشهر

بدون مال ، نظرت له بين أصابعها يحتضن خنصرها

وهم مفرودين في كفي ... مسحت على يدها وقبلتها قبلة

طويلة لم يوقفها سوى سحبها لكفها مني لتخرج من صمتها

أخيرا وقالت ونظرها لا زال بعيدا ووجهها تحجبه عني

بشعرها الأشقر " لولا جابر ما أتيت فإن كنت أنت لا ترى

أنك تعيش دورا ليس دورك فأنا مقتنعة أن هذا الدور لا يليق بي"

اكتفيت بالابتسام في صمت ومددت يدي لذقتها ورفعت

وجهها لي وقلت وعيناي في عينيها " لن أطلب الكثير يا

زهرتي أريد فقط أن ارتوي هل هذا الدور أيضا لا يليق بي"

انتفض جسدها وحاولت الابتعاد لكنني أحكمت بيدي الأخرى

على خنصرها وشدتها لي وضممتها في حضني بقوة

وقلت " ولو هذا فقط يا زهور لا تحرميني منك يا

عينا رضا التي يرى بهما"

طوقتها بذراعي أتحسس كل شيء فيها وكأنها حلم

لا أصدق أنه تحقق أخيرا ، ابتعدت عني ببطء فمسحت

بيدي على وجهها لتحتضن أصابعي فكها الأيسر وتسللت

لتصل لذاك الجرح فأمسكت معصمي وأبعدتها وقالت

"إلا هذا يا رضا ابتعد عنه لأن عليك دفع ثمنه فقط"

عدت لاحتضان وجهها بكفائي وقربت شفأتي من

جبينها وقلت بهمس " هذا كله ولم أَدفع يا زهور"

ثم قبلته وقلت " كلي لك يا زهور كلي ثمن لما خسرتة

وأقسم أن أنسيك كل ما كان وفات فقط أعطني الفرصة"

أبعدت يداي وابتعدت عني ورفعت نظرها لعيناي

أخيرا وقالت بنظرة ملئها أسى ونبرة ملئها حرقة وألم

"لن أنسى يا رضا ... أقسم أنك قتلتني ألف مرة وشر

قتلة كانت تلك وستدفع الثمن غاليا كما دقته أنا تماما"

ثم غادرت راکضة ولم أستطع حتى أن أدركها ، ما

تعنيه بأن أتجرع ما أدقته ماذا!!

*

*

حركت خصرها يمينا وقالت " افعلي هكذا"

ضحكت وفعلت مثلها فمالت به يسارا وقالت " ثم هكذا"

ضحكت مجددا وقلبتها فقالت " والآن كرريها بسرعة"

وأصبحت تتحرك وكأن سلكا كهربائيا صعقها فلم أستطع

أن أتوقف عن الضحك وهي لازالت على حركتها

وتقول " غني يا بيسان غني"

واشتغلت بيسان كالمذيع واكتمل المهرجان ليزيداني

ضحكا على ضحكي وتوقفت عن الضحك فجأة وأنا

أشعر بالذراعين اللتان طوقت خصري وشدتني لذاك

الجسد الصلب وشفقت ترف قائلة بحماس

" انظر بابا كيف أرقص ، صفقي هيا"

وبدأت بيسان تصفق وتغني وترف عادت لرقصتها

الغريبة لأعود للضحك رغما عني وأنا أستمع للضحكة

الرجولة الخفيفة خلفي حتى قالت بيسان بتذمر

" يكفي لقد تعبت وأنتي لم يمدح رقصك أحد كلهم

ضحكوا عليك عمتي زهور وماما والآن بابا"

لكن ترف طبعا لا حياة لمن تنادي ثم توقفت

فجأة ونظرت لنا وقالت " أستمنا متزوجان ؟"

أبعدت يديه وابتعدت عنه أجهز نفسي للكارثة التي

ستقولها لكنه شدني له مجددا وقال " نعم"

وضعت يداها وسط جسدها ووضع جابر يده على

فمي كي لا أسكتها أو أهددها وقالت هي بضيق

"لما لم نرقص في زواجكما إذا"

لنتطلق ضحكة جابر ويتبعها قائلا " لأن والدتك

نكدته علينا ولم تترك أحدا يفرح ويرقص"

وكزته بمرفقي وأبعدت يده عن فمي وقلت هامسة بغيض

"نعم فأنا التي تركتك معهم هنا نهارا كاملا وحدكم ولم

أخبرك حتى أين غرفتك ولم أخبرهم حتى أنك ستأتي"

شدني له أكثر وقرب شفثيه من أذني وهمس فيها

"شكرا على كل ما فعلته اليوم من أجل زهور"

وما أن فتحت فمي لأتحدث حتى فاجأتني الشفتان التي

قبلت خدي قبلة طويلة أحسست فيها بمعاني كثيرة

أرسلت معها من شفثيه ومشاعر كبيرة في داخلي

حركتها ، وأخيرا فعلتها يا جابر دون حيل وتحايل

لأسلبها منك سلبا ، لو تعلم فقط ما فعلته بي بهذا

وما أن أنهاها حتى عاد لأذني وهمس مجددا

"هيا ردي الدين الآن ودون تأجيل"

اتكأت للخلف على كتفه وقلت بعد ضحكة

صغيرة " لن أفوت لك شيئا بعد اليوم"

ثم قبلت أسفل ذقنه وكل هذا طبعا كان على نظر بيسان

المصدومة وكأنها صورة معلقة على حائط أما ترف

فترقص بيديها فقط وتكلمنا وكان شيء لم يحدث أمامها

طبعا لأنها سبق ورأت مشهدا أسوء من هذا بكثير ، اتكأت

على كتفه مجددا ونظرت لوجهه وقلت بهمس مبتسمة

"لما لا تقرب أذنك مني قليلا أود أن أقول لك شيئا"

ابتسم ومال برأسه فرفعت رأسي أكثر وحضنت وجهه

بيدي وهمست " أحبك جابر أحبك"

المخرج كلمات بقلم حبيبتنا همس الريح

من نواس لوسن .. حبيبتي .. و إن فرقنا الأيام .. فلن تجدي
أقرب إليك مني .. فأنتي بين أضلعي مسكنك .. و أنفاسي التي
أتنفسها تحمل عبق رائحتك .. عاشق حتى النخاع .. موجوع
حتى العظام .. منحور حد الموت .. أرفقي بي قليلا يا صغيرتي
و ارحميني .. ارحمي قلبا ما نبض إلا لك .. و روحا تشبعت
بك .. أنتي وسن .. حتى اسمك بعض حروفي .. و أنتي كلك بعضي..

من وسن لنواس ... حبيبي .. و إن كنت لغيري .. حبيبي .. و إن
ابتعدت عني .. حبيبي و إن كرهتني .. لا أكرهك .. و هل يكره
الإنسان قلبه؟؟ .. لا أستطيع الابتعاد عنك .. و هل يبتعد الإنسان
عن أنفاسه؟؟ .. حين أتحدث و أقول أني أكرهك .. اقصد أعشقتك
.. و حين أقول نزعتك من قلبي .. اعني أسكنتك فيه .. لا تستمع
لكلماتي .. و انظر لعيني ماذا تقولان ... و رفقا .. فما عاد في قلبي
مكان لطعنة أخرى...

سلم قلمك غليتي ودمتم في حفظ لله جميعا

الفصل الثالث والعشرون

بقيت أنظر بصدمة للفرس التي عادت راکضة ناحيته

وقلبي ينبض بشدة ولم أكن أعلم لما لفتت هي انتباهي دون

غيرها ، هل لأن اسمها كسمي ! ولكن لما سماها هكذا

مؤكد كان هذا قبل أن يحدث ما حدث وإلا ما قبل أن

تحمل اسمي تحديدا ، بقيت أنظر لها وهي تعود ناحيته

وكأنها شيء يخصني أنا وليس هوا وكأنها لي

أغلقت بعدها النافذة بهدوء حين تحرك نواس برأسه

للخلف ، لن أستطيع فتح هذه النافذة إلا ليلا والنور مطفأ

لما وضعني هنا هل يريد خنقي وحرماني حتى من الهواء

*
*

ما أن عادت ناحيتي حتى عدت لاحتضانها مجددا

وهمست لها " وشيء آخر نافذة عرفتها هناك في الأعلى"

فعادت منطلقة تركض مجددا وأنا انطلقت ضحكتي هذه

المررة لأن أمر هذه الفرس لم يعد طبيعيا أبدا وتبدوا كما

قال معتصم مسكونة ، ضحك معاذ من خلفي وقال

"بالله عليك ما الذي تقوله لها يا رجل"

توجهت نحوهم وقفزت خارج السياج وقلت

"أخربتها أنك ستركبها ففرت منك هاربة"

ضحكنا ثلاثتنا ثم نظرت ليدِه المربوطة وقلت

"ماذا قال لك الطبيب عنها"

نظر لها وقال " وضع لها شاشا خاصا بالفك وقال

إن اطر الأمر سيجبها ، ولنلحق الكذاب حتى الباب"

ضحكت وضربته على كتفه ثم قلت مغادرا

"علك تتعلم الدرس وتترك جنونك وتقود السيارة بروية"

ثم قلت وأنا أبتعد " وليد اتبعني للإسطبلات"

وقضينا هناك وقتا نخطط للتوسيع الجديد في الإسطبل

الجديد ونحاول رسم مخطط ولو تخيلي لكن المشاكل شائكة

كثيرا ، وضع يده على كتفي وقال " معتصم لديه الحل"

نظرت له باستغراب فأخرج الهاتف من جيبه وأجرى اتصالا

وقال بعد وقت " لما لا تجب من أول مرة يا أحمق"

ضحك بعدها وقال " نعم أغضبوه فغضب علينا ونحن المغضب"

ثم ضحك وقال " حسنا لن أكمل ، رأيت معك مرة

صديق لشقيقك مهندس إن كنت أذكر"

سكت لوقت ثم قال " لا يهم شهادته ليست كاملة المهم شطارته"

قال مباشرة " رائع نريد أن يزور الإسطبلات هنا

ويرسم لنا مخططا توسيعي على مدى سنوات أي

كلما أردنا أن نوسع لجأنا إليه"

" جيد تحدث معه وسنتفاهم لاحقا"

ضحك بعدها وقال " أنا ونواس واحد وها هوا أمامي لو لديه

اعتراض لسمعت صوت اختناقي بسبب يديه على عنقي"

ضحك وقال " المهم تحدث معه وسنرسل له من

يحضره أو أعطه عنوان المزرعة"

" حسنا حسنا أعطنا رقم هاتفه وسيتحدث معه بنفسه وداعا"

أنهى الاتصال معه وأعاد هاتفه لجيبه قائلا

" سننتهي من هذه المشكلة سريعا"

أمسكت كتفه وقلت " جيدا صنعت ، فكرة صائبة أن يكون

التوسيع كمخطط ممتد كي لا نواجه مشكلة كهذه

لاحقا ، لكن ما قصة أن أكلمه أنا"

نظر جهة العمال وقال " قال أنه يرفض العروض إلا إن

كانت مخططات تقييميه مجموعة يختارون منها لكن أن يستلم

الأمر وحده لن يرضى ، سيحاول التحدث معه بعد أن تكلمه أنت"

قلت بتساؤل " ولما وهو مهندس" !!

التفت جهتي وقال " تخرج بامتياز على دفعته لكن لم ينهي

تعليمه وضاعت منه فرصة البعثة وهناك من أفسد عليه حتى

أن يكون معيدا في كليته وحسب ما أذكر عميد الكلية وراء

ذلك ، حكا لي معتصم عنه مرة حين رأيته معه لكن لا أذكر

مما قال كثيرا ويبدو لا يريد استلام مشاريع أو أي أمر

يلزم مهندسا بشهادة عالية وخبرة"

قلت بحيرة " ولما كل هذا الإحباط هو يعتبر مهندسا

ولو بشهادته البسيطة تلك ويكفي تفوقه"

رفع كتفيه بمعنى لا أعلم ثم قال " سأرسل لك رقمه

وجرب إقناعه وإن رفض بحثنا عن مهندس غيره"

هزرت رأسي بحسنا ثم خرجت من هناك وتوجهت

للمنزل دخلت وتقابلت وراضية فقلت من فوري

" هل تناولت وسن الطعام"

هزت رأسها بنعم وقالت " أفضل من البارحة"

أخرجت هاتفي من جيبتي وقلت " وماذا عن الجامعة"

سكتت لوقت ثم قالت " لا أعلم أخبرتها البارحة

كما طلبت مني ، لابد وأنها ذهبت"

هزرت رأسي لها بحسنا واتصلت بالسائق وأنا أصد

السلام فأجاب من فوره فقلت " أين أنت"

قال " في الخارج سيدي أوصتني راضية على

بعض الأغراض من أجل المنزل"

فتحت باب غرفتي وقلت " هل أوصلت وسن للجامعة"

لاذ بالصمت فقلت وأنا أنظر لمي ترتب ثيابي في

الخزانة " أوصلتها أم لا"

قال " الحقيقة سيدي قالت أنها متعبة ولم تذهب

وقالت أن لا أخبرك فلا تخبرها أنك علمت مني"

تهددت بضيق وقلت وأنا أشير بإصبعي لما أريد من

مي أخرجهم لي " مرة أخرى تخبرني تفهم"

قال " حاضر سيدي"

تابعت وأنا آخذ الثياب منها " وإن طلبت منك التستر

أخبرها بالحرف أنك لا تستطيع وستقول لي"

ثم أنهيت الاتصال منه ورميت الهاتف على السرير

وتوجهت جهة الحمام حين استوقفني صوت مي قائلة

"أرى سجن ابنة خالتك في غرفتها ليس أمرا سيديدا يا نواس"

التفت لها فتابعت " وليد لا يدخل المنزل إلا أوقات الطعام

وحين ينام أو يصلي وأغلب يومه في الإسطبلات ولا

تقلق بشأني فلن أحتك بها كما وعدتك لكن لا تبقى سجينه

الغرفة بسببي ، أنا جربت ذلك ولا تعلم كم هوا قاسي

السجن بين أربعة جدران"

لم أعلق على كلامها وتركتها ودخلت الحمام نزع ثيابي

ودخلت تحت الماء وكلام وليد اليوم لا يفارقني وهوا يلح

لأنه أصبح شخص وجوده في المنزل خاطئ لكني لن أوافق

أن يعيش في منزل العمال مهما حدث ، قد أبني سلاام مستقلا

للطابق الثاني ويسكن هوا فيه وننزل نحن للطابق الأول

استحمت وخرجت ولم تكن مي في الغرفة فخرجت

وتوجهت لغرفة الطعام تناولت الغداء مع مي أما وسن طبعاً

لازالت تختار غرفتها ، وقفت بعدها وصعدت لغرفة المكتب

أجريت بعض الاتصالات فوراً بضائع تخص الخيول

ستصل قريباً وسيلزمنا الكثير من أجل التوسيع الجديد

بعد وقت اتصل وليد فأجبت فقال من فوره

"أين أنت الآن أريد التحدث معك"

لم أستطع قول أنني في مكتبي لأنه لن يرضى أن يصعد

وقد تخرج وسن لأي سبب وهي الآن تبحث عن حجة

لتغادر المزرعة وإن رأت رجلاً غريباً في الممر

ستجدها فرصة ، قلت من فوري " نازل لك حالاً"

خرجت من المكتب وكانت وسن خارجة من غرفتها

بصينية طعامها وما أن رأته حتى وقفت مكانها وأنزلت

رأسها وأشاحت بوجهها عني جانباً وقالت بصوت منخفض

"الخدمة تأخرت كثيراً عن الطعام وأردت أن أنزله"

تنفست بقوة ثم قلت " لا بأس"

تابعت سيرها مارة من أمامي فقلت وأنا أغلق باب المكتب

"داومي في جامعتك أو أخذتك بنفسك لها يا وسن"

وقفت والتفتت لي فشغلت نظري بمفاتيحي في يدي وقلت

"لا تفرطي في دراستك فأنا أكثر من يعلم معنى فقدها"

قالت وهي تتابع سيرها " وأنا أكثر من يعلم أيضا"

هزرت رأسي وتنهدت بضيق ، لن ننتهي أبدا من هذه

الاسطوانة ... عالة ومتسولة وأنا أتصدق عليها من مالي

نزلت خلفها بمسافة فوقفت مكانها منتصف السلالم ما

أن رأيت وليد يتحدث مع راضية في الأسفل فوصلت

عندها وأخذت منها الصينية قائلا " دعيني أوصلها"

نظرت حينها لعيناى لتشتبك عيناى وكأننا نرى بعضنا

للمرة الأولى ، لا اعلم أي قوة كانت تسيطر على مفاصلي

حينها ولم أستطع التحرك ولا التحدث ولا إبعاد عيناى

لم افهم قصدها بهذه النظرة وكأنها تسأل عيناى عن أمر

وكانها تريد قول شيء لا أعلمه ، تحدثي يا وسن قوليه

مهما كان " نواس انتظر قليلا"

أخرجنا من كل ذلك صوت مي التي نزلت راكضة لتفاجئ

بوجودنا كلينا وتقف مكانها فنظرت لها مباشرة وتركت

وسن الصينية في يداى وصعدت راكضة بسرعة فضغطت

بقبضتي على الصينية بقوة ونزلت قائلا " نعم يا مي"

لكنها لم تلحق بي ولم تتكلم ، وصلت للأسفل ونظرت لها
حيث هي في الأعلى فلم تكن هناك فهزرت رأسي بقلة
حيلة وأوصلت الصينية حيث جاءت راضية راضية ما
أن رأني وقالت " كنت تركتها وأخبرتني عنها لقد نسيتها

من حماقتي فأنا غير معتادة على وجود ابنة خالتك"

أخذتها مني ونظرت جهة وليد الذي ابتسم لي وهز

رأسه وكأنه يذكرني بكلامه صباحا فهزرت رأسي

له بلا ثم قلت متوجها جهة السلام

"انتظرنني ولا تغادر سأنزل لك حالا"

صعدت وتوجهت لممر غرفتي وطرقت باب غرفة

مي ودخلت فكانت جالسة على السرير تمسح دموعها

فجلست بجوارها وقلت بهدوء " هل قالت لك وسن شيئا"

هزت رأسها بلا فتنهدت وقلت " ولما هذا البكاء إذا"

ازداد بكائها فضممتها لكتفي وقلت ماسحا على ذراعها

"أخبرتتك انك لست الحاجز بيننا يا مي فأبعدي

هذه الأفكار عن رأسك"

قالت بعبرة " دموعها يا نواس كسرتني دموعها وهي

تصعد الدرجات لماذا تزوجتني لما"

أبعدتها عني وأمسكت وجهها بيدي وقلت

"مي لا تعيدي هذا الكلام أمامي مجددا تفهمي"

هزت رأسها بلا وقالت " أخبرها عن حقيقة وضعنا إذا"

قلت بضيق وأنا أنزل بيدي لذراعيها " لا وإياك وفعلها أنا

لم أحضرك هنا لتصبح قصتك على كل لسان ولا أريد أن

تعلم بكل هذا فمهما كان أنا لي كرامة لن تهان ، هي اختارت

يوما بتري من حياتها وأنا اخترت أن أتزوجك ولولا رفضك

لاستمر الأمر وأنتي زوجتي وأنجبت أبناء منك أيضا"

لأدت بالصمت ولم تتحدث ونظرها للأرض فقلت بجدية

"مي ما بيني وبين وسن كان شيئا كبيرا جدا ولا أنكر ذلك

وانكسر من قبل مجيئك بعامين ولم يتبقى سوا أشلاء منه

تذكرنا بالجراح فقط ، بجرحي يوم ارتبطت بغيري وهي

خطيبتني وجرحها يوم تزوجت بك وهي تطلب أن أعذرها

على ما كان وحدث ، وأنتي خارج كل ذلك فهل

تفهمي الآن حقيقة الوضع"

هزت رأسها بنعم فقلت " لا أريد أن أراك تبكي لأجل

هذا الأمر ولا أن تضعي باللوم عليك"

ثم وقفت فأمسكت يدي ونظرت لي للأعلى

وقالت " ولما تنتهيا هذه النهاية لما لا تضمدا الجراح

وتنسيا كل شيء بماضيه وحاضره"

أوليتها ظهري وقلت بسخرية " لن يحدث ذلك

لأني أراه صعبا يا مي وعلى كلينا"

ثم غادرت من عندها ووقفت عند الباب ثم التفت لها

وقلت " ماذا كنتي تريدين قوله لي"

وقفت ومسحت دموعها وقالت " أخي عاصم طلب

أكثر مرة أن يزورنا هنا وأخبر وليد بذلك لكنني رفضت"

قلت باستغراب " ولما"

أشاحت بنظرها جانبا بحزن فقلت " مي أنا أقدر ما مررت

به لكنهم في النهاية أشقائك ، أنا بجانبك ولن أتركك مادام

بي نفس إلا زوجة لغيري أو لي لكن لا تخسري جميع

أخوتك ، ومن كان منهم نادما على ما فات فاقبلي

عذره وأعرفك بقلب لا يحقد أبدا"

أنزلت رأسها للأسفل وقالت بحزن " وحده بينهم لم يكن

يضر بني لكنه لم ينصفني ولم يقف في صفي أبدا"

قلت بهدوء " الخيار لك يا مي وهذا منزلك مفتوح لكل

من تريدي أن يزورك هنا ومتى أردت وأخبريني

كي أكون هنا في استقباله"

رفعت رأسها ونظرت لي وقالت " إذا نستقبله معا"

هزرت رأسي بحسنا مبتسما ثم خرجت من الغرفة

وأغلقت الباب بعدي ونزلت

*

*

عدت للغرفة ركضا وأغلقت الباب وارتيمت على السرير

متكورة أمسك أحشائي بقوة وأئن بوجع ... لماذا يا وسن

لما اعتقدت أنه إن سمي فرسه باسمك يعني أن ما بينكما

لم يمت ، أي حماقة هذه التي فكرت فيها ! لما لا تكوني

مثله لما لا تعامله كما يعاملك ، كيف نست أنه تزوج

بغيرك ، كيف في تلك اللحظة لم تري سواه أمامك

أقسم لو تأخرت زوجته عنا قليلا لكنت ارتيمت في حضنه

باكية ، لما تضعفين يا وسن لماذا وكأنك تنتظرين شيئاً

بسيطا يخبرك أنه لازال يحبك ولازال كما كان حتى

إن كان مجرد اسم لخيل من خيوله

انقلبت على الجانب الآخر أن بوجع وأمسك دموعي

على الأقل لا تخرجي أنتي يكفي ما حدث من حماقات

بقيت على ذلك الحال والوضع لوقت ثم أخذت حبتي

مسكن فقط كي لا يعتاد جسدي على الجرعات الزائدة

ثم غمرت وجهي في الوسادة وبدأت أتمتم وأتحدث عن

كل ما يوجع قلبي علي أخفف عن نفسي قليلا من هذه

الآلام فلم يترك لي قدرتي أحد أتحدث معه

وبقيت باقي اليوم في سجنني وهي هذه الغرفة لم أرى

أحدا سوى راضية التي جلبت العشاء وعادت لأخذ

الأطباق وعند الصباح استيقظت باكرا جهزت نفسي

وخرجت من غرفتي مسرعة أحمل مذكراتي ومعطفي

الطبي وما أن وصلت السلالم حتى كان نواس قادما من

الجهة الأخرى يتحدث في هاتفه فنزلت قبله مسرعة

أركض الدرجات ركضا وما أن وصلت آخر عتبة حتى

سقطتُ المذكرات والأوراق تبعثرت بسبب سرعتي

والذي كنت هاربة منه أصبح خلفي مباشرة وأنا أجمعهم

من الأرض ثم نزل وحمل المذكرة التي اعترضت طريقه

ووضعها على التي في يدي دون أن ينظر لي وتابع

طريقه قائلا " لن أنزل ثانيًا وقت خروجك فلا

تكسري قدمك أو ذراعك المرة القادمة"

وتابع سيره للخارج فتأففت وعدلت تنورتِ وغادرت

أيضا لنفس الجهة ، حتى الهروب منه لا أفلح فيه سامح

الله القدر الذي وضعني عنده أصبح وأمسي به وكأنه

ينقصني رويته وكأنني لم أكن أراه ويحترق قلبي

خرجت للخارج وكان السائق ينتظرني ونواس يتحدث

معه ثم غادر دون أن يلتفت إلي وركب سيارته وخرج

قبلنا ونحن خرجنا بعده على الفور وما أن وصلنا البوابة

حتى دخلت سيارة أخرى فوقف نواس وتلك السيارة

ونزل منها شاب يربط يده بشاش خاص بالفك والشعب

فانفتحت عيناى على اتساعهما ، هذا هو أحزان ملاك

إذا وكان كما قالت طويل بشعر أسود طوله يكاد يفوق
نواس رغم طول نواس ، نظرت للسائق وكنت سأسأله
عنه وتراجعت فهذا الجاسوس سيخبره كما أخبره أني لم
أذهب في الأمس ، أشار ذاك الشاب للسائق أن يجتاز
سيارتيهما ويخرج فانطلق من فوره وخرجنا واستغرقت
المسافة قرابة النصف ساعة وكأنه ينقص الجامعة ملل
لتزداد طريق الوصول إليها طولا وما أن دخلت الجامعة
حتى استقبلتني ملاك قائلة " هل عرفت من يكون"
قلت بتذمر وأنا أدخل وهي تسير بجانبني
"ملاك ما أسخفك هل هذا ما تستقبليني به"
تأففت وقالت " وبما أستقبلك إذا ! أسالك عن همومك
وابن خالتك ومشاكلكم التي لا تنتهي أم عن مزرعته
وخيوله ، أما المحاضرات فلا تقلقي فالحديث عنها
سيكون طويلا ومملا وسنلحق عليه"

استوقفنا طلال قائلا " مرحبا وسن وحمدا لله على سلامتك"

نظرت لملاك بنصف عين فضحكت وقلت له " شكرا لك

يا طلال تعرف كيف تستقبل البشر ليس كغيرك"

ضحك وقال مغادرا " جيد اليوم سنعمل على

رسالتنا المنسية إذا"

تابعت وملاك سيرنا قائلة

"كله بسببي أنا آسفة حقا على تأخرنا"

قالت بابتسامة " أبدا طلال اقترح أن نؤجلها

من أجلك حتى العام المقبل"

قلت ونحن ندخل مبنى الجامعة " سنتابع ما بدأنا به

وننتهي هذا العام ولو متأخرين فعلينا أن نقدر ظروفه"

وصلنا عندها القاعة ودخلت قائلة " ما أن تنتهي

المحاضرة أخبرك عن حزن سنينك"

أمسكت كم بلوزتي وقالت بصدمة

"ماذا !! وتسكتين حتى الآن"

صعدت المدرج قائلة " لا شيء مهم فاتركي

الحديث حتى تنتهي المحاضرة"

ومرت المحاضرة وملاك تتمم بتململ وكأنها تجلس

على الشوك وما أن خرج دكتور المادة حتى أمسكت

يدي وأخرجتني معها مسرعتين حتى وصلنا الحديقة

وجلست وأجلستني أمامها وقالت " أخبريني الآن

قبل أن أموت من الانتظار"

وضعت المذكرات على العشب وقلت " عندما خرجت

صباحا كانت سيارة داخلة للمزرعة ونزل منها شاب

تحدث مع نواس وكانت يده مربوطة بشاش طبي

وكأنه بها شعب أو كسر أو لا أعلم"

قفزت وهي جالسة وضامه يديها لصدرها

وصرخت قائلة " هوا يا وسن هوا"

ضحكت وقلت " أخفضي صوتك يا مجنونة"

قالت بحماس " من هوا وما أسمه وكل شيء"

قلت بضحكة " لم أتحدث معه لأسأله"

قالت بتذمر " وكنت سألت سائقك يا غبية"

قلت ببرود " سأكون غبية إن فعلتها فلا تنسي

أنه ينقل لنواس كل شيء"

رمت مذكراتها من حجرها وقالت باستياء

"والحل الآن"

قلت " يبدوا صديقا مقربا له من وقت دخوله للمزرعة

ونزول نواس من سيارته ليحدثه لذلك قد تفيدنا الخادمة هناك

بشيء لكن أخشى أن تكون ناقلة أخبار لسيدها هي أيضا"

قالت بتذمر " وما في الأمر إن علم"

قلت بصدمة " ما تعني بما في الأمر يكفيني مشاكل معاه"

قالت بهدوء " هل تخشي أن يظن بك سوءا ، أمازلت

تحبينه لهذه الدرجة يا وسن"

نظرت للأسفل وقلت بحزن " ملاك دعينا من هذا

الموضوع وأنا حقا لا أريد مشاكل يكفيني ما بي"

تنهدت وقالت " جربي التحدث معه مجددا"

نظرت لها وقلت بضيق " أبدا ينقطع لساني ولا أكرر

أخطاء الماضي حين كنت أبرر له وألتمس منه العذر

ليصفح عني ، ما كان انتهى يا ملاك ولا مجال لأن

يعود كما كان خصوصا بعدما تزوج"

هزت رأسها بقلّة حيلة ثم قالت بحزن " كنت في الماضي

أشعر بك لكني الآن أشعر بك أكثر بعدما جربت أن أحب

شخصا والكارثة أنني لا أعلم حتى إن كان يبادلني

ذات الشعور أم لا"

ثم وضعت يدها على خدها وتنهدت وقالت

"لما الحب هكذا ؟ لما الرجال لا يشعرون كما نشعر"

قلت بحيرة " لا أعلم وكأنا نحن فقط لدينا قلوب"

ثم نظرت لها وقلت باهتمام " أخبريني الآن ما أبكك

يومها كل ذلك البكاء المخيف"

تنهدت بحزن وقالت بشرود " زارني والدي

وطلب مني أن أتحدث مع والدتي"

قلت بصدمة " أقسمي أنه فعل ذلك"

نظرت لي وقالت " ويا ليت ما فعل تصوري أنهم ينون

تزويجي ، هوا من شقيق زوجته لأنها لا تريد أن أعود

إليها ووالدتي تريد تزويجي من ابن زوجها كي لا أتزوج

شقيق زوجة والدي أو أعود إليهما وعلياً أن أختار أحد

الاثنين شقيقها الصعلوك الفاسد أو ابن زوج والدتي الذي

أقنعه بأني مسكينة لينقذي وهو فاشل حتى في دراسته

وسنعيش معهم فانظري لتعاستي"

تنهدت وقلت " يا لها من مشكلة يا ملاك

وكيف ستتصرفين الآن "

قالت بحزن " لا أعلم وما أن تنتهي دراستي عليا

أن أختار أحد المصيرين المحتمين "

قلت " وصديق نواس ذاك "

ابتسمت ودمعة تترقق في عينيها وقالت " وأخيرا أصبح

له اسم غير أحزان السنين وقريبا سنناديه باسمه "

حضنتها وقلت بحزن " وسأعمل جهدي لنعرفه

لعله ينقذك من مشاكلك "

ضحكت ضحكة حزينة وقالت " يدي على كتفك إذا "

ابتعدت عنها وقلت " وما تخططين له الآن "

رفعت كتفيها وقالت " لم أتصل بالبرنامج منذ أسبوع

فبعد زيارة والدي واتصالي بوالدتي عزلت نفسي من

الحزن ولم أستمع حتى للبرنامج وقررت أن أنساه لأن

مصيري أصبح محددًا لكني ما أن تقابلت معه عند منزل

خالتي حتى طار كل ذلك وكأنه ثمة من أخبره أن ملاك

قررت أن تنسك فإظهر لها وأتعبها فوق تعبها وبعدها
لم أتصل أيضا فأصبحت أستمع فقط والآن صار لي
قربانة الأسبوعان لم أتصل بهم لأقول أنني كنت مسافرة
كي لا يشك أنني من رآها يومها ثم سألعب به لعبة ما أن
تأتيني المعلومات عنه فعليه أن يحبني رغما عنه إن

كان لي شيئا في قلبه أم لا

ضحكت وقلت " لا أعلم أي تعاسة هذه التي جعلتنا صديقتان"

وقفت وحملت مذكراتها قائلة " هيا وقت المحاضرة

اقترب ولا تنسي أن تفعلني ما في وسعك"
رفعت مذكراتي ووقفت فأمسكت يدي وقالت بدراما حزينة

"قال له نواس أن يده والحادث بسبب تهوره في القيادة

أخبريه أن يقود برفق فإن مات سأفقد عقلي"

لم أستطع إمساك ضحكتي فقالت بتذمر

"بلهاء وكأنك لم تجربني الحب يوما"

سحبته من يدها وسرت قائلة " تجربته أكثر منك وأتمنى

أن لا تجربني الجرح مثلي ولا تنتهي نهايتي المأساوية"

ثم تابعتنا سيرنا وقالت " لم تحكي لي ما حدث معك هناك"

قلت ببرود " لا شيء مهم "

تنهدت وقالت " لا تتخلي عن طبعك أبدا يا وسن حتى

تموتي من كبت كل شيء في داخلك "

ابتسمت بحزن وتابعت سيرتي في صمت ... لا أريد

أن أخسرك أنتي أيضا يا ملاك كما خسرت خالتي وفرح

لأنني كنت افتح قلبي لهما حين أشعر أنني أريد أن أتكلم

وها قد ضاعتا مني مثل أمي وأبي وشقيقي وحتى نواس

بقيتي أنتي فقط يا ملاك ولا أريد أن أخسرك

*

*

بعدها غادرت وسن للجامعة بوقت نزلت للأسفل

وتوجهت للمطبخ ، لا أريد أن تراني كرهت نفسي منذ

أن علمت بما بينهما وكرهت نفسي الآن أكثر بعدما رأيت

دموعها بالأمس وهي تصعد ، نظراتهم لم تكن تقول ما

يقوله نواس لم تؤكد كلامه عن الجرح والنسيان وانتهاء

ما بينهما ، لما حضيت هكذا ؟ لما أنا تعيسة وأتعس غيري

دائما كنت كصوت الواقع الذي أعادهما مما كانا فيه ، كم

كان وضعي سخيفا ، ليثها انكسرت ساقي قبل أن نزلت ذاك

الوقت ، وصلت المطبخ وما أن وقفت عند الباب حتى وجدت

وليد يقف معطيا ظهره لي يخفي راضية عني وهي تقول

"نواس لن يرضى يا وليد كيف تذهب وتترك المنزل"

تصاعدت أنفاسي وأنا استمع له قائلا بهدوء

"وجودي هنا أصبح لا محل له من الصحة والمحامي

طمأنني أن قضيتي ستكون رابحة وسأسترجع ولو جزءا

من مال والدي وأضيفه للمال الذي جمعته من عملي

مع نواس وأشتري منزلا مستقلا لي"

تنهدت وقالت " ولما لم ترضى أن يشتريه نواس لك"

قال بسخرية " لست طفلا يا روضة ، أنا رجل إن لم

أبني نفسي فلن أستحق هذه الكلمة"

سقطت دمعتي من عيني لخدي للأرض ، يببوا أنني

لم أضع لتعاستي حجما حقيقيا ، ما الذي لم تريه بعد

يا مي فحتى وليد سيرحل عنك وستحرمين من رؤيته

ولو من بعيد ، سقطت باقي الدموع الواحدة تلو الأخرى

فابتعدت عن الباب وركضت جهة غرفة الجلوس

وأغلقتها خلفي أكمل بكائي هناك

*

*

أنهيت محاضراتي وعملنا كثيرا على رسالتنا وقضيت
وملاك وقتنا في المكتبة من أجل ما فاتني من محاضرات

ولم أغانر من الجامعة إلا بعد العصر بوقت وما أن
وصلنا المزرعة حتى اقترب المغيب ، نزلت من السيارة
وكان نواس يقف عند الباب فمررت من أمامه في صمت
فأمسك ذراعي ودخل بي وتوجه للسلام وصعد يسحبني
معه في صمت وأنا أحاول تخليصها منه ودون فائدة
حتى قلت " أتركني يا نواس ماذا تريد مني "

لم يتكلم حتى وصلنا للغرفة التي في ممر غرفتي فتحتها
وأدخلني لها وأغلق الباب لأكتشف أنها غرفة مكتب
أدارني ناحيته وترك ذراعي وقال بحدة " إن كنتي
تريدين التمرد والعصيان ومضايقتي بأفعالك فأقسم

أنك حققت غرضك "

قلت بغضب " توقف عن رميي بالباطل ولما كل هذا الانفعال "

لوح بيده وقال بغضب " أين حتى الآن يا سيدة الدلال

ولا تجيبين لا على رقم السائق ولا على رقمي"
مددت له بيدي وفيها المذكرات وقلت " أظن أنه لا أحد
يذهب للبارات والنوادي الليلية بمذكراته ومعطف
التمريض يا سيد نواس واسأل عني في الجامعة
لتعرف متى دخلت ومتى خرجت"
مرر أصابعه في شعره وكأنه يحاول تهدئة نفسه ثم
قال بضيق " لما لم تجيبي على الهاتف وأي جامعة
هذه تبقى فيها حتى يقترب الليل"
أمسكت إحدى المذكرات ورميت البقية على الأرض
وفتحتها وأخرجت منها الأوراق ورميتها بقوة معهم
وأرسته تواريخ ومواقيت طباعة الورق فيهم وأنا أقول
"تأكد يا ابن خالتي هذه عند الرابعة والربع"
ورقت أكثر وقلت " وهذه عند الخامسة وهذه عند
الخامسة ونصف أي قبل خروجي بنصف ساعة"
رميتهم على الأرض أيضا وفتحت حقيبتني وأخرجت
بطاقة المكتبة وأرستها له وقلت " وهذا وقت استعرت

الكتاب عند السادسة أي وقت خروجي من الجامعة"

وأخرجت له ورقة فتحتها وأريتها له وقلت

"وهذا تسجيل حضوري لمحاضرات اليوم

فهل تأكدت أين كانت سيدة الدلال"

قال بحدة " أنا لم أقل أنك خرجت من الجامعة

أنا أقول لما تتأخرين كل هذا الوقت"

كتفت يداي لصدري وقلت ببرود " أخبرت السائق

أني قد أتأخر بسبب رسالة التخرج والمحاضرات

التي فاتتني فلما لم يخبرك بهذه أيضا"

قال بنفاذ صبر " لما لم تجيبي على هاتفك"

أخرجته من حقيبتي ومددته له وقلت " خذ وتأكد أنه على

الوضع الصامت لأنه في المكتبة لا يسمح بضجيجهم"

رفع رأسه للأعلى وضربه على الباب عدة مرات يتنفس

بغضب ، أقسم أنه يمسك نفسه بصعوبة ولو يعطيها العنان

سيضربني بدون شك ، نظر بعدها لي وقال بغضب

" هل تعلمي كم مرة ذهبت للجامعة لأرى إن كنتي في

الداخل ومنعوني من الدخول وجن جنوني لأن صديقتك

أيضا هاتفها مقفل ، لما لا تفكرين أن لك أهلا تخبريهم

على الأقل بأنك ستتأخرين ولو أخبرتني ما وافقت

هذه المهزلة ، لما تعشقين إتعابي يا وسن لما

قلت بحرقه " أنت جلبت التعب لنفسك فتحملة"

قال بغضب أشد " وهذا غرضك أن أتركك تعيشين

كما تريدن ، أن أتعب من تصرفاتك الهوجاء وأخرج

من حياتك ، لا يا وسن لا تفكري في هذا لأنك ستتعبين

أنتي وصية والدتي وأمانتها ولن تتخلصي من نواس

الجلمود الظالم المنتقم مهما حاولتي"

ثم أشار بإصبعه للأرض وقال بحدة " هنا ويا وسن

هذا مكانك رضيت بهذا أم كرهته"

قلت بجمود " نعم علمني أكثر كيف أكرهك يا نواس"

نظر لي بصدمة وسمعنا طرقات على الباب وصوت

زوجته قائلة " نواس توقف عن هذا وأخرج الآن"

ففتح الباب وخرج وتركني فسمعتها تحدثه بصوت

منخفض لم أفهمه ثم تحدث هوا بحدة وقال مبتعدا

"مي أخبرتك منذ البداية أن لا تتدخلني"

ثم ابتعدت خطواتهم وتركاني وحدي ، نظرت للأرض
حيث مذكراتي وأوراقي ... ليثني أستطيع رمي مشاعري
مثلهم ليثني أنسى ولو حبك يا نواس فجرحك أعلم أنه لن
يُنسى ، ليثني مت بدلا عن ماتوا أو سافرت بدلا عن
سافروا وما بقيت لقسوتك وشفقة زوجتك علي
جمعت مذكراتي وأوراقي وخرجت من مكتبه ودخلت
غرفتي ورميتهم على السرير بقوة ثم توجهت للحمام
توضأت وصليت المغرب الذي أقيم الآن ثم عدت
للحمام أطفئ النار بداخلي بالماء ، استحمت مطولا
وخرجت ووجدت الطعام في الغرفة ، تركته وتوجهت
للنافذة وفتحتها على وسعها وأطفأت النور وعدت ناحيتها
كنت أريد هواءً نقياً لأنني أشعر بكم هائل من الاختناق
كان الرجال في الأسفل يعيدون الخيول للإسطبلات فراقبت
عيناى عنوة تلك الفرس البيضاء يدخلها أحدهم لإسطبل
منفرد عن البقية وحتى شكله من الخارج لا يشبههم
بعدها خفت حركتهم حتى اختفوا ولم يبقى سوا السكون

والظلام فسحبت الطاولة المرتفعة هنا حتى صارت عند
النافذة وجلست فوقها واتكأت على حافة النافذة أراقب الليل
والنجوم بشرود وحزن ووحدة لم أعشها إلا الآن وهنا
مر وقت طويل وأنا على حالي حتى طرق أحدهم الباب
ودخل فالتفت له فكانت راضية فعدت متكئة كيفما كنت
فوصلني صوتها قائلة " لم تتناولي شيئا من طعامك"
قلت بهدوء " شكرا لك يا راضية أكلت في
الجامعة ولا رغبة لي"
ساد الصمت لوقت حتى ظننتها خرجت ثم وصلني
صوتها هادئا " لا تغضبي من نواس لم أره غاضبا
حياتي هنا إلا مرات معدودة جدا وكان قلقا عليك بشدة يدخل
ويخرج من باب المنزل كالمجنون وردة فعله طبيي"
قاطعتهما بهدوء " أفهمك يا راضية وشكرا لك على كل شيء"
تنهدت وحملت الصينية وغادرت وأغلقت الباب
ابتسمت بألم على كلامها ، هكذا هم الرجال لأننا هكذا
نحن النساء وصمة عار قد تدنس شرف الرجل بسهولة

وإلا ما قلق عليها تأخرت أو باتت خارج المنزل

هوا خائف على نفسه وشرفه وسمعته فقط

تركت النافذة مفتوحة وتوجهت لمذكراتي جمعهم

وجلست أراجع ما كتبتة اليوم وما قمت بسحب نسخ

عنه مما فاتني من محاضرات حتى مر أغلب الليل

وسكن المكان أكثر فوقفت وعدت للنافذة مجددا لتسافر

عيناى من فورها لذاك الإسطبل بالتحديد ، ترى لما هي

معزولة عن البقية ولما تشغل بالي وتفكيري طوال

الوقت ، إن كان يكرهني كل هذا القدر لما لم يغير اسمها

توجهت جهة حجابي أخذته ولففته حول شعري وخرجت

من الغرفة ونزلت وكان المنزل ساكنا وكأن لا أحد فيه

فبالتأكيد الجميع نيام الآن ، توجهت للمطبخ ونظرت

من نافذته فكانت سيارة نواس في الخارج وهذا يعني

أنه في الأعلى ، خرجت من المنزل ولففت حوله يسارا

حتى وصلت الإسطبلات لتقودني قدماي مباشرة لإسطبل

تلك الفرس ، رفعت الخشبة التي يغلقون بها الباب وفتحته

ودخلت لتقع عيناى في عينيها مباشرة تنظر لي بتركيز

دون حراك وكأنها بشرية وعرفتني

نزلت أخطوا بقدماي جهة غرفة والدتي لتغير أذناي طريقهما

حيث صوت حركتها في المطبخ ، وقفت عند الباب ووجدتها

تحرك ما في القدر وتبعد الغرة عن عينيها بذراعها وتتأفف

لأن يداها متسختان ولن تستطيع لمسها بهما فقلت بابتسامه

"ما كان عليك أن تطيعي والدتي ها قد سببت لك مشكلة"

نظرت ناحيتي وقالت بحزن " ليست جميلة أليس كذلك"

دخلت وفتحت الثلاجة وقلت وأنا آخذ علبة عصير

"بلى جميلة"

توجهت نحوي وضربتني بمرفقها وقالت

"أعدها فوراً ولا تشرب قبل الغداء"

أعدتها وأغلقت الثلاجة ووقفت مستندا عليها مكثفا يداي

لصدري وقلت بابتسامه " أي أوامر أخرى أنسة سما"

رفعت رأسها وقالت " أجل أبعدها لي حلف أذناي

لأعرف كيف أرى وأتحرك معها"

كنت سأبحث لي عن حجة لأتهرب من هذا حين وجدت
عقلي يضحك من أفكاري ... نزار هذه ليست أكثر من طفلة
كيف تفكر أنها قد تحرك مشاعرك بكيفيك ما رأيت من هذا
أنت رجل راشد وعقل هل تظن أن مشاعرك ستتغلب عليك
مددت أصابعي وجمعت جانب منها في طرف ودستها
خلف أذنها وكأني أختبر صدق وكذب أفكاري بل وكأني
أحاول تكذيب الصوت الذي ينادي باسمها في داخلي
والدليل أنني كنت أهرب بعيناي عن وجهها وما أن مررت
أصابعي في الجانب الآخر منها حتى وجدت نفسي لا
شعوريا ألعب بشعراتها الحريريّة بينهم وكأني أفرزها
خصلة خصلة لتنتقل عيناى لعينيها وتضيعان هناك وما
كانت ثواني إلا وهربت بهما ولعبت بأصابعي في غرتها
بابتسامة ماكرة أحركها بقوة وبعثرتها لها في كل اتجاه
ضحكا وهي صرخت متذمّرة وابتعدت عني ورمت الملعقة
في المغسلة وفتحت الصنبور وبدأت بغسل يديها قائلة
بضيق " شكرا على المساعدة اذهب لغرفة والدتك

حالا ولا تأتي ثانيتا"

لكني انتقلت جهتها وبدأت بإخراج الأطباق قائلاً

"هذا لكي لا تطلبي مني مساعدة مرة أخرى"

قالت وهي تعود جهة القدر " حرمت فعلها ثانيًا"

نظرت لها واتكأت على طرف الخزانة وقلت

"سأشتري لك قوس شعر تستخدميه في المطبخ"

فقط لا تطرُدني ثانيًا"

ضحكت وهي تحرك القدر ثم أغلقته وقالت وهي ترفع

الملعقة من الأرض " جميل أنا الراححة في النهاية"

ثم توجهت للمغسلة وعيناها تتبعانها غسلت الملعقة

بالصابون والماء فقلت بابتسامة " ولما تغسلينها وأنتي

تنظفين الأرضية قرابة العشر مرات يوميا"

نظرت جهتي ووضعت يداها وسط جسدها وقالت بضيق

"لا تقل أنك توقع الملاعق وتكمل بها الطبخ"

دون أن تغسلها ونحن نأكل"

رفعت كتفائي وقلت مبتسما " أغلب الأحيان"

فتحت فمها من الصدمة فقلت ضاحكا

" لا ... أقصد أحياناً"

أمالت فمها جانبا بعدم رضا لتظهر إحدى غمازتيها

اللتان لا تظهران إلا وقت تضحك فأملت وقفتي وابتسمت

ابتسامة صغيرة وقلت " هل أخبرك أحدهم من قبل أنه

لديك غمازات لا تظهر إلا حين تضحكين"

وضعت يدها على خدها ثم حركت أصبعها عليه

وقالت " أين هنا"

ضحكت وقلت " لا أضحكي وسأريك أين"

قالت بعبوس " نزار لا تسخر مني"

قلت مبتسما " لا اسخر منك أبدا"

وسعت ابتسامته وبدأت تبحث بإصبعها وأنا أضحك ثم

تركنتي وتوجهت للثلاجة قائلة " كاذب وتسخر مني"

قلت وأنا أراقبها " أسألي والدتي لتتأكدي"

أخرجت صحن السلطة وقالت وهي تتوجه به للطاولة

"لما لم تفكر أن تسافر أنت وخالتي بالمال الذي جمعته وتدرس

هناك وتعمل ستكون طريقة أيسر من جمع المال للعملية"

نظرت للأرض وأشعر أنني كنت في عالم غير واقعي

وأعادتني إليه ثم قلت بشرود " فكرت في هذا لكنه صعب

سأكون أغلب النهار خارج المنزل إما في الجامعة

أو في عملي ووالدتي ستبقى وحدها"

تهدت وقالت بحزن " لما أنت وحدك من بين البشر

مشكلتك لا حل لها رغم أنك تستحق أكثر منهم

أن تكون مهندسا مشهورا"

ثم عادت جهة الثلاجة وقالت وهي تخرج علب العصير

"والدتي رحمها الله كانت تقول لي أن الله لا يفعل لنا أمرا

إلا فيه خير فعلينا أن نحب حتى الشر من أقدارنا

فقد يكون باطنه خيرا"

ثم التفتت لي تحضن علب العصير وقالت بحيرة

"لم أكن أفهم هذا كثيرا فهل ينطبق عليك فيما

حدث معك وعليما مررت به"

ابتسمت بمشاعر لم أعرف تفسيرها وهربت بنظري عنها

مجددا وقلت بهدوء " نعم فأنا إن سافرت منذ سنوات ولم

أدرّس في الثانوية ما التقيت بك وعلمت عن قصتك"

اقتربت من الطاولة وبدأت بوضع العلب في الصينية

وقالت ونظرها عليهم " وهذا خير لي أم لك أم لكلينا"

لم أستطع إجابتها فرفعت رأسها ونظرت لي وكأنها

تنتظر الجواب فابتعدت ووليتها ظهري وفتحت رف

الخزانة وقلت وأنا أخرج الكؤوس منها

" الأيام ستكشف لنا هذا يا سما"

أطفأت النار على القدر وأخرجت الصينية من الفرن

قائلة بحزن " أتمنى أن لا تكشف لنا شيئا سيئا أكثر"

ابتسمت ولم أعلق وساعدتها في ترتيب الطعام حتى

أدخلناه غرفة والدتي وخرجت سما وعادت بعد قليل

وفي يدها شيئا أصفر لامع وتوجهت جهة والدتي

وجلست أمامها ومدته لها ثم أنزلت رأسها قائلة

" امسكيها لي بالمشبك ستضايقتي كثيرا"

أخذته منها وقلبه أمام وجهها وقالت بحيرة

" يبدووا من الذهب أليس كذلك"

رفعت رأسها ونظرت لها وقالت " نعم والدي

اشتراه لي في آخر عيد ميلاد لي قبل أن يموت"

أنزلت لها رأسها وجمعت لها غرتها للأعلى وأمسكتها
به قائلة " لا تخبري أحد أنه من الذهب يا سما اتفقتنا"
رفعت رأسها لتتنزل الخصلات القصيرة كلها على
جبينها وأطرافه لتجعلها أجمل مما كانت مفتوحة وقالت

"ليس لدي غيره وأتعبتني وأنا أطبخ"

ثم نظرت جهتي وقال بضيق " وابنك لم يساعدي

في إبعادها وسخر مني أيضا"

ضحكت والدتي ونظرت لي نظرتها الخبيثة تلك

وقالت " وأنا من كنت أظن أنه في الخارج وهو كل

هذا الوقت مرابط عندك"

نظرت لها بضيق فتجاهلنتني وعدلت جلستها حيث طاولة

الطعام وجلست سما مقابلة لي وبدأنا الأكل في صمت

حتى قالت والدتي " أين حسام لم نعد نراه من مدة

ولم يتصل بي أيضا كعادته"

نظرت لها باهتمام يتصل إذا ! بقيت تنظر لي

تنتظر جوابي فعدت بنظري للطبق وقلت ببرود

"تشاجرت معه أول أمس حين ذهبت بالخرائط"

وما أنهيت جملتي إلا وعيناى تراقبان سما التي نظرت

لي باستغراب وقالت أمي بصدمة " ولما تتشاجر معاه"

قلت ونظري لم يفارق سما " موضوع سخيى وزاده سخفا

ثم توافق علي وتشاجرنا فلا تنتظريه لأنه لن يأتى"

حولت سما نظرها عني وشغلته بالعصير الذي تسكبه

في كأسها ولم تعلق وقالت أمي بضيق " وهل أنت صغير يا

نزار تتصرف هكذا ، لم أعرفك ممن يتشاجرون مع الناس"

قلت ببرود وأنا آكل ملعقة أرز " هوا المخطئ كان

عليه احترامى فأنا الأكبر منه وليس هوا"

قالت " وما سبب الشجار"

قلت بذات برودي " لا شيء مهم"

قالت بحزم " نزار"

نظرت ناحيتها فقالت بجدية

" من أجل الموضوع نفسه أليس كذلك"

عدت بنظري لطبقي وتابعت الأكل دون تعليق فقالت

" لا تصعد لغرفتك بعد الغداء سنتحدث قليلا"

تنهدت بضيق وقلت " أمي أنا لست طفلا أمامك

تعامليني بهذا الشكل وأعرف جيدا كيف أتصرف

وأعرف الخطأ من الصحيح"

اكتفت بالصمت ووقفت سما وقالت والدتي

" ما بك يا سما أنهي طعامك"

قالت مغادرة " شبعت"

وخرجت من الغرفة وعيناها يتبعانها ، هوا حسام إذا

وتصرفها هذا يؤكد ذلك ، قالت أمي بصوت منخفض

" هل فتح معك موضوع سما مجددا"

لا أعلم لما أشعر بكل هذا الضيق وزاده كلام أمي

الآن فقلت بحدة " أمي انتهى الأمر ولي حديث

فيه مع سما لترتاحي"

قالت ببرود " لم أفهم"

نظرت لها وقلت بضيق " ليست مشكلتي"

قالت بضيق أكبر " ما بك كنت منذ قليل تضحك وتبتسم

وتلعب بنظراتك هنا وهناك فما أشعل قلبك الآن"

قلت بصدمة " أمي ما معنى ما تقولينه"

جلست على سريرها رافعة ساقيها عليه وقالت ببرود

"لا شيء خرّفت فقط"

تأففت ووقفت وتركت أنا أيضا هذا الغداء الذي تركه الجميع

وتوجهت للمطبخ فوجدت سما تمسح دموعها هناك فوقفت

مصدوما لوقت ثم اقتربت منها وقلت

"سما إن كان حسا"

قاطعتني قائلة " لا تتشاجر معه بسببي لتتشاجر مع

خالتي وأكون أنا السبب أرجوك نزار"

بقيت أنظر لها بصدمة ، لقد فهمت الموضوع إذا

لكن حزنها وبكائها لأجل شجاري ووالدتي أم

لأجله ، أبعدت يدها عن وجهها وقلت بهدوء

"هل شجاري ووالدتي ما يبكيك"

نظرت لي وقالت بعينان دامعتان " أنتم عائلتي وأكره

أن أكون السبب في خلافاتكم ككل مرة وفي نفس

الموضوع ، لا أريد أن أتزوج فقط لا تتشاجرا"

أخفضت نظري وقلت مغادرا " لن نتشاجر لا تقلقي"
عدت جهة غرفة والدتي وأخرجت هاتفي وناديت على
سما بصوت مرتفع فجاءت هي أيضا واتصلت بحسام
أمامهما وما أن فتح الخط حتى قلت " اكتشفت أن والدتي

تحبك أكثر مني وخاصمتني للتو لأنني أخبرتها أننا

تشاجرنا أول أمس"

ضحك وقال " معها حق ويفترض بها أن ضربتك

على رأسك أيضا"

قلت باختصار " وقح"

ثم أغلقت الخط وعيناي تراقبان سما التي توجهت

للطاولة تجمع الأواني من عليها بلامح دون أي تعبير

يمكنني فهمه أو تفسيره وها أنا لم أجنبي شيئا سوا توبيخ

والدتي لي ، نظرت جهة والدتي التي قالت ببرود

"ولما تلك التمثلية السخيفة إذا"

جلست على الكرسي وقلت " لم تكن تمثلية تناقشنا

فعلا نقاشا قويا لكننا لم نتشاجر"

قالت ببرود " المهم لم تتشاجرا"

أخذت قطعة جزر من الطبق وقلت " فقط"

أمسكت المذياع وقالت " فقط"

غريب لم تقل اسطوانتها القديمة عن أن القرار لسما

وأن عليها أن تجد من ينسيها ما هي فيه وووو ، يبدو

أن ثمة قصة ما وراء والدتي ولا طريقة لدي لكشفها

ترى أكون ذاك الشخص ليس حسام لهذا أمي لم تهتم

وقفت على رنين هاتفي برقم غريب ودخول سما قائلة

"نزار هل لي بطلب"

نظرت لها بصمت فقالت " أريد زيارة بتول"

هزرت رأسي بحسنا وقلت وأنا أفتح الخط " سنرى"

خرجت وصعدت السلالم وأنا أجيب قائلاً " نعم"

قال الصوت الرجولي في الطرف الآخر

"نزار الأحمدى معي"

قلت وأنا أدخل الغرفة " نعم وصلت"

قال من فوره " أنا أدعى نواس من طرف معتصم حلمي"

أغلقت الباب وقلت " تشرفت بمعرفتك هل يمكنني خدمتك بشيء"

قال " معتصم مدحك لنا كثيرا ولدي مزرعة خيول بنيت
بها إسطبلات جديدة مؤخرا غير القديمة وأريد أن أجري
توسيعا وثمة مشاكل تواجهني وأخشى من غيرها مستقبلا
وبما أنك مهندس أريد مخططا للتوسيع على مراحل

أرجع له كلما أردت ذلك"

جلست على السرير وقلت " ما مدى ثقتك في عملي فلا

شهادات خبرة لدي ولم أعمل بشهادتي سابقا"

قال من فوره " أثق بك وسأرى أفكارك"

كنت سابقا أرفض مباشرة لكني الآن لم أفكر في التراجع

حتى حين قرأت رسالة جابر التي أخبرني فيها أنه سيوكلني

لرسم مخطط لمسبح في حديقتهم ، لم أتخيل أن كلمات بسيطة

منها ستشعل حماسي رغم أنهم قبلها في تلك الشركة مدحوا

عملي كثيرا ، قلت " أريد مساحة المزرعة والإسطبلات

وعليا زيارتها ويمكنني عمل ذلك لك بكل سهولة"

قال بصوت مبتسم " اتفقنا إذا هل أرسل من

يحضرك أم لديك سيارة"

أخرجت دفترا وقلم من الدرج بجانبني وقلت

"لدي سيارة أعطني العنوان فقط"

أخذت منه العنوان ودونته لدي وقال

"والسعر سيرضيك المهم أن يكون كما نريد"

أعدت الدفتر والقلم للدرج وقلت وأنا أغلقه " لن نختلف

في هذا الأمر المهم أن يعجبك مخططي ثم نتفق"

قال من فوره " إذا أعلمني قبل قدومك لأكون في انتظارك"

قلت مبتسما " بالتأكيد سيد نواس ووداعا الآن"

أنهيت الاتصال معه ولم أخف من الفشل هذه المرة كما

في الماضي ، سأعمل جهدي على هذان المشروعان حتى

ينتهي ويكونان كأول خطوة لي لعلي أكمل دراستي يوما

وأحقق حلمي ولو بعد حين فكما قالت سما من يشعر

بالهزيمة ويستسلم هو الفاشل حتى لو كان بشهادة عالية

سما يا سما ماذا تريدين من رأسي أخرجي منه هيا

*

*

بعدها أنهيت أعمال المطبخ توجهت نحو غرفة خالتي وقفت

عند الباب وقلت " سأصعد لأدرس هل تحتاجين شيئاً"

قالت مبتسمة " لا ولكن أريد أن أعلم فقط سبب هذه

الملاح الجميلة الحزينة"

نظرت للأرض وقلت بحزن " لا شيء"

وصلني صوتها المبتسم قائلة " تبدووا هذه الغرة

وجهها سيء عليك"

نزلت دمعتي ومسحتها في الفور فقالت

" ما بك يا سما"

نظرت لها وقلت " لا تتشاجري ونزار بسببي لا

أريد أن أتزوج أحدا فقط لا تتشاجرا"

قالت بابتسامة جانبية " ولا من ذاك الذي تحبينه"

نظرت للأرض وقلت بحزن " ذاك بالتحديد

لن يفكر في الزواج بي أبدا"

ثم غادرت من عندها وصعدت السلالم ركضا حتى

دخلت غرفتي أمسح دموعي وتوجهت من فوري

لمكتبي لأشغل نفسي بحفظ الدروس فعليا أن أجتهد

أكثر لأكون جاهزة وقت الامتحانات

وما أن مر بعض الوقت حتى عاد يشغل بالي فرميت

بالكتاب والقلم واتكأت على ذراعي فوق طاولة مكتبي

الصغير ، لما أحبه وهوا لا يشعر بي ؟ لما وحدي أملك

كل هذه المشاعر وكلما تحدث عن حسام شعرت بالضيق

لأنه لا يرى أنني أصلح للزواج ومخافة أن يقول أنه يوافق

زواجي منه لأتأكد حينها أنني لا أعنيه في شيء ، عدلت

جلستي مجددا وأمسكت كتاب الرياضيات وحاولت فيها

مجددا كي لا أطر للذهاب إليه لغرفته

لا أريد أن أكون كُردين وينظر لي كما نظر لها فراس

وضعت طرف القلم على شفتي وفكرت لو أنها ستتزوج

كيف ستكون حياتهما ، هي في نفس عمر جوري ووالد

جوري يرفض زواجها قبل أن تنهي دراستها ، يبدوا كنزار

تماما ، هذا وهي في التاسعة عشرة فكيف إن كانت مثلي

أصغرها بأربع سنين ! لكن رياض لم يمانع زواج رُدين فهل

لأنه ليس والدها !! آه يا سما أنتي علتك ليس في رفض نزار

تزويجك فقط بل لأنه هوا نفسه من تريدين الزواج به فهل

ستقولين له لا علاقة لك بي أتزوج متى أريد ثم تقولين له

تزوجني رغما عنك ، رميت القلم وأمسكت خدائي من

الإحراج ... سما هل تدريكي معنى أن تتزوجي به ؟ وماذا

عن كل تلك الأمور ، يا إلهي لا أعرف كيف تتزوج الفتيات

وكيف ستتزوج رُدين من فراس وهي تكرهه ، وضعت

يدي على خدي وتنهدت بقلة حيلة ، إن كان الزواج هوا

السبيل الوحيد لأكون معه فلا بأس ، سندات وجهي بيدي

الأخرى أيضا وسبحت في الأفكار ترى هل من تتزوج

شخصا تنام في حضنه ؟ مؤكد تفعل ذلك ... آه مابه حضني

أنا لما لا يتزوجني فقط لأنام في حضنه ، تأففت من أفكاري

وعدت لأتكئ على الطاولة ذراعي ممدودة فوقها ورأسي

عليها وأمسك بيدي الأخرى القلم أخط به اسمه في هامش كتابي

وكتبت أمامه (أحبك يا أحمر) ثم أغلقت الكتاب وجلست

وأخذت الكراسة وكتاب الرياضيات وخرجت ووقفت أمام

باب غرفته وطرقت الباب طرقات خفيفة فوصلني

صوته قائلا " أدخلني يا سما"

جيد أنه لا فراس هنا لكان قص لي ساقاي ، طرقت
مرة أخرى ففتحه لي بعد قليل ونظر للكتاب في يدي

ثم دخل قائلاً " تعالي يا سما أدخلي "

وقفت عند الباب وقلت " انزل معي لغرفة

خالتي لتشرح لي مسألة لم أفهما "

التفت من فوره ونظر لي باستغراب ثم قال

"سما هل تخافين مني " !!

بقيت أنظر له مصدومة ثم دخلت وقلت

"نزار لا تفهم الأمر كما يحلو لك أنا فقط أشعر

بأنني أخطأ لأنني أدخل عليك غرفتك"

جلس على الأريكة وسحب الطاولة جهته

وقال " تعالي وأغلق الباب"

رفعت كتفائي وأغلقت الباب ودخلت ، يبدوا لي نزار

كأشرف لا يهتم ، لكن ترى هل هوا مثله يكلم فتيات ويخرج

معهن ، رميت كل تلك الأفكار من رأسي واقتربت وجلست

بجانبه وكأني أتعمد الاقتراب منه لكني حقا لم أستطع منع

نفسي ، أخذ مني الكتاب والقلم وفتح حيت أضع

الكراسة وقال " مؤكّد هذه هي التي لم تفهميها"

نظرت له وقلت " كيف علمت" !!

ثم زحفت قليلا مبتعدة عنه ، يالي من حمقاء ما كل

هذا الالتصاق به ، وضع الكتاب على الطاولة وقال

مبتسما " لأنها المسألة الأصعب في هذا الفصل بأكمله"

أمسك بالقلم وبدأ يشرحها لي فقلّصت المسافة التي ابتعدت

فيها وحاولت أن انتبه معه كي لا يسألني فيما كنت أشرد

انتهى منها ثم رفع رأسه وقال " سأختبرك بوحدة

دون أن أسألك فهمتي أم لا"

اتكأت بطرف جبيني على يدي مسندة لمرفقها على

الطاولة ونظري على الكتاب وقلت " حسنا"

كتب واحدة ودفّع بالكراسة نحوي وقال

" هيا أرني شطارتك"

أمسكت بالقلم وبدأت بحلها بالخطوة وأنا أحك جبيني كل

حين لأن الشعرات التي لم يمسكهم المشبك من الغرة

تخربشني ثم تأففت ورفعت نظري ثم سويت جلستي

وقلت بضيق " نزار هذا أنت تفعل هذا"

ضحك وقال " حين كنت أتكلم لاحظتكم يتحركون مع

حركة تنفسي فاخبرتهم هل ظني صحيح أم لا"

أخذت الكراسة وابتعدت عنه قائلة

"انفخها من هنا الآن إن استطعت"

وضع ساق على الأخرى واتكأ بذراعه على

ظهر الأريكة وقال " من له شعر حريري

هكذا كشعرك والدتك أم والدك"

قلت وأنا أكمل حل المسألة " كلاهما"

ضحك وقال " لهذا هوا هكذا يكاد يختفي"

تابعت الحل ولم أعلق على كلامه فوصلني

صوته قائلا " ومن له عينان زرقاء"

قلت باختصار " والدتي"

قال من فوره " حسنا والغمازات"

نظرت له وقلت " نزار أتركني أركز"

قال مبتسما " حسنا ركزي"

ثم وقف وتوجه جهة خزائنه فتح بابها ولم أرى ما

يفعل طبعا ثم قال بعد قليل " وأي لون في العينين يعجبك"

آه لو كان بيدي لقلت الرمادي ، قلت دون أن أرفع

نظري عما أفعل " لم أفكر في هذا يوما"

ثم رفعت نظري له فكان واقفا عد الخزانة مستند بيده

عليها وينظر لي فتابعت وطرف القلم على خدي " حين كنا

في الهند كانت الفتيات الهنديات في المدرسة يناديني بالقطعة

بسبب لون عيناى لأنهم بالطبع ليس لديهم هذا اللون إلا نادرا

وكنت أكره ذلك كثيرا حتى أني كرهت لونهما وكنت أتذمر

دائما وأقول لأمي لما ليس لون عيناى كوالدي وسامي عسليا"

ثم تابعت وقد عدت للكتابة " لكني حين صرت في الإعدادية

لم أعد أهتم لكلامهم لأن الكثيرات أصبحن يمدحن لون عيناى

ويتمنيهنه ، التفكير لدى الفتيات في تلك المرحلة مختلف

كثيرا عن الأطفال أليس كذلك"

وصلني صوته قائلا " نعم وعند الثانوية يزداد سوءا

فلا يهتمن حينها سوى بشكلهن وجمالهن والمظاهر

والشكليات والغراميات المتغيرة كل وقت"

رفعت نظري له مصدومة وقلت باعتراض

"غير صحيح"

ابتعد عن الخزانة ووقف عند النافذة موليا ظهره لي

ولا أفهم لما ثم قال " بلى إلا إن كانت فتاة غير طبيعية"

بقيت أنظر له بحزن بل بألم في قلبي ثم قلت بأسى

"لماذا يا نزار"

التفت لي ونظر لي بتركيز أو حيرة أو لا أفهم فأخذت

الكتاب والكراسة ووقفت مغادرة حين استوقفني

صوته قائلاً " سما لم أقصد جرحك بهذا لكنها مرحلة

طبيعية حتى نحن الشباب مررنا بها في ذات السن"

لكني لم ألتفت له ولم أتحدث وخرجت من عنده

ونزلت لغرفة خالتي فكانت نائمة فجلست هناك أكمل

حل المسألة وبعد قليل وقف نزار عند الباب فقلت بصوت

منخفض ونظري بعيد عنه " لا تتكلم معي أنا غاضبة

منك ولا أريد التحدث معك"

ضحك ضحكة منخفضة وقال " تلك حقيقة

يا سما لما أغضبتك"

تجاهلته وعدت لحل المسائل على صوت خالتي

من نومها قائلة " هل أذن العصر"

قال نزار " لا قليلا بعد"

قالت " وما تفعلان هنا إذا"

ضحك وقال مغادرا " ما هذه الطردة المعتبرة"

ثم سعد لغرفته ولم نره إلا نازلا بعد وقت ووقف

عند الباب وقال " سأغادر لقصر جابر وقد أتأخر"

ثم قال " سما سأخبره أنك تريدان زيارة بتول"

لكني لم أجبه ولم أرفع رأسي عن صحن العدس في يدي

فقال بضحكة " أمي ... تقول أنها غاضبة مني فجدي لها حلا"

قالت خالتي ببرود " من عقدها يحلها ما دخلي أنا"

قال مغادرا " إذا لن أرجع للمنزل حتى تتصل بي

وتخبرني أنها لم تعد غاضبة"

ثم لم نسمع سوا صوت الباب يغلق خلفه وقالت خالتي

مبتسمة " هؤلاء الرجال لا أحد أخبث منهم يعرفون

كيف يجعلون المرأة تعتذر وهم مخطئين"

قلت ببرود وأنا أحرك حبات العدس بأصابعي

"سيعود عندما يغلبه النعاس"

ضحكت وقالت " نعم ابق على رأيك ولا

تدعيه يتغلب عليك"

رفعت نظري لها وقلت بحزن " كيف يقول أن من في

سني تفكيرهم في الشكليات فقط والغراميات التي تتغير

باستمرار وأنه من ليست كذلك لن تكون طبيعية"

ضحكت وقالت " هكذا إذا ، يستحق أن تغضبي منه

ولا تتصلي به ولو نام خارجا وإن عاد سوف نسخر

منه ونقول أن الراشدين مثله ليس لديهم كلمة

ويتراجعون عن قراراتهم"

قلت بجدية " نعم سنفعل ذلك"

وأكملنا باقي اليوم وتناولت وخالتي العشاء بما أن نزار

سيتأخر كما قال وبعدها انتهيت من أعمال المطبخ

عدت عند غرفتها وقلت " لما لا نقرأ روايتنا بما

أن نزار سيتأخر في قصر جابر"

قالت مبتسمة " معك حق فإن انتظرنا حتى

يرجع وينام سنسهر كثيرا"

أخذتها منها وجلست وقلت بابتسامة

"متشوقة جدا لما سيحدث"

قالت مبتسمة " وستعرفين الآن فأقراي هيا"

فتحت حيث توقفنا وقرأت ((بقيت أنظر له دون جواب

وهوا ينظر لي منتظرا أن أقول أي شيء ثم أخفضت

بصري وقلت " لن يوافق"

قال من فوره " أعطني رأيك فقط ولا تفكري في الأمر"

لذت بالصمت فقال " خذي وقتك وفكري يا رُدين وستبقي

ابنتي تحت أي ظرف وتحت سقف أي منزل ولن

أتخلى عنك ما حييت"

بلعت ريقِي وقلت " موافقة"

لست مقتنعة أبدا بهذا لكن مظهري سيكون سخيفا جدا

حتى إن قلت سأفكر فكيف سأنسى كل ما فعله من أجلي

حتى أنه وبخه فقط لأنه أبكاني والأعظم من ذلك أنه لم

يوافق خطبة جوري لوانل حتى أختار أنا أحدهم فكيف

أكافأه أن أرفض أول طلب يطلبه مني ، أمسك يدي وقال

"رُدين لا تجبري نفسك بل افعلي ما أنتي مقتنعة به"

قلت بتبات " لن أغير رأي وما تراه أنت خير لي سأفعله

ولا أريد مخالفتك ما حييت"

شد على يدي بقوة وقال " لن تندمي يا رُدين فأنا أعرف

ابني فراس جيدا رجل يمكن الاعتماد عليه ولو كان الاختيار

لي منذ البداية لاخترته لكني تركت الأمر لك"

قلت بابتسامة " أعانه الله علي إذا"

ضحك كثيرا ثم قال " وأعانك عليه ففراس عسبي

يا رُدين فاحذري من هذه النقطة"

تنهدت وقلت " نعم أنا أكثر من يعلم"

ثم وقفت وقلت " ستجبره على الزواج بي إذا"

قال بابتسامة جانبية " أحب ذلك كرهه أجبر نفسه أقنعها

لا يهم المهم ما قررنا سيحدث"

ثم وقف هوا أيضا ووضع يده على كتفي وقال

" فراس يعلم أنك لست زوجتي"

نظرت له بصدمة وقلت " كيف ومتى !! "

أبعد يده عن كتفي وقال " منذ أيام قليلة لأنه منذ الليلة التي

أخذك ووالدته لحفل الزواج وهو يلح أن أريه عقد زواجي

بك لشكه في الأمر ومنذ أيام بحث في العقود ووجد

أنك غير متزوجة"

قلت بصدمة " كيف يتمكن من ذلك فتلك الأمور حسب

علمي سرية وليس أي أحد يمكنه الإطلاع عليها"

رفع كتفيه وقال بهدوء " لا تنسى أنه محقق ومؤكد علم

بذلك بطرق غير قانونية كأن يساعده أحد صاحب

مركز في الدولة"

لهذا غضب كل ذاك الغضب يوم رأيي أخرج من غرفة

أشرف وسخر مني حين قلت أنه ابن زوجي ، وضعت

يدي وسط جسدي وقلت " وجاء ليخبرك طبعاً

ويتفاخر بذكائه"

ضحك وحضن خدي بيده وقال " وقال عليك أن ترتدي

حجابك وملابس ساترة أيضا أمامهم"

تأففت وقلت بضيق " من أولها"

عاد للضحك مجددا ثم قال " أخبرته أنك بالفعل فتاة متحجبة
ولم تفعلني هذا إلا بطلب مني فلدلك وبسبب إصراره أن تنتهي
هذه المسرحية وشجاري معه ليلة البارحة قررت أن أتحدث

معك في الأمر لنلغي كل اللعبة"

قلت بضيق " لا فائدة من كل الخطة إذا بعدما أفسدها"

قال " وائل أنتي استبعدته من نفسك وأشرف مستهتر أعرفه جيدا

سيفرط فيك في أسرع وقت لأن طبعه ملول لا يدوم عنده شيء

لكن إن أردته هوا زوجتك به وكما قلت الاختيار لك"

تنهدت وقلت " أمري لله غيره لن يكون أقل عيوباً منه وهذا

ابنك وتعرفه ورشحته بنفسك غيره لن يعرفه أحد"

أمسك كتفي وقال " إن سألتني من بينهم الثلاثة ما

اخترت غيره ولا حتى وائل"

هزرت رأسي بحسنا وقلت " كما تريد"

أمسك يدي وقال " إذا هيا للمواجهة الأخيرة معهم"

سرت معه بقلة حيلة ، قل للمواجهة الأولى بيني وبين فراس

نزلت معه لتقابلنا الخادمة عند آخر السلالم فقال لها

"نادي الجميع لغرفة الجلوس"

أشارت له برأسها بمعنى حسنا ثم قالت وهي

تصعد السلالم " فراس في مجلس ثلاثة

شاي شرب ارحم أنا منه لينام"

ضحكنا سويا وقلت ونحن نتوجه هناك

" ما أطول لسانها كيف تستحملونها"

فتح باب المجلس وقال داخلا أمامي " المشكلة ليست بها

بل بعمتك سعاد فأبي واحدة سنحظرها ستفسد لها طبعها"

وقع نظري على فراس الجالس هناك فأبعدته عنه

وقلت ببرود " كله من طبيبتها حتى مع الخدم لا

أعلم كيف لم يرث ذلك منها أحد"

ثم سرقت نظرة عليه فوضع ساق على الأخرى وابتسم

ببرود وكأنه يخبرني أنه لا يهتم لما أقول فأشرت له بإبهامي

على رقبتى ممررة له عليها ثم لوالده أمامي بمعنى سيذبحك

ثم أشرت بأصابعي إشارة يعرفها الجميع هنا لأن كل الصغار

يستخدمونها وتعني ويلك منه ولن تستطيع قول شيء فأشار

لي بأنه سيقص لساني رغم أن والده مقابل له فأخرجته

له على التفات عمي رياض لي فديسته وقلت

"أخبر ابنك إنه يهددني"

ضحك وقال " هدديه أنتي أيضا"

قال ذاك ببرود وهو ينظر لي " لا يحتاج أن تهدد

هذه تفعل مباشرة وبلا تردد"

ابتسمت له ابتسامة باردة كابتسامته تلك لأردها له قبل

أن تبرد وأنساها فضحك دون كلام ، نعم اضحك فأنت

لا تعلم أي مفاجأة يخبأها لك والدك لبيكيت بدل أن تضحك

كم أنا متلهفة للحظة التي يفجعه فيها بالخبر لأشمت فيه

وهو يزأر كالأسد ، جلست بجانب عمي رياض ودخلت

عمتي سعاد يتبعها أشرف وخلفه وائل وجلس الجميع

وقال أشرف بابتسامة جانبية " لا تجمعنا مع هذه

الأفعى إلا ومصيبة في الأمر"

وضعت يداي وسط جسدي وقلت بضيق

"لا أفعى إلا زوجتك المستقبلية يا قيس النساء"

وقف وقال بغيض " انظروا للوقحة"

قاطعه عمي رياض بحدة " أجلس أنت من بدأ منذ البداية"

جلس وقال بسخرية " كنت أخبرتي منذ البداية أنك تريد

الزواج كنت بحث لك عن واحدة بدلا عن هذه"

قلت بسخرية " ومن ستكون هذه"

ثم أشرت له بيدي موجة للأعلى ليفهم أنها جوجو

ثم قلت " أم لا تكن"

ثم أشرت له بحركة غنج وكأني أمضغ العلكة ليفهم أنها

أسوم فضحك بصوت مرتفع هوا ووائل وقال

" أقسم لو لم تتزوجها لتزوجتها أنا"

قلت بتقزز مشيرة له بإصبعي " يع أنا أتزوجك أنت"

أمسك وسادة الأريكة ليرميني بها فقال عمي رياض

بضيق " توقف ويكفي كلاكما وأنتما كالأطفال"

فأشار لي بأصابعه على أنيابه نازلا بهم لأفهم مقصده

وهي أفعى فلم أرى سوا الوسادة التي ضربته على وجهه

ونظرت من فوري للمكان الذي انطلقت منه فكان فراس

وقال عمي رياض " إن انتهت المهزلة دعونا نتحدث"

قلت بتذمر " هم البادئون دائما لما جميعهم علي"

قال وائل ضاحكا " أنا معك"

قلت ببرود " نعم بدليل أنك تجلس بجانبه وتضحك"

قال عمي رياض " المهم لدي ما أقوله لكم لأنام

فلا وقت لدي للعب الأطفال"

سكت الجميع ينتظرون حديثه الذي لا يفهمه أحد إلا

وائل وأشرف طبعاً وتابع " رُدين ليست زوجتي"

شهق أشرف وانفتحت عينا وائل من الصدمة أما ذاك

ثقيل الدم فلم يحرك ساكناً وينظر لي ببرود وكأنه يخبرني

أني أعلم بذكائي فلوحت له بيدي بمعنى لا أبالي لك

وقال أشرف " كيف ولما قلت ذلك" !!

قال بجدية " لكي تعرفك على حقيقتك طبعاً يا ابن رياض"

قال وائل بحيرة " خدعة إذا لتعيش معنا" !

قال " شيء من هذا"

قال أشرف " ولما؟؟"

وقف وقال " لأسبابي الخاصة وما سأقوله الآن سينفذ

فراس ستتزوج بها تفاهم مع والدتك من أجل الحفل

ولتشتري رُدين كل ما يلزمها"

ثم غادر دون أن يضيف أي حرف آخر))

أغلقت الرواية وقلت " لا أعلم أي حياة تنتظرهما وهما هكذا"

ضحكت وقالت " كم من حب كان بعد عداوة"

قلت بحيرة " لما الحب غريب هكذا وغبي ولا يعرف

كيف يتصرف"

ضحكت كثيرا ثم قالت " لن يكون حبا إن لم يكن هكذا

وزيدي عليه أنه أعمى"

تنهدت واكتفيت بالصمت فقالت

"لم تخبريني كيف أمورك وذاك الشخص"

هزرت رأسي دون كلام فقالت " سيئة لهذه الدرجة؟"

قلت بحزن " جدا وليتني لم أحبه يوما"

قالت من فورها " لما لا تتحدثي معه"

شهقت منتفضة وقلت " ماذا !! مستحيل"

قالت " أخبريني عنه إذا لأفهم لك منه"

هزرت رأسي بلا دون كلام فضحكت وقالت

"الحب لا يجدي معه الخوف والجبن يا سما"

قلت بعبوس " الرجال يتكلمون في هذا أليس كذلك"

ضحكت وقالت " من أين علمت"

قلت " لا أعلم أراه أمرا كالزواج الرجل من يتكلم فيه

أو ستكون النتيجة كدعاء حين عرضت نفسها على نزار"

تنهدت وقالت " لا أريد لك الحزن والبؤس يا سما فالجرح في

الحب أمر صعب وشديد ومؤلم جدا ويصعب نسيانه وشفائه"

قلت باستياء " ولا إيقاف الحب والشفاء منه أيضا"

ثم نظرت للساعة وقلت " تأخر نزار كثيرا"

ضحكت وقالت " قد ينفذ كلامه"

قلت بصدمة " ضننت أنه يمزح فقط"

رفعت كتفيها وقالت " لنجربه إذا"

قلت باستغراب " أأنت قلقة عليه قد يكون مكروها أصابه"

قالت بابتسامة " بلى وقلبي يأكلني فهذا طبع الأم"

قلت من فوري " اتصلي به إذا"

قالت بعد ضحكة صغيرة " سنفسد اتفاقنا حينها"

وقفت وقلت " معك حق علينا أن نسخر منه

حين يعود من تلقاء نفسه"

أعطيتها الرواية وأطفأت النور وصعدت لغرفتي

غيرت ملابس وارتديت ملابس النوم ودخلت سريري

لكني كنت كمن ينام على الجمر المتقد فسرعان ما

خرجت منه ونزلت لغرفتها وأشعلت النور فوجدتها

تمسك هاتفها فقلت من فوري " هل اتصلت به"

ضحكت وقالت " فشلنا كلانا على ما يبدو"

دخلت وقلت " علينا أن نطمأن عليه فلم أستطع النوم"

قالت وعيناها على هاتفها " لم يجب على اتصالي"

جن جنون نبضات قلبي حينها حتى ضننت أنه سيخرج

من بين ضلوعي وقلت وعيناى تمتلئ بالدموع

" هل حدث معه شيء يا ترى"

رفعت الهاتف لأذنها وقالت بعد صمت

"أعذرنى بنى لكن نزار تأخر هل هوا معك"

سكتت لوقت ثم قالت " لا يجيب على هاتفى"

"لا أتركنى أجرب أيضا برقم آخر ثم سأصل بك"

سكتت لوقت ثم قالت " حسنا وعذرا منك يا جابر

أعلم أنني أزعجتك وقت نومك"

تنهدت بعدها بضيق وقالت " وما تفعل خارج منزلك

الآن أعان الله المسكينة التي تزوجتك"

"حسنا بني تصبح على خير"

ما أن أنهت المكالمة حتى قلت من فوري

"ماذا قال لك"

قالت " قال خرج من هناك منذ ساعتين"

أمسكت قلبي فقالت " اتصلي به أنتي"

قلت وأنا أمسك دموعي كي لا تبدأ بالنزول

"وما الفائدة فلن يجيب"

قالت " جربي وإن لم يجيب عليك سأتصل بجابر

وسيعرف كيف يعلم ما به"

صعدت لغرفتي بسرعة وأمسكت بهاتفي واتصلت به

فأجاب فوراً فجلست على الأرض من خور قواي

وقلت بدموع " نزار أين أنت"

قال ضاحكا " أمام المنزل منذ أكثر من ساعة

ظننتك ستتركييني أنام في الشارع"

مسحت دموعي وقلت بحزن " أحمق لقد شغلتنا

عليك ولا تجيب على هاتف والدتك"

قال " أمازلتِ غاضبة أم رضيتِ"

رمى الهاتف على السرير ونزلت بسرعة وفتحت

باب المنزل وكان بالفعل جالس على مقدمة سيارته

وهاتفه في يده فعادت دموعي للنزول مجددا فكم

خشيت أن أفقده فأقسم أنني سوف اجن حينها ، نظر

جهتي وقفز واقفا وتقدم ليدخل فسرت قبله راکضة

وصعدت لغرفتي وأغلقتها خلفي لأكمل مسيرة بكائي

وحدي مخافة أن يرى دموعي أو أفعالها مجددا

وأرتمي في حضنه

*

*

دخلت وأغلقت الباب ثم توجهت لغرفة والدتي فقالت

ما أن رأيتني " أين أنت بني شغلتنا عليك"

نظرت حولي وقلت " أين سما ألم تدخل هنا"

هزت رأسها بلا فتركتها وصعدت للأعلى وطرقت

على باب غرفتها وقلت " سما افتحي الباب"

لكنها لم تجب فقلت " ظننتك لم تعودي غاضبة وإلا

ما دخلت ، حسنا لن أعيد ما قلته مجددا"

ثم تابعت بابتسامة " رغم أنه حقيقة"

لم تجب أيضا فقلت " تصبحين على خير"

وغادرت جهة غرفتي استحمت ولبست ملابس النوم

ودخلت سريري لكني اتكأت بمرفقي على الوسادة فوقه

بدلا من أن أنام ، لا أعلم أي حماقات هذه التي أفعالها

وكأني أنا المراهق جلست بكل اقتناع خارج المنزل

أنتظر اتصالها وأقنع نفسي بأنها لعبة صغيرة نتسلى

بها وبأنه عقاب لها كي لا تغضب ثانيًا من الحقيقة

جلست متكأ على السرير وسندت رأسي بالجدر وغبت

بنظري في السقف ، ما يحدث معك يا نزار عليك أن تجد

له حلا أيعقل أن تُسمع حسام ذاك الكلام وكأنك متيم بها

واليوم كما قالت والدتي مرابط لديها في المطبخ وعيناي

لم تفارقانها حتى وهي تأكل ، لا تنسى أن لها شخصا تحبه

وفي كل الأحوال هي أصغر منك بكثير فتخيل أن تنجرف

في مشاعرك أكثر لتصدمك بأنها تريد الزواج بذاك الشخص
لم أتخيلك أنت يا نزار وبعدها رأيت من رهام وعفت الحب
والزواج لسنوات طويلة تشغل بالك الآن مراهقة صغيرة
وليبتها حتى في الثامنة أو التاسعة عشر هي في الخامسة
عشرة ويمكنها أن تحب عشر أشخاص في عام ، عليا أن
أجد حلا لنفسي قبل أن يكبر هذا الشعور في داخلي
وأجن وأفعلها وأحبها بالفعل ، ولا حل غير ذاك الحل
فعليا أن أتحدث عنه مع جابر وأنفذه سريعا وأنفذ
بجلدي قبل أن تقع الفأس في الرأس وأكتشف بعد فوات
الأوان أنني أحبها حقا ، أمسكت هاتفي واتصلت به فأجاب
من فوره قائلا " أين أنت ووالدتك تبحث عنك"
قلت " في المنزل وبخير أريدك في أمر مهم
يخص سما وعلينا أن نلتقي سريعا"

كان ذاك اليوم كالحلم وسرقه منا فما أن كان منتصف
النهار حتى خرج للمهندس الذي جاء من أجل المسبح

ولم يدخل إلا مساء استحم وغير ثيابه وغادر لعمله الذي

لا ينتهي ، لما لا يكون كل يوم كذاك اليوم لما لا يكون

موجودا معنا يشاركنا كل شيء خصوصا بعدما

أصبح الأولاد لا يذهبون للمدرسة

التفتت على بكاء ترف وقلت بحدة " أمجد لما ضربتها"

قال بضيق " أخبريها تبتعد عن كتابي"

توجهت نحوها أمسكتها من يدها وأخرجتها معي قائلة

"سندهب أنا وأنتي وحدنا ونتركهما"

خرجت بها وتوجهت لجناحي أرسلت لجابر رسالة كتبت

فيها (ذاهبة لمنزل عمك منصور) ولبست عباءتي

وحجابي ونزلنا سويا وغادرنا القصر ، طبعا والدة جابر

لم أرها منذ ذاك اليوم فلم أعد أتناول حتى الطعام معها بما

أن جابر ليس هنا فلما أجبر نفسي على مقابلتها ، ولا أنزل

لتجمعات النساء بأمر من جابر طبعا ولن تستطيع مناقشته

والآن لا أستغرب أن تقتلني تلك المتوحشة بعدما فعلته يومها

وخصوصا بعدما سمعت المشادة الكلامية التي حدثت

بينها وبين جابر بسبب المسبح وفي النهاية ما أراه هوا
حدث رغم أنها يبدوا خاصته لمدة ولم تكلمه ، لا وقالت
له بكل جرأة أكلت دماغك ابنة فارس بالقبّل أمام الناس
هل تراني قبّلته في الشارع أم أمام الرجال ثم أنا لم

أطلب منه فعل هذا هوا من فعله من تلقاء نفسه وهل
ترى ابنا هذا يستطيع أحد أن يفرض عليه شيئا فحتى
الكلام لا يخرج إلا ما يريد قوله ولو كنت أكلت دماغه
كما قالت لعرفت كيف أجعله يتحدث عن مشاعره نحوي
أو على الأقل أسمعني شيئا تحب المرأة أن تسمعه
وصلنا منزلهم وفتحت لنا بتول قائلة بابتسامة
"مرحبا ما هذه الزيارة المفاجئة أدخلها"

سلمت عليها وحضنتها ترف من فورها تصرخ باسمها
فهي المحببة لديها بين الجميع عكس بيسان التي لا تهدي
سوا باسم عمتها زهور أو معتصم فهي المفضلة لدى
معتصم وزهور المفضلة لديها ويبدوا كما قالت فقط
لأنها تشبهها ، دخلنا ونزل مصعب ركضا وهوا

يصرخ " ثرف ثرف"

وكأنهما ليسا أعداء يتشاجران في لحظة ، وما أن وصل
عندها حتى خرجا للحديقة فوراً فهنا لا قوانين صارمة
لكن لا بأس ما أن ينتهي المسبح سيكون الخروج لأجله
ولغيره وكما أريد فأنا أرى ذاك المهندس والعمال على

قدم وساق طوال النهار لينتهي بسرعة

جلسنا عند صالون الاستقبال وقالت بتول

" عمر ومصعب لا حديث لهما إلا عن المسبح

الذي سيسبحان فيه وكأنه هنا وليس هناك"

قلت مبتسمة " ولما ليس لديكم واحدا ، غريب

مع هذه الحديقة المليئة بالألعاب"

رفعت كتفيها وقالت " والذي رفض الفكرة ومعه

حق فلن نتمكن من أخراجهم منه وسيطلبون

السباحة فيه حتى في الشتاء"

ضحكنا معا ثم قالت " أرى صديقه المهندس يعمل

عليه طوال النهار يبدو سينتهي بسرعة"

قلت بحيرة " هل ذاك الشاب صديق جابر"

قالت " نعم أعتقد صديق مقرب له كثيرا

فقريبته كانت تدرس معي"

قلت باهتمام " لهذا عرف ترف وكلمها

تلك المرة ونادها باسمها "

اقتربت والدة بتول قائلة " بتول اصعدي لشقيقك

صراخه وصل إلى هنا"

وما أن رأته حتى قالت " مرحبا أرجوان

لما لم يخبرني أحد أنك هنا"

اقتربت مني وتصافحنا وصعدت بتول من فورها

وجلسنا وقلت " أجمل هدية لك أن بتول كانت

الكبرى لترفع عنك كل هذا الحمل"

قالت مبتسمة " نعم فأنا لا أرحمها ولا وقت

الدراسة فلا أحد لي غيرها"

قلت ضاحكة " سيأخذها زوجها يوما

ويتركك للشبان فقط"

قالت مبتسمة " الوقت يبدا طويلا فهي لا

تعترف به زوجها حتى الآن"

قلت بصوت منخفض " عليكم أن تجدوا حلا لهذا

فمعتصم يريد لها ولن يفكر في تطليقها وإن بقيت

على قرارها فسيطلقها جابر منه"

تنهدت وقالت بحيرة " لا أحد يتجرأ على فتح

الموضوع أمامها كي لا تعود لحالة الصمت تلك"

نزلت حينها بتول تحمل عدي بين يديها مع رضاعته

ومؤكد هي من أعدتها له وجلست معنا وأعطته إياها

فقلت مبتسمة " لو كان لدي شقيق لسبقناهم لك وزوجتك به"

لوت شفيتها وقالت باستياء " لكنت كرهتك حينها كرها أعمى"

ثم ضحكت وضحكنا معها فيبدووا أصبحت تتقبل ولو

مجرد فكرة أنه زوجها وأنها متزوجة

*

*

"جرائمه لم تكن قليلة"

ورقت الأوراق بيدي بسرعة ويدي الأخرى مستند

بها على الطاولة وقلت " سنرى من عائلات بعض

الضحايا رغم أننا قد لا نجني شيئاً وهذه المرة أنا من

سأراهم بنفسي واثنين من رجالي وفي منازلهم أيضاً

نظر لي للأعلى وقال " لكن بعضهم لا علم لهم بما فعل"

وقفت على طولي وقلت " الميت ميت مقتول أو غيره علينا

الآن إيجاد الطريقة التي تتركه بها تلك البلاد وتسلمه لنا

دون قصة المحاكمة الطويلة العريضة وفي النهاية

سيصلون له قبلنا ويقتلوه"

وقف وقال " أنت تعلم القوانين أكثر من غيرك يا جابر

ولن يسلموه قبل أن يحاكم ويسجن أقلها عامان"

رميت الأوراق وتأففت وقلت بضيق

" عامان نكون أنا وأنت من الأموات يا أسعد"

وضع يده على كتفي وقال " جابر أن تعمل وحدك

شيء متعب لك أنظر لنفسك حتى النوم لم تعد تحضا

إلا بالقليل منه وأحياناً تنام هنا في مكتبك"

تهتدت وقلت " لا يمكنني الوثوق بأحد يا أسعد غيرك

أنت وبعض رجالي فتحركاتنا كانت مكشوفة لهم ونحن

كالمهرجان نغطي على أفعالهم"

هز رأسه وقال " لو فقط أعلم من وراء كل هذا وبكل هذه

القوة ، كيف لا يكون لدينا ولا دليل ولا مشتبه به أساسي"

رفعت أصبعي وقلت " فكر في أعلى الهرم يا أسعد ثم نزولا"

تنهد وقال " أمازلت تصر أنه سيكون دو مركز في الدولة"

قلت مغادرا " بل وموقن من ذلك كما أراك أمامي"

خرجت من هناك وهوا معي لوزارة الخارجية رغم علمي

أني كمن يحرث في البحر ، علينا على الأقل أن نحصل

على المعلومات التي سيستخرجونها منه هناك ، كان اليوم

الاجتماع الخامس لنا هنا وأتمنى أن لا ينتهي بشجار بيني

وأحدهم مجددا فضحيتي الأخيرة كان رئيس شرطة

الجمارك ، فقط لأنني ذكرت أن البضائع قد تكون تعبر

من عندهم دون علمهم فكاد يأكلني ليذكرني بأن التقصير

من عندنا نحن ، دخلنا مبنى الوزارة ووقف لنا كل من

مررنا به حتى كنت في مكتب الوزير وكان الجميع

قد سبقونا ، جلسنا حيث طاولة الاجتماعات هنا

وقلت من فوري " خالد الصقار إن لم نحصل عليه علينا

أن نحصل على المعلومات المخرجة منه هناك ويتركوا

عنهم عبارة محاكمة سرية وأمن دولة"

قال وزير العدل بسخرية " عضم الله أجرك يا جابر"

نظرت له بصدمة وقلت " قتلوه هناك"

قال ونظره على الأوراق أمامه " بل محاولة فرار ساعدته

فيها أيدي خفية ونهايتها مات برصاص الحراس"

مررت أصابعي في شعري أتنفس بغیض وقلت من

بين أسناني " سحقا كان خيطنا الوحيد"

تحرك الوزير وجلب بعض الأوراق وجلس

وقال " السؤال الآن من هذا الذي لا يشي عنه أحد

من يقتل ويمسح الأدلة وكأنه ممحاة على ورق"

مرر الأوراق حتى وصلت لي وقال " اعتمادنا كان عليك

يا جابر فلم تتنیک قضية سابقا من مجرمي سيارات الدفع

الرباعي لجرائم الجامعات في العاصمة كيف عجزت الآن"

هزرت رأسي وقلت " كم مرة وصل الدليل بين يدي

وتخلصوا منه وهوا في قسم الشرطة أو التحقيق ولم

يتركوا إلا ما أرادوا تركه ، أوراق لبضائع تدخل

دون ترخيص أي مهربة وتحركاتي مكشوفة

وكأني أعيش في وسطهم"

قال من فوره " لنجعل لهم طعاما إذا"

لممت الأوراق وثنيتهما وقلت " أخبرتك أن تحركاتنا

مكشوفة فأني طعام سيجدي معهم لقد جبت حتى أغلب

المصانع ولا شيء غريب عندهم ، نظمنا حملة تفتيش

للبضائع وللمصانع الكبيرة المعروفة ولا نتيجة ، لو كنا

نتعامل مع جني لأمسكنا عليه زلة"

استمر ذاك الاجتماع لساعات ناقشنا فيها الأمور المهمة

عدى ما أتكم عنه لنفسي ولن أؤمن عليه أحد وهي سما

تلك الفتاة ستكون مفتاح اللغز خصوصا أنها الشخص

الوحيد بين أهالي الضحايا من يبحثون عنه وسأستفيد

منها ولو اضطررت لأن أجعلها طعاما

خرجت من هناك أشعر بالإحباط من كل هذا فهذا

قد مات الصقار ليلحق غيره فيبدو المخطط كان قتله

وليس إخراجها من هناك فجعلوها تكون على أيدي الحراس

في السجن فهل سيكون لدي شك آخر في أن من وراء كل

هذا ذراع في الدولة ، خرجت من هناك للقصر مباشرة

فيكفي تعبى كل هذه المدة ضاع بلا نتيجة وككل مرة

دخلت القصر وصعدت الجناح ومؤكد ستكون نائمة لأنى

لأكثر من ليليتين لم أنم هنا ، فتحت باب الغرفة وشغلت

النور لأفاجئ بها نائمة مرتمية على السرير ومتزينة

ورائحة عطرها تملأ الغرفة وكأنها عادت للتو من حفل

اقتربت منها وجلست على طرفها من السرير وانحنيت

للأسفل أفتح خيوط الحذاء وقلت " أرجوان استيقظي"

همهمت قليلا ثم قالت بهمس مبجوح " جابر"

خلعت حدائي ورفعت جسدي والتفت لها

وقلت " نعم وليس حلما"

ابتسمت وهي ما تزال مغمضة عينيها وقالت

"فقط الأحلام التي توجد فيها"

ثم مدت لي يدها وفتحت عيناها فأمسكتها وقلت مبتسما

"من أي حفل زواج هربتِ ونمتِ فورا"

أبعدت الخصلات عن وجهها وقالت مبتسمة

"أترين كل ليلة يا ظالم وأنا أنتظرك"

قبضت على أصابعها بقوة وقبلت ظهر يدها وقلت

"لا أجد أحمر الشفاه على وسادتي ثانياً تفهمي"

ضحكت ضحكة صغيرة وشدتني من ربطة العنق حتى

ملت جهتها وعانقتني تدس وجهها بين كتفي وعنقي

وقالت بهمس "اشتقت لك جابر"

مسحت على ظهرها وقلت "لو تعلمي حال عظام

جابر لرحمتهم فالتعب حطمهم"

تمسكت بي أكثر وقالت "لا دخل لي وأنا لي فيك حق"

ضحكت ضحكة صغيرة وقلت

"اتركيني أستحم ولنا حديث طويل"

ابتعدت عني وغادرت السرير ولفت جهتي ومدت

لي يدها قائلة "جهزت لك حماماً لن تحلم به حياتك

مع زيوت استرخاء ستنام فيه من جماله"

ضحكت وقلت وأنا أقف معها "أنتي الخاسرة إن نمت هناك"

دفعني جهته قائلة "بسرعة ولا تفهم الأمور كما يحلو لك"

دخلت الحمام وكان بالفعل جاهز ورائحة الزيوت تفوح
منه ولا إنارة إلا من الشموع الموزعة فيه فخلعت ملابسني
ودخلت مياهه من فوري لأشعر بخلايا جسدي تنفك عن
بعضها من كثرة ما كانت مشدودة من التعب ، لما لا يوجد

واحد كهذا في المكتب ؟ اتكأت للخلف وأغمضت

عينايا أشعر أنني في عالم غير هذا العالم

*

*

شغلت الفواحات في الغرفة وخرجت لمطبخ الجناح
سختن الطعام الذي أتركه كل ليلة حتى الصباح دون
أن يأكل منه أحد لأنزله للمطبخ السفلي ، ثم حملته في
أطباقه ساخنا لطاولة الجناح وعدت بعدها للغرفة

ولم يكن هناك ، ما به هل كل هذا يستحم!!

طرقت الباب عدة طرقات ، يبدووا نام هذا أو مات في

الداخل ! فتحت الباب ودخلت وكان مسترخ تماما في

حوض الاستحمام مغمضا عينيه ، نعم أنا المخطئة ما الذي

سيخرجه من هنا الآن ، جمعت ثيابه وقلت وأنا أخرج

"الطعام سيبرد لا تنم هنا"

وضعت الثياب مكانهم وخرجت من غرفة الملابس

على خروجه من الحمام كعادته شعره مبلل وجلس على

طرف السرير فتوجهت للمكيف أطفأته وأخرجت منشفة

وتوجهت نحوه وضعتها على رأسه وقلت وأنا أجففه له

"أخبرتني أنني لست مستغنية عنك فابق حيا ولو من أجلي"

قال ووجهه مخفي عني بالمنشفة

"كيف تسير دراسة الأولاد"

أبعدت المنشفة وأنزلتها على عنقه وقلت

"جيدة و إن استمرا هكذا سيجتازان العام بتفوق كعادتهما"

ارتمتي للخلف على السرير وقال " جيد"

قالها بتكاسل وأغمض عينيه فأمسكت يده وشدته
منها قائلة " قم هيا لتأكل شيئا وأين الحديث الطويل

الذي قلت عنه أم أنه هذيانك وأنت نائم"

شدني له بقوة لأقع على صدره وقال

"أنا لا أتحدث في النوم يا كاذبة"

قلت وأنا أحاول الابتعاد والوقوف مجددا

"بلى وما يدريك وأنت نائم"

شدني بذراعه لصدرة بقوة وفتح عينيه وقال

"وما أقول إذا يا من تنامين قبلي"

قبلت خده وقلت مبتسمة " بل أنام بعدك وأسمعك أيضا"

ضحك ضحكة صغيرة وقال " وماذا تسمعين"

قبلت ذقنه ثم قربت شفطاي من أذنه وهمست

"تقول أرجوان لا تتركيني لا أستطيع العيش بعدك"

ضحك بصوت مرتفع ثم قلبني لأصبح تحته وقبل عنقي وقال

"يبدوا تحلمين كثيرا بسبب كثرة النوم يا لعوب"

تعلقت بعنقه وقلت " لن أجهز لك عشاء ثانيًا يا من تنام بعدي"

انشغل بقبلاته المجنونة ولم ينتبه حتى لما كنت أقول

ونمت في حضنه ممتنة لمن طرده اليوم ليعود لعائلته

وأولهم حضني المشتاق له بعدما أدمن جسدي وجوده فيه

ونمت وكأني أنا من كنت أكاد انهار تعبًا ولم أشعر إلا

برنين الهاتف فأنقلبت ومددت يدي أفتش عنه حتى أقفلته

وجلست ونظرت لمكان جابر فكان لا يزال نائما ، غريب

أين تركه الديك الذي في رأسه يوقظه على الوقت تماما
شغلت الإنارة عند السرير وراقبت ملامحه على ضوءها
الخافت وهو نائم بهدوء ، ابتسمت ومررت أصابعي على
صدره وانحيت على كتفه وقبلته قبلة صغيرة وابتسمت
ابتسامة جانبية على أفكاري ثم قبلت أسفل فكه ثم خده
فقال بهمس " لما لا تتابعين طريقك"
ضربته بأطراف أصابعي على كتفه وقلت مبتسمة
" سيفوتك وقت الصلاة تحرك بسرعة"
رمى اللحاف من عليه فغادرت السرير وشغلت النور
وخرجت للردهة جمعت الطعام الذي لا أمل في أن يوكل
شيء منه وأشباهه هنا على ما يبدو وأعدته للمطبخ ثم
عدت للغرفة أخرجت له ثيابه لحظة خروجه من الحمام
فقلت وأنا أمسك البذلتين " أيهما سترتدي"
قال وهو يتوجه للخزانة " ولا واحدة منهما أخرجي
لي أي شيء تجديه أمامك غير هاذين"
رميتهما على السرير وقلت بابتسامة " تركوك لنا أخيرا"

قال وهو يبحث في الخزانة " بل أنا من تركتهم"

توجهت نحوه وحضنت خصره واتكأت برأسي

بين كتفيه وقلت بحنان " ما هذا اليوم رائع"

دار ناحيتي وأمسك وجهي وقبل شفطاي وقال

"أريد معرفة سر هاتين الورقتين على الباب وفورا"

اتكأت على صدره وحضنت خصره قائلة " لن أخبرك أبدا"

قال بصوت مبتسم " اتركيني أدرك الصلاة إذا"

تركته وقلت وأنا أتوجه لغرفة الملابس " لا تمن سيد

جابر لا تمن كم مرة سأقولها"

وصلني صوته مرتفعا " لا تحظري ذاك القميص

الذي تحبينه أو خنقتك به"

قلت ضاحكة " أقسم أنه الأجل عليك يا عديم الذوق"

أخرجت له ثيابا وقلت وأنا أعطيهم له

"سأوقظ أمجد خذه معك"

قال وهو يلبس القميص " لا وقت أمامي سأتأخر"

قلت وأنا أغادر الغرفة " سأجرب إن أدركك خذه معك"

غادرت الجناح وتوجهت لغرفته فكان مستيقظا كما توقعت

لأنه المدة الأخيرة يذهب إما مع معتصم أو عم جابر وابنه

توجهت نحوه ورفعت القميص وقلت وأنا ألبسه له

"بسرعة لتذهب مع والدك"

قال وهو يغلق الأزرار معي " هل عاد"

وضعت له حدائه أمامه وقلت " نعم وإن أدركته ستذهب معاً"

لبسه بسرعة وخرج يركض ووصل السلالم قبل جابر بقليل

وانتظره هناك حتى وصل عنده ونزلاً معاً يمسح على شعره

وهو يكلمه وراقبتهما حتى نزلاً ، كم نفتقد جميعنا وجوده هذا

معنا وما يعزيني أنه على الأقل على قيد الحياة ونراه ولو مرة

في اليوم أو بعد أيام ، عدت جهة غرف الأولاد ودخلت غرفة

الفتاتين ووجدت ترف تلعب بالأساور في يدها وتكلم نفسها

كعادتها طبعاً فتوجهت لسرير بيسان أيقظتها وأدخلتها للحمام

وهي تفرك عينيها قائلة " ألم نصبح بلا مدرسة لما نستيقظ مبكراً"

أوصلتها للمغسلة غسلت لها وجهها وقلت " صلي ثم

عودي للنوم فكما اتفقنا كل شيء إلا الصلاة"

تركتها في الحمام وهو مفتوح طبعاً ففويبا الحمامات لم

تغادرها بعد وعدت جهة ترف ، لا أريد أن أتهاون في
صلاتهم فبيسان تخطت السابعة وهوا سن التعليم وبما أن
ترف تستيقظ وحدها فلن أواجه مشكلة (لما ترف فقط
نائمة) جلست بجوارها وقبلت خدها وقلت وأنا ألعب
بشعرها " ما يشغلك عني ؟ أين صباح الخير ماما"
قالت وهي تحرك الأساور في معصمها
"صديقتي معي لم أنتبه لك"
ضحكت وقبلت خدها مجددا وقلت " وأي صديقة
هذه التي تزور الناس وقت الفجر"
حضنتني متعلقة في عنقي وقالت
"صباح الخير مامتي حبيبتي"
ضممتها لصدري بقوة وقلت " صباح
النور يا قلب مامتك"
خرجت بيسان حينها من الحمام فأدخلت ترف ثم
صلينا معا وبعد قليل طرق أحدهم الباب وفتحه
فكانت سيلا وقالت من فورها " صباح الخير سيدتي
السيد جابر ينتظركم عند طاولة الطعام"

وقفت وقلت " من معه"

قالت " أمجد والسيدة الكبيرة"

تنهدت وقلت " حسنا قادمون"

خرجت وهما تتبعانني والأسئلة لا تتوقف طبعاً عن الوالد

الموجود على الطعام اليوم وعلى تناوله في الأسفل حتى

وصلنا وجلست بجانب جابر بعدما ألقيت تحية الصباح

بعمومية ولم أخصها بها وجلست ترف بجواري وأمجد

وبيسان مقابلان لنا وبدأنا إفطارنا في صمت سوا من صوت

ترف التي لا تعرف كيف تسكت ولا أعلم كيف ليست كهذه

العائلة الموقرة ! يبدو ان هي ومعتصم ورثا شيئا من

والدهم فهوا الغائب الوحيد والذي قد يكون مختلفا ، بعد

وقت قالت والدته " متى قال لك زوج زهور سيأخذها"

شرب القليل من الماء وقال " أسبوعان أو يزيد قليلا"

عادت للصمت فنظر جابر ناحيتي وقال

"سنجرب إقناعها معا لتتسوق"

هزرت رأسي بحسنا دون كلام فعاد بنظره على

الطعام وقال " بطاقتي لديك ولتشتري ما تريد"

قالت حينها والدته " أموالها من والدها تكفيها

وزيادة فلتقتنع هي فقط"

قلت ونظري على ترف أطعمها الزيتون

" عندما تكون من شقيقها ستكون بمعنى آخر"

قال ونظره على والدته " هل ستقيم حفلا لها"

قالت ببرودها المميت ذاته وعيناها على كوبها

" لن ترضى شقيقتك فهل سنقيم حفلا بلا عروس"

حك جبينه ثم مرر أصابعه في شعره وقال بهدوء

" أميرة سنقيم حفلا من أجل شقيقها وعلينا

إقناع زهور لتكون هناك ولو قليلا"

قالت بسخرية " جرب ولن تخسر شيئا"

ما أبرع هذه العجوز في فن الاستفزاز وكأني ضررتها

ولست زوجة ابنها فما في الأمر إن طلب مني أن أقتعها

معه ولما تستهين بمقدرتي على ذلك فعلينا أن نجرب فقط

وليس بالضرورة أن ننجح ، أفضل من إهمالها هكذا

وقف بعدها وقال " الحمد لله"

ثم قال مغادرا مكانه " أمجد الحق بي لمكتبي "

فتبعه من فوره وغادرت والدته بعدهم ونظرت

لي ترف وقالت " لما أمجد فقط "

مسحت لها فمها وقلت بضيق " لأنه ليس علينا

التدخل ، إن أرادك لقال ترف تعالي "

مدت شفيتها كعادتها ثم قالت بعبوس " أمجد فقط يدخل

لمجلس الرجال ويخرج مع عمي منصور ومع عمي

معتصم ويزور الخيول ويدخل معه الآن للمكتب "

ضحكت وأنزلتها وقلت " علينا إيجاد حل

لك مع الأبواب المغلقة "

نزلت بيسان وقالت تخفي فمها بيدها موجهة

حديثها لترف " قد يكون سيوبخه أو يضربه "

ضحكت ضحكة صفراء وقالت " نعم حمدا

لله أنه لم يأخذني معه "

ثم ضحكتا معا وسارتا مسرعتين جهة الباب وتبعتهما

أضحك على خبثهما ، معهما الحق يموتان فضولا لأن

أمجد لن يقول أبدا ما سيقول له خصوصا لو طلب منه
أن لا يخبر أحدا فلن يموت ذاك الفضول إلا بالتوقعات
السيئة ، صعدت خلفهما ودخلت لغرفتهما وقالت ترف

"نلعب بالقلعة ماما"

هزرت رأسي بحسنا وأنزلت مفتاح الغرفة من أعلى

ومددته لبيسان وقلت " لا أريد شجارا مفهوم"

قالتا وهما تغادران " مفهوموووم"

بدأت بترتيب غرفتهم على دخول أمجد قائلا

"أبي قال أن تلحقي به لجناح عمتي زهور"

ابتسمت له وقلت " شقيقتك عند القلعة اهتم

بهما بني تعرفهما تتشاجران دائما هناك"

قال مغادرا الغرفة " حاضر"

خرجت بعده أراقبه مبتسمة أمجد بدأ يكبر حتى

أنه أصبح أحيانا يناديني أمي وينادي والده أبي

التفت ناحيتي ثم عاد جهتي ووقف أمامي وقال

"أبي قال أن أنتقل لغرفة بجوار غرفة عمي معتصم"

مسحت على شعره وقلت مبتسمة " وعليك أن تفعل فورا"

هز رأسه بنعم وقال " قال أن أخبرك لتخبري الخادمت"

هزرت رأسي بحسنا ثم قبلت خده وغادرت ، يبدوا

حتى جابر أصبح يفكر فيه على أنه أصبح كبيرا

وعليه أن يعلم ويتعلم أن يعتمد على نفسه كي لا يكبر

معتمدا على غيره ، سرت باتجاه ممر جناح زهور

فكان جابر يقف في بدايته يتحدث بالهاتف مستندا بيده

على الجدار فوقفت بجانبه وأحطت خصره بذراعي

فأنهى المكالمة وأمسك كتفي وسرنا سويا حتى باب

جناحها وقال " إن اتخذت أسلوب الصمت في

أي وقت يعني غادرا من نفسيكما"

ضحكت وقلت بهمس " طردة بأسلوب غير مباشر إذا"

طرق الباب وفتح مقبضه قائلا " لم تكن هكذا أبدا"

دخلنا وكان جناحها رائعا ويظهر عليه ذوق الأنثى ووقع

نظري على حوض الأسماك مباشرة من كثرة ما حكيت

عنه ترف وبيسان ، نظرت له وقلت " منذ يومين أرسلت

خادمتها وقالت أنها تريد أبناءك وقضوا معها وقتا هنا"

نظر لي باهتمام وقال بهمس " هذا تقدم كبير "

هزرت رأسي بنعم مبتسمة على انفتاح باب غرفتها

وخرجت منه تنظر لنا بحيرة فقلت مبتسمة

"متسلان وأمسكت بنا"

ابتسمت ابتسامة صغيرة وعلى ما يبدو هذا أكثر ما

تقدر عليه وتعتبر ضحكة طويلة ، كانت ابتسامة جميلة

مثلها ، لا أعلم هذا الذي تزوجها كيف سيخرج من المنزل

ويتركها لو كنت مكانه ما فارقت وجهها ليلا ولا نهارا

أشارت بيدها للأريكة وقالت " تفضلا "

توجهنا حيث أشارت وقال جابر " أحضرت لك معي

ثرثارة ستجعلك تطردنا بالصوت العالي "

جلسنا ونظرت له بضيق وقلت " كنت تركتنا حتى

خرجنا لما الإهانات أمامها هل تريد أن تنفرها

من الزواج من قبل أن تذهب له "

جلست والابتسامة لم تفارق وجهها ، لهذا جابر يمزح

على غير عادته فيبدو يحبها ولا يعجبه حالها هكذا

ويتمنى ولو زرع الابتسامة على شفثيها ، جابر من لا

يقترب منه لا يعرفه على حقيقته ، وطبعاً لأنني أعلم أنه
أحضرني لأتحدث أنا ووجوده هو فقط لكي يكون وجودي
منطقياً فتحدثت أنا قائلة " قبل زواجي زرت مجعاً للتسوق
رائع وكل شيء فيه أعجبنى حتى كدت أشتري كل شيء
ما رأيك أن نذهب له معا لتشتري كل ما يلزمك"
أشاحت بوجهها وقالت ببرود " شكراً لك لكني لا أريد"
قلت من فوري " أنتي عروس لا تجعلي شيئاً يعكر هذه
الفكرة في رأسك ومهما كان فعيثي حياتك ، شقيقك
سيدفع كل ما ستشتريه فالعرض مغري حقاً"
نظرت ليدها في حجرها وقالت " لا أحتاج شيئاً"
قلت مبتسمة " لو كان لي شقيق لسحبت ماله حتى انتهى"
ثم تنهدت وتابعت بهدوء " كم تمنيت حياتي أني لست
وحيدة فأجمل شيء أن يكون لك عائلة يحبونك لذلك
غطى أبناء جابر حين كانوا معي كل ذاك المكان وكنت
متلهفة لأن يكبروا وخصوصاً أمجد كي أشعر بمعنى
الشقيق الذي يرعاني ويوفر ما أحتاج وإن كان

أصغر مني بكل هذه السنوات"

ثم نظرت لجابر وقلت مبتسمة " لكن أوجد أحضر

لي هدية أكبر رجلا جاهزا وفر كل ذلك وأكثر"

ثم نظرت جهتها وقلت " جربي أن نزوره فقط ولا

تشتري شيئا إن أردتي"

قالت بحزن " أنا حقا لا أحتاج شيئا"

قلت بخيبة أمل " لم أتخيل أن تخجلينا وتردينا خائبين"

نظرت للأرض بحزن ولم تتكلم ويبدووا دخلت حالتها التي

حكا عنها جابر فوكزت جابر وأشرت له بعيناي ليغادر

فهمس لي في أذني قائلا " لا تضغطي عليها كثيرا"

هزرت له برأسي بمعنى حسنا وخرج في صمت فقلت

" أفهم شعورك يا زهور ويبدووا أنك مثلي حين تزوجت

جابر ، أنا لا أعرف سبب نفورك منه لكني أعرف معنى

أن تتزوجي بغير اقتناع فتصوري أنني لم أشتري ولا قميص

نوم أو ملابس خاصة ألبسها له ولبست قميص نوم من أول

ليلة ولو عاد بي الزمن للوراء لا اشتريت تلك الأشياء

المبهرة ولكنك ارتديت في أول ليلة على ذوقي"

لم تتكلم فقلت بدون ياس " أنتي لا تعلمي قيمة نفسك

أقسم لو كنت في جمالك لبقيت طوال النهار

بقميص النوم ولن أخلعه"

نظرت حينها جانبا وابتسمت تمسك ضحكها فقلت

مبتسمة " البسيه له فقط وانظري ما سيحدث له"

ماتت ابتسامتها وقالت " لن يفهم أحد وضعي يا أرجوان"

قلت بهدوء " لا أريد أن أتدخل في أمور لا تريدين

التحدث عنها يا زهور وأشعر أن ثمة ما يكدرك في

هذا الزواج لكني لا أريد أن تكسري بخاطر شقيقك

فاشتري ولو حليا وفساتين خروج وحين تقرري أنك

تريدين تلك الأشياء فقط أعطني الإشارة فتكون

لديك جميعها في لحظات"

تنهدت ورفعت شعرها خلف أذنها وقالت

"من أجله سأشتري ما قلته فقط"

وقفت وقلت " إذا لن نخرج مرة واحدة

وسنختار على مهل"

وقفت وقالت " لا هي مرة واحدة فقط"

اقتربت منها وأمسكت يدها وقلت " تلك من أجل

جابر وهذه أريدها من أجلي اتفقتا"

نظرت للأرض لوقت لكني لم أتحرك من مكاني

حتى أسمع رأيها فهزت رأسها بحسنا وقالت

"إذا مرتان أو ثلاث فقط"

قلت مبتسمة " موافقة رغم أن جسدي وبشرتك

الناصعة لن تتعبنا في الاختيار"

ثم قلت مغادرة " سنتفق فيما بعد على وقت خروجنا"

وخرجت من عندها وهي على صمتها وأرى جيدا

عدم اقتناعها بكل هذا لكن لن أياس أبدا فعلى الأقل

تخرج من غرفتها وعزلتها ، وصلت غرف الأطفال

وغرفة القلعة ولا أحد هناك ... غريب أين ذهبوا!!

توجهت لجناحي فلم يكن هناك أحد ولا حتى جابر

غيرت ثيابي وارتديت ملابس أكثر جمالا وأناقة

تنوره قصيرة عند الركبتين وقميص ضيق ملون

ومشطت شعري وأمسكته بمشبك ووضعت كحلا
وأحمر شفاه وخرجت من الجناح لأبحث عنهم في
الطابق السفلي فاخفائهم ليس طبيعيا وما أن وصلت
السلام حتى كانوا صاعدين هم وجابر وما أن رأوني
حتى قالت ترف راكضة جهتي " ماما رأينا المسيح"
نزلت عندها وقبلت خدها وقلت " جميل وأين أصبح"
قال أمجد " سينتهي قريبا هكذا قال صديق أبي"
قال جابر " هيا لدراستكم الآن كي لا تحرموا منه"
توجهوا جهة غرفهم يتحدثون بحماس ووقفت أنا على
طولي وتوجهت جهته مبتسمة ووقفت على رؤوس
أصابعي وحوطت عنقه بذراعي وقلت خده وهمست
"حياتي بدونك لا تساوي شيئا يا جابر"
لف ذراعيه حول خصري وضمني له وقال
"والدليل"

ابتعدت عنه ونظرت لعينييه وقلت مبتسمة " اختبرني"

أمسك أنفي وقال " ماذا حدث مع زهور"

أبعدت يده وقبلتها وضممت ذراعه وسرنا

معا قائلة " وافقت أن نخرج وأكثر من مرة

لكن لتشتري أشياء محددة فقط"

فتح باب الجناح ودخل ودخلت بعده قائلة

" ما قصة رفضها لهذا الرجل رغم موافقتها عليه"

قابلني وقال ويداه في جيوبه ونظره جانبا " لا أعلم ولا

يبدوا أمرهما طبيعيا لكن لا أريد أن تدخل الظنون

رأسي فأنا أعرف زهور جيدا ورضا أيضا"

قلت بهدوء " يبدوا زواجها السابق السبب"

نظر لي وتنهى في صمت فحضنت وجهه بيدي وقلت

"ذاك لزهور والآخر للأولاد فماذا من أجل زوجتك"

أبعد يدي وقبل إحداهما والأخرى وضعها على صدره

وقال مبتسما " غداء في النرجسة البيضاء"

فتحت فمي من المفاجئة فتابع بابتسامة جانبية

"وليس الذي في السقف طبعاً"

ضحكت وحضنته بقوة أوس وجهي في صدره

وقلت مبتسمة " أقسم أنها من دونك بلا معنى

ولا تسوي شيئاً وبلا دليل"

*

*

وقفت أمام باب منزلهم وضربت الجرس فخرج

لي عمر فقلت له " أذهب وأخبر بتول أن ثمة فتاة

تريدها أمام الباب الخارجي ولا تتركها تخرج

دون عباءة وحجاب مفهوم"

هز رأسه بحسنا ودخل مسرعا وخرج بعد لحظات

وأخرج رأسه لي وقال " قالت اسألها من تكون

وأدخلها للباب الداخلي"

قلت مبتسما " قل لها لا تريد الدخول وتقول

أخرجي لي بسرعة"

قال بتساؤل " ولما لا تدخل لها بنفسك" !!

قلت ببرود " عمر نفذ بسرعة بلا كثرة أسئلة"

دخل وبقيت واقفا مستندا بجدار سور منزلهم يداي

في جيوبي حتى سمعت صوت خطوات حداثها فنظرت

خلسة فكانت ترتدي عباءتها وتضع حجابها على رأسها

فابتسمت بمكر وابتعدت قليلا حتى اقتربت خطواتها أكثر

وفتحت الباب ولم تجد أحد أمامه فأخرجت جزء من جسمها

تنظر للجانب الآخر فأمسكت بيدها التي تمسك بالباب

وسحبته لي فصرخت قائلة " معتصم هل جنت أترك يدي "

لكني لم أكثرث لها وسحبتها معي فقالت وهي تركض

خلفي " معتصم ما هذا الذي تفعله "

وصلت بها للسيارة قائلا " زوجتي وأريد الخروج معها "

استلت يدها من يدي وقالت بضيق

"لست زوجتك ولا زوجة أحد تفهم "

أمسكت يدها مجددا وقلت

" حسنا لست زوجتي أنا زوجك فقط "

شدت يدها مني بقوة فأمسكتها وفتحت باب السيارة

وقلت " اعتبري أني ابن عمك فقط يا بتول

ولا تجعلينا فرجة لخلق الله "

دخلت السيارة تتأفف فأغلقت بابها وركبت

فقالت بضيق " ومنذ متى يا ابن عمي تنتزعه بي "

انطلقت وقلت مبتسما وأنا أنظر لها

"منذ الآن يا ابنة عمي"

كتفت يداها لصدرها ونظرت للأمام وقالت بضيق

"وما هذه الطريقة السيئة بدون علم أهلي ولا موافقتي"

نظرت لها ثم للطريق وقلت " أخبرت والدك أنني سأأخذك

من المنزل ووالدتك لن يخفي عنها عمر شيء أو

ستتصل بوالدك وسيخبرها"

تأففت ونظرت جهة النافذة ولم تعلق فقلت مبتسما

"فرصة كما تريدين فأعطني إياها"

قالت ببرود ولا زالت تنظر للنافذة

"أنا لم أرد ذلك ولم أطلبه"

لذت بالصمت ولم أعلق كي لا تففز من نافذة السيارة

وشغلت مسجل الصوت وبدأت أغني مع الفنان

((احبك جدا واعرف أن الطريق إلى المستحيل طويل))....

قطعت صوته بأن مدت يدها وأغلقتة ثم عادت بنظرها

للنافذة وقالت ببرود " لا أحب هذه الأغنية"

قلت مبتسما وأنا أمد يدي له " لا بأس غيرها"

مدت يدها وأبعدت يدي قائلة " لا أحب جميع الأغاني"

ضحكت وقلت " لا مشكلة أغني أنا"

نظرت لي بصدمة فقلت بعد ضحكة " سيعجبك صوتي"

نظرت للأمام وقالت بضيق " إلا إن كنت تريد

أن أتقيء لك في سيارتك"

قلت بضحكة " وما نفع معامل غسل السيارات فلنجرّب"

نظرت لي وقالت بحدة " معتصم"

أوقفت حينها السيارة وقلت مبتسما " لا أريد أن أقول

نعم يا حبيبة معتصم لأنني أخاف أن تؤذيني"

نظرت جهة النافذة وقالت بضيق " كاذب"

قلت وأنا أفتح باب السيارة " لا بأس كاذب كاذب هيا انزلي"

نظرت لي وقالت بصدمة " ننزل أين"

أشرت بإبهامي للمكان وقلت " للمطعم طبعاً"

قالت من فورها " وما نفعل في المطعم"

ضحكت وقلت " سنلعب لعبة النادل والزيون"

ثم تابعت وأنا انزل " سنتناول الغداء طبعاً"

وقفت أنتظرها ويبدو لا تفكر في النزول فتوجهت

جهة بابها وفتحته وقلت " هيا أنزلي"

مدت لي ساقها لخارج السيارة وقالت بضيق

"بحداء المنزل وعباءتي وحجابي كالأرملة"

قلت بصدمة " لا تفاولي علي لازلت في عز شبابي"

أمسكت الباب لتغلقه فأمسكته منها وقلت

" أنزلي هيا ما به حذائك ما أجمله وملابسك

أيضا ولا تهتمي لأحد مادمت تعجبيني"

نظرت لي نظرة قوية غاضبة فقلت بضحكة وأنا

أسحبها من يدها " ولا أعجبك ولا تحبيني بسرعة

قبل أن يلغوا حجزنا ويطردونا"

نزلت تتأفف فأمسكت يدها ولففتها حول ذراعي داخلان

حتى وصلنا الطاولة فقالت " اترك يدي لأجلس

ولا تخف لن أهرب منك"

ضحكت وتركت يدها وقلت وأنا اسحب لها

الكرسي " لا تضنين بي خيرا أبدا"

جلست ولم تعلق وما أن جلست حتى كان النادل

عندنا وقال " مرحبا بكما وماذا تطلبان"

نظرت له ثم لبتول وهي ترى قائمة المأكولات

وقلت مبتسما " سأخذ على دوق زوجتي"

خبأت وجهها في ورقة القائمة وتأففت بصوت

منخفض ثم أبعدها ورمتها على الطاولة وقالت

"أريد سمكا مشويا وطبق قريدس وبلح بحر وإن

كان لديكم عصيرا من شيء من البحر فأحضره"

نظرت لها بضيق ... هذه المحتمالة تعلم أنني اكره

المأكولات البحرية ، اختفى النادل في طرفة عين

كي لا نغير شيئا وقلت ببرود " ستأكلين كل ما طلبته"

قالت بابتسامة جانبية " الم تدعوني للغداء فتحمل إذا"

قلت بنفاذ صبر " بتووول"

قالت بضيق " أعدني للمنزل إذا"

تنهدت وقلت " أمري لله سأستحمل"

ضربت بقبضتها على الطاولة وقالت بحدة

"لم أطلب منك جلبي لتستحملني"

قلت بابتسامة جانبية " أخفضي صوتك أم

تريدين أن يروا حدائك"

قالت بأسى " لما تكرهني لما تفعل بي

هذا ولماذا تسخر مني"
تهتت وقلت بهدوء " بتول أرفعي

هذه الأفكار من رأسك"
أحضروا الطعام فأخذت المنديل وأغلقت انفي

به وقلت " كلي بسرعة ليأخذوه"

كتفت يداها لصدرها وقالت " لا أريده"

قلت بضيق " بتول توقفي عن لعب الأطفال"

قالت ببرود " قلت لا أريده فكله أنت أو تصرف به"

أشرت للنادل وما أن جاء حتى قلت له " أرفع كل هذا

واحضر لي طبقي المعتاد وسادفك كامل الحساب"

حملوا الأطباق بسرعة فأبعدت المنديل وقلت بهدوء

"بتول لا تفكري أنك بهذا ستجعليني أطلقك"

شربت من كوب الماء وقالت ببرود

"لا يهم ففي النهاية ستطلقني"

جلبوا لنا الأطباق الأخرى وأمسكت الشوكة وقلت

وأنا أكل من طبقي " كيف تسير أمور دراستك "

نظرت للجانب الآخر وقالت " كالعادة "

قلت بذات هدوني وأنا منشغل بالطعام

" أنا سأجتاز العام بسهولة فلا أروع من أن

تدرس ما ترغبه وتتمناه "

نظرت لي فقلت مبتسما " وماذا عنك أنتي ماذا

تريدين أن تدرسي في الجامعة "

نظرت للأسفل وقالت " لم أقرر "

وضعت الشوكة وقلت " لا بد وأن لك ميولا لشيء

ما فلا أحد لا يريد أن يكون شيئا "

قالت بحزن ونظرها لازال للأسفل " لم يتركني أحد

أتمنى شيئا فمدرس اللغات تسبب بإعادتي لعام كامل

ووالدتي نزعت وقتي في تربية أبنائها الذين لا يكبرون

ولا ينتهون ووالدي نزع مني حريتي الشخصية

وزوجني دون علمي ، هذا غير من سخر مني حتى

أصابني بالإحباط وجعلني أكره اسمي ونفسي"

تنهدت بحيرة وأنا أراقب ملامحها ، هل ترى نفسها

هكذا ؟ هل هي محببة لهذا الحد ولا يلحظها أحد

كانت نظرتي لها دائما أنها مدللة حد أنها لا تعرف

الصحيح من الخطأ والغير المهم من الضروري

قلت بهدوء " وأنا كنت دائما اشعر أنني شيء لا معنى

له في الحياة فمن هم في سني أنهوا دراستهم وتخرجوا

وتزوجوا وأنا لم ابدأ دراستي بعد لأنني أريد شينا ووالدي

تريد مني أن أكون كما تريد وحتى من أردتها زوجة

تكرهني وحين تزوجتها أخفيت الأمر عنها كي لا أشعر

أكثر أنني غير مهم بالنسبة للجميع"

نظرت لي بعينان تمتلئ دموعا وقالت بأسى

"لما تزوجتني وأنت تكرهني"

تنهدت وقلت " أنا لا أكرهك يا بتول"

هزت رأسها بلا لتتنزل أول دموعين فوقفت وجلست

في الكرسي المجاور لها ومسحت دموعها بالمنديل

وقلت " حسنا لا تبكي ولن نتكلم في الأمر"

ثم أدخلت يدي في جيبتي وأخرجت علبة فتحتها وقلت

"دعيني على الأقل ألبسك خاتم الزواج"

خبأت يداها تحت الطاولة فأخرجتها وقلت

"ارميه حين يطلقك مني لكن الآن اقبله"

قالت بضيق وهي تشد يدها " لا أريد قلت لك لا أريد"

تركت يدها وأعدته لعلبته وأغلقتها وقلت بحزن

"أعلم أنني فاشل في كل شيء راعي مشاعري على الأقل"

لم تتكلم ولم ترفع رأسها فتابعت " لا تكوني

ووالدتي دراستي وحياتي جميعكم علي"

انتظرتها في صمت حتى أخرجت يدها ومدتها

لي قائلة " الآن فقط ولا أعترف بك"

ابتسمت ابتسامة انتصار تخالطها ابتسامة مكر

وأمسكت يدها وألبسته لها ثم رفعتها لشفتاي وقبلتها

وحضنتها بكلتا يداي وقلت وأنا انظر لملامحها

"أتمنى أن يبقى فيهم للأبد"

نظرت لي لتلتقي عينانا ثم سرعان ما شدت يدها

وسحبته من يداي وقالت " يكفي أعدي للمنزل"

قبلت خدها بسرعة لتقف منتفضة ثم وقفت وقلت

ضاحكا " للمنزل يا متعبتي"

*

*

كان اليوم مميزا ولا أصدق أنه أخرجني للغداء رغم
أننا عدنا سريعا لاتصال ورده ثم غادر فورا لكنه الآن
اتصل وقال أنه عائد للقصر والوقت لازال مبكرا ، لما
يصبح الرجال مهمين في حياتنا بسهولة وبلا تعب ولا
مجهود بينما تسعى المرأة وتتعب كي تحضا بحبه
سمعت خطواته في الجناح فعدلت قميص النوم ورتبت
شعري لحظة دخوله وأغلق الباب خلفه ثم نظر له
وأمسك طرف الورقة المعلقة به وقال ونظره عليها
"متى سأعرف سر هاتين الورقتين"

توجت نحوه وأبعدت يده عنهما ثم وقفت على رؤوس

أصابعي وقبلت خده وقلت " عليك أن تكتشف وحدك"

نظر لهما وقال بتفكير " القبلة بأحمر الشفاه عمودك

أنتي بالتأكيد والآخر تحت الشارب عمودي أنا"
ثم نظر جهتي وقال بضيق " ولما عمودك في واحدة
يكاد يمتلى والأخرى مثله وأنا في واحد

عدد قليل والآخر صفر"

حركت كتفي مبتسمة بمعنى لا أعلم فتتبع بإصبعه

العمود وقال " اليوم زدت لي واحدة فما يعني"

حضنت ذراعه واتكأت عليها وقلت

"فكر واسترجع ذكريات اليوم وستعرف"

لاذ بالصمت لوقت ثم حضن خدي بكفه ومال

برأسه ورفع وجهي له وقبل شفأتي ثم قال بمكر

"أضيفي واحدة لي الآن"

أملت فمي وقلت بضيق " كيف علمت"

ضحك وقال " سهلة جدا"

تنهدت بقلة حيلة وتركت ذراعه وأمسكت القلم المعلق

معهما على الباب وأضفت له واحدا في عموده فقال

متجها للخزانة " لكنك مخادعة فأنا أملأ العمود في ليلة"

وقفت مستندة بالباب وقلت بابتسامة

"الليل لا يحسب منه شيء"

عاد بعدها ناحيتي ووقف أمامي محاصرا لي

بيديه وقال " وماذا إن ملأته الآن"

قلت بعد ضحكة صغيرة " تحسب واحدة طبعاً"

أمسك ذقني ورفع وجهي له وقال " هل تقصدي

أنك تعطيني على كل ليلة واحدة فقط"

قلت بهمس " نعم"

رفع ذقني له أكثر لارتفع على رؤوس أصابعي ومال

برأسه وقبلني قبلة طويلة ثم أبعد شفثيه ببطء

وقال بهمس " محتالة"

ضحكت ضحكة صغيرة ومسحت بيدي على خده

وقلت ونظري في عينيه " سأجعل هذه اثنتان لروعتها"

ابتسم بمكر ثم قال " والورقة الأخرى"

هزرت كتفي أرفض الإجابة فشدني له وحاصر

خصري بذراعيه وقال " تجيبين الآن وإلا"

ابتسمت ومسحت بكفي على صدره الصلب العريض
وكتبت عليه بإصبعي وأنا أقولها مع حركته وبهمس

"أحبك"

ثم رفعت نظري له وأملت رأسي قليلا وقلت بابتسامة

"عليا أن أضيف واحدة لي الآن"

رفعتي للسريير ورماني عليه وجلس فوقي فقلت

بضحكة "ألن تملئ فيه شيئا كالآخر"

مسح بكفه على طرف وجهي ومال وقرب وجهه

حتى تلامست أنوفنا ثم قبلني قبلة طويلة أفقدني

فيها نصف حواسي ثم ابتعد قليلا وملاً صدره بالهواء

وقال بهمس "أنا لا أعترف بالحب يا أرجوان"

لنتصلب جميع مفاصلي وتفتح عيناى على اتساعهما

من الصدمة وما أن فتحت فمي لأتكلم حتى أغلقه

بأصابعه وقال وعيناه في عيناى "هل سألت نفسك يوماً

لما لم تحبيني من قبل أن أتزوجك أو من قبل أن تريني

قبل بعدها عنقي قبلة واحدة ثم نظر لي مجدداً وقال

"أنتى اعتدت وجودى فى حياتك فقط يا أرجوان"

أعترف أن هناك شيء اسمه عشرة وأسمه تعود

واحترام بين الزوجين لكن حب هذه كلمة اخترعها

الناس ليغطوا بها بعض أكاذيبهم فكم من علاقة

وزواج فشلا تحت هذا المسمى"

أبعدت يده على شففتاي وقلت بهمس مصدوم

"لكني أحبك"

قال مبتسما وهو يمرر إصبعه على شففتاي " بل اعتدت

وجودي في حياتك ووفرت لك أشياء تفتقدونها"

هزرت رأسي بلا وعيناي تمتلئان بالدموع من فضاة

ما سمعت منه ، قبل شففتاي قبلة صغيرة وقال

"الحب مجرد كذبة اخترعها البشر"

بدأ تنفسي يعلو ويهبط ليحرك صدري للأعلى

وأسفل بقوة وقلت ببحة " وهذا بما تسميه"

قبل شففتي مجددا وقال بهمس " هذا فطرة وغريزة يا أرجوان"

وانتقل بعدها لعنقي يقبله بشغف لتنزل الدموع التي أمنعها

من النزول وكلماته تحرق قلبي حرقا ... غريزة وتعود

وعشرة ، هل يرى هذا غريزة فقط هل نحن حيوانات
نعم لهذا مارسه معي من أول ليلة فهو صادق لا يراه سوا
غريزة بل شهوة لن يختلف عنده الأمر إن كنت أنا أو غيري
في هذا الموضوع الآن ، هل يراني شخص اعتاد وجوده
في حياته فقط ، كنت أشعر بقبلاته على جسدي كالجمر
ولأول مرة أشعر بهذا الشعور معه وكأني أنام في حضن
الشوك بل وكان حضنه تحول لأشواك ، أغمضت عيني
بشدة والدموع ترفض التوقف ، الآن فقط فهمت وضعي
هنا ومكانتي لديه ، الآن فقط أدركت أنني مجرد أداة لغرض
ما يمكنه إبدالها بأخرى دون أن يبالي فكل ما بيننا في
نظره عشرة وتعود وشهوة تغطيها أي امرأة

نهاية الفصل وصبرا جميلا يا حزب جابر
وهذي عيديتكم أو تصبيرة للفصلين 24 و 25

بقيت على حالي أراقبهم واغني حتى شعرت بيد أمسكت
يدي وسحبنتي معها للأمام وكان نواس وقال دون أن
يلتفت إلي " لما تراقبينها عن بعد اقتربي أكثر"

قلت وأنا أسرع خلفه " أترك يدي لا أريد

أن أذهب إليها"

تابع سيره وكأنه لا يسمعي فتأففت وقلت بضيق

"نواس أتركني وشأني"

تجاهلته وحاولت معها مجددا وقربت لجامها

برفق وأنا أقول " ما بك يا الوسن لترحمني

إحداكما ولا تكونا كليكما ضدي"

حركت حوافرها وتراجعت فشدته أكثر وتأففت

وقلت بضيق " لا تغضبا كليكما هي كانت السبب

يا الوسن ما بك وكأن من برمك عليها

من أين تعلمين بكل هذا"

نظرت لي وقالت بعينان دامعتان " هذا حالي

يا ملاك كلما رأيته خارجا من هناك حيث غرفتهما"

سقطت الدمعة الأولى من عيناها وتابعت بأسى

" هذا حالي كلما سمعت اسمه من شفيتها

كلما تحدث معها ... كلما ذهب لها"

قالت من فورها " أمممم هوا شاب بشعر أسود

وعينان سوداء طويل وعريض"

ثم ضحكت ضحكة صغيرة وقالت " رجل خيول يدعى معاذ"

فقفزت حينها جالسا مستويا منزلا قدماي للأرض وأنا

أستمع لها تقول " أراه دائما ولا يراني ومنذ وقت طويل

حتى بث أسمع صوته كل ليلة من شيء يعرفه جيدا"

صدق نواس حين قال أنها ليست من النوع

السيئ في التعامل مع البشر لكن كتمها لحسرتها

سيؤذيها وينقذ غيرها ، تمنيت أن تحدث معها لكني

وعدت نواس أن لا أحتك بها فاجتزتها صاعدة

ليوقفني صوتها قائلة " مي"

قالت بأسى " نعم استوفي مني باقي ديونك يا ابن

خالتي لعك ترحمني بعدها وتطلق سراحي"

فتح فمه ليتكلم فاقتربت منه وسددته له بيدي وأمسكت

بالأخرى ذراعه وقلت بهمس وأنا انظر لعينيه

"نواس حلفتك بالله أن تتوقف"

لذت بالصمت ولم أتحدث فقالت بأسى " وسن هوني

عن نفسك قليلا وقولي لي ولو أكثر ما يتعبك هناك"

قلت بابتسامة مغصوبة " ما سأحكي لك يا فرح من ماذا"

قالت بحزن " هل الأوضاع سيئة لهذا الحد"

قلت بحسرة " للبارحة تشاجرنا حتى كان سيضربني

لولا زوجته أوقفته"

توجهت لغرفة راضية وطرقت عليها الباب كثيرا حتى

فتحت لي من نومها وقالت بقلق " وسن ما بك ماذا حدث"

قلت مباشرة " أين نواس هل هوا في غرفته"

قالت بعد تفكير " بعدما عاد عند العاشرة صعد للأعلى"

قلت مباشرة " نعم اعلم هل نزل بعدها وخرج أم لا"

قالت " نعم نادى على وليد بصوت مرتفع ويبدووا

غاضبا جدا وخرجا معا"

نظرت لها بضياح مطولا فقالت " وسن ماذا هناك

هل نواس به مكروه" !!

قلت " لا لكن تذكرني هل عادا بعدها أم لا"

رفعت كتفيها وقالت " دخلت غرفتي عند الثانية

عشرة وكانا لم يعودا بعد"

إذا هم في الخارج منذ ساعتين وظنوني صدقت وهذا

ما سيفعله

ابتعدت عن السيارة لأغادر فركض أحد العمال نحوي

قائلا " سيد نواس إسطلب الوسن مفتوح"

فأخذت البندقية منه وركضت دون شعور

ضحك حينها فراس بصوت عالي فقلت ببرود

"نعم اضحك حمدا لله أني رأيت لك أسنانا"

أمال رأسه جهتي وهمس " ستري إن لم أقص

لك هذا اللسان يا رُدين"

قلت باستياء " لم أعد أريد هذا قلت لك"

وقف وقال بحدة " رُدييين"

سكت كل من حولنا ينظرون لنا فتأفف وواصل
السير يسحبني كالنعجة ، غريب أين كانت عصبيته
كل ذاك الوقت ، ومن الآن سأجهز نفسي لحدثه حتى
نعود للمنزل لكني لن أنساها له أبدا أنا يشك بي ويقولها

هكذا علانية

بحث في ترددات

القنوات حتى تبث على إذاعة للقرآن الكريم ورفع
الصوت حتى ظننته سيخترق رأسي من أذناي وأنا
أتابع حركة يده من البداية وبصدمة وأحاول أن لا
أترجم معنى هذا أنه لا يريد أن نتحدث معا أو أن
ينهي الحوار من بدايته

قالت بصدمة " كيف هذا فقط ! ما رأيه هوا وما

مشاعره نحوك وما قال لك"

هزرت رأسي مجددا وقلت " لم يقل شيئا ولا أعلم

شيئا ، هوا بعد ترك خطيبته له منذ سنوات لم يعد يفكر

في شيء سوا عملية والدته ويرى أيضا أنني صغيرة

على الزواج من أي أحد"

تنفست بقوة وقالت " أي حفرة هذه التي أوقعت

نفسك بها يا سما"

نظرت للجانب الآخر ولم أعلق فقال بضيق " نزار للمرة

المئة أسألك لماذا تريد أن تخرج الفتاة من منزلك"

لم أعلق ولم أتحرك فقال مغادرا " إن فعلت ما في

رأسك وتضررت الفتاة أنا من لن يرحمك

قبل أهلها يا نزار"

التفتت لي وقالت بغضب أراه أول مرة " توقف عن
قول هذا يا نزار سحقا لك سحقا ، أنا لا أريد أحدا لا هوا
ولا غيره ولا يريدني ولا يفكر بي أكرهه تفهم أكرهه"

مررت أصابعي في شعري أنظر للأرض ثم قلت بانكسار
" أفهميها أن تنتظري إذا ولكن دون أن تخبريها"
قالت مباشرة " لا"

رفعت رأسي ونظرت لها فتابعت باستياء " لن أقول حرفا
وقله لها وحدك فأنا لن أعلقها بالآمال الكاذبة لتأتي أنت فيما
بعد وتقول أنك تحب أخرى وتريد أن تتزوجها فأنت لا
يعجبك إلا شبيهات رهام"

نظرت له وقلت بضيق " أنت تعالى هنا كيف تكذب عليا
أنت وجودك خاصتك كل تلك الأكاذيب وفي "

قاطعني فراس بصرامة " ردين أغلقي الموضوع كم مرة سأقولها"
تجاهلته ونظرت جهة أشرف الذي جلس على إحدى

الأرائك وقلت " هي تعمل مع فراس إذا يا كاذبان"

فتحت الرسائل وأرسلت رسالة لبتول كتب فيها

(ما أن تري رسالتي أرسلني لي رقم جابر)

جلست على كرسي طاولة التزيين وبدأت

بتجفيف شعري حين سمعت صوته قانلا

" هل أنهت زهور شراء كل شيء"

زدت من قوة المجفف ليزداد صوت ضججه وكأني

لم أسمع فأقترب مني واستل خيطه من الكهرباء ورماه

أرضاً وقال بضيق " هل لي أن أعلم سبب كل هذه

التصرفات يا أرجوان"

فدفعت صدره بيدي قليلا بحيث يشعر

بها ولا تحركه وقلت بأسى " أتعلم أكثر ما

بات يؤلم قلبي يا جابر"

توقف فجأة عما كان يفعل فتابعت بذات

الأسى " أن حضنك أصبح يجرحني كثيرا"

مددتها له وقلت

"أمجد أعطي هذه لمعتصم فور ذهابي"

لاحظت أنه ينظر لي باستغراب ثم حول نظره جهة

الخزانة خلفي وأشار لي بإصبعه هناك فالتفت بريية

لأشهب بصدمة حين وجدت معتصم واقفا عند الخزانة

مستند عليها مكتفا يده لصدره ومن غبائي واستعجالي

وخوفي لم أره حين دخلت ، ابتسم ابتسامة جانبية

وقال بمكر " ولما لا تعطيها لي بنفسك"

رمىها على السرير وركضت مغادرة جهة الباب

رغم أنني أعلم أن الفرار منه مستحيل

رفع إحداهما بعدما بحث عنها وقال " لدينا هنا وسن أحمد

عامر ، العمر واحد وعشرون سنة طالبة في جامعة العاصمة
للعلوم قسم أحياء ، تعيش حاليا مع ابن خالتها واسمه نواس خالد
شاهين تاجر خيول متزوج وليس لديه أبناء ، الفتاة لديها شقة
والدها ومحل لبيع البن والتوابل أغلق منذ وفاته هوا وشقيقها
كانت خطيبة لخالد الصقار لعشرة شهور بعدها فسخت الخطبة
منه وقبلها كانت على وشك زواج بابن خالتها المدعو نواس"
حركت جبيني بأصابعي وتهدت بقوة فنظر لي وقال
"تبدوا اليوم بنفسية سيئة للغاية هل أقول لك كم
مرة تأففت منذ دخلت عليك"

هز رأسه وقال " وأنا من صن أن لك عقلا كبيرا
وجئت أتناقش معك وهذا ليس طبعي"
قلت بحدة " توقف عن جرحي واهانتني يا جابر واعلم
أني لم أطلب منك مناقشتي وتوضيح منظورك
ونظريتك التي لن أعترف بها حياتي"

ابتسمت ابتسامة جانبية وقلت وأنا انزلها عند غرفة
قلعتهم المفتوحة " يبدو ذلك أو أن والدتك لا يعجبها الصدق"

نظرت لي للأعلى وقالت " نعتذر منها معا

لأنها لم تقبل اعتذاري"

اقترب وأمسك يدي وقال " اعذريني يا زهور
لم يطاوعني قلبي لأتغيب كزواجك السابق فما أن

خرجت من الوزارة حتى كنت هنا"

امتلات عيناى بالدموع وهما معلقتان بلامحه وقلت

"وما جعلك تأتي بعدما اعتذرت مني"

أمال ابتسامته وقال بصوت منخفض " زوجة شقيقك المصون

تشاجرنا بسبب هذا الأمر وقالت هل الوزير أهم عندك من شقيقتك

وعندما صرت هناك قارنت مشاعري وعلمت أنك أهم عندي

منه فغادرت سريعا وأدركتكم"

قلت بذات الهمس " زواجك بها يا جابر كان أفضل خطوة قمت بها"

شعرت بكل جسدي قد ارتجف من الفكرة ومن ذكرى الماضي

فدفعته عني وابتعدت وقلت بحدة " ابتعد عني لا تلمسني "

قال بهدوء وخطواته تقترب " حسنا لن ألمسك يا زهور

لا تخافي أعلم أن الأمر ليس سهلا عليك "

قلت بصراخ غاضب وأنا أتراجع " ابتعد يا رضا قلت لك "

بدأت بغرف الماء بيدي وسكبه على شعرها

وأنا أقول بغيض " تضحكين إذا ولم يعجبك أن أضحك عليك "

كنت أسكب عليها الماء بالتوالي وهي تضحك وتحاول دفعي

بوهن قائلة " توقف معتصم أرجوك لم أعد استطيع "

جلست وقلت بحدة " وما قصدك أنت حين تركتني ونمت بعيدا

ثم الآن تخبرني أنه لا مكان لي معك على ذات السرير الذي

تنام فيه ، هل وحدي التي أهينك وأنت لا "

قال ببرود " أخفضي صوتك أريد أن أنام"

رمى اللحاف عني وقلت باستياء وأنا أغادر السرير

"أقسم أنه أنت الذي أصبح لا يطاق"

انتهى أتمنى تكون نالت إعجابكم وكل عام وأنتم بخير

الفصل الرابع والعشرون

كان تنفسي يعلو شيئا فشيئا وأنا أركز على عيناها الواسعة
وأرى صورتني فيهما ، هل الخيول لا ترمش أم أن هذه الفرس
تنظر لي بدون أن تحرك رموشها ! بعد قليل أنزلت رأسها
للأسفل وكأنها ستأخذ شيئا من الأرض ثم رفعتة ونظرت لي
مجددا وكررت الحركة مرة أخرى وأنزلته قليلا ثم رفعتة
وعادت تنظر لي وقوة ما جعلتني أقرب منها بخطواتي
يبدو هدونها أو نظراتها المركزة على عيني أو لا اعلم
لما ، لم يسبق وتعاملت مع أي حيوان أليف واقتربت منه
وأنا خائفة منها حقا لكن شيء ما يشدني للاقتراب وما أن
وصلت عندها حتى قربت مقدمة رأسها من صدري فعدت

للخلف بشهقة وفزع وقلبي ينبض بشدة من الخوف لتحرك

رأسها يمينا ويسارا ويصدر منها صوت سهيل خفيف لمرة

واحدة فقط وعادت لهدونها وللنظر إلي فجربت الاقتراب

ثانيتها هذه المرة وأنا أتوقع اقترابها وليس كالمرة الأولى

وما أن صرت عندها حتى عادت خطوة للخلف وكأنها

خشيت أن أخاف منها مجددا ، فبقيت أنظر لها بحيرة فغريب

أمر هذه الفرس !! مددت يدي لها وكأني أقول لها تعالي

وهي على حالها تنظر لي بهدوء فهمست لها بصوت

مرتفع قليلا " لن أخاف منك هذه المرة"

وبالفعل اقتربت مني ووضعت فمها في يدي ، كنت خائفة

حد الجنون لكنني تماسكت كي لا تجفل مجددا ، أحسست بلسانها

على يدي فضحكت وأبعدتها ولمست بها جانب وجهها لتفاجئني

بحركتها بالأمس مع نواس لتدس رأسها في حضني ولم أشعر

بنفسي إلا وأنا أحضن رأسها بيدي الاثنتين لا أعلم إن كان

هذا الشعور ينتاب الجميع لكنني شعرت الآن أنني أحضن شخصا

يعرفني ويفهمني ، قد أكون رأيت فيها حضن نواس الذي تتمتع

هي به أو لأنها تحمل نفس اسمي ، مسحت على وجهها واتكأت

عليه بخدي وجانب وجهي وهمست بحزن " الوسن "

لتنزل الدموع التي أسجنتها طوال الساعات الماضية منذ

تساجرت معه وكأني انتظر أن يحضني أحدهم لأعطيها

الصراح ، وكأني أحضن خالتي أو فرح فوحدهما من كنت

أبكي وأتحدث في حضنهما ، تمسكت بها بقوة وقلت من بين

دموعي " لما يعاملني هكذا يا الوسن لما لا أنساه وأكرهه "

خرج منها نفس كالزفير فأبعدت وجهي ونظرت لها

وابتسمت بحزن ثم مسحت دموعي وقبلتها بين عينيها ولا

أصدق أنني أول مرة أقترب من حيوان وبهذا الحجم

عادت تنظر لي بتركيز فمسحت بيدي على وجهها

وقلت بابتسامة حزينة " هل تعلمي متى قتلني نواس "

نزلت دموعي واتكأت على وجهها مجددا وقلت بأسى

" حين تزوج بغيري وتركني "

ثم حضنت عنقها بذراعي وتابعت بعبرة

" والآن جلبني لأعيش معها "

دست رأسها في صدري أكثر فمسحت على شعرها

وقلت " هل توافقي أن تكوني صديقتي يا الوسن"
رفعت رأسها تستنشق عنقي فابتعدت قليلا وقلت بضحكة
"وأتمنى أن لا تموتي أو تسافري أو يأتي والدك ليزوجك

ويرحل بك كما حدث مع جميع من أحب"

مسحت بعدها على غرتها وقلت مبتسمة

" عليا الذهاب الآن وسأراك غدا حسنا"

ثم ابتعدت حتى وصلت الباب والتفت لها فكانت تنظر
لي فلوحت لها بيدي مبتسمة وخرجت وعدت أدراجي
للمنزل وأسرعت حين سمعت حديثا لأشخاص يمشون
ودخلت المنزل وصعدت لغرفتي ونمت أشعر ببعض
الراحة بعدما أفرغت شيئا مما أكبته في صدري وعند

الصباح جهزت نفسي قبل الوقت ونزلت للمطبخ

ووجدت الخادمة هناك فقلت وأنا أجلس على

الطاولة " صباح الخير يا راضية"

التفتت لي وقالت مبتسمة " صباح النور"

قلت وأنا ألعب بساقي في الهواء " رأيت صديق

نواس خرج فنزلت ، لقد تعبت من الوحدة"

وضعت طبقا على الطاولة وقالت " معك حق
فأنتي مسجونة هنا لكن وليد غير موجود أغلب
النهار فيمكنك التحرك بحرية"

قلت " هل وحده صديق لنواس"

قالت وهي تغسل كأسا " لنواس أصدقاء كثير
لكن المقربين منه وليد ومعاذ ومعتصم"
قلت من فوري " رأيت أحدهم رابطا يده ماذا به"
وضعت الكأس على الطاولة وقالت " ذاك معاذ لن
يرتاح حتى تنقطع عنقه من قيادته المجنونة للسيارة"
أمسكت منها طبق الخبز ووضعتة وقلت
"ولا يعيش هنا"

هزت رأسها بلا وقالت " لديه منزله ووالدته لكنه
يبقى كثيرا في شقة هوا ومعتصم في العاصمة"
لن أستطيع إخراج المعلومات منها بهذه الطريقة
وستشك بي في النهاية وعلينا أن نجد حلا آخر وسأتناقش
مع ملاك أولا ، قلت ونظري على قدمي " ألا يمكننا

الخروج أبدا حيث الخيل وباقي المزرعة كيف

تعيشون في هذا السجن"

قالت بصوت مبتسم " العمال وأصدقاء نواس هنا

دائما ولا إجازة لعمال الإسطبلات ولم يفكر

أحد بالخروج"

ثم أكملت وضع الأطباق والعصير ولا أفهم لمن

وظننته لي حتى دخل نواس قاتلا ببرود " صباح الخير"

أجابته راضية وقفزت أنا من على الطاولة وخرجت

من فوري من هناك ، لو كنت أعلم أنه له ما بقيت

وما به وكأني أنا من أخطأ في حقه وليس هوا

قالت راضية قبل أن أبتعد " وسن ألتن

تتناولي إفطارك قبل أن تذهبي"

أخذت مذكراتي ومعطفي من على الأريكة وقلت

مارة من جهة باب المطبخ " سوف آكل في الجامعة"

خرجت واتصلت بالسائق فأجاب بعد وقت فقلت

مباشرة " تعال لتأخذني للجامعة"

قال من فوره " ما يزال أمامك أكثر من

ساعة أنا في الخارج"

قلت بضيق " لما تحسب لي وقتي لا علاقة لك

بي أنا أريد أن أذهب الآن"

قال ببرود " حسنا أنتهي مما أنا فيه و آتيك"

تأففت وأغلقت الهاتف ، لا أعلم أي جرأة هذه التي لديه

دائما يتدخل بأوقات خروجي وعودتي ويحفظ جدول

محاضراتي أكثر مني ، إن كان ممنوع عني أن أتأخر

بعد المحاضرات فلا حل أمامي سوا الذهاب مبكرا

وقفت مستندة بالجدار الجانبي لمظلة الباب أنظر

لساعتي وأتأفف كل حين حتى لاحظت من بعيد

الشاحنة الكبيرة التي تحمل حصانان تتوجه جانبا

فسرت معها حتى وقفت وصرت أراقبهم من بعيد وهم

ينزلونهم ، كان صديق نواس الذي يعيش هنا ومعه

عاملان يحاولان إنزالهما برفق وأنا أحرك قدمي

وأراقبهم وأتمتم بأغنية عن الخيول كنت أحبها وأنا

صغيرة ومستمتعة بمراقبتهم ولم أتخيل يوما أن الملل

سيصل بي درجة أن أستمتع بمشهد كهذا وكأني طفلة
بقيت على حالي أراقبهم واغني حتى شعرت بيد أمسكت
يدي وسحبنتي معها للأمام وكان نواس وقال دون أن
يلتفت إلي " لما تراقبينها عن بعد اقتربي أكثر"

قلت وأنا أسرع خلفه " أترك يدي لا أريد

أن أذهب إليها"

تابع سيره وكأنه لا يسمعي فتأففت وقلت بضيق

"نواس أتركني وشأني"

ولم يزد إلا سرعة ولم يأبه لي فقلت بحدة

"لا أريد أن أذهب معك ولا أن أرى خيولك فاتركني"

نظر جانبا وقال " نعم أتركوهم يدخلونهم الآن أنا

هنا والشاحنة الأولى وصلت"

لأرى حينها سماعة الأذن في أذنيه لأكتشف أنه كان

يتحدث بالهاتف ولا يسمع مما قلت شيئا ووقفنا حينها

عند الخيول التي أنزلوها واقترب منه صديقه وأزال له

إحدى سماعتي الأذن وقال " سأذهب للإسطبيلات بما أنك أتيت"

ثم أعاد له السماعة وغادر من فوره ونظرت ليدي التي

لا تزال في يده وحاولت سحبها منه ولم أستطع فنظرت له

وهو ينظر للخيل ويقول " سأحدث مع معاذ ونرى

أين وصل معه الأمر أنتم فقط افعلوا كما اتفقنا

وسنبيعهم اليوم أو غدا كحد أقصى"

استللت السماعه منه بقوة وقلت بضيق

"أترك يدي أريد أن أذهب لجامعتي"

نظر حينها ليده الممسكة ليدي ثم تركها وأعاد السماعه

لأذنه وغادر دون أن ينظر إلي وتركني واقفة مكاني

نظرت له حتى وصل حيث الشاحنة الأخرى مقتربة منه

ثم عدت بنظري للحصان أمامي واقتربت بخطواتي منه

ومددت يدي لألمس وجهه فجفل وسهل وعدت للخلف

مرعوبة منه وقام العامل بإمساكه من لجامه وإبعاده فشتمته

وأخرجت له لساني وغادرت ، ظننته له ذوق كتلك البيضاء

الجميلة التي جعلتني أعتقد أن كل الخيل مثلها ولم أتصور

أنها هي الحالة الشاذة ، وصلت عند باب المنزل وكان

السائق ينتظرنني فركبت من فوري وغادرنا المزرعة

*

*

دخلت سيارة معاذ بعد الشاحنة فورا ونزل واقترب

قائلا " جيد وصلوا على الموعد"

قلت وأنا أنظر خلفه حيث سيارة السائق مغادرة

"نعم والمشتري جاهز ونريد أن نحصل

فيها على سعر جيد"

ثم تركته وتوجهت حيث العاملان وكان أحدهما

يهدأ الحصان فوقفت عندهم وقلت " ما به"

قال وهو يشد اللجام " جمح من الفتاة حين اقتربت منه"

أمسكت منه اللجام وقلت " هذه الخيول ليست مروضة

طبيعي أن تتصرف هكذا مع الغرباء ، لكن لا تمنعوها

من الاقتراب من الخيول المروضة متى أرادت ذلك

وكونوا حذرين من أن تؤذيها"

نظرا لبعضهما وضحكا فنظرت لهما باستغراب

فقال أحدهما ضاحكا " لا أعتقد أنها ستكررها

لأنها شتمتها وغادرت مستاءة"

ابتسمت ابتسامة صغيرة ثم نظرت جانبا وبتركيز لساحة

الخيول وقلت باستغراب " لما لم تخرجوا الوسن"

رفع أحدهما كتفيه وقال " تركوا وليد يحاول معها لأنها

رفضت الخروج والتحرك من مكانها"

حركت لجامه للأسفل ببطء حتى هدأ وأعطيته له

وغادرت جهة الإسطبلات ، غريب كيف ترفض

الخروج هل هناك خيل لا تحب ذلك إلا إن كانت خائفة

من شيء ما في الخارج ، توجهت جهة إسطبلها تحديدا

وما أن اقتربت من الباب حتى سمعت وليد يقول بضيق

"تحركي يا الوسن ما بك اليوم مُتعبة هكذا"

دخلت قائلا " ما بها"

نظر لي وقال " تعال قد تكون تنتظرك أنت"

اقتربت منهما قائلا " العمال يخرجونها

دائما فما تغير اليوم"

وما أن اقتربت منها حتى أبعدت وجهها وأعرضت

عني فضحك وليد وقال " تبدووا غاضبة منك

لهذا ترفض الخروج"

أمسكت منه حبل اللجام وقلت ببرود " هذا حيوان

وليس بشرا ما هذا غاضبة و غاضبة"

حاولت معها كثير وهي تبتعد للخلف وتبعد وجهها

كلما حاولت لمسه ، أخرجت لها حبوب السكر ولم

تكثرث لها فضحك وليد وقال مغادرا

" أتركها وستخرج وحدها حين تتعب من الوحدة"

تجاهلتها وحاولت معها مجددا وقربت لجامها

برفق وأنا أقول " ما بك يا الوسن لترحمني

إحداكما ولا تكونا كليكما ضدي"

حركت حوافرها وتراجعت فشددته أكثر وتأففت

وقلت بضيق " لا تغضبا كليكما هي كانت السبب

يا الوسن ما بك وكأن من برمك عليها

من أين تعلمين بكل هذا"

وبعد جهد كبير تمكنت من إخراجها وما أن وصلت

بها للساحة حتى انطلقت مسرعة ومبتعدة عني على

غير عاداتها فوقفت واضعا يداي وسط جسدي أنظر

جهتها وقفز معاد داخل الساحة ووضع يده على

كتفي وقال ضاحكا " ما بها معشوقتك اليوم"

قلت بضيق " هذا كله بسبب حسدكم"

ضحك وضرب لي كتفي وقال مغادرا

"الصفدي سيصل بعد نصف ساعة ، وضعنا

الخيول في شاحناتك الخاصة فقايضه كما اتفقنا والمهندس

سيكون هنا مقربة الظهيرة ليأخذ مساحات المكان"

رن حينها هاتفني فأخرجته وكان جواد فأجبت عليه

وقلت من فوري " ما حركات الصبيان هذه

لما لا تجيب ولا تتصل"

قال من فوره " هل أخذتها لمزرعتك"

قلت ببرود " نعم"

قال " تزوجتها"

قلت ونظري يتابع الوسن " ليس بعد"

قال بضيق " ومتى إذا ، أصبحت أوافق

فرح على أنك لا تحبها"

قلت بضيق أكبر " ذاك شيء وهذا شيء

يا جواد لما لا تفهمني"

قال ببرود " أفهم نفسك أولاً ليفهمك غيرك"

نظرت للأرض ومررت أصابعي في شعري وقلت

بهمس وأسى " لما لا تضع نفسك مرة في مكاني"

تنهد وقال بهدوء " أفهمك يا نواس وأفهم أنك مجروح

منها وأنكما في شجار مستمر وتعاملك معاملة سيئة

منذ تزوجت لكنها مجروحة مثلك وزد عليها

أنك أخذتها حيث زوجتك"

ابتسمت بسخرية ولم أعلق ، لو تعلم يا جواد أن

مي تخاف على مشاعرها أكثر حتى مني وهي التي

تثور وتغضب ولا يهملها أحد ، وصلني صوته قائلاً

" اسمع يا نواس أنا أخبرت فرح على ما ستقدم عليها"

قلت بصدمة " ماذا تعني" !!

تنفس بقوة وقال " أنت تعلم جنون فرح بشقيقتها

وكادت تأكلني لأنني ألغيت زواجها بسليمان فأخبرتها

أنك تريد الزواج بها ولا شيء غيره ولا تخف

لن تعلم منها بشيء

تنفست بضيق ولذت بالصمت فقال " ما كان أمامي

من حل غيره لأنها سجنتم نفسها وأضربت عن

الطعام والشراب وكادت تضر نفسها وجنينها

فأخبرتها عن سبب فعلي لذلك

هزرت رأسي بيبأس وقلت " لن ترتاح حتى

تخبرها وسوف تسبب لي وسن مشكلة هنا

لأنها لم تعد تطيقني في أي أرض

تنهد وقال " لا أعلم أين ستصلان بهذا ولا تقلق

من هذه الناحية فهي لن تخبرها

ثم تابع " وزوجتك عليها أن تكون على علم

وجد حلا لعيشهما معا فانت في النهاية زوجها

ولن ترضى أن تشاركها أخرى فيك

ابتسمت بسخرية وقلت " لا تقلق من هذه الناحية فإن

لم تفجر لنا ابنة خالتك المنزل حينها فلن يفعلها أحد

ضحك وقال " سحقا للحب أقسم أنه مهلكة البشر فما

أن تخصمني فرح حتى ينقلب مزاجي ويتوتر

كل يومي ولا أكون قويا إلا أمامها وكله تمثيل"

ابتسمت بألم ورفعت نظري للسماء ، لا تخبرني

عما أعرفه كاسمي يا جواد وأقسم لولا الكبرياء

والجرح والحياء لضممتها لصدري وأنا أراها

تبعثر مذكراتها وأوراقها لتثبت لي أنها لم تكن خارج

الجامعة رغم أنه لن يجبرها أحد على تبرئة نفسها وكل

ما كنت أفكر فيه حينها أنها أمامي حية وسليمة وقسوت

عليها فقط كي لا تعيدها وتفقدني عقلي ، وأقسم لولا ذاك

كله لكنت حملتها بين ذراعي وسرت بها جهة الخيول

حين رأيتهما تنظر لهم وتغني كالأطفال ، أخرجني

من أفكاري صوته قائلا " نواس هل أنت معي"

عدت بنظري للأسفل وقلت " نعم وعليها إنهاء الاتصال

الآن لأن ثمة تاجر في طريقه إلى هنا وسأتصل

بك فيما بعد فثمة ما علينا التحدث فيه"

قال من فوره " وداعا إذا ولا أوصيك على

وسن لأن شقيقتها ستقتلني إن تأذت عندك"

قلت بابتسامة ساخرة " لا أعلم من منا أنا وأنت أسوء

حضا من الآخر فمالنا وعائلتهم منذ البداية"

ضحك وقال " متورطان ولا مفر فحتى أنت

ستزوجها رغم أنفك وأنفها ، وداعا الآن"

*

*

أمسكت يدها وقلت برجاء " وسن ما بك ارحميني

وقوليه ، قلت مئة اسم وكلها غير صحيحة"

قالت بنصف عين " مئة يا كاذبة وأنتي لم تصلي للعشرة"

قلت برجاء مكسور " أرحمي حالي لا بارك الله

في الظروف التي جعلت مصيري بين يديك"

ضحكت وقالت " معاذ"

قلت بضيق " أعرف أن كلامي معاذ فما سأفعل لك"

ضحكت كثيرا ثم قالت " معاذ يا غبية هوا اسمه"

أمسكت يداها وقلت بسعادة " حقا ما هذا

الاسم الرائع لا أجمل منه إلا اسمه يا بشر"

قالت بضحكة " صدق من قال أن مرآة

الحب عمياء"

ضربتها بخفة وقلت بضيق " بل أنتي العمياء

ولا يعجبك سوا نواسك ذاك"

أشاحت بنظرها عني وخيم الحزن على ملامحها

فعضضت شفتي مستاءة من نفسي ، كانت تضحك

للتو وأنا الحمقاء قلبت حالها ، أمسكت يدها

وقلت بهدوء " آسفة وسن لم أقصد أن أحزنك"

قالت ببحة تقاوم دموعها " لا عليك يا ملاك"

تنهدت وقلت بحزن " يبدووا حدث شيء جديد بينكما"

عليا أن أستدرجها لتتكلم فلا طريقة غيرها لترحم

نفسها من هذا الكتمان ، قالت بعد صمت

" هل تعرفي معني أن تموتي مئة مرة"

ثم نظرت لي وقالت بعينان دامعتان " هذا حالي

يا ملاك كلما رأيته خارجا من هناك حيث غرقتهما"

سقطت الدمعة الأولى من عينها وتابعت بأسى

" هذا حالي كلما سمعت اسمه من شفتيها"

كلما تحدث معها ... كلما ذهب لها"

ثم أشارت لنفسها بإصبعها وقالت بحرقة

"كلما تخيلت فقط أنها تنام في حضنه وأنا أنام مع

وحدتي وأوجاعي وفي ذات المنزل تخيلي ذلك فقط

فأي حال هذا الذي سأحكي لك عنه"

أمسكت كلتا يديها وقلت بدمعة محبوسة

"يكفي توقي يا وسن ، أسفة لن أذكر اسمه

ثانيتا فقط توقي عن قول هذا"

مسحت دموعها ووقفت فوقفت معها وقلت

"لنعد لموضوعنا وأخبريني ماذا علمت عنه أيضا"

رفعت مذكراتها وحقيبتها من الأرض وقالت " لا شيء

مهم يعيش مع والدته ولديه شقة يسكن فيها وصديق

لهم اسمه معتصم أعتقد قالت في العاصمة"

ثم سارت فحملت مذكراتي وسرت بجانبها

وقلت " مشكلة ... عليا أن أعلم المزيد"

وقفت وقابلتني وقالت " لا حل سوا أن نخبر راضية

بالأمر لتساعدنا فهي تعرفهم جيدا ويعاملونها

وكانها شقيقتهم وستحظر لنا كل ما نريد"

قضمت ضفر سبابتي وقلت بحيرة

"ماذا إن أوشت بنا"

هزت رأسها بلا وقالت " طلبت منها سابقا أن لا تخبر نواس أنني

لم أذهب للجامعة ففعلت فإن طلبنا الآن منها هذا فلن تخبر أحدا"

قلت بحماس " إذا اتفقنا واليوم سأبدأ أولى جولاتي باسمه فقط"

رن حينها هاتفها فنظرت له وغادرت قائلة

" هذا السائق وصل نلتقي غدا"

لوحث لها بيدي قائلة " وداعا ولا تنسي جلب المادة"

نظرت لساعتي ، اقترب وقت العصر ولم يبق عليه سوا دقائق

وعليا المغادرة أيضا ، وما أن تحركت خطوتين حتى سمعت

أحدهم يناديني فالتفت فإذا به ذاك الشاب فقلت ببرود

" أنت كيف تدخل إلى هنا ولست طالبا عندنا"

قال بابتسامة " ببطاقتي في جامعتي وأقول أنني

أريد بعض المراجع من المكتبة"

تنهدت وقلت " اتصلت بي والدتي وأخبرتني عما

تريد التحدث فيه وأنا أحرك من هذا العبء"

نظر للأسفل وقال بهدوء " حقيقتا وأنا من أجل هذا

جئت ، أنا أقدر ما تمرين به لكني بلا راتب ولا منزل

لو فقط ينتظرون قليلا حتى يكون لي منزل مستقل بدلا

من العيش معهم في ذاك المنزل الضيق المليء بالأبناء"

ثم رفع رأسه ونظر لي وقال " أنا لا أمانع أن أتزوج

بك لكن ظروفنا الآن لا تساعدني فأقنعهم

بتأجيل الموضوع قليلا فقط"

قلت بابتسامة أسي " بل أحلك مني ومن الزواج بي

أنت ما تزال في أول عمرك ومن حقك أن تبني نفسك

أولا ولا تخف فقد سبق وبلغت والدتي رفضي"

ثم غادرت فورا ولم أكرث حتى لمناداته لي وخرجت

من الجامعة من فوري ، حمدا لله أنني لم ابني آمالا عليه

وعلى أنه سينقذني من واقعي ، سلكت الطريق الآخر

حيث المحطة وركبت إحدى الحافلات لتقتني وجلست

أنظر للنافذة بحزن ، حاله ليس أفضل مني ومعه حق

كيف سيعيش بي معهم في ذلك المنزل الضيق وأبنائهم
كثر أين سيعيش أبنائنا أيضا بل كيف سنعيش معهم وحتى
الحمام مشترك ، تنهدت بضيق وأبعدت عن رأسي كل
تلك الأفكار وحضنت مذكراتي وحقيقتي وأنا أفكر في
معاذ لم أتخيل يوما أن أراه وأعرف اسمه ، سأقدم له
هدية جميلة الليلة ، ضحكت وحضنت أشياءي أكثر
ثم نظرت للشباب في الكرسي الآخر وكان ينظر لي
باستغراب فحركت له رأسي بمعنى ما تريد فأبعد نظره
وشغله بنافذته ووقفت حينها الحافلة في المحطة فنزلت
منها وتوجهت للمنزل فلم يعد يبعد كثيرا ، وصلت وفتحت
الباب ودخلت ووجدت سفيان يقفز على الأريكة كعادته
فقلت بعد ضحكة " لن تأتي بها من الخارج
كوالدك مثل السعدان"
ثم توجهت للمطبخ مددت رأسي وقلت
مبتسمة " ما الغداء اليوم"
التفتت لي إيمان وقالت بابتسامة " وجبتك المفضلة"
قلت مغادرة " يا سلام يا إيمان عيبك الوحيد أنك

تزوجت من خالي وأنجبت هذا القرد"

دخلت بعدها لغرفتي وأغلقت الباب ورميت

المذكرات والحقيبة ودخلت الحمام استحمت

وغيرت ثيابي ثم خرجت للمطبخ مباشرة وكان

الطعام ساخنا وجاهزا فجلست وتناولته لآخر لقمة

وعدت لغرفتي وما أن صليت المغرب حتى وقت

برنامجي الذي انتظره بالدقيقة ، سأتصل منذ البداية

وإن صدقت توقعاتي فإنه بعد مكالمتي لن يتصل ليذعي

أنه لم يستمع للحلقة أو لكي أتوهم أنا هذا

*

*

جلست على الأريكة واضعا ساق على الأخرى فوق

الطاولة أمامها وركبت سماعات الأذن فمر معتصم

بيني وبين الطاولة وأسقطهما للأرض قائلا بضيق

"كم مرة قلت لك لا تفعل هذه الحركة"

شغلت الإذاعة وقلت ضاحكا " وتقول أنك تكره

نظام والدتك ! أقسم أنه يسري في عروقكم"

جلس ورشف من كوب الشاي في يده ثم قال ببرود

"دعك في برنامجك ولا تكررهما قلت لك"

ضحكت واكتفيت بالصمت أستمع للبرنامج فمئذ مراهمتي

لدي إيمان على الاتصال بالبرامج حتى أنني كنت أتصل

بالمسابقات التلفزيونية ، لا وحتى أيام الأعياد الوطنية

ولو لأهنئ رئيس البلاد ، استمعت للمقدمة من المذيع

وعنوان الحلقة وكان عن شخص التقيت به في حياتك

ولم تنساه أبدا واليوم قدموا موعد الحلقة لوقت المغرب

بسبب ضغط العمل على برامج العيد الوطني القريب

راقبت معتصم وهو يتوجه لباب الشقة مغادرا فأعدت

قديماي على الطاولة على صوت المذيع قائلا " الاتصال

الأول معنا لملاك الليل وأخير سمعنا صوتها بعد

غياب فما هذه الليلة السعيدة"

اتكأت على ذراعي وابتسمتُ على صوتها قائلة بعد

ضحكة صغيرة " يبدو أنني أختبر إن كنتم ستفتقدون

وجودي ، مساء الخير صفوان وكل متابعيك

كنت خارج البلاد لظروف عائلية ولم أتمكن

من متابعتكم لكنني عدت أخيرا"

قال بصوت مبتسم " وهذا المهم وحمدا لله أنك بخير

وأعطينا رأيك في موضوع الحلقة ومن هوا

الشخص الذي قابلته ولم تنسيه حياتك"

قالت من فورها " أمممم هوا شاب بشعر أسود

وعينان سوداء طويل وعريض"

ثم ضحكت ضحكة صغيرة وقالت " رجل خيول يدعى معاذ"

قفزت حينها جالسا مستويا منزلا قدماي للأرض وأنا

أستمع لها تقول " أراه دائما ولا يراني ومنذ وقت طويل

حتى بث أسمع صوته كل ليلة من شيء يعرفه جيدا"

قلت بضحكة ممزوجة بالصدمة " ويحك من أنتي ???

تقصدني وتلمح لي بذلك أيضا"

قال صفوان ضاحكا " ما هذه الحقائق المثيرة

كل هذا ولا يعلم بك"

قالت بصوت مبتسم " نعم ولم يرني يوما"

قال مباشرة " مشكلة ترينه دائما وتسمعين صوته ولا

يعلم بك ولم يرك فكيف الحل لهذا"

لا أعلم لما شعرت بدقات قلبي وكأنها تترقب كلماتها

حتى قالت بنبرة هادئة وحنونة " يشغل بالي كثيرا يا

صفوان ويتعبنى يتعبنى"

*

*

نزلت للأسفل وسمعت صوت راضية ووليد يتحدثان

فاقتربت من صوتهما فكانا على ما يبدوا جهة

غرفة الجلوس ، توجهت هناك فخرجت راضية

ووقفت أنا عند الباب فكان هناك يشاهد التلفاز فنظر

لي باستغراب فقلت بهدوء ونظري للأرض

" هل صحيح ستترك المنزل"

ساد الصمت لوقت فرفعت نظري له فكان ينظر لي

فقلت بتوتر " سمعت راضية"

قاطعني قائلا " نعم فوجودي سيضايق الجميع"

قلت مباشرة " ولما"

نظر جهة التلفاز وقال بنبرة واضح فيها الحزن أو

الأسى أولا أفهم ما يكون " هل تعلمي معنى أن

يفشل الإنسان في كل شيء"

ملئت دمعتي عيناى وقلت بحزن " أنت لست

فاشل سوا في عين نفسك يا وليد"

نظر لي بسرعة نظرة لم أفهمها فسافرت

بنظري للأرض وقلت بشبه همس

" لا تغادر فلا أحد متضايق من وجودك"

تمنيت أن قلت أكثر من ذلك تمنيت أن ترجيته

ليبقى تمنيت أن لا حدود بيننا فلست في نظره الآن

سوا زوجة صديقه ولا يفترض بي أن أعامله أكثر

من كونه ابن خالتي ، رفعت نظري له مجددا ففوجئت

به واقفا وقال بهدوء " لماذا يا مي هل ضايقت أحدهم"

هزرت رأسي بلا ثم بلعت ريقى وقلت " لا ولكني

أشعر حقا بالأمان بقربك عندما يكون نواس بعيدا

فلم أخف ليلة وأنا أنام وحدي هنا لأيام"

أشاح بنظره وقال " تمنيت أن لا رددت طلبك
لكن صعب مع وجود قريبتة هنا فاعذريني"
ابتسمت بألم وقلت " أعذرك ويكفيني كلامك هذا"
سكتُ بعدها لوقت أجمع شجاعتي ثم قلت " وليد أولئك
الرجال لم يمسوني أبدا ، أنا لم أطح سمعتكم في
التراب ولم أهرب معهم ولم أتفق معهم"
نظر لي وقال " لا تشرحي لي يا مي أنا لم أشك بك
يوما ويستحيل لتلك الفتاة النقية أن تفعل كل ذلك"
نظرت له بحسرة وتمنيت أن سألته لما لم تأتي
لخطبتي مجددا إذا كان هذا ظنك بي لماذا ، نظرت
للأرض وقلت بابتسامة حزينة " شكرا لك
يا وليد فوحدك وعمي سعيد من قالا هذا"
قال من فوره " وعاصم أيضا فأعطه فرصة فقط يا مي"
هزرت رأسي بحسنا وقلت مغادرة " تصبح على خير"
في الحقيقة هربت منه لأنني إن بقيت أكثر لن أضمن
لساني فيما سيقول وعليها أن لا أنسى أنني وعدت نواس
ولن أخلف وعدي له ومعه حق يكفيني ما قيل عني

لتزيده الناس أني على علاقة بابن خالتي وأنا في منزل

زوجي فصمتي عن الحقيقة سيخدمني قبل أن يخدمه

صعدت للأعلى لأفاجئ بوسن تنزل السلالم وفي يدها

صينية بها كوب شاي يبدو جف من كثرة ما بقي عندها

ولم ينزله أحد ، وما أن رأيتني حتى أنزلت رأسها للأرض

واقفة مكانها وكأنها تخفي عني مشاعرها التي تكشفها

ملاحمها ، صدق نواس حين قال أنها ليست من النوع

السيئ في التعامل مع البشر لكن كتبتها لحسرتها

سيؤذيها وينقذ غيرها ، تمنيت أن تحدث معها لكني

وعدت نواس أن لا أحتك بها فاجتزتها صاعدة

ليوقفني صوتها قائلة "مي"

دخلت بالصينية وجلست أمامها وقلت مبتسمة

"أعددت كعكا لن تنسي طعمه كل حياتك"

قالت مبادلة لي الابتسامة " كل شيء تعديه طعمه

لا ينسى وقد ولد ليلة عيد من ستكونين زوجته"

ثم تنهدت وتابعت باستياء " ووالدته لا أسعد منها

على وجه الأرض ، لا بارك الله في المعتقدات

السخيفة التي يتمسك بها بعض الرجال"

قلت وأنا أقطع لها من القطعة ونظري على

يدي " لم أفهم سوا الجزء الذي يخصني"

ضحكت وقالت " وذاك يكفي فالباقى ترويح

عن النفس ليس إلا"

مددت الشوكة بها القطعة لفمها وقلت مبتسمة

"سأطعمك بيدي"

ضحكت وقالت " العلة في ساقي وليس يداي

وأخاف من أن أعتاد على كل هذا الدلال"

مددتها لها أكثر فأكلتها وقالت بحنان

"رحم الله من رباك يا سما"

نظرت للطبق وقلت بحزن " حلمت بوالداتي البارحة"

ثم رفعت نظري لها وقلت " والدتي كانت تبتسم

لي ووجها يشع نورا وكانت توصيني بك

كثيرا بكلام لم أفهم أغلبه"

ثم نظرت للأرض وقلت بشرود " لكن والدي

كان غاضبا مني ووجهه عابس ويشير لجثث رجال

كثر ويلومني لموتهم ولم أفهم معنى ذلك"

ثم رفعت نظري لها وقلت بدمعة تدلت من رموشي

"اشتقت لهم خالتي لما رحلوا وتركوني"

مسحت على طرف وجهي وقالت بحنان

"سما بنيتي تعوذي من الشيطان فكل غرضه

أن تتسخطي على قضاء الله"

مسحت دموعي وتعوذت بالله منه بهمس فقالت مبتسمة

" هذه والدتك توصيك بالناس خيرا في التعامل معهم

وراضية عن نتائج تربيته لك ووالدتك يبدا يريد

منك أن تساعد العدالة في إيقاف شلال

الدماء الذي يجتاح البلاد"

تنهدت وقلت بحيرة " وما في يدي ولم أفعله لقد أدخلتهم

القبو وقلت كل ما أعرفه فلو بيدي شيء غيره لفعلته"

قالت بشرود " هذه الرؤيا لا تدل إلا على شيء واحد

يا سما وهوا أن حل كل ذاك اللغز لديك"

هزرت رأسي وقلت بحيرة " لا أعلم ما

يكون يا خالتي لقد احترت"

سمعنا حينها قرعا على جرس المنزل فقلت

"لا أريد أن أفتح"

ضحكت وقالت " والحل الآن ونزار غير موجود"

قلت بضيق " مؤكد هذه دعاء ولا أريد أن أراها"

تنهدت وقالت " حسنا افتحي لها فقط كالعادة"

هزرت رأسي بلا دون كلام فمسحت بيدها على

ذراعي وقالت بهدوء " هل تريدي أن تغضب منك

والدتك وهي راضية عن حسن خلقك مع الناس"

وضعت الطبق ووقفت وقلت ببرود " إن كانت

هي فلن اكلها ولن أعطيها من كعكتي"

ضحكت وقالت " ما أنقى قلبك يا سما حتى الشر

تفصحين عنه قبل أن تفعليه وهذا حده فقط"

قلت بضيق " هي التي لا تحبني فما ذنبي أنا إن

لم يحبها نزار ، هي تعرفه من قبل قدومي

بسنوات فمن الملام وقتها"

رن حينها الجرس مجددا فتأففت وخرجت للباب

رأيت من العين فيه فكانت صباح زوجة جارهم

عوني صديق نزار ففتحت لها الباب وقلت مبتسمة

"جيد أنها أنتي ... تفضلي"

صافحتني وقالت ضاحكة " ومن هذا الذي كنتِ

تخافين قدومه"

أخذت منها ابنتها الصغيرة وحملتها بين ذراعي

وقلت " لا تهتمي للأمر وهيا ادخلي"

دخلت تمسك ابنها من يده وأغلقت الباب خلفهم

ودخلت هي لغرفة خالتي وتوجهت أنا للمطبخ

أجلست ابنتها في منتصف الطاولة وبدأت بتجهيز

كعك وعصير لهم ثم حملتها مجددا ورفعت الصينية

بيدي الأخرى وتوجهت للغرفة ووضعت الصينية

على الطاولة وجلست على السرير ألاعب الصغيرة

تناولت صباح قطعة من الكعك وقالت " سما أنتي

تسببي لي مشكلة مع عوني كلما تذوق شيئا هنا

عند نزار فلم يعد يعجبه كعكي وتكبر عليه"

ضحكت خالتي وقالت " الرجال جاحدين للخير دائما"

ضحكنا معا وتابعا حديثهما وأنا أستمع لهما في

صمت حتى قالت صباح " هل رأيتما في

الأخبار مقتل خالد الصقار تاجر البن المشهور

وتصورا أنه كان يعمل في المخابرات السرية ولا

يعلم عنه أحد وقالوا أنه تبين أن له يد في جرائم

المصانع ، لم أتصور أن رجال المخابرات يديهم

مغموسة فيها ، الناس لا حديث لهم إلا عن هذا الخبر"

نظرت لها بحيرة وقالت خالتي " لا حول ولا قوة

إلا بالله لن يرتاحوا حتى يجهزوا على الجميع"

أطعمت ابنها قطعة من الكعكة وقالت " لم يُقتل

هنا بل في الخارج بعد هروبه ، هكذا يقولون"

ثم تنهدت وقالت " أبشع جرائمهم كانت ذاك الذي

قتلوه وعائلته هنا في العاصمة ، مالههم والزوجة

والأبناء لا أعلم أين الحكومة والشرطة عن هذا"

شعرت بغصة في حلقي وقالت خالتي " صديق نزار

رئيس الشرطة الجنائية التي تعمل على مكافحة

الجريمة وهو يربط ليله بالنهار وحتى عائلته

لا يرونه ولكن لا يقدر تعبهم أحد"

أعطيت خالتي الصغيرة وخرجت وعدت للمطبخ

لأن دموعي غلبتني ، لا أعلم لما أشعر بكل هذا

الضيق وأبسط شيء يبكيني ، هل كل هذا من الفراغ

والوحدة التي أشعر بها ونزار ليس هنا بعدما أصبح

يقضي جل يومه في قصر جابر ويعود منهكا وينام

على الفور ، مابك يا سما كيف ستعيشين حياتك فيما

بعد توقفي عن هذا الجنون هيا ، جلست على الكرسي

ولم تزد دموعي إلا نزولا فمسحتها ووقفت على

دخول ابن صباح قائلا " شما جدة تعالي"

ضحكت بين كل حزني وقلت " اسمي سما

وليس شما كم مرة سأعلمك"

ثم نزلت عنده وقبلت خده وقلت " قل سما ... سما"

قال وهو يضغط الحروف " ششسما"

ضحكت وحملته عن الأرض وقلت

"أتركها كما كانت أفضل"

ثم عدت به للغرفة وأنزلته وجلست معهم حتى

وقفت صباح لتغادر وقالت " سما أوصليني للباب

لدي ما أقوله لك"

نظرت لخالتي بحيرة ثم وقفت وخرجت معها

حتى وصلنا عند الباب فقالت بصوت منخفض

"شقيق عوني يصر على أن نسألك أنتي

شخصيا عن رأيك في الزواج به"

نظرت للأرض وقلت " أنا لا أفكر في هذه الأمور حاليا"

تنهدت وقالت " إذا سأبلغه ليريح لي رأسي"

قلت بحيرة " ومن أين يعرفني ليصر عليا هكذا"

فتحت الباب وقالت " عوني السبب لم يرتح حتى

أدخل الفكرة لدماعه وصراحة الأمر أنا أيضا مدحتك

له كثيرا ولم أضن أنك ترفضين الفكرة"

لذت بالصمت فأمسكت يد ابنها وقالت وهي تخرج

"ومعك حق أنتي صغيرة على أن تفكري في الزواج

فهوا لا يجلب إلا التعب ولولا الأبناء ما تزوجت امرأة"

راقبتها حتى اختفت ثم أغلقت الباب مبتسمة ، يبدوا

معها حق فأجمل ما في الزواج أن تحصلي على أبناء

لكن لما هكذا أشعر أني إن تزوجت بغيره لن أكون

أسعد من وجوده معي إن كان ما يهمهم الأبناء ، تأففت

من الأفكار التي باتت تسيطر عليا وعدت لغرفة خالتي

جمعت الأطباق والكؤوس وأخذتهم للمطبخ ورتبت كل

شيء وصعدت لغرفتي من أجل الدراسة فالامتحانات

باتت على الأبواب وعليا أن أجتهد كثيرا رغم أني

بت أحفظ المناهج عن ظهر قلب من كثرة ما قرأتها

فلا شيء لي سواها مع هذه الوحدة وعدم الخروج

عند أول المساء نزلت للمطبخ وأعددت العشاء

وتناولته وخالتي ثم غسلت الأطباق والأواني

وعدت لغرفتها وقلت " هل نقرأ في الرواية قليلا"

ضحكت وقالت " أخاف أن يدخل علينا نزار فلن

يرحمني لأن امتحاناتك على الأبواب ولا يريد أن

أشغلك كثيرا حتى أنه يوصيني أن لا تكثري من

تنظيف كل شيء كي لا تضيعي وقتك"

قلت باستياء " حفظت كل شيء من تكراره وأشعر

بالممل والفراغ وحتى الكآبة"

ضحكت وقالت " حسنا تعالي نقرأ ونترك

أذاننا على الباب كي لا يمسكنا متلبستين"

ابتسمت وأخذتها منها وجلست وفتحت حيث

توقفنا وقرأت ((وما أن خرج عمي رياض حتى

قال أشرف " هذا غش لما فراس تحديدا"

ضحكت عمتي سعاد وقالت " لم تخبرنا

أنك تريدها ظننتها أفعى بأنياب"

قال بغيض " لما فراس تحديدا الآن تشرحون لي"

رميت شعري للخلف وقلت ببرود " اسأل والدك هوا

من اختاره ولو كان الأمر علي لتزوجتك أنت يا قيس

النساء فقط لأفسدت عليك مغامراتك"

خرجت حينها عمتي سعاد ضاحكة ونظرت جهة
فراس فكان جالسا مكانه بهدوء وكأن الأمر لا يعنيه
وهذا ما لم أتوقعه أو يبدوا تمثيل منه ليقهرني

قال وائل مغادرا " مبارك إذا "

وخرج هوا أيضا وأمسك أشرف خصلة من شعري
كعادته وقال " قولي أنك لا تريدينه فأنا أفضل لك منه "
رأيت حينها يد فراس تمسك له معصمه والأخرى
تستل خصلة شعري من أصابعه وقال ببرود
" هذا الشيء لم يعد محلل لك فلا تلمسه "
استللتها منه وقلت بضيق " ولا لك أنت أيضا فأبعد يدك "
تجاهلني ونظر لأشرف وأشار له برأسه ليخرج فقلت
معتزضة وأنا أقف بجانبه " لا يا سيد زمن استفراذك بي
انتهى ولا تنسى كلامك سابقا يا صاحب الأخلاق "
قال بابتسامة جانبية " بل زمن الاستفراذ بك سيبدأ قريبا "
أخرجت له لساني وقلت ببرود " لولا والدك ما تزوجت
بك ولو ظفرت شعري شيئا "

ضحك كثيرا ثم قال " وبضنك ما يجعلني أرضى

بسليطة لسان مثلك غير والدي"

قال أشرف واضعا ذراعه بيننا " أريد أن أفهم

الآن ما يجري ولما ليس أنا"

رميت ذراعه من أمامي وقلت بضيق " ما بك أنت لا

يذكرون زواج إلا وتوافق ، اتزن وأنت كالفيل المحموم"

ضحك حينها فراس بصوت عالي فقلت ببرود

"نعم اضحك حمدا لله أني رأيت لك أسنانا"

أمال رأسه جهتي وهمس " ستري إن لم أقص

لك هذا اللسان يا رُدين"

صفق أشرف ودفعه عني وقال " لم يجب أحد عن

سؤالي قبل أن أفجر المنزل بأكمله على رؤوسكم"

قلت بضيق " والدك صاحب الفكرة وهي أن أعيش معكم

على أني زوجته لأكون قريبة منكم وأراكم على طبيعتكم"

ثم لوحت بيدي وقلت بسخرية " لعلي أجد فيكم

من يستحقني لكنكم فشلتم جميعا وهوا اختار لي فراس"

ثم تابعت ببرود بعدما رميت بيدي نحيته

"لأنه لا خيار غيره بطيخة من غير خطوط

أفضل من واحدة معطوبة"

وضع فراس يديه وسطه ينظر لي بغيض وضحك

أشرف كثيرا ثم قال " محتالين لو علمت ما تركتك

تعرفين شلتي تلك كلها وتزوجتك أنا وقصصت لسانك"

ثم قال مغادرا " هنيئا لك بالفاتنة طويلة اللسان يا شقيقي"

تبعته مغادرة فأمسك يدي وأعادني ناحيته فاستلثها

منه وقلت بضيق " لم أصبح زوجتك بعد إن نسيت"

قال بابتسامة جانبية " قريبا جدا يا أم لسان

وستدفعين ثمن كل هذا"

قلت بسخرية " علمت أنك لن تسكت وتوافق

عبثا ، تريد أن تنتقم مني إذا"

أمال وقفته واضعا يديه في جيوبه وقال " لا تنزلي

دون حجاب مجددا ولا تخرجي للسوق إلا معي حتى

تنتهي كل ما تريدينه ولا تختاري فستانا أبيض لا أحب

ذاك اللون وتسريحة الشعر لا ترفعي فيها شعرك كله

للأعلى ولا تتركهم يكثرؤا لك الماكياج كالمهرجين"

وضعت يداي وسط جسدي وقلت بضيق " ما رأيك لو
اشتريته أنت ووضعت لي الماكياج وتسريحة الشعر أيضا'
ثم أملت وقفتي مثله وقلت " أو ما رأيك أن ألبس بيجامة

النوم ستكون أفضل أمام الجميع"

أمال ابتسامته وقال بهمس " موافق بالتأكيد

فستختصرين علي الطريق حينها"

نظرت له بصدمة ثم دفعته من أمامي وقلت مغادرة

"نعم اظهر علي حقيقتك يا وقح"

ثم خرجت من الباب وصعدت لغرفتي ، واهم

هذا إن تركتك تلمسني وسأريك ما سأفعله بك

ما يحيرني تقبله للأمر وكأن شيء لم يكن ! يبدوا

كما قال لينتقم مني وسُعد لأنه وجدها فرصة مواتية

قفزت على السرير وفتحت حاسوبى لأبحث عن آخر

موديلات الفساتين ومستلزمات العرائس ، سأعيش

اللحظة وأعيش حياتي كان من يكون من سأتزوجه

فلن أجعل شيئا يكدر عليا هذه اللحظات لأكون

كغيري عندما يتزوجن ولن أنكد على نفسي
جلست لوقت أبحث بانسجام حتى وقع اختياري
على أحدهم وسعره كان مبالغاً فيه لكن لا بأس
ليدفع ثمن انتقامه مني هل يريد أن يتزوجني
ويقهرني بلا تعب ولا مجهود ، انتقلت بعدها
لفساتين المناسبات والأحذية ومر بعدها ثلاث
أيام وعمتي سعاد لا حديث لها سوا عن المدعويين
تجمع أسمائهم لتضعهم في كروت الدعوى واختارت
مكان الحفل وسعيدة حقاً بتزويجها ابنها الأول والأكبر
كما تتمنى وطبعاً فراس لم أره بعد صباح اليوم التالي
لذلك اليوم لأنه اختار الزواج بعد ثلاث أسابيع وتشاجرت
معه في حضور والده وكاد كل واحد منا أن يخنق الآخر
طرقت عليا الخادمة الباب وفتحته وقالت ببرود
"سيد رياض يريدك في تحت"
طبعاً أصبحت تكرهني وكرهها ازداد حين علمت
أني باقية لها هنا لباقي عمري ، ضحكت وقلت
"يقولون في الأسفل وليس في تحت"

تأففت وغادرت تتذمر فأخذت حجابي وخرجت خلفها
مسرعة وقلت " سأأخذك معي في شهر العسل ما رأيك"
أسرعت بخطواتها أكثر قائلة بتذمر " أنا يذهب
بلادي بعد يومين يرجع بعد انته يموت"
ضحكت وتوجهت حيث عمي رياض في غرفة
الجلوس وما أن دخلت حتى ماتت ابتسامتي ولويت
شفتاي حين رأيت الجالس معه وتوجهت للأريكة
المقابلة وجلست فقال عمي رياض " عليك أن
تخرجي من أجل شراء ما يلزمك فلا وقت لديك"
وضعت ساق على الأخرى وقلت " تسوقت عبر
الإنترنت ولم يتبقى سوا القليل ومن يجلب
ما اخترته ويدفع الحساب"
قلت جملتي الأخيرة وأنا أنظر لفراس طبعا ليفهم
أنه المكلف بهذا ولا يعتمد على والده ، قال عمي
رياض " فراس يصبر أن يدفع ثمن كل شيء
لذلك ستكون رحلتكما على حسابي وفراس قال

أنه لا يستطيع التأخر عن عمله أكثر من أسبوع"

كنت سأعترض على السفر من أساسه لكني تراجع

فأنا أريد أن أستمتع بحياتي وأتنزه ، قلت بضيق

"ولما أسبوع أريد شهرا كاملا"

اتكأ فراس للخلف ليخفي وجهه عن والده وابتسم ابتسامة

ماكرة ومرر لسانه على شفته السفلى ببطء ، هذا الوقح

المنحط ما يقصد بهذا وما فهم من كلامي ، قلت باستياء

"عمي أخبر ابنك أن يتوقف عن هذه الحركات"

نظر ناحيته وقال بضيق " فراس توقف عن هذا

وأعقل لم أعرفك بلا عقل وإلا ما زوجتك بها"

وضع ساق على الأخرى وقال بابتسامة جانبية

ونظره علي " أمزح مع زوجتي فما في الأمر"

قلت ببرود " لست زوجتك بعد وكل شيء قابل للتغيير"

قال عمي رياض " بل عقدنا اليوم في المحكمة فلا

داعي لأن نترك الأمر للأسبوع القادم فكلها أيام فقط"

قلت بصدمة " ماذا !! تزوجني"

قال باستغراب " لم أعرفك ستغيرين رأيك"

قلت بهدوء مستاءة " لا لن أغيره"

وقف وقال " خذها للسوق وإن لم تنهي ما تريد أعدها

في يوم آخر ولا تتركها وحدها هناك وتغادر"

وقفت بسرعة لأخرج خلفه ولا أبقى وحدي مع فراس

لكنه أمسك قميصي من الخلف وأعادني للداخل

ولفني لأقابله وقال بابتسامة جانبية

"لم تخبريني أنك تريدني شهرا كاملا لما رفضت"

قلت بسخرية " ذلك أفضل فأنا أريد أن أقضي

الليل والنهار في التنزه"

أمسكني من ذراعي وقربني له وقال بهمس

" النهار لك والليل لي وسنكون متعادلان"

دفعته بيدي بعيدا لكنه أمسك بذراعي الآخر

وقبل خدي ثم عضه عضه خفيفة وغادر قائلا

" أنتظر في السيارة فلا تتأخري أو أرسلت

لك الخادمة وستعرف كيف تنزلك"

أمسكت خدي بيدي ولويت شففتاي وهمست

"ليست سيئة كما ضننت لا بأس به كزوج"

ثم خرجت وصعدت للأعلى غيرت ملابسها على

مهل ثم لبست حجابي ونزلت وخرجت فكان ينتظر

في السيارة ، سيرى إن لم أكسر له ساقه من التنقل

بين محلات الثياب فالنساء لا يتعبن من ذلك أبدا

ركبت السيارة وضربت بابها بقوة لأمارس أول

حقوقى لكنه كالمرءة السابقة لم يتكلم ، انطلقنا وقلت

"من اشترى لك هذه السيارة"

قال بصوت مبتسم " ولما تسألني هل ستأخذينيها مني"

لنفت جهته وقلت " هل تصدق أنني صرت زوجتك

أنا لا أصدق هذا فأنت آخر من تمنيت أن أتزوجها"

فتح الدرج وأخرج منه مشطا رقيقا وصغيرا وقال

وهوا يسرح به شعره وينظر للمرأة

"لا تجعليني أتبث لك أنني زوجك"

قلت ببرود " لا صدقت بلا إثبات"

ثم أخذت المشط من يده وقلت " لما لا تدعني

أفعل لك هذا أأست زوجي"

أأذه من يدي وقال " لا ثقة بك أنتي يا أم لسان

وأعرف ما تفكرين فيه"

نظرت للأمام وقلت بضيق " يالك من عديم ذوق

وهاضم لحقوق الزوجة أيضا"

ضحك وقال " ألا تعرفي أن هناك شيء اسمه حياء

يزور الفتاة حين تتزوج وتكون وزوجها معا"

ضحكت ضحكة ساخرة وقلت " أفلام تصدقونها

أنتم الرجال ، لا أعرف واحدة تستحي في الليل

لتقبل خده في الصباح وتقول"

وتابعت بصوت رقيق " أموااه صبح الخير حبيبي"

ضحك كثيرا ثم قال " علمت الآن لما يريد

أشرف أن يتزوجك هوا"

نظرت له وقلت باستغراب " ولما"

قال بعد ضحكة " سر لا أريد البوح به"

قلت وأنا أضيق عيناى " لأنه ليس لديك الشجاعة لتقوله"

ضحك وقال " خطة فاشلة"

قلت بسخرية " بلى جبان ولا تستطيع أن تقول"

أوقف حينها السيارة أمام مركز للتسوق ونظر لي

وقال " انزلي هيا يا أم لسان"

قلت بضيق " افتح فمك أنت لأرى إن

كان لديك لسان أم لا"

فتح الباب ونزل قائلا " انزلي وعدلي حجابك

لأنه رجع للوراء"

تأففت ونزلت أعدله ، مابه كلها شعرتان من منابته

ولم أعلم بهما ، سرنا نحو الداخل فأمسك ذراعي

وسحبني نحوه قائلا " سيرى بقربي ولا تبتعدى"

قلت بضيق " فراس ما بك أنا لن أهرب"

لف ذراعي حول ذراعه وشدني ناحيته فقلت ببرود

"إن كان الذي يكره يفعل هكذا فما يفعل من يجب"

قال ببرود أكبر " يتركك هنا ويغادر"

نظرت له وقلت بصدمة " فراس هل تشك بأخلاقى !!"

وقف أمام أحد المحال وقال " أنا لم أقل هذا"

قلت وأن أحاول سحب ذراعي منه

"وما قصدك بما قلت"

نظر لواجهة المحل وقال " ندخل هنا أو لا تريديه"

قلت بضيق " أعدني للمنزل حالا"

سحبنى وسار بي قائلا " رُدين توقفي عن لعب

الأطفال فلا وقت لدي لذلك"

قلت باستياء " لم أعد أريد هذا قلت لك"

وقف وقال بحدة " رُدييين"

سكت كل من حولنا ينظرون لنا فتأفف وواصل

السير يسحبنى كالنعجة ، غريب أين كانت عصبيته

كل ذاك الوقت ، ومن الآن سأجهز نفسي لحدثه حتى

نعود للمنزل لكني لن أنساها له أبدا أنا يشك بي ويقولها

هكذا علانية ، لفنا بعض المحال وبقيت فيها أكبر وقت

ممكناً لتعبه من الوقوف ثم مررنا بمجموعة محلات

لملابس النوم فتخطيتهم متجاهلة لهم فوقف وشدني

عائداً بي للوراء وأدخلني أحدهم وقال " ما بك

أصابك العشا الليلي عند هذه الجهة"

قالت ببرود " بل رأيتمهم"

نظر لي وكتف يديه لصدرة فقلت بابتسامة جانبية

"لم يعجبني منها شيء"

نظر لي بضيق وتنفس بغيض فقلت بهمس

"مرحاً للتين"

ضغط على أسنانه يكتم غيظه فقلت بابتسامة

"أقصد أنني لا أريد هذا"

خرج من هناك ممسكا يدي ودخل بي للمجاور

له فقلت " ولا هذا"

أشار لإحدى البائعات فجاءت ناحيتنا فقال وهوا

يؤشر بإصبعه على المعروضات " نريد

من هذا وذاك والذي في الزاوية"

وبدأ يعدد لها من المنتوف من كل جهة للأسوأ

منه ثم قال مشيرا لي " وأريدهم على مقاس

زوجتي وبسرعة لو سمحتي"

قالت مغادرة " مقاسها سهل وجميعه مناسب

لها جسمها مثل جسمي"

قلت بهمس وضيق " وقحة نقص أن تقول رقم قياس

ملابسها الداخلية"

وكزني وقال بصوت منخفض " ارحمي الناس

منك لا يسلم من لسانك أحد"

نظرت له وقلت ببرود " لو كنت تعينني لقطعت

لها لسانها على ما قالت"

قرب رأسه وقال هامسا " يكفيني ما قلته ولو همسا"

قلت من بين أسناني " واهم يا واهم"

أحضرت كومة منهم وقالت " اختاروا الألوان"

لا أعرف ما درجة وقاحتها تعرضهم أمام رجل

قلت من فوري " أريدها جميعها باللون الأبيض"

أخذ ألوان بشكل عشوائي وقال " ضعوها لنا في أكياس

واحسبوا الثمن وبسرعة لو سمحتي"

ثم نظر لي وقال بهمس

"الأبيض تنسيه من الوجود تفهمي"

وضعت يدي وسط جسدي وقلت بضيق

"ولما ؟ هل ستتحكم بملابسي أيضا"

نظر جهة البائعة متوجهة نحونا وقال بهدوء

"لأني كفنت ثلاثة من أعز أصدقائي

بالأبيض وبيدائي مجبرا هل فهمت الآن لما"

ثم غادر لأنها جلبت له فاتورة الحساب وبقيت أنا أنظر

له بحيرة ، كيف يكفنها بنفسه وثلاثة ! لهذا هو يجن

أحيانا ، خرجنا ويده مليئة بالأكياس والأخرى تمسك

يدي طبعا كي لا أتبخر في السوق فنظرت له

وقلت " كيف ماتوا ؟؟"

قال ونظره للأمام " هل هناك شيء غيره تشتريه

أم نعود في يوم آخر"

قلت " لما كفنتهم أنت ؟ ما الذي أجبرك على ذلك"

قال بضيق " رُدين أغلقي هذا الموضوع"

وقفت ووقف معي وقلت باستياء " ما بك

هكذا تصرخ بي أنا لا أحتمل وقلبي ضعيف"

ضحك وهز رأسه وأمسك يدي مجددا وسار قائلا

"لا أحب الحديث في ذاك الأمر يا أم القلب الضعيفا"

قلت ونحن نتابع سيرنا " هل تعلم أنه هناك منطقة

في الدماغ عندما تفور تسبب الدوار والقشعريرة

والغثيان ومرض القلب وهل تعلم ما يحركها"

قال بنفاذ صبر " ماذا"

قلت ببرود " الفضول"

قال ببرود أكبر " إذا توجهي للحمام حتى تغادرك

كل تلك الأعراض"

خرجنا متوجهان للسيارة فاستوقفنا صوت

فتاة من خلفنا قائلة " فراس"

نظرت للخلف من فوري فكانت جوجو))

أغلقت الرواية وقلت " أعانه الله عليها"

قالت مبتسمة " دائما يميل الإنسان لمن يخالف

أطباعه لأنه سيقلب له روتين حياته"

هزرت رأسي وقلت بحيرة " غريبين نحن البشر"

ضحكت وقالت " نعم ولا شيء يعجبنا ولا نرتاح

حتى نموت ونترك الدنيا بما فيها"

نظرت للساعة وقلت " وكان نزار تأخر كثيرا"

قالت مبتسمة " قال سينتهي عملهم عليه خلال أيام

ومن ثم سيبدأ عند مزرعة صديق لمعتصم"

شعرت بالضيق فهوا لن يكون هنا بعد اليوم

ويبدوا من عمل لآخر ، نصيحة خالتي لي كانت

نتائجها عكسية فما قد بات يقبل العروض وناحياتي

لم يتغير شيء ، كسب لنفسه وخسرت لنفسي لكن

لا بأس المهم تغير هوا قليلا ، رفعت غرتي خلف

أذني وتنهدت بأسى ... أنا حقا متعبة من مشاعري

نحوه وهوا لا يقابلها إلا بلامبالاة ويعاملني وكأنني

ابنته ، ما أن فتحت فمي لأتحدث حتى سمعنا

صوت الباب فقالت خالتي من فورها مادة يدها

لي " هاتي الرواية بسرعة"

نظرت لها في حجري ومددتها لها فورا وخبأتها

خلفها كالعادة ووقف نزار عند الباب وقال

" مساء الخير"

قلنا معا " مساء النور "

ثم قلت مباشرة " هل تريد عشاء "

قال مغادرا " تعشيت هناك شكرا لك "

وصعد السلالم ونظري علق عند الباب وهذا حاله

منذ أكثر من ثلاث أسابيع لا نراه إلا ليلا حين يعود

يقف هكذا عند الباب ليمني علينا وفي الصباح حين

يغادر ويسألنا إن كنا نحتاج شيئا ، كم أشتاق له لو كان

يعلم وهذه اللحظات لا تكفيني شيئا ... سحقا لك يا سما

لما أوقعت نفسك في كل هذا ، تنهدت بحسرة ووقفت

وقلت " هل تريدين شيئا يا خالتي قبل أن أصعد "

اتكأت وقالت " لا بنيتي تصبحين على خير "

أطفأت النور وخرجت مررت بالمطبخ أخذت

قارورة ماء من الثلاجة وخرجت ثم عدت وأخذت

واحدة أخرى وصعدت ووضعت واحدة في غرفتي

وأخذت الأخرى معي ووقفت أمام باب غرفته

لا أعلم لما أريد أن أراه وأتحدث معه ! بلى أعلم

لأنني تعبت من غيابه عني وهو لا يشعر بي لكان

جلس معنا ولو قليلا ، طرقت الباب عدة طرقات

فقال من فوره " ادخلي يا سما"

شعرت بأنني صرت كريشة تطير مع الريح من

سعادتي فكم اشتقت لهذه الجملة منه ورؤيته والتحدث

معه لأنعم بروية ضحكته وابتسامته ، فتحت الباب

ودخلت فكان جالسا أمام الطاولة ويرسم في ورقة

كبيرة شبه شفافة ويبدوا لعمله الجديد في تلك المزرعة

دخلت وقلت مبتسمة " أحضرت لك الماء ظننتك

ستنام وهذا بارد أفضل من ذلك"

قال دون أن يرفع نظره عن الورقة " شكرا

لك يا سما أنا بالفعل نسيت أن أغيره"

وضعت القارورة ورفعت الأخرى وقلت

" هل أعد لك كوب شاي"

قال " لا تتعبي نفسك ، قليلا وسأنام"

أملت فمي باستياء ما هذه الطردة المعتبرة ، هممت

بالمغادرة ووصلت الباب حين استوقفني صوته قائلا

"كيف تسير معك أمور الدراسة"

التفت له ووجدته أخيرا ينظر لي وليس لرسمته

تلك فابتسمت وقلت " جيدة وجاهزة من الآن"

قال مبتسما " جيد خشيت أن يكون لديك شيء

لم تفهميه وأنا انشغلت ولم أشرحه لك"

بقت عيناى عالقتان على ابتسامته التي اشتقت لها

حقا وافتقدتها طيلة الأيام الماضية ، ليثني قلت أنه

لدي أشياء كثيرة لم أفهمها ليقطع لي جزءا من وقته

عاد بنظره لما يفعل وقال " سوف آخذك معي غدا

لتري بتول لأنني لن أتأخر هناك كثيرا"

ابتسمت وقلت بسعادة " حقا ... هي تتصل بي كل

يوم وتساألني متى سأزورها"

رفع نظره لي مجددا وقال " غدا عند العاشرة آخذك

لها فبلغنيها أنك ستصلين عند العاشرة ونصف"

هزرت رأسي بحسنا وماتت ابتسامتي حين عاد لتلك

الورقة ، سحقا لها كم كررتها بل العيب به وليس

بها كم تتعبنى يا نزار لو تعلم فقط ، خرجت

ونزلت للمطبخ وضعت القارورة هناك وصعدت

لغرفتي ، أطفأت النور ودخلت سريري مباشرة بما

أني غسلت أسناني من وقت ، غطيت كامل جسدي

باللحاف ونزلت دموعي من فورها وأنا أشعر بضيق

ازداد أضعاف ما كان حتى أكاد أموت من الاختناق

وفي الصبح جهزت نفسي وجلست مع خالتي أنتظره

منذ التاسعة والنصف وكأني محكوم عليه بالإعدام

سيطلقون سراحه ، لم أكن أشعر بكل هذا السجن سابقا

وهو معنا أغلب النهار ولا حتى حينما كنت سجينه القبو

أو منزلنا اغلب الأيام في الهند ، الآن أشعر بكم هائل

من الاختناق بسبب كل شيء وأولهم الجدران بل هي

آخرهم فأولهم غيابه وتجاهله لي رغم أنه لا يقصده لكنه

مؤلم حقا ، وقفت من فوري حين سمعت باب المنزل

انفتح ودخل نزار ووقف عند الباب قائلا " هيا يا سما

لنعود سريعا فلا أود ترك والدتي وحدها كثيرا"

قالت خالتي مبتسمة " دعها ترفه عن نفسها

قليلا لن يحصل لي شيء"

قال مغادرا " أنا من لن يطمئن بالي يا أمي"

نظرت لها فقالت مبتسمة " طلبت منه أن يأخذك

لتنزهني قليلا في أي مكان ، أراك هذه المدة متعبة

من السجن هنا فحاولي أنتي إخباره برغبتك في ذلك"

هزرت رأسي بحسنا وقد استساغت نفسي الفكرة

ثم خرجت ولحقته قائلة " وداعا يا خالتي"

وخرجت على كلماتها الحنونة وهي تدعوا لي بذات

الكلمات والدعوات كلما غادرت منزلهم وكأنها تحيطني

بهالة من الحماية أشعر بها رغم أنني لا أراها ، أغلقت

باب المنزل وتوجهت للسيارة ركبت وسار من فوره

لتمر الدقائق تلو الدقائق ونحن في صمت موحش

نظرت جهة النافذة ثم للأمام ثم عدت بنظري للنافذة

مجددا كالتائهة ثم نظرت ليدي في حجري وقلت

"أشعر وكأنني لم أخرج حياتي وأزر أحدا"

لأن بالصمت حتى ظننته لم يسمعي ثم قال

بهدوء " هذا أمر طبيعي"

ثم امتدت يده لمذياع السيارة وشغله وكانت المرة
الأولى التي يفعلها خلال كل المرات التي ركبت فيها
سيارته وحدنا أو بوجود خالتي ، بحث في ترددات
القنوات حتى تبث على إذاعة للقرآن الكريم ورفع
الصوت حتى ظننته سيخترق رأسي من أذناي وأنا
أتابع حركة يده من البداية وبصدمة وأحاول أن لا
أترجم معنى هذا أنه لا يريد أن نتحدث معا أو أن
ينهي الحوار من بدايته ، عدت بنظري ليدي التي
تعصران الهدية التي جلبتها من أجل بتول حتى
ظننتها ستتخطم بين أناملي ولم أتحرك بعدها ولم
أرفع حتى جفناي ، بعد قليل أخفض الصوت قليلا
وبعد مسافة أسكته فنظرت له من فوري وكأني أتأمل
أنه سيخيب ظنوني وسيتحدث عن أي شيء لكنني صعدت
به يرفع سماعة الهاتف لأذنه ويقول " نعم في الطريق"
" لا قليلا وأصل لا تغادر أريدك في أمر مهم"
" أجل بخصوصها فكم سنؤجله"

ثم تأفف وقال " جابر انتظر وسنتحدث اليوم ، قلت

لك الأمر مهم ولا علاقة له بالقضية"

"ستعلم ما أن أصل وداعا"

أزال حينها سماعة الأذن وقال " لن نتأخر نصف ساعة

أو ساعة على الأغلب فبالي كله مع والدتي"

تنفست بقوة ونظرت للنافذة ولم أتحدث ، حسنا

فهمناها باله مع والدته ولن يستطيع تركها وحدها

هوا كان يتركها وحيدة حين يذهب للمدرسة وتأتيها

دعاء أو زوجة عوني في أوقات متقطعة وكان الأمر

عادي فما تغير الآن ، أم يخاف أن أطلب منه أن

نذهب لمكان ما كما قالت له خالتي أو فكر أنني أنا

من قلت ذلك أمامها ، قلت حينها بهدوء يقارب الهمس

"ولا أنا أريد التأخر ولا أن تبقى خالتي وحدها"

لم يعلق طبعا وكان ثمة من أكل له كل ذاك اللسان

صحيح أنه لم يقسوا علي بكلماته ولم يخاطبني بنبرة

جافة ولا باردة لكني أشعر بتجاهله لي بات واضحا

وأخطأت حين ظننت أنه كان يتجنبنا بسبب عمله وأنه

متعب ، لكنني لم أفعل أي شيء خاطئ ولا أذكر أنني

قلت أو فعلت شيئا ، وصلنا حينها ونزلت وتحرك هوا

من فوره بالسيارة وتركني واقفة رغم أن القصر يبدو

ها هوا هناك قريب جدا ، نظرت للباب ومددت أصابعي

وقرعت الجرس ففتحته لي بتول سريعا وسحبتني من يدي

للاخل ثم تعانقتنا فورا وقالت بسعادة " سما كم اشتقت لك"

قلت بحب " وأنا كذلك وتمنيت أن زرتك منذ وقت"

سحبتني معها من يدي للاخل ودخلنا منزلهم ، كان

راقيا وجميلا ليس كمنزلنا في العاصمة لكنه يكاد يكون

مثله ، أخذتني لغرفة الضيوف وجلسنا وقالت من فورها

"أصبحت المدرسة مملة من دونك يبدو أنني اعتدت

عليك ولم أكن أعلم رغم أنك لا تتحدثين كثيرا"

قلت مبتسمة " وأين ريحان عنك"

قالت بضيق " تلك الفتاة قطعت علاقتي

بها منذ الحادثة التي حصلت لكما"

قلت باستغراب " ولما" !!

قالت بضيق أكبر " أمثالها لا ثقة فيهم كيف تهرب

وتتركك حتى أنها لم تطرق أحد الأبواب ليخرجوا

لإنقاذك ، أنانية وفكرت في نفسها فقط لو كنت أنا

مكانها ما تركتك وحدك ولحاولت إنقاذك ولو

بضربه بحجر على رأسه"

نظرت للأرض وقلت " على الأقل تنجين أنتي

أفضل من أن يمسوننا الاثنين"

قالت من فورها " أبدا ما يحصل لك يحصل لي

أليست من أخرجك من هناك وهي تعرف أنهم

لا يريدونها هي ، كانت فعلت أي شيء تساعدك به

لقد تشاجرت معها أمام الجميع وقطعت علاقتي بها

منذ ذاك اليوم ولن يشرفني مصادقة أمثالها"

نظرت للهدية في يدي وتذكرت أنني لم أعطيها لها

فمدتها لها وقلت " لم أجد وقتا لأخرج وأشتري

لك شيئا مميذا ... أتمنى أن تعجبك"

أمسكتها وقالت مبتسمة " ياه سما هدية مرة واحدة

أين تربيتي بالله عليك أجزم أنك".....

ثم توقفت عن الكلام عندما فتحت اللعبة ونظرت

لي بصدمة وقالت " ذهب "

قلت مبتسمة " اتركها تذكارا مني "

وما أن فتحت فمها لتتحدث حتى دخل طفل راكضا

رماها بوسادة أريكة وغادر ضاحكا فوقفت وقالت

بحدة " مصعب يا وقح قلت لا تدخلوا هنا "

لم أستطع إمساك ضحكتي فجلست وقالت بحنق

" هذا القرد سيرا مني فيما بعد "

قلت مبتسمة " يبدوا لطيفا ومرحاحا جدا "

تأففت وقالت " سيصيبونني بالجنون ليثني مثلك

فكم أنتي في نعيم لا يعلمه أحد غيري "

نظرت للأرض بحزن ولم أعلق ... بل أنا التي ليثني

مثلك يا بتول لي عائلة والدان وإخوة كيف تتمنين مكاني

نظر ذاك الطفل مجددا من الباب ثم أخرج لها لسانه

وهرب فرمته بالوسادة التي رماها عليها سابقا وقالت

بصوت مرتفع ليسمعها " مصعب أقسم سأضربك

على كل هذا وسترى حسابك مني"

قلت " أخبريني لما لم تذهبي للمدرسة كل تلك الفترة"

تنهدت وقالت بأسى " لو تعلمي ما حدث لي يا

سما لبكيت على حالي حتى جفت دموعك"

قلت باستغراب " لما !! ماذا حدث"

مدت لي بيدها اليسرا لأنتبه لخاتم الزواج فيها

فقلت بصدمة " تزوجت" !!!!

تنهدت وقالت " بل اكتشفت أنني متزوجة ولا أعلم"

بقيت أهدق فيها مصدومة وهي تسرد ما حدث معها

ثم قالت بضيق " وطبعا أنا مراقبة من عمر شقيقي وذاك

المعتصم يرشيه بالأشياء التي يحبها ليخبره إن نزع

الخاتم أم لا وذاك القرد يهددني دائما أنه سيخبره"

قلت بحيرة " كل هذا حدث معك !! كيف لا

يخبرونك ويأخذون رأيك"

قالت باستياء " لا أهمهم في شيء لكانوا فكروا بي"

هزرت رأسي وقلت " ياله من موقف وضعوك به"

ثم نظرت لها وتابعت " وما ستفعلين لاحقا هل

ستتركين جابر يطلقك منه"

قال من فورها " بالتأكيد ما أن تمر سنوات

دراسته سأطلب منه أن يطلقني منه وفي الفور"

قلت باستغراب " ولما وأنتي لا شخص لديك تحبينه

كما قلت سابقا وهو يبدو لا عيب به حتى نزار

أذكر مرة تحدث عنه حديثا جيدا"

لوت شفتيها وقالت بضيق " لا أحبه أكرهني فيه

لسنوات وعقلي لم يصدق حتى الآن فكرة أنه

زوجي وأني زوجته"

نظرت لها باهتمام وقلت بهدوء " وكيف وافق والدك

وأنتي صغيرة وكيف سيفرض جابر رأيه على الجميع"

قالت مباشرة " والدي لم يفكر سوا بوعدده لعمي لا فكر

بي ولا بعمرى ولا رأيتي ، وجابر الشخص الوحيد

الذي إن قال نفذ وينفذ الجميع كما يريد"

اقتربت بعدها مني أكثر وقالت بصوت منخفض

"وما حكايتك أنتي التي قلت في الهاتف أنك

ستحكيها لي ما أن نتقابل"

تنهدت ونظرت للأرض وبدأت أنا في إفراغ ما في

قلبي ويكاد يحرقه حتى انتهيت فقلت " نعم وبعدها"

هزرت رأسي وقلت " لا شيء بعدها هذا فقط"

قالت بصدمة " كيف هذا فقط ! ما رأيه هوا وما

مشاعره نحوك وما قال لك"

هزرت رأسي مجددا وقلت " لم يقل شيئا ولا أعلم

شيئا ، هوا بعد ترك خطيبته له منذ سنوات لم يعد يفكر

في شيء سوا عملية والدته ويرى أيضا أنني صغيرة

على الزواج من أي أحد"

تنفست بقوة وقالت " أي حفرة هذه التي أوقعت

نفسك بها يا سما"

قلت بتذمر " وهل الأمر كان بيدي ؟ لو كان كذلك ما

أحببته أبدا ، لكن هذا أمر لا نتحكم به"

قالت بهدوء " والحل في هذا"

قلت بأسى " لا شيء ولا حل"

*

وضع يديه في جيوبه وقال " نزار ما هذا الجنون

الذي تقوله ! كما أنه ليس وقته يا رجل"

قلت ببرود " ولما ليس وقته أنت فقط تحدث مع عائلة

والدها عن الأمر كي لا يلقوا عليا باللوم حينها وسأعلم

منها من يكون الشخص الذي قد توافق على الارتباط به"

قال بجمود " والسبب"

تأففت وقلت " جابر كم مرة ستقولها ، السبب شخصي

ولا أريد الحدث عنه"

قال بسخرية " نزار لا تضيق الخناق على نفسك يا

صديقي المعادلة سهلة فلما تصعبها هكذا"

قلت بضيق " لم أفهم ولا تشرح لي"

قال بابتسامة جانبية " بل تفهم ومن دون أن أشرح لك

وكلامي واحد إن كان أنت ذاك الزوج فموافق وغيره

لا ولن أعرض حياة الفتاة للخطر بتزويجها بشخص لا

أعلم ما قد يضرها به بل قد نسلمها لهم ونحن لا ندري"

نظرت للجانب الآخر ولم أعلق فقال بضيق " نزار للمرة

المنة أسألك لماذا تريد أن تخرج الفتاة من منزلك"

لم أعلق ولم أتحرك فقال مغادرا " إن فعلت ما في

رأسك وتضررت الفتاة أنا من لن يرحمك

قبل أهلها يا نزار"

تأففت ونظرت جهة العمال الذين يتحركون دون

توقف ، لما تصعبها علي يا جابر أنا مثلك لا أريد

أن أعرضها للخطر بل وأكثر منك لكن لا حل أمامي

غيره فلم أنجح ولا حتى في الهروب منها لأنها يبدوا

بدأت تسيطر على تفكيري حتى وهي ليست أمامي

ولا أتخيل أبدا أن أتزوج بها وهي في هذا السن

عقلي لا يقبل الفكرة أبدا فلأبعدها مع الشخص الذي

تريده من الآن وأتحمل على نفسي قبل أن يكبر شعوري

ناحيته أكثر ، غادرت من هناك وتوجهت لباب منزل

عم جابر واتصلت بها لتخرج وجلست في السيارة وما

هي إلا لحظات وخرجت وركبت في صمت وانطلقنا

عائدين ولم تغب فكرة سؤالها عن ذلك الشخص عن

بالي طوال الطريق وكلما فتحت فمي لأتحدث شعرت
بأن لساني تحول لحجر يرفض التحرك وقوة تمنعني
وكأني أخشى على نفسي من الجواب ، وصلنا المنزل

ونزلت وهي تتبعني وتوجهت للأعلى من فورها

ونظري يتبعها حتى اختفت فسمعت صوت

والدتي قائلة " نزار تعال لا تذهب"

دخلت لغرفتها وجلست أمام سريرها فقالت مباشرة

"صباح زوجة عوني تحدثت عن موضوع سما

مجددا وأنا طلبت منها سؤالها بنفسها لأنهم

يضمنون أن رأيها مغاير لرأيك"

قلت بحدة " سما سما وزواج وزوجها سأفعلها

وأرحمكم جميعا ولا أحد يلقي عليا باللوم في شيء"

نظرت لي بصدمة فأنزلت نظري وقلت بهدوء

"أسف يا أمي لم أقصد الصراخ بك"

قالت ببرود " وبمن ستزوجها سيد نزار"

أشحت بنظري وقلت بكلمات أشعر أنها تخرج

من عروقي " بمن تريد هي طبعاً"

"وأى كان اختيارها؟؟"

نظرت لها بسرعة فتابعت " أجب هل ستزوجها

به مهما كان ذاك الشخص"

قلت باستغراب " أمي ما معنى كلامك هذا!! "

اتكأت على سريرها وقالت " لا شيء اسألها وافعل

ما يحلو لك ولا تلم أحد على النتائج يا نزار"

وقفت وقلت " أنتي تعلمين أن سما تحب

شخصاً فمن يكون"

ستكون على لسان والدتي أيسر من أن أسمعها

منها ، قالت ببرود " لا أعلم"

قبضت على يداي بقوة وقلت " أمي أجيبني"

نظرت ناحيتي وقالت بضيق " قلت لا أعلم وهي

لم تخبرني عنه وكما أخبرتك يا نزار تحمل

نتائج هذا السؤال لأنها ستكون سيئة"

قلت مباشرة " ولما"

ابتسمت بسخرية ولم تعلق فخرجت من عندها

وصعدت من فوري للأعلى وجنون يسيطر علي
وأعلم معناه جيدا وهو الحب يا نزار تحبها عليك
أن تضع لهذا حدا مهما كرهته نفسك ، طرقت

باب غرفتها عدة مرات ولم تفتح فقلت

"سما هل أنتي بخير افتحي الباب"

فتحت بعد قليل تنظر للأرض وأعلم معنى حركتها
هذه جيدا وهي إخفاء عينيها التي أتعبهما البكاء
تنفست بقوة وقلت " ما بك من ضايقتك يا سما"

أولتني ظهرها وقالت " لا شيء ولا أحد"

هذه النبرة الباردة في صوتها أول مرة أسمعها !! أغمضت

عيناى بقوة ثم فتحتهما وقلت " سما أريد أن أسألك عن

أمر فيه مصلحتك ولم أعد أريد التدخل فيه وسأحتفظ

بأفكارى لىفسى وأحررك منها"

لم تعلق ولم تلتفت وخيرا فعلت أن أخفت وجهها

عنى فتابعت " سما أنا ألقى كل كلامى الذى قلىته لك

سابقا عن زواجك ومستعد لأن أزوجه بالشخص الذى

تريدي لكن عليا أن أتأكد منه أولا من أجل سلا"

قاطعتني قائلة بحدة " لا أريد أن أتزوج أحد لا أريد"

بقيت أنظر لها بصدمة ، ما بها هل تشاجرت معه أم

ماذا !! التفتت لي وقالت بغضب أراه أول مرة " توقف عن

قول هذا يا نزار سحقا لك سحقا ، أنا لا أريد أحدا لا هوا

ولا غيره ولا يريدني ولا يفكر بي أكرهه تفهم أكرهه"

بقيت مصدوما وجملة واحدة تتكرر في رأسي

(توقف عن قول هذا يا نزار سحقا لك سحقا)

أنا أبحث عنه بين الرجال وهوا .. لا يا سما لا تقوليها

ما أن فتحت فمي لأتحدث حتى غادرت جهة سريرها

وارتمت عليه تخفي وجهها في ذراعيها وقالت ببكاء

"متحجر ولا يشعر ، لم أعد أريده ولا أريد

أن يتزوجني سحقا له"

أغمضت عيناى بشدة وأنزلت رأسي للأرض وسحقا

لي بالفعل يا سما كيف لم أنتبه لكل هذا وكلام والدتي

أن سؤالي ستكون نتائجه سلبية فهمت الآن معناه ومما

لا شك فيه أن والدتي تعلم بكل شيء ، لما تصعبينها

علي يا سما لماذا ، لا يمكنني الزواج بك كل شيء
ضد ذلك وسيكون جنونا حقيقيا ، أنتي فقط لم تعرفي
غيري وأمامك العمر بطوله وستتغير مشاعرك الزائفة
هذه فأنا كنت في سنك وأعرف معنى هذا ، بقيت أنظر
لها وهي تدس رأسها أكثر بين ذراعيها وتبكي فتنهدت
وقلت " حسنا يا سما لن أزوجك به ولا بغيره لأنه عليك
أن توجهي مشاعرك بشكل سليم فقد يكون لا يستحقك
وستكتشفين ذلك يوما ، أنتي ورائك مستقبل طويل
وستتغير كل أفكارك صدقيني"
ثم ضغطت على يداي بقوة وتابعت
"انسيه وستجدين أفضل منه مستقبلا كوني أكيدة"
ثم أغلقت الباب وغادرت جهة غرفتي ، كلامي قاس
عليها لكنه لن يكون أقسى من مستقبليها معي ، وأن أقوله
وهي لا تعلم أنني بث أفهم حقيقة مشاعرها نحوي أفضل
من أن أقوله وهي تعترف لي فسأجرحها أكثر حينها

طرقت باب جناحها ففتحت الباب وخرجت تعدل حجابها
على وجهها ، ما هذه الحسناء لا أعلم أي درجة سيصل
لها الحسن في النساء بعد هذه الفاتنة ، قلت بابتسامة

"ظننتك غيرت رأيك ولن تذهبي"

أغلقت باب جناحها وقالت " سنخرج هذه المرة فقط

يا أرجوان رجاء ولن نتأخر أيضا"

أمسكت يدها وسحبته منها قائلة

"موافقة فقط أخرجي الآن قبل أن تغيري رأيك"

ثم تابعت ونحن ننزل السلالم " ولا تشتري من أجله

شيئا ولا حتى مشبك شعر وإن كان لا يعترف

بالحب فلا تتزوجيه من أساسه"

لم تتكلم ولم تعلق على الأمر ، خرجنا وركبنا السيارة

وغادرنا القصر ، لا أعلم لما أفعل كل هذا من أجلها

ومن أجل حتى أطفال لا يمدون لي بأي صلة

خصوصا بعد الكلام الجارح والمؤذي الذي سمعته

منه وأنا كالحمقاء لم أتوانى لحظة عن التعبير عما

أشعر به وعن أهميته في حياتي ليضربني على قلبي

بتلك الحقيقة الموجهة التي قالها منذ البداية مربية
فقط وحدودنا الأولاد ، لكني سمعت كلام سوسن وصدقته
وها قد جاءتني النتائج الرائعة لأدرك الحقيقة بعد فوات
الأوان وبعد أن أحببته ولكن على هذه المهزلة أن تتوقف
وصلنا لمركز التسوق الذي بت أرتاده دائما منذ تزوجت
ونزلنا وهي تسير بجانبني في صمت ، سبحان الله لو لم
أسمع صوتها بأذني لقلت أنها خرساء ، جلنا بعض
المحلات والحارسان خلفنا وشبهه مجبرة اشترت زهور
بعض الأغراض وفساتين كالفساتين التي تلبسها دائما
ولا تليق بسواها ، دخلنا بعدها لمحل لبيع الذهب
والمجوهرات وما أن وقفنا عند طاولة المعروضات
حتى توجه أحد الباعة نحوها فورا ينظر لها بتفحص
مبتسما وقال " تفضلي يا أنسة سيعجبك ما لدينا بالتأكيد"
ياله من وقح من قال له هي التي ستشتري وليس أنا ولا
ألومه من يرى هذا البدر ولا ينسى نفسه حتى أنه لم
يشك أن تكون متزوجة مرتين وناداه بالأنسة ، سحبتها

معي للجهة الأخرى عند الباب أريها بعض الحلبي ثم

انتقلنا لجهة أخرى لكن في الداخل فسمعنا صوت من

خلفنا قائلاً باستغراب " زهور " !!

نظرنا علينا للخلف فكان رجل يبدو في سن جابر أو

أكبر منه بقليل بملامح فيها جاذبية غريبة لا تعرف

فيما تحديدا وأجمل ما فيه خصلات شعره التي تعانق

جبينه الشامخ مع نظارة النظر الطبية التي زادت هيبته

كان ينظر لها باستغراب وكأنه لا يتوقع وجودها هنا

ويمسك في يده كيسا لماركة معروفة لشركة حواسيب

نظرتُ لزهور فكانت تنظر للأرض ثم تراجعت خطوتين

حتى التصقت بالطاولة فتقدم منها في خطوة واحدة ومد

يده وأمسك يدها ورفعها له ليصعقتي حين قبلها قبله

طويلة ثم أمسكها بكلتا يديه وقبل كفها ونظره على وجهها

وزهور على حالتها تنظر للأرض وعلى ملامحها أسي

واضح وكأنها تمنى أن لم تكن هنا ، أما أنا فكانت أنظر

له مصدومة بدون أن أرمش ... ما أجراه من رجل

وكأني لست موجودة بل وكأنه لا أحد غيرهما هنا

لابد وأنه زوجها وإلا ما تجرأ على فعل أمر كهذا
وما سكت له الحارسان الواقفان عند الباب من الخارج
أنزل بعدها يدها وهي لازالت في يده ليصعقتي مرة
أخرى وأصابعه تمسح على خذاها وقال بهمس
"يالها من مفاجأة لم أتصور أن تخرجي مجددا حبيبتي"
كدت أبكي من الحسرة ، كل هذا لسعادته بخروجها
لا ويقول لها حبيبتي وعيناه لم تفارق ملامحها ينظر
لها بشغف ، ما هذا الحظ الذي لديك يا زهور كل هذا
ولا تريدي الزواج منه ويبدوا تجبرين نفسك ، سحبت
يدها من يده بقوة وأبعدت يده الأخرى عن وجهها
وغادرت مسرعة وأنا أنظر لها بصدمة ليخرجني
منها صوته قائلا " اتبعيها رجاءا لا تؤذي نفسها"
خرجت مسرعة كي أدركها ، غريب أمر هذا الرجل
فعل كل ذلك فلما لا يلحق بها بنفسه أو أنه لا يرى أحد
الحارسين الذي انطلق خلفها ، أدركتها أخير وهي تكاد
تخرج من باب المركز وأمسكت يدها وقلت بنفس لاهث

"زهور انتظري أين أنتي ذاهبة بسرعة هكذا"

قالت وهي تخرج " أريد العودة للقصر وأخبرتكم

منذ البداية أنني لا أريد الخروج"

خرجت خلفها ولا أفهم مما يجري شيئا ، هوا زوجها

وستكون في منزله قريبا فما المشكلة إن تقابلا الآن أم

أنها لا تريد أن يراها هنا ، عجيب أمرها يبدو ورائهما

قصة ويبدووا يحبها سابقا بل متيم بها ويحق له من سيلومه

فيها ، لكن ما سبب نفورها منه يا ترى ! ركبنا السيارة

وانطلقنا تتبعنا سيارة الحراس وعدنا للقصر ولم نتحدث

زهور طوال الطريق ، كانت تفرك يداها بقوة حتى كادت

تمزق جلدهما ويبدووا تفرغ انفعالها فيهما ودمعة واحدة

يتيمة التي نزلت ومسحتها على الفور وأنا لم أقل شيئا حتى

وصلنا القصر ونزلت ودخلت هي قبلي بسرعة ونزلت

أنا بعدها أنظر لسيارة جابر الواقفة أمام الباب ويبدووا كان

هنا وسيغادر ، فتح باب السيارة ونزل ووقف أمام بابها

وقال " ما بها وكيف كان تسوقكما"

قلت بنبرة جافة وأنا أنظر للفراغ " جيد"

ولم أزد شيئا على ذلك ولم أنظر له وهذا حالي منذ تلك

الليلة أعامله كما حدد هوا مجرد شخصان لا يجمعهما

سوا العشرة والتعود وهوا لم يتحدث عن تبيري اتجاهه

مطلقا لأنه أساسا هذا ما يريد فكيف سيعترض ، ركب

سيارته دون أن يضيف شيئا ودخلت أنا للداخل ، ليتك

تتعلم من زوج شقيقتك الذي قلت سابقا أنه صديق طفولتكم

وليتها تقدر ما هي فيه من نعيم لكني أدركت شيئا واحدا

أنكم أبناء هذه العائلة لا تختلفون عن بعضكم في شيء

وعبثا يحاول من يفكر في تغييركم ، وصلت للأعلى

وتوجهت من فوري لجناحي ودخلت الغرفة لأجد الفوضى

التي باتت متعمدة بشكل واضح هذه الأيام ، جمعت ثيابه

وأغراضه فلا بأس هذا من أساسيات العشرة أيضا ، دخلت

بعدها للحمام استحممت وخرجت بالمنشفة لأفاجئ به هنا

يبحث عن شيء في خزنته التي لا أراها مفتوحة إلا نادرا

توجهت لغرفة الملابس ولبست بيجامة قطنية قصيرة

وخرجت وكان لا يزال هناك وفي يده كومة أوراق يفتش

فيها ، جلست على كرسي طاولة التزيين وبدأت

بتجفيف شعري حين سمعت صوته قانلا

" هل أنهت زهور شراء كل شيء "

زدت من قوة المجفف ليزداد صوت ضجيجه وكأني

لم أسمع فأقترب مني واستل خيطه من الكهرباء ورماه

أرضا وقال بضيق " هل لي أن أعلم سبب كل هذه

التصرفات يا أرجوان "

جيد تذكر أن ينتبه أن تصرفاتي تغيرت ، لا ويسأل

عن السبب بكل جرأة ، وقفت وأعدته مكانه وعدت

لجلوسي وقلت " وما الخطأ بي لأغيره "

قال بحدة " أرجوان حركات الأطفال هذه أضحك

أكبر منها وأنا سكنت عن هذا كثيرا "

قلت ببرود وأنا أمشط شعري " ما الخطأ بي لأغيره "

تأفف بصوت مسموع ثم غادر ضاربا الباب خلفه

وليس لديه ما يقوله طبعاً لأنه سيناقض نفسه ومعتقداته

الفارغة ، شغلت مجفف الشعر من جديد وابتسمت بآلم

على حالي ، ليثني لم أحبك يوماً يا جابر ليت قلبي ميت

مثلك وبلا إحساس فأنت لا تصلح لك سوا ابنة راضية
التي اختارتها لك والدتك لأنها شبيهة بها وبك ، أنزلت
مجفف الشعر وأشعر بحسرة في قلبي وأنا أنظر لشعري
في المرآة وأتذكر كم كنت أستمع بلعبه به كل ليلة لوقت
طويل ولم أتخيل أنها مجرد عادة اعتاد على فعلها وكل
ظني أنه يحبه كما أحب أنا أن أخلل أصابعي في شعره
البنّي ليس بسبب لونه ولا كثافته ونعومته بل لأنه
شعره هوا كيفما كان سيكون ، وقفت بصرخة متألّمة
ليسقط المجفف على الأرض ومسحت فخذي بيدي
لأصرخ صرخة أقوى من سابقتها بسبب ازدياد
الحرارة بلمسي للقماش ساخنا بشدة ، رفعت بنطلون
البيجامة لأرى ما سبّبه فيها فكانت بقعة حمراء أشعر
وكان من سكب عليها ماء ساخن من شدة الألم فيها
ولم استطع لمسها ، توجهت للسريّر جلست على طرفه
وأخرجت ورقة من الدرج وبدأت أهبّ عليها مخففة
من حرارتها ثم وقفت أمسك البنطلون وخرجت متوجهة

للمطبخ هنا وفتحت الثلاجة أخذت منها بعض الثلج ولم

أعرف كيف أتصرف فيه فثنيت البنطلون حتى تبث فوق

الحرق ووضعت الثلج في كيس ووضعت على فخذي

أغمض عيني بشدة ثم عدت جهة الغرفة وجلست

على السرير أكمده بكيس الثلج وبقيت على ذلك الحال

لوقت ولا أعلم لما سبب كل هذا وأنا كنت أرتمي البنطلون

يبدوا بقي المجفف عليها لوقت وأنا لا أشعر به ، كنت أسمع

عن الذي يجرح نفسه أو يحرق نفسه وهو لا يشعر وكنت

أكذب ذلك وأقول أنه يتحجج فكيف لا يشعر بالسكين أو النار

والآن صدقتهم ويبدوا أنهم كانوا في حالة نفسية سيئة حد

أنه انعدم عندهم الشعور ، بعد وقت ووقت وأنزلت البنطلون

برفق وسرعان ما عدت ورفعته لأن حرارة الحرق ازدادت

حين تغطي ، توجهت جهة غرفة الملابس وغيرت ثيابي

ولبست فستانا قصيرا بعض الشيء وواسعا من الأسفل

وخرجت أمسك طرفه بيدي لئيبعد عن فخذي وغادرت

الغرفة والجناح بحثا عن سيلا حتى وجدتها وطلبت منها

أن تحضر لي مرهم حروق ووضعت كمية عليه ثم توجهت

جهة غرف الأطفال فأنا لم أزرهم من ساعات ، توجهت
أولا لغرفة أمجد لأنها أصبحت منفصلة جهة ممر غرفة
معتصم وأستغرب أنه ليس له جناح كغيره ويبدووا هوا لا

يريد ذلك ، فتحت الباب فكان نائما والكتاب في حضنه
فابتسمت على شكله وتوجهت نحوه أخذت الكتاب منه

ثم قلت " أمجد بني استيقظ"

فتح عينيه بصعوبة فقلت " هل صليت الظهر

في المسجد أم نمت"

أغمض عينيه وقال " بلى صليته ماما ، ذهبت

معهم ووالدي وصلينا"

وعاد بعدها للنوم على ما يبدو ، إذا جابر كان هنا

منذ وقت ، غريب ليست عوائده مؤخرا ! غطيته وأغلقت

النور لينام قليلا حتى وقت الغداء ثم توجهت لممر غرفة

الفتاتين ودخلت الغرفة لأجد ترف ومصعب يقفزان على

السريير وبتول تجلس على الأرض مع بيسان ويلعبان

لعبتهم التي لم أفهمها حياتي وعُدي نائم في حجر بتول

قلت مبتسمة " وأخيرا قررت زيارتنا مجددا يا بتول"
نظرت لي وقالت " ليس لدي غيركم ما سأفعله واشتقت
لأبنائكم ومصعب يريد المجيء هنا بما أنه عمر يدرس
ولا يريدون أن يقترب منه أحد وكأنه في الجامعة"

ضحكنا معا ثم نظرت جهة القردان على قول
بتول وقلت " ترف مصعب توقفا يكفي قفز"
ولا حياة لمن تنادي فقلت بحدة " ترف"
نظرت جهتي ونزلت من السرير فورا ومصعب على
حاله فوقفت بتول وقالت " هذا رأسه جودة عالية
لا يجدي معه الكلام والأوامر"
توجهت نحوه وضربته قائلة " توقف وانزل
حالا واسمع الكلام"

قفز مجددا يقول كلمات غير مفهومة وهي غضبت
ويبدوا يقول لها شيئا سيئا فأمسكت أذنه وسحبته منها
ولم تأبه ولا حتى لبكائه وأنزلته قائلة " سنغادر الآن
عقابا لك يا سليلط اللسان يا وقح"

وخرجت به وهو يبكي تسحبه بيد واليد الأخرى

تحمل فيها عُدي ، نظرت للفتاتين وقلت

" هل صليتما"

هزتا رأسيهما بنعم وقالت بيسان " نحن وبتول"

قالت ترف ضاحكة " مصعب لا يعرف كيف

يصلي يفعل هكذا"

ثم بدأت تقلده كيف يسجد وساقاه ممدودتان دون

أن يثني ركبتيه وقالت بيسان " ماما ترف تقول

كلمة سيئة تعلمتها من مصعب"

نظرت لها بضيق فأشارت بإصبعها بلا أمام وجهها

فقالت بيسان " بلى وأخبرتها أنني سأقول لك وأعادتها مجددا"

ما أعرفه أن أسوء عادات مصعب هي تشبيه الناس

بالحيوانات يا حماره ويا قردة ويا زرافة ومن كل نوع

وليس كلمات بذيئة لكني حتى هذا حرمة عليهم ونبهتهم

عليه مرارا ، فتحت فمها لتتحدث فقلت بحدة " أصمتي

ولا تكلميني بعد اليوم ولن أكلمك ولست ابنتي"

وخرجت من الغرفة متجاهلة بكانها وكل ما تقول

وعدت لجناحي ، جلست على الأريكة ورفعت الفستان
اخفف حرارة الحرق قليلا رغم أنه سطحي لكنه مؤلم
بشكل فضيع ، أمسكت الوسادة اهف بها عليه وأشعر
بأنه هكذا أفضل حتى تعبت يداي ، سمعت بعدها طرقا

على الباب فغطيت فخذاي ودخلت سيلا وقالت

"الغداء جاهز سيدتي"

وقفت وقلت " حسنا قادمة"

خرجت بعدها وتوجهت لغرفة الفتاتين حيث نتناول

الطعام في غياب والدهم وكانوا هناك وحتى أمجد

فجلست بجانب بيسان وبدأنا تناول الطعام أجيب على

كل ما يقولان أمجد وبيسان أما ترف فأتجاهلها تماما

حتى قامت عن الطعام وتوجهت للسريير وارتمت عليه

تبكي ولم آبه لها رغم أن قلبي يأكلني لكن عليها أن تتعلم

أن لا تكرر الخطاء وأنا سبق ونبهتهم كثيرا ، أنهينا

غداثنا ووقفت وقلت " سيلا كوني بقريهم أريد أن

أنام قليلا ولا يزعجني أحد كالعادة"

توجهت بعدها لجناحي دخلت الغرفة وشغلت التكييف

وأطفأت النور ونمت على السرير بدون غطاء طبعاً
ورفعت الفستان لأنني لن أتحتمل شيئاً عليها ، نمت بعد
وقت ثم شعرت بالنور يتسلل لعيناي وهذا يعني أن ثمة
من شغله ، أغمضت عيناي بشدة ثم جلست بصرخة
متألّمة ودفعت يده عن فخذي قائلة " جابر ما بك
لا تعرف معنى أن بعض الأشياء لمسها مؤلم"
ثم تابعت وأنا أهف عليه بيدي " وتراني نائمة ولا تهتم"
توجه جهة الخزانة فتحها وقال ببرود " من أحرقك"
قلت بضيق " قل ما الذي أحرقك لأنه إن حرقني
أحد ما وجدتي هنا ولا عدت بعدها ما حبيت"
تجاهل كلامي طبعاً وهذا أصبح ديدنه يقلدني في كل
شيء ، الآن فقط عرف تقليدي لما في السابق لا يفعلها
أخذ منشفة من الخزانة ومر بجواري ثم وقف ونظر
لفخذي وقال " وما الذي حرقها هكذا"
غطيتها بالحاف وقلت ببرود " مجفف الشعر"
صعقتني حينها بضحكته فنظرت له بصدمة وهو يتوجه

جهة الحمام وقال وهو يدخله " كي تتعلمي أن إغضاب

الزوج ثمنه عقاب بذات الشيء الذي تحاربينه به"

ضغطت على أسناني بقوة وقلت بغيض قبل أن

يغلق الباب " جهز نفسك لأن يحترق قلبك إذا لأن

الزوجة أيضا ما تفعله لها ستعاقب به والعين بالعين"

قال وهو يغلق الباب " أنا لم أفعل لك شيئا"

وأغلق الباب ليتركني لغيظي ، كل هذا ولم يفعل لي

شيئا !! مصيبة إن كان لا يرى نفسه مخطئا ، رفعت

اللعاف ونظرت للحرق ، لا اعلم لما لا أحتمل فوقه

شيء أبدا وياله من مكان أصبت فيه ، وقفت أمسك

الفستان وتوجهت لغرفة الملابس وارتديت بيجامة

بشورت قصير يصل لفوق الفخذ وقميص ضيق وخرجت

فكان جابر يجلس على السرير بمنشفته ، توجهت للأريكة

وجلست عليها وتوجه هو لغرفة الملابس وخرج بعد قليل

يرتدي بنطلون رياضي فقط وجلس على السرير في صمت

لوقت ولا أعلم ما يفعل ولا إلى ما ينظر لأنني لم أنظر

ناحيته أبدا ، قال بعد وقت " تعالي"

لويت شفتاي باستياء ثم قلت " فخذني تؤلمني "

قال بجمود " تعالي أرجوان "

لم آبه له فقال بنفاذ صبر " تعالي قلت لك "

وقفت وتوجهت نحوه أنظر للأسفل ولم انظر جهته

أبدا وجلست على السرير مبتعدة عنه وفي صمت

فأمسك ذراعي وسحبني نحوه وقال " الذنب عليك

وليس علي من قال لك تلبسي هكذا ملابس "

لم أتكلم ولم أعلق فهو يعلم أنه بسبب الحرق في

فخذني لما كنت لبستها فلا حاجة لأوضح ولا يهمني

ما يرمي إليه بأني أتقصد فعل هذا لألفت نظره لي

شدني لحظنه يبعد شعري ويقبل عنقي ليعود لي

ذاك الإحساس الذي بت أشعر به كل ليلة في مثل

هذا الموقف فدفعت صدره بيدي قليلا بحيث يشعر

بها ولا تحركه وقلت بأسى " أتعلم أكثر ما

بات يؤلم قلبي يا جابر "

توقف فجأة عما كان يفعل فتابعت بذات

الأسى " أن حزنك أصبح يجرحني كثيرا"

ارتخت حينها جميع عضلات جسده وابتعد عني

بسرعة وغادر السرير ودخل غرفة الملابس ولم

يخرج منها إلا وهوا يرتدي البذلة الرسمية وخرج

من الغرفة من فوره وفي صمت ، فليجرب معنى

جرح الكرامة ومعنى ما أذاقني تلك الليلة وليعرف

تأثير كلماته علي ، أخيرا قلت شيئا أثلج علي

صدري بعد كل صمتي ومهما كانت ستكون نتائجه

أطفأت النور مجددا وعدت للسرير تقلبت كثيرا أحاول

النوم وبلا فائدة لأنني كنت مقيدة بسبب الحرق خصوصا

أنه أصبح به انتفاخا مليء بالماء في أحد أطرافه ، جلست

بعدها وشغلت الإضاءة عند السرير ونظرت له ، قال عقاب

لي قال فما سيكون عقابه هوا علي كل هذا ، سمعت أذان

العصر يقام فغادرت السرير ودخلت الحمام توضأت

وخرجت ولبست فستانا طويلا واسعا فوق ملابسي وخرجت

من الجناح واطمأنتت أن أمجد غادر من أجل الصلاة

وطلبت من سيلا أن تصلي مع الفتاتان لأنني لم أعد أقدر

على تحمل الفستان وسلاحظان حركتي وصليت وحدي

في الجناح ثم نزعت لباس الصلاة وعدت للسير

ووضعت مرهم الحروق مجددا وعدت للإضجاع

وأنا أفكر في كل ما حدث لي منذ تعرفت بجابر

وأقسم أنه لولا الأولاد ما قبلت بكل هذا رغم أنهم لا

يمدون لي بصلة لكني أحبهم وهذا شيء انغرس في

قلبي ولا أفهم لما وكأنهم جزء مني ومن عائلتي فلم

أنسى كلمات والدي في رسالته لي التي أحضرتها

والدتهم حين أحضرتهم لي وكلماته فيها (أرجوان لا

تفرطي في هؤلاء الأطفال مهما طال بك العمر وربيبهم

كما ربيتك وأفضل لأنك ستحاسبين أيضا على أي

شيء خاطئ يخصصهم)

لا أفهم لما قال هذا وهو يعلم أنهم ليسوا أخوتي ولا

أبنائه ، والدي لم يكن مجرما وخريج سجون كما يقال

عنه هو كان سجين سياسي سجن هنا كثيرا ثم في الخارج

قبل أن يصبح لاجئ سياسي في إحدى الدول الغربية ولا

أفهم لما لم يأخذني معه بعدها أو يكون خاف علي لأنه
قُتل علي يد عصابة مافيا هناك رغم نظافة ملفه ولم يكن
متورطا معهم لكن الناس هنا لا ترحم ليتحول لمجرم خائن
خريج سجون وتاجر مخدرات وكلها ظلم وبهتان فقط لأنهم

وجدوا عنده رقم لرجل من المعارضين السياسيين في

الخارج ، نمت بعدما سافرت بي الأفكار كثيرا ولم

أستيقظ إلا وقت صلاة المغرب

*

*

نومته على بطنه وقلت وأنا أدفع قدميه الصغيرتان

للأمم بكف يدي " هيا أزحف أو أحبوا أو افعل أي

شيء لتمشي كأخويك وترحمني"

دفعته أكثر وقلت " هيا عدي حبيبي تحرك أرجوك"

بعدهما فقدت منه الأمل قلبته على ظهره وبدأت أدغدغه

وهوا يضحك وقلت مبتسمة " نعم هذا ما تفلح فيه الضحك"

بقيت أدغدغه وهوا يضحك ولم أشعر حينها سوا بشيء

اصطدم برأسي وصوت عمر قائلا " أرسلها لك معتصم"

وفر هاربا وأنا أصرخ به وأفرك رأسي بتألم ثم خرجت

أبحث عنه دون حتى أن أنظر ما الذي ضربني به ولما

وجدته أخيرا في غرفة والداي فوقف على السرير

وقال " لا تضربيني هوا من طلب مني ذلك"

قلت بحدة " كاذب وسترى ما سأفعل لك"

قفز خلف السرير وقال " أقسم هوا من قال لي

اضربها بها على رأسها كي لا تنسى مجددا"

رفعت أصبعي وقلت " أقسم أن ترى حسابك مني

يا عمر ، هذا بدلا عن أن تقول له شقيقتي ولا

أفعل لها هذا تسمع كلامه وتنفذه بالحرف"

وضع يديه وسط جسده وقال " أعطني أكثر مما

يعطيني أصبح تحت إمرتك أنتي"

قلت بضيق " ما هذا الابتزاز يا قليل الأدب من

يسمك لا يصدق أن عمرك عشر سنين"

أشار بأصابعه وقال " تسع سنين ونصف"

قلت مغادرة " لبيتك تفلح في دراستك هكذا"

عدت لغرفتي ورفعت العلبة التي رماني بها عن

الأرض وفتحتها ليخرج منها مهرج ورقي لسانه

للخارج فضغط على أسناني بقوة وأمسكت رأسه

بيدي الأخرى لأمزقه حين استوقفني صوت رقيق

كصوت المهرجين يخرج منه قانلا بمرح

"لا تمزقيني ... الهدية في الداخل يا بتول"

من أخبره أنني سأمزقه ، قلبت اللعبة كثيرا حتى اكتشفت

أنها تفتح من الأسفل أيضا ففتحتها وأخرجت ما بها فكان

سلسلة ذهبي به اسمي كاملا بالإنجليزية ومعه بطاقة

مكتوب فيها (كل عام وأنا بخير يا زوجتي لاحظي

فقط أنني تذكرتك بهدية في عيد ميلادي ونسيت أنتي)

رميتها وقلت بضيق " ولما سأتذكر وما يدريني أنا

باليوم التعيس الذي ولدت فيه"

نظرت للسلسلة بين أصابعي ، لا بأس به بل جميل

ويعجبني ، هذا الشيء الوحيد الذي تفلح فيه يا معتصم

اختيار الهدايا ، أعدته للعبة ورميت البطاقة في سلة القمامة

ثم وضعتها في خزانتي وقلت بخبث " أتذكرك بهدية ولما لا"

أخرجت ما اشتريته منذ زمن وأنتظر الفرصة لأعطيه له
وأخرجت علبة هدايا ووضعته فيها وأغلقتها وحملت عُدي
من على سريري وخرجت أبحث عن ذاك القرد الجاسوس
عمر حتى وجدته في حديقة المنزل يحاول إصلاح دراجته
لأن والدي أقسم إن أفسدها لن يشتري له أخرى ولهذا هوا

يجمع المال وذاك المعتصم استغله ، مددتها له وقلت

" خذها لسيدك وحاذر أن توقعها"

أخذها وقال ضاحكا " هل أضربه بها على رأسه"

ثم حك أصبعيه وقال " أدفعي لي لأفعلها"

أبعدت يد عُدي من شعري بضيق وقلت

"قلت لا توقعها يا غبي فكيف ترميه بها"

قال ببرود " إذا ادفعي المال لآخذها أو خذها بنفسك"

ضغطت على أسناني بقوة وقلت " أفسد طبعك ذاك

النكرة وكأنه لا يعطيك والدي نقودا كل يوم"

مدها لي وقال " آسف إذا لن آخذها"

أخذتها منه بقوة وقلت " لن تأخذ مني مليما واحدا

وسترى إن لم أخبر أبي أنك تجلس على خردتك

هذه بعد المغرب في الحديقة وتترك دراستك"

ثم توجهت للداخل وضعت عدي في كرسيه ولبست

حجابي وعباءتي ووقفت عند باب المطبخ وقلت

"أمي سأذهب لقصر عمي قليلا وأعود

وضعت عدي في كرسيه لن أتأخر"

التفتت لي وقالت من فورها " هل غيرت

له ثيابه وأعطيته رضعته"

قلت مغادرة " نعم ويضحك أيضا من الشبع"

ثم خرجت من عندها وخرجت من المنزل وتوجهت لقصرهم

دخلت ووجدت سيارة معتصم ما تزال هناك جيد ليعلم

أنها مني ، دخلت وبحثت عن سيلا تحديدا فقالوا أنها في

الأعلى ، مشكلة لا يمكنني إعطائها لغيرها لتعطيها لأمجد

يعطيها له ، صعدت بخطوات سريعة وخفيفة ووقفت

نهاية السلالم لأتذكر أن أمجد غرفته أصبحت في ممر

غرفة معتصم ، مشكلة لا حل الآن سوا بيسان لكن تلك

لا أو من عليها أن توصلها بدون أن توقعها وقد أجد

أرجوان معهما في الغرفة ، خاطرت بحياتي وتسلمت
جهة ممر غرفتيهم مسرعة حتى وصلت باب غرفة أمجد
ففتحته ودخلت مسرعة وكان على سريريه يمسك كتابه
ليت ذاك الكسول عمر يتعلم منه ، مددتها له وقلت

"أمجد أعطي هذه لمعتصم فور ذهابي"

لاحظت أنه ينظر لي باستغراب ثم حول نظره جهة
الخزانة خلفي وأشار لي بإصبعه هناك فالتفت برغبة
لأشهب بصدمة حين وجدت معتصم واقفا عند الخزانة
مستند عليها مكتفا يده لصدره ومن غبائي واستعجالي
وخوفي لم أره حين دخلت ، ابتسم ابتسامة جانبية
وقال بمكر " ولما لا تعطيهما لي بنفسك"

رمىها على السرير وركضت مغادرة جهة الباب
رغم أنني أعلم أن الفرار منه مستحيل وبالفعل في
ظرف ثواني قليلة كان خصري بين قبضة ذراعيه
وقدماي معلقتان في الهواء فقلت بضيق

"أنزلي أريد الذهاب"

دار بي للدخل قائلا " تأتي بنفسك وأتركك تذهبي"

توجه بي لسرير أمجد وقال " أعطها لها"

مدها لي وقال معتصم " امسكها منه بسرعة"

حركت جسدي وقلت " لا أريد أنزلني يا معتصم"

ضغط على خصري بقوة وقال " خذها أو زدت أكثر"

أخذتها منه وقلت بتألم " أخذتها فأرخي يديك ستقتلني"

أنزلني ومد يده لي وقال " أعطها لي حالا"

وضعتها له في يده بقوة فأمسك يدي بيده الأخرى

وسحبني منها وتوجه بي نحو الباب وخرج بي من

غرفة أمجد وسحبني جهة غرفته فقلت وأنا أسحب

يدي منه " أتركني عليا المغادرة الآن"

فتح باب الغرفة وأدخلني وأغلق الباب بالمفتاح وترك

يدي ووقف على الباب وفتح الصندوق وأنا أنظر لردة

فعله وهو يخرج منها المجسم الذي يأخذ شكل قط

بني اللون واقفا على قدميه وبطنه للأسفل ويمسك في

يده لوحة ألوان وبالأخرى ريشة وأمامه لوحة رسم

نظر له مطولا بجمود ثم نظر لي فابتسمت ابتسامة

صفراء وقلت " لم أجد غيرها اليوم"

نظر لي بتشكك فقلت محاولة تخفيف ضيقه

"شكرا على الهدية كانت رائعة"

بقي ينظر لي بجود فخرجت مني شهقة صغيرة لكتمي

لتنفسي خوفا من ردة فعله فضحك وشدني لحضنه بيده

الأخرى وقال من بين ضحكه " وهديتك رائعة أيضا يا

مشاغبة ، إن كنت أنا قط سمين فما ستكون زوجتي"

ابتعدت عنه وقلت " فأر طبعاً ولا يجتمعان"

قرص خدي وعض شفته السفلى بأسنانه ثم قال

"آآآه منك أنتي يا فأرة كيف أتصرف معك"

أبعدت يده عند خدي وقلت وأنا أمسد عليه

"تطلقني طبعاً وتنجوا بنفسك"

قال متوجهاً جهة الطاولة " وهذا عرضك طبعاً

من كل هذا ولن تحظي به يا بتول"

وضع المجسم على الطاولة فقلت بسخرية

"لو علمت أنه سيعجبك ما أعطيته لك"

التفت لي ونظر لي بخبث واقترب فتراجعت للخلف

وأنا أقول " معتصم ابتعد عني أقسم أن أصرخ

بأعلى صوتي وسيسمعي الجميع"

لكنه لم يكثر لي وأمسكني من ذراعي ودفعتني

لصدره وأنا أحاول الابتعاد وقلت بضيق

"لن أعيدها اتركني معتصم"

قال ونظره على عياني " لتعلمي فقط يا بتول انه

بإمكاني أن أجعلك الآن زوجتي فعلا ورغما عنك

ولن يكون حينها الطلاق خيارك لكني أريد فقط

أن يكون ذلك برضاك وغيره لا"

ثم امسك رأسي وقرب شفتيه من شفتي وهمس

"برضاك فقط يا بتول لتعلمي أنني أحبك حقا"

شهقت بقوة لتقطع شفاته شهقتي بقبلة شلت جميع حواسي

ولم يتحرك مني سوى قبضتا يداي وهما تقبضان على

قميصه بقوة حتى كدت أمزقه بين أصابعي وتركني بعد

وقت وبملاً إرادته وأنا ألهث وصدري يعلنوا ويهبط من

قوة تنفسي وأنظر له بضياح فأمسك بعدها وجهي وقبّل

خدي وفتح الباب وقال مغادرا " هذه بالنسبة لي تساوي

كل الهدايا في يوم عيد ميلادي "

*

*

وضع الأوراق أمامي على الطاولة وقال

" هذا كل ما طلبته "

أمسكتهم وورقت فيهم كثيرا وقلت

" جيد سنبدأ الخطوة الجديدة ومن عند الأهم فالأهم "

رفع إحداها بعدما بحث عنها وقال " لدينا هنا وسن أحمد

عامر ، العمر واحد وعشرون سنة طالبة في جامعة

العاصمة للعلوم قسم أحياء ، تعيش حاليا مع ابن خالتها

واسمه نواس خالد شاهين تاجر خيول متزوج وليس لديه

أبناء لديها شقيقة من والدها مسافرة مع زوجها ، وزوجة

والدها نجلاء عيسى الشحاذ تقيم حاليا مع شقيقها في قرية

عين النور وتبعد عن هنا مسافة ألف كيلو متر ، الفتاة لديها

شقة والدها ومحل لبيع البن والتوابل أغلق منذ وفاته هوا وشقيقها

كانت خطيبة لخالد الصقار لعشرة شهور بعدها فسخت الخطبة

منه وقبلها كانت على وشك زواج بابن خالتها المدعو نواس"

حركت جبيني بأصابعي وتنهدت بقوة فنظر لي وقال

"تبدوا اليوم بنفسية سيئة للغاية هل أقول لك كم

مرة تأففت منذ دخلت عليك"

قلت بضيق " تابع بلا ثرثرة وأترك عنك مراقبتي"

وضع الورقة على الطاولة وقال " أرى أن تأخذ فترة

راحة أحوالك هذه المدة لا تعجبني"

جمعت الأوراق وقلت " سالم تعرفني حين أغضب

واليوم بالذات لا يحتاج أن أشرح لك فاتركنا فيما نحن فيه"

قال مغادرا " إذا حاتم رفعت ينتظرك في قسم التحقيق

أرأف لحاله وهنيئا لك وجدت من تفرغ فيه غضبك"

تأففت مجددا ومررت بأصابعي في شعري أنفت

أنفاسا حارة كالإعصار ثم حركت رأسي يمينا ويسارا

ورفعته للأعلى ، عكرت مزاجي حد السواد يا أرجوان

ولا اعلم لما لم أبالي كحياتي سابقا مع حسناء ، نفضت

رأسي بقوة ثم نظرت للطاولة تحتي وفردت الأوراق

أمامي مجددا واطلعت على باقي المعلومات ثم جمعتها

ووضعتها في الدرج وخرجت متوجها لغرفة التحقيق

لأجد الجالس هناك على الكرسي أمام طاولة صغيرة

يقف فوق رأسه اثنان من الشرطة وآخران من قسم

التحقيق ، وقفت فوقه وأمسكت عنقه من الخلف بقبضتي

بقوة وقلت " إن سبق وحكا لك أحدهم عني فسترى الآن

بعينك ما قيل وإن لم تسمع سابقا فستحكي لغيرك مستقبلا

هذا إن خرجت من هنا حيا بالطبع فاختصر على

نفسك وعلينا الطريق يا حاتم"

*

*

صليت العشاء وبقيت في جناحي لأنه لا يمكنني الخروج

هكذا ولا ارتداء شيء فوقه لأن الحرق سيشتعل حينها

ويشعني ، أوصيت سيلا لتهمم بالأولاد وبطعام عشائهم

وصلاتهم وجلست أنا في ردهة الجناح وشغلت التلفاز

لأشغل نفسي عن الحرق كي لا أشعر بألم كبير ، كنت

منسجمة مع الفيلم في التلفاز وأكمد الحرق بكيس ثلج

حين انفتح باب الجناح ودخل جابر منه وتوجه من فوره

غرفة النوم دون أن ينظر ناحيتي ولا يتحدث ولا بتحية

الإسلام ككل مرة يدخل فيها حتى بعد تلك الليلة ، كنت

أنظر له باستغراب ليس من صمته بل من قدومه هذا الوقت

المبكر ، دخل إلى الغرفة وترك بابها مفتوحا وخرج بعد

قليل يحمل في يده منشفة حمام وبيجامة النوم وسار من

أمامي وفتح باب أحد غرف الجناح وأغلقها خلفه بقوة وأنا

أنظر لكل هذا بتوجم ، ما يعني بهذا ! هل سينام وحده

هناك ! هل قرر بتري من ليله أيضا ، ابتسمت ابتسامة

جانبيهة لتخرج مني ضحكة صغيرة ساخرة هل

جرحته كلماتي تلك حد أن يعزلني عنه ولا ينام معي

ولا يقربني ولم يكثر تلك الكلمات المسمومة التي

ذبحني بها بلا رحمة ، صدق من قال (حلال عليكم

وحرام علينا) بعد قليل فتح باب الغرفة وخرج وأمسك

بخيط التلفاز واستله ورماه على الأرض وقال عاندا

جهة الغرفة " لا أريد ضجيجا من أي نوع"

بقيت مصدومة وانظر لباب الغرفة حتى بعدما أغلقها

ثم وقفت ورميت وسادة الأريكة على باب الغرفة ليجدها
ما أن يخرج ثم توجهت لغرفتي دخلت وأغلقت الباب بقوة
مثله وأطفأت النور وتوجهت للسرير واستلقيت عليه أنظر
للسقف ولا نوم أبدا يلوح في الأفق وكله بسبب نومي في
النهار طبعا ، أمسكت هاتفي وقلبته كثير وشعرت بالملل
فرميته بعيدا عني ، بعد قليل جلست وغادرت السرير
وشغلت الإضاءة ولا أعلم ما الذي سيسليني في هذا الأمر
وقفت واضعة يداي وسط جسدي أفكر فقط ماذا سأفعل
نظرت جانبا وكان حاسوب جابر فوق الطاولة جميل
فرصتي لأرى ما الذي يحويه هذا الشيء الذي لا يخرج
ولا يدخل بدونه ولا يكون لديه وقت إلا وجلس عليه
توجهت نحوه وجلست وفتحته رغم تأكدي من أنه سيكون
مغلق بكلمة سر ، شغلته لأفاجأ به فتح دون أن يطلب أي
شيء ، غريب أنا أرى عامة الناس الذين لا شيء لديهم
يستخدمون كلمات سرية أو رموز وأحرف يغلقون بها
حواسيبهم فكيف لشخص عمله مهم مثل جابر أن يتركه
هكذا ! معه حق فالآن أصبح بإمكان طلبة الثانوية إلغاء

كلمات السر وفتح الحواسيب بسهولة فلما يتعب نفسه

ويغلقه ، نظرت مطولا للأيقونات التي تملأ الشاشة

والملفات ولم أفهم منها شيئا ولا توجد كلمة عربية واحدة

فتحت احد الملفات لفت نظري لونه الأحمر وجميعها

لونها أصفر عداه هوا وما أن انفتح حتى شعرت بمعدتي

ستخرج من فمي من بشاعة الصور وأغلقتة بسرعة أشعر

بقشعريرة في كامل جسدي ، لا أعلم كيف يرون كل هذه

المناظر البشعة وعلى أرض الواقع أيضا ، فتحت بعدها أكثر

من ملف وأغلبها بالإنجليزية ولم أفهم منها شيئا والبعض

صور لمحاضر شرطة ، ما هذا الملل فكرت أنه يجلس عليه

طوال الوقت سيكون فيه شيء مسلي ولو صور نساء على

الأقل ، انفتحت عيني على اتساعهما من هذه الفكرة ولست

أعلم ما سيكون شعوري إن وجدت هذا ، نظرت بتمعن

لأحد الملفات وكان عليه خط طويل وقفل والغريب أنه داخل

ملف آخر وليس في الخارج رغم أنه يوجد بداخلهم ملفات

كثيرة لكن هذا الوحيد شكله هكذا ، حاولت فتحه فطلبوا مني

كلمة سر بأكثر من عشرة حروف ، يا لهم من واهمين من
أين سأتي بها ، نظرت بتمعن لاسم الملف فلم يكن مثل أغلبهم
بذات الكلمة ، وقفت وجلبت هاتفني وفتحت المترجم وكتبت
اسمه وضغطت على ترجمة فظهر لي معناها بالعربية لأفتح
عيناى على اتساعهم وأنا أقرأها (حدودى عند هنا) ما معنى
هذا وما يوجد فى داخله ، دب الفضول فى كل شعيرة دموية
فى جسدى وفكرة واحدة سيطرت على وهى أن أعلم ما فىه
كتبت فوراً جابر سيد حلمى ولم ينجح الأمر ، جميل لا يعانى
من مرض الغرور ، حاولت بحروف وأرقام ورموز وبلا
فائدة ، ذهبت للملفات الأخرى التى تحت مسميات مختلفة
مثله وبدأت بترجمتها وكانت جميعها تخص عمله (دورية
اكتوبر مقر 24 | جرائم الإعتداءات فى القسم الثالث فرع
الجنوب | مقتل أحمد الصباغ فى سرقة المصرف المركزى
عام) جميل مالنا مسروق ولا نعلم عنه ، وغيرها
كلها بأسماء مدن وتواريخ وأنواع جرائم ووحده ذلك الملف
تحت اسم مختلف يعنى أن الأمر ليس محض مصادفة ولا
شيء عادى بكلمات يستخدمها فى جميع ملفاته ، شعرت بكم

هائل من الاستياء لأنه لا يمكنني فتحه ولا توقع ما سيكون

فيه وفي النهاية تركت عني الملفات وتوجهت للأيقونات

أنظر لأشكالها بتركيز ولففت نظري واحدة ترجمت اسمها

فكانت (نظام المراقبة عالي التقنية) أجل من هنا يراقب

القصر وما يحدث فيه ، فتحته ولم أفهم شيئاً طبعاً ولن

أستطيع ترجمة كل هذا ، الليلة فقط تمنيت أني أنهيت

تعليمي والأهم كيف اخترق كلمات السر ، لعبت لعبة

الاختيار التي نلعبها حين كنا صغاراً وأغمضت عيني

وحركت إصبعي وأشرت على الشاشة وفتحتها وضغطت

حيث وقع اختيار إصبعي لأجد نفسي أمام خيارات أخرى

فتأففت وبدأت أضغط بشكل عشوائي إما أن أفتحه أو أفسده

والمفاجأة كانت حين امتلأت الشاشة بمربعات صغيرة لصور

لكل شبر في القصر وأغلبها مظلم ورأيت حتى نفسي جالسة

على الحاسوب ، حمداً لله أنه لا يفتحه إلا للضرورة ولا وقت

لديه له لكان وجد كل هذا مسجلاً ، بحثت بين الصور حتى

كانت غرفة يتسلل بها ضوء ضعيف فتحتها لتملأ الشاشة

وكانتا ترف وبيسان نائمتان فابتسمت بحب ... كم أحتاج
لهذا النظام لأراهما دون أن أخرج لغرفهم أكثر من مرة
عدت للشاشة السابقة وفوجئت بغرفة أخرى أصبحت
مضاءة لأصعق بأنها الغرفة التي فيها جابر الآن ويبدو
لم ينم ومتوجه نحو الباب ليخرج فركضت من فوري
وأطفأت ضوء الغرفة أولاً ثم عدت لحاسوبه أغلقته
وتوجهت من فوري للسريير ليعم الصمت وسمعت صوتاً
مصدره مطبخ الجناح ، ليته لدي ذاك النظام في هاتفي
لراقبته الآن ما يفعل ، نظرت للساعة في هاتفي فكانت
الثانية بعد منتصف الليل ما الذي يفعله ولم ينم حتى الآن!!
يبدوا استيقظ ليشرب الماء ، سمعت بعدها خطواته تقترب
من الغرفة فأغمضت عيناى مدعية النوم على صوت الباب
يفتح بهدوء وأنا أتابع خطواته ، توجه جهة الخزانة ولم
يشغل الإضاءة في الغرفة ففتحت عين واحدة لأرى ما
يفعل فكان يفتش فيها على ضوء هاتفه ... يا عيني كل
هذا كي لا أستيقظ لو كان أي شخص غير جابر لقلت أنه
لا يريد أن يفسد نومي أما هو فمستحيل لابد وأنه يخبئ

شيئا لا يريد أن أراه أو لا يريد رؤيتي ، تحرك بعدها
من أمام الخزانة فأغمضت عيناى مجددا وشعرت بخطواته
تقترب من السرير ، يا إلهي يبدووا يفكر في قتلي ... آه
أرجوان بربك كيف لمن يكافح الجريمة أن يفعلها ! ولما
لا ألا يقولون أن من يحرس الشيء هو أول من يسرقه
شدت جميع عضلاتي حين شعرت به جلس على طرف
السرير بجانبى تماما ومر بعض الوقت فلم أستطع منع
نفسي ففتحت عيناى ببطء فكان ينظر بضوء هاتفه للحرق
في فخذي ثم وقف وخرج من الغرفة وأغلق الباب بهدوء
فجلست من فوري أنظر للباب بحيرة ، أدفع عمري
ثمنا لفهمك يا صخرة يا ابن الصخرة ، أمسكت بهاتفى
من فوري وأنرتة ونظرت به لفخذي وكأني أريد أن
أرى كيف كان يراه ، لفت انتباهي بعدها أن ضوء ردهة
الجناح مفتوح يتسلل ضوءه من تحت الباب ثم أظلم لتظهر
إضاءة تتغير ألوانها كل حين فوضعت يداى وسط جسدي
بضيق رائع أغلق التلفاز علي وفتحه هوا ما هذا التسلط

غادرت السرير وفتحت الباب قليلا وببطء فكان يجلس على

الأريكة أراه بوضوح ولا يراني لأن وجهه مستدير جانبا

من أجل التلفاز كان يرتدي بنطلونه فقط ولا أعلم لما يعشق هذا

الرجل أن يترك صدره عاريا هنا وكأنه يخشى على عضلاته

المخيفة أن تتعفن من الرطوبة ، كان فاردا ذراعه التي بها

جهاز التحكم جهة التلفاز والأخرى مسندا لها على ركبته

المنصوبة لأنه يرفع قدمه على حافة الأريكة ، سحقا لك

يا متحجر يا جابر ذكرني بأوقات كنت أنام على صدره

ويدي تمسك خصره وتساقر في بحر صدره العريض لبيتك

بقيت على صمتك بدلا من جرحي ذاك الجرح القاسي

"لما لا تخرجي وتجلسي هنا بدلا من التجسس"

ابتعد عن الباب مصدومة وقلبي يكاد يخرج من مكانه

ووضعت يدي عليه أتنفس بقوة ، لقد أفرعني هذا الداھية

كيف علم بما أفعل والمكان مظلم والأبواب لا تصدر

أصوات عند فتحها ولم ينظر جهتي أبدا ، ضربت الباب

بقوة وأغلقتة وعدت جهة السرير ، ياله من موقف سيء

ومحرج أيضا ما سيقوله له عقله الآن ، طبعا قالها لسانه

بلا تفكير طويل يا غبية تتجسسين عليه هه من يضمن
نفسه أتجسس عليه أو يراني جهاز مخابرات ولا أعلم
انفتح حينها الباب على وسعه ووقف متكأ على حافته

ينظر لي مكتفا يديه لصدرة

نهاية الفصل

الفصل الخامس والعشرون

اجتزتها صاعدة ليوقفني صوتها قائلة "مي"
وقفت مصدومة وكأنها أصابتني برصاصة والتفت
لها للخلف فنظرت لي مطولا ثم أخفضت نظرها وقالت
"أطلبني من نواس أن يخرجني من منزلك"
فتحت عيني على اتساعهما من الصدمة ثم قلت
"كيف أطلب منه هذا وما سيظنه بي ثم أنا
لست متضايقا أبدا من وجودك"

أشاحت بوجهها عني وقالت " أنا من لا تريد البقاء

أخبريه فقط أنك لا تريدني معك وأن يخرجني من هنا"

لم أستطع قول شيء ليس من هول ما سمعت فقط

بل وبسبب الواقف خلفها وهو نواس الذي كان من

المفترض أنه سيقضي الليلة خارج المدينة

قال ببرود ونظره عليها " لن تخرجي من هنا يا وسن"

التفتت له بسرعة لتسقط الصينية من يدها ويتحول

كوب الشاي لقطع من زجاج تتدحرج على عتبات

السلام مصدرة رنيئا وكأنها آلة موسيقية وقالت بحدة

"لا أريد البقاء معك يا نواس لا أريد ، فأخرجني من هنا"

أمسك خشب السلام بقبضته بقوة وقال بغضب

"قلت لن تخرجي ولا مكان لك غير هنا فلا

تتعبي رأسك بهذه الأفكار"

هزت رأسها وقالت بحدة ملوحة بيدها في الهواء

"لا أريدك ألا تسمع فارحمني منك حالا وارمني

في الشارع فهو أرحم لي منك"

تحول وجهه للاحمرار من الغضب ولاحظت يده

الأخرى يقبضها بقوة حتى خفت من أن يضربها
فتوجهت نحوه مسرعة ووقفت بينهما ورفعت
ذراعي جانبا وقلت بجديّة " نواس تعوذ من

الشيطان لأنه بدأ يسيطر عليك"

أشار لها بسبابته وهي خلفي وقال بحدة
"لم يمسكني عنك غيرها يا وسن لأنك أيقظت
بي الآن شيئا لم أتخيل أن أفكر فيه يوما"
خرج حينها صوتها الساخر من خلفي قائلة
"أجل فمن يوم عرفتها صرت أنا لا أساوي نعالها"
لوح بيده وقال بغیض " لیتك تفكرین فیها كما تفكر
فیک لیتك تقدیرین هذا یا وسن"

قالت بأسی " نعم استوفي مني باقي ديونك يا ابن

خالتي لعلك ترحمني بعدها وتطلق سراحي"

فتح فمه ليتكلم فاقتربت منه وسددته له بيدي وأمسكت

بالأخرى ذراعه وقلت بهمس وأنا انظر لعينيّه

"نواس حلفتك بالله أن تتوقف"

أبعد يدي وقال بضيق " لا تتدخلي يا مي كم مرة سأقولها"

قالت حينها الواقفة خلفي وبألم " يدك ومددتها

عليها سابقا فما بقي لم تفعله"

شدت كلتا ذراعه بيداى وقلت برجاء

"تعوذ من الشيطان يا نواس وابتعد أرجوك"

همس بالتعوذ لأكثر من مرة ثم نزل السلالم وأنا أراقبه

حتى خرج من المنزل ثم التفت للخلف فكانت وسن

تجلس على العتبة تمسك بيدها أحد القضبان النحاسية

وبالأخرى تمسك معدتها بقوة وتتألم فاقتربت منها

وقلت " وسن ما بك"

قالت بصوت ضعيف " اتركيني ... ابتعدوا عني"

وعادت تنن بألم فنزلت السلالم ركضا وخرجت للخارج

وسيارة نواس كانت مكانها وهو غير موجود فلم أعرف

ما أفعل فركضت جهة الإسطبلات أصرخ منادية له فجاء

من هناك مسرعا وقال من قبل أن يصلني " ماذا بها"

أمسكت ذراعه وقلت " لا أعلم تبدا متعبة وتنن

من الوجد وتمسك معدتها"

ركض قبلي جهة المنزل مسرعا وأنا أركض خلفه

وحين دخلنا لم تكن هناك فصعد وأنا أتبعه حتى وصل
غرفتها وطرق الباب قائلا " وسن أفتحي الباب"

لم يصل منها أي رد فقال بصوت غاضب مرتفع

"افتحيه أو كستره ، بسرعة عليا أذكك للمستشفى"

خرج حينها صوتها صارخة " أقسم إن كسترته قتلت نفسي"

تأفف حينها وغادر بخطوات ثقيلة غاضبة ودخل

مكتبه وأغلق بابه خلفه بقوة ولم أسمع سوى تحطم

إحدى التحف وحمدت الله أنها تلك فقط ولم يلحقها

تحطيمه لباقي المكتب وصراخه الغاضب كتلك المرة

*

*

ما أن دخلت غرفتي حتى تكورت على الأرض من الألم

الفظيع في معدتي وبدأت بضرب قدم السرير بمشط

قدمي بقوة وكأن هذا سيخفف عني الألم ، جلست بعدها

وانحنيت أمسكها بقوة واستسلمت للبكاء لعله ولو هوا

فقط يخفف عني هذه النيران المشتعلة ، وما أن شعرت

بتحسن بسيط حتى وقفت وتوجهت لباب الغرفة فتحته
وخرجت ونزلت من فوري وغادرت المنزل وتوجهت
لإسطبل تلك الفرس وكأنه مأوي الوحيد بل هوا بالفعل

كذلك فمن بقي لي ، وصلت وفتحت الباب ودخلت

وركضت نحوها مباشرة وحضنتها وبدأت بالبكاء بشدة
بل بالنحيب الموجه وبلا توقف ، كنت أشد عنقها بقوة
بذراعي وأبكي وأقول " لماذا يكرهني يا الوسن ؟ لماذا
يريد أن يحطمني ؟ أي قلب هذا الذي لديه أخبريني ما
الذي فعلته له ليكون عقابي هكذا وبكل هذه القسوة"
زاد بكائي أكثر وأنا أدم وجهي وأقول " أحبه يا الوسن
أكبر مصائبني في الحياة أنني لم أتوقف لحظة عن حبه ولا
شيء يساعدي لأنساه ... لا أحد ولا حتى هوا ، أقسم أنه
انتقم مني شر انتقام فما الذي يريد بعد ، لما لا يتركني
ابتعد عنه على الأقل ، لما لا يرحمني منه"

وبقيت على ذلك الحال حتى خف بكائي قليلا وقلت

بهدهوء ومن بين شهقاتي المتتالية " يقول ليتك تقدرينها

كما هي تقدرك ، يقول أنها وحدها من منعه عني

صدقي يا الوسن أنه يقولها بكل صراحة هي باتت في

نظره أفضل مني ، لمن أشتكى وأين أذهب عن هنا

لأرتاح ليثني مثلك حيوان لا يعلم شيئا ولا يهمله أحد"
ابتعدت بعدها عنها ومسحت بيدي على وجهها من

بين عينيها نزولا لأنفها عدة مرات وقلت بحزن

"ليتك تكلميني ولو مرة واحدة"

ثم قبلتها بين عينيها وقلت بدمعة تدرجت من عيني

"لا تتركيني أنتي أيضا يا الوسن أرجوك لا ترحلي"

حركت رأسها تستنشق وجهي وعنقي فابتسمت

بحزن وبدأت أمسح على شعرها وعنقها ثم أخرجت

لها من جيبتي قطعة الشكلاتة التي دسستها لها هنا منذ

النهار لأنني قرأت عن الخيول وعلمت أنها تحب

الحلويات ويعطونها لها كحافز عند الأداء الجيد

قدمتها لها في كف يدي فأكلتها من فورها فمسحت

على غرتها وقلت " قطعة صغيرة فقط حسنا لأنني

لا أعلم إن كان نواس يطعمك شيئا حلوا أو لا

والإكثار منه لن يكون مفيدا لك"

قبلتها مجددا وقلت " تصبحين على خير وشكرا

لأنك خففت عني ألامى كثيرا يا الوسن"

وخرجت بعدما حييتها عند الباب وهي حركت رأسها

لي وكأنها فهمت تحيتي أو هكذا خيل لي وقتها وفهمته

خرجت بعدها وأغلقت الباب كما كان وعدت أدراجي

للمنزل وصعدت ودخلت لغرفتي ونمت على السرير

بالعرض وحزن كل العالم أشعر به استوطن في داخلي

ليتك ضربتني يا نواس ولم تقل ذاك الكلام ، ليتك قتلتني

ولا قلت أن غيري باتت في نظرك أفضل مني ، ليتني

مت قبل هذا اليوم الذي وقفت فيه زوجته بيني وبينه

كي تنقذني من غضبه ويتركني هوا فقط لأنها طلبت

ذلك ، لو أعلم ما الذنب الذي ارتكبته عاقبني الله عليه

بهذا العقاب القاسي لكنت استغفرته عليه ليلة كاملة

وبكيت على سجاداتي حتى جفت دموعي ليصفح عني

ويخرجني من هذا الجحيم ، آخر ما كنت أتخيله أن

يصبح قربه نار وعذاب وهلاك بعدما كان منايا

الوحيد في هذه الحياة ... قتلتني يا نواس أقسم أنك

نحرتني وبلا رحمة ولم تبقي شيئا للأيام القادمة

شعرت بالآلام بدأت تعود فأخرجت الحبوب وتوجهت

للثلاجة لكني لم أجد الحليب فيها ونسيت أن أخبر

راضية أن تضعه لي هنا فأخذت شريط الحبوب معي

ونزلت للأسفل قاصدة المطبخ وما أن وصلت حتى وجدت

نواس هناك يفتح الثلاجة معطيا ظهره لي ، كنت سأعود

حين وقفت مكاني وأنا أراه فتح قارورة الماء التي أخرجها

من المبرد في الأعلى يخرج منها البخار من شدة برودتها

ورفع رأسه وسكب منها على وجهه وحركه يمينا ويسارا

ثم أنزل رأسه لتسكب مياها علىه ثم أنزلها وأغلقها والماء

يقطر من شعره ثم اتكأ برأسه على ذراعه المستندة على

باب الثلاجة السفلي ورمى القارورة داخلها رميا فتراجعت

للخلف عدة خطوات لأصطدم بشي ما خلفي فسقط مصدرا

ضجيجا وكأنه قطعة من الحديد أو النحاس فالتفت لي نواس

من فوره فجمدت مكاني واقترب هوا حتى خرج من المطبخ

ونظر مطولا ليدي التي فيها شريط الحبوب ، لففت لأغادر
فوقفت مكاني بسبب اليد التي أمسكت بيدي وأعادتني للوراء
وسحبني خلفه دون كلام حتى دخل بي للمطبخ وفتح الثلاجة
واخرج علبة الحليب ووضعها على الطاولة وتوجه بي للمغسلة
أخذ كوبا من هناك وعاد بي جهة الطاولة وكأني سأهرب منه
سكب الحليب في الكوب وكل هذا لم يرفع عيناه بي مطلقا
أخذ بعدها شريط الحبوب من يدي وقال بهدوء ونظره عليه
"كم واحدة أصبحتي تأخذين"

قلت بصوت منخفض يقارب للهمس " اثنتين"

أخرج اثنتين ووضعهم على الطاولة بجانب الكوب ثم
غادر من المطبخ في صمت وعيناي تتبعانه حتى اختفى

*

*

صعدت لغرفتي وأغلقت الباب خلفي وشغلت التكييف
على أعلى درجة له بسبب الحرارة التي أشعر بها تخرج
مني وكأنها حريق يخترق مسامات جلدي ليخرج من عروقي
للخارج ، ارتميت على الأريكة ومررت أصابعي في شعري

ورأسي للأعلى مغمضا عيناى وجسمى أصبح يتنمل بأكمله
أى جنون هذا الذى كنت سترتكبه يا نواس لو لم توقعك مي
حينها ، هل كنت ستمد يدك عليها ! أنت نواس وعلى من
على وسن ونسيت حتى قسمك لوالدتك يوم صفعتها أنك لن
تعيدها مجددا ، أى قلب ذاك الذى سكن جوفك تلك اللحظة
أقسم لو فعلتها لحظتها لما أبرد نارى بعدها سوى رصاصة
تخترق كف يدي كي لا أعيدها مجددا ، سامحيني يا أمي
لأنى يبدوا كما قلتي لست كفا للأمانة ولا للحفاظ عليها
لم أستطع حتى أن أعتذر منها عن ذلك فما سأقول .. آسف
لأنى كنت أود ضربك ، ولا نفسى كانت ستطاوعني لفعلها
لأنها أخطأت فيما قالت بل وفقدت عقلها ولم تحترمني حتى
مجرد الاحترام ولا حتى أمام مي ، سمعت طرقات على
الباب ففتحت عيناى وعدلت جلستي فانفتح الباب وكانت
مي التى دخلت وأغلقتة خلفها ووقفت مستندة عليه

وقالت بهدوء " نواس عليك أن تجد حلا لكل هذا"

نظرت للجانب الآخر وقلت ببرود

"لن أخرجها من هنا يا مي لا اليوم ولا بعده"

قالت بذات هدوءها " أخرجني أنا إذا"

نظرت لها بصدمة فتابعت " كل عذابها مني ... أنا متأكدة

واشعر بها وأقدر مشاعرها وأقسم لو كنت مكانها لفقدت

عقلي فأخرجني من هنا يا نواس أرجوك ولو من أجلي"

هزرت رأسي بلا دون كلام فقالت بعتب " ولما ... هل

يرضيك هذا الحال والوضع ، تعذب نفسك وتعذبها معك

حتى الطعام لم تتناوله منذ يومين والله يعلم تنام هنا

أم لا وهي في غرفتها لا يعلم أحد عن حالها ، ما هذا

الذي تفعله بنفسك وبها ، ما الذي تريد الوصول له"

قلت بضيق " أخبرتك منذ البداية أن لا تتدخلني ولا

تحتكي بها بأي شكل كان ولم أتخيل أن تكسري

كلمتي لأنها ليست أخلاقك ولا أطياعك"

قالت برجاء " ظننت أنه لا يمكنني التدخل لكن هذا

الحال يجعل حتى الحجر ينطق فأخرجني من

هنا يا نواس أرجوك"

وقفت وقلت بحزم " قلت لا يعني لا أي جنون هذا

وأين سأضعك ومن سيكون معك ، أنا لم أفقد عقلي

بعد لأفعلها وعلى وسن أن تقدر ظروف الجميع

وتستحمل الوضع فليست وحدها من تعاني ولا أحد

لها فأنتي مثلها وأكثر ولست تؤذينيها بشيء لترفض

البقاء معك ولن أخرجك وأبقى هنا ولا على جثماني"

أبعدت نظرها وقالت بحزن " اقسام أن الإسطبلات

أرحم عندي من بقائي هنا"

قلت بحدة " مي لا تخترعي أمور من رأسك وتصديقها

مشكلة وسن ليست فيك ولا معك ومشاكلنا معا لن تنتهي

بخروجك من هنا وسبق وأخبرتك أن ما انكسر انكسر من

قبل أن أعرفك وأعرف والدك حتى ، وخروج لن أخرجك

وطلاق لن أطلقك إلا باستيفاء الشروط ولست متضايق

من وجودك هنا ولو بقيتي العمر كله"

شعرت حينها بدوار خفيف فتوجهت جهة السرير وقلت

"لا أريد أن أسمع منك هذا مجددا أو غضبت يا مي"

قالت مباشرة " تزوجها إذا"

دخلت إلى السرير وغطيت نفسي بالحاف وقلت بتذمر

"لا أعلم لما يراه الجميع الحل الوحيد لكل شيء

وهو لن يزيد إلا تأزماً فوق تأزمه"

ابتعدت عن الباب وقالت "أخفض درجة التكييف

فالغرفة تكاد تتجمد وستمرض"

أغمضت عيني وقلت "اتركيه أشعر بجسدي

يشتعل ، أطفئني النور فقط"

تنهدت وأطفأت النور وخرجت من الغرفة وأغلقت الباب

خلفها ورميت أنا اللحاف من علي لأنني لم أعد أطيقه أيضاً

*

*

لم أستطع التركيز على أي كلمة مما يقوله المذيع والمتصلين

بعد الذي سمعته ، من تكون هذه الفتاة يا ترى ! هل تسكن هنا

في هذا الحي من العاصمة أم في مدينة والدتي بالقرب من

منزلنا هناك أم بالقرب من المزرعة أو مكان غيره وكيف

تراني دائماً ولا أراها إن لم تكن تسكن بقربي بل وتعلم

حتى أنني أعمل في تجارة الخيول وحتى اسمي تعرفه وهذا

يعني أنها أقرب لي مما أتخيل ، بل كيف علمت أنه أنا نفس

الشخص وهذا يؤكد معرفتها السابقة لي وقد تكون ربطت

الأحداث من كلامي عن شقيقتاي ووالدتي ومن ثم ذكري

للحادث الذي حدث معي سابقا ، لطالما لفتت انتباهي بأسلوبها

وأفكارها لكنني لم أفكر أن تكون تعرفني ! ولم يأتيني الفضول

لرؤيتها يوما ، لا والجملة التي ختمت بها كلامها بأني أتعبها

كثيرا وهذا مؤشر واضح على أن في قلبها شيء اتجاهي

وتعلم أنني سأعرف أن الكلام موجه لي ، ما هذه اللغز

المحير ! قربت هاتفني من وجهي واتصلت بهم فأدخلوا

مداخلتي على الهواء في الفور وقال المذيع

"مساء الخير يا أحزان السنين"

لابد وأنها تستمع الآن لنرى ما تريد الوصول له ، قلت

"مساء الخير لك ولجميع متابعيك ما هذه الليلة الساخنة

القاسية ، يبدو أن أحدهم ينوي نفسه بالشر يا صفوان"

ضحك وقال " مهلك يا رجل لم أفهم منك شيئا"

قلت بابتسامة جانبية " لا تهتم المهم أن المجني عليه يفهم"

قال من فوره " إذا أبدي رأيك في حلقتنا"

قلت " جميلة ككل مرة وبلا شك"

قال " إذا من الشخص الذي التقيت به مرة ولم تنسه يوما"

ابتسمت بمكر وقلت " بل ثمة شخص أتمنى أن ألتقي به

يوما فليتمنى أن لا أراه وأن ينجوا مني"

ضحك وقال " قلنا التقيت به وليس تتمنى أن تلقاه"

ضحكت وقلت " حسنا هناك رجل قدم لي مساعدة يوما

لا أعرفه ولم أره قبلها وأتمنى أن أجده في موقف صعب

مثلي لأرد له الدين ، لازال يسكن مخيلتي ولم أنساه أبدا"

قال بصوت مبتسم " وعند الله لا يضيع شيء وسيوقف

في طريقه من يساعده كما ساعدك"

قلت مباشرة " بالتأكيد عند الله لا يضيع شيء ، وختاما

أشرك صفوان وكل من شارك في الحلقة"

ثم قلت بابتسامة جانبية " وأحيي ملاك الليل وحمدا

لله على سلامتها ونراها قريبا"

ثم أغلقت الخط وسمعت المذيع يقول ضاحكا

"نسى أحزان السنين شعاره ولأول مرة"

ضحكت وضربت جبهتي بيدي لقد نسيتته حقا بل لن أقوله

بعد اليوم فقد يكون هوا سبب معرفة الناس لي ، انفتح

حينها باب الشقة ودخل معتصم وأغلق الباب خلفه

واقترب قائلا " ماذا تفعل مستيقظ حتى الآن"

قلت بعد ضحكة " من يسمعك يضمننا وقت الفجر

منذ متى أنام قبل هذا الوقت"

لوح بيده وقال " المهم لا تزعجني بتلفازك أريد

أن أنام ورائي جامعة مبكرا"

قلت ببرود " شفتي مثلك إن نسيت"

قال بسخرية " نعم ذكر نفسك أيضا بهذا

وأنه لي فيها النصف"

رفعت قدمي على حافة الأريكة وقلت بلا مبالاة

"ما ذنبي مع بخلك ، لديك كل ورثك من مال

والدك وتشاركني ثمن شقة"

وضع يديه وسط جسده وقال " تعلم يا أحمق أنه بإمكانني

شرائها والعمارة بأكملها لكني كنت أريد أن تبقى معي

فيها على أنها ملك لك ولو جزء منها ولا تخرج

من أصغر كلمة قد أقولها لك"

قلت بسخرية " معك حق لكنت خرجت الليلة

بلا رجعة بسبب جملتك تلك"

لوح لي ببرود فغمزت بعيني على يده وقلت

"ومن هذا الذي تذكرك في عيد ميلادكم يا منبوذ"

نظر لي بضيق فضحكت وقلت " لم أرى حياتي

رجلا لديه قصرا ويسكن في شقة لا يوجد بها ولا

حتى خادمة ويترك الخدم هناك"

قال بضيق " معاذ ما بك معي الليلة"

وضعت يدي خلف رأسي واتكأت عليها وقلت " مزاجي

في أحسن حالاته ووجدتك أمامي أم لك رأي آخر"

قال بسخرية " أدام الله عليك النعيم"

أشرت بوجهي ليده وقلت " ممن هذه لا تكون من حبيبة القلب"

نظر للصندوق في يده ثم فتحه وأخرج ما فيه فضحكت

بقوة ما أن رأيتته وقلت من بين ضحكاتي " من هذا الذي

سخر منك هكذا ، لا وتجلبها معك وسعيد جدا بها"

قال متوجها جهة غرفته " لا شأن لك ولا ترفع

صوت التلفاز أو كسرته على رأسك"

ضحكت ثم وقفت وأغلقت التلفاز ودخلت لغرفتي وحاولت

النوم لكنني لم أحضأ بذلك سريعا حتى مر أغلب الليل لأن

تلك الفتاة لم تغب عن بالي وفكرة واحدة تسيطر على

دماغي من تكون تلك

*

*

في الصباح استيقظت مبكرا كعادتي لأخرج قبل وقت

المحاضرة وأستفيد من الوقت ، مررت المطبخ سريعا

ودخلت وقلت " صباح الخير يا روضة"

ضحكت وقالت " من قالها لك"

قلت وأنا واقفة آخذ قطعة خبز محمص وأضع عليها

المربي " سمعت المقيم هنا يناديك به فأعجبني

كثيرا وأره أجمل من اسمك"

وضعت الطبقين على الطاولة وقالت " ما الجمال فيه

هوا يسخر مني لينادينني بكلمة روضة أي روضة أطفال"

قلت بابتسامة صغيرة " يبدووا يحبك كثيرا"

قالت مبتسمة " وأنا أحب كل واحد فيهم أربعتهم وكأنهم أبنائي"

ثم قالت بمكر " ولن أرتاح حتى أكون عضوا في

مجموعة أخرى توقع به كرفيقه معاذ"

قلت وأنا أحمل حقيبتني ومذكراتي وأغادر

"حاذري أن يعلم بمخططنا كما أخبرتك يا راضية"

سمعتها تقول وأنا ابتعد " لا تقلقي بشأن هذا الأمر"

ثم خرجت سريعا قبل أن ينزل نواس فهي على ما يبدو

تجهز له الإفطار ، أستغرب كيف يتناوله في المطبخ

ووحده أيضا ! خرجت وركبت السيارة وغادر بي من

فوره فهوا حرّم أن يتأخر لأنني بالأمس نفت غضبي

من نواس كله به عندما تركني واقفة هناك صباحا

دخلت الجامعة بعد الطريق الممل لتستقبلني ملاك

وهي تنظر لوجهي بتفحص ثم قالت " وسن ما

بك هكذا شاحبة ووجهك مصفر"

قلت ببرود ونحن نسير للداخل " لا تكوني ممن

يدرسون الطب ولا أعلم بك"

قالت بضيق " وسن ما أحبّك للكلام المسموم

قولي ما بك وكفى"

قلت بذات البرود " لا شيء"

تنهدت وقالت " طبعا لا شيء وكالعادة ولكن حالك لا

يعجبني منذ انتقلت للعيش في مزرعة ابن خالتك ولا

أستبعد أن تسقطي علينا ميتة في أي وقت"

قلت مغيرة مجرى الحديث " جلبت لك معلومات ستعجبك"

قفزت أمامي ووقف وأوقفتني وقالت وهي تمسك يدي

"حقا بهذه السرعة يالك من نابغة"

قلت بابتسامة صغيرة " وطبعا لن نتحدث حتى

نזור المعمل والمكتبة أولا"

قالت بتذمر " آه وسن ما بك هكذا معي"

ثم قالت بنصف عين " ألا تريدني أن تعرفني

نتائج الجولة الأولى قبل أن ندخل"

قلت بلامبالاة وأنا أتابع سيرتي

"لا ... سأعرف فيما بعد لما الاستعجال"

لأن ثلاث طلبة كانوا يقفون حوله ، نظرت لي ملاك
وأخرجت لسانها جانبا دليل أنه فيها موتها وسمعنا
صوت الدكتور قائلا " لا ضجيج ولا استهتار في

مكان إلا ومصدره السيدة ملاك طبعاً"

لوت شفيتها وتمتت شيئا لم أسمعه ثم سحبت كرسيها

وجلست أمام طلال وسحبت أنا كرسيها لي وجلست بجوارها

وغرقنا في العمل حتى وقت المحاضرة فوقف طلال وقال

"سننهي هذا فيما بعد وسأخذ أنا الأوراق والصور

معي هذه المرة وأحظرهم في الغد"

ثم غادر ووقفنا نحن وقالت ملاك وهي تضع حقيبتها

على كتفها " مر الوقت كله هنا ولم نزر المكتبة ولن

ندخلها قبل أن تحكي لي ما قالت لك مفهوم"

حملت مذكراتي وقلت مغادرة " فلنخرج من المحاضرة

أولا ثم لكل حادث حديث يا سيدة الدلال"

وصلنا القاعة على رنين هاتفي فأخرجته ونظرت

للمتصل فكانت فرح ، غريب منذ مدة لم تكلمني وهاتفها

مقفل أيضا وحين اتصلت بجواد قال أن شريحة هاتفها

معطوبة وسيخرج لها أخرى والأغرب أن تكلمني وقت
الجامعة !! استأذنت من دكتورة المادة قليلا وخرجت
وأجبت عليها فقالت من فورها " وسن حبيبتي كيف

حالك اشتقت لك شقيقتي الحبيبة"

قلت بابتسامة حزينة " وأنا أكثر منك يا فرح ولا

أصدق متى يأتي اليوم الذي تعودين فيه"

تنهدت وقالت " لا أعلم لما يمر كل العمر ركضا

إلا حين تنتظرين شيئا ، أشهر حملي تمر بسرعة ولا

أشعر بها أما أشهر سفرنا فأشعر أنه لم يمر منها شيء"

قلت مبتسمة " وكيف يكون ذلك"

قالت بتذمر " لا أعلم لا أريد أن ألد وقت دراستي

وأريد أن تمر الشهور لننهي ولو فصلا آخر

لننزل لزيارتك وتلك تمر كالريح وهذه لا"

اكتفيت بالابتسام دون تعليق فقالت بهدوء

"لن أسألك كيف أوضاعك هناك لأنني أعلم مسبقا"

لذت بالصمت ولم أتحدث فقالت بأسى " وسن هوني

عن نفسك قليلا وقولي لي ولو أكثر ما يتعبك هناك"

قلت بابتسامة مغصوبة " ما سأحكي لك يا فرح من ماذا"

قالت بحزن " هل الأوضاع سيئة لهذا الحد"

قلت بحسرة " للبارحة تشاجرنا حتى كان سيضربني

لولا زوجته أوقفته"

شهقت بقوة ثم قالت بحدة " خسى تنقطع يده قبل أن يمدها

عليك ، أقسم إن فعلها لكان حسابه معي أنا ولو كان ثمنها

دخولي السجن ولا يضمن أنه لا أحد ورائك لأن لا

عائلة لك غيره ذاك الجلمود المغرور"

ثم تابعت بحرقة " كيف تسكتين على ذلك

يا وسن كيف"

قلت بسخرية " وما بيدي أفعله ؟ أنا في منزله وأعيش

على نفقته وبنقوده فما الذي سأدافع به على نفسي"

قالت بحدة " وإن يكن ، هذا لا يعطيه الحق في فعل

ذلك فليمدها على زوجته ليرينا المرجلة ، وتلك الحية

تجدينها تحفر من بعيد ثم تدعي الدفاع عنك"

قلت بحزن " لا أعتقد ذلك"

قالت بتذمر " يالك من طيبة يا وسن ويسهل خداعك
والضحك عليك ، المهم أنه سيأتيك اليوم الذي ستقتصين منه
يا وسن فلا تتواني عن فعلها وأذيقه معنى عذاب الروح

وهوا بقربك فذاك سيكون فيه دماره"

قلت بحيرة " ماذا تعني بهذا أنا لم أفهم شيئا"

قالت مباشرة " لا تفهمي ... فقط تحفظيهم جيدا وتذكريهم

في وقتها ، لن أستطيع أن أقول لك أكثر من هذا لكن

تذكري كل ما قلته الآن حين يصير في قبضتك"

تهتدت وقلت " فرح أتركي عنك الألغاز وتحدث بوضوح"

قالت ببرود " لو بيدي ما توانيت عن فعلها ولكن لا بأس

سأرى فيه يوما وقريبا جدا وعلى يدك"

قلت بهدوء " ورائي محاضرة وعليا العودة لها

الآن ألم تجدي أفضل من هذا الوقت"

قالت بضيق " وكيف وذاك الجواد يشتغل لي هنا كالحارس

ويمنعني من التكلم معك ويتوعد ويهدد"

بقيت على صمتي أحاول تفسير كلامها فقالت

"مؤكد ستسألين لما ... لأنه يرى أنني سأزيد الأمور

لديك تازما ، لا أعلم كيف يحب شقيقه ولا يسمح لي

أن أخاف على مصلحة شقيقتي مثله"

تنهدت وقلت " لم يعد هناك شيئا مهما يتحسر أحد على

ضياعه يا فرح فلا تشغلي بالك بي واهتمي بصحتك

وزجك ودراستك وأبعديني عن دماغك فأنا بخير ولا

تخافي علي ولا تفكري بي"

تنهدت بقوة وقالت " أسعدك الله يا وسن وأزال عنك

كل هذه الظروف السوداء ، لن أستطيع الدعاء عليه بعد

الآن لذلك سأقول هذه اللحظة أسأل الله"

قاطعتها قائلة بضيق " فرح ليس من أجله بل من أجلك

توقفي عن هذا فدعائك سيضررك أيضا"

تأففت وقالت " وداعا الآن وسأكلمك متى ما وجدت فرصة

كهذه لأنه إن علم جواد بي سيخاصمني أسبوعا كاملا

وسأموت من قهري فلا أحد غيره هنا أتحدث معه"

قلت مبتسمة " وداعا إذا"

ثم أنهيت المكالمة منها وأرسلت رسالة لجواد لأنني فهمت

الآن لما لم يعد يجيب هوا أيضا على اتصالاتي .. ليتهرب
من سؤالي عن سبب إقفاله لهاتف فرح طبعاً ، جواد لا يتغير

أبداً كما كان في طفولته مدمناً على الكذب ولا يستطيع

أن تصدق منه شيئاً ، أرسلت له رسالة كتبت فيها

(جواد أجب على اتصالي أريدك في موضوع مهم)

ثم عدت لمحاضرتي ولم يغب كلام فرح عن بالي

ترى ما تعنيه بكل ما قالت له لي !! يبدوا تعلم شيئاً ولا

تريد قوله فما معنى أن يصير تحت قبضتي وأنتقم

منه وأذيقه عذاب الروح ، ياله من أمر مضحك حقاً

فأي قبضة هذه التي سيصير فيها ، أنهيت محاضرتي

ولم تتركني ملاك حتى أخبرتها بكل ما أخبرتني به

راضية لتكمل مخططها الذي كل ما أخشاه أن يزيد حياتها

انتكاساً على انتكاسها ، وانتهى يومنا وعدت للمزرعة ولم

أعد أرى نواس ولا بالمصادفة لأنني لم أغادر غرفتي إلا

للجامعة أو لزيارة تلك الفرس التي أصبحت زيارتها

بالنسبة لي شيئاً لا يمر يومي من دونه

*

*

وقف بجانبني ونظر حيث أنظر وقال " ما بها فرسك المدللة"

هزرت رأسي وقلت " لا أعلم الحال كما هوا أمامك فمنذ

أيام رفضت الخروج إلا بصعوبة وفي اليوم الذي يليه

رفضت أن أخرجها أنا وخرجت مع وليد بدون جهد

ولا تعب ومن يومها على هذا الحال"

ضحك وقال " أخبرتك منذ البداية أن أمر فرسك

هذه مريب وستكتشف نهاية الأمر أنها مسكونة"

قلت بتذمر " معتصم بالله عليك أنت تعلم جيدا أن الخيل

من أذكى الحيوانات وأنها تتعلق بصاحبها كثيرا وتشعر

به بل وتبكي لموته أيضا وهذه الأمور يعرفها العرب

منذ صاروا وعرفوا الخيل"

اقترب وليد وقال " نواس المهندس وصل

وينتظرك عند باب المنزل"

غادرت من فوري على صوت معتصم يتبعني قائلا

"وأنا محاضرتي ستبدأ بعد ساعة وداعا"

عدت جهة المنزل حيث وجدته ينتظرنى هناك فوقفت

أمامه وصافحته قائلاً " مرحباً أستاذ نزار كيف الحال "

قال مبادلاً لى الابتسامة " بأفضل حال سيد نواس شكراً لك "

ثم رفع ورقة طويلة ملفوفة وقال " أحضرت الخرائط واعتذر

على تأخري لأنى كنت فى عمل لم ينتهى إلا الآن "

وضعت يدي على ظهره وقلت " لا بأس أخبرتك أنى

لست مستعجلاً عليها ، هيا تفضل للداخل "

دخلنا لمجلس الرجال لأن مكتبى فى الأعلى وبعد زواجى

وعيش وسن معنا هنا لم يعد يمكننى السماح لأحد بالصعود

معى ويبدوا أصبح عليا تغيير مكانه للأسفل فقد يكون نصف

سبب سجن وسن لنفسها فى غرفتها أنه هناك فى نفس الممر

جلسنا وفرد الورق على الطاولة وقال " رسمت مخططين

الأول يستلزم تغيير هذين المكانين هنا لينجح لأنهما

سيعيقان كل العمل "

نظرت للمكانين بتركيز ثم قلت وأنا أشير لأحدهما

بإصبعى " تقصد هذا عند طرف الإسطبلات "

قال " نعم "

هزرت رأسي وقلت " مستحيل هذا لا يمكنني تحطيمه أبدا"

رفع نظره عن المخطط ونظر لي وقال " لكنه إسطليل

منفرد ومكانه خاطئ وغير مناسب"

هزرت رأسي بلا دون كلام فتنهد وأبعد الورقة وقال

"في هذا الحال سنستخدم الأخرى"

فردها وبدأ يشرح عليها قائلا " هنا سيكون التوسيع في

الإسطبلات وعلى ثلاث مراحل أما هذه الجهة تستغلها

لتوسيع مخزن أدوات الخيل من أعنة ورشوم وسروج وما

إلى ذلك والتوسيع الثالث فيها سيكون منحن يسارا وهنا تزيد

مساحة مستودعات التخزين والجديدة يجب أن تكون بأساسات

تتحمل الطوابق لتستفيد منها مستقبلا ببناء طابق فوقها بما

أنه لا يمكن بناء واحدة تحتها بسبب الرطوبة"

واستمر يشرح مطولا وأنا منتبه له في كل حرف وتفصيل

حتى ضرب بكف يده عليها وقال " وهذا مخطط لتوسع به

كل شي هنا على ثلاث مراحل في سنوات مختلفة وإن

اتبعته يمكنني أن أزيده إن احتاج الأمر"

هزرت رأسي وقلت " رائع ... عمل ممتاز "

أشار بعدها لمساحة معينة وقال وهو يحددها بإصبعه

" هذه استثنيتها من كل شيء ، موقعها ممتاز خصوصا

من ناحية المنزل مستقبلا حين سيكون لديك أبناء فلن

تواجه مشكلة الحديقة ومسبح صغير وحتى بعض الألعاب

الثابتة لهم فأنا لاحظت أنه لا شيء من كل هذا هنا ولا

حتى حديقة ومستقبلا ستفكر في كل هذا "

ابتسمت بألم على الأمر وقلت " معك حق إن كان هناك

أبناء سأواجه هذه المشكلة فعلا وحتى شقيقي حين يعود

من سفره قد يعيش معي هنا ويكون حينها لديه ما

لا يقل عن اثنين أو ثلاثة "

رفع رأسه ولفها مجددا وقال " إذا نبدأ على بركة الله "

هزرت رأسي وقلت بثقة " نبدأ يا حضرة المهندس "

قال بعد ضحكة " لست بذاك الحجم "

قلت مبتسما " بل عمك متقن وثقتي بك كبيرة "

ثم تابعت بهدوء " وثمان أتعابك حدده بنفسك وستأخذه

كاملا فقط تكفل لي بكل مشاكل العمال والمستلزمات

ومعاذ سيساعدك في أمر المواد التي ستحتاجها فهذا

اختصاصه وأريد منك فقط ورقة نهاية الأمر بجميع

التكاليف وسأقدم لك الدفعة الأولى من أجل المواد

وبالنسبة للأدوات فلدينا بالفائض من توسيعنا السابق

لأنني اشتريتهم ولم أستعن بعمال من شركات خاصة

يجلبون معهم كل ما يحتاجونه لأن تلك الشركات أصبح

يدخل فيها الغش في مواد البناء فلا ثقة عندي بهم"

وقفت وقال " خيرا صنعت فعمال الأعمال الفردية

عملهم أنظف بكثير"

وقفت أيضا وقلت " لا تخبرني لأنني أكثر من يعلم

فقد عملت عملهم لسنوات"

نظر لي باستغراب فضحكت وقلت " لا تستغرب

هذا فكم من مال بني من لا شيء والمهم أنه

من حلال والله لا ينسى أحدا"

هز رأسه وقال " معك حق المهم أنه من حلال فلا أحد

يبقى طوال حياته صغيرا كما لا أحد يدوم كبيرا"

ابتسمت وأمسكت كتفه وقلت " لم تشرب شيئا

أو تناول الغداء معنا على الأقل"

رفع ورقته الأخرى وقال " مرة أخرى عليا المغادرة الآن

فوالدي تركتها في المستشفى وعليها الذهاب لأعود بها"

صافحته وقلت " إذا نلتقي قريبا وشفأها الله لك وحفظها"

شكرني وغادر وغادرت أنا بعده المنزل متوجها للخارج

حيث توقفت سيارة معاذ وفتح النافذة وقال " نغادر الآن"

قلت وأن أتوجه لسيارتي " نعم فقد نتأخر هناك"

ركبت سيارتي على رنين هاتفي فنظرت للمتصل فكان

جواد فأجبت عليه وأنا أنطلق خارجا من المزرعة

*

*

كنت جالسة على سريرى أراجع بعض محاضراتي فمئذ

عدت عصر اليوم من الجامعة وأنا منهمكة فيهم فانتقاعي

عنها وقت مرض خالتي ووفاتها وما بعده سبب لي إرباكا

كبيرا وطيلة الأيام الماضية أحاول تدارك ما فاتني مع ما

نأخذة الآن ، رميت القلم من يدي ونظرت للساعة فكانت

العاشرة ونصف فجمعت الكتب ومذكراتي وأعدتها لمكانها
على صوت طرقات على الباب ولم يدخل بعدها أحد فتوجهت
جهة حجابي ولبسته فموكد هذا نواس ويبدوا جواد تحدث
معه لأنني هذه المرة لم أترك له مجالاً للأعذار فكم تحجج
بألف حجة كي لا يكلمه وكان رافضاً الفكرة من أساسها
لكنه يعلم جيداً عواقب الأمر إن تحدثت أنا معه فليتفاهم
معه هوا ويخرجا بحل وما قلته يجب أن يحدث فهذا
كان الاتفاق منذ البداية ، ما علمته من راضية أنهم اليوم
خرجوا من المزرعة منذ الظهرية ويبدوا عاد للتو
توجهت للباب وفتحته فكان يقف أمامه مسنداً يده على
حافته وينظر لي بجمود فتركت يد الباب ونظرت جانباً
ليس من أجل شيء لكن كي لا يتقد هذا الشوق إليه أكثر
وصلني صوته قائلاً بجديّة " ما معنى هذا الذي قاله جواد"
قلت وأنا على حالتي " معناه كما قاله لك وقالته

والدتك سابقاً ولم تنفذه"

قال بحزم " وسن"

نظرت له لتلتقي عينانا وقال بضيق " قالت وقتي

ولم أوافق عليه إن كنتي تذكرين ذلك"

هزرت رأسي بقوة وقلت " بل وضعته خالتي أساسا

ولم تعترض أنت عليه إلا بأفعالك لاحقا"

ثم أشرت بإصبعي جانبا وقلت " قالت أعيش معها

وأترك شقة والدي ونفذت ذلك بل أكثر منه وبت هنا

وقالت أني سأدرس من مالي وبعدها أخرج أصرف

على نفسي ولم تنفذه أنت وأخللت به من قبل وفاتها

والآن أريد أنا أن أتكفل بكل ما دفعته أنت للجامعة"

قال بحدة " أي جنون هذا أنتي لم تدفعي من مالك أنتي

كمن يشحذ منهم تكاليف رسوم المواد ورسالة تخرجك"

رميت أصبعي في الهواء وقلت بحدة أكبر " أنا متسولة

في كل الأحوال إن منك أو منهم وعلى الأقل هناك

لا أعرف من صاحبها ولن يعرفني"

ضرب حافة الباب بكفه التي يسندها عليها ونظر

جانبا ومرر أصابعه في شعره يتأفف ثم قال بنفاد

صبر " متى سننتهي من أسطوانة المتشردة

العالة المتسولة يا وسن متى"

قلت ببرود " حين ينتهي تصدقك عليا بمالك"

هز رأسه بيأس وقال " لا أعلم أي دماغ هذا الذي تفكرين به"

ابتسمت بألم وقلت " نعم فأنا أصبحت لا شيء بالنسبة

لك و منذ وقت طويل"

قبض يده بقوة وقال بغضب " وسن لا تفقديني أعصابي

وكأنك تتعمدين ذلك من أجل إغاظتي"

قلت بحرقة " أجل افعلها واضربني فزوجتك ليست

هنا ل تمنعك عني لكي أقدر لها هذا"

ضغط على أسنانه بقوة وأغمض عينيه وقال

" اسمعي يا وسن مال غير مالي لن يدفع عليك

ولآخر عمرك فهمتي"

أشرت له وقلت بضيق " لا يا نواس هذا في أحلامك لن

تبقيني هنا لتنفذ مخططك فإما أن تزوجني إمعتك ذاك أو

سأخرج بنفسني من هنا ، ومال من أحد لن أقبل"

قال صارخا " قلت لك سابقا لا تنعته بالإمعة ولنرى

نهاية كل هذا إن كان حله زواجك به فسيكون الليلة

فلعلنا ننتهي من تكرار هذه العبارات مخطط وانتقام

ومتسولة ومتشردة وغيرها الكثير"

ثم أشار لي بإصبعه وقال " تذكرني فقط أن عليك أن

لا تكرري هذا مجددا بعدما تصيري زوجته"

ثم غادر دون أن يضيف شيئا آخر ليتركني أنظر لمكانه

بصدمة ، ماذا يعني بما قال ! ما معنى أن لا أذكرها

مجددا هل يقصد أنه سيبقى يصرف علي حتى بعد أن

أتزوج ولكن كيف ! رجعت بعدها عدة خطوات للوراء

حتى سقطت جالسة على الأريكة ... نعم معناه شيء

واحد يزوجني بصديقه الذي يعيش معه هنا لأصبح أنا

وهو وحتى أبنائنا نعيش على نفقته وصدقاته وفي منزله

لا ولن أخرج من هذا المكان وسأبقى له ولزوجته كل

العمر هذا إن لم أقوم بخدمتهم من أجل المال ، جلست

كالصنم بل كالمحكوم عليه بالإعدام ينتظر مصيره

المجهول ، هذا ما لم أفكر فيه يا نواس أن تكون فكرت

هكذا ... تزوجني به وأبقى هنا أسوء من بقائي الآن

مرت عليا الساعات وأنا جالسة مكاني ودارت بي جميع

الأفكار حتى أن أهرب من هنا ولا أعود ، أمسكت

بعدها بهاتفي واتصلت به ، عليا أن افهم منه أولا من

يكون ذاك الذي يتحدث عنه ، اتصلت به مرارا ولم

يجيب ، قد يكون نام وغير رأيه في الأمر وكلامه كله

كان في ساعة غضب ، وقفت وبدأت بالدوران في

الغرفة كالتائهة ثم توجهت نحو الباب من دون أدنى

تفكير وخرجت منها ونزلت للأسفل وتوجهت لغرفة

راضية وطرقت عليها الباب كثيرا حتى فتحت لي

من نومها وقالت بقلق " وسن ما بك ماذا حدث"

قلت مباشرة " أين نواس هل هوا في غرفته"

قالت بعد تفكير " بعدما عاد عند العاشرة صعد للأعلى"

قلت مباشرة " نعم اعلم هل نزل بعدها وخرج أم لا"

قالت " نعم نادى على وليد بصوت مرتفع ويبدووا

غاضبا جدا وخرجا معا"

نظرت لها بضياح مطولا فقالت " وسن ماذا هناك

هل نواس به مكروهه" !!

قلت " لا لكن تذكرني هل عادا بعدها أم لا"

رفعت كتفيها وقالت " دخلت غرفتي عند الثانية

عشرة وكانا لم يعودا بعد"

إذا هم في الخارج منذ ساعتين وظنوني صدقت وهذا

ما سيفعله ، غادرت من عندها وأخذتني قدامي لإسطبل

الوسن ولو كان لي مكان غيرها لقصدته لكن قدرني لم

يترك لي أحدا ألجا إليه ، فتحت الباب ودخلت وتوجهت

نحوها فورا واحتضنتها وبدأت بالبكاء دون أي كلام

فحتى الشكوى لن تجدي لأنها لن تجيب ، أين أنتي يا

خالتي لتري ما يحدث لي ، أين وصاياك له ووعدك لك

بكيت حتى تعبت وشعرت بالدوار فابتعدت وجلست

عند الجدار وخبأت رأسي بين ذراعي المحتضنة

لساقاي لأواصل مسيرة بكائي هناك

*

*

عدت ووليد للمزرعة مجددا ونزل قبلي ووقف

عند نافذتي وقال " لا أعلم كم مرة سنبارك لك

وأتمنى أن لا تكون أربع"

نظرت للجانب الآخر وقلت بضيق " وليد أنا لست

في مزاج لدعابتك فوفرها لوقت آخر"

قال مغادرا جهة باب المنزل " مبارك لك إذا وحاول

قدر استطاعتك أن تعدل بينهما"

ثم دخل المنزل ونزلت أنا من السيارة وأغلقت بابها

بقوة ووقفت مستندا عليها بيدي ونظري للأرض أفكر

كيف ستكون ردة فعلها على الأمر وكيف سأقولها لها

ابتعدت عن السيارة لأغادر فركض أحد العمال نحوي

قائلا " سيد نواس إسطنبول الوسن مفتوح"

أخذت البندقية منه وركضت دون شعور وأنا أصرخ به

"ولما لم تدخل وتقتله كان من يكون فسيكون سرقتها وذهب"

قال وهوا يركض خلفي " حركتها ما تزال في الداخل

وها هما عادل وعمار قادمان"

ركضت جهة إسطنبولها وهم خلفي ببنادقهم وقلت

"أقتلوه دون تفكير ولا تردد هذا إن لم يكونوا مجموعة"

نزلت السلالم ودخلت غرفتها فمدت يدها لي وقالت

"تعالى بنيتى أين أنتى شغلتنى عليك"

توجهت نحوها وجلست بجوارها واتكأت على كتفها

وبدأت دموعى بالنزول فقالت وهى تمسح على ذراعى

"لما كل هذا الحزن والبكاء والعزلة يا سما ، لا تكونى

ضعيفة بنيتى فلا شىء فى الحياة يأتى بسهولة إلا

ويذهب بسهولة أما ما نتعب عليه فهو الذى يدوم"

رن بعدها هاتفها فأجابت عليه قائلة " نعم يا نزار"

"نعم نزلت لى وهى بخير"

ثم أنزلته لحجرها وقالت " لما لم تذهبى للبقاء مع صباح

حتى عودتنا من المستشفى ، نزار كان منشغلا عليك

ورفض حتى أن يذهب لموعده مع تاجر الخيول

ليرجع لك هنا لولا أصرت عليه أن يذهب"

كنت أمسح دموعى دون كلام وأشهق شهقات صغيرة بين

الفينة والأخرى فقالت " ألن تقولي لي ما يضايقك يا سما"

لم أتحدث ولم أعرف ما أقول ، مسحت على شعري

وقالت " نزار قال أنه سيتحدث معك في موضوع

رفضه لتزويجك ومن وقتها وحالك لا يعجبني فهل

قال شيئاً جرحك ، هل قسا عليك بكلماته"

ابتعدت عنها ومسحت دموعي وقلت " سألني إن كان

لدي شخص أريد الزواج به فسيزوجني له بعدما

يتحقق من شيء لا أعلمه ولم يقله لأنني رفضت

قبل أن ينهي كلامه لي"

تنهدت وقالت " وهذا ما يزعجك في الأمر"

نظرت ليدي في حجري وقلت بحزن

"قال لي انسيه وستجدين أفضل منه"

ثم رفعت نظري لها وقلت بحيرة وضياع ودموع

"كيف أنساه يا خالتي كيف"

تنهدت ومسحت على خدي وقالت

"هوا نزار يا سما أليس كذلك"

أردت أن أقول لا لكني لم استطع الكذب فعدت للبقاء مجددا

فضمتني لصدرها بحنان وقالت " سأحدث أنا معاه"

ابتعدت عن حضنها وهزرت رأسي بقوة رافضة

وقلت " لا يا خالتي حلفتك بالله أن لا تفعلها بكيفيني

ما سمعت منه ولا أريد أن يعلم بكل هذا"

تنهدت وقالت " فقط لأنك أقسمت علي لكنت

علمت كيف أتصرف معاه"

نظرت للأسفل أشعر بالخجل من نفسي أمامها بسبب

ما حدث ، هذا كله من حماقتي مالي ومال كل هذا من

البداية ، سمعنا حينها صوت الباب انفتح فوقفت من فوري

كالمندوغة أريد أن أغادر من هنا لكن لا مجال لفعل ذلك

وقف نزار عند الباب وظهري له ووصلني صوته قائلا

"مساء الخير"

أجابت خالتي ثم قالت " هل تريد عشاءا ؟ سئنا من

قول هذا كل ليلة والجواب نفسه"

قال مغادرا " إذا لما تسألني إن كنتي تعلمين الجواب"

ثم صعد لغرفته ككل ليلة ، ليته يعلم كم جرحني وهو

لا يدري ، كيف يقول لي أن أنساه وهو أمامي وأني

سأجد شخصا أفضل منه وأنا لا أرى غيره ، وأن

مشاعري ستتغير مع الزمن وهي لم تتحرك لأحد قبله

ولا غيره ، كم كسرني وحطم مشاعري وحمدا لله أني

لم أفكر كما قالت خالتي سابقا أن أتحدث معه لكان

مصيري أسوء من دعاء ، نزلت دمعتي مجددا فمسحتها

بسرعة فقالت باستياء " سما هذا الذي تفعليه بنفسك سيء

إما تحدثي معه وافهمي منه حقيقة شعوره ناحيتك ومهما

كانت النتيجة قاسية عليك أو ارحمي نفسك وحاولي نسيانه

والتفتي لدراستك ومستقبلك كي لا يؤثر فيك تعبك منه"

ركضت مغادرة الغرفة وصعدت السلالم ، لما يحصل معي

كل هذا ألا يكفيني ما قاله لي لتزيد والدته الأمر سوءا

بإخباري أنها تعلم أنه هوا ، كم هذا محرج ومخزي

صعدت راكضة لأصطدم بشيء بقوة وما كان إلا نزار

الذي قال ويده على صدره " تنوين تكسير ضلوعي بلا شك"

نظرت للأسفل أمنع فقط دموعي من الانهمار أمامه

فقال عندما طال صمتي " لا تغضبي مني يا سما

فلم اقصد جرحك بما قلت"

أنزلت رأسي أكثر وقلت بحزن " أبدا لم أغضب وآسفة لأنني

قلت ما قلت فأنا كنت متضايقة قليلا وقلت ما لا أستوعبه"

ثم توجهت مسرعة جهة غرفتي لتمسك يده ذراعي

ويوقفني مكاني وقال بصوت منخفض " لا أريد رؤية

دموعك يا سما فتوقفي عن البكاء"

أخفيت عيناى بذراعي الأخرى لأن دموعي عادت تنزل

أكثر من السابق فترك ذراعي وقال " لا يستحق دمعة من

عينيك كان من يكون ولن تنتهي الحياة على "

وضعت يدياي على أذناى وقلت " يكفي يا نزار

أرجوك توقف عن قول كل هذا توقف"

ثم دخلت غرفتي وأغلقت الباب وركضت للسرير

وارتميت عليه أبكي بحرقة

*

*

بقيت أنظر للباب الذي أغلقته خلفها لوقت ثم تنهدت ونزلت

لغرفة والدتي ووقفت عند الباب وقلت " ماذا قالت لك"

قالت ببرود " لا شيء"

قلت بضيق " أمي لما هكذا"

قالت بضيق " أذهب وسألها بنفسك يا محطم القلوب ، كم

واحدة ستنتقم من رهام فيها ؟ نزار أنت مريض و عليك

أن تذهب لطبيب نفسي"

قلت بضيق أكبر " أمي ما هذا الكلام الذي تقولينه"

قالت بحدة " أخبرني ما في سما لا يعجبك ؟ دعاء وقلنا

صديقة رهام وكذبت علينا مرارا وتعاملت بخبث وسوء

مع سما وبها عيوب تضطرك لرفضها ، سما مما تشتهي

امرأة تقاس بالذهب وزد عليها أنها تحبك وأنت كالجدار

لا أعلم ما الذي تحبه فيك النساء"

هزرت رأسي وتأففت بقوة أمنع لساني من أخطأ في

حقها فهي والدتي مهما كان ، قالت بسخرية

" العيب ليس بها بل هوا بك أنت"

قلت بضيق " أمي إنها طفلة لا أعلم بأي عين تريها ، عمري

فوق ضعف عمرها بخمس سنين ، أي وجه هذا الذي
سأقابل به أبناء عمها وأعمامها فيما بعد ... وجه المستغل
لمالها أم وجه المضطهد يتزوج بفتاة في الخامسة عشرة"
قالت بحدة " حجة ضعيفة وتعلم ذلك جيدا فلما كنت تريد

تزوجها بغيرك إن كان عائلتها أو عمرها السبب"
لوحث بيدي وقلت بضيق " ليس أنا ... المهم ليس أنا فأنا
اعلم كل شيء عنها وعن ثروتها التي بين يدي وأراها
بعيناي وزيدي على كل هذه المبالغ الخيالية ثروة وأسهم
أكثر منها ، غيري لا يعلم أما أنا فلا تفسير لزواجي بها
سوا أنني طامع في مالها وسما صغيرة قلتها ومصر عليها
ولن أتزوج من طفلة ولو فيها موتي ولن أظلمها بأطفال
وتعب في غير سنها والله وحده يعلم متى تنتهي ظروفها
وتعود لعائلة والدها"

كانت ستحدث فقاطعتها باستياء " توقفي عن لومي يا
أمي وحلفتك بالله أن ترحميني لما لا تهتمي بمشاعري
أيضا ، أنا رجل ربييتني على أن لا أنزل نفسي فأني مظهر
هذا الذي سأقف به أمام أبناء عمها فيما بعد وأنا ذاهب لهم

بها لنعيش على أموالها وأموالهم أم بظنك سيرضون أن

تبقى معنا هنا في منزلنا هذا وهي ثرية ابنة أثرياء

يكفي يا أمي يكفيني ذل ومهانة في حياتي"

نظرت للأرض وقالت بهدوء " لكنك قسوت عليها بني

وجرحتها فلما لا تراعي مشاعرها أيضا"

أشحت بوجهي وقلت " يوم تصير هي في سن زواج

وأكون أنا كفاً لأناسبهم ولو قليلا وتبقى هي مشاعرها

نحوي ذاتها سأزوجها"

قالت بسخرية " نعم أغلقتها من جميع الطرق ثم تقول أتزوجها"

تنهدت بقوة ثم نظرت لها وقلت " أقسم إن حدث كل ذلك تزوجتها"

هزت رأسها وقالت " ومتى يا ابن والدتك ستصبح غنيا

وهل ستنتظرك هي كل عمرها"

قلت بهدوء " ها قد قلتها بنفسك لن تنتظرنني كل عمرها

وأنتي أدرى مني يا أمي أنها في سن ستتغير فيه مشاعرها

بكل سهولة وستقول يوما ما لا أعلم كيف أحببته وتكتشف

أن هذا ليس حبا من أساسه"

لاذت بالصمت غير مقتنعة قطعا بما أقول فقلت بهدوء

"تحدثي معها وأفهميها الأمر ولكن بطريقة غير مباشرة"

قالت ببرود " لن أفنعهما إلا بأن تنسأك وتكرهك أيضا"

قلت بضيق " أمني لا أعلم كيف بعدها كرهتني حتى أنا"

قالت بحدة " لأني إن أنجبت وربيت مليون فتاة ما

خرجت بواحدة مثلها وأنا متأكدة كما أراك الآن أمامي

أنها اعتذرت منك رغم أنك أنت المخطئ"

مررت أصابعي في شعري أنظر للأرض ثم قلت بانكسار

" أفهميها أن تنتظرنني إذا ولكن دون أن تخبريها"

قالت مباشرة " لا"

رفعت رأسي ونظرت لها فتابعته باستياء " لن أقول حرفا

وقله لها وحدك فأنا لن أعلقها بالأمال الكاذبة لتأتي أنت فيما

بعد وتقول أنك تحب أخرى وتريد أن تتزوجها فأنت لا

يعجبك إلا شبيهات رهام"

غادرت وتركته لأنها في حالة سيئة من الغضب ولن

أستطيع التفاهم معها ، خرجت من المنزل وركبت

سيارتي وتحركت بلا هدف ألف الشوارع فقط ، ما

الذي لدي أقدمه لك يا سما حتى مهر كباقي الفتيات لا
أستطيع توفيره لك ، ليس لدي سوا الفشل وخيبات الأمل
لن أستطيع أن أجلب لك ولا سلسالا ذهبيا يساوي أقل ما
لديك من حلي ، ليس لدي سوا مشاعر ما تمنيت يوما أن
تستيقظ اتجاه أي امرأة بعدما رأيت من رهام ، لا أختلف
مع والدتي أنك تساوين مليون امرأة وما كنت سأتمنى زوجة
أفضل منك لكن مستحيل لا تطاوعني نفسي ولا حتى أن أنام
معك في سرير واحد وأنتي بهذا السن والحجم ... حماقة
أقسم أنها أكبر حماقة سأرتكبها حينها وستندمين أنتي من أول
ليلة تنامي فيها معي ، وقفت بعدها جهة البحر ولا أعلم لما
هنا بالتحديد ثم نزلت واقتربت من الشاطئ وجلست على أقرب
صخرة عند الأمواج ، لم أتذكر أوقات قدومي مع رهام وجلوسنا
على الصخور هكذا نتحدث لساعات ... الذكرى التي أكرهتها
في البحر لسنوات ليس حبا لها طوال هذا الوقت ولكن كرها
لها ولخذلانها لي ، هذه المرة تذكرت آخر زيارة لنا للبحر
وسما تجلس بجانبني تحمل براءة لم تعرفها رهام فلم ألحظ يوما

مشاعرها نحوي من كثرة ما كانت لا تظهر عليها ، لم تفكر
يوما باستدراجي بطرق رخيصة لأتزوجها رغم أنها تعيش
معي في ذات المنزل بل وتدخل غرفتي وأنا موجود ، وقفت
وعدت لسيارتي مقهور حتى من نفسي لأنها أجبرتني على

ما لا أحب ... لماذا يا نزار لما تحب امرأة من جديد بل

طفلة أمامك ، ما فيها جعلك تتغير هكذا دوننا عن باقي النساء
سما مراهقة وستتغير مشاعرها بسهولة لكن أنت ما سينسك
في جرحك منها ، أنت لست للزواج ولا تنفع لتكوين عائلة
قد لا تستطيع أن توفر لهم كل ما يحتاجونه ، عدت للمنزل
وكان الصمت والهدوء يعم المكان ، مررت بغرفة والدتي
فكانت نائمة فتوجهت جهة السلام لأصعد لغرفتي فوقفت

فجأة حين سمعت صوتا في المطبخ ، يبدوا سما نسيت النافذة

مفتوحة ودخل قط هناك ، عدت أدراجي وتوجهت للمطبخ

وما أن وصلت عند الباب حتى رأيت الثلجة مفتوحة ثم

خرجت سما من خلف بابها وأغلقتها تمسك في يدها قارورة

ماء وما أن استدارت جهة الباب حتى وقفت مكانها تنظر

لي بصمت فقلت بابتسامة صغيرة " ظننتك قطا دخل

المطبخ ، لما أنتي مستيقظة لهذا الوقت"

أخفضت نظرها ولم تتحدث ولم تبسم حتى مجرد الابتسام

نعم يا أحمق تجرحها هكذا جرح وتريد منها أن تتصرف

معك كما كان في السابق ، مرت مجتازة لي لتغادر فأمسكت

يدها وأوقفتها ولم أرى ملامحها وردة فعلها لأن شعرها كان

مفتوحا وغرتها تخفي أغلب ملامحها ، فتحت فمي لأتحدث

ثم عدت وأغلقتة ، هل ستناقض نفسك يا نزار تقول لها ذاك

الكلام بل وفكرت حتى في إخراجها من هنا كي لا تتهور

أكثر والآن تفعل النقيض ، تركت يدها ثم قلت مبتعدا

"تصبحين على خير"

وصعدت السلالم ودخلت لغرفتي

*

*

تبعته بنظري حتى اختفى ثم نظرت ليدي بحيرة من

تصرفه ثم وضعتها على القارورة الباردة لأزيل منها

الشعور بلمسته حين أمسكها فكل هذا فوق احتمالي

سرت بعدها بخطوات بطينة أنظر للأرض حتى وصلت

السلام فأوقفني صوت خالتي قائلة " سما تعالي "

عدت جهة غرفتها ووقفت عند الباب وقلت باستغراب

" ألم تنامي حتى الآن " !!

قالت مباشرة " لا وأنتي لما لم تنامي فليست عادتك "

نظرت للأرض وقلت " حاولت كثيرا ولم أم "

قالت " أشعلي النور وتعالي خذي هذه "

شغلت النور واقتربت منها أنظر لما في يدها بحيرة ثم

أخذتها منها وقلت " لما تعطينها لي ألسنا نقرأها سويا "

قالت بهدوء " اقرني أنتي متى ما وجدتِ وقتا

وعديني أن تقرني كما كنا نقرأ "

قلت باستغراب " لكني أريد أن نقرأها معا "

تنهدت وقالت " أنا سبق وقرأتهم جميعهم ومرات عديدة

عديني فقط أن لا تشغلك عن دراستك فامتحاناتك لم

يبقى عليها سوا أقل من أسبوع "

هزرت رأسي بحسنا وقلت " أعدك خالتي ولا تخافي

لن آخذ أقل من النسبة الكاملة ككل عام منذ طفولتي"

قالت مبتسمة " وفقك الله بنيتي ولا تدعي شيئا يؤثر

على دراستك واتركي الآن كل شيء عداها جانبا

وستجديه ينتظرك لاحقا صغيرتي"

نظرت لها باستغراب فتهتت وقالت " اهتمي بدراستك

الآن وأغلقى قلبك عن كل شيء وفيما بعد سيكون لك ما تتمني"

قلت بحيرة " خالتي لما تعشقين الكلام المبهم"

قالت بابتسامة " لا تفكري في معناه كثيرا فقط أبقى تتذكرين

كل حرف فيه وستفهمين يوما معناه"

هزرت رأسي بحسنا وأطفأت النور وصعدت لغرفتي

دخلت وأغلقت الباب وتوجهت لسريري وفتحت الرواية

سأقرأ قليلا بما أنه لا نوم أبدا رغم أنني أشعر باستياء كبير

لكني سأقرأها علي أتناسى بسببها كل شيء حدث ، فتحت

حيث وصلنا وقرأت ((نظرت لها بصدمة لم أستطع التنفس

معها ، جوجو تعرف فراس !! كم كذبة هذه التي سيكذبونها

علي !! اقتربت منا وقالت " مرحبا فراس"

قال ببرود " مرحبا جيهان"

نظرت لي وقالت مبتسمة " من هذه هل هي شقيقتك"

نظرت لها بصدمة أشد من سابقتها ، هذه لديها انفصام

في الشخصية أم ماذا !! أم أنا التي فقدت عقلي

قال فراس " بل زوجتي"

تغيرت ملامحها حتى كادت تتحول لقرد ثم قالت

"زوجتك" !!

لو لها لسان فلتقل أن ذلك لا يمكن أن يحدث

قلت ببرود " نعم أم لم يخبرك شروف بذلك"

قالت باستغراب " من شروف" !!

ضحكت وقلت " العبيها على غيري يا جوجو

فلم تعد تمر علي"

نظرت بعدها لفراس وقلت " هل نغادر"

هز رأسه بحسنا ثم سرنا ولم نتحدث حتى ركبنا السيارة

وشغلها فقلت " كاذبة كذبت علي مرتين وممثلة بارعة"

خرجنا ولم يعلق ، لو أفهم فقط قصته معها ولما مثلت

علي كل تلك الأدوار ، قلت محاولة جعله يتحدث

" رأيتها مع أشرف سابقا والآن أنكرت وسألتها إن

كانت تعرفك لأنك تعرفت عليها سابقا وقالت أنها لم

ترك إلا وقتها في السيارة"

لم يتحدث أيضا فتأففت وقلت " فراس ما بك

هل أتحدث مع جدار ولا أعلم"

قال ببرود " انتهى الحديث في هذا"

نظرت له مطولا باستغراب ثم قلت " لو لن نتحدث فيه

الآن فسأبقى أضن طوال حياتي أن ثمة شيء كان بينكما"

نظر لي ثم عاد بنظره للطريق وقال بذات بروده

"ضننت أن أمري لا يعنيك كما قلت سابقا"

نظرت للأمام وكتفت يداي لصدري وقلت بضيق

"واهم لا تفسر الأمور كما يحلوا لك"

قال مباشرة " لاحظي أنني لم أسألك عما حدث بينكما

وما قلتها لها فلا تسأليني أنتي أيضا"

نظرت له وقلت " حسنا هوا سؤال واحد فقط"

قال بحدة " ردييين"

نفضت يداي وقلت بضيق " لا ردين لا يا ليل

يا عين أي أسلوب حياة هذا"

انطلقت حينها ضحكته وأنا أنظر له بصدمة من

تبدل مزاجه ثم قال " سؤال واحد وإجابة بكلمة

واحدة أو رميتك من السيارة وهي تسير"

قلت ببرود " نعم ما ستخسره إن رميتني فحتى

مهري لم أخذه بعد"

ضحك ضحكة صغيرة وهز رأسه وقال

" اسأليه قبل أن أغير رأبي"

نظرت ناحيته وقلت " هل تعمل معك"

قال باختصار " نعم"

قلت بغل " كذبت عليا إذا وزاد عليها أشرف وكأنهما

متفقان ، سيرى ذاك الكاذب"

قال بضيق " لا حديث لك مع أشرف عن شيء وانتهى الأمر"

قلت " هل صحيح كانت تضايقك بمكالماتها"

قال بنفاذ صبر " ردين ماذا قلنا"

رميت ببدي وقلت بتذمر " أي زوج هذا ، أعاني

الله عليك باقي سنين حياتي"

أوقف حينها السيارة أمام الباب الخارجي للمنزل وقال

"نعم أعانك علي وأعاني عليك بالضعفين"

فتحت باب السيارة وقلت وأنا أنزل

"ومن ضربك على يدك كنت رفضت وأرحمتي"

ثم أغلقت بابها بقوة رغم علمي أنه لا يؤثر ذلك به ودخلت

لأكتشف أن الأكياس بقيت في السيارة ، كله بسببه أفقدني

حتى ذاكرتي لكن ما يحيرني لما لم يأتيه الفضول ليسأل

كيف عرفتها وما الكذبة التي كذبتها وكذبها أشرف

تأففت ودخلت أقلده باستياء " قال لا تتحدثي

مع أشرف ثانيًا هه"

سمعت حينها ضحكة من خلفي ثم صوت عمتي

سعاد قائلة " ردين ما بك تتحدثين مع نفسك"

التفت لها وقلت " كله من ابنك سيفقدني عقلي"

قالت مبتسمة " يبدوا لم تشتري شيئا"

أملت فمي وقلت " نسيتهم في السيارة"

قالت مبتسمة " جيد ليأخذهم لمنزلكما مباشرة"

فتحت عيناى من الصدمة وقلت " ماذا" !!

قالت بحيرة " ألم يخبرك"

قلت " يخبرني بماذا"

قالت مباشرة " بأنكما ستسكنان وحدكما في منزل

أجار وسيبدأ ببناء منزلكما الخاص"

وضعت يداى وسط جسدى وقلت بضيق

"لم يخبرني ... ومن قال أنى أوافق ذلك ، أنا لا

أريد أن أبعد عنك وعن عمى رياض"

تنهدت وقالت " ولا أنا أريد أن تبتعدا عنى لكنه

تناقش مع عمك ووافق"

ثم قالت مغادرة " قد يكون معه حق عليكما أن تستقلا"

تأففت بقوة ضاربة الأرض بقدمى ، أى استقلال هذا الذى

يقول عنه ، هوا يريد أن يستفرد بى ولن أجد حتى والده

لأستجد به وهوا يعرف أنه سيقف فى صفى ، لعبها جيدا

ذاك المخادع وأنا لم أفكر فيها أبدا لكنت اشترطت ذلك منذ

البداية ، عدت لغرفتى ورميت حقيبتى بعدما أخرجت منها

هاتفى واتصلت به كثيرا ولم يجب فأرسلت له

(لم أعد أريدك طلقني حالا)

أرسل على الفور (ذلك في أحلامك)

شتمته كثيرا بكل ما أعرف من كلمات ثم أرسلت له

(من قال أنى أوافق على الخروج من هنا لمنزل

لوجدنا ، لا تقرر وحدك)

لم يجب فعادت الاتصال به وبلا فائدة طبعا فأرسلت

له (ستندم على قرارك هذا وقل ردين قالتها)

ثم أرسلت (أحضر ثيابي إلى هنا)

أرسل (سبقتك لمنزلك منذ وقت)

ضغطت على أسناني بقوة لا يجيب إلا على ما يريد

ويتصرف من دماغه وكما يحلو له وكأنه لا وجود لي

عند المساء طرق أحدهم الباب وسمعت صوت الخادمة

من الخارج قائلة " سيد ريباد يريدك في تحت"

فوقفت وخرجت من الغرفة ولم أجدها ، لا وعنيدة أيضا

فوق كل عيوبها ، نزلت وبحثت عنه فوجدته وفراس في

مجلس الضيوف فوقفت عند الباب مكتفة يداي لصدري

وقال عمي " تعالي يا ردين نريد مشاورتك في أمر"

قلت ببرود " ومنذ متى يأخذ ابنك برأي ومشاورتي

أم فقط لأنك أنت من طلبت هذا"

نظر له ثم لي ثم قال " ما بكما"

قال فراس " لا تريد أن نسكن لوحدنا"

قال عمي رياض " وحدكما سيكون أفضل يا ردين وفراس

استأجر منزلا قريبا وسيبأشر بناء منزلكما فورا وهو أيضا

قريب من هنا ، مالك ومنزل به عائلة كاملة تعيشان

في غرفة ستضايق حريتك"

قلت بضيق " لكني راضية ولم أعترض وبما أن

الأمر فيه حريتي أنا فلا أمانع أن أتضايق بكم"

قال فراس " وأنا أيضا أريد ذلك فهو ليس من أجلك فقط"

قلت بضيق " أسكن فيه وحدك إذا أنا سأبقى هنا"

قال بنفاد صبر " لما العناد على الرأي الخاطئ يا ردين"

نظرت لعمي رياض وأشرت بإصبعي لفراس وقلت بتذمر

"أنظر ما يقول أنا رأيي خاطئ"

تنهد وقال " ما بكما كالأعداء ، هذا ولم يغلق

عليكما باب غرفة بعد"

قلت ببرود " نسكن هنا أو لا شيء مما كان سيستمر"

وقف فراس وقال " نسكن هناك رغما عنك ويستمر كل شيء"

قال عمي رياض " أجلس يا فراس وأرنا صمتك رجاء"

جلس وتأنف ونظر جانبا وقال عمي رياض " ردين أنا مع

الرأي الصواب وليس لأنه ابني أقف في صفه لكن لأنه

معه حق وعيشكما وحدكما أفضل والقرار بات لي وليس له"

قلت باستياء " ولما لم يفكر بسؤالي حتى مجرد السؤال

وكأني لست زوجته كل شيء يفعله دون أن نتناقش فيه"

تنهد وقال " لا تجعلاني أندم يوما على تزويجكما

لبعض وكبيرا عقليكما فلستم أطفالا"

ثم تابع " فراس يرى أن يكون حفلا في المنزل وعمتك سعاد

تريده في فندق فنريد رأيك لأن هذا يخصك أكثر من الجميع"

نظرت لفراس وقلت " في فندق طبعاً فأننا لست أقل من غيري"

قال فراس بضيق " ومن قلل من شأنك ، جدي لا يمكنه المجيء

إلا هذا الأسبوع بسبب عمل خالي ولا حجوزات الآن في

الفنادق إلا الأسبوع الآخر لقد جُلّتها جميعها ولم أحصل على

حجز ففكري في غيرك لأننا نريد أن تحضر كل العائلة"

قلت ببرود " ولما ترفض عمتي سعاد مؤكد هناك حل بديل

ولا أضن أنها لا تريد أن يحضر والدها وشقيقها"

قال ببرود أكبر " والدتي تريد أن نؤجله أسبوعان

ليتناسب مع قدوم جدي وحجز في فندق"

قلت " إذا نؤجله"

وقف عمي رياض وقال " نؤجله إذا ، أنت قررت

بشان المنزل وهي بشأن الحفل وانتهى"

ثم خرج وتبعته بنظري حتى ابتعد ثم نظرت جهة فراس

الذي قال بضيق " لا تفرحي بهذا يا ردين لأنه لن يدوم

ويوم تصيرين في منزلي لن يكسر أحد كلمتي"

وضعت يدي وسط جسدي وقلت بضيق أكبر

"واحدة بواحدة كي تتعلم أن لا تقرر وحدك ، تريد

أن تستفرد بي يا فراس أفهمك وأفهم خطتك جيدا"

قال بسخرية " ومن يقدر عليك أنتي فلست تحتاجين

لمن يسانئك فوحدهك تكفين وزيادة"

قلت باستهزاء " أنت من تحتاج لكل العائلة لتوقفك

عند حدك فلا أحد يقدر عليك"

ثم تابعت بسخرية " لم أكن أتخيل أنني أهمك درجة

أن تتمسك بموعد الزفاف ، من المفترض أن تكون

أول من يصر على تأجيله"

وضع ساق على الأخرى وقال بابتسامة جانبية

"بل أنتي من ظننت أنك ستتمسكين بالموعد الأول"

نظرت له بصدمة ثم قلت " وقح ولا تجدي سوا في هذا"

دخل حينها أشرف وقال " ما بهما العريسان صراخهما في الشارع"

نظرت له وقلت بضيق " أنت تعالي هنا كيف تكذب عليا

أنت وجوجو خاصتك كل تلك الأكاذيب وفي"

قاطعني فراس بصرامة " ردين أغلقي الموضوع كم مرة سأقولها"

تجاهلته ونظرت جهة أشرف الذي جلس على إحدى

الأرائك وقلت " هي تعمل مع فراس إذا يا كاذبان"

وقف فراس وقال بحدة " ردييييين"

نظرت له وقلت بضيق " تكلم أنت إذا وقل الحقيقة"

قال بضيق أكبر " ما شأنك أنتي بالحقيقة وفيما تعنيك"

أشرت له بإصبعي ثم لوحته به وقلت " زوجي ويحق

لي أن أعرف تاريخك الأسود"

ضغط على أسنانه بغل فهربت قائلة

"حسنا لا أريد أن أعلم"

صعدت ركضا لغرفتي وأغلقت الباب خلفي ورميت

حجابي على السرير ، ما سر تلك الفتاة يا ترى ولما

لا يريد فراس أن يتحدث أشرف عنها !! وأي من كلام

أشرف السابق حقيقة أم كله كذب ، انفتح بعدها الباب

دون أن يطرق أحد فكان بالطبع فراس الذي دخل وأغلق

الباب خلفه وكتف يديه لصدره وقال " أخبرتك مرارا أن

هذا الأسلوب لن يأخذ لك بحقك مني ولن أمل ولن أطلقك"

قلت بضيق " بما تهذي أنت أنا لم أفكر بكل

هذا فلا تلصق أفكارك بي"

قال بابتسامة جانبية " بما أن موعد الزواج تأخر

فالرحلة ستكون أسبوعا فقط"

قلت بلامبالاة " لم أعد أريدها ابلعها واشرب خلفها الماء

لا أريد رحلة فيها أنت لأنها ستكون أسوء شيء عشته"

قال بجمود " ردين أقسم أنك لم تري وجهي العصبي بعد

وأمسك نفسي عنك كل وقت فلا تظهرني ذاك الوحش من

داخلي لأنك الخاسر الوحيد حينها"

لويت شفاتي ونظرت للجانب الآخر ولم أتحدث

فاقترب مني ووقف خلفي وهمس في أذني قائلا

" سأخبرك سرا لم يعرفه أحد قبلك"

فتحت عيناى أستمع بانتباه وطال صمته فالتفت

له وقلت " سر تخبرني أنابه" !!!

قال مبتسما " نعم و عليك معرفته قبل زواجنا"

بقيت أنظر له بترقب فنظر لعيناى وقال بخبث

" جيهان ستكون زوجتي مثلك)) "

رفعت الصفحة لأقلبها فتذكرت وعدي لخالتي فأغلقت

الرواية ووضعتها في الدرج وأغلقتة ، يبدووا لي جميع

الرجال هكذا بلا مشاعر ولا يهتمون لمشاعر المرأة

تنهدت بأسى ثم غادرت السرير وأطفأت النور وعدت

له واستلقيت عليه نائمة على ظهري أفكر في كل ما
حدث لي هذه الشهور منذ أصبحت هنا في منزله وما
كنت عليه وما ألت له ، غطيت وجهي باللحاف أحاول
النوم بل أجبر نفسي على ذلك كي لا أبكي أكثر فقد تعبت
من البكاء وتعبت من كل هذا وأشعر بالإهانة والذل
والاستصغار ، هذا ولم يعرف حقيقة مشاعري اتجاهه
فكيف إن علم كيف سيكون شعوري حينها ، انقلبت على
جانبي الأيمن لتسقط الدمعة التي كنت أسجنها منذ وقت
فمسحتها سريعا ومددت يدي لهاتفي وأدخلته معي تحت
اللحاف ، فتحت الرسائل وأرسلت رسالة لبتول كتب فيها
(ما أن تري رسالتي أرسلني لي رقم جابر)

نظر لي مطولا ثم قال ببرود " مؤكد تذكرين

كلامك يومها وحين طلبتُ دليلا وقتلي اختبرني"

نظرت للأسفل وابتسمت بألم وقلت " لم أنسه لحظة

وأنت متأكد أن كلامك ذاك لم يكن اختبارا لي"

قال باختصار " نعم"

ثم وضع يده في جيب البنطلون وقال " لكنه إن

كان كذلك فتكونين فشلت فيه"

نظرت له وقلت بثقة " بل أكون نجحت وبجدارة ثم أنت

يفترض بك أن تسعد بهذه النتيجة لأنها ما تريد"

قال بعد صمت " ليست ما أريد"

بقيت أهدق فيه بصمت أحاول على الأقل ترجمة ما

بين الأسطر فإن وضعت أنا تخميننا لما يعني بما يريد فسيقول

عكسه ليحاصرني ، قلت " أعتقد أن من يتعامل مع الناس من

منظور يفترض أن يحب أن يعامله الناس منه فجرب أنت

كيف كنت معي لأشهر واحكم بنفسك لأني أنا

الآن صرت مثلك تماما"

رفع رأسه ينظر جانبا وقال ببرود " هل تذكرين كلامك

عن أنك لا تريدين أن تغضبي الله حين أدعوك

لي يا من تناقضين نفسك"

نعم هذا ما تفلح فيه حفظ كلامي وتكراره ، قلت ببرود أيضا

"أذكر كل حرف قلته ولا تتهرب من موضوعنا الأساسي"

عاد بنظره لي وقال " أنا لم أتهرب بل أنتي من فعلتها الآن"

تنفست بقوة محاولة تهدئة نفسي وقلت " وأنا لم أتهرب ولم

أناقض نفسي سيد جابر ولم أمنعك مني بل أنت من ابتعدت

من نفسك وما كنت سأجبرك على الابتعاد وكنت تستطيع

أن تأخذ ما تريد رضيت أنا أم كرهت"

قال وقد تحولت لهجته للحدة " وما معنى ما قلتيه

لي وقتها يا أرجوان"

قلت ببرود " معناه الحقيقة التي من كثرة ما

تجرحني لم أستطع كتمانها"

قال بضيق " وكلامي كان حقيقة من المفترض أن لا

تغضبك فأشرحي لي لما يتزوج الزوج على زوجته بل

ويطلقها وقد عاشا تحت مسمى الحب ولما تتزوج المرأة

بعد وفاة زوجها إن كانت ليست فقط اعتادت على وجوده

ثم اختفى ، من المفترض أنني لم أقل شيئا غريبا يستدعي

كل هذا فكلامي صحيح فقط نحن البشر نختلف

في طريقة التعبير"

قلت بسخرية " لا تقنعي بأني أحب والداي وأبنائك

وسوسن وأنت بنفس الطريقة وبسبب التعود ، إن كنت أنت

تحبنا جميعنا نفس الشيء بل آسفة متعود على وجودنا في

حياتك بنفس الشكل فأنا آسفة لا أعرف كيف أكون

آلة لكني فقط بث أراك كما تراني"

هز رأسه وقال " وأنا من ضمن أن لك عقلا كبيرا

وجئت أتناقش معك وهذا ليس طبعي"

قلت بحدة " توقف عن جرحي واهانتني يا جابر واعلم

أني لم أطلب منك مناقشتي وتوضيح منظورك

ونظريتك التي لن أعترف بها حياتي"

ثم أشرت له بإصبعي وقلت بثبات " فاسمع أنت باقي

نظريتي وهي أن الحب يموت من الإهمال وأن التعود

لن يكسر هذه القاعدة"

أدار ظهره ليغادر ثم نظر لي بجانب وجهه وقال

"إذا اعلمي أنه من نظريتك الفاشلة أن الحب لا يموت"

ثم تابع مغادرا " لتعلموا أنكم تناقضون أنفسكم"

ولم أسمع بعدها سوا غلقه للباب بقوة فوقفت وأغلقت

باب الغرفة بقوة أيضا وعدت للسرير ومسحت الدمعة

الوحيدة اليتيمة بقهر وعلمت الآن ما شعرت به زهور
صباح اليوم حين نزلت دمعها الوحيدة ومسحتها ... كانت

مقهورة من ماذا لست أعلم المهم أنه المتسبب لها به وسأقف

في صفها لأن الرجال سواسية ، نمت بعدها لا أعلم من

قهري أم لأنني أفرغت قليلا مما أكبت وقلته له ، ولم أستيقظ

إلا على تشغيله لضوء الغرفة وقت الفجر ففتحت عيناى

ورميت اللحاف عني وتوجه هوا لغرفة الملابس وخرجت

أنا من الغرفة والجناح وتوجهت لغرفة أمجد وأيقظته ودخل

الحمام ليذكر والده الذي لن يسأل إن كان سيذهب معه أم

لا وقد يغادر من المسجد لعمله فورا ، عدت بعدها للجناح

بعد صراع نفسي طويل لأنني كنت أريد تجاهله والذهاب

لغرفة الفتاتين حتى يغادر ، دخلت الغرفة ولم يكن فيها وبذلته

على السرير فتوجهت نحوها وحملتها من عليه وأبعدت السترة

وفتحت أزرار القميص لحظة خروجه من الحمام ليفاجئني

بدخوله لغرفة الملابس وخرج بوحدة أخرى وغادر الغرفة

وتركني والقميص في يدي فرميته على الأرض بغضب

ووضعت يداي وسط جسدي ، أستحق ما أتاني منه يفترض بي

أني فعلت ما كنت أفكر فيه ، تنهدت بعدها بضيق واستغفرت

الله ورفعت القميص من الأرض وأعدت البذلة لعلاقتها وأعدتها

لغرفة الملابس ، سيعود هنا ليأخذ حاسوبه وإن وجدها مرمية

سيعلم أنه أغاظني لكن هكذا سيكون وكأنه تصرف طبيعي اعتدت

عليه منه ، خرجت بعدها من الجناح وتوجهت لغرفة الفتاتين

وأيقظتهما لتدخلان الحمام وليبدأ صباحي المعتاد

*

*

نظرت للأوراق في يدي محاولا تثبيتها مع هذه الريح فقال

"كالمسابقة سيدي أذن بتدخيل بضائع وكلها مزورة"

مددتها له وقلت " أين العقيد سالم"

قال من فوره " غادر المكان منذ قليل"

أخرجت هاتفي واتصلت به فأجاب من فوره قائلا

"الشهود ينتظرونك هنا"

قلت " بث أشك أن هذه الأوراق تلميح من أحدهم للفاعل"

قال " كيف تتكرر في أكثر من مرة فلو كانت

كذلك لكانت مرة واحدة فقط"

تحركت جهة السيارة وقلت " وأنا فكرت هكذا وما لم نفكر

فيه أنها قد تكون الأولى ليست منهم أي البقية تمويه فلا

تنسى أننا وجدنا عليها أثار دماء من أصابع أحد المقتولين"

ثم ركبت سيارتي قائلا " سأتي لكم حالا ثم نناقش الأمر"

ثم حركت السيارة واقتربت بها من الفريق وقلت

"لا تتركوا الموقع حتى أذن لكم ورجال أسعد لا

يغادرون من هنا ككل مرة أو قتلتمهم"

ثم غادرت على نظرات رجالي الشامتة لرجال الشرطة

ووصلت للمركز ودخلت مكتبي ليتبعني مأمون قائلا

"لدينا خمس رجال شهدوا على أوقات متفرقة"

جلست على الكرسي وقلت " وافني بالمهم فقط"

نظر للدفتري في يده وقال " أولهم تعطلت سيارته هناك

واحتاج لنصف ساعة لإصلاحها وأعطى

مواصفات لمن دخل للمصنع"

قلت مقاطعا له " أي شيء مهم فقط يا مأمون"

ورق الأوراق وقال " آخر واحد منهم رأى رجل بلباس

أسود كامل وفي يده قطعة قماش خمن أنه غطاء رأس شفاف

لكن لم يكن داخلا ولا خارجا بل على مسافة تبعد عن المصنع"

قلت من فوري " أدخله بسرعة هذا المهم بينهم وتتركه للأخير"

قال " لم يدخل المصنع لذلك"

قلت بضيق " أدخله من غير كثرة حديث يا مأمون"

ضرب التحية وخرج من فوره ليدخل يتبعه رجل فيما

يقارب الخمسين من العمر فقلت مشيرا بيدي للكرسي

"أجلس"

جلس وقال " هل سيقتلونني أيضا يا سيادة".....

قاطعته قائلا " لن يقتلك أحد فقط لا تتحدث عما رأيت بعد

خروجك من هنا وإن وجدنا الأمر خطيرا فنحن بأنفسنا

سنوفر لك الحماية"

هز رأسه وقال " حسنا سيدي"

نظرت للجالس بالمقربة منا وقلت " هل أخذتم جميع بياناته"

قال من فوره " نعم سيدي"

ثم مد لي بورقة على دخول أسعد الذي وقف عند

الطاولة في صمت ، نظرت للرجل وقلت " أستاذ حامد

أريد أن تشرح لي مفصلا ما رأيته وما حدث"

قال من فوره " ابنتي تعبت ليلة البارحة وأخذوها للمستشفى

وابنتها الصغيرة أتعبتنا طوال الليل فخرجت بها لأخذها

للمستشفى معهم ورأيت رجلا على بعد حوالي ثلاثون مترا

من المصنع كان بملابس سوداء لا يرى منه شيئا لولا ضوء

أحد المنازل ويمسك في يده قماشاً شفافاً ويلوح بيده ويبدوا

غاضبا ثم نظر لهاتف في يده وبعدها ركض مسرعا وكان

ثمة من سيلحق به"

قلت من فوري " ولم ترى بعدها أي شيء"

هز رأسه بلا وقال " لقد خفت سيدي وغادرت المكان للمستشفى"

قلت " ألم تسمع شيئا مما قال"

بقي ينظر للأرض بشرود لوقت ثم قال

"لم أسمع سوا (سأضيعكم) قالها وهو يهرب"

قلت " هل رآك "

قال " نعم ونفت كل ذاك الغضب في وجهي وكأنه

يكلمني لكني لم أفهم شيئاً"

نظرت لأسعد باستغراب ثم له وقلت

"ورآك بالمقربة من بيتك أم في مكان آخر"

قال " بل عند سيارتي والطفلة في يدي وصراخها

هو الذي لم يجعلني أفهم ما قاله"

تنفست بقوة ثم قلت " إذا هو قال كلاماً لك لا أحد يمكنه تقدير

ما يكون ، هل كنت في مكان فيه إضاءة"

هز رأسه بنعم ثم قال " أجل ضوء مضلة الباب"

قلت " هل تحفظ شيئاً من ملامحه"

هز رأسه بنعم فقلت " رائع"

ثم نظرت لأسعد وقلت " أخرجوا عائلته من ذاك المنزل

ويختفي هو وهم من العاصمة بأكملها وضعوا عليهم حراسة

ووفر الحماية يا أسعد لا أريد أن تتضرر أسرة بريئة"

هز رأسه بحسنا فنظرت للمدعو حامد وقلت " ستخرج

مع مأمون من هنا وتعطي الرسام ملامحه تفصيليا وتغادر
مع رجال الشرطة وهم من سيوفرون لك المكان والحراسة
ولا أريد أن يعرف أحد بمكانك ولا حتى أقرب المقربين لك"
هز رأسه بحسنا ووقف وغادرا معا ونظرت لأسعد وقلت

"الباقى عليك أحموه وعائلته فيبدوا ثمة شجار حدث

بينهم البارحة ولا مأمون على هذا الرجل منهم"

هز رأسه بحسنا وقال " إن وجدنا الرجل نجد

حلقة مفقودة قد تساعدنا"

وقفت وقلت " على الأقل نعلم من أي مصيبة هوا

لنضع مجموعة ولو تقديرية للمجرمين"

قال وهوا يخرج خلفي " لا شيء يبقى مبهما

طوال الوقت وإلا ما يخطنون يوما"

خرجت من المكتب قائلا بضيق " ما الفائدة إن فقدنا الأكثر

من الكثير من البشر الذين راحوا ضحيتهم"

قال " أين ستذهب الآن وزير الداخلية سيعقد الاجتماع اليوم"

قلت وأنا أتابع سيرى " مشوار مهم وأعود سريعا فقط

أنت اهتم بأمر الرجل"

ثم خرجت وركبت سيارتي وغادرت ، عليا العودة للقصر
من أجل رضا وزهور والعودة هنا لمتابعة كل شيء ولولا
ضرورة الأمر ما خرجت ، أخرجت هاتفي واتصلت بأسعد
فأجاب من فوره فقلت " أريد سجلا ببيانات وصورة لأي
حالة اختفاء أو اختطاف أو موت بأي طريقة كانت أي حادث
سيارة سقوط انتحار جميع حالات من سيكون في العمر الذي
سيقدره لكم الشاهد لأنهم مؤكد سيتخلصون منه"
قال من فوره " فكرة صائبة وسأرى المحاضر والوفيات
منذ الوقت الذي حدده"
قلت " جيد ... وداعا"
وصلت القصر ودخلت وصعدت السلالم لأجد ترف جالسة
على آخر عتبة تحضن ساقيها وتخفي وجهها فيهما فوقففت
عندها وقلت " ترف ماذا تفعلين هنا"
رفعت رأسها ومدتا ذراعاها لي وقالت بحزن
"انتظرك بابا"

حملتها مستغربا من لجونها لي وتركها لأرجوان وبالتأكيد

لن تكون متعبة كالمرّة السابفة لكنت وجدت بيسان وأمجد

معها ، مسحت بقايا الدموع من رموشها وقلت

" ما بك من أبكاك "

قالت وقد عادت للبكاء " ماما غاضبة مني ولا تكلمني

منذ أمس ، تكلم أمجد وبيسان وأنا لا "

مسحت دموعها مجددا وقلت وأنا أسير بها

" وما الذي فعلته أغضبها "

تعلقت بعنقي وخبأت وجهها فيه وقالت

" بيسان أخبرتها أنني قلت كلمة سيئة كمصعب "

وصلنا عندها ممر غرفهم فقالت

" أخبرها ترضى عني بابا أقسم لن أقولها مجددا "

اقتربت من الغرف قائلا " قد لا ينجح الأمر

فأنا أيضا غاضبة مني "

ابتعدت عن عنقي ونظرت لوجهي وقالت

" هل قلت كلمة سيئة أيضا "

ابتسمت ابتسامة جانبية وقلت وأنا انزلها عند غرفة

قلعتهم المفتوحة " يبدوا ذلك أو أن والدتك لا يعجبها الصدق "

نظرت لي للأعلى وقالت " لنعذر منها معا

لأنها لم تقبل اعتذاري"

نزلت عندها وقلت " سأحدث معها لكن عليك أن لا تعيدي

فعلتك لأنني حينها سأغضب منك أيضا ولن أكلمك"

هزت رأسها بحسنا فوقفت وفتحت الباب فكانت تعطي

ظهرها لنا وبيسان مقابلة لها فقالت دون أن تلتفت إلينا

"ترف قلت لا تدخلني هنا ولعرفتكم حالا"

نظرت لترف التي سقطت دموعها على الأرض وستحرم

قول ما قالته ما حيت ثم نظرت لها وقلت " أرجوان"

التفتت لي بسرعة فقلت ونظري على ترف

" وعدتني أن لا تعيدها فسامحها"

مدت حينها يدها لها فانطلقت نحوها بسرعة وجلست في

حجرها وحضنتها قائلة " لن أقولها مجددا ماما أقسم"

ثم ابتعدت عن حضنها ونظرت لي وقالت

" وبابا سامحيه أيضا ولا تغضبي منه"

التفتت لي تنظر لعيناي باستغراب وأنا لم أتحرك من

مكاني أنظر لها بجمود فعاتت بنظرها أماما وقالت

"أنا لا أغضب من اللذين أحبهم أنا أعتب عليهم

فقط حبيبتي ماداموا يعترفون بخطئهم"

ابتسمت وغادرت من عندهم ، هكذا إذا يا أرجوان تربطين

الأمر بشرط أن أعتذر عما قلت ، اقتربت من ممر جناح

زهور ليرن هاتفي الخاص بالعائلة والمقربين وهذا بالتأكيد

رضا ، وقفت وأخرجت الهاتف فكان رقما غريبا فنظرت

له باستغراب لأنه لا أحد غير المسجلين فيه يملكه

فتحت الخط وقلت " نعم"

جاءني حينها الرد لصوت فتاة قائلة " مرحبا جابر أنا سما"

*

*

وضعت يداها وسط جسدها وقالت " اتصل به

يا رضا أو فعلتها بنفسي"

تأففت وقلت " أميرة كم مرة سأقول لك أنه صباح

اليوم قال سيتصل بي بنفسه"

قالت بضيق " بقي أقل من ساعتين على المغرب وسيأتي

الضيوف ، ماذا سأقول لهم لا توجد عروس"

قلت ببرود " كان عليك أخذ رأيها أو إقناعها منذ

البداية ، تحملي نتائج أفعالك"

قالت بحدة " رضا لا تكن متساهلا معها لهذا الحد ، تحبها

تعشقها لا بأس لن يلومك أحد لكن أن تقتل شخصيتك هذا

شيء عليك أن لا ترضى به ، ثم وعائلتها لما لم يقيموا

ولو عشاء من أجلكما لما أنت ومنصور من يفعلها"

وقفت وقلت بضيق " أميرة يكفي نفخت لي رأسي

الرجل مشغول جدا وأوقف مشاغله من أجلي هل

أشترط عليه الآن عشاء وكلام فارغ لا يعنيني"

غادرت تتمتم بتذمر واقتربت مني بتول قائلة بابتسامة

"لا تجعل والدتي تعكر لك مزاجك فتذهب

بزوجتك عابس هكذا"

ابتسمت وقلت " وأين الفستان الذي أرسله

لك زوجك لم تلبسيه"

قالت بضيق " أسمه معتصم وليس زوجي فلا

تجعلني أغضب منك أيضا يكفيك والدتي"

ضحكت وقلت " معك حق يكفي هي"

نادت حينها أميرة بصوت مرتفع " بتول غيري لعدي ثيابه

تعالى وانظري كيف أصبحت وتعالى لتساعديني"

مدت شفيتها وقالت " لتعلم فقط كم أعاني من شقيقتك"

قلت بضحكة " اليوم بالذات لا تشرحي لي فقد جربت"

نادت أميرة مجددا " بتوول"

فغادرت قائلة " لا تكثرث لأحد المهم لا تغضب

منك فاتنتك زهور"

ثم قالت مبتعدة " قادمة أمي أتركي صوتك

حتى يأتي الضيوف"

راقبتها مبتسما ثم تنهدت بحيرة ، هي أكثر من غاضب

مني يا بتول ولا أحد يعلم بحالي وحالها ، رن حينها هاتفي

وكان جابر فأجبت عليه فقال من فوره " أين أنت"

قلت " في منزل عمك وهو مع الضيوف ، ماذا حدث معك"

قال بامتعاض " أنا ومعتصم أقنعاها بصعوبة لتوافق أن

تكون معهم قليلا فقط فأعطوها ثلاث ساعات لتتجهز"

قلت وأنا أغادر مكاني " جيد وأنت أئن تأتي"

قال " قليلا فقط من أجلك لأن لدينا اليوم أمور

مهمة ولو لم تكونا أنتما ما أتيت"

وقفت عند باب المطبخ وقلت

" أقطع عملك اليوم يا رئيس البلاد فلن تنهار"

قال ضاحكا " أنا في طريقي من القصر لكم وسأريك ، لدي

اجتماع مع وزير الخارجية هذا غير المصائب التي تنتظرني

في مكنتي ، ثم معتصم سيكون معكم ألا يكفيك نسيبكم"

ضحكت وقلت وأنا أنظر لبتول المنشغلة بترتيب ما

في الطبق أمامها " بالطبع يكفي نسيبنا المعتصم

وسأكون معه في زواجه من ابنتنا"

ثم تابعت ضاحكا وأنا أممسك المنشفة التي رمتني

بها بتول " وما دام في الأمر وزير فسمح هذه

المرة هيا سأخرج لك فورا"

ثم أنهيت الاتصال منه وقلت " ثلاث ساعات وستكون

العروس هنا لكنها لن تتأخر فاجمعي ضيوفك في الوقت المحدد"

ثم خرجت على دخول جابر من الباب الخارجي وتصافحنا قائلاً

"أخيراً سنتخلص منك ومن موضوعك الشائك"

ضحكت وقلت " قد تعلق بي هكذا حتى نهاية عمرك"

قال ونحن ندخل المجلس " أطلقها منك حينها وأرتاح"

دخلنا ووقف له جميع الحاضرين

*

*

"دعيني أقف بجانبها ... لا أريد"

تأففت وقالت " ابتعدي لأكمل عملي أولاً"

قلت مبتسمة " ترف قليلاً فقط وعودي حسناً"

مدت شفتيها مستاءة وقالت " كلكم لا تحبونني وتحبون

بيسان أنتي وعمي معتصم وجميعكم ماما فقط تحبني وبتول"

ضحكت وقلت " حسناً متعادلتان إذا"

خبئت عيناها بذراعتها فرفعتها لحجري وقلت

"هيا ترف لا تبكي من سارقص حينها"

أبعدت يدها وقالت " أنا سأرقص"

ضحكت وقبلت خدها وقالت " إذا اتركها تنهي عملها لترقصي"

دخلت حينها أرجوان وقالت " ترف أنا أبحث عنك وأنتي هنا

تعالى لتغيري ثيابك واطرقيهم ينجزون عملهم"

قالت مصففة الشعر " نعم رجاء خذيها كدت

أحرق لها شعرها الناعم هذا عقابا لها"

نظرت لها أرجوان بضيق فقالت باستياء

"لما لا تريد تركي أمشطه معها أنتم لا تحبونني"

قالت وهي تقترب منها " سمحت لكم اليوم بالمجيء

هنا لتكونوا مع عمتم لا لتربكوهم ، بسرعة

تعالى أو بقيتي بفستانك هذا"

ثم أمسكتها من يدها ونظرت لمصففة الشعر وقالت

"أريدك أن تفعلي ذات التسريحة لبيسان وأنا أريد

تصفيف شعري أيضا حالما تنتهي منها"

هزت رأسها بحسنا وقالت " فقط ابعدى ابنتك أو

لن ننهي حتى الصباح"

ضحكت وقالت مغادرة " حسنا لن تريها مجددا"

ثم خرجتا معا وقالت خبيرة الماكياج

"أنجزي عملك بسرعة لأعمل أنا"

قالت الأخرى " قليلا فقط مادمنا تخلصنا من تلك الطفلة"

تنهدت وقلت " لا تبالغا كثيرا شيء عادي فقط"

رفعت مشابك الشعر ومدتهم للتي خلفي وقالت " كيف لواحدة

بجمالك تطلب هذا ، أنتي واحدة من أكثر من عملت عليهم

بتشويق لأرى نتيجة فريقنا النهائية فيهم"

لذت بالصمت ولم أعلق فيبدووا أنه كل شيء في هذا اليوم

يسير ضد رغباتي ، بعد قليل رن هاتفي وكان المتصل جابر

فأجبت عليه فقال مباشرة " اعذريني يا زهور عليا الذهاب

سيكون معتصم معك هناك حتى يوصلكم لمنزلكم

لولا أن الأمر مهما ما تركتكما اليوم"

قلت بابتسامة حزينة " لا عليك يا جابر معتصم يكفي ويزيد"

ضحك وقال " لقد تفطرت قدماه اليوم واقفا هناك منذ

ساعات ... هيا وداعا ومبارك لك يا شقيقتي وسأكون لديكما

في أقرب فرصة وإن ضايقتك بشيء فقط اتصلي بي"

قلت بهمس " حسنا ... وداعا"

ثم أنزلت الهاتف وحضنته ، كم أشعر بقرب جابر هذه
الفترة وكان والدي عاد للحياة من جديد ... جابر تغير
كثيرا منذ تزوج ، يبدو أن أرجوان أرسلها الله لتصلح
ما أفسدته والدي أو يبدو هي أيقظتني أنا أيضا لأقرب
شقيقي مني فمئذ رأيت أبناء جابر وما أحدثت فيهم بتربيتها
لهم علمت أن كل شيء في الحياة يحتاج لأن نحركه لا
أن نقف نتفرج عليه فلا نتحرك نحن ولا هوا
بعد وقت انتهوا من تجهيزي الأمر الذي آخر ما كنت أفكر
أن أفعله ثم انتقلوا لأرجوان وبيسان وترف طبعا التي لم
تسكت حتى سرحوا لها شعرها أيضا أما بيسان فكانت
نسخة مصغرة عني حتى فستانها يكاد يكون كفستاني لأن
أرجوان تريدها أن تدخل معي هناك ، وقفت أمام المرأة
أنظر لنفسي ... الفستان كان بسيطا قدر الإمكان فلا حاجة
لواحد منفوش بديل طويل ، وتسريحة الشعر مرفوعة
للأعلى بلفات تنساب على كتفي وورود بيضاء متوسطة
الحجم منغرسه فيه ، عدلت إحداهن طرف الفستان وقالت
"لم أتخيل أن هذا الفستان ببساطة تفصيله سيكون هكذا لقد

غيرت نظرتي لهذا النوع من الفساتين بسبب جمالك وجسدك"

اكتفيت بابتسامة مجاملة ليخيم بعدها الحزن على ملامحي

التي لم يفارقها لسنوات ، دخلت بعدها أرجوان وقالت

" ما شاء الله لم ترى عيني عروسا مثلك"

ثم رفعت الغطاء وقالت " بسرعة معتصم أرسل أمجد

وعمر وقالوا أنه ينتظرك في الأسفل"

ألبستني الغطاء ولم تتوقف عن إسداء النصائح لي وهي

تعذله وتربطه وكأنها والدتي وليس تلك التي لم أرها اليوم أبدا

لو كان لي شقيقة ترى هل ستكون كأرجوان الآن أم كوالدتي!

تهددت بأسى وتبعث خطواتها وهي تمسك كتفي وتسير بي

حتى صرنا في الأسفل ثم سعدت ليدخل معتصم وعمي منصور

بعدها ، تحدثا ولم أفهم شيئا مما يقولان بسبب الدموع التي

تسأل أين والدتي عن كل هذا ؟ يكفي جابر شقيقي الأكبر ليس

هنا ، ولما سأحزن وأنا سأعود لهم قريبا وقريبا جدا فهوا شهر

فقط شهر لا غير كزواجي الأول وأكون هنا وتعود زهور كما

كانت مطلقة وسجينة غرفتها ، أخرجاني وبعد خطوات

قليلة كنت في منزل عمي وقال معتصم

"أذهب وأمسك شقيق زوجتك لا يخرج لنا"

ضحك عمي منصور وقال " لن يستطيع الخروج ولا أحد

منا مع الضيوف ، تجده الآن يغلي من الغيظ"

تحركت خطوات معتصم بي حتى كنا عند الباب ودخلنا

وخرجت أميرة ورفعت عني الغطاء وقالت

"السنين لا تزيدك إلا جمالا يا زهور"

قال معتصم " أين علكتي لم تخرج معك"

ضحكت وقالت " لن تخطوا قدماها باب المنزل

وهي تعلم أنك من سيُدخل زهور"

قال ببرود " حسابي معها فيما بعد وإن لم ترتدي

الفستان سيكون عسيرا بالضعفين"

قالت وهي تفتح باب الصلاة بوسعه " لا تقلق فعمر لها

بالمرصاد ويهددها ولبسته"

ثم نادى على بيسان وقال معتصم ضاحكا ما أن

اقتربت " العروس هنا ولا نعلم"

قالت أميرة مبتسمة " خطفت عيون الحاضرات جميعهن

قبل مجيء النسخة الأصلية ، سأذهب لأبلغهن بدخولك"

غابت قليلا وأمسك معتصم يدي على صوت دخل

علينا قائلا " أترك يدها أنا من سيدخلها"

التفتنا لصاحب الصوت فكان رضا يرتدي بذلة رسمية

سوداء وربطة عنق وكانت المرة الأولى التي أراه بها شعره

مسرح للخلف باتقان ولا أعلم كيف تحكم في الخصلات التي

لا تفارق جبينه ورائحة عطره طغت على عطر معتصم القوى

ونظاراته الطبية لم تفارقه على مفاص عيناه ، اقترب مني

وأمسك يدي فأبعدت عيني ونظرت للأسفل فرفعها له وقبلها

وقال هامسا " لما تريدان تعديبي بكل هذا الحسن يا زهور"

أمسك معتصم يده وأبعدها قائلا " ما أعلمه أن شقيق العروس

يدخلها وليس زوجها لأنه من سيخرجها أو عكسنا الأمر

الآن تدخلها أنت وأخرجها أنا وللقصر فورا"

قال رضا بضيق " زوجتي وأفعل ما أريد فأخرج من هنا"

تخلل الأحداث صوت آخر قائلا " لا أنت ولا هو أنا من يدخلها"

نظرنا له جميعنا فكان جابر فابتسمت ما أن رأيتة ، لا أعلم

لما أشعر باليوم غريب في كل شيء فيه حتى في خصومتهم
هنا عند الباب والنساء ينتظرن في الداخل ، أمور لم أشهدها
زواجي السابق ، اقترب وأمسك يدي وقال " اعذريني يا زهور
لم يطاوعني قلبي لأتغيب كزواجك السابق فما أن

خرجت من الوزارة حتى كنت هنا"

امتلأت عيناى بالدموع وهما معلقتان بلامحه وقلت

"وما جعلك تأتي بعدما اعتذرت مني"

أمال ابتسامته وقال بصوت منخفض " زوجة شقيقك المصون

تشاجرنا بسبب هذا الأمر وقالت هل الوزير أهم عندك من شقيقتك

وعندما صرت هناك قارنت مشاعري وعلمت أنك أهم عندي

منه فغادرت سريعا وأدركتكم"

قلت بذات الهمس " زواجك بها يا جابر كان أفضل خطوة قمت بها"

اكتفى بالابتسام دون تعليق فتأفف رضا وقال

"فيما تتهامسان دعوني أدخل زوجتي"

قلت ونظري على جابر " بل شقيقاي يدخلانني"

ضحك معتصم وضربه على كتفه قائلا

"جد لك مكان تبات فيه الليلة يا عريس"

قال مغادرا " لا تنسى أن زوجتك ابنة شقيقتي وكما تدين تدان"

أمسك جابر بيدي وقال معتصم ويداه وسط جسده

"وما مكاني أنا من هذا يا زهور"

لم أستطع إمساك ابتسامتي ودموعي التي لحقتها فاليوم أشعر

أن زهور ولدت من جديد مثلما ستموت حين يغلق عليها

وزوجها باب واحد ، اليد التي امتدت لوجهي كانت يد معتصم

ولا أستغرب هذا منه فمعتصم مختلف عنا جميعا ، مسح على

خدي بظهر أصابعه وقال " لا تفسدي جمالك يا غبية ، كل هذا

من عين ذاك الأحمق رضا الله أكبر عليه أصابك بسرعة"

قلت ببحة " أين عمي منصور يدخل معنا أيضا"

ضحك معتصم وقال " أقسم أن يفقد رضا عقله"

ثم انطلق مسرعا لينادي عمي ، اليوم أريدكم بالفعل معي لأنها

المرّة الأخيرة التي سأتزوج فيها وبعدها لن أرضى الزواج

أبدا ما حييت لذلك أريد أن أشعر بعائلتي بقربي فيكفي والدتي

التي لا أعلم أين تكون الآن ، هذا إن لم تكن في جناحها هناك

عاد معتصم بعدها وقال بضيق " لم يتركه زوجك يأتي قال

إما أنا معه أو لا فتركتهما كلاهما كي لا يأتي"

قال جابر " هيا إذا وقوفنا هنا زاد عن حده"

أدخلاني وبيسان أماننا واجتازا بي الحضور حتى كنت

عند المنصة الصغيرة التي خصصوها لي هنا فأبعد

معتصم يد جابر وأمسك يدي وقبلها وقبل جبيني وقال

"زهور يا شقيقتي فعل رضا خيرا أن أخرجك لنا فالآن

لن أتوقف عن زيارتك بما أنك غادرت القصر"

ابتسمت له فقبل جبيني مجددا وقال " مبارك لك يا شقيقتي"

ثم غادر ورفعت نظر لجابر وقلت " شكرا يا جابر لا تعلم

كم أسعدني أنني كنت لديك أهم من كل شيء"

أمسك وجهي وقبل جبيني وقال " سامحينا يا زهور نحن

من أهملك ليثبت لنا أطفال أننا عجزنا أمام ما فعلوه"

يا إلهي جابر لا تقسوا علي لو تعلم غرضي من الزواج به

لتغير رأيك هذا ولكني لا أنكر أن أبنائه غيروا في الجميع

الكثير ، قلت ونظري على عينيه " جابر أمازلت عند وعدك لي"

قال بهدوء " ولن يثني كلامي إلا موتي يا زهور ورضا

بنفسه أعلمته وقال أنه سيفعلها من نفسه يوم تطلبينها منه"

غادر بعدها واقتربت مني أميرة وأرجوان وساعداني لأجلس

رغم أن الأمر لن يحتاج ، رأيت حينها ترف ترقص مع

الأطفال على الموسيقى لهذا لم تتبع بيسان وتصر أن تكون

معنا ، جلست بعدها بنظري حتى وقع على والدتي الجالسة

جلستها المعتادة وكأنها أحد الضيوف ، كم تمنيت أن تنظر لي

بحنان ودموع كما يحدث مع جميع الأمهات وهن سعيدات

بزواج بناتهن وحزينات لفراقهن ذات الوقت ، كم تمنيت أن

كانت بجانب يدي في يدها لكن والدتي لا تتغير أبدا تذكرني

بجدتي كثيرا كيف كانت تعاملها حتى خالتي لم تعد تزورنا

ولم أرها منذ زواجي السابق منذ رفضت والدتي ابنها لم

تعد تعترف بنا ولم تزرنا من تلك المرة التي رفضت فيها

ابنها علنا وقالت صعلوك رياضي لا أعطيه ابنتي

سافرت بنظري للأرض ولم أعد أرى أحدا حتى خفت حركة

الناس وصوت الأطفال واقتربت مني أرجوان وهمست

لي " هيا أيتها العروس الجميلة الحزينة زوجك ينتظر"

نظرت لها بسرعة وكأنني استيقظت حاليا من نوم عميق وحلم

لم أكن أعلم أنه حقيقة ، لا أريد الذهاب لا أريده ولا أريد أن
أكون معه ولست زوجته ، أمسكت يدي وأوقفتني وجاءت أميرة
وسارت بي تحمل غطائي معها وأنا نظري على أرجوان وأبناء
جابر وبتول ووالدتي وباقي الحاضرين اللذين لم يغادروا بعد
وصلت بي حيث مجلس الرجال الذي يفتح على الخارج وأدخلتني
وكان رضا ومعتصم وعمي منصور هناك فاقتربنا منهم ونظري
للأرض وقالت أميرة " خذ عروسك واقراء عليها الليلة كل ما
تحفظه من آيات لأن أقل لقب قيل عنها أنها ملاك"
سمعت حينها صوت رضا قائلا " ستكونين أنتي
السبب حينها لأن الحفل فكرتك"
قالت ضاحكة " وما أدراني أنهم نسوا جمالها في زواجها
الأول وسينبهرون بها الآن"
قال معتصم " إن أصاب شقيقتي مكروه فلن أغفرها
لكم آل الحارث سمعتم"
ضحكوا جميعهم وشعرت بيد أمسكت يدي فنظرت لها فكانت لرضا
فحاولت سحبها منه لكنه قبض عليها بقوة وقال عمي منصور
"مبارك لكما وأراني الله أبنائكما ، عليا الصعود لغرفتي

ومعتصم وصديقك سيتكفلان بإيصالكما"

وغادر من فوره وقال معتصم مغادرا " أنتظركم في الخارج"

ألبستني أميرة غطائي ثم أمسكت يدينا وقالت " أسعدكما الله

زهور لا أوصيك برضا فهوا عانى الوحدة كل حياته ويحبك

أكثر حتى من نفسه وأنت يا رضا أهتم بزوجتك جيدا ولن

أكثر لأنني أعلم مكانتها لديك"

قال بصوت مبتسم وهو يشد على يدي أكثر

"لا توصيني على عيناى اللتان أرى بهما يا أميرة"

قالت بعد ضحكة صغيرة " لما لا تستحي يا مجنون"

لف يده حول كتفائي وقال وهو يسير بي " لم أستحي وهي

ليست زوجتي لأستحي الآن ومن لا يريد أن يسمع فليغلق أذنيه"

ثم خرج بي للسيارة وأركبني وركب وانطلقنا وأصوات سيارات

انطلقت معنا وما أن صرنا وحدنا في سكون السيارة حتى نزلت

دموعي ولا أعرف لما وبدأت بمسحها كي لا يلحظها فهوا آخر

من عليه أن يشهد دموعي فهوا من قتل باقي أحلامي كما فعلت

والدتي ذلك قبله حين حرمتني من الزواج منه ، قتلوني وقتلوا

حلمي أن أكون أم ولي أبناء أربيهم كما أريد أنا أن أتربي وليس

كما ربتني ، لم أعرف الحب كما عرفه الجميع لكني كنت أعلم

شيء واحد أنني اعتدت وجوده وأحببت رؤيته وحديثه الهامس

المفعم بكلمات الشوق المبهم ، كنت مدمنة عليه ولا أعرف غير

هذا التعبير لتقتلني والدتي بتزويجي بمن اختارت ومن ثم أكتشف

أنه قتلني قبلها بسنوات ، لو أخبرني بشناعة فعلته لما تزوجت ما

حييت فحتى إن تزوجت به ما كنت سأشعر بأني فتاة طبيعية

وسأشعر بالانقص كل حياتي لأنني لم أكن كغيري في أول ليلة

لي معه لقد قتل أنوثتي بكل بساطة ، مسحت الدموع التي عادت

للتسلل من رموشي فشعرت بيده أمسكت بيدي الأخرى بهدوء

فاستللتها منه بقوة فتنهد وقال " حسنا توقفي عن البكاء

على الأقل وارحميني يا زهور"

قلت ببرود " لا شأن لك بي"

اكتفى بالصمت ولم يعلق حتى وصلنا بتوقف السيارة عن السير

ثم نزل وسمعت أصواتهم ثم غادرت السيارات وفتح لي الباب

وأنزلي وأغلق الباب وقال وهو يسير بي " حقائبك سأنزلها فوراً"

ولم يزد حرفاً ولم أتحدث أنا حتى وصلنا لباب بعدما سعدنا

درجات كثيرة وفتحه قائلا " لن أقول لك تفضلي وأنور

المكان فالشقة لك وأنا من عليك قول ذلك له"

ثم تابع وهو يدخل بي " آسف حبيبتي لم يبقى لي مال

أحجز به جناحا لنا في فندق لكني سأعوضك عن كل هذا"

ثم أبعده من كتفي ما أن صرنا في الداخل ونزعت عني

الغطاء وهو خرج من فوره ومؤكدا نزل للسيارة ، رميت

الغطاء على الأريكة وجلت بنظري في الشقة وأثائها وأبوابها

حتى دخل يحمل حقيبتاي ووضعهما وأغلق الباب وقال وهو

يتوجه ناحية أحد الأبواب " قليلا فقط وأعود انتظري"

ثم دخل وأنا أنظر له بحيرة وخرج بعد قليل بدون نظارة

ويحرك شعره بأصابعه وقطرات الماء تتناثر منه وقال

"لم أشعر بالراحة إلا الآن بعدما أزلت ذاك

الجبس الذي كان يببسه"

كنت أنظر له باستغراب من عفويته وكان شيء لم يكن وكأني

أنزوجه برضاي وهو يعلم سبب زواجي به ، هل هذا طبعه

كما كان في طفولته لم يتغير أم أنه يعتمد ذلك ، وصل عندي

ورفع شعره بأصابعه ثم قال بابتسامة " ضننت أنه حلم سيزول

مع جل الشعر لكن الحياة لا تخلوا من المفاجآت"

عدت خطوتين للوراء وقلت " أين غرفتي أريد أن أنام"

أمسك يدي وقربني له وقال " غرفتنا هناك سوف آخذك حالا"

شعرت بكل جسدي قد ارتجف من الفكرة ومن ذكرى الماضي

فدفعته عني وابتعدت وقلت بحدة " ابتعد عني لا تلمسني"

قال بهدوء وخطواته تقترب " حسنا لن أمسك يا زهور

لا تخافي أعلم أن الأمر ليس سهلا عليك"

قلت بصراخ غاضب وأنا أتراجع " ابتعد يا رضا قلت لك"

وقف وتراجع للخلف قليلا وقال مهدئا لي بيده من بعيد

" حسنا حسنا أدخلي أنتي للغرفة وسأنام أنا هنا"

أخذت الحقيبة الصغيرة وسرت جهة الغرفة ودخلت وأغلقت

الباب بقوة وجلست على الأرض وفتحت الحقيبة وأنا بالكاد

أرى شيئا من كثرة دموعي التي تحولت لنحيب وأنا أفتش في

الأغراض وأبعثرها في كل مكان لأجد شيئا ألبسه فسمعت

طرقات على الباب وصوته قائلا " زهور"

قلت بحدة " لا تقل زهور لا تكلمني ابتعد"

طرق الباب مجددا وقال " توقفي عن البكاء لن ألمسك أقسم لك"

مسحت دموعي وأخذت الفستان القطني ودخلت الحمام

وأغلقت بابه بقوة ورميت الفستان من على جسدي ولم أرتح

إلا وأنا تحت الماء يغسل دموعي وشهقاتي

.

وقفت أضرب بقدمي على الأرض حتى أخرج لي

رأسه من الباب وقال " لم ينجح الأمر"

قلت " إن أخرجتها لي هنا بفستانها اشتريت لك

أفضل من الدراجة التي تريدها"

انفتحت عيناه على اتساعها وقال " حقا تفعلها"

قلت " افعلها أنت وستري"

دخل مسرعا وما هي إلا لحظات وخرج راكضا جهة

الحديقة وسمعت صوت بتول تشتمه قادمة من الداخل فوقفت

بجانب الباب حتى خرجت غاضبة دون أن تنتبه لي وهي

تقول " ستري يا قرد إن لم أقطع لك إصبعك كي لا تعيدها"

تبعتها بنظري أمسح بنظراتي جسدها والفستان ينساب على

تقاسيمه بساقين وذراعان مكشوفان بالأزرق الملكي كما

أحب ، نزلت الدرجات وبدأت تبحث عنه بنظرها في أرجاء

الحديقة لتعلم أين ذهب ثم التفتت لتعود ووقفت مكانها حين

رأنتي أقف مستندا بالجدار مكتفا يداي لصدري وأنظر لها

مبتسما فتراجعت للخلف تنظر لي بصدمة وتقدمت أنا نحوها

وقلت بمكر " تهربين مني إذا ولا تريدي ارتداء الفستان

الذي اشتريته لك ولا رؤيتي يا محتالة"

زادت خطواتها للخلف فقلت " إن تراجعتي أكثر ستقعين

في النافورة وها قد حذرتك"

قالت وهي تزيد من خطواتها " كاذب وابتعد عني

يا معتصم ولا تكرر فعلتك تلك"

اقتربت أكثر وقلت وأنا أمد يدي لذراعها " كيف أكررها

وبسببها لم أنم تلك الليلة ، أين تخفين كل هذا الجمال"

زادت خطوة تهددني وكانت النتيجة أن اختل توازنها بسبب

اصطدامها بحافة النافورة فمددت يدي لها بسرعة لكني لم

أدركها لتصبح جالسة في الماء ومبلله بأكملها تنظر لي

بصدمة فلم أستطع إمساك ضحكتي وفر عمر هاربا للداخل
يضحك لتصعفتي بأن أخفت عيناها بذراعها وبدأت بالبكاء
فتوقفت عن الضحك واقتربت منها وأمسكت ذراعها وأوقفتها
حتى خرجت منها وقلت " غبية لما البكاء الآن"

استلت يدها من يدي وقالت ببكاء " ولما البكاء برأيك ، لما لا

ترحمني منك يا معتصم ، أنت تخنقتني إن كنت لا تعلم"

مسحت بيدي على خديها وقلت بهدوء

"حسنا توقي عن البكاء يا علكة معتصم المفضلة"

قالت بعد شهقة " لست علكة"

ضحكت وقلت وأنا أضمها لكتفي " ولست علكة

أيضا فتوقفي عن البكاء"

أمسكت طرف الفستان تنظر له للأسفل وتنفضه

قائلة " كله بسببك خربت الفستان"

ضحكت وقبلت خدها ثم عضضته بغل عضه خفيفة

وقلت هامسا " بل خربت على نفسي وسأفقد عقلي

بهذا المشهد وهو مبتل وملتصق على جسدك"

دفعني عنها بقوة قائلة " وقح ابتعد"

ليختل توازني أيضا وأصبح في النافورة جالسا على صوت

شهقتها تنظر لي بصدمة تخفي فمها بيدها ليتحول ذلك

لضحك فمدت ساقي وضربت ساقيها بقدمي لتلحق بي

داخل النافورة وأصبحت في حضني وهي على ضحكها

لم تتوقف فبدأت بغرف الماء بيدي وسكبه على شعرها

وأنا أقول بغيض " تضحكين إذا ولم يعجبك أن أضحك عليك"

كنت أسكب عليها الماء بالتوالي وهي تضحك وتحاول دفعي

بوهن قائلة " توقف معتصم أرجوك لم أعد أستطيع"

*

*

ما أن خرجت من منزل عمهم وعدت للقصر حتى دخلت

بalfاتين لغرفتهما ليغيروا ثيابهم ويستحما وتنامان لأنهم الليلة

تأخروا في السهر على غير العادة ثم توجهت جهة جناحي

لأستحم وأنام أيضا فجاير مؤكد لن يرجع قبل الثالثة فجرا كعادته

دخلت الجناح وتوجهت للغرفة وفتحت الباب ونظرت باستغراب

للسرير ثم شغلت النور فكان جابر نائما هناك ، طبعا صباح اليوم

تشاجرنا شجارا حقيقيا هذه المرة بسبب زهور ، لم أستطع تمالكك

نفسى وحاولت إقناعها مرارا أنه لا دخل لي بهم يحضر زفافها

أو يفعل ما يريد لكنى لم أقدر ولم يهنأ لي بال وأنا أراه يتحدث

في هاتفه ليخرج لعمله فقلت رغم مخلصمى له

"جابر ألن تكون مع شقىقتك وتدخلها"

التفت لى ونظر لى نظرة لم أفهمها ثم قال مغادرا جهة

الباب " معتصم معها أنا مشغول اليوم"

قلت قبل أن يخرج " لما لا تُقدر معنى أن يكون لك أشقاء

يحتاجونك بجانبهم ، لو كنت مكانها لحز فى نفسى

أن تتركنى وترى غيرى أهم منى"

وقف مكانه وقال دون أن يلتفت لى " أرجوان لا وقت لى لك

ورائى اجتماع مع وزير الداخلية فهل ترحمىنى الآن"

قلت بسخرىة " نعم نسيت فىهى وهوا عندك سواء هذا إن لم

يكن أهم منها ، آخر ما كنت أتخيله أن تكون عائلتك والحارس

الذى يقف عند الباب فى نفس المكانة لىدىك فأنت تعرفه قبل أن

تعرفنى وأكثر مما تعرف أبناك ومن منظور التعود طبعاً"

التفت لى وقال بحدة " أرجوان أحذرى من غضبى

لأنك لم تعرفيه بعد"

أنزلت نظري وقلت " آسفة نسيت أن الحقيقة ممنوعة"

تعود من الشيطان بصوت مسموع ثم قال بضيق

" هل أخبرتك سابقا أنك أصبحت لا تطاقين"

رفعت نظري له مصدومة فقال بإصرار

"ومزعجة جدا يا أرجوان وكأنك لست تلك"

قلت بابتسامة جانبية " أنت من لم أعد أفهمك فيفترض

أني ووفقا لنظريتك كنت سابقا لا أطاق لأني كنت أخالفها

وأطبق نظيرة الحب فلما ردة فعك بالعكس"

لوح بيده جانبا وقال بضيق " هل يرضيك

أن أكذب عليك هل يعجبك ذلك"

قلت بهدوء ونظري على عينيه " أحيانا الكذب أقل قسوة

من الواقع يا جابر وسأكررها للمرة العاشرة أنا أتعامل

معك الآن من منظور العشرة والتعود فلما لم أعد أعجبك"

قال بضيق " لأنها ليست طبيعتك أكره أن تتصني لتغيظيني

كما أكره أن أتصنع فقط لأرضيك"

قلت بابتسامة حزينة " تناقض نفسك يا جابر"

قال مغادرا " لا تختلفين عن حسناء في شيء مغفلة مثلها"

أغمضت حينها عيناى بألم على صوت ضربه لباب الجناح

بل من وقع كلماته المسمومة وكأنها نصل اخترق قلبي ، كم

سمعت عن أن الكلمة الجارحة من الزوج لا تضاهيها مثيلتها

من أي كان والآن فقط آمنت بذلك

هزرت رأسي بقوة من ألم ذكرى ما حدث ثم توجهت لغرفة

الملابس وأخذت ثيابي ودخلت الحمام دون أن أنظر ناحيته

رغم أنه يعطيني ظهره ، لا أنكر أنني سعدت لرؤيته اليوم يدخل

مع زهور ليس من أجله بل من أجلها وأعلم أنه لم يفعلها بسبب

كلامي بل من أجلها أيضا ، خرجت بعد حمام طويل أجفف

شعري بالمنشفة ثم توجهت جهة السرير لأفاجئ بالورقة

الموضوعة جهتي ومكتوب فيها (مغلق)

ثم نظرت لظهره بصدمة ، ما قصده بهذه الحركة وأين يريد

مني أن أنام ! طردة معتبرة من الغرفة إذا ، أنا لم أقل له

يغضب ويخرج من هنا هوا من اختار ذلك وهوا من سيخرج

وأنا لن أنام في غير مكاني ، رفعت الورقة وأخرجت شريطا

لاصقا من الدرج وأخذت منه قطعة وأصقت به الورقة على

ظهره وتوجهت للمفتاح وأغلقت النور وعدت جهة السرير

ونمت وتغطيت معه بالحاف فوصلني صوته قائلا

"ما الذي أفهمه من هذا"

انقلبت وأعطيته ظهري أيضا وقلت ببرود

"وما أفهمه مما فعلت أنت"

قال بكل بساطة وصراحة " لا مكان لك في السرير"

قلت بضيق " وأنا قصدت بها لا مكان لي فيك يا جابر فقد

أنسى يوما وأبحث عن نفسي في تلك الأضلع"

قال بعد صمت " للمرة الثانية تكرري ذات الخطأ يا أرجوان"

جلست وقلت بحدة " وما قصدك أنت حين تركتني ونمت بعيدا

ثم الآن تخبرني أنه لا مكان لي معك على ذات السرير الذي

تنام فيه ، هل وحدي التي أهينك وأنت لا"

قال ببرود " أخفضي صوتك أريد أن أنام"

رمى الحاف عني وقلت باستياء وأنا أغادر السرير

" أقسم أنه أنت الذي أصبح لا يطاق"

ثم غادرت الغرفة بعدما ضربت بابها بقوة ، كرامتي أهم

عندي من السرير والغرفة فليشبع بها وبه ، جلست في الردهة

أتأفف بغیظ وأحك كل شيء في جسدي بقوة وكأنه أصابني

الجرب وكله بسبب الغیظ فانفتح باب الغرفة وخرج منها

واقترب مني وأنا أشحت بوجهي عنه مستاءة فأمسك

يدي وسحبني منها عائدا بي لها

المخرج اقتباس من مشاركة متابعتي العزيزة(لأن القمر في شرفتها)

اخذت ارجوحتي تطير بي نحو الفضاء الفسيح حيث يمكنني معانقة الغيوم الفضية ، ثم تعيدوني الى الورا حيث الذكرى التي ترسم ابتسامتي ، وتجعلني ارى الدرب الذي اسلكه ، خصلات شعري الذهبية تتغنى طربا في الافق ، وتحلق كطائر العنقاء المنسي ، القابع في جزيرة خرافية في عرض البحر الفاني ، اناملي الصغيرة تتشبث بالحبل القديم تتسلق عليه ازهار الياسمين والجوري ، وقدماي القصيرتان ، تتدلى في الهواء في محاولة يائسة لملامسة الارض المعشوشبة من تحتي ، كانت الشمس تطل برأسها بحياء خلف الجبل الصامت الكبير ، والرياح تتسابق ، والنسيم العليل للصباح الخيالي أنبت على ظهري جناحين صغيرين ، براقين كأجنحة الحورية ، تعثرت بالغبار السحري المنبعث من جناحي الشفافين ، لكنني حلقت بألفة وسط السماء لأذهب للبعيد ، حيث ارى احبتي بعد غياب ، بعد ان اصبحت جنية لتحقق الامنيات ، ركضت مع اسراب الطيور الراقصة بين السحب البيضاء حتى وصلت لمزرعة كبيرة مخضرة ، تعالت دقات قلبي لأرى احبتي ، منذ زمن لم اراهم ! كانت تستند على اطار نافذتها شاردة الذهن ، عينيها باردتان كما الجليد تعكس اعصار جوفها المتفجر ، هبت الرياح لتتطاير شعيراتها في محاولة للهروب من الواقع المرير ، رق قلبي لحالها ما بها صغيرتي ، ومهجة قلبي بآسفة ! وقفت بجناحي الصغيرين قبالتها ، " مفاجأة! " ..

صعقت وصعد قلبها لحنجرتها ، وكادت تفقد عقلها ، وهمت بالصراخ ، لولا انني اغلقت فمها بيدي امنعها يكفيننا مشاكل " حاذري يا وسن" ..

ابتلعت ريقها بصعوبة ، وقد استدرك عقلها انني أنا ، ربما جناحي اربعاها لوهلة

قالت لي وعلى وجهها طيف ابتسامة ميتة " هذه انت .. اربعتني"
اجبتها بفرح حزين لحالتها " ومن غيري سيأتيك ينغص لياليك"
اكتفت بابتسامة صادقة ، فأخذت اتمس وجهها الحزين " عزيزتي ، اهنك مشكلة
ما ؟"

زفرت تفضي ما اعتمر بقلبها " لا ابدا ولكني عند الحزن اعشق الوحدة"
قلت بعطف احتوي حزنها " عزيزتي وسن ، ما بك ؟ ألا زال الألم يعتمر في قلبك
الصغير ؟"

اجابتنى بحسرة " وسيظل"
قلت لها " اخبريني عزيزتي ، فأنا الان جنية ستحقق امنياتك ، وستدخل السعادة
على محياك"

ضحكت وقالت " بنيت حلما فحطمه الزمن فقهرت من شدة الحزن"
سكت احثها لتكمل ، قالت " كبرت وفي صدري حب يخفق لشخص ربما لم اراه ،
أحبه كثيرا من سيرته العطرة ، عاد حبيبي الخيالي الى ارضنا لننغمس مع
بعضنا في حب نقي ، لنذوب كلينا كالسكر في الشاي المر ، ليجعل من شاي ايامنا
حلوة وتزداد حلوة ... ثم هبت عاصفة زلزلت كيائنا ، قطعت الاوصال التي
وصلت ما بيننا ، والأربطة التي انشأناها مع بعضنا ، ورمت كلينا في اودية الغدر
والخيانة ما بين الذئاب المتوحشة والأرض المقفرة ، وكانت هذه البداية ، لتتوالى
علي رياح العاصفة الباردة تصفني على الخد نفسه مرتين ، جرحي الاول لم يبرأ
بعد لأجرح بأخر ، زواجه بأخرى كان كالسكين في حلقي تقطع انفاسي رويدا
رويدا ، وتسلب روحي شيئا فشيئا .. وموت خالتي درعي الحامي وسوري
الحصين ، واللحاف الدافئ لصقيع ليلي ، ارداني طريحة الارض اتلوى من القهر
والوجع ، لتظلل ساحبة العاصفة السوداء ايامي بلياليها ، فتصبح حياتي قاتمة ، لا
شيء فيها ولا بصيص لنور الشمس"

أخذت تطلع للسحب السماء الرمادية منذرة بعاصفة على وشك الهبوب ، لم اجد
في فمي كلاما ليواسي وجعها كل هذا حصل لك عزيزتي ولم تخبريني سحقا
لصمتك يا وسن سيجلب لك الموت !

" اتدرين ما يهون علي سجنني في هذه المزرعة ، وساجني الذي يعيش فيها"
قالت ذلك وأردفت بابتسامة " صديقة تعرفت عليها ، لتصبح ملاذي الاخير من
هموم اليوم الطويل ، لتصبح منبع اسراري وبئر الامي .. انها الوسن"
ان وجدت من تشكين له يا وسن وتصبري نفسك به ، فقد ضمنت سلامتك يا
صديقتي الغالية " وسن .. سألقي عليك تعويذة سحرية تنتشلك من ايامك

الموحشة ، اتعلمين ما هي !؟ "

نظرت الي بتعجب فقلت لها " لكنها لن تعمل دون الامل .. فلتتسبث به جيدا وإياك ان يضع من بين يديك ، تزيني به ، ولا تخلعيه ابدا ، لان فجرك شارف على الانبلاج ، فكوني مؤمنة بأنك ستجدين ما يسعدك عندها ستتحقق امنيتك ".
مسدت شعرها الفتان وانا ابث به دفعات من الامل الذي لا ينتهي ، حتى شعرت بحلها بدأ ينصلح ، قبلت جبينها العريض وودعتها ، وغادرت شرفتها وانا اراقب ابتسامتها الخفيفة ترسم على وجهها المتعب والهزيل
طرت عاليا عاليا حتى كدت اخترق الفضاء ، ثم هبط بسرعة لباب ذلك المنزل البسيط ، طرقت مرة واخرى لكن لم يفتح لي احد ، طرقت مجددا ، فتحت لي الباب وعندما رأني صرخت بصوت عالي ، فوضعت يدي على فمها استحلفها ان تتوقف ، جاء صوت لعجوز يتشبع بالحنية " سما يا صغيرتي ما بك لما تصرخين من الطارق ؟ "

استجديتها ان لا تخبرها فقالت " لا احد ، انهم اولاد الجيران يلعبون ، وانما صرخت لأنني رأيت صرصورا يمشي على الارض"
ضحكت العجوز وطفقت تدعو لسما ، ما اجمل العجائز ! ينفخن على روحك بأدعيتهن الرقيقة فيطهرنها ! نظرت لسما بلوم فقالت من فورها " اسفة ، لم اعتقد انني سأراك هنا .. لقد فاجأتني !"
اجبتها بمرح " لا عليك .. كيف حالك الان"
اكتفت بابتسامه حزينة ، و الم يعتصر قلبها تتدفق من خلال مقلتيها الزرقاوين الساهرة.
اجبتها بخوف " سما أهنالك مشكلة ما ؟"
قالت وقد ارتسم الضيق خطوط متجعدة على جبينها " لا ابدا لكني عند الضيق اسامر السهر "

"ما بك صغيرتي اخبريني علي ازيح همك"

اجابتي بعدم اقتناع " كنت طفلة سعيدة ، في حضن والدي انعم بدفنهما ، لأفجع بمقتلهما لأظل في الدنيا وحيدة ، فيمتلئ قلبي بالخوف ، ويلبسني الليل الطويل عباءته المرعبة ، لأحضن جسدي النحيل بيدي المرتجفة ، وأوصالي المقشعرة ، واغرق في الظلام الدامس ترافقتي دموعي صديقة وحدتي ، لينتشلني فارس مغوار ، من الغرق في اعماق الظلام ، ويحيطني بأسوار قلعه المنيعه ، يبيت في نفسي راحة وطمأنينة عجيبة ، فيبدأ قلبي بالخفقان له ، وتشتعل جنباتي بقربه ، لأعلم مؤخرا اني وقعت في حبه ، اعلم اي ماضٍ قد قاسى وأي الهموم قد عانى ، لكن بعده يؤلمني ، وينغص راحتي ، ويتركني عرضة لرياح عاصفة هوجاء عاتية ، ستدمر ارضفتي وترهقها بالصقيع ، لما لا يفهمني ، لما لا يقرأ مشاعري

المكتوبة في صفحات عيني ، لما لا يسمع النبضات الهاربة تصيح باسمه بقوة ،
ارتمي قربه وان امرغ وجهي في حضنه الحنون لكن فليهنأ القدر الذي يعاندني
ويرميني في وديانه السحيقة ، فقد تعبت ، وها انا استسلمت لم اعد استطيع
احتمال المزيد من صدمات الحياة القاسية" .

طبطبت على كتفها بحنان ، اخفف من حرارة آلامها ، قلت لها وأنا احاول رص ما
تززعزع منها " اهدئي صغيرتي سما لا عليك ، هو الخاسر فلا مزيد من طبخك"
ضحكت رغما عنها وقالت بوهن " هذا الشيء الوحيد الذي يروح عن همومي
وينسيني بضع الامي "

اعدت ما تناثر من غرتها خلف اذنها " ما هذا منذ متى قصصت شعرك ؟"
اجابت بعفوية "" منذ مدة .. جميلة اليس كذلك"

اجبتها بسحر " اجل جدا" ..

وسرعان ما خبت ابتسامتها خلف حزنها ، قلت لها " اتعلمين انني الان جنية ،
وسأعطيك تعويذه سحرية"
اجابت بفضول " وما هي "

امسكت يديها اشد عليهما ، مع انهما اكبر مني حجما " ان تعويذتي ستحقق
امنياتك لكنها تحتاج الى الصبر .. تحلي بالصبر دائما فهو المفتاح للوصول لما
تصبين ، هو من سيفتح صندوق كنزك الثمين ، فلا تبعديه عن ناظريك ، وكوني
دائما صابرة ، وستعمل عندها تعويذتي وستحقق امنياتك يا سما .. فقط تحلي
بالصبر" .

شدت على يدي حتى كادت تعصرهما ، فصرخت حتى ادمعت عيناى ، فقالت على
عجل " أسفة أسفة للغاية ، لم اكن اقصد ، لكن حجمك تقلص كثيرا"
قلت لها " لا عليك ، حتى انا لم اعتد على ذلك "
اتانا صوت العجوز " سما اين انتي ؟ "

قبلت خدها المتورد ، وودعتها وقد تركت في حوزتها ما سيصلح آلامها ،
وعاودت التحليق ، كم انا مشتاقة لأحبتي ! ضربت بأجنحتي بسرعة حتى وصلت
لذلك القصر الفخم الخارج من حكاية سندريلا ، بحثت عنها في كل مكان لكنني لم
اجدها ، اين هي يا ترى ! ضربت بأجنحتي لارتفع للأعلى ، فالرؤيا من الاعلى
مفيدة اكثر ، وإذا بها مع الاطفال لثلاثة تجلس تحت شجرة وارفة الظلال ، بين
الاشجار الكثيفة ، الملاصقة لأسوار القصر ، توجهت نحوها بسرعة عالية ،
ووقفت في وجهها انتظر ان تهلع كما الاخريات ، وعندما رأنتي صرخت بصوت
حاد ، وتراجعت للوراء لتلتصق بجذع الشجرة ، ما بهن كلهن هل ابدو مرعبة لها
الحد !

" هل انتهيت يا ارجوان "

نظرت الي فعرفتني ، فقالت بصوت متقطع " اخفتني "

قلت لها بملل " اعلم .. كلكن خفتن مني "

نظرت الي وهي تشير علي بإصبعها الطويل ، فقلت لها وأنا احرك جناحي " انهما رائعان اليس كذلك ؟ .. ولكي لا تساءلي ، كنت افكر في احوالكن ، والرغبة الملحة في رؤيتكن وشفاء سقم قلوبكن ، وفي لحظة من اللحظات العجيبة والثواني التي لا تخضع لقوانين الزمن تقلص حجمي ونبتت لي اجنحة سحرية جعلتني اتخطى حدود الزمان والمكان ، واعر الفضاءات المتعددة لرؤيتكن ، واحقق لكل واحدة منكن امنية ، بواسطة السحر الذي امتلكته "

ظلت صامته ، لم تجب ، اكانت القصة غريبة عليها ، شعرت بيد قبضت علي وسحبتي للأسفل ، " ماما .. ماما ، هل هذه حقاً جنية "

ان هذه الطفلة تعصرني بيديها ، سأصبح عصيرا جنيات بعد قليل ، اخذت الطفلة تهزني يمينا ويسارا وأحاطها اخويها ، شعرت بالغثيان فطلبت النجدة " ارجوان اطفالك سيقتلونني "

فاستدركت انني في خطر فقالت بحزم " ترف اتركها ، ستموت اذا بقيت هكذا " تركتني ترف اتحرر من قبضتها وهي تقول " لا تموت ماما ، لا اريدها ان تموت "

مسحت ارجوان على شعرها وزفرت بأسى " ارجوان ابك خطب ما ؟ " قالت وقد تمردت الدموع من عينيها " لا ابدا ولكن عند الألم دموع الصمت تقرضني الاتين "

مسحت دمعها المألحة من على وجنتها وقلت لها " احكي .. فهناك من سيسمعك "

ضمت الاطفال لصدرها الواسع ، وقالت بعبرات تواليت من بحار عينيها العميقة " طُرق باب منزلي في احد الايام ، لتعهد لي امرأة بثلاثة اطفال صغار ، وجوهم بريئة وابتسامتهم نقية ، ففرح القلب وطار ، كم كنت سعيدة بدخولهم حياتي ، فقد لونوها بألوان الصابون الثقيلة ، فأصبح بيتنا لذيذا ككعك العيد بابتساماتهم الفاتنة ، طُرق بابي مرة اخرى لأجرد من كل جميل ، لتنطفئ انوار بيتي المبهجة وتصبح الوحدة والعتمة زائري في كل مساء ، لم استطع مفارقتهم ، لذلك قبلت عرض الطارق المغرور - وصرت زوجة لقلب متحجر ، تواليت علي الايام لأنعم بالدفء والأمان الذي لطالما افتقدته بقرب من اعتبرته بعيدا بعد النجوم ، احببته وأحببت ثقله المमित ، احببت صلابته وغروره وتحجر قلبه الصلد ، فعادت الالوان تخفق في حياتي بشدة وتتراقص صباحا مع الشمس ، و صار قوس المطر يزورني صباح مساء ، انتشى قلبي بالسعادة ، وفي لحظة سأظل اتأسف عليها مدى الزمن ، قلبت موازيني ، لأعرف ان من احبه لا يحبني ، فتتلاشى كل الخيوط التي

نسجتها لمستقبلي كالأوهام ، لأعاود معايشة الكابوس المريع الذي كان يزورني منذ القدم ، لما يكون هذا قدرني دون غيري ، لماذا انا من يحصل لها كل هذه الاعطاب في الحياة ، اود الاستيقاظ لأجد الحزن الذي سيؤويني في ليل عاصف ، حين اكون مشردة بلا صدر يضمني اليه بشدة ليعيد الدفاء لجسدي المتجمد " كل هذه الالام في جوفك يا ارجوان ، قلت لها وأنا امسح الدموع المتلاحقة على خديها " لا تعرف قيمة ما لديك حتى تفقده"

ناظرتي بأعينها الدامع فابسمت لها بود استخرج الحب في قلبها ، فبادلتنني الابتسام ما اجمل ابتسامتك يا ارجون ، زوجك هذا لا يقدر الكنز الثمين الذي يحويه منزله ، قلت لها وعيني لم تسقط عن عينيها " سأعطيك تعويذة سحرية لتزيح الآمك المتركمة على كاهلك تكاد تكسره"

اغمضت عينيها بتلغ كل احزانها وضعت جبهتي على جبهتها وقلت لها " ان تعويذتي لا تعمل دون القناعة .. فلتكن القناعة صديق دربك في هذه الحياة ، اجعلي منها الدرع الذي تواجهين به اعطاب الحياة ، تقبلها بصدر رحب وابتسمي في وجهها ، وسايري المركب ولا تمشي عكس التيار ، عندها ستجدي الايام تفصح عما يخبئه القدر لك من سعادة"

ضحكت بشدة فابتعدت عنها وقلت " ماذا بك ، اقلت شيء يضحكك" مسحت ما تعلق بأهدابها المعقوفة من مياه مالحة وقالت " منذ متى وأنت متكلمة ، هذا غريب عنك"

نقرت جبهتها بإصبعي واراهن انها لم تشعر فماذا ستفعل نقرتي بها " منذ زمن يا صغيرة .. منذ زمن "

قالت ترف بامتعاض " لماذا ستلقي عليك تعويذة سحرية وأنا لا اريد واحدة انا ايضا"

قلت لها لانتقم من عصرها لي " لا تعويذات للصغار فقط للكبار " وأخرجت لها لساني استفزها ، فصاحت تريد واحدة فضمتها ارجوان لحضنها وقالت ، كوني فتاة عاقلة وطيبة وعندما تكبرين ستعطيك واحدة"

قالت بيسان بمرح " ولي ايضا .. ولي ايضا " مسحت على شعرها بحنان " وأنت ايضا"

ثم قالت لأمجد الذي التزم الصمت منذ قدومي " وأنت ايضا يا امجد"

فقال بلا مبالاة " لا اريدها ، فلتأخذها انت يا امي"

فقلت بغیظ " اتريني فتحت دكان تعاويذ يا ارجوان ام ماذا؟"

ضحكت ارجوان بشدة ضحكة من قلبها النقي فقالت ترف " لا تقلقي يمكننا الدفع ، فلدينا من المال الكثير"

قبلت جبين ارجوان وودعتها ، وحلقت عاليا في سماء ذلك الفضاء البعيد ، كم انا

اتعاطف معهن جميعهن ، اجعلن قلوبكن قوية لا تهتز اثرا عاصفة قوية فتخلف
ورائها ندم وحسرة وأوجاع لا تحصى ، يبدو هناك من علي زيارتهم ايضاً
الامل ، الصبر ، والقناعة .. الاساس لعقل يُتقن التناغم في عزف الحياة
على كل واحدة منهن ان تتحلى بما ينقصها لتسير في طريق السعادة

مساؤك خير حلوتي.

.. لِأَنَّ الْقَمَرَ فِي شُرْفَتِهَا أَجْمَلُ..

يسعد صباحكم جميعاً بكل حب

أول شيء أحب أوجه شكر كبير للأخوات متابعات

روايتي في المنتدى الآخر الذي تنزل فيه

الفصول بانتظام وهم

Dodah123

Rababe

أراك حلما

ألم الواقع الحزين

نداء الحق

أم سظام

سمراء الجنوب

عذراء سوداء القلب

نواعم

همتي في الثريا

دلع الماسة

خواطر كبرياء

تهاني العسولة

dreamamira

lattof

dodoalbdol

شكرا لكم حبيباتي سعدت جدا بكل كلامكم وتشجيعكم

وشكرا لغاليتي فيتامين سي لأنها أعطتني فرصة

لمعرفة رأيكم بروايتي وبالنسبة للي سألت عن

إذا قرأت لكاتبات ليبيات فما سبق لي وللأسف

وأتمنى أقرأ لهم والي سألت كم فصول الرواية

ما أقدر أحدد لأنني ما كملت كتابتها لحد الآن

وأترككم الآن مع الفصل

الفصل السادس والعشرون

ركضت جهة إسطنبولها وهم خلفي ببنادقهم وقلت

"أقتلوه دون تفكير ولا تردد هذا إن لم يكونوا مجموعة"

وصلنا وأدخل عادل بندقيته من نافذة التهوية وفتحت أنا

الباب بقوة وكان ثمة قوة ما دفعتني لفته قبل أي شيء

لأصرخ فوراً " لا تطلق النار"

لترفع وسن رأسها من بين ذراعيها حيث جالسة

هناك وقال عادل " كدت أفعالها"

نظرت لهم وقلت بأمر " غادروا فوراً "

ثم دخلت ووقفتُ هي على طولها فقلت بحدة

"ماذا تفعلين هنا يا وسن وكدنا نقتلك"

كانت تنظر لي في صمت وعيناها كانتا محمرتان بشدة

ويبدووا بكت لوقت طويل فقلت بذات الحدة ملوحاً بيدي

"كيف تأتي هنا وفي هذا الوقت ماذا لو قتلناك"

قالت بحرقة " أرحم لي يا نواس قتلي أرحم

منك ومن انتقامك"

رميت البندقية وقلت صارخاً فيها بغضب

"كيف أتصرف معك كيف أ.... "

ولم أنهى كلامي بسبب ثوران الوسن المفاجئ كتلك

الليلة حين جرحت نفسها بل أعنف بكثير فتوجهت نحوها

من فوري وأمسكت لجامها بسرعة لأحاول تهدئتها قبل

أن تؤذي نفسها وبدأت بشد اللجام وأنا أقول بصوت مرتفع

"توقفي يا الوسن لن أؤذيها توقفي"

ولكن عبثاً أحاول فالتفت نصف التفاتة حيث وسن تنظر

لها بصدمة وقلت ماداً يدي لها " تعالي يا وسن بسرعة"

بقيت مكانها ونظرها فقط تحول لي فمددت يدي أكثر وقلت

"تعالى بسرعة لتهدئ"

اقتربت منى ببطء ونظرها على الوسن فأمسكت يدها

وسحبتها نحوي وضممت كتفيها بذراعي والأخرى

أحاول بها تهدئة الوسن وأنا أقول " توقفي لن أؤذيها

قلت لك ، أرجوك يا الوسن ستؤدين نفسك"

بدأت تخف حركتها وهيجانها فأمسكت رأس وسن بيدي

وضممته لصدري ودسست وجهها فيه وأنا أردد بهدوء

"انتهى كل شيء لن أصرخ بها هيا اهدي"

خفت حينها حركتها أكثر سوا من صوت زفيرها وحركة

بسيطة لحوافرها على الأرض لأنتبه حينها فقط للجسد الذي

يرتجف من البكاء والخوف في حضني فرميت لجام الوسن

وحضنتها بكلتا ذراعي وقلت بهدوء " توقفي عن البكاء يا

وسن ولا تخافي منها فكل ما فعلته من أجلك"

لكن بكائها وارتجافها لم يخف فبقيت لوقت أمسح على

ظهرها في صمت لتهدأ حتى خف بكائها وابتعدت عني

ببطء وغادرت الإسطبل راکضة دون أي كلام فاتكأت

بيدي على باب الحظيرة أنظر للأرض بصمت حتى عادت

حوافر الوسن للتحرك ببطء فرفعت رأسي ومددت يدي لها

ومسحت على وجهها حتى قربته مني فقبلته وقلت بهمس

"أحبها يا الوسن أقسم أنني أحبها وأكثر من السابق فقط اهدي"

دست حينها وجهها في حضني كعادتها سابقا فمسحت على

عنقها وقلت بابتسامة حزينة " هكذا إذا تزورك هنا ... لهذا

لم تعودي تطيقيني ولا تعترفين بي ، لما أنتي هكذا ظالمة"

رفعت رأسها وحركته فمسحت على أسفل فكها رافعا رأسي أنظر

لها وقلت " تزوجتها وانتهى ولن تكون لغيري ما دمت حيا"

عادت برأسها للأسفل فلعبت بشعرها بين أصابعي وقلت

"يسعدك هذا الخبر بالتأكيد لكنه لن يسعدها ولن

يكون خيرا على كلينا يا الوسن"

قضيت وقتا معها حتى هدئت تماما ثم خرجت وأغلقت

باب الإسطبل وتوجهت للمنزل ونظرت لساعتي وأنا أصعد

الدرجات فكانت الثالثة بعد منتصف الليل ، دخلت وصعدت

السلام لأفاجئ بوسن واقفة عند بداية الممر المؤدي لممر

غرفتها وكأنها تنتظرني من وقت ، كانت تنظر لي بصمت
وسكينة غريبة لأصبح مثلها تتبادل النظرات وكأننا جداران
من هذه الجدران ، كنت أنظر لها بشكل مختلف هذه المرة
كشيء يحل لي ويحق لي أفعل به ما أشاء ، أراها كزوجة
نعم شعور مختلف جدا رغم كل تراكمات السنين رغم الألم
والجراح أراها بشعور مختلف تماما أما هي فكانت تنظر لي
باستفهام أو استغراب أو لا أعلم ما يكون غير أنها ليست
كنظرتي لها وكأنها تنتظر أن أقول شيئا حتى خرجت من
صمتها قائلة " ماذا فعلت"
بقيت أنظر لها باستغراب فلم أفهم ما تعني بالتحديد حتى
تابعت قائلة " لما لم تجب على اتصالاتي"
نعم فهمت الآن لما تسأل وعن ماذا ، قلت ببرود مغادرا
جهة ممر غرفتي " منذ الغد سنتنقلين للطابق السفلي"
بما أنه وليد أخبرني أنه سيخرج فجرا من هنا ووافق أن
أبني له ضمن المخطط ملحقا هنا فسيخرج مؤقتا حتى
ذاك الوقت ، أوقفني صوتها قائلة " لا أريد وسأخرج من

هنا يا نواس وطلقتي منه فورا كان من يكون"

وقفت دون أن أستدير لها وقلت " وسن دعي باقي هذه الليلة

يمر على خير و صباحا سنتقلين للأسفل ولن تخرجي"

قالت بحدة " لن أبقى لك لا أريد لقد دمرتني بما يكفي وما يزال

انتقامك لم ينتهي بعد ، أي قلب هذا الذي تحمل بين ضلوعك"

ضغطت قبضة يداي بقوة وقلت من بين أسناني " وسن اتركيني

في صمتي لأن كلامي لن يعجبك وإن خطت قدماك خارج

المنزل ستري نواس جديد لم تعرفيه بعد"

ثم غادرت وتركتها لأنها أنهت الكلام عند هنا ، هذا ولم تعلم

بزواجي بها فكيف سيكون الوضع حينها ، وصلت لممر

غرفتي لأجد مي واقفة عند باب غرفتها وقالت ما أن

رأيتي " أين كنت يا نواس لقد شغلتنني عليك"

قلت ونظري للأرض مجتازا لها " تزوجتها"

قالت قبل أن أدخل غرفتي " خيرا فعلت"

نظرت لها وأنا أمام الباب ثم فتحت مقبضه وقلت وأنا

أدخل " أتمنى ذلك رغم أنني لا أتوقعه"

*

عدت جهة غرفتي وفتحت الخزانة وبدأت بإخراج ثيابي ولا
أعلم أين أذهب أو فيما أفكر وأين سيكون المفر فإن زوجني
به فسيعيدني له هنا ، لا مكان لي إلا شقة والدي لكنه سيبحث
عني هناك أولا وسيجدني فهو يملك المفتاح ، رميت الثياب من
يدي بقوة فلن أتمكن حتى من الخروج من هنا فكيف سأجتاز باب
المزرعة ، جلست بعدها على الأرض وبدأت بتمزيق جميع قمصان
النوم والبيجامات الحريرية وكأني أفرغ غضبي فيها وأمزق حزني
وسنيني ومأساتي ، كل ما مررت به في كفة وهذه الليلة في كفة
لوحدها أقسم أنني تعبت ... تعبت ولم تعد لدي أي طاقة للاحتمال
انهرت بعدها باكية ونمت فوق الثياب الممزقة أبكي كل شيء
حتى هم ولم أشعر بنفسي إلا وضوء الشمس يتسلل لعيناي
ففتحتهما لأجد نفسي نائمة على الأرض مكاني فغطيتهما
بكف يدي من قوة ضوء النهار المتسلل من النافذة المفتوحة
ثم جلست أنظر باستغراب للحاف الذي يغطي جسدي ثم
نظرت لباب الغرفة المفتوح وأنا متأكدة من أنني أغلقتة
هل راضية زارتني هنا يا ترى !! وقفت بعدها بصعوبة

بسبب نومتِ القاسية لأبدأ بجمع الفوضى التي أحدثتها
فوقفت مصدومة قبل أن أبدأ وأنا أرى السوار الذهبي الملتف
حول معصمي فعدلت وقفتي أنظر له باستغراب وأقلب يدي
في كل اتجاه لأفهم ما يجري وما سبب وجوده ، ثم أمسكت
بيدي الأخرى ورقة الشجر المتدلّية من أسفله وقلبتها أنظر
لها بتركيز اسمي نعم هذا اسمي منقوش فيها وكان تحته
تاريخ يعود لأكثر من عامين من الآن ، انفتحت عيناى من
الصدمة حين أدركت أن هذا التاريخ كان موعد زواجنا أنا
ونواس قبل أن تحدث كل تلك الأمور التي ألغته ، ما الذي
يجري هنا وما معنى كل هذا ! لم آخذ وقتا في التفكير أو لم
أجد له وقتا لأنى رفعت نظري للذي وقف أمام باب الغرفة
حينها ينظر لي بصمت ويدي لازالت تمسك الورقة الذهبية
في السلسال وملايين الأسئلة تجول في خاطري وعجز لساني
عن قول شيء وخطواته تقترب منى حتى أصبح أمامي مباشرة
وما أن فتحت فمي لأتحدث حتى تراجعته وأنا أرى يده تمتد
لحجابي الذي لازال على رأسي منذ البارحة ، شلّنتى الصدمة

وأنا أتابع حركة يده وهو يزيله عن شعري ثم رماه على السرير
بطول يده وعيناه في عياني أنظر له بحيرة وبصدمة أتقل بنظري

بين عينيه العسلتان أحاول ترجمة ما بات يتضح شيئا فشيئا
ويرفض عقلي تصديقه وما أن عاودت الكره وأبعدت شففتاي

لأتحدث حتى تبعثرت الكلمات حين حضن وجهي بكفيه يخلل

أصابه في شعري ويقرب وجهي إليه ببطء وأنا كالجثة مات

كل شيء بي إلا شففتاي التي ارتجفت بقوة حين أصبحت في

برائن خشونة شفثيه وكأن ثمة من أرسله لهما تحديدا ليصهرني

وينهي الأكسجين ليس من رنتي فقط بل من العالم بأكمله حولي

وهو يزيد من جنون تلك القبلة المنهكة للروح والحواس وكأنه

يفرغ كل الماضي فيها وأصابه المنغرس في شعري تشد

وجهي له بقوة لتخرج شهقتي الموجهة وتنساب دمعتي التي

فهمت أخيرا فظاعة هذا الواقع ومعنى ما يجري الآن فارتخت

يداه حينها وأبعد شفثيه ببطء يتنفس بقوة تعلو معها تفاصيل

صدره العريض وتنزل بتسارع ونظره عاد ليعلق بعيني

الدامعة ثم سرعان ما أبعده يديه ودار بظهره للوراء وقال

متوجها جهة الباب " غرفتك في الأسفل جاهزة

وستنزل راضية أغراضك لها"

أغمضت عيناى بقوة لتختفي صورته من أمامي ولم يبق

سوا عطره ودمعتي ، طيف ذكرى ما حدث وارتجاف شففتاي

كان الموقف أقوى مني وأقوى من أن أستوعبه فنزلت على

الأرض مستندة بيدي عليها ورأسي للأسفل وعدت لبكاء

البارحة المجنون ليصلي صوته من عند الباب قائلا

بأسى " توقي عن البكاء يا وسن توقي"

جلست وقلت بحرقة وأنا أرمي الثياب بعنف " أكرهك يا

نواس أكرهك هل تسمع أكرهك أكثر من أي شيء"

ثم نثرت كل ما كان حولي وقلت بألم " لماذا يا خالتي لماذا

هوا لا يريدني ، أبنيك لا يريدني يا خالتي لقد دمرتني"

*

*

وقفت بالمقربة من المطبخ وناديت " راضية"

فوصلني صوتها قائلة " قلت لك لا أريد أن أراك فغادر"

قلت بابتسامة " لكني أريد رؤيتك قبل أن أغادر"

لم تجب فاقتربت من الباب فكانت تقف عند المغسلة
تغسل الخضار وتمسح دموعها في نفس الوقت فاتكأت
على الباب وقلت بابتسامة حزينة " روضة لا تلوميني أنا
اعتدت وجودك أكثر منك وسأكون هنا كلها شهور فقط"
قالت بضيق دون أن تنظر لي " كان لي ثلاث أخوة أصغر
مني وأصبحوا اثنين ، لو كنت فقط بقيت ولو من أجل
نواس الذي يترجك وكأنه يعمل عندك وليس العكس"
قلت بابتسامة " هكذا إذا غاضبة من أجل نواس
وأنا ظننته من أجلي"
نزل حينها نواس من السلالم بخطوات ثقيلة وملامح
غاضبة وهذا هوا مستقبله زوج الاثنتين ، خرج دون
حتى أن ينظر ناحيتي فنظرت جهة راضية وقلت
"نواس تزوج من ابنة خالته البارحة وبالتأكيد
لن يتركها في الطابق مع مي"

نظرت لي بصدمة وقالت " تزوج بمن" !!

نظرت للأرض وتنهدت وقلت " نواس كان خاطبا ابنة
خالته لأربع سنوات ثم حدثت ظروف منذ عامين منعت

ذاك الزواج وهو على وشك أن يتم والآن تزوجها ولم يعد
بقائي يقبله لا منطق ولا عقل يكفي أنني طوال الفترة الماضية
أحرم مي من أخذ حريتها هنا وأحرم ابنة خالته من النزول"

تنهدت ومسحت دموعها وعادت لما تفعل فقلت بعد

تردد " راضية أريد رؤية مي هلا ناديتها لي"

أعلم أنه لا مكان لهذا من الصحة لكني لم أعد أستطيع

تمالك نفسي ، هي الأخيرة قبل أن أحرم رؤيتها ما حييت

خرجت في صمت وصعدت السلالم وغابت لوقت

*

*

كان اليوم قاسيا على الجميع على ما يبدو فالبارحة لم

يغمض لي جفن أفكر في مستقبلي ووسن هنا وفي وليد الذي

سيستل أحشائي ويغادر بها ، ولم يكن غيري أفضل حالا مني

على ما يبدو ... من نواس الذي قضى باقي الليل بين غرفته

وممر غرفة وسن يزوره كل حين وتلك التي لا أعلم البارحة

ما بها واليوم ما أصبحت عليه ، قضيت ساعات أبكي ولا أعلم

من أبكي بالتحديد وكلها أنا العامل المشترك فيها فإن تذكرت

وليد بكيت حضي العاثر وحالي بعد رحيله وإن هربت منه
وفكرت في نواس بكيت تعثر حالي معه وتعثره بي مسئولية
ملقاة على عاتقه إن أحب أو كره وإن فكرت في وسن بكيت
على وجودي كالشوكة في حلقومها وأقسم أنه أسوء المواقف
تهدت بأسى واستغفرت الله ومسحت دموعي للمرة لا أعرف
كم تكون من كثرتهم على صوت طرقات على الباب فوقفت
من فوري أنظر للباب بصدمة ، لا بد وأنها راضية ولا عذر
لي هذه المرة وأستغرب صعودها هذا الوقت المبكر ، فتحت
لها الباب فنظرت لي مطولا حتى أخفضت بصري وقالت
" أعلم أن زواج الزوج بأخرى أمر قاتل أكثر من كونه جارح
لكن هذا قدرك يا مي ونواس لن يظلمك تأكدي من ذلك"
ابتسمت بألم وقلت " شكرا لك يا راضية أنا أفهم ذلك جيدا"
قالت مغادرة " ولید طلب منی أن أنادیک هوا ينتظرك في الأسفل"
تبعته بنظراتي المصدومة وهي تبتعد وتمنيت أن بقت قليلا
لتعيد ما قالت فأنا لم أستوعب بعد كلامها وكأني فهمت ما
قالت بشكل خاطئ أو خيل لي ذلك وهو غير صحيح ، بعد

قليل تحركت من مكاني ولبست حجابي ونزلت لأكمل باقي
مأساتي وأودع من هربت من رؤيته لوقت لأعتاد غيابه
وصلت للأسفل وكان هوا جهة باب المطبخ منشغل بالتحدث
مع راضية ووقعت عيناى على حقائبه عند الباب فأمسكت
دموعي بشق الأنف وأقتربت منه بخطوات بطيئة وعيناى
لا تفارق ملامحه حتى وصلت وانتبه لقدمي فهربت بنظري
فورا للأرض فقال مباشرة " أنا آسف يا مي أردت فقط
توديعك قبل ذهابي وإن احتجت شيء لا تترددي أبدا في
طلبه مني رقم هاتفي لدى راضية"
لم أتحدث بل لم أستطع قول شيء لأن حلقي كان يحترق
كالنار من إمساك دموعي فقال " مي"
رفعت نظري له لتتحول نظرتة للاستغراب عاقدا حاجبيه
فأبعدت وجهي جانبا بسرعة فقال بنبرة غريبة يشوبها الحزن
"مي لن يظلمك نواس وإن تزوج بثلاث وليس واحدة
أعلم أن زواجه المفاجئ كان قاسيا عليك لكنه له ظروفه
التي تحكمت به ولا تنسي ما قلت لك لا تتركي أحد يهينك
وينزل من كرامتك فقط اتصلي بي وسأتصرف في الأمر"

ابتسمت بألم على الواقع الذي لو يعلمه لحرار يبكي أم يضحك
لو يعلم أن دموعي لم تنزل إلا بسبب فراقه وحالي المأساوي
لما كان هذا كلامه ، رأيت خطواته تبتعد وكأنه يسير على

قلبي ويمزقه فتبعته دون شعور مني منادية " وليد"

فالتفت لي وهو عند حقائبه ووقفت أمامه أنظر لعينييه

بضياع ثم قلت " لما لم تخبرني سابقا بأمر خطبتك لي"

ضاعت حدقتاه بين عيناوي وكأنه صدم من كلامي أو لم

يتوقعه فأنزلت رأسي وتابعت لأن ما حدث حدث وتكلمت

فالأكمل ليرتاح قلبي ، تخرج صوتي وهو يخرج قائلة

"لما لم ترجع لخطبتي بعد الحادثة وأنت لم تصدق ما قيل"

قال بعد صمت " ما مناسبة هذا الكلام يا مي"

رفعت نظري له مصدومة ولم أعرف ما أقول فمعه حق

أنا في نظره الآن زوجة صديقه فلما السؤال عما فات

أبعدت نظري وقلت " أردت أن أعلم فقط"

رفع حقائبه وقال " لن أستطيع فتح قلبي لك يا مي وأتمنى

لك السعادة فنواس رجل يثقل بالذهب ويستحق مشاعرك نحوه"

ثم غادر هكذا بكل بساطة وتركني أتلاطم مع مشاعري

ليته بإمكانني أنا فتح قلبي لك يا وليد لتعلم أنني أيضا

أحبك ومن سنين طوال لا يعلمها أحد ولا حتى أنت وكل

ما أخشاه أن أقف موقف وسن وأراك تتزوج بغيري

*

*

بعدهما أفرغت باقي غضبي في بقايا الثياب توجهت للسير

وارتميت عليه أبكي بحرقة وأتذكر كلماته حين قال

(لولا وعدي لوالدتي ما زوجتك به)

(حررتني من وعدي لها وأزوجك بسليمان)

(سأزوجك به الليلة لننتهي من هذه المهزلة)

تكورت على نفسي أشد بذراعاي على معدتي بقوة من الألم

وأنا أفكر فقط في أنه تزوجني من أجل وعد بينه ووالدته

فقط لأنها أخذت منه عهدا بذلك وهي تموت وإلا ما كان

تزوجني ، يكفي وجعي أنني الزوجة الثانية ليزيده هذا

تخيلت كل شيء إلا أن يكون هو ذاك الزوج فلو كنت

أعلم لما طلبت منه فعلها وبقيت حياتي بلا زواج فكرامتي

فوق حبي له وفوق كل شيء فليس وحده يملك كرامة يحسب

لها ألف حساب , ليته زوجني بذاك ولو كنت سأعيش معه

هنا ، كان سيكون أرحم من هدر كرامتي هكذا وأرحم منه

جلست بصعوبة وأمسكت علبة الحبوب وأخرجت منها واحدة

هذا المسكن قوي ولم أستعمله سابقا لكني سأموت إن لم يخف

هذا الألم ولو قليلا ، بعد وقت دخل عليا أحدهم الغرفة وأنا

نائمة على السرير أخفي وجهي في ذراعي ووصلني

صوت راضية قائلة " وسن"

قلت دون أن أرفع رأسي " نعم"

قالت وهي تتحرك في الغرفة ويبدووا تجمع أشلاء الثياب

"سأنقل أغراضك لغرفتك في الأسفل ، هي الغرفة الأخيرة

في الممر فالأولى سينزلون لها مكتب نواس"

لا اعلم لما مكتبه ملتصق بي دائما من أخبره أنني مكتبة أو

أنني سأهرب منه ثم كيف تكون غرفة بجوار مكتب قد يدخله

أي أحد من أصدقائه أو زائريه من تجار الخيول ، قالت

وهي تغادر " سأرمي هذه وأعود لأنزل ثيابك وكتبك"

جلست بعدها وجمعت شعري وأمسكته بمشبك لتتساقط

خصلاته من جانبيه فدسستها وراء أذني على صوت رنين
هاتفي فنظرت للمتصل فكانت ملاك فتركته ودخلت الحمام
غسلت وجهي مرارا وتكرارا وكأني أوقظ نفسي مما أنا فيه
ثم نشفته بالمنشفة وخرجت ووجدت راضية عند الخزانة
تخرج الثياب فقلت " وأين صديق نواس الذي يعيش في الأسفل"
قالت وهي منشغلة بما تفعل " ترك المنزل منذ الفجر ولم
يعد هنا أحد غيرنا والرجل الوحيد هو زوجك"
شعرت بلكمة قوية ضربت قلبي من كلمتها ، أنا زوجته
نعم ونواس زوجي يالا السخرية ، كم تمنيت هذا الأمر
وحلمت به وكم تمنيت تلك القبلة الأولى منه وانتظرتها
ولم أتخيلها هكذا وبذاك الشكل وذاك الوجد وأن تكون
مختلطة بالدموع فلم أشعر حينها بشيء سوا أنني أختنق
هزرت رأسي بقوة وتوجهت جهة هاتفني الذي عاد يرن
بإصرار ورفعته وأجبت قائلة بضيق " ملاك يالك من
مزعجة لو أردت أن أجيب لأجبت من أول مرة ، لن آتي
اليوم ولا الغد ولا أعلم متى وليئه يصلك خبر موتي قبلي"

جاء حينها صوت رجولي قائلاً " انزلي لغرفتك ولا

تخرجي العمال سيصعدون بعد قليل"

ثم أغلق الخط فأبعدت الهاتف عن أذني أنظر له بصدمة

يالبي من غبية فكرت أنها هي وأجبت دون حتى أن أنتبه للاسم

تأففت وحملت بعض الأغراض مع راضية وغادرت الغرفة

ونزلت للأسفل وأوصلتني حيث قالت أنها غرفتي وفتحت

الباب ودخلت قبلي قائلة " سأنزل البقية وأرتبها

لا تتعبي نفسك بها"

لم أجبها لأن نظري كان معلقا بالسريير الواسع المعد

لشخصين ، أين سافر به خياله ذاك المغفل لن ينام معي

هنا ولو ذبحني ولا أعتقد أنه يفكر بها وقد يكون هذا تمويه

فقط لمن اشترى الغرفة ووضعها هنا فقد يكون صديقه ذاك

جلبت راضية باقي أغراضي وأصررت عليها أن أرتبها

بنفسي وقضيت باقي اليوم في غرفتي لم أخرج منها أبدا بل

ولم أترك سرييري هربا من ماذا لا أعلم ومؤكدا من واقعي

*

*

وقفت أراقبهم من بعيد فشعرت بيد على كتفي وقال صاحبها

دون أن أنظر إليه " هل كل هذا حزن على فراق وليد

سيكون هنا كل يوم أم أنك غاضب منه"

نظرت للأسفل وقلت " لا هذه ولا تلك"

ربت على كتفي مرتين ثم ابتعدت في صمت وكأنه يتعمد

عدم التدخل ، لا أعلم إن كان صحيحا ما فعلته أم لا ؟ ما

أعرفه أنه لن يجلب سوا مزيدا من المتاعب وأولهم ما أنا

فيه الآن ولا أعلم سببه هل كلمات الكره التي قتلنتي بها أم

تلك القبلة الغبية التي لا أعلم كيف فقدت عقلي وفعلتها

فما أن رأيتها أمامي تنظر لي بصمت وأبعدت شفيتها حتى

سقطت كل حصوني ولم يعد لي مطلب إلا تلك الشفتين ولولا

شهقتها تلك ما كنت تركتها قبل أن أروي عطش السنين جميعها

أخرجني رنين الهاتف من أفكاري وخيرا فعل ، نظرت للمتصل

فكان جواد فأجبت من فوري وقال " هل أفك الحصار

أم ليس بعد ، شقيقتها ستأكلني حيا"

قلت بابتسامة جانبية " اتركها تكلمها لقد انتهى كل شيء"

قال بما يقارب الهمس " تزوجتها" !!

عدت بنظري للأرض وقلت ببرود " نعم البارحة"

قال بعد صمت " وما كانت ردة فعلها"

رفعت رأسي وشردت بنظري للبعيد وابتسمت بسخرية

وقلت " ما ستكون برأيك ، أخف ما فعلته أن قالت لي

بأنها تكرهني أكثر من أي شيء"

تهجد وقال " ظننت أن هذا سيحسن الأمور لا أن يعقدها"

قلت بهدوء " كيف يحسنها وهي تراني تزوجتها

من أجل وعدي لوالدتي"

قال من فوره " والحقيقة يا نواس ؟؟"

أخفضت رأسي مجددا وأغمضت عيني وقلت بحسرة

"لعن الله الحب يا جواد فأن تحبها كل سنين حياتك

شيء وأن تكون ملكا لك بين يديك وبعيدة عنك شيء

آخر أقسى من الموت البطيء"

قال بهدوء " توقف عن تعذيب نفسك يا نواس وجدا

حلا لما بينكما كي تستطيعا العيش معا باقي

حياتك ولا تنتهيا للطلاق"

قلت ببرود " لن أطلقها مهما فعلت فلتبقى هكذا حتى

تضع عقلها في رأسها لتعرف كيف نحل مشاكلنا"

قال " ماذا عن مي ماذا كانت ردة فعلها"

ابتسمت بألم وقلت " مي أكثر من يشعر بي وأكثر من

يشغلني يا جواد فهي التي ظلمتها في كل هذا ولن

يرتاح لي بال حتى ترتاح هي"

تنهد وقال " لا أفهمك يا نواس ، ما تقصد بهذا"

ابتعدت عن هناك قائلا " لا تشغل بالك كثيرا

وداعا الآن عليا المغادرة"

قال " وداعا وسأرسل لك رقم الطبيب الذي

حدثتك عنه من أجل وسن"

قلت " أجل وبسرعة لأنني رأيت نوعا جديدا من

المسكن لديها وأقوى من السابق بكثير"

قال " حسنا وداعا"

دخلت المنزل وتوجهت لمكتبي لأخذ الأوراق من هناك

فتوقفت حين وجدت وسن تقف متكئة بجدار الممر تحمل

كوبا في يدها ولا أفهم سبب وقوفها هنا وسبب ما في يدها

أخفضت نظرها عني ودست خصلات شعرها الأسود خلف
أذنها وأنا عيناى ماتت هناك وكأني أراها للمرة الأولى بل
وكأن لا أحد قبلى عشق وأحب وتزوج ، لم تعد لي أي سيطرة
عليهما وهما تحديقان فيها ونظرها للأسفل ملتصقة بكتفها على
الجدار تحرك يدها التي تمسك بها الكوب وأنا ارسم بنظري
أدق تفاصيلها وأنسى كل ما قالته ، كل تلك الشتائم وعبارات
الكره التي قالتها تبخرت من ذاكرتي وكأنها أمامي وسن أخرى
لم يخرج كل ذاك من شفيتها وأكبر دليل الكلمات التي خرجت
مني دون أذن قانلا بقلق " وسن هل تشعرين بشيء؟"
اتكأت برأسها على الجدار ونظرها لا زال للأسفل
وقالت بعدما أمالت ابتسامة مية على شفيتها
"نعم أشعر بقلبي يموت والسبب أنت"
قبضت على يدي بقوة وأشحت بوجهي جانباً كي لا تتغير
تلك الصورة في عيناى فبقدر ما كانت تلك رائعة هذه
جارحة ومعذبة ، قلت ونظري بعيد عنها " أطوي
الصفحات يا وسن فتقليبها لن ينفع في شيء"
وصلني صوتها قائلة بسخرية " هنيئا لك يا ابن خالتي أنت

المنتصر دائما وأنا الخاسرة ، لو لم يكن الله من يرسم لنا

أقدارنا لقلت أن من فعل كل هذا ليس بعاذل أبدا"

رفعت نظري لها مجددا فكانت على حالها متكئة على الجدار

بكتفها ورأسها ، وفقط يدها أنزلتها للأسفل تمسك طرف الكوب

الفارغ بإصبعين من أصابعها وتحركه للأمام والخلف ، كم

عشقت كل حياتي حركاتها الطفولية هذه وكم كنت أراقب

كل تصرفاتها حين أزورهم أو تزورنا وأعشق أن أوزع

تصرفاتها ... هذا لحبيبي وسن الطفلة وهذه لحبيبي وسن

المرأة وأصبحت هناك ثالثة الآن وهي وسن الحاقدة ، وها

هوا ذا التصرف لوسن حبيبي الطفلة ، توجهت نحوها ووقفت

أمامها مباشرة واتكأت مثلها على الجدار بكتفي ورأسي وقلت

ونظري عليها " لبيتك لا تفارقيها ... لبيتك تبقين أنتي ولا

تتحكم تلك الجديدة بها"

رفعت حينها نظرها لي باستغراب فأبعدت رأسي عن الجدار

وأبعدت نظري عنها أنظر للفراغ خلفها وقلت بابتسامة حزينة

"أعشقها يا وسن لبيتك تعلمين كم يكون ذلك وظننتها

ماتت من سنوات لكني اكتشفت أنني أخطأت"

ثم عدت بنظري لها فكانت نظرات الاستفهام لديها زادت

فعدت متكأ برأسي على الجدار ومددت أصابعي للخصلة

التي تمررت على وجهها من جديد ودسستها خلف أذنها

وقلت ونظري على يدي " فشلت في أن أحيي تلك وأحافظ

عليها وفي أن أقتل هذه ولو في داخلي نعم

فشلت وأنتي السبب يا وسن"

أوقعت حينها الكوب من يدها ورفعته ليدي وأبعدتها

عنها وقالت " لم أفهم من هديانك شيء لكن ما أفهمه

جيذا كلامك السابق عن أنه لولا عهدك لوالدتك ما تزوجتني

وأعلم أنك لن تفكر في أن تعتذر عما قلت ولا تفكر في ذلك

يوما لأن اعتذارات العالم كلها ما كانت ستكفي وتجعلني

أنساها ، ليته فقط تبرد نارك المشتعلة مني من أكثر من

عامين لعلك ترحمني ولو من وجودك بقربي"

ابتعدت حينها عن الجدار وقلت متوجها جهة مكثبي

"ليتك أنتي فقط تتوقفين عن قول الحماقات يا وسن"

ثم دخلته وأغلقت الباب خلفي كي أبتعد عنها ولا أتهور كالمرّة

السابقة ونستمر هكذا هي تهديني الكلام المسموم وأنا أقابله

بالقبلات المتلهفة المتعطشة وكأني أكافئها على إهانتني

*

*

دخل مكتبه وأغلقه خلفه ليتركني ككل مرة بقايا من جراح

انفتحت من جديد وهي لم تلتئم بعد ، نزلت للأرض ورفعت

الكوب وتوجهت للمطبخ لأنني كنت ذاهبة إليه ورجعت حين

رأيته يقترب من بعيد ووقفت أنتظره ظنا مني أنه سيصعد

للأعلى وليس سيأتي هنا ويجدني ، وضعت الكوب هناك

وعدت لغرفتي ولم أغيرها حتى المساء حين طرق

أحدهم باب الغرفة وفتحه وهي راضية بالتأكيد وقالت

"وسن العشاء جاهز"

قلت معطية ظهري لها " لا رغبة لي شكرا"

قالت " أنتي لم تأكلي شيئا اليوم بطوله لن ينفعك أحد

إن ضاعت صحتك"

قلت بهدوء " إن رغبت شيئا سأكل وحدي تأكدي"

لم تضف شيئا وأغلقت الباب وغادرت وما هي إلا لحظات

وانفتح الباب دون طرق هذه المرة ووصلني صوت نواس

قائلا " وسن أخرجي لتناول العشاء"

لم أجب فتأفف وقال " توقفي عن التصرف كالأطفال

ما تريدينه وفعلته ماذا بقي بعد"

شددت اللحاف على جسدي وقلت ببرود " لو علمت به ما

تركته فعلته فلا تعتقد أنك تجرحني لأنه لم يعد يؤثر بي"

قال بحزم " وسن تخرجي الآن أو قسما أخرجتك بنفسي"

جلست وقلت بحدة " هل الطعام أيضا بالإكراه

لا رغبة لي قلت لكم"

قال بغضب " لا ترفعي صوتك علي يا وسن

واحترميني كزوج على الأقل"

رميت اللحاف من علي وقلت بسخرية وأنا أغادر السرير

"نعم هذا المكسب الوحيد لك من هذا جملة احترميني فأنا زوجك"

غادر أمامي يستغفر ويتأفف فأبعدت خصلات شعري عن وجهي

وعدلت البيجامة الحريرية على جسدي بل نفستها نفضا بتأفف

وخرجت حيث طاولة الطعام وما أن دخلت حتى وقع نظري

في نظره جالسا هناك وزوجته بجواره فأبعد كل واحد منا
نظره عن الآخر واقتربت ببطء وأخذت طبقا لي وجلست
في أبعاد كرسي عنهما أتجنب النظر ليس له فقط بل لزوجته
أكثر منه ، جلست أبعاد خصلات شعري خلف أذني وأغلقت
زر البيجامة الذي اكتشفت انه كان مفتوحا ، حركت الأرز
بالمعلقة لوقت ثم تناولت لقمتين وبقيت أمضغ كل واحدة منهما
حتى تفتت في فمي وقال نواس " عصام متى قال سيأتي"
رفعت نظري جهته فكان ينظر لطعامه ومي تنظر له
وقالت " في الغد ولن تدركه لأنه سيأتي وقت ذهابك"
عدت بنظري لطبقي وقال " أخبريه يوجلها قليلا
أريد أن أكون هنا"
قالت بهدوء " سيعذر انشغالك وتتقابلا في وقت آخر"
قال من فوره " عليا أن أكون في استقبال أهلك يكفي
لا أهل لي أستقبلهم ومن بقي منهم يكرهني"
نعم جرحتك كلماتي وتنسى كلامك المسموم الذي تجرحني
به كل وقت ، إن كان ثمة من يحق له كرهك فهوا أنا
وليته يكون ذلك فسأدفع عمري ثمنا لمن يجعلني أكرهك

وضعت مي الملعقة ووقفت مغادرة من أمامي وأنا أتبعها
بنظري ، غريب أمرها وكأنه ليس زوجها وتزوج عليها اليوم
تتكلم معه بأريحية وكأن شيء لم يكن !! وأستغرب أكثر من
ملابسها فهي لا ترتدي إلا ملابس محتشمة رغم أنه لم يعد
أحد هنا ولا حتى قريبها ذاك ونادرا ما ترتدي كمان قصيران
يصلا للمرفقين ودائما ملابسها فساتين طويلة ، نظرت
لصحني ورميت كل تلك الأفكار من رأسي فلم يبقى سوا
أن أفكر في ملابسها فقد يكون ذوقها هكذا المهم أنني
تحررت من الحجاب والملابس الطويلة وهذا المكسب
الوحيد من هذا الزواج الكارثي ، لا أصدق أنني صرت
زوجته لما لا أشعر بالسعادة ! هه وياله من سؤال غبي كيف
سأسعد وهوا تزوجني من أجل وعد قطعه لوالدته ولكي يريح
رأسه من كلامي كما يقول ونهايتها يتبجح علي بأني أنا من
أراد هذا وطلبه ، بقي أن يقول أنني ترجيته ليتزوج بي

"كلي جيدا"

رفعت نظري لصوته الذي أخرجني من أفكاري وكان ينظر
لصحنه ويأكل ثم تابع دون أن ينظر لي " لن تقومي حتى

تأكلي جيدا فتلكم الملعقتين لن تخدعي بهما إلا نفسك"

تأففت بصوت مسموع ثم قلت " راقب زوجتك واطركني وشائي"

رفع كوب العصير وشرب منه ثم قال وهو يعيده مكانه

"وما الذي كنت أفعله برأيك ... أراقب زوجتي كما تقولين"

قلت بضيق " نواس ما تريده بكل هذا"

عاد لتناول الأرز وقال ببرود " كم بقي على تخرجك"

أكلت الملاعق متتالية ثم رميت الملعقة ووقفت وقلت

"إن كان ما تفعله لآكل فما قد فعلت وإن كان من

أجل أمر آخر فأجله للغد رجاء"

ثم قلت مغادرة " ولا أعتقد أن أمر دراستي بات

يعنيك يا زوجي العزيز"

ثم توجهت للغرفة ودخلت وأغلقت الباب بعدي بقوة

على صوت رنين هاتفه ولا بد وأنها ملاك هذه المرة

توجهت ناحيته وحملته وتأكدت من الاسم فسأحرم تكرارها

مجددا ، أجبت عليها فقالت مباشرة " وسن ما بك تحبين

إقلاقي عليك ، لو لم تجيبي كنت سأزورك في المزرعة غدا"

قلت بسخرية " نعم تحججي ، كله لتري حبيب القلب"

ضحكت وقالت " يالا سخافتك لم أفكر بها مطلقا"

ثم تابعت بقلق " شغلتنني عليك مآبك وما به صوتك

هكذا وكأنك مغصوصة بحجر"

ابتسمت بحزن وقلت " ليته كان حجرا بل هي

شوكة مشتعلة يا ملاك"

قالت من فورها " ما بك وسن ماذا حدث"

قلت بحسرة " تزوجت يا ملاك هل تصدقي"

قالت بدهشة " كيف ومتى ومن" !!!!

جلست على السرير وقلت " كيف لا أعلم ومتى آخر

ليلة البارحة ومن ... هذا ما يكسر ظهري"

سكتت لوقت ثم قالت " هل زوّجك بعجوز "

ابتسمت بألم وقلت " كان أرحم لي"

تأففت وقالت " وسن تكلمي بوضوح أو قولني أنها مزحة"

تنهدت وقلت " تزوجته هوا"

شهقت بقوة حتى ظننتها ماتت ثم قالت " نواس تزوجك"

قلت ببرود " نعم"

انفجرت ضاحكة فقلت بضيق " نعم أضحكي هذا

ما أنتظره منك ، الحق علي حكيت لك"

قالت " يالا المفاجآت وأخيرا تزوجتما ياله من خبر سار"

قلت بحدة " ملاك ما أسخفك لم يكن الأمر إلا من أجل وعد

قطعه لوالدته وكان يماطل طوال الوقت كي لا يفعلها وأنا

من غبائي أضنه شخص آخر وألح عليه أن

يزوجني به لأبتعد عن هنا"

ضحكت وقالت " أقسم أن هذا تعجز أمامه حتى الأفلام

والمسلسلات تطلبين منه أن يزوجك لنفسه لتتخلصي منه"

قلت ببرود " وما أدراني أنا به اللوم عليه لما أخفى عني

لما كنت طلبتها منه ما حييت فأن أبقى عانس أرحم لي

من هذر كرامتي بهذا الشكل"

تنهدت وقالت " أتمنى أن يكون في هذا حلا لمشاكلك

يا وسن لا أن يعقدها أكثر"

قلت بسخرية " آمنت أنه لا حل لمشاكلي"

قالت بنبرة فيها خبث " وأين زوجك عنك حتى

الآن صرنا بعد العاشرة"

قلت بحدة " ملاالك"

ضحكت وقالت " أعانه الله عليك"

تأففت وقلت " اتركينا من كل هذا وأخبريني عنك"

قالت من فورها " لا جديد لم أتصل بالبرنامج منذ ذاك اليوم

لأزيد من فضوله والليلة ستكون الجولة الثانية"

قلت ببرود " أتمنى أن لا يكون حظك كصديقتك

وأن لا يكون كصديقه"

قالت بصوت مبتسم " وما به حظي إن كان مثل

حظك وما سينقصه إن كان كصديقه"

قلت بسخرية " لا شيء فقط من تعاستي"

ضحكت وقالت " لا أعلم لما أشعر أن هذه الخطوة

ستجلب لك المسرات"

تهتدت وقلت بحسرة " لن يشعر بي أحد أقسم أن

قلبي يشتعل كالبركان"

قالت بهدوء " وسن اهتمي بصحتك ولا تفكري في

شيء غيرها ومبارك لك صديقتي رغم أنني تمنيت

أن كان لك حفل زواج كغيرك"

ابتسمت بحزن وقلت " مبارك على ماذا وحفل من أجل

ماذا ، أنا نسيت السعادة منذ أكثر من عامين"

تنهدت وقالت " لا فائدة ترجى منك ونصف تعاستك

بسببك ، نواس يحبك وتعلمين ذلك جيدا"

قلت بسخرية " من يحب لا يتصرف هكذا يا ملاك ويبدوا

لم يكن يحبني منذ البداية ووحدني كنت أعيش عالم خيالي

فمن يحب لا يتزوج بأخرى ثم يتزوجني كفرض

فُرض عليه وإلا ما كان فعلها"

قلت بضيق " ومن يراك أنتي ما يقول غير أنك تكرهينه

بينما العكس صحيح ، برنامجي سيبدأ وداعا الآن

ونلتقي غدا إن لم تقررا شهر عسل"

قلت بامتعاض " يالا مخيلتك وسذاجتك أي عسل وأي

بطيخ سأكون في الجامعة غدا وباكرا ، لا يمكنني ترك

المحاضرات تتراكم علي أكثر من هكذا"

قالت من فورها " وداعا إذا ونلتقي في الغد"

أنهيت المكالمة معها وأنزلت الهاتف لحجري وتنهدت بأسى

ثم رميته على السرير وفتحت النافذة لأجد ساحة الخيول

أمامي فيبدووا أنني صرت في الممر الذي تحت غرفتي وهذا

يعني لا نافذة تفتح إلا في الليل ، ما هذه التعاسة المجتمعة

أطفأت النور وجلست عند النافذة متكنة عليها أراقب السكون

ولا شيء غيره ، أين أنتي يا خالتي لتري ما يفعل ابنك بي

لماذا فعلت بي هذا لما ؟ لما لم تفكري في عواقب الأمر

خبنت وجهي في ذراعي المتكنة بها فسمعت نافذة أخرى

تفتح قريبة من هنا ثم صوت نواس ويبدووا يتحدث في

الهاتف قائلا " نعم لعلي أبارك لك أنا أربع

مرات يا سليط اللسان"

سكت بعدها لوقت ثم قال " لو كان الأمر علي ما

تزوجت من أساسه هل تضمنها مفخرة"

قال بعدها " لا سنوئجلها لبعد الغد لأن شقيق زوجتي سيزورنا"

قال بضيق " معاذ لست في مزاج لدعاباتك تعلم أن

الأخرى لا أشقاء لها فمن ستكون برأيك"

ابتعد بعدها صوته ويبدووا ابتعد عن النافذة ونزلت دمعتي

ودسست عيناى فى كمى كى لا تلحقها الأخرى ، حسنا أنا
وفهمناها تزوجنى مرغما ومقيدا بوعد ، الأولى تزوجها
بمحض إرادته واختياره أم أنه قطع عهدا بها لوالدته أيضا
توجهت لسريرى وشغلت المذىاع فى هاتفى لأستمع لبرنامج
ملاك لعلى أبتعد عن همومى ولو قليلا ، كانت ثمة متصلة
تشكى وتبكى وانتهت ودخلت أخرى أسوء من التى قبلها
ما كل هذا البؤس ! تلك الحمقاء ملاك هل ينقصها تعاسة
بعد عدة مكالمات قال المذيع " وها هى ملاك تذكرتنا أخيرا"
ضحكت وقالت " مرحبا صفوان كيف حالك"
قال بصوت مبتسم " مرحبا ملاك أين كل هذا الغياب"
قالت " كنت أستمع لكم كل حلقة بوقتها وإن
لم أتصل فقلبى معكم دائما"
هذه الخبيثة أعان الله ذاك الشاب عليها ، قال المذيع
"إذا عنوان الحلقة رسالة ولمن توجهيها"
قالت " وأنا من أجل العنوان اتصلت ، أوجه رسالتي
لمن سيفقدني عقلي بسبب جنونه فى القيادة وكان

لا أحد يريد في هذه الحياة"

ضحكت رغم بؤسي وتعاستي ، هذه المغفلة ستأتي بأجلها

بالتأكيد وإن اكتشف من تكون فلن يرحمها ، قالت بعدها

"وأبشركم أن أمية المساء تلك الحلقة تحققت أخيرا"

قال المذيع ضاحكا " ليتك تمنيتي مليوناً إذا"

قالت بهدوء " تحقق تلك الأمنية أهم عندي من كل

ملايين الدنيا وداعاً وليلة سعيدة للجميع"

قال " وداعاً ولا تغيب عينا طويلاً"

انتظرت بعدها صديق نواس ليتصل لكنه لم يفعلها ويبدو

سيلعب ذات لعبتها وينقطع عن البرنامج ، نظرت بعدها

للساعة فكانت الواحدة ، كم تضيع تلك الغيبة من وقت

ساعتين كاملتين تستمع لشكاوي غيرها ، ضبطت منبه

الهاتف ووضعت على الطاولة واستلقيت على السرير

أرتجي النوم أن يأتي ، حاولت أن لا أفكر في شيء ولم

أنجح حاولت حتى أن أفكر في أمور تافهة لا تخصني وبلا

فائدة أيضاً ومضى الوقت وأنا أتقلب كالسمكة في المقلاة

سمعت بعدها صوت الباب انفتح بهدوء وأنا معطية ظهري

له فجمدت كل حواسي عدى السمع ، مؤكداً هذا نواس لكن

ما جاء به وما يريد ! قد تكون راضية أو حتى مي ، وكان

من يكون ما جاء به هذا الوقت ، حرك علبه المسكن من

على الطاولة ويبدوا رفعها ثم فتحها وأخرج كل ما فيها

وأعادهم واحدة واحدة للعبة وكأنه يعدها ثم أعاد اللعبة على

الطاولة واقتربت خطواته من السرير وجلس عليه فتصلبت

جميع مفاصلي من الخوف أو التوتر أو لا أعلم ما يكون ذاك

هذا عطره هو نعم لن أخطأ أبداً ، ما يريد بي ويجلس عند

سريري ! لا يكون يريد النوم هنا وترك زوجته ، رفع شعري

للخلف بهدوء فأغمضت عيني أدعي النوم وتنفسي يتوتر مع

حركة أصابعه وهي تبعدهم خصلة خصلة لتسري ارتجافه على

طول عمودي الفقري وأنا أشعر بشفتيه وأنفاسه على عنقي فكتمت

تنفسي وأغمضت عيني بقوة لأنني عند هنا انتهيت وعند هنا

تخلي عني كل شيء من حولي ، زدت من الضغط على عيني

متمنية فقط أن يبعد شفتيه ويرحمني ثم فتحتهما على اتساعهما

من الصدمة وأنا أسمع الكلمات التي همس بها

مرت الأيام وانشغلت بدراستي واختباراتي ولم أعد أرى

نزار إلا وقت إيصالني للمدرسة وإعادتي للمنزل وفي صمت

تام فعند المغادرة أمسك كتابي وأدعي أنني أراجع ما ذاكرته

رغم أنني أحفظ صفحاته بالترتيب ، وفي طريق العودة أشغل

نفسي بمراجعة ما كتبت في الامتحان رغم تأكدي من أنه

صحيح ولأن المدرسة التي أمتحن فيها قريبة فلم تكن الطريق

تأخذ وقتا ، ونزار انشغل مع عمله الجديد في مزرعة تاجر

الخيول ولم نعد نتقابل ولا حتى على طاولة الطعام وأتعمد

الصعود لغرفتي قبل قدومه رغم أنني أتلهف كل صباح لرؤيته

لكني باقي اليوم أهرب منه وأشغل نفسي حتى عن التفكير به

اليوم كان آخر اختبار لي وخرجت متمنية أن أحضن الجدار

مودعة لها وداعا أخيرا لأنها أقسى اختبارات مرت علي ليس

لصعوبتها أو صعوبة المناهج لكن بسبب تعب نفسي من

المجيء والعودة معه كمن يعطي الظمان ماء باردا رشفة

صغيرة كل يوم لا هوا أعطاه له ليشربه كله ولا تركه يموت

عطشا فما أقسى أن تجبر نفسك على أن تبتعد عن حب وما

أقسى أن تكون بقربه وهو ليس لك ، لم أعد ألوم الشعراء فيما

يكتبونه فالحب مأساة تجعلك تقول دون شعور منك

"سما"

التفت للخلف وقلت مبتسمة " زهرة ظننتك غادرت"

وصلت عندي وقالت " لن أغادر قبل أن أودعك كم

سعدت بمعرفتك وكم ساعدتني قبل الامتحان يا سما

لن أنسى ما فعلته من أجلى ما حييت"

قلت مبتسمة " أنا لم أفعل شيئا مهما المهم أن تجتازي العام"

حضنتني وقالت " سأشتاق لك وكم أتمنى أن نلتقي قريبا"

قلت بحزن " وأنا كذلك وسأصل بك دائما

ولن أنقطع عنك وعن أخبارك"

ودعتها وخرجت ، زهرة تعرفت عليها هنا أحببت جدا

طباعها وطيبتها تذكرني ببتول كثيرا وساعدتها بالهاتف

أيام الاختبارات في كل ما لم تستوعبه متمنية من قلبي أن

تجتاز العام لتفرح والدتها الكبيرة في السن فهي بعد زواج

أشقائها بقيت وحدها تعني بها ، خرجت للسيارة وركبت

في صمت كعادتي وانطلق من فورهِ ، لم أمسك اليوم كتابي

لأراجع ما كتبت لأنه قال لي وأنا أنزل أنه سيتأخر نصف

ساعة عن وقته المعتاد فلن تكون لدي حجة اليوم أمسك

بها شيء ، بعد قليل قال " كيف كان اختبارك "

رفعت رأسي ونظرت له باستغراب وهو ينظر للطريق

أمامه فهي المرة الأولى التي يسألني منذ بدأت امتحاناتي

عدت بنظري ليدي في حجري وقلت " أجبت كل شيء "

قال بعد قليل " لم تستعيني بي في أي شيء هل

لأن كل شيء واضح لديك أم لأنك لا تريدني "

نظرت له مجددا ولكن هذه المرة بصدمة وبقيت على

ذاك الحال حتى نظر لي لتلتقي عينانا بعد كل هذه المدة

ثم عاد بنظره للطريق وقال " تغيرتي كثيرا ناحيتي يا

سما فهل أغضبتك في شيء "

لم أعرف ما أقول امتلأت عياني بالدموع وقلت بأسى

" بل أنت من تتهرب مني دائما ولا أعلم فيما أخطأت "

أوقف حينها السيارة أمام المنزل وفتح بابه وقال دون أن ينظر

إلي " أنا لست غاضبا منك وأنتي لم تخطئي معي "

مسحت عيناى وقلت " ولا أنا غاضبة منك

فقط وجدتك لا تريد رؤيتى فجنبتك ذلك"

نظر لى بسرعة بنظرة غريبة وكأنه صدم لكلامى

فأنزلت رأسى وقلت " آسفة لكنى ظننت ذلك"

قال بصوت منخفض " لما قلت لجابر ذاك الكلام"

رفعت رأسى ونظرت له وقلت بهمس " هل أخبرك"

قال وهو ينزل من السيارة " وليته لم يفعل"

بقيت أتابعه بنظري حتى دخل المنزل وترك الباب لى

مفتوحا فنزلت وأغلقت باب السيارة ودخلت وأغلقت الباب

وتوجهت لغرفة خالتى من فوري وكانت وحدها هناك وقالت

"وأخيرا تخلصت من هم الدراسة كيف كانت مادتك اليوم"

نظرت للأرض وقلت بحزن " جيدة وأجبت كل شيء"

قالت " مآبك بنيتى لما هذا الحزن إذا"

قلت مغادرة " لا شيء مهم خالتى"

ثم صعدت لغرفتى استحمتت وبكيت كثيرا تحت المياه

كعادتى حين يجتاحنى البكاء الشديد ثم نزلت وتوجهت

للمطبخ وأعددت الغداء ثم صعدت لغرفة نزار وطرقت

الباب فقال " لا أريد أن أكل سوف أنام"

نظرت للأرض بحزن من كلماته الجافة فيبدووا غاضبا

مني ، قلت بهدوء " إن كان بسببي أكلت في غرفتي"

لم يجب فقلت " نزار"

قال ببرود " قلت لا أريد"

تركته ونزلت أمسك دموعي من أن تنزل وسحبت

الطاولة لغرفة خالتي وجلبت الطعام فقالت

" أين نزار أئن يتناول الغداء معنا"

جلست وقلت " قال يريد أن ينام"

تتهدت وقالت " يبدوا اليوم مساء منذ الصباح فحين

أخذني للمستشفى كان يتأفف طوال الوقت وتشاجر

مع أحد الأطباء ولأول مرة يفعلها منذ مرضت"

اكتفيت بالنظر لها في صمت ولم أعرف ما أقول ، لما

يغضبه ذلك كل هذا الحد وكل ما فعلته أني سألت جابر إن

كان سيخرجني من هنا إن طلبت منه ، حسنا وما المشكلة

أليس هوا كان يريد تزويجي فأنا من يفترض بها أن تتضايق

لو ابتعدت عنه ، أنا حقا تعبت من وجوده وعدم وجوده

وفكرت أنه بخروجي من هنا قد أرتاح وأنساه كما قال

قالت عندما طال صمتي " هل تحدثتما عن شيء"

نظرت للطاولة تحتي وقلت " لا أفهمه يا خالتي يغضب

مني من أمور يفترض بي أنا من تغضبها تلك الأشياء

ويتجنبني ويتهرب مني وأنا لم أفعل شيئا وحين صرت

أهرب من رؤيته قال أنني غيرت ناحيته ، أنا حقا

حائرة في أمره وتعبت"

ثم أنزلت رأسي أكثر وقلت بدمعة سقطت مني " حتى

الغداء لا يريد له لأنه غاضب واستيائه منذ الصباح بسببي

وأنا لم أفعل شيء يستدعي كل ذلك"

تنهدت وقالت " امسحي دموعك وأخبريني ما حدث"

مسحت دموعي وقلت ونظري للأسفل " منذ مدة اتصلت

بجابر وسألته إن أردت الخروج من هنا هل سيخرجني

وأين سيأخذني فقال سيفعل بالتأكيد ولو أخذني لقصر عائلته

ومنذ ذاك الوقت لم أستطع اتخاذ قرار بذلك ، أنا اعتدت

عليك خالتي ولا أتخيل يومي من دونك"

سكنتُ قليلا ثم تابعت " ولا حتى نزار رغم أنني أتهرب من

رؤيته والتحدث معه ومجروحة منه لكني لم أستطع وفكرت

في ذلك جديا عدة مرات لأنني تعبت من قلبي وأتعبني"

ثم قلت بعبارة " متعب هذا الشعور خالتي أكاد أموت منه"

قالت بهدوء " تعالي صغيرتي واجلسي بجانبني"

توجهت نحوها وجلست واتكأت على كتفها كما أحب دائما

وقلت " اليوم يبدو علم من جابر عن ذلك لأنه سألني عنه"

مسحت على شعري وقالت " مغفل يا سما وأنا

أيضا اليوم فقط اكتشفت ذلك"

مسحت دموعي وقلت " ما الذي اكتشفته"

تنهدت وقالت " وهل تريدان فعلا تركنا يا سما"

قلت بحزن " لا أريد لكني فكرت أن ذلك قد يريحني ولو قليلا"

قالت بهدوء " يعز عليا فراقك يا سما وكم أحبك قلبي ولو

كان لدي ابن غير هذا الأحمق لزوجتك به لتبقي دائما

بقربي لكن ابتعادك قد يريحك فعلا فستتوقفين عن رؤيته

على الأقل رغم أن ذلك سيكون قاسيا جدا في البداية لكنك

ستعتادين فافعليها متى ما اقتنعتِ بها لأنه يستحقها

وليتحمل النتائج"

ابتعدت عنها وقلت " أي نتائج سيتحملها" !!

قالت مبتسمة " من قدمه في النار ويقول آه يا وجعي

ليس كمن قدمه فيها ويكتم حتى صرخته"

بقيت أنظر لها باستغراب وعدم فهم فمسحت على غرتي

وقالت بابتسامة حنونة " افعلي ما ترينه صوابا يا سما كي لا

تلومي أحدا فيما بعد فأفضل ما يفعله الإنسان أن يقرر وحده وينفذ"

نظرت للأسفل وقلت " لهذا لم تنهيني يوما عن أي شي"

قالت " نعم لم أنك إلا عن الخطأ أما الصواب تركت لك

حرية الاختيار فيه فالإنسان بطبعه لوام فحالما يقع في مطب

يبحث عن يرميه عليه ليقول له كل هذا بسببك أنت ، وتلك

طبيعة كل البشر لأن لوم النفس قاسي جدا فسيبحث

لا شعوريا عن غيره"

لذت بالصمت أنظر للأرض بشرود فقالت

" وهل ستأخذين برأيه إن رفض ذلك"

هزرت رأسي وقلت " لا أعلم ، نزار ساعدني كثيرا
وفضله عليا لن أنساه ما حييت ولولاه بعد الله لكنت حتى
الآن في قبو منزلنا ولا أريد أن أغضبه وأريد فعلا أن
يرتاح من مسئوليتي وأن أرتاح أنا من مشاعري"
ثم وقفت وجمعت الأطباق وحملتها في صمت وهي لم
تضف شيئا آخر ، رتبت المطبخ وتركت له غذائه على
الطاولة وصعدت لغرفتي ونمت بعد جهد كبير ولم أستيقظ
إلا وقت العصر ، صليت ونزلت للمطبخ لأعد شيئا نأكله
مع الشاي بما أن امتحاناتي انتهت وأخيرا ، بدأت بإعداد كعك
مربى ووضعته في الفرن ثم ذهبت لغرفة خالتي ووقفت عند
الباب وقلت " أعددت كعكا لشاينا اليوم"
قالت مبتسمة " جميل فأنا اشتقت لكعكاتك اللذيذة"
انفتح حينها باب المنزل ودخل نزار يتحدث مع أحدهم
ويضحكان والصوت كان لفتاة وما أن ظهر لي حتى
اكتشفت أنها دعاء التي ماتت ابتسامتها منذ رأيتني وقالت
بدون نفس " مرحبا سما كيف حالك"
حولت نظري لنزار ولم أبعده عنه أبدا وهو باقي ينظر لي

بصمت حتى غادرت من أمامهم للمطبخ دون أن أجيب عليها
وجلست عند الفرن أنتظر الكعكة لتنضج وأشعر أنني أشتعل
كالنيران التي تحتها ، هذا ما حكى عنه خالتي وأسمته بالغيرة
يا إلهي ما أفضعه من شعور أشعر بأنني سأتمزق ، تحول الأمر
بسرعة لبكاء في صمت وبدأت بمسح دموعي بمنشفة المطبخ
في يدي ثم شهقت بقوة وقلت بأسى " لم توفه حقه يا خالتي
هذا الشعور لم تصفيه بدقة"

تحرك حينها شيء ما خلفي في المطبخ فوقفت من فوري
واستدرت للخلف فكان نزار واقفا يضع يده على كرسي الطاولة
وينظر لي فوليته ظهري من فوري ومسحت بقايا دموعي
فقال " جابر أخبرني أن ذهابك لقصر عائلته فيه خطر
عليك أيضا لأنك ستصبحين محل شبهة هناك"
قلت ببحة " إنسا الأمر لم أعد أريده"

سكت لوقت ثم قال " وكيف تقررين شيئا وتتراجعين عنه
هل أتاك كلامي الآن عن تقلب المزاج في هذا السن"

ضغطت قبضتي على المنشفة بقوة وقلت بضيق

"يكفي يا نزار حلفتك بالله لا تتكلم عن هذا ... مراهقة

وطائشة ومشاعري تتغير وقراراتي غبية وأغيرها في

لحظة فهمت هذا فتوقف عن قوله لي"

تنهد وقال " جابر تكلم معي بحدة ظنا منه أنني أعاملك

بسوء لذلك أردت الخروج من منزلي ، ليكون بعلمك يا

سما لو تريد ذلك فلن أمنعك ولن أسألك حتى عن السبب"

قلت بحزن " ولما غضبت إذا"

سكت ولم يتحدث فالتفت له وقلت وعيناي في عينيه

"أنا لا أنسى ما فعلته من أجلي يا نزار وما حييت

ولا أستطيع قول سبب ما قلته لجابر"

أبعد نظره عني وقال بهدوء " أفهمك يا سما ليس المهم

أن يبوح الإنسان ويبرر المهم أن لا تكون طريقته

جارحة ، لو فقط طلبتها مني أنا وليس منه"

قلت بهمس ورأسي للأسفل " أنا آسفة"

قال مباشرة " لا بأس ولننسى الأمر"

وخرج وتركني وكأنه هرب مني ، دائما هكذا يترك

الأمر معلق ويختمه بكلمة (لننسى الأمر) جلست على

الكرسي أتهد بأسى ، ما بك يا سما في لحظة جعلك تغيرين

قرارك وتعتذرين منه أيضا ، أصبح يحسني أني بالفعل

لا أعرف كيف أفكر وأقرر وأن صغر سني السبب

فتحت على الكعكة فوجدتها كادت تحترق فأخرجتها بسرعة

وتركتها تبرد ولتغادر تلك الدعاء أولا فلن أعطيها منها

خرجت بعدها من المطبخ وتوجهت جهة السلام فسمعت

خالتي تناديني فعدت جهة غرفتها رغم أني كنت أنوي

الصعود حتى تغادر تلك ، كان نزار أيضا ما يزال هناك

وكنت أنظر لخالتي حين قالت " تعالي أجلسي معنا"

لا أعلم لما طلبت هذا رغم أنها تعلم أني لا أريد البقاء

ودعاء موجودة ولم تطلبها مني سابقا ، ولأنني لن أرفض

لها طلبا ما حييت دخلت وجلست بجوارها على السرير

وقالت خالتي " قولي ما لديك يا دعاء"

نظرت لخالتي بحيرة ثم لها فقالت " قريب لي يبحث عن

عروس صغيرة في السن ورثة منزل جيدة وأنتي أول

من خطر في بالي ، هوا رجل رائع بكل المقاييس وسياسفر

للخارج بعد الزواج ، أخبرت نزار وخالتي وطلبا أن

أخذ رأيك أنتي بما أن الأمر يخصك"

نظرت لنزار مباشرة فكان ينظر للأرض فعدت

بنظري لها وقلت " ولما لم يتزوج بشقيقتك"

نظرت لي نظرة غريبة ثم ابتسمت وقالت

"شقيقتي لا تعرف حتى كيف تطبخ بيضة"

قلت " وأنا طائشة ومراةة ولا يمكن الاعتماد

علي فتزوجيه أنتي وسافري معه"

وقفت وقالت بضيق " جئت قصدي خيرا لما

تهينيني هكذا يا سما"

وقفت وقلت مغادرة " أنا قررت أني لن أتزوج ما

حييت فابحثي عن غيري"

ثم خرجت من الغرفة وصعدت لغرفتي وأغلقت الباب

خلفي بالمفتاح وجلست خلفه أبكي بمرارة

*

*

صعدت سما من فورها راکضة وعادت دعاء للجلوس

ويبدو أن مسرحيتها لم تنتهي بعد ، ما قصدها بما فعلته
وتعمدت أن لا تخبرني حتى أصبحت هنا عند والدتي وكأنها
تحاصر الجميع وقالت لسما أنها تحدثت معي في الأمر وهذا
لم يحدث ، لا أنكر أن شعورا انتابني أوقف مخاوفي أن توافق
فقط لتخرج من هنا أو لتهرب من واقع أنني لا أحبها ، حتى أنني
تهربت من زيارة حسام لنا وتحججت ليؤجلها مخافة أن يتحدث
في موضوع زواج سما مجددا وتوافق هي بسبب جرحها مني
من الطبيعي أن تفكر كما فكرت وقت تحدثت مع جابر ولا
أعلم لما كانت ردة فعلي بهذا الشكل حين علمت ففقدت
السيطرة على أعصابي ومن الجيد أنني لم أرها في وقتها لأنها
كانت في المدرسة لكنك أفرغت غضبي ذاك فيها ، تهربها
مني الأيام الماضية جعلني أشعر بفضاعة شعورها حين كنت
أفعلها أنا سابقا وازداد الأمر سوءا بمكالمة جابر لي صباحا
أخرجني من أفكاري صوت دعاء قائلة " لا أعلم لما وحدي
تقلل أدبها معي رغم أنني لم أرد إلا خيرا"

قالت أمي " أنتي أردت جوابها ومنها هي وها قد سمعته"

وقفت مجددا وقالت " لا أعلم لما تغيرت معي كثيرا

يا خالة وحتى نزار كذلك"

قالت أمي " لم يتغير أحد معك يا دعاء فقط

أنتي بتي تتحسين كثيرا"

قلت حينها " لما قلت لاسما أنك أخبرتني بالأمر

وأنني قلت خذي رأيها وذلك لم يحدث"

التفتت لي وقالت " لكني تحدثت أمامك وأنت لم

تعترض حين قلت لوالدتك نسالها بنفسها"

قلت " وإن يكن فأنا غير راض عن كل ما حدثت

أمامي ولو سألتني قبلها ما تركتك تكلمت أمام والدتي"

خرجت حينها دعاء دون أن تضيف شيئا وقالت والدتي

"ولما لم تقل رأيك هذا منذ البداية أم أنك بت تعشق

رؤية سما تتعذب بسببك يا نزار"

قلت بضيق " أمي توقي عن لومي لبيتك تشعيرين

بي كما تشعيرين بها"

قالت ببرد " هي لا أراها تجرحك وأنت تقتنص الفرص

لتبكيها ولا أعلم ما غرضك من هذا"

هممت بالخروج كي لا أخطأ في حقها فأوقفني صوتها

قائلة " أنا من سيفتعتها بالزواج وستوافق"

نظرت لها بصدمة فقالت " مابك وكأن قلبك توقف

هل قلت شيئا خاطئا"

قلت " لن تتزوج من أحد هذا الموضوع أغلقتة من جديد"

قالت بحدة " ما هذا يا نزار هل ستتحمك في

الفتاة ، راقب تصرفاتك جيدا"

لوححت بيدي وقلت " قلت لن تتزوج وحين تعود لأهل

والدها يفعلون ما يريدون أما عندي فلا"

قالت بسخرية " وما به تغير كلامك ، من هذا الذي

كان سيزوجها بمن تريد هي"

قلت ببرود " كان ولم يعد هناك منه شيء"

هزت رأسها بيبأس فقلت " أعلم ما لديك ولن أفعله"

قالت بضيق " وأنا لن أقوله ، منذ ولدتك وأنت منحوس

فلن يفارقك النحس يا ابن المنحوسة"

ضحكت رغما عني فقالت " أضحك نعم اضحك"

قلت مبتسما " أمي لا أعلم كيف أحببتها كل هذا القدر

أي سحر هذا الذي رمته عليك"

قالت بسخرية " أنكر أنها تأسر القلوب يا ابن أمك"

قلت بابتسامة جانبية " ليس لدي جواب"

قالت بلامبالاة " أعرفه من دون أن تقوله"

قلت " أمي لما لا تتحدثي بصراحة"

قالت ببرود " لما لا تقول أنت ما لديك وترتاح"

قلت ببرود أكبر " قلت لن أتزوجها ، ضعيها بجانبني

وانظري لنا ، لا أعلم أي عين هذه التي ترينا بها"

قالت بضيق " فقئ الله عينك ، و لما لا تراك هي كما تراها

أنت ، أما أنا أراكما ككفي يداي على بعضهما يا أعمى يا أعور

أخرج من هنا هيا ، لا أريد أن تتزوجها ولا تتزوج غيرها

أحرق لي دمي أحرق الله عدوك"

اقتربت منها وقبلت رأسها وقلت " حسنا فقط لا

تغضبي لا ينقصك تعب فوق تعبك"

ثم غادرت من عندها ومن المنزل برمته فيبدووا أنني بت

مصدر إزعاج لكل من فيه وأولهم نفسي التي لا مهرب

لي منها وخرجت معي ، ذهبت لصديق لي وانتقلنا لمنزل

آخر وقضيت الليل معهما نتسامر ولم أرجع للمنزل إلا

منتصف الليل ، دخلت وتوجهت لغرفة والدتي فكانت

مستيقظة تمسك مسبحتها وتتمتم بالتسبيح فقلت

"مساء الخير"

نظرت للأسفل وقالت ببرود " عشائك في المطبخ

أخبرتها انك لن تأكله لكنها تركته لك"

قلت مبتسما " أمي لما الغضب مني الآن"

تأففت وقالت " لست غاضبة"

توجهت نحوها وجلست بجوارها وأمسكت يدها وقبلتها

وقلت " أمي أعلم أن الفتاة تعجبك وتريدتها لي لأنها

الأنسب مهما بحثت بين النساء لكنك لا ترضي لي

بالمهانة أيضا أعرفك جيدا"

لم تجب فقلت " أمي بالله عليك تضيي نفسك في مكاني"

قالت بهدوء " لا أريد أن تضيي منك يا نزار أنا أكبر منك

وأعرف النساء كما أعرفك أنت ابن بطني"

قبلت يدها مجددا وقلت " وأنا أخبرتك أنه ما أن

يكون الوقت مناسباً سأتزوجها"

قالت وعيناها لازالت على مسبحتها " وهل أخبرتها"

تنهدت وقلت " لا فعلية هي أن تقرر ذلك فيما بعد"

اكتفت بالصمت ولم تعلق فأمسكت رأسها وقبلته وقلت بهدوء

" أقسم يا أمي لو كانت أكبر ومن طبقتي لتزوجتها ولو من أجلك"

هزت رأسها وقالت " تكبر فهناها ولكن أن تصبح ثريا كيف تكون"

قلت بهدوء " رازق العباد لم يمت بعد وأنا لم أقل أنني أريد أن

أكون ثريا ، على الأقل أستطيع الوقوف مرفوع الرأس أمام أهلها

ولو بثمن مهرها وجهازها ومنزلا يكون لي وليس لها أو لهم"

اكتفت بالصمت فقلت " يبدوا لم تقتنعي ولن تقتنعي"

قالت باختصار " لا"

ثم نظرت لي وقالت " ولا تلم أحد مستقبلا غير نفسك"

وقفت وقلت " حاضر لن ألومك طبعاً فهل ترضين عني

الآن فأنا لا أقوى على زعلك يا أمي"

تنهدت وقالت " شرط أن نخرج غدا بهذه المسكينة

بعدما أنهت امتحاناتها"

قلت بتذمر " أُمي قد نعرضها للخطر ولن ينفعا الندم حينها"
رفعت نظرها لي وقالت " لا تتحجج يا نزار نخرج لمكان عام
كالمرّة السابقة فإن كانوا يعرفون شكلها لأخذوها من هنا

أمام عينيك وأنت تنظر"

تهتدت وقلت " حاضر سنخرج للحديقة هذا إن لم ترفض"

قالت " أطلب أنت منها ذلك ولن ترفض"

لذت بالصمت لنتهي من هذه الليلة السيئة فقالت

"وعوني وزوجته معنا أيضا"

قلت " أوامرك مولاتي"

وضعت المسبحة على الطاولة واضطجعت وقالت

"لو كنت مولاتك لما عصيت لي طلبا ، هيا

أطفأ النور وتصبح على خير"

ابتسمت وتوجهت لمفتاح الإضاءة وأطفأته وتوجهت للمطبخ

فتحت أطباق العشاء وجلست أكل منه رغم أنني تعشيت هناك

على الأقل لا تستيقظ صباحا وتجد طعامها في الثلاجة لم ألمسه

غسلت الأطباق وصعدت ووصلت لباب غرفتها وطرقته بهدوء

لأرى إن كانت مستيقظة ففتحت الباب لي فقلت وعيناي قد

التصقت بعينيها ترفض الابتعاد " سنخرج للحديقة العامة غدا"

أنزلت رأسها ولم تتحدث فقلت " إن كنتي لا تريدين ذلك

ألغينا الفكرة لأنها من أجلك لترتاحي بعد عناء الامتحانات"

قالت بشبه همس " وحدنا"

قلت " وعوني وصباح وأطفالهما فقط"

قالت " حسنا"

تركتها وتوجهت من فوري لغرفتي فيبدووا أني في كل مرة

أقف معها أشعر بمشاعر جديدة ، هزرت رأسي متأففا

وقلت بهمس " نزار توقف عن الحماقات ولا تنسى نفسك"

ثم توجهت للحمام استحمت وغيّرت ثيابي وغسلت أسناني

وللسرير فورا ونمت

*

*

دخلت الغرفة على صوت رنين هاتفي فتوجهت نحوه

مستغربة ! من هذا الذي يتصل بي هذا الوقت ، نظرت

للاسّم فكانت بتول فجلست على السرير وأجبت عليها

قائلة بابتسامة " أفزعتني تتصلين هذا الوقت"

قالت بضيق " ومتى أجد وقت غير هذا يكونون القردة ناموا

ووالدتي منذ انتهت امتحاناتي أمس بدأنا في حملة تنظيف

لا تنتهي ، أحسدك لأن امتحاناتك انتهت اليوم"

قلت باستياء " أما أنا فتمنيت أن انتهت منذ أيام"

قالت باستغراب " ولما" !!

قلت بهدوء " دعينا من ذلك وأخبريني ما فعلته في

امتحاناتك بما أن الهاتف كان ممنوعا عنك"

قالت بحنق " لا تذكريني بمأساتي ، ذاك الغبي معتصم لا

أعلم ما قاله له عقله يأخذ هاتفه ويحاصرني بحجة أن

أدرس ، الشيء الوحيد الذي أفلح فيه أن أنقذني من الأعمال

المنزلية التي لا أرتاح منها حتى في الامتحانات"

ضحكت ضحكة صغيرة وقلت " جيد أنه

لم يسجنك في غرفتك"

قالت بتذمر " يكفي سجنني في المنزل ووضع عليا

جاسوسه ليخبره إن كنت أدرس أو لا"

ضحكت ولم أعلق فقالت " ماذا حدث معك

أنتي لم تحكي لي شيئا منذ تلك المرة"

قلت بحزن " لأنه لا شي يحكى أقوله لك"

قالت بهدوء " ما بك سما هل تحدثتما"

تتهدت وقلت " لا لكني علمت أنه لا يبادلني أي مشاعر"

لاذت بالصمت ولم تعلق فقلت " يبدوا معك حق وما

كان عليا أن أحب أحدا غير الذي سأتزوجه"

ثم تابعت بأسى " لكن ذلك حدث رغما عني

كيف تحكمت به أنتي يا بتول" !!

قالت باستياء " وهل وجدت أنا من يعلمني كيف أحبه لو

أني مثلك عشت مع شخص مثل نزار لوجدت نفسي أحببته

أكثر منك لكني لم أعرف غير معتصم الذي أكرهني

في الرجال لأجده هوا زوجي"

قلت " وما ستفعلين حيال الأمر وهوا مصر عليك"

قالت " هوا تغير معي كثيرا وهداياها أجمل من أطباعه

السيئة لكني أريد أن أنهى تعليمي ، على الأقل الثانوية

فلا ينقصني أطفال في حياتي لقد تعبت منهم"

قلت بحيرة " غريب أمرك بتول أراك بدأت تقتنعين به"

تنهدت وقالت " أنا لم أختَر شيء في حياتي كل شيء

يفرض عليا فرضا وعليا أن أقتنع به وأنا أحاول فقط

ولو أن أقتنع بوجوده في حياتي رغم أنني أفضل دائما"

قلت " وهل أصبحت توافقين عليه"

قالت بلامبالاة " لا أهتم وحتى يحين وقتها لن يفرق عندي"

قلت بحيرة " تفكيرك غريب فلو كنت تحبينه

ما تمنيت غير أن تكوني معه"

قالت مباشرة " لا شيء فيه غريب وأنتي أيضا عليك

أن تعيشي حياتك كالسابق تضحكي وتسعدي وتعيشي

كل لحظة بلحظتها لتغيظيه"

قلت بتذمر " ما أغيظه هذه وهو لا يعلم حتى أنني أحبه"

قالت مباشرة " وإن يكن عليك أن لا تلفتي انتباهه

إن كان لا يعلم وتلعبى بدماعه إن كان يعلم"

قلت بخوف " لا ماذا ؟ يعلم مستحيل"

ضحكت وقالت " وما بك خفتي هكذا

افرضي أنه يسمعك الآن"

قلت بأمر " بتول أصمتي أو غضبت منك"

ضحكت أكثر وقالت " حسنا حسنا وداعا الآن لتنامي

بعد أن تخلصت من هم الدراسة"

قلت مبتسمة " وداعا يا بتول وشكرا لك"

أنهيت المكالمة معها ووضعت هاتفني على الطاولة ووقفت

والهواجس تذبحني وتوجهت من فوري لباب الغرفة وفتحته

فلم أجد أحدا فضحكت في نفسي على الأفكار التي غرستها

بتول في رأسي ثم أغلقتة وعدت لسريري ، لا أعلم لما لا

أشعر بالسعادة والتلهف للذهاب غدا كما حدث في رحلة البحر

ليته لم يخبرني عن رغبته بتزويجي وتركني لا أعلم عن مشاعره

نحوي أفضل من حالي هذا ، غادرت السرير وتوجهت جهة الخزانة

فتحتها وجلست على الأرض وأخرجت صورة عائلتي لتنزل

دموعي ما أن وقع نظري عليهم وحضنت الصورة وأجهشت

في البكاء وكأني أفرغ طاقة الأسابيع الماضية مجتمعة ، لماذا

تركتموني ورحلتم لماذا تخليتكم عني وأنا أحتاجكم لماذا ، زاد

بكائي وأنا أشعر بالكم الهائل من الفقد والوحدة والحزن لأسمع

حينها باب غرفة أغلق بقوة وتبدوا قريبة فأغلقت فمي بيدي
أمسك عبراتي من الخروج فلا بد وأنه باب غرفة نزار فسمعت
بعد دقائق صوت رسالة وصلت لهاتفني فأعدت الصورة مكانها
ووقفت وأغلقت الخزانة وتوجهت للحمام غسلت وجهي بالماء
عدة مرات ونشفتة ثم خرجت وتوجهت لسريري وأخذت الهاتف
وفتحت الرسالة فكانت من نزار وكان فيها (توقفي عن البكاء يا
سما ولو من أجلي) نزلت مني دمعة مسحتها سريعا ووضعت
الهاتف على الطاولة واضطجعت على السرير لأكتشف أنني لم
أطفأ النور فتنهدت بأسى وبقيت مكاني أنظر للفراغ بشرود وحزن
ترى لما أنا فقط من يموت كل أهلها وتبقى وحيدة وأنا من يطاردها
أشخاص لأجل قتلها وأنا من تحب شخصا لا يحبها؟؟ هل كما
قالت خالتي يفعل الله الخير فقط هل سأسعد يوما وأشعر بالاستقرار
وأجد من يعوضني عنهم ترى هل سأرتاح ؟ انقلبت على الجانب
الآخر وتنهدت واستغفرت الله كثيرا على هذه الأفكار التي لن تغير
في الواقع شيئا ثم جلست وفتحت الدرج وأخرجت الرواية التي
لم أقرأها منذ أن اقتربت امتحاناتي ، أبعدت شعري للخلف
وفتحت حيث وقفت وقرأت ((قلت بصدمة " ماذا" !!

قال بمكر " سأتزوجها يا ردين"

أشم رائحة كذب وخبث في الموضوع فأنا رأيت بعيني

كيف كلمها ببرود في السوق وكيف صدمت من خبر زوجانا

بقي ينظر لي بتربقب وكأنه ينتظر ردة فعلي فقلت بسخرية " كاذب

ولن تنال مني بهذه الخطة السخيفة فمشكلتك أنك لا تجيد التمثيل"

قال بابتسامة جانبية " بل كنت أريد الزواج بها ووالدي عارض

كما مع وائل وجوري ومن دون حتى أن يعلم من تكون وكله من

أجلك سيدة الدلال لذلك وافقت لتتزاخي عن حياتنا وأتزوج بها بعدك

وأشرف ساعدنا في تلك التمثيلية في السوق حين أخذك لأنه هو أيضا

لديه واحدة يريد الزواج بها ولم يجرأ حتى على قولها لوالدي بسببك"

حاولت إخفاء صدمتي من كلامه فهل يعقل أن يكونوا لعبوا

علينا كل هذه اللعبة ونحن نظن أنفسنا أننا نلعب بهم ، قلت

ببرود " لا بأس لا يهمني وإن تزوجت بثلاثة فذاك حقا"

نظر لي نظرة ساخرة لأفهم أنه لا يصدقني فجلست على السرير

ووضعت ساق على الأخرى وقلت وأنا ألعب بخصلة من شعري

بين أصابعي " أنا أساسا مشاريعي كثيرة ولم يكن الزواج من

ضمنها لولا عمي رياض ومعزته ومكانته عندي ما تزوجت
الآن ، فأن تتزوج بها أو غيرها سيكون القرار الأنسب لكلينا
أنت تجد زوجة تعيش معها حياة زوجية طبيعية كزوجين وتنجب
لك أبناء وتعنتي بهم أما أنا سأنجز كل ما حلمت به حياتي ، انهي

دراستي وأعمل محامية وأطور من نفسي وأصل لأعلى

المراتب ويصبح اسمي على كل لسان"

وضع يده وسط جسده وقال بضيق " ما رأيك أن أقتلك الآن لتصبح

سيرتك بالفعل على كل الألسن ودون كل ذاك المشوار الطويل"

قلت ببرود " ولما انزعجت هكذا وأنت اخترتها جلسة صراحة

وأنا فعلت مثلك وقلت عن خطط المستقبل فستطلقني نهاية

الأمر وأكون لمن يقدرني"

قال بسخرية " هه سنرى يا أم لسان"

ثم غادر الغرفة فسويت جلستي وقلت بغيض " في أحلامك يا

فراس أن تتزوجها أو غيرها علي ، أقتلك قبل أن تفكر فيها

فأنا لم أضحي براحة بالي وتزوجتك لتشاركني غيري فيك فمهما

كنت لا تعينني أنت زوجي لي وحدي وتطلقني قبل أن تعقد عليها"

أمسكت هاتفي واتصلت بها فلم تجب تلك الخسيصة ، عاودت

الاتصال مرارا وتكرارا ولم تجب فأرسلت لها (أجيبي يا جبانة)

أرسلت بعد قليل (لا علاقة لي بكم أشرف من طلب

مني أن أقول لك ذلك)

أرسلت لها (وفراس)

أرسلت (لا علاقة له بالأمر)

رميت الهاتف وغادرت غرفتي فلا ثقة في هذه الكاذبة

وسأعلم بمعرفتي ، نزلت للأسفل وبحثت عن فراس حتى

وجدته في مجلسهم العائلي يشاهد التلفاز وأشرف معه فوقفت

عند الباب ووضعت يدي وسط جسدي وقلت

" اتصلت بها وعلمت منها يا مخترع الأكاذيب"

نظر للتلفاز وقال ببرود " وأنا اتصلت بها قبلك"

ثم نظر ناحيتي وقال بسخرية " ضننت أن أمري لا يعنيك"

قلت بجمود " كاذب وشريكك اعترفت بكل شيء

لأنها مثلك لا تجيد التمثيل"

قال ببرود وقد عاد بنظره للتلفاز " أعلم بكل ما

قالته لك وبالحرف"

غبي يقول هذا لأفهم أن ما قالته لي باتفاق بينهما وما لا يعلمه

هذا الكاذب أنها لم تجب علي ، نظرت جهة أشرف وقلت

"وأنت يا مغفل هل تعلم أن جوجو وهذا متفان على

الزواج وهي تستغك وتأكّل أموالك"

نظر له بصدمة وقال " ظننت أمرها لا يعينك يا كاذب"

ضحكت حينها وقلت ونظري على فراس

"ظننته متفق معكما يا ممثل"

وقف حينها وتوجه ناحيتي ووقف أمامي وأمسك وجهي

وقال بخبث " لدي خبر سيسعدك يا أفعتي"

نظرت له باستغراب فقال بهمس " زواجنا عاد

لموعده السابق يا زوجة الممثل"

ثم قبل خدي بقوة وغادر قليل الحياء ذاك ومسحت أنا خدي بغل

وقال أشرف ضاحكا " أقسم أنكما أنذر زوجين في التاريخ"

أخرجت له لساني وقلت " أحمق يا قيس الـ" ...

ولم أكمل جملي لأنه وقف ليمسكني فصرخت وركضت

أمامه وهو يتوعدني بالويلات إن أدركني وأنا أركض دون

هدف أو تركيز وتوجهت جهة باب المنزل لأخرج منه واستطيع

الركض أكثر والاختباء وما أن خرجت حتى اصطدمت بشيء

بقوة لأكتشف أنني في حضن فراس الذي قال

" هيه أين تضن نفسك ما بك مع زوجتي "

حاولت الابتعاد عنه ولم أستطع لأن ذراعه تحاصراني بقوة

وقال أشرف بغل " أتركني أقطع لها لسانها وأريح البشرية منه "

تمسكت بقميصه بقوة أدفن وجهي فيه وقلت " أنت من بدأ أولاً "

أبعدني فراس حينها عن حضنه وأحاط كتفائي بذراعه وسار

بي جهة الباب وأبعد أشرف بيده الأخرى واجتزنه وقال

" إن قربت يدك منها قطعتها لك تفهم "

ثم دخل بي حتى ابتعدنا وأبعد ذراعه عني وقال بضيق

" كم مرة أقول لك لا كلام بينك وبينه "

قلت بضيق أكبر " أنا لم أكلمه هو اسخر منا بعد

خروجك هل أسكت له "

قال بحدة " ومن السبب غيرك جعلتنا سخرية للجميع "

خبأت عيني بذراعي وقلت ببكاء مصطنع " لما جميعكم

ضدي كله لأنني يتيمة لا أحد لها غيركم "

أمسك يدي وقال " اصمتي يا مغفلة كيف تقولين هذا ووالدي

مستعد لأن يطردنا حتى من العائلة لأجلك"

استمررت في تمثيلية البكاء فسحب ذراعي عن عياني ثم نظر

لي بضيق فضحكت ضحكة صفراء فشد على يدي بقوة وقال

"ظننت أنني أنا الممثل"

ابتسمت وقبلت خده بسرعة وهربت جهة السلالم قائلة

"شكرا على إنقاذي من قيس النساء"

وصعدت بسرعة على صوته المرتفع قائلا " تعالي يا مشاغبة"

لكني تابعت طريقي حتى وصلت لغرفة عمي رياض وطرقت

الباب لتخرج لي عمتي سعاد ففتحت الباب وقالت مبتسمة

" هذه أنتي ادخلي"

دخلت خلفها وأغلقت الباب وقلت " هل صحيح ما

قاله فراس أن موعد الزفاف عاد كما كان"

جلست على الكرسي وقالت " نعم فراس حصل

على حجز في صالة أفراح بعد يومين"

شهقت وقلت " ماذا يومين !!"

قالت " نعم ولما لا فكل شيء جاهز وحتى فستانك

محجوز ومنزلكما جاهز"

جلست على السرير وقلت باستياء " ما به حظي هكذا"

قالت " ردين لما تجبرين نفسك إن لم تكوني مقتنعة

فعمك رياض إن سمع بهذا سنكون في مشكلة"

تنهدت وقلت " لا عمتي لم أقصد أنا فقط تفاجئت بذلك وأي

فتاة لا تحب الاستعجال في أمر الزواج وتتوتر كثيرا قبله"

وقفت وقالت مبتسمة " إن كان كذلك فهو أمر لا داعي له بنيتي

وخير البر عاجله ففراس يبذوا أنه لم يهنأ له بال حتى وجد حجزا"

أنزلت رأسي ليس خجلا من كلامها بل استسلام للأمر الواقع

آه لو تعلمي أنه مستعجل فقط لكي يطبق انتقامه مني لكنه لم

يعرف بعد من تكون ردين ، قالت وهي تتوجه جهة الخزانة

" لا تقلقي يا ردين فأنا رفعت عنك هم كل شي فحتى من

سيقومون بتجهيزك حجزت معهم موعدا وكل

ترتيبات الحفل والمدعوين"

وتابعت وهي تبحث في الخزانة " حتى الثياب التي حجزتها

بالانترنت أخذها فراس لمنزلك ، أي لا ترفعي هم شيء

أبدا غير أن ترتاحي وتنامي جيدا"

ثم أخرجت ما تبحث عنه وأخيرا حتى كاد يقتلني الفضول

واقتربت مني ونزعت لي حجابي وألبستني عقدا في عنقي

وقالت " هذا كان لوالدتي لبسته ليلة زواجها وألبسته لي حين

تزوجت عمك رياض ولأنه لم يرزقني الله بنات قررت أن

ألبسه زوجة ابني الأكبر لتحفظه بعدي وتحافظ عليه متمنية

من الله أن تلبسيه ابنتك في عرسها"

وقفت وحضنتها وقلت بحنان " أطل الله في

عمرك لتلبسيه أنتي لها"

ابتعدت عني وقالت مبتسمة " عجلا بالحفيدة إذا"

ضحكت وقلت " على هذا الحال لا أضن"

مسحت على شعري وقالت " ردين الزواج مسؤولية كبيرة

وليس كما نعتقد نحن النساء وعلى المرأة أن تتحلّى بالحكمة

والصبر لينجح الأمر فهي المضحية دائما"

لويت شفّتي بعدم اقتناع فقالت ضاحكة " أعانكما الله على

بعضكما وعمك رياض أقسم أمامي إن فكر فراس في

تطليقك يوما لا هوا ابنه ولا يعرفه"

قلت بصدمة " ولما " !!

رفعت كتفيها وقالت " قد تعرفين يوما لما

ولكن ليس مني الآن"

هزرت رأسي وقلت " حسنا كما تريدين"

فابتسمت وأمسكت يدي وسحبتي منها قائلة

"تعالى عليك أن لا تخرجي من غرفتك هاذين

اليومين ولا يراك زوجك حتى وقت الحفل"

تنهدت وتبعتها بقلة حيلة ، وبالفعل صرت سجينه غرفتي

يومين وفراس على حد قولها هددته من دخول غرفتي ولا

تعلم أنه لا يدخلها إلا ليصرخ بي أو يعكر مزاجي

اليوم استيقظت الفجر كعادتي لكن ليس على صوت الأذان

بل على صوت عمتي التي لم تسكت حتى فتحت عياني

وتوجهت هي للنافذة وفتحتها فجلست وقلت بتذمر

" عمتي ألا ترين أنه ظلام ما الداعي لفتح النافذة الآن"

عادت نحوي وسحبتي من يدي قائلة " بسرعة

لا عروس تنام لوقت متأخر في مثل هذا اليوم"

غادرت السرير قائلة " من يسمعك يضمن أنني أنام حتى الظهر"

ثم توجهت للحمام ليبدأ يومي الشاق ، استحممت وخرجت

ووجدتها تعدل الفستان المعلق هنا عندي من يوم أمس ونائم

معي كالشبح ، لا أعلم لما تفرح الأمهات هكذا بزواج أبنائهم

وكأنه زواجها هي رغم أنها لن تكسب منه شيئا ، أخرجني من

أفكاري صوت رسالة وصلت هاتفي فتوجهت نحوه وحملته

وفتحها فكانت من فراس وفيها (موعدا الليلة يا أم لسان)

فرميت الهاتف على السرير بغيض))

أغلقت الرواية لأن الصفحة انتهت ولأن النوم بدأ يغزوا

عينا فتغطيت باللحاف ونمت سريعا قبل أن تسلبه مني الأفكار

*

*

عند الصباح خرجت من غرفتي نظرت جهة باب غرفة

سما ثم تابعت سيرتي ونزلت للأسفل وكنت أسمع صوتها في

المطبخ فدخلت غرفة والدتي وقلت " صباح الخير"

قالت مبتسمة " صباح النور ما كل هذا النوم هل كله

هروب من النزهة"

ابتسمت لها بحب فما أنقى قلب الأم لا شيء يضاهيه سوا قلوب

الأطفال النظيفة ، ثم نظرت للأسفل بابتسامة حزينة حين تابع

قلبي تصنيفه وقال وقلب سما التي كلما أخطأت في حقها تعتذر

هي مني وإن غضبت ترضى بعد لحظات ، لولا حظي التعيس

ما كنت سأحتاج من الحياة غيرهما ، أخرجني من كل ذلك صوت

سما وهي تقول في الخارج " خالتي هل نأخذ شيء آخر، نزار لا

يريد أن ينزل ليساعدني ابنك هذا غضبه مني لا ينتهي أبدا"

نظرت لي بابتسامة ماكرة وقالت بصوت مرتفع

" أنتي من أفرطت في تدليله كلما أخطأ هوا تعتذرين

أنتي منه حتى أفسدت طباعه"

وضعت يداي وسط جسدي أنظر لها بضيق فضحكت

بصمت وقالت سما مبتعدة جهة المطبخ " وما عساي

أفعل سأقتل قلبي وأرتاح"

أخذت حينها أمي أحد وساندها ورمتها علي فأمسكتها

وأعدتها خلف ظهرها وقبلت رأسها وخرجت وعدت للأعلى

وراقبتها حتى خرجت متوجهة جهة غرفة والدتي ونزلت كي

تضن أني نزلت الآن ثم توجهت من فوري لجهة الأغراض

وهي ما أن انتبهت لنزولي حتى أسرع لتدخل غرفة والدتي

وكأنها تهرب مني ، أخرجت الأشياء التي جهزتها للسيارة ثم

عدت لغرفة والدتي فكانت جالسة على الكرسي المتحرك

ووحدها هناك فأمسكت يدا الكرسي وقلت " وأين سما"

قالت وهي تعدل غطاء ساقها " سعدت لتغير ملابسها"

خرجت بها على نزول سما من الأعلى ترتدي بنطلونا من

الجينز وبلوزة للفضة وجاكته قصيرة جدا من الجينز أيضا

ترفع شعرها كذيل حصان ولأول مرة وغرتها تتحرك مع

خطواتها على السلالم كالريش وعيناها سافرت هناك واقفا

مكاني وهي كانت منشغلة بحقيبة يدها حتى اقتربت منا ، منذ

عاشت سما معنا لم أتدخل بثيابها ولا حجابها ولا مظهرها

كنت أراه شيء يخصها لا يحق لي التدخل فيه ولم أكن أعرفه

أي اهتمام ، الآن لا أعلم لما لا أريدها أن تخرج دون

حجاب ولا ملابس تبرز جسدها الغض الصغير ، أبعدت

نظري عنها ما أن وصلت وخرجت بوالدتي وهي تتبعنا

ساعدت والدتي على ركوب السيارة وسعدت هي في الخلف

ثم توجهت لبابي وأشرت بيدي لعوني في سيارته الواقفة
في الخلف عند منزلهم وهم جميعهم فيها ثم ركب السيارة
وانطلقنا في صمت من الجميع فكل واحد من ثلاثتنا أصبح
هناك ما يخرسه طوال الوقت والمحور الأساسي واحد وما
لم أكن أستطيع التحكم به هما عيناى التي كانت تسرق النظر
لها وشعرها يتناثر مع الهواء القوي الذي يدخل من نافذتها
وعيناها مسافرتان للخارج بشرود ، لم أنسى لحظة ذاك البكاء
الموجع الذي سمعته البارحة حين نزلت لأغير قارورة الماء
ولم أنم بعدها ولم يغمض لي جفن رغم كل محاولاتي ، ترى
هل أنا السبب أم شيء آخر فملايين الأشياء لدى سما تستدعي
البكاء فكل ما مرت به لا يمكن لأحد أن يحتمله ، لكنها لم تبكي
هكذا سابقا وبهذا الوجع والحرقة ، لماذا يا سما لما جعلتني
أحد أوجاعك الكثيرة والكبيرة لما صنعت مني جلادا يضربك
بلا رحمة طوال الوقت ، جمدت عيناى عليها وسهما اخترق
قلبي حين رأيت يدها امتدت للقلادة في عنقها التي أهديتها
لها سابقا وقبضت يدها على الزهرة فيها وهي لازالت تنظر
للخارج ويدها الأخرى مسحت دمعة على أعتاب جفنها لم

تسمح لها بالنزول ونسيت نفسي في هذا المنظر حتى أمسكت

السيارة بسرعة من الاصطدام بمن أمامنا وبحركة سريعة

حتى تقدمنا جميعنا للأمام وقالت والدتي " نزار ما بك أين

عقلك كدت تصدمنا بالسيارة"

أدرت المقود وسلطنا الشارع الآخر وأنا في صمت لم أعلق

على الأمر فلم أخرج بعد من بعثرة تلك المشاعر ولم تمسح

عيني ذلك المشهد بعد ، وصلنا حينها وأوقفت السيارة على

وصول سيارة عوني ونزل على لحظة نزولي واقترب مني وقال

" ما بك لقد أفزعتنا عليكم كيف لم ترى السيارة أمامك"

قلت متوجها جهة حقيبة السيارة " جاءت سليمة"

أنزلت كرسي والدتي وساعدتها للنزول والجلوس عليه ونزلت

عائلة عوني وسما التي توجهت نحو والدتي وصباح وابنيها وأنا

أنزلت الطعام وفراش الرحلات ودخلنا الحديقة واخترت مكانا

مناسبا وأجلست والدتي وجلسنا وأخذت سما ابنة عوني دون أن

تجلس وتوجهت بها جهة المرايح والألعاب وتبعهما أحمد من

فوره راكضا ينادي " شما شما"

وبقينا نحن وكانت والدتي وصباح تتحدثان معا وعوني يحكي
لي عن الحادث الذي شهده بالأمس وبعد وقت قال عوني وهو ينظر
جهة حافظات الطعام " لما لا ترونا ما أعدت سما من وجبات"

ضحكت والدتي وقالت " كل واحد يأكل من طعامه"

كان سيقول شيئا لكنه سكت حين نظر لزوجته تنظر له

بضيق فضحك وقال " أنتم الخاسرون"

ثم وقف وقال " صباح ما رأيك في نزهة مادنا

وجدنا مربية لأبنائنا"

وقفت وقالت ضاحكة " فعل خيرا نزار حين لم يزوجها

بشقيقك لأنك لن ترحمها حينها"

سحبها من يدها قائلا " أصمتي قبل أن أتزوجها أنا"

قالت ضاحكة وهما يبتعدان " لن تقبل بك طبعاً يا عجوز"

ابتسمت على جملتها فعوني يكبرني بعام واحد وقالت عنه

عجوز أمام سما فيبدووا أنني لست وحدي أرى ذلك ، سافرت

بنظري حيث سما جالسة على طرف النافورة وطفلة عوني

في حجرها تلعبان بأيديهم في الماء وكأنها تتعمد الهروب من

الجلوس معي حتى أنها لم تنظر ناحيتنا منذ ذهبت لأنني كنت

أراقبها كل حين والآخر عند الألعاب

"لما لا تذهب وتجلس بجوارها وتريح عيناك"

كان هذا صوت والدتي الذي أعاد نظري من هناك

ونظرت لها دون كلام فنظرت حيث سما وقالت

"لم أعلم قبلا أنك جبان أمام نفسك يا نزار"

قلت ببرود "أمي توقي عن هذا"

تنهدت وقالت "ليثني أقدر على التوقف رغم أنني البارحة

عاهدت نفسي أن لا أفتح معك موضوعها مجددا

لكني أحرار في حالك بني"

نظرت للأسفل وقلت بهدوء "تتعمد تجنبي يا أمي وكل

خطئي أنني أبصرتها للواقع كي لا تصدم بي فيما بعد"

قالت بجديّة "جرحتها يا نزار وكسرت قلبها وما تراه منها ليس

هروبا بل خذلان وحزن تريد أن تعيشه وحدها وبعيدا عنك"

قلت ورأسي لازال للأسفل "تحديثي معها يا أمي عما أخبرتك"

قالت بحزم "لا"

نظرت لها فقالت بضيق "لن أعدها أنا وتخلف أنت فيما بعد

ولن أعلقها بأمل كاذب أرفع أنا أئمه فهي عندي باتت بمعزتك

ولا أريد أن تكرهني يوما أو حتى تحمل في قلبها علي مستقبلا"

قلت بتذمر " والحل يا أمي لما ترفضين مساعدتي"

أبعدت نظرها عني وقالت ببرود " أخبرها بنفسك وعدّها

وأخلف وتحمل ذنبك وحدك فلك لسان طوله شبرين"

تنهدت بضيق وقلت " أريدك أن تشرحي لها ذلك دون أن

تعلم أنني أعلم بمشاعرها نحوي ، أريدها أن تنتظرني باختيارها

هي أو تختار غيري مستقبلا دون أن تكون مربوطة بعهدا

لي لأنني أعرفها لا تخلف العهد فقد تميل نفسها لغيري فيما بعد"

تجاهلنتني ولم تتكلم فقلت " أمي"

قالت ببرود " ما لدي قلته وإن أطاعك قلبك فاتركها

لغيرك يا ابن أم نزار"

وصول حينها عوني وزوجته ومعهما أحمد وجلبت صباح

الطعام وقالت " اذهب ونادي سما لنأكل"

انطلق مسرعا ثم عاد وقال " شما لا تريد"

أكل البقية عداي أنا ووالدتي التي لم تأكل الكثير وقفز بعدها

أحمد يريد المثلجات ورفضوا والديه الذهاب معه رغم بكائه

فقال كلاما كثير لم أفهم منه غير كلمة (شما) وذهب جهتها

فضحكت صباح وقالت " هذا الوقح قال سما أفضل

منكم وستذهب معي وتشتري لي "

قال عوني " وأخشى أنّ سما ستصدمه بالواقع"

قالت حينها والدتي " لن تكون سما إن فعلتها"

وبالفعل ما أن وصل عندها حتى وقفت معه وتوجهت

نحونا تحدثه حتى وصلوا عندنا وأعطت لصباح طفلتها

وأمسكت يده فقلت وهما يغادران " سما هل أعطيك نقودا"

قالت مغادرة به " يوجد معي ما يكفي شكرا"

وابتعدا حتى اختفيا عن نظرنا وبدأت الهواجس تلعب بي

فالمكان حيث تُباع المتلجات بعيد ماذا إن لم ترجع ؟ ماذا إن

تعرضت للخطر أو تعرض لها أحدهم ، وقفت دون شعور مني

ولحقت بهما حتى أدركتهما عند بائع المتلجات ووقفت خلفها

وهي تأخذ ما طلبه أحمد وكيف يريد وعندما قال لها عن سعره

أخرجت أنا نقودا ومددتها له قبل أن تخرج هي ما في حقيبتها

فرفعت رأسها ونظرت لي فقلت ونظري على البائع

"اتركي ما لديك ، وأنتي ألن تشتري"

قالت بصوت منخفض وهي تنزل عند أحمد وتعطيه

له " لا أحب المثلجات"

ثم وقفت وأمسكت يده الأخرى وتحركت مغادران فأمسكت

بيدها موقفا لها فنظرت لي باستغراب فسحبتها معي حيث

شجرة كبيرة ودرت بها خلفها و أحمد يتبعنا وأوقفتها متكنة

بظهرها عليها ووقفت أمامها مسندا يدي بالشجرة جانب رأسها

وقلت وعينا في عينيها " لدي ما أود قوله لك يا سما"

وقفت انتظرهما وهما طبعاً كباقي الأطفال أبطاً من السلحفاة

حين لا يريدون ترك شيء يحبونه ، اقتربت ترف تحرك الماء

حولها بيديها وقالت " قليلا فقط ماما أرجوك نسبح قليلا"

جلست على الكرسي تحت المظلة وفتحت شعري أحركه

في الهواء وقلت " نصف ساعة فقط ومن لا يخرج

لن يكون هنا المرة القادمة"

ثم جمعته للأمام كله وعادوا يلعبون بمرح فترف منذ انتهى

المسبح وهي تهدي به حتى في النوم خصوصا أن المهندس

الذي صممه اتبع فكرة ذكية تساعد قصر ساقها مع عمق

المسبح ومنذ ذلك اليوم أصبح سلاحا فعالا لتهديدها فهي على

استعداد أن تخسر سنين من عمرها ولا تخسر الخروج له

أما أموري وجابر فمنذ تلك الليلة في برود تام بعدما سحبني

للغرفة وقال داخلا بي " لما لا نتوقف عن لعب الأطفال قليلا"

استللت يدي منه وقلت بضيق " ومن هذا الذي كان منذ

قليل يلعب كالأطفال ؟ أنا لم أفعل شيئا"

التفت لي ووضع يداه وسط جسده وقال

" اشرحي لي طريقة أتفاهم معك بها يا أرجوان"

قلت بأسى " لن أجبرك على أن تعترف بما لا تقتنع

به ، لكن على الأقل اعترف أنك أخطأت في حقي"

قال بجمود " هكذا إذا تصرين على أن أعتذر"

قلت بجدية " نعم فأنت المخطأ"

قال متوجها جهة السرير " وأنا لن أقربك قبل أن

تعندري عما قلته يومها"

نظرت له بصدمة من وقاحته ، ما يعني بهذا هل يراني أتلهف

للنوم في حضنه ليضع لي هذا الشرط ، اضطجع على السرير

وغطى جسده باللحاف وقال " ونامي خارج الغرفة لتري

وجهي الذي لا يعرفه إلا المجرمين"

ومنذ ذاك اليوم نسير على نفس المنوال انعدم حديثنا إلا من

الأمور الضرورية جدا ولم أعد أراه إلا فيما نذر وأسوء من

السابق ، يرجع وأنا نائمة ولا أتحرك حتى بعد تشغيله الإضاءة

ويخرج صباحا في صمت إلا إن لزم الأمر ولا أسمع سوى التأفف

من حين لآخر ، لن أستسلم لأني إن استسلمت هذه المرة سأفعلها

دائما وعليه هوا أن يرضخ بما أنه من وضع هذا الحد والقانون بأنه

تحكمنا العشرة والتعود ولن يعتذر فأنا أيضا أصر على كلامي ولن

أعتذر ، اقتربت بيسان وقالت وهي تتحرك بحرية في الماء

"ماما لما لا تأتي معنا الماء منعش وجميل"

ابتسمت وقلت " هل تريدي أن أغرق تعلمين

أني لم أتعلم السباحة مثلكم"

قالت ترف بمرح " البسي بطة ولن تغرقين"

لم أستطع إمساك ضحكتي وأنا أتخيل شكلي أصبح ببطة حول

خصري ، أعلم جيدا مبتغاهم يريدون أن يبقوا أكثر ، نظرت

لهم باستغراب وأنا أرى أعينهم تلعب خلفي فأدرت رأسي بريية

لأرى من الذي يبدو أنه يسكتهم في الخلف فلم أشعر بنفسي

إلا صارخة وأنا أرتفع في الهواء لأجد نفسي بين ذراعي

جابر وهم يصرخون " أنزلها هنا أنزلها"

فتعلقت بعنقه وقلت بخوف " لا جابر أنا لا أعرف السباحة أنزلني حالا"

قال بمكر " أنا أعرفها وأعرف كيف أنقذ الغرقى أيضا"

دسست وجهي في عنقه أكثر وهو يتحرك بي جهة المسبح

وقلت برجاء " جابر لا أرجوك ألت غاضب

ولا تكلمني أنزلني"

قال ببرود " أنتي الغاضبة وليس أنا وعليك أن ترضي

حالا وتعتذري عن كل كلامك"

قلت باستياء " أنا لم أخطأ ولن أعتذر"

تم صرخت بذعر حين هز جسدي ليوقعني وقلت

" جابر أقسم إن أوقعني غضبت منك لآخر حياتي ولن أكلمك"

حرك يديه مجددا ليزداد صراخي وتعلقي بعنقه وقال

" كل هذا ولست غاضبة وتكلميني"

قلت " أجل ولم ترى غضبي بعد"

قال " إذا للمسبح فورا وتوقفي عن الحركة لأنك ستقعين مني"

قلت بضيق " أنزلني هذا لا يجوز وليس عدلا لما أنا التي أعتذر"

حركني بقوة فقلت بذعر " حسنا آسفة آسفة"

قال " ولن تعيدها"

قلت بصوت منخفض " أنزلني أو عضت لك عنقك حتى تتركني"

ضحك وقال " تحملي الفضيحة حينها لأنني لن أخفيها بشيء

هيا قولي أنك لن تعيدها مجددا"

قلت بتحدي " لا ولم أعتذر إلا مرغمة"

قال " حسنا إذا هذا اختيارك فتحملي النتائج"

قلت بسرعة " توقف جابر أنا لذي فوبيا من المياه العميقة أقسم لك"

قال ببرود " إذا سأشفيك منها"

قلت باستياء " توقف لن أعيدها يا ظالم يا متجبر يا جابر"

أنزلني وأنا من ذعري لازلت متعلقة بعنقه وقال بهمس

" أنا الظالم يا ظالمة أكثر من أسبوع تعاقبينني

ونحن ننام في سرير واحد"

أنزلت ذراعي ببطء قائلة " أنت من وضعت

لنفسك تلك العقوبة"

أمسك خصري بيديه ودفعتني قليلا للوراء فعدت للتمسك

به وقلت بذعر " أقسم أن هذا ليس عدلا أبدا"

حضن خصري بذراعيه ورفعني ولف بي بعيدا عن المسبح

فابتعدت عنه وأمسك هوا يدي وسحبني منها قائلا

"المهم حصل واعتذرت مني"

قلت وأنا شبه أركض لأجاري خطواته

"مجبرة طبعا فلا تفرح بها"

وقف والتفت لي ليعود بي هناك مجددا فابتعدت عنه

ووضعت يداي وسط جسدي وقلت باستياء وبصوت ملته

أسى " ظالم يا جابر تجرحني وترغمني على مالا أريد قوله"

مد يده وسحبني ناحيته ورفعني مجددا وتوجه بي جهة الباب

الزجاجي الذي تم إضافته جهة المسبح لينفصل عن باقي

الحديقة ودخل بي قائلا " كلمة أخرى يا أرجوان وأقسم

أني أنا من سيغضب منك لآخر العمر"

وصعد بي للأعلى أمام من قابلنا من خادmates ولم يكثرث

لأحد وجيد أن والدته لم ترنا لكانت أغرقتة بكلامها المعسول
فإن كانت قبلة على خده أعدتها وقاحة فكيف بهذا ، وأنا طبعا
استسلمت لواقعي أحببت أم كرهت فيبدو أن هذا الرجل لا أمل
يرجى منه وحتى الاعتذار يستله بالقوة لكني لك يا جابر ومثلما

أرغمتني على الاعتذار ستعتذر رغما عنك

*

*

وقفت أمام الباب المغلق واتكأت عليه بجبيني وكف

يدي وقلت بهدوء " زهور "

ولا مجيب طبعا وهذا حالها منذ تزوجتها أكثر من أسبوع
تسجن نفسها في الغرفة حتى الرحلة التي حجزها لنا جابر
تحجبت لكي يلغي الحجز ومعتصم حين اتصل يريد زيارتنا
أخبرته أننا سنخرج ولا يضايقنا ثانياً لأتخلص من الموقف
وهي على حالها حتى الطعام أترك الشقة لساعات لتخرج
وتأخذ شيئاً من المطبخ ومنذ يومين لم تغادرها ولا حتى للأكل
وكأنها تريد أن تموت هنا أمام عيناى وتقتلني بحسرتي عليها

عاودت الطرق مجددا وقلت بأسى " زهور ارحميني هل

يعجبك حالي هكذا حتى النوم كباقي البشر لم أعد أنام"

لم تجب طبعا فضربت بقبضة يدي الباب وتنهدت باستسلام

فحتى الكسر لا يمكنني كسره عليها لأنني أخشى أن يؤثر في

نفسيتها حين تضنني أريد أخذ حقي الشرعي منها بالقوة فهي

كما توقعت ما رأته من ذاك الذي تزوجها والصدمة بمعرفتها

الحقيقة أثرت بها كثير ، استدرت مغادر فإن حبست نفسها اليوم

أيضا سأخبر جابر يأتي ليخرجها فهوا حلي الوحيد الآن ، وما أن

ابتعدت بخطواتي حتى سمعت باب الغرفة انفتح خلفي فالتفت لها

بسرعة فكانت واقفة خلفه تمسك مقبضه بيدها ترتدي فستانا قطنيا

قصيرا ولأول مرة أراها بفستان غير فساتينها الحريرية الطويلة

كان وجهها شاحبا ومصفرا وخداها محمران وتتنفس ببطء شديد

اتكأت برأسها على طرف الباب وما أن فتحت فمي لأتحدث حتى

سقطت مغشيا عليها فركضت جهتها دون شعور صارخا باسمها

ونزلت عندها ورفعته لحجري وضربت خذاها وأنا أقول

بخوف " زهور ما بك زهور لا تفعليها بي وخافي الله

فيا زهور فأقسم أن أجن"

ضربت خدها أكثر حتى أنت أنينا مكتوما فضممتها لحظني

أقبلها ثم أضمها بقوة وأقول " حمدا لله كدت تقضين علي"

حملتها بعدها للسرير وخرجت ركضا للمطبخ وأحضرت ماء

باردا ورششت به وجهها حتى استفاقت قليلا ثم رفعت رأسها

وأشربتها منه وأعدتها مكانها ووضعت الكوب على الطاولة

ومسحت بيدي على شعرها أراقب ملامحها الفاتنة المتعبة

وقلت بهدوء " لما هكذا حبيبي لما تعشقين تعذبي يا زهور"

أغمضت عيناها ببطء ونزل من طرف إحداها دمعة فمسحتها

لها وقبلت عيناها وجبينها وخرجت من الغرفة بعدما أخذت المفتاح

معي هذه المرة وتوجهت للمطبخ وأعددت شوربة خضار سريعة

وأعددت عصير فواكه طبيعي وسكبت الحساء في طبق ووضعت

في صينية تقديم هوا وكوب العصير وأخذتهم للغرفة فكانت مكانها

نائمة على السرير لكنها تخفي عيناها بذراعاها ، وضعت

الصينية على الطاولة وجلست بجوارها وقلت بهدوء

" زهور هل يضايقك نور الغرفة"

قالت بهمس متعب " نعم"

توجهت نحوه وأطفأته وأغلقت ستائر الشرفة ولم تبقى سوى

الإضاءة المنبعثة من الباب وعدت جهتها وجلست ورفعت

لها ذراعها مبعدا لها عن وجهها وسحبها لتجلس قائلا " أجلسي

للتناولي الحساء سيفيدك كثيرا فهذا كله بسبب سوء التغذية"

سحبت يدها مني وقالت " لا أريد"

وقفت وأجلستها مرغمة وقلت بحزم " بل ستأكلينه ولو مجبرة"

ثم جلبت الصينية ووضعتها في حجرها وجلست بجوارها

ورفعت الحساء بالملعقة وقربتها من شفيتها فأبعدت وجهها

وقالت باستياء " قلت لا أريد أبعده عني"

أمسكت ذقنها بأصابعي وأعدته ناحيتي وقلت

"بل ستأكلين يا زهور واتركي عنك الجنون"

قربت الملعقة لfمها مجددا فرفعت يدها لتبعدها فأمسكتها لها

وأنزلتها قائلا " لن أتركك حتى تأكلي فخلصي نفسك مني لثرتاحي"

تأففت وأكلت أخيرا ولم أتركها حتى أكلت نصفه وأشربتها

كأس العصير بيدي رغم أنها كانت تريد أخذه مني لتشربه

بنفسها ثم اضطجعت على السرير وغطت نفسها باللحاف

وقالت من تحته " اتركني وحدي"

أبعدت اللحاف عن وجهها وقلت " زهور لما كل هذا أنا تعبت

من النوم على الأريكة ولن ألمسك ما لم توافقي على ذلك

وأنا لست طفلا وعند كلمتي وسأنام هنا"

جلست وقالت مغادرة السرير " إذا أنا من ستنام في الخارج"

وقفت وأمسكت يدها قبل أن تغادر وقلت بضيق

"زهور قلت لن ألمسك وستبقي هنا"

سحبت يدها مني بقوة وقالت بحدة " اتركني وشأني

قلت ابتعد عني ألا تفهم"

ترنحت بعدها في وقفها وفقدت توازنها ممسكة رأسها

فأمسكتها من خصرها فاتكأت برأسها على صدري فسرت

بها جهة السرير قائلا " لما العناد يا زهور هل يعجبك هذا"

أعدتها للسرير وعدت جالسا بجوارها ومسحت على شعرها

وقلت " هل نذهب للمستشفى تبدين متعبة"

قالت بهمس وعيناها مغمضتان " لا أريد"

تنهدت بضيق لو تغير هذه الجملة فقط ، مسحت بيدي

على خدها وقبلت خدها المقابل لي وقلت بهمس

"نامي حبيبي وسترتاحين"

بعد قليل بدأ تنفسها ينتظم ويبدوا نامت فوقفت وشغلت النور

وعدت وجلست عند رأسها أتأمل ملامحها جميلتي وفاتنتي

وحبيبة طفولتي بل وحلمي الذي سرقتة مني السنين ، لماذا

يا زهور لماذا يا أميرة قلبي تفعلين بنا هذا ؟ لما لا تعطينا

فرصة واحدة نضمد الجراح وننسى الماضي ونعيش من أجلنا

نحن ، وبقيت على ذاك الحال لوقت طويل لم أتعب ولم أمل من

النظر بشغف لملامحها أسرة قلبي سيدة الجمال بين جميع نساء

الأرض فلطالما تحدث كل من عرفها عن جمالها وكمال حسنها

وتهافت الخاطبين عليها حتى سرقوها مني ليعيدوها جثة بلا روح

قربت وجهي من وجهها ببطء فلم تعد لدي أي طاقة للصبر عليها ولم

يهدأ قلبي المشتاق إلا حين استشعرت شفتاي نعومة شفتيها وقبلتها قبلة

صغيرة تطفئ القليل من الشوق ولكي لا تشعر بي ونصبح في مشكلة

فأبعدت شفتاي كطفل سحبوه من حضن أمه وهووا يتشبث به فهذه

اللحظة القصيرة لم تضاهيها سنين حياتي كلها ، كل الكون في كفة

وحرير شفتيها يضاف لذاكرتي في كفة أخرى يا الله ألهم قلبي العاشق

مزيدا من الصبر والقوة ، ابتعدت بسرعة من تنفس أنفاسها عندما

تحركت منزعة فابتسمت على حركتها العفوية وهي تظن أنه شيء

ما على شفيتها ثم اضطجعت معها على السرير ورفعت يدها ببطء

ووضعتها على صدري بل على قلبي ووضعت يدي عليها ، نعم

أعدي له الحياة فهو كان بدونك ميت ، كان خرابا تسكنه الأشباح

مدينة فقدت ساكنيها وأنوارها وحتى ضوء النهار ، أغمضت بعدها

عيني ببطء وقلت بهمس " هنا يا زهور هنا تسكنين منذ سنين كم

تعذب هذا القلب من بعدك وذاق مرارة الهجر والفقد والحرمان

اسمعي نبضاته تهذي باسمك وتعيش من أجلك وحدك ، كنت على

استعداد لأن أبيع عمري من أجل هذه اللحظة يا حبيبة رضا"

ثم تنفست بارتياح وفتحت عيني ونظرت لها فكانت مستيقظة

وتنظر لي بصمت وجمود فابتسمت لها ورفعت يدها لشفاتي

وقبلتها وقلت " عودي للنوم حبيبتي آسف لأنني أزعجتك"

استلت يدها مني ودستها تحت خدها وأغمضت عينيها

وقالت " كم تعشق قول الأكاذيب يا رضا"

انقلبت مقابلا لها نائم على ذراعي ألتهم ملامحها بعيني

وقلت " تعلمين أنها ليست أكاذيب وليس رضا من يكذب"

ثم مسحت بإبهامي على خدها وقلت " وعلى ضفاف زهور
خديك تموت وتحى أحلامي ، فاتنتي أنتي وعشقي لقد تغيرت
المدينة والشوارع والأشخاص وتبدلت الأرض غير الأرض ليس
هربا منك بل من موت ذاك الحلم لأكتشف بعد سنين أنني رحلت

لكني لازلت في مدينتك أرى شوارعها وبيوتها في منامي

كل ليلة لأنك تحتلين تلك الأحلام"

أبعدت يدي عن وجهها وقالت بهمس وعيناها ما تزالان

مغمضتان " ابتعد عني"

مررت أصابعي على يدها الناعمة وابتسمت وقلت

" هل تعلمي متى كتبت هذه الكلمات وأين"

قالت بذات الهمس " كاذب"

وتسللت من رموشها دمعة مسحتها لها بإبهامي وقبلته قبلة

خفيفة وقلت " كتبتها عندما سافرت من هنا هربا من واقع أنك

لم تعود لي ولن تصيري لي واكتشف أنني لم أغير سوى المكان

والباقى كله أخذته معي في قلبي كما أخذت ثيابي في حقيبتى"

ثم غادرت السرير وخرجت من الغرفة بعدما أطفأت النور

*

خرجت من الحمام أجفف شعري بالمنشفة ورفعت هاتف

الغرفة وطلبت من سيلا المجيء وجلست أجففه بالمجفف بعدما

غادر السيد جابر وكأنه جاء فقط من أجل هذا وهاتفه الذي أراني

الله فيه يوما يتحطم أو يضيع منه فهو لم يتوقف عن الرنين حتى

غادر لهم ، تنهدت بأسى وأوقفت المجفف ومررت أصابعي على

عنقي نزولا لتلامس الأثر الخفيف عليه ثم أغمضت عيني وتنهدت

بحزن ، بقدر جرحي منك يا جابر أتوق لك وأشتاق وليتك أنت

تشعر كما أشعر لكن الحجر يبقى حجرا ، أنزلت رأسي وزدت

من الضغط على عيني وأنا أتذكر كلماته التي قالها وسط

قبلاته (أتعبتني يا أرجوان ... هل تعي معنى هذا)

لكنها كالجليد تذوب ولا يبقى لها أثر كالكلمات التي كانت تخرج

منه سابقا في ذات الوضع وأفهم بعضها وأجهل أغلبها وجميعها

سراب تحكمها اللحظة فقط وتنقشع فيما بعد ، ليتني أتوقف عن

حبك يا جابر حتى أني لازلت لا أنام الليل إن تأخر وكل الهواجس

تزورني رغم أنه قال لي سابقا أن وظيفته لا مداهمات فيها وقبض

ومطاردات بل كل عملهم التحقيق في الجرائم ومع المجرمين لكن

قلبي الأحمق لا يرتاح ، طرق أحدهم الباب ليعيدني لواقعي الأسوأ

مما كنت فيه ففتحت عياني وأنزلت يدي ودخلت سيلا قائلة

"نعم سيدتي"

نظرت لها وقلت " هل أدخلتي أولاد"

هزت رأسها بنعم فوقفت وقلت متوجهة جهة غرفة الملابس

" خذي الثياب للأسفل ونظفي الغرفة والحمام سأذهب لهم"

دخلت الغرفة لبست فستانا طويلا مفتوحا من جانبيه وخرجت

للغرفة أمسكت شعري وغادرت الجناح وتقابلت وعمتي التي

باتت تحركاتها تكثر ولا أفهم لما ومؤكدا تدبر شيئا فهي منذ اكتمل

المسيح وأصبح الأولاد ينزلون له بأوامري ويلعبون حتى خارجه

زادت نظرات الحقد في عينيها وتغيرت تحركاتها ، تجاهلت كل

تلك الأفكار فلم يبقى لها سوى أن تقتلني فلتفعلها وترحمني وترتاح

دخلت غرفة الأولاد على صوت رسالة وصلت هاتفي فنظرت لها

فكانت من سوسن ففتحتها وكان فيها (كيف هي أحوالك)

طبعا أنا وسوسن لم نعد نتحدث إلا بالرسائل بعد الذي قاله

بلسانه عن مراقبة الغرف ورأيته بعيني في حاسوبه تلك المرة التي

ليتها تتكرر بعدما علمت طريقة سهلة لفك رموز القفل ففضولي
لم يهدأ حتى الآن بعدما رأيت ذاك الملف بعيني (حدودي عند هنا)
هذا الاسم سبب لي الهواجس من كثرة تخمين ما يوجد فيه ولم أجد
بعدها فرصة لرؤيته ، عدت من أفكاري لهاتفي وأرسلت لها

(كسر قراري وقراره كما هوا عليه)

أرسلت في الفور (أرجوان عليك العودة لطريقتك السابقة

والصبر فبهذا الشكل لن تجني شيئا)

سوسن من مدة تصر على أنني أسلك الطريق الخاطئ بما فعلت

وأنه كان عليا أن لا أبالي لكلامه وأتصرف كما كنت دون تغيير

وأصبر لكن الكلام ليس كالتطبيق فكيف لا أبالي لحظتها وهوا

يطعني بعنف ، وصلت رسالة أخرى منها وفيها (أنتي لم تجني

شيئا بما فعلته والدليل أمامك فعودي كما كنتي لأنك كدت تنجحين)

رميت الهاتف بعيدا عني ... قال كدت أنجح قال فيما يا حسرتي

إن استسلمت أنا فسأكون دائما هكذا ، أدخلت الفتاتين للحمام لينا

بعد هذه السباحة المطولة وكلام سوسن يدور في رأسي وأنا أقاومه

كل حين ، غطيت ترف بالحاف وقبلت جبينها فقالت مبتسمة

"أحبك ماما"

حضنتها وقبلتها وقلت بحنان " وأنا أحبك بنيتي وما الذي

يكسر ظهري غير حبكم أنتم وذاك الحجر"

قالت باستغراب " تحبين حجر من الحديقة!! "

ضحكت كثيرا ثم أمسكت أنفها وقلت مبتسمة

"نامي بسرعة"

قالت " حاضر"

وأغمضت عينيها ونظرت جهة بيسان فكانت في نوم عميق

فتوجهت ناحيتها وغطيتها جيدا وقبلت جبينها وخفضت التبريد

ثم خرجت وأغلقت الباب وتوجهت لغرفة أمجد وكان هوا وعمر

يلعبان بلعبة الكترونية تخص عمر فنظرا لي وقال أمجد

"متى سيكون لدي مثلها"

قلت مبتسمة " كما وعدتك بني ستكون هدية نجاحك"

هز لي رأسه بحسنا مبتسما ثم عاد بنظره عليها فقلت

"عمر أبعدا عن عينيكما هذا مضر"

أنزلها قليلا للأسفل وخرجت من عندهما ، سأشتريها له ولو

ضربوني بسببها فلن أترك أمجد هكذا يشاهده فقط كالمتمسول

وعمر أناني لا يسمح له إلا بروئيته وهو يلعب وأموم والد أمجد

تفوق أموالهم بكثير غير أن ذاك المنزل يعيشون في الواقع وهذا

القصر منفي للأحياء ، وصلت جناحي على صوت رسالة ظننتها

من سوسن تعاود محاولات إقناعي لكنها كانت من جابر ففتحتها

بفضول فكان فيها (إن وجدتك نائمة الليلة ستكملين نومك في المسبح)

تأففت ورميت الهاتف على السرير فما قد عدنا لذات الطريقة

أوامر في كل شيء ، هذا الرجل كثلة متحركة من إصدار الأوامر

*

*

فتحت عياني بصعوبة ثم جلست أمسك رأسي من الألم فيه

ولا أعلم من أين جاءني كل هذا النوم وكأني لم أنم حياتي

لممت شعري فانفتح الباب حينها ودخل رضا بصينية أخرى

ووضعها على الطاولة قائلا " صلي المغرب وتناولني هذه

شوربة لحم ليست كتلك "

وقفت ودخلت الحمام متجاهلة له واستحمت طويلا ولبست

المنشفة البيضاء الخاصة بالاستحمام وربطت حزامها وخرجت

فكان واقفا وسط الغرفة ويداه وسط جسده وقال مبتسما

"سخته ثلاث مرات ، هل كل هذا تستحمين"

لم أعلق على كلامه وتوجهت من فوري لحقيبتي وفتحتها

وجلست أمامها على الأرض فاستدار جهتي وقال " لما لا

ترتبين أغراضك في الخزانة بدلا من كل هذا العناء"

أغلقتها ووقفت وقلت وأنا أسحبها معي " الأمر لا يحتاج إفراغها"

لحق بي وأمسك ذراعي قبل أن أخرج وقال " أين تذهبين بها"

استللت يدي منه بعنف وقلت " أترك لك الغرفة

طبعا مادمت تريدها"

عاد وأمسكها مجددا وسحبني نحوه حتى تركت يد الحقيبة

ثم رفعني عن الأرض وأنا أحاول إبعاد وجهي ونظري عن

وجهه فأوصلني السرير وأنزلني عليه وقال " فهمناها لا تحبيني

ولا تطيقين رؤيتي وستطلبين الطلاق وتتركيني فاتركي لي هذه

الأيام أعيشها معك كما أريد وأخبرتك أنني لن ألمسك مالم توافقني"

توجه بعدها لحقيبتي وجلس أمامها وفتحتها وهي عند الباب قائلا

"ماذا كنتي تريدين أن تلبسي أم أختار لك أنا على ذوقي"

رمى بعدها على السرير أمامي ملابس داخلية وتابع بحثه

فأنزلت نظري حرجا من هذا ولم أتحدث فوصلني صوته قائلا

"لما لا ملابس خروج لديك هنا كيف ستخرجين معي لنتنزه"

تنفست بقوة فوقف وأحظر لي أحد فساتيني وقال

"حسنا لا تنفخي هكذا سأخرج وأتركك"

ثم وضع الفستان في حجري وقبل خذي بسرعة وأنا

ابتعدت للخلف فقال مغادرا " لا بأس بها مقبولة أفضل

من أن أشاهد الخد الثلجي وأتحسر"

ثم وقف عند الباب وقال وهو يسحبه معه " تناولي الحساء

لأنه لا مفر لك منه ، ومعتصم قادم لزيارتنا الليلة فاستعدي"

ثم أغلقه خلفه فنثرت الملابس من حولي وبدأت بالبكاء ، لما

أنتي ضعيفة هكذا أمامه لما لا تطرديه وتسكتيه لماذا يا زهور

لما لا تأخذين بحقك منه ، لا بأس فالضربة الأخيرة لا مهرب

له منها فليفعل الآن ما يشاء ، ارتميت فوق الفستان أشده بقبضتي

وابكي بصمت ومرارة ، لماذا يا رضا لماذا صنعت مني هذه

لماذا دمرتني وحرمتني منك مرارا

*

أشرت بإصبعي على أحد الأسماء في الورقة على الطاولة

وقلت " هذا أكثر شخص قرّب الشاهد ملامحه لمن رآه تلك الليلة "

ثم نزلت بإصبعي قائلاً " اسمه عمران أحمد خيري النجار

اختفى صباح تلك الليلة ليُعثر عليه فيما يقارب الظهرية ميتا

بسبب انزلاق سيارته من منحدر في الطريق الجبلي

للوادي الوفاة كانت بسبب الحادث "

قاطعني قائلاً " كيف أجبروه على السقوط

بالسيارة وهو غير مقيد " !!

رفعت نظري له وقلت " جرعة من المخدرات لجسم لم

يعتد عليها فكيف سيتحكم في السيارة "

ثم عدت بنظري للورقة مجدداً وأشرت بإصبعي قائلاً

" انظر هنا إنه طالب في الكلية البحرية "

قال باستغراب " كيف يكون ضمن عصابة خطيرة

كهذه ، لا ويتعاط المخدرات "

أغلقت الملف وقلت " نظمت فرقة من رجالي ستساعدنا بدلا عن رجالك "

ضرب بيده على الطاولة وقال بضيق " جابر كيف تهمش رجالي

هكذا ودورهم كان مهما دائما ، يكفي الالهات والتوبيخ الذي

يسمعونه منك على الدوام "

نظرت له بجمود ثم عدلت وقفتي وقلت " أسعد لا ترفع صوتك

ولا تنسى أن أوامري فوق رأسك أنت أيضا وليس لأنني أعفيتك

من ضرب التحية لي وكلمة سيدي أمام رجالك تخاطبني كشخص

يعمل لديك وتذكر أن الخلل في جهازك يا رئيس الشرطة وسما

الشاطر لم تعلم بها تلك العصابة رغم أن رجالي يعرفونها بل كانوا

راقبوها لأشهر أما ما يضع رجالك أعينهم عليه يختفي في طرفة

عين ، وإن كشفوا أمر سما ستكون أنت أول من سأحقق معهم "

وقف حينها مغتاظا وخرج وتركني ، مهزلة تضحك لهم قليلا

يرفعون أصواتهم عليك بينما في دول أخرى من مثله لا يكلم

من في رتبتي إلا وجسده منتصب حتى إن كان رئيسا للشرطة

في البلاد مثله ، جمعت الورقتين ورفعت الهاتف وقلت من فوري

"أريد رقم المدعو نواس شاهين لدي صباح الغد وأدخلوا والد

عمران النجار حالا وأريد العقيد سالم هنا في أقرب وقت "

ثم أغلقت الهاتف على دخول خليل يتبعه اثنان ووالد

الشاب وجلس كل في مكانه وقلت ناظرا إليه

"ما الذي لاحظته على ابنك مؤخرا"

هز رأسه وتنهد بحزن وقال "ابني لم يكن يوما مجرما ولا

متعاطيا كان متفوقا في دراسته ويحب البحرية منذ صغره ودخل

للكلية برغبته لكنه الفترة الأخيرة كثر تغيبه عن المنزل وزيارات

رفاقه إليه أو هكذا قال لنا لأننا لا نعرفهم ، كان آخر ما قال لوالدته

(أمي إن أنا ارتكبت ذنبا يوما ومت عليه فقد أكون مجبرا

) فلا تنسيني من دعائك"

ثم توقف لأن دموعه بدأت بالنزول فقلت

"الماء من الثلجة يا خيري"

ثم نظرت له وقلت "قد يكون تورط مجبرا كما قال فأريد منك

جميع أسماء أصدقائه المقربين ومن كان يخرج معهم مؤخرا"

ثم نظرت جهة خليل وقلت "أريد كل شيء عنه في قسمه في

الكلية البحرية وبسرية تامة وحققوا مع الأسماء التي سيعطيها

لكم والده ووافني بالمهم"

ثم وقفت وقلت "يمكنك المغادرة سيد أحمد بعدما يأخذوا

المعلومات التي طلبتها منك "

ثم قلت مغادرا مكتبي " حين يصل العقيد سالم يلحق بي للمصنع "

خرجت بعدها فورا وركبت سيارتي لألحق رجالي هناك فهذه كانت

الجريمة الثالثة في ذات المصنع وكانت أحداها آخر جرائمهم ولم

نحصل سوا على هذا الخيط الرفيع (طالب في البحرية) ترى ما

الرابط بين هذا والأذون المزورة لإدخال بضائع للبلاد وما في تلك

البضائع وهل لشرطة الجمارك أو البحرية أي يد فيها ، قد يكونوا

مجموعة تعاون أحدهم على ذلك ويستحيل أن يكون الجهاز الأمني

البحري متورط بكامله لكان رئيس شرطة الجمارك على علم أم أنها

مجرد مصادفة فقط ، وصلت المكان ونزلت واقتربت منهم قاتلا

"أين رجال أسعد "

ضرب لي التحية وقال " جاءتهم أوامر بترك المكان "

قلت وأنا أجول بنظري فيه " فعل الصواب قبل أن

أصرفهم من هنا بنفسني "

أشرت بعدها لهم فاجتمعوا حولي فقلت " انتم كما اتفقنا من سيستلم

معي القضية ووضعت فرقتين أخيرتين من أجل الحالات الخاصة

والمداهمات فاستعدوا لربط ليلكم بالنهار لأنني سأعتمد عليكم

وتعلمون جيدا مصير من يقوم أحد باستغلاله أو تهديده وهو

الموت على يديهم فكل من يتعرض منكم لابتزاز أو تهديد

ومن أي جهة كانت يعلمني فورا "

هزوا رؤوسهم بالموافقة وقال أشرف " وجدنا شيئا هنا سيدي "

غادرت معه حيث أشار فكان سوار من الجلد والحديد رجالي

باسم ومقطوعة فقلت " هل لمسها أحد "

قال من فوره " لا سيدي ولم نجدها إلا اليوم "

أشرت لهم بيدي فأحضروا لي قفازا فلبسته ورفعتها فكانت باسم

أحادي وهو (عمران) وهذا أكبر دليل على ما حدث هنا وأنه

من أشار له الشاهد ، وضعتها في الكيس الذي مدوه لي وقلت

" ارفعوا البصمات عنها "

وتنقلت بعدها في المصنع لوقت ، كان خاليا من أي ورقة تدل

ولو على تجارة مشبوهة أو ما شابه ، وصل سالم واقترب مني

فقلت " تأكدت الآن أنه هوا رغم أنني كنت متأكد منذ البداية "

ثم نظرت له وقلت " مالك المصنع قُتل منذ أكثر من عامين

واستلم ابنه الأوسط إدارته ليُقتل منذ ست أشهر وفي تلك الليلة

دخلوا وقتلوا الحارس ورجوعهم لم يكن من أجل شيء غيره

على ما يبدو أو أنهم بحثوا عن شيء وهو شهد شجارهم

العائلة أغلقت المصنع منذ مقتل الابن ولم تفتحه "

قال بحيرة " كيف يكون جهاز الشرطة متورطا والبحرية دخلت

دائرة الشبهة أيضا ولا أحد من أجهزتهم الأمنية يعلم عنهم "

وضعت يداي وسط جسدي وقلت بجدية " أجزم أن أحد

أجهزة البلاد الأمنية متورطة في الأمر حتى النخاع "

قال بصدمة " جابر هذا الكلام كبير جدا وحاذر

من أن تحاسب عليه "

ابتسمت بسخرية وقلت " الخيط فقط يا سالم إن أمسكته فلا

أحد يمكنه الوقوف في طريقي "

تنهد وقال " أعلم أنه لا أعلى منك سوا وزير الداخلية ولو لم

تختر بنفسك هذا المكان لكنت مكانه لكن أن تتهم جهة أمنية

بأكملها أنها وراء هذا فلن يصب في صالحك "

وضعت يدي على كتفه وقلت " أعلم فأنا الآن أعدك وكأني أتحدث

مع نفسي والأمر ليس مجرد تخمين وسترى صدق كلامي "

ثم نظرت لساعتي وقلت " سأغادر الآن أريدك أن تستلم أمر

عمران النجار ووافني بكل جديد ، خليل لديه ملفه وأريدك

وأسعد صباح الغد في مكتبي "

ثم غادرت من هناك بعدما أعطيتهم الأوامر بإغلاق

المصنع ومراقبته أيضا

*

*

بعدها نومت الأطفال توجهت لجناحي استحممت ولبست فستانا

قطنيا قصيرا وجلست في الردهة أشاهد فيلما رومانسيا فلنعش

هذا ولو في الخيال مادام الواقع خالٍ منه ، لدي فضول فقط أن

أعرف زهور كيف يعاملها زوجها ذاك ولا يجب أن أعلم كي لا

أموت بحسرتي أكثر ، لا أعرف كيف يكون صديقا لجابر حتى ذاك

المهندس لا يبدووا مثله رغم أنني لم أقابله سوا مرتين وبالمصادفة

تنهدت بحسرة وأغلقت التلفاز فقد عافت نفسي حتى متابعتة ، دخلت

الغرفة وأمسكت إحدى المجلات أقلبها لوقت ولا شيء سوا الملل

لما لم يتركني أنام وأرتاح ، نظرت للساعة فكانت تقارب الثانية

عشرة فتنهدت بضيق ، ليس وقت عودته ولا وقت نومي ولا أعلم

لما أشعر أنني سأنام وهو يقيدني ، ماذا إن ضبطت المنبه على
الثانية فجرا ونمت قليلا ، رميت المجلة وأمسكت الهاتف وضبطت
منبهه ووضعتة بجانب رأسي وأطفأت النور ونمت بسرعة لأول
مرة وما كدت أصل لعمق نومي حتى شرعت بالضوء عدوي اللود
يتسلل لعيناي ففتحت عين واحدة فكان جابر متوجها جهة الحمام

وقال ببرود " يبدووا أن فكرة النوم في المسبح أعجبتك "

دخل وأغلق الباب خلفه وجلست أنا أجمع شعري للخلف ، ما به
هكذا بقي سلاحه لم يشهره في وجهي ! ما أدراني أنا به سيأتي في
غير وقته المعتاد ، غادرت السرير وتوجهت لغرفة الملابس واخترت
قميص نوم ولبسته وخرجت وجلست على كرسي طاولة التزيين
ووضعت كحلا ، خرج حينها من الحمام بمنشفته ودخل من فوره
لغرفة الملابس وأنا أتابعه بنظري وكأني أراه للمرة الأولى ، أشعر
أن تصرفاته غريبة هذه الليلة وكأن لديه فاجعة لا يعلم كيف يقولها
لي ! لو كان أحدا من أهلي موجودا لقلت أنه مات ، خرج من الغرفة
مرتديا بنطلونا رياضيا أسود وقميص أبيض داخلي وكأنه يريد اللعب
بمشاعري باستعراض عضلاته ، جلس بعدها على السرير في صمت
متكأ على ظهر السرير ينظر للسقف بشرود ، أبيع عمري وأفهم ما

يدور في رأسك يا جابر ، وقفت وأطفأت الإضاءة وعدت جهة

السريير فقال " لما أطفأته "

دخلت السريير وقلت " وما حاجتنا به سنظفنه في كل حال

فمؤكد أنك جئت مبكرا لتنتهي وتنام باكرا "

أنزل رأسه وقال بضيق " هل نحن حيوانات أم تريني حيوانا

أمامك لا آتي إلا من أجل غريزتي "

نظرت لملامحه في الضوء الخفيف بصدمة ثم قلت

"ولما أتيت إذا وطلبت مني أن انتظرك "

قال بحدة " لأستمع بجمالك الفتان ، أو هل تعلمي

كل يوم تخذليني فيك أكثر يا أرجوان "

قلت بصدمة أشد من سابقتها " جابر ما بك " !!

نام معطيا ظهره لي وقال مغتاظا " نامي واشبعي نوما "

بقيت أنظر له بحيرة ، غبية يا أرجوان منذ متى يرتدي ثيابا

كهذه إلا إن كان لن يقربني ويريد السهر والتحدث ، لهذا إذا

كان تصرفه غريبا وكان ثمة شيء لديه فما هوا هذا الشيء يا

تري ولما انزعج لهذا الحد ، غبية من سيخلصك من فضولك

الآن ، بعد وقت قلت بهدوء " جابر "

لم يجب طبعا فتنهدت بقوة وقلت " جابر أعلم أنك لست نائم "

قال بضيق " أرجوان اتركي في قلبي ذرة الرضا

عليك ونامي في صمت "

قلت بحزن " جابر لا تظلمني "

قال بحدة " أرجوان اصمتي "

لذت بالصمت ونمت معطية ظهري له ، لا أريد رؤيته كي لا

أضعف أكثر وهو مستاء هكذا والصبح سيكون أفضل ونتحدث

أمضى وقتا يتنهد ويزفر بضيق ويستغفر بهمس مغتاظ ، غريب

أمره رغم قوة شخصيته وغضبه السريع يده لم ترتفع يوما ولا

على أبناءه ، حتى الشتائم لا يعرفها ورغم خصوماتنا مؤخرا لم

يشتمني قط ! لا أعرف كيف يكون تربية والدته تلك التي تتنفس

ألفاظا سيئة ولم تترك شيء لم ترميني به ، انقلبت جهته وسرق

عيناى أرسم بهما تفاصيله ثم انقلبت للجانب الآخر ألعن نفسي

هذا وهو يعطيني ظهره فكيف إن كان مقابلا لي ، انقلبت على

ظهري فقال ببرود " توقفي عن الحركة أريد أن أنام "

رمى حينها اللحاف من علي وخرجت من الغرفة فلينم مرتاحا

سأخلصه مني ، أغلقت الباب وأنا أنظر للطاولة باستغراب ، هواتفه
تركها هنا غريب لأول مرة يفعلها ولم تزعجنا برنينها !! ما هذا الأمر
المهم الذي جاء مبكرا وأبعد هواتفه لأجل أن يحدثني فيه ، نظرت
لحاسوبه الذي تركه معهم هنا وتحركت خلايا الفضول في داخلي
لكن عليا انتظار أن ينام أولا فقد يخرج في أي لحظة ، أطفأت النور
وجلست وشغلت التلفاز فهكذا أحب مشاهدته وبقيت مكاني عين عليه
وأخرى على الباب حتى مضى وقت طويل ولم يخرج ومؤكداً نام
توجهت نحوهم ورفعت هاتفه أولاً لأجد المكالمات الكثيرة فيه فلم
أستطع لمسها ويبدو أنه وضعه على الوضع الصامت فرفعت الآخر
وهو المخصص بالعائلة ، لا أعلم ما أسمي هذا فضول أم شك أو
صغر عقل لكن ذلك الملف السبب فلم أفكر يوماً في فعل هذا
كان الهاتف كله لأرقام عائلته وبعض من أصدقائه المقربين على
ما يبدو ورقم واحد تحت اسم (القضية 1720) غريب رقم
لأحد أصحاب القضايا في هاتف العائلة وبدون اسم !! تركتهما
وفتحت هدفي وهو حاسوبه لتظهر لي فوراً شاشة مكتوب فيها
(هذه المرة الثانية يا أرجوان الثالثة سأقطع لك أصابعك)

فأغلقتة فوراً ونفتت هواء ساخناً من صدري ، كان يعلم إذا أنا
فتحته وأنا سأفعلها مجدداً ولا بد سيعلم أنا فتشت هواتفه أيضاً
تركت كل شيء وعدت مكاني وجلست طويلاً أقلب القنوات بمثل
ثم استلقيت على الأريكة أحضن وسادتها ليسافر بي النوم دون
شعور مني ولوقت طويل حتى استيقظت على صوت الأذان فقفزت
واقفة لحظة خروج جابر من الغرفة بملابس عمله وتوجه فوراً
جهة هواتفه وحاسوبه حملهم وتوجه للباب وقال وهو يفتحه
"حذرتك سابقاً من النوم خارج الغرفة يا أرجوان"
ثم تابع وهو يخرج "ولكن كسر كلمتي أصبح هواية لديك"
قلت وأنا أتبعه "جابر انتظر"
لكنه ابتعد ولم يلتفت إلي ولم استطع الخروج هكذا بقميصي فعدت
مسرعة وأخذت القميص الحريري الخارجي ولففته حول جسدي
وخرجت راكضة أربط حزامه ، عليه أن لا يخرج غاضباً هكذا
وأنا المتهممة بذلك ، علينا أن نجد حلاً لمشاكلنا العالقة ونصل لقرار
نهائي يريح كلينا ، وصلت منتصف السلام الأخير ورأيت
والدته توقفه وهو يقترب من الباب فالتفت لها فقالت
"تعال أريد التحدث معك"

نظر لساعته وقال " أجليه حتى أرجع تركت البارحة ملايين

الأمر معلقة تنتظرنني ولا وقت لدي "

تنهدتُ بأسى وقالت والدته " وما لدي معلق من أيام كثيرة لن أعطك "

انحنيت بجسدي أراقبهما أين دخلا ، متأكدة أن الموضوع يخصني

فهي منذ مدة توزع لي نظرات الكره وتتمتم بأشياء لا أفهمها

نزلت بسرعة وخفة وتوجهت نحو المكان الذي دخلاه فكان صوتها

الغاضب المرتفع واضحا وهي تقول " لا يا جابر بث أراك أصبحت

مهرجا منذ دخلت ابنة فارس القصر وأصبحت هي من يدبر

ويأمر ويقرر والباقي خدم تحت إمرتها "

قال بضيق " أمي أنا لست طفلا تتحكم بي أرجوان وغيرها

ولم ولن أفعل شيئا إلا مقتنعا به وقررتة من نفسي ، وأرى

أننا أعطينا الموضوع أكبر من حجمه "

قالت وصوتها لا يزداد إلا ارتفاعا " حتى صوتك لم يكن يرتفع

عليها هكذا إلا بعد أن أن تزوجتها ، قلت الأولاد يحتاجونها قلنا

لا بأس ، قلت خالتهم ولا نريد مشاكل مستقبلا وقلنا معه حق "

انفتحت عيناى من الصدمة وكتمت شهقتي بيدي لما أسمع وتابعت

هي " قلت والدها ليس غريبا هربت معه حسناء بل زوج والدتها

وقلنا على العين والرأس لكن أن ترتع في القصر وتخالفني

مستقوية بك هذا تجد له حلا والمسبح يلغى حالا "

لم أعد أستوعب بعدها شيئا مما قاله جابر لأن عقلي مات وأنا

أفسر ما سمعت ... حسناء شقيقتي ووالدي زوج والدتها إذا هي

شقيقتي من والدتي وأبنائه أنا خالتهم وهم لعبوا بي وأخفوا الأمر

عني ويقول أنه لا يهتم إن كانت زوجته هربت مع والدي ، فتحت

عندها الباب لا أعلم أي طاقة حركتني ونظرا كليهما لي وأنا أنظر

لجابر بتركيز وصمت وكأني أواجهه بما سمعت حتى قالت

والدته بسخرية " جميل وتتجسسين أيضا يا مربية الأجيال "

لم أعلق على ما قالت ولم أبعد نظري عن جابر وهو ينظر

لي بجمود وصمت حتى قلت " خذنتني فيك يا جابر "

قالت حينها والدته " عشنا ورئينا نساء يتناولن على أزواجهن "

نظرت حينها جهتها وقلت بحرقة " أي امرأة أنتي ومما مخلوقة

تريدين تدمير حياة ابنك وتحرضيه علنا ، ما هوا مبتغاك يا متجبرة "

قالت بسخرية " نفس مبتغاك وأنتي تأخذين موانع للحمل

كي لا تحملي يا ابنة الحسب "

نظر لها جابر حينها بصدمة لا تقل عن صدمتي ثم نظر لي وتابعت

تلك الحية " هلا شرحت سبب ذلك وخروجك مع السائق لساعات

وزوجك غير موجود وتخبريه أن لا يخبر أحدا عن مكان ذهابك "

شهقت شهقة قوية وقلت بصدمة " تتهميني في شرفي وعلنا "

كتفت يداها لصدرها وقالت ببرود " إن كان كلامي خاطئا فأنكري

وهذه هي نتائج الزواج من فتاة تربية شوارع تعيش حياتها لوحدها

لا رقيب عليها ولا حسيب ولن تكون أقل من شقيقتها جالبة

العار ناقصة التربية "

نظرت حينها للصخرة الواقفة بجانبها دون كلام ، وصل الأمر

لشرفي وشرف شقيقتي التي كانت زوجته وأم أبنائه وهو يلوذ

بالصمت ، غادرت حينها من أمامهم متوجهة جهة السلام وكل

دمعة تلحقها الأخرى وإهانتني من صمته أكبر من جرحي من كلام

والدته ، وصلت السلام لتوقفني يد أمسكت ذراعي بقوة ولفتني للخلف

وكان جابر الذي قال بحزم " هل صحيح ما قالته يا أرجوان "

سحبت يدي منه وقلت ببكاء غاضب " نعم هذا ما تفلح فيه

وأنا فقط من تقدر عليها يا ابن والدتك "

صرخ حينها صرخة زلزلة المكان قائلا " أرجواااآن "

صعدت وتركته على صوت رنين هاتفه وتوجهت لجناحي لا أرى

شيئا من الدموع التي غطت عياني وغسلت وجهي ، توجهت لغرفة

الملابس وغيرت ثيابي وخرجت ، لبست حجابي وحملت حقيبة يدي

ثم رميتها على الأرض فهي من ماله أيضا ، أخذت هاتفي وأخرجت

منه شريحتي فهي لي وهذا الهاتف من ماله وأنا لم أعد أشرفه

خرجت من الجناح لا أحمل سوا شريحتي القديمة وجرحي الجديد

ودموعي التي تبكي حسرتي ونزلت لأجد تلك الجلمود واقفة في

الأسفل ومكتفة يديها لصدرها وتنظر لي بشماتة وقالت ساخرة

" أخبرتك منذ البداية أن لا تلعب معي يا ابنة فارس وأن لا تغتري

بنفسك ، كنت أود أن جرك من شعرك لخارج القصر لكن جابر

رفيقا بالنساء تربية يدي ، وأحسنت أن خرجت من نفسك "

اجتزتها ولم أتحدث فقالت وأنا أصل الباب

" لا تحلمي أن يركض خلفك لإرجاعك "

وقفت والتفت لها فرفعت يدها وقالت " أقص يدي إن

فعلها وهوا ابني وأعرفه "

قلت بسخرية " لا تتعبي نفسك فأنا التي لن تعود "

ثم خرجت وتركتها ولم يكن هناك السائق ولا سيارته ولا هاتف
لدي لأخبره فقررت الخروج للشارع وركوب سيارة أجرى على
دخوله ولحسن حظي فتوجهت نحو سيارته فتوقف ففتحت الباب
وركبت على نظراته المستغربة وقلت " خدني لمنزلي حالا ولا
تخبر جابر أين كنت أذهب سابقا ولو قتلك أو قتلتك أنا "

لحظات زواج نواس بوسن في المحكمة من كتابة الكاتبة حبيبتنا همس الريح

* * *

دلنا معا إلى مكتب القاضي الموكل بإجراءات الزواج ... زفر بعمق و هو

يراجع الاوراق التي معه .. صورة من بطاقة هويتها .. بطاقة هويته..

الاشهار الشرعي الصادر من المحكمة انه هو الوصي الوحيد عليها

في غياب اي قريب لها ... زفر مرة اخري و هو يدفع الباب .. لم يرى

اثاث الغرفة امامه .. لم يرى القاضي .. لم ير الرجل الذي كان يهم

بالخروج .. كل ما رءاه هو نيران ... السنة لهب تضرب وجهه .. كلا

..انها لا تضرب وجهه .. انها تلتهم وجهه احس بنفسه ينفصل

عن كل ما حوله .. كأن عينها غادرتا جسده و تعلقتا في الهواء

امامه ... إنه الان يشاهد جسده .. كلا إنها كتلة لهب ترتدي ملبسه
..متى بدأت هذه النار ؟ ... بدأت في اول يوم كان يشتري اثاث الغرفة
التي ستجمعه بها .. حبيبة قلبه .. ليستمع بالصدفة لحديث عن خطبة
تمت بين وسن و اسم اخر .. خالد الصقار .. احد الاغنياء ... لا يعرف
كيف مرت عليه الايام و الليالي بعدها ... فهو عندما كان يقرأ عن الم
الخيانة و الغدر بين الاحباء .. كان يسخر منها .. ففي عقله ان من
يحب لا يمكن ان يخون ... ابدا ...في ذلك اليوم تم غرس سكين صدئ
في قلبه .. و تبدلت الدماء في شرايينه بالتدريج الي حمم بركانية ..
تحرق اول ما تحرق صدره ثم تنتشر بعد ذلك لبقية جسده لتلتهمه
ببطء .. و لكنه يحبها .. حتي و هي تتهمه بانه يكرها و يريد اهانتها
و تعذيبها .. يعشقها .. و لولا مزيج من خوف الله و كبرياء و الم الجرح
لكان زرعها في صدره و بين اضلاعه حيث تنتمي ... انتزعه من افكاره
جذبة يد صديقه له بانهما يقفان امام القاضي منذ دقائق .. ليمد يده
بالاوراق لبدء الاجراءات الرسمية ... دخل و على ذمته مي بوعدا
الذي اقسام الا يحنت به مهما حدث .. و خرج و قد تزوج بحبيبته ..
التي يشعر انها ستتمني الموت علي ان يرتبط اسمها باسمه ..
تنهد بقوة و هو يرفع عينيه للسماء بدعاء صامت ان يمنحه الله القوة

...زفر لها من انفه و هو يشعر بالسكين المغروسة في قلبه تتحرك

لتمنحه الما اعظم هل فعل الصواب ام الخطا ... هل سيفوز في

النهاية ام سيخسرهما و يخسر روحه معها ... لا يعلم .. لا يعلم]]

ودمتم في حفظ الله جميعا

الفصل السابع و العشرون

اتكأت برأسي على جذع الشجرة وأغمضت عياني لتعود بي

الذكرى لذاك اليوم الأول والأخير الذي تعبت فيه قدماه غرفتي

حين أشعل عنقي بقبلته تلك وكأنه ينقص القتل طعنات وهمس

قائلا " سامحك الله يا أمي أي كارثة هذه التي أوقعتني بها "

فشددت قبضتي على اللحاف بقوة أشعر بحسرة لم أشعره بها

سنين حياتي الماضية ، لا تفتأ تذكرني يا نواس أنك أجبرت على

الزواج بي ، لما تهوي ذبحي بسبب وبدونه ، لم أستطع تمالك النار

المشتعلة في قلبي وخطواته تبتعد ليخرج ، كبريائي المجروح لم

يرضاها فأدرسته بكلماتي قائلة " بل سامح الله والدي الذي لم

يزوجني بذاك التاجر رغما عني قبل أن يموت "

وقفت خطواته حينها ولاذ بالصمت وكأنه صدم من كلامي
أو كوني مستيقظة فقلت عندما طال صمته " جحيمة أرحم لي
من إذلالك لي يا نواس فتوقف عن تذكيري بفضلك

الذي أجبرتك والدتك عليه "

قال بسخرية " بل احمدى الله أنه لم يتزوجك

لكنت أرملة منذ شهر "

زدت قبضتي على اللحاف وكأني أعصره عصرا

وابتسمت بألم وقلت " أفضل من مطلقة "

تحركت حينها خطواته مبتعدة أكثر وقال " لن أطلقك وبي

نفس يا وسن وافهميها كما يحلو لك "

جلست حينها ونظرت ناحيته وقلت بحدة " بل ستفعلها ، عهدك لها

وأوفيت به وانتهى أم عاهدتها على أن لا تطلقني وبك نفس "

أمسك مقبض الباب بقوة ولازال موليا ظهره لي

وقال من بين أسنانه " وسن يكفي "

قلت بضيق " لا ليس يكفي لما أنت فقط يحق لك جرحي

بكلماتك ، زوجتك التي تزوجتها بلا عهود وفضلتها علي

هناك في الأعلى ، ما تفعله بي أم بت تهوى إهانتني "

كان جرح كرامتي هوا من يتكلم ولم استغرب وقتها أن أقول

أي شيء لأن قلبي كان يتألم وبشدة ، التفت وقال بضيق

"وسن اتركيني في صمتي لأني لا أريد جرحك بالفعل "

وقفت خارج السرير وقلت بحدة " أجل قلها ، أنت من تحمّل على

نفسه وكرامته وتنازل وتزوجني ، لما تسجنها في نفسك لتقتلك"

قال بغضب " وسن بحق الله لا تفقديني أعصابي أكثر

ومبتغاك لن تناليه بإثارة غضبي "

قلت بسخرية " نعم ارفع صوتك أكثر لتأتي زوجتك

وتمسك عني وترى كم أنت مسكين وتعاني بسببي "

توجه حينها نحوي بخطوات غاضبة وأنا لم أتراجع من مكاني

قيد أنملة فما يحركني حينها كان شيء آخر ليس قلبي ولا عقلي

كنت أشعر بمهانة واستصغار لم أشعر بهما حياتي وممن من

نواس الذي كل خلية في جسدي عشقته لوحدها ، من لو خيروني

سنين حياتي الماضية بين فراقه أو الموت لاخترت أن أموت مئة

مرة ، اقترب أكثر ورفع يده لوجهي فأنزلت رأسي وأغمضت

عيناى أتنفس بقوة وانتظر مصيري وما هي إلا لحظة وكان

وجهي بين يديه رفعه له ليقابل وجهه وأنا على حالي لم أفتح

عيناى أبدا وقال بحدة " هل تعلمي ماذا يا وسن هل أخبرك

ما هوا أكثر ما يجرحك "

لذت بالصمت ولم أتحدث أو افتح عيناى فقال بحدة أكبر وأنفاسه

تلفح وجهي بقوة " عدم اعترافك بذنوبك اتجاهي ، تشعرين بالاهانة

من إهاناتك لي يا ابنة خالتي ، تطعيني وتشتكي ألم طعنك بي "

ضغطت على عيناى أكثر وقلت بسخرية

"نعم مارس حقدك عليا أكثر "

ضغط بيديه على وجهي وقال بغضب " أصمتي يا وسن"

فتحت عيناى حينها وقلت بغضب مماثل " لما تكره سماع الحقيقة "

فلم أشعر حينها سوى بحرارة شفثيه الغاضبة تسحب الهواء من

رئتي وتستل حقها من شفاهي الغاضبة ولا أعلم عقابا كان أم

إسكاتا لي لأنها شلت حواسي وأطرافي وأعادتني لوعيي ، رفعت

يدي وقبضت بها على قميصه بقوة فأبعد شفثيه وقال بأنفاس

متلاحقة " أعديها ما تريدين لأنني إن لم أفعلها الآن لفعلت

ما سأندم عليه باقي سنين حياتي "

فتحت حينها عيناى مجددا لتقع في عينيه ينظر لي بتبات وقوة

ولكن ليس بغضب كما كان ، تبثُ نظري عليهما وقلت بألم

"ليس رجلا من تمتد يده على النساء يا نواس "

أبعد حينها يديه عن وجهي وقال بسخرية " ليتك مرة لا

تضنين بي ضنا سينا ولكنك لا تتغيري أبدا "

ثم غادر وتركني لأهوي جالسة على السرير وبدأت بفرك شففتاي

بظهر يدي ونزلت دموعي التي اسجنها منذ وقت ، كنت أفركهما

بقوة فلا أريد أن أشعر بخفقان قلبي وتدفق مشاعري وأنا أشعر بأثر

شفتيه عليها ... لا أريد لا أريد ، عليك أن تكرهي هذا الشعور يا

وسن فتلك الشفتين عرفت غيرك وقبلتها قبلك ، هي ليست لك لأنك

لست وحدك لها ، يقول ظنا حسنا ما سأضن به وهو يقول ذلك وما

الذي كان يفكر فيه غير ضربي ، ارتميت على السرير أكتم بكائي

كي لا تخرج عبراتي وتصل إليه ، ومنذ ذاك اليوم لم نعد نتقابل

سوى على طاولة طعام العشاء وليس دائما ولم يخاطب لسانه

لساني وحتى مي لا يكلمها إلا نادرا وأنا لا أخرج من الغرفة

إلا لتلك الوجبة لأنني مجبرة عليها فانهار أفضيه في الجامعة

نزلت دمعة حرقت جفني ليلفحها نسيم الخريف ويزيدها حرقة

فشعرت بأصابع مسحتها ففتحت عيناى بسرعة فكانت ملاك

وضعت حقيبتها وكتبها وجلست بجوارى قائلة " لا تزوجتما

وارتحتما ولا قبله أيضا فما الحل لما أنتما فيه "

ابتسمت بألم ولم أعلق فقابلت وجهي وقالت " وسن احكي لي

ما حدث ، ما بك في كل يوم تنغلقي على نفسك أكثر "

رن حينها هاتفى فوقفت ورفعت حقيبتى ومذكراتى وقلت

مغادرة " لم يحدث شيء لكنك قلت لك "

وابتعدت وأخرجت هاتفى فكانت فرح فاستندت بالجدار وأجبت

عليها فقالت مباشرة " وسن وأخيرا فتحت هاتفك ، لما تفعلين

بي هذا وتضعيني في رحمة جواد أترجاه كل مرة كي

يتصل بشقيقه وأطمئن عليك "

قلت بهدوء " كيف حالك يا فرح "

قالت من فورها " بخير مادمت أنتي بخير "

قلت بابتسامة حزينة " أنا بخير لا تشغلي نفسك بي "

تنهدت وقالت " أتمنى ذلك ولا تغلقي هاتفك ثانيا وسن أرجوك "

اتكأت بطرف جانب جبيني على الجدار وقلت بهمس

" ما العمل يا فرح دليني على حل "

قالت بقلق " وسن حبيبتي ما بك "

حضنت مذكراتي بقوة وقلت بحزن وضياع " قلبي يؤلمني إنه

يتمزق لما أنا من يحدث معها كل هذا ؟ لما قربه نار

وبعده عذاب تعبت يا فرح تعبت "

قالت ببكاء " وسن شقيقتي الحبيبة لا تقسي على نفسك

هذا عوض أن يتعذب هوا تتعذبي أنتي "

مسحت دمعتي وقلت " توقفي عن البكاء ما الذي يبكيك يا غبية "

قالت بحزن " وسن جربا أن نتحدثا معا وجدا حلا لخلافاتكما "

قلت بسخرية " أنتي يا فرح تقولينها "

تنهدت وقالت " لأنه يكفيك ضياع وحزن فيبدوا لا

شفاء ولا مفر من ذاك الجلود "

ابتسمت بألم ولم أعلق فقالت

" جربي فقط يا وسن ولن تخسري شيئا "

ابتعدت عن الجدار وقلت " أبدا ولا على قطع عنقي ، تزوجني

مرغما يا فرح من أجل وعده لوالدته وقدم أخرى علي هل تعي

معنى أن تكوني الثانية في حياة رجل هوا الأول بالنسبة إليك "

قالت بضيق " والحل يا وسن أنتي تدفعين الثمن صحتك

ولا هوا أو هي سيصيبهما شيء "

قلت مغيرة مجرى الحديث " كيف حملك "

تنهدت وقالت " أصبح يتعبني أكثر حتى حركتي أصبحت بحسابها "

قلت مبتعدة بخطواتي " وداعا الآن يا فرح ورائي محاضرة "

قالت من فورها " حتى متى سأخرج الكلام منك بالحيلة وتتهربي

سريعا من الحديث ، لا أعلم أي طاقة هذه التي لديك على

الصمت ، لو كنت مكانك لانفجرت "

قلت بابتسامة حزينة " فيما سيؤدي الكلام من عدمه "

قالت بضيق " رأيت بعينك نتيجة الصمت أن فقدت صحتك "

قلت وأنا اقترب من ملاك عند باب القاعة " وداعا الآن وسنتحدث لاحقا "

قالت ببرود " أعلم أنه لن يكون هناك لاحقا ، على الأقل طمئيني

برسالة ووالدتي تسأل عنك كثيرا لأنها تجد هاتفك مقفل دائما "

وصلت عند ملاك قائلة " سأتصل بها لاحقا وداعا الآن

وسلمي لي على جواد "

ثم أنهيت الاتصال معها ودخلنا القاعة معا

*

*

ضمت رأسي بين يدي انظر لأوراق التقارير التي أرسلها

جواد بعدما اطلع عليها ذاك الطبيب هناك وقال أن الأمر إن

تأزم معها يصل لأن يتحول لورم سرطاني وأن لا نستهيبن بأنها

قرحة نفسية وشيء يسهل علاجه ، مسحت وجهي وتنفست بضيق

ورفعت هاتفي واتصلت بجواد فأجاب بعد وقت قائلا " نواس كم مرة

سأقول أن الوقت عندنا ليس عندكم وفي كل مرة توقظني من نومي "

قلت بضيق " أعرف الوقت عندكم جيدا وهذا ليس وقت نوم

وعليك أن تفهمني ماذا قال لك مفصلا "

قال مباشرة " قلت لك المفيد ورقمه لديك فكلمه و " ...

قاطعته قائلا " جواد غبي أنت أم تتغابي أو تفعلها عمدا ، كيف أتحدث

معه وهو لا يعرف أي كلمة عربية وأنا لم أكمل دراستي يا نبيه "

تنهد وقال " الراحة النفسية يا نواس كم مرة سأشرح قال عليكم

إبعادها عن مصادر الضغوط النفسية وستشفى من تلقاء نفسها

ولتبتعد عن الكبت عاداتها السيئة ، فرح منذ قليل فتحت لي مناحة

وقالت أنها اتصلت بها ونفسيتها سيئة ولا تريد قول شيء "
 تنفست بقوة وقلت " وما بيدي أفعله ، ها أنا أجنبها رؤية الجمود
 نواس طوال الوقت ، حتى مي لا تتحدث معها أبدا "

قال بهدوء " تعلم أن هذا ليس حلا "

حركت جبيني بأصابعي وقلت " وداعا "

وأغلقت الخط ورميت الهاتف جانبا واتكأت على ظهر الكرسي
 وأغمضت عيني ، لن أخسرك أيضا بنفس الطريقة التي خسرت
 بها والدتي ارحميني يا وسن فذاك سيكون فيه نهايتي ولن أتوقف
 عن لوم نفسي ما حييت ، أجريت بعدها اتصالا بطبيبها الذي
 شخص حالتها هنا لأفهم منه ما قاله المتخصص هناك وكانت
 النتيجة واحدة ، نظرت لساعتي فكان وقت صلاة العصر اقترب
 فوقفت لأغادر مكتبي على صوت طرقات خفيفة على بابه ثم انفتح
 وكانت وسن ، نظرت لي بصمت وأنا جمدت مكاني ولم أتحرك
 فأنزلت رأسها وقالت بهدوء " هل لي بطلب "

بقيت أنظر لها باستغراب ، غريب وسن تطلب طلبا

مني والآن ، قلت بذات هدونها " بالتأكيد "

لعبت بظرف بيجامتها بين أصابعها وقالت " تلك الفرس ... أعني "

رفعت بعدها يدها لتدس خصلات شعرها خلف أذنها وتابعت ونظرها
لازال للأسفل " أعني أريد أن أبقى أزورها فأنا لم أذهب منذ تلك "

وسكنت حينها وعادت تعدل طرف بيجامتها فخرجت من خلف

طاولة المكتب واقتربت منها حتى أصبحت أمامها وهي على حالها

لم ترفع رأسها فمدت يدي ليدها وأمسكت أصابعها التي تعزف

على قلبي قبل القماش وتعصره عصرا وقلت بهدوء " فقط "

استلت يدها مني وعادت لدس خصلاتها المتمردة دائما

على وجهها وقالت بهمس خافت " فقط "

رفعت يدي لوجهها وأصبحت أنا من يدس لها خصلاتها ورأسها

لازال للأسفل وقلت " تواجدك هناك في الليل فيه خطر عليك يا

وسن ولا تنسي أن العمال منزلهم هنا في المزرعة "

استدارت لتغادر فأمسكت يدها وقلت

" سأعلم الجميع ولا تخرجي لها بعد منتصف الليل "

قلت بهمس " حسنا "

ثم غادرت في صمت ودخلت غرفتها وتركتني واقفا مكاني أصارع

الشوق واللهفة والحنين لتسير بي قدامي خلفها ووقفت أمام باب غرفتها

وأمسكت مقبض الباب بيدي لأجمد مكاني قبل أن أديره وأنا أسمع
بكانها المكتوم ، البكاء الذي تحجبه عني بقوتها وقسوتها ولم تنزل
منه دمعة أمامي ، لماذا يا وسن وكيف أجد لنا حلا ... لا أريد أن
أخسر يا عينا نواس وقلبه يا فرحته التي خرج بها من الدنيا التي

خسر منها كل شيء حتى والديه ، أغمضت عيني بقوة ومنعت

نفسي بصعوبة من الدخول لها لأنها لن تقبل بوجودي معها

وهي في هذه الحالة

*

*

قفز جالسا على أعلى خشبة للسياح وقال " ماذا فعلت في جنية الليل "

ضحكت وقلت " ملاك الليل وليست جنية "

رمى بيده وقال " لا توجد امرأة ملاك كلهن أعوذ

بالله جنيات يسببن الجنون "

لبست نظارتي الشمسية وقلت " حتى حبيبة القلب "

قفز واقفا وقال بضيق " اسمها زوجتي أو كسرت لك نظارتك "

ضحكت في صمت فقال " وكيف تعرف عنك تلك كل شيء "

حتى وجبتك المفضلة ولا تعرف من تكون "

وضعت يداي وسط جسدي وقلت " لا أعلم من هذه الخبيثة

تحاربني بما تعرفه عني وفي كل مرة تكشف شيئا جديدا يخصني "

ضحك وقال " يا عيني على اللذين يحبونهم أشخاص

غامضين ويتغزلون فيهم في المذيع "

نظرت له بضيق فقال بمكر ومشيرا لأذنه " لو لم أسمعها البارحة

بأذني لقلت أنك تكذب ، تبدوا الفتاة متيمة بك يا رجل "

تركته قائلا " معتصم لا تجعلني أندم أنني تحدثت معك "

قال صارخا لأسمعه " هيه لما لا تعترف أنه شعور متبادل "

تجاهلته وتابعت سيرتي ، لا أعلم كيف تعلم عني كل هذا وكأنها

تعيش معي ، لو لم أكن متأكدا من أن صوتها مختلف عن شقيقتاي

لقلت أنها إحدهما صنعت بي مقلبا ، تلك المشاكسة لقد نجحت في

شغل دماغي بها طوال الوقت حتى أنها أصبحت في كل حلقة تقول

رقما من أرقام هاتفي بين كلامها وأنا عجزت أن أحصل على رقمها

من الإذاعة والغريب أنها لم تتصل بي ورقمي لديها ، كنت أسير

منشغلا بهاتفي في يدي فاصطدمت بأحدهم وبيدوا من خفته وقع

ووقعت نظارتي فنظرت له بسرعة لأجد صديقة ابنة خالة نواس

تقف وتنفض التراب عنها وتتأفف فرفعت نظارتي وقلت

"آسف لم أنتبه لك "

قالت وهي ترفع كتابا وصندوقا صغيرا من الأرض

"هذا ولك أربع عيون "

نظرت لها باستغراب ثم ضحكت بصوت مرتفع حين فهمت

أنها تعني نظارتي وعيناوي يصبحون أربعة ، فتحت الصندوق

وشهقت بصدمة وقالت وهي تحركه " كسرتها لقد كسرت

المادة التي كلفتنا كثيرا لنحصل عليها "

حككت شعري وقلت " أنا حقا آسف وسأدفع لك ثمنها "

رفعت نظرها لي لأول مرة وقالت " بل تحظر واحدة مثلها

فما نفع المال والحصول عليها أصعب منه "

ثم فتحت الصندوق ونفضته لتتساقط منه قطع الزجاج وقالت باستياء

"كله من وسن لما أصرت أن احضرها هنا ، لا أعلم لما أنتم

هكذا طوال القامة لا تنظرون للمخلوقات القصيرة تحتكم "

حاولت أن امسك ضحكتي لأنها تبداوا مستاءة جدا لكني لم أقدر

فعدت للضحك مجددا وأنا أتخيل أنها تعتقد أننا الطوال لا نرى

النساء القصيرات فقالت باستياء " ما المضحك أنت "

قلت مبتسما " حسنا أنا لا أرى سوى زجاج لا

مادة سائلة ولا صلبة "

قالت بسخرية " لأنها تبخرت يا ذكي ما أن تعرضت للهواء "

حككت أذني وقلت " أخبريني من أين يحضرونها

وسأجلبها بأي طريقة "

مدت يدها وأخذت نظارتي من يدي وقالت " هذه مقابلا لها "

قلت مبتسما " حسنا إن كانت ستعوض ما فقدتموه "

قالت مغادرة " فقط لكي مرة أخرى ترى أمامك

والأنبوب كان فارغا منذ البداية "

تبعتها بخطوات سريعة قائلا " هيه أعيدي نظارتي إذا "

وقفت عند باب منزل نواس والتفتت لي وقالت وهي تلعب

بنظارتي في يدها " هذه ثمن الأنبوب طبعاً "

ثم دخلت راکضة تضحك كي لا أدركها ، محتالة

نالت مني بسهولة وأنا لم أراها سوا مرتين

*

*

دخلت عليا راضية الغرفة وقالت أن ملاك تنتظرنني ، طبعاً هي

أوصتني إن رأيت معاذ هنا أتصل بها فوراً لتأتي وهو يبدو

مسافر دائماً ولم أراه سابقاً ولأنني حين عدت منذ ساعة رأيت

يدخل أماناً فاتصلت بها وهي لم تكذب الخبر ولا أعلم كيف

أقنعت خالها ليجلبها ، مسحت بقايا دموعي التي لم تتوقف منذ

خرجت من مكتب نواس ثم غادرت السرير وغيرت ثيابي

وخرجت ، توجهت لغرفة الضيوف ودخلت فوقفت ما أن رأيتني

وضمتني لصدرها وقالت بسعادة " شكراً لك يا وسن لا

تتصوري كم كنت أشواق لرؤيته وكم أسعدني هذا "

أبعدتها وأمسكت كتفيها وأجلستها وجلست وقلت " توقفي عن

كثرة الثرثرة وأخبريني كيف جئت وما حدث معك "

نظرت لملامحي مطولاً ثم قالت بحيرة

" وسن ما بك يبدو بكيتي حتى تشققت عيناك "

أشحت بوجهي عنها وقلت " لا تهتمي لهذا وأخبريني عما حدث "

تنهدت بيأس ثم حرك نظارة شمسية أمام وجهي وقالت

" أحزري هذه لمن "

نظرت لها بحيرة وقلت " هل أخذتها من سيارته "

ضحكت وقالت " بل من يده "

ثم ضمتها لحظنها وقالت " يالا سعادتني بها ، هي عندي "

تساوي كل كنوز الأرض مجتمعة "

تأففت وقلت " احكي لي ما حدث واتركي عنك حركات الأفلام "

عدلت جلستها وقالت " دخلت ومن سعادة حظي الذي لا يبتسم "

لي إلا معه ما أن اقتربت من المنزل حتى رأيتة يقترب من "

سيارة منشغلا بهاتفه فقطعت طريقه ليصطدم بي "

نظرت لها بصدمة فضحكت وتابعت باقي ما حدث معها وما "

أن انتهت حتى انفجرت ضاحكة في وقت أبعد ما كنت أفكر "

فيه الضحك فضربتني على كتفي وقالت بضيق "

" حمقاء ما الذي يضحكك "

قلت بضحكة " كم أنتي خبيثة أين كنت تخفين كل هذه الحيل "

تهدت وقالت " لو الأمر بيدي لسرقته هوا وليس نظارته "

عدت للضحك مجددا فرفعت وسادة الأريكة لتضربني فقلت "

ضاحكة " توقي يا مجنونة "

لكنها استمرت في ضربتي وأنا أضحك حتى سمعنا "

صوت نواس مناديا " وسن "

فبيست كل واحدة منا مكانها وتوقفت عن الضحك وأنا أشعر

أن كل حرف منها شق قلبي وعبر خلاله فوقفت على طولي

وصفقت ملاك دون صوت وقالت بهمس " يا عيني على

الأزواج الخجولين اللذين ينادون من الخارج "

رمىها بالوسادة وخرجت له ووقفت أمامه عند الباب وأنزلت

نظري للأسفل حين وقعت عينا في عينيه فقال بهدوء

" وجدت خال صديقتك عند بوابة سور المزرعة وأصررت

عليه ليدخل لكنه رفض وطلب مني أن أناديها له "

التفت لأدخل لها فأمسك يدي وقال

" هل أطلب منه تركها معك حتى الغد "

رفعت نظري له بحيرة فترك يدي وأبعد هوا نظره هذه

المرّة وقال " هي وحدها من أسمعتنا صوت ضحكك

هنا فساأطلب منه تركها "

قلت بصوت منخفض " لن يوافق لأن والدها يمنع ذلك عنها "

غادر من فوره دون أن يضيف شيئا أو ينظر إلي وأنا بقيت

مكاني أراقبه حتى شعرت بشيء ضرب ظهري فالتفت فزعة

فضحكت ملاك وقالت " هل كل هذا شوق يا حمقاء

وأنتي ترينه كل يوم "

أبعدت يدها عني وقلت ببرود " خالك قال أن تخرجي له "

لمست حقيبتها بحيرة ثم فتحتها وأخرجت منها هاتفها

وقالت بصدمة " ويلي ما كل هذه المكالمات منه ويبدو

أني نسيتته على الوضع الصامت "

ثم ركضت جهة الباب قائلة " سنتقابل غدا إن

لم يرميني في الطريق "

ابتسمت أراقبها حتى خرجت وتوجهت جهة ممر غرفتي وماتت

ابتسامتي حين تقابلت ومي تنزل آخر عتبات السلالم فاجتزتها

مسرعة ، أسوء واقع في حياتي أنتي يا مي لأنك تذكريني بأقصى

جرح من بين جراحي وهوا أنه استبدلني بأخرى ، دخلت غرفتي

وأغلقت الباب خلفي وغيرت ثيابي وشغلت نفسي بدراستي لأبتعد

عن أي شيء آخر فامتحاناتي أصبحت قريبة جدا وعلياً أن أجتهد

أكثر ، بعد قليل صليت المغرب وعدت لمذكراتي مجددا حتى وقت

صلاة العشاء ، صليت واستحمت ليس لسبب سوا طرد الملل أو

الهروب من التفكير في أي شيء ، لبست بيجامة قطنية بأكمام
لأن الجو أصبح يبرد لاقتراب الشتاء وجففت شعري ومشطته
مغطيا كتفائي فطولته لا يتجاوز نصف ذراعي دائما لأنني لم أتركه
يتعدى ذلك أبدا فلم أحب الشعر الطويل يوما عكس فرح التي كانت
لا تقص منه شيئا ، أخرجت مشبك شعر صغير وجمعت شعري
وخصلاتي من الأمام للجانب الأيمن وأمسكتهم به وتركته مفتوحا
لأبد وأن نواس بات يحب الشعر العجري كشعر زوجته وشعري
لم يعد يعجبه ، هذا إن كان يعجبه من أساسه من قبل أن يعرفها
تأفقت ووقفت مبتعدة عن المرأة وعن كل هذه الأفكار السخيفة
القاتلة ، انشغلت بعدها بجمع كتبي ومذكراتي حين طرق
أحدهم الباب ودخلت راضية وقالت " العشاء جاهز "
التفت لها وقلت " هل نواس هنا "
قالت مبتسمة " نعم ولا مهرب لك اليوم من تناوله "
تنهدت وقلت متوجهة نحوها " حتى الطعام بالإجبار "
قالت سائرة أمامي " ليته يتناوله هنا كل ليلة كي لا تهمل طعامك "
ابتسمت بحزن ولذت بالصمت حتى وصلت طاولة الطعام التي

كانا يجلسان عليها وأنا طبعاً آخر الحاضرين ككل مرة فهما بالطبع
ينزلان من غرفتهما وأنا من على راضية أن تخبرها ، جلست في
مكاني المعتاد وأنزلت رأسي لينسدل شعري ويخفيهما عني لأنني
أشعر بكل شيء أمامي يتلون بالسواد من هذه الأفكار فليته فقط
يدرك أنه يحول حياتي لجحيم كلما رأيتهما معا ، ليته يدرك معني
النار التي تشتعل في قلبي من وجود أخرى تأخذ مكاني لأكون أنا
في المؤخرة ، يا رب أي عذاب هذا وأي جحيم أعيش فيه
"متى ستبدأ اختباراتك يا وسن "

رفعت رأسي ونظرت جانبا له بحيرة فهوا لم يحدثني على طاولة
الطعام منذ تلك الليلة بل لم يخاطب لسانه لساني من شجارنا ذاك
إلا اليوم ، بقي نظري معلق به وهوا نظره على طعامه حتى رفع
نظره لي فعدت بنظري لصحني وقلت بصوت منخفض
"أسبوعان أو ثلاثة "

صعقتني حينها مي وهي تشاركنا الحديث قائلة " السنة

الأخيرة صعبة دائما فهي تستنزف كل قدرة الطالب "

ثم ضحكت ضحكة صغيرة وقالت " أذكر أنني بكيت آخر يوم

لي في الجامعة والجميع يضمنه حزنا على فراق صديقاتي وهوا

من فرحتي أني تخلصت منها أخيرا "

بقيت على حالي نظري على الطبق أضغط بأصابعي على الملعقة

بقوة حتى بت أشعر بالألم في يدي ورحمني الله أن نواس لم يبادلها

الحديث والضحك لكنت غادرت وأنا لم آكل شيئا وأصبحت في مشكلة

معه ، لا أعلم كانت تود فتح مجال للحديث معي أم مع نواس ، لو كانت

شخصا آخر لكنت أبديت رأيي في كلامها لكن هي لا يمكن مستحيل ولن

تخرج الحروف من حنجرتي مهما حاولت ، وضعت الملعقة من يدي

وأمسكت كوب العصير لأشرب شيئا يبرد حر قلبي ، وقف حينها نواس

و غادر طاولة الطعام ووقفت مي وتوجهت جهة المطبخ وحركت أنا

الملعقة في الطبق كثيرا وبدهن شارد ونظرة حزينة وكأني أحكي لهم

عما في داخلي من حزن وضياع ، لما لا أكون كمي لا مبالية وكأني

لست زوجة زوجها لا تعير الأمر أي اهتمام وكثيرا ما كنت أسمعها

تضحك مع راضية في المطبخ وقت عودتي من الجامعة ، ترى هل

أخبرها نواس شيئا ككوني عهد بينه ووالدته وأنه تزوجني لأجل ذلك فقط

هذا هو الاحتمال الوحيد والدليل أمامها فهو ينام معها كل ليلة ولم ينم

عندي قط ، تنهدت بأسى ورميت الملعقة وغادرت أيضا لكن ليس جهة

ممر غرفتي بل باب المنزل وخرجت أتتبع بنظري خطواتي على الأرض

أسير ببطء حتى وصلت إسطلب الوسن وفتحت الباب ودخلت وما أن

رأتني حتى رفعت رأسها وأنزلته عدة مرات فركضت جهتها وحضنتها

من عنقها قائلة " اشتقت لك يا صديقتي سامحيني لأنني

لم أعد أزورك لكنه كان رغما عني "

بقيت أمسح على وجهها لوقت ثم قبلتها وقلت

"سأتي لك دائما فنواس سمح لي أن أزورك "

تنهدت بعدها وقلت بحزن " ليتك تفهمين علي "

ثم حضنتها مجددا وقلت بصوت مخنوق مرتجف

"أحبه يا الوسن أحبه فأخبريني ما العمل "

شعرت حينها بيد علي كتفي فابتعدت بسرعة وبشهقة فكان نواس

أمامي ينظر لعيناوي بهدوء وأنا أتنفس بقوة وصعوبة لأنني ظننته

أحد العمال ، قال بهدوء " آسف هل أفزعتك "

هزرت رأسي بنعم ثم هربت بنظري للأرض أفكر فقط إن كان

سمع ما قلت ومؤكد سمعه إلا إن كان لم يفهمه ، وصلني صوته

الهادئ قائلا " خشيت أن يأتي أحد هنا ويجدك فالعمال يراقبون

الخيول في أوقات متفرقة من الليل ولن أتوقف عن

لوم نفسي إن آذاك أحدهم "

أنزلت رأسي أكثر ورفعت شعري خلف أذني أخفي توتري من

قربه وصوته الهادئ الدافئ وكان نواس القديم عاد ، تماما كما كان

قبل أن يحدث كل ما حدث وكان السنين عادت بنا لأكثر من عامين

مسح بيده على وجه الوسن وقال " هل تعلمي ما قصة هذه الفرس "

رفعت رأسي ونظرت له فكان ينظر ليده على وجهها وتابع قائلا

"ولدت على يداي في مزرعة رجل عملت عنده في أول عام عدت

فيه إلى هنا ، كانت ليلة شتاء مطرة شديدة البرد والطرق مسدودة

بسبب الأمطار ولا مجال لإحضار بيطري لوالدتها ولأني عملت

في الماضي في مزرعة خيول لعامين وشهدت أكثر من ولادة

فغامرت واستلمت أنا زمام الأمر ، كانت مخاطرة كبيرة أن

أطبق شيء رأيت به بعيني فقط "

تنهد بعدها بحزن وتابع " لكن والدتها ماتت صباح اليوم التالي

ورغم أن البيطري قال أن توليدها لم يكن السبب إلا أنني لمت

نفسي ومنذ ذاك الوقت تعلقت بي هذه الفرس كثيرا وصرت أهتم

بها لوحدي ، لن تصدقي أنها كانت حتى طعامها لا تأكله إلا إن

وضعته أنا لها وحرار الجميع في أمرها "

ثم ابتسم بشروء وكأنه يسترجع ذكريات جميلة فقدها وقال

"أسميتها منذ ذلك الوقت باسمك أناديها به وحدي ولم أكرث بأحد

حتى نسي الجميع اسمها الذي سماه لها مالكها وأصبحوا ينادونها

بالوسن وحين قرروا بيعها تركتها كمن يترك روحه تخرج منه

أخرجوها من قلبي قبل أن يخرجوها من هناك وأول شيء فعلته

عندما بدأت تجارتي أن اشتريتها وكنت مستعدا أن أدفع فيها كل

ما سيطلبه مالكها الجديد لتصير لي "

كانت عيناى معلقتان به وهوا ينظر لها ويتحدث وكأنه يسرد

قصته معي وليس معها فأنا أذكر حين كانت تحكي لي خالتي

أني لم أقبل أحد بعد وفاة والدي لأن عمري كان أقل من عامان

بقليل ولا حتى زوجة والدي ووحده نواس حينها من عرف كيف

يتعامل معي وحتى الطعام لم أكن آكله إلا من يديه ليبيعوني فيما

بعد كما باعوا هذه الفرس وتركوه دون أن يكثرثوا لمشاعره

لكن الاختلاف أنه دفع المال بلا تفكير وكان على استعداد

أن يدفع أكثر ليستعيدها أما أنا

سحبت الهواء لرتناى وقلت بهمس خافت " نواس "

نظر لي من فوره وبصمت فأنزلت رأسي وقلت بحزن

"لماذا تزوجتني أصدقني القول "

لأذ بالصمت مطولا ورأسي لازال للأسفل أنتفس بقوة وأغمضت

عيناى أخشى من إجابة الصمت هذه ثم شعرت بدفع كف يده

على وجهي رغم لسعة البرد الخفيفة في الجو كان دافئا جدا

شعرت وكأن سنين حياتي انطوت أمام هذه اللمسة وكأني لم

أجرب ملمس الأشياء سابقا ، أمسك بعدها وجهي بكلتا يديه وشدني

لحظنه ولف ذراعيه حولي وكأنه يشعر بارتجاف أوصالي من لمستته

وقرر لملمة روعي المبعثرة ، غمرتني رائحة عطره وحوتني أضلع

صدره كالفقيد الذي وجد المأوى لتتنزل أولى دمعاتي تحكي للمكان

معنى ما أشعر به ويلحقها ارتجافه في كل أوصالي جعلته يزيد من

شد ذراعيه حولي فشهمت بقوة أمسك عبرتي وقلت ببحة

"لماذا يا نواس أجبني أرجوك"

زاد من احتضاني أكثر وكأنه يجعل من هذا جوابا في كل مرة

ثم قال بهمس " لأنني لم استطع تسليمك لغيري لم أقدر يا وسن "

قلت بعبرة " فقط ؟؟ "

زاد من احتضاني أكثر وكأنه سيدخلني داخل صدره لأطلق
العنان لدموعي تنسكب في الحضن الذي لم يحوي يوماً سوا
بكائي وحزني ومأساتي ، الحضن الذي لم أحضاه سوا في
النكبات والمصائب فأول مرة كانت حين قرر قتلي بأخرى والثانية
حين احتوى صرختي في فقدي لخالتي واليوم وآه كم أخشى من
عاقبتها ، قبل رأسي وقال بأسي " يكفي يا وسن وارحميني "
رفعت يدي لظهره وقبضت على قميصه وقلت بحرقة
"لماذا استبدلتني بأخرى يا نواس لماذا فعلتها بي لما قتلتني بها"
ثم شهقت بقوة وقلت " ليتك شعرت بنارها ليتك تعلم
معناها يا نواس لما كنت رضيت بها لي "
أبعدني عن حضنه وأمسك وجهي بيده وقبل جبيني وخدائي
وشفتاي ثم حضنني مجدداً وقال " يكفي يا وسن أرجوك "
صهلت حينها الوسن فهمس لي " سميتك ستتسبب لنا
بمشكلة الليلة إن لم تسكتي فهي لا تحتمل فيك شيئاً "
ابتعدت عنه والتفت لها ومسحت على وجهها وحضنتها من
عنقها فوضع نواس يده على كتفي ومررها على ذراعي حتى
أمسك يدي وسحبني منها خارجاً بي من الإسطبل يسير وأنا

خلفه ممسكا يدي وفي صمت حتى وصلنا المنزل ودخل بي
وتوجه لممر مكتبه ثم أدخلني لغرفتي حتى أجلسني على السرير
في صمت من كلينا وجلس بجواري وأمسك يدي وقبل كفها

قبلة طويلة ثم نظر لعيناى وقال

" أقسم يا وسن وربى يشهد على صدق كلامى أنى لم أفكر يوما

فى الانتقام منك لا أن أحرق قلبك بأخرى ولا أن أتركك بلا

زواج لترينى أتزوج وأنتى لا ولم أجلبك هنا لأجل ذلك أيضا "

بقى نظرى معلقا به لوقت ثم قلت ببحة " لما تزوجتها إذا "

أخفض رأسه ولأذ بالصمت فقلت بحزن

" كم مرة سألتك الليلة هذا السؤال ولا تريد أن تجيب "

قال ورأسه لازال للأسفل " قد تكون مجرد نزوة "

قلت بصدمة " نزوة !! "

رفع رأسه ونظر لى ثم أشاح بوجهه بعيدا عنى فقلت

" وهل ستتكرر نزواتك "

خرجت منه ضحكة صغيرة وأمسك عيناى بأصابعه

وقال مبتسما " هل تخافى أن أتزوج الثالثة "

استللت يدي من يده وقلت بضيق " هل تعي معنى ما قلت

يا نواس ربطت مصير فتاة بك وأحرقت قلبي ودمرت

صحتي وفي النهاية تقول نزوة "

نظر لي وقال " قلت قد تكون "

وقفت وقلت بضيق " لما لا تكن واضحا وتجيب جوابا محددًا "

وقف وأجلسني مجددا وقال " اتركينا من كل هذا الآن "

ثم شدني لحظنه ودس وجهي فيه وقال " اتركينا من الأوجاع

والماضي والهموم ودعينا ننساها ولو يوما يا وسن "

قلت بألم " أنت من رفض ذلك يا نواس ولأشهر

طويلة ، أنت من لم ينسى "

قبل رأسي وتنهد بقوة وبقيت في حضنه لوقت دموعي تنسكب

على صدره ويده تمسح على شعري ولا شيء سوا شهقاتي

المتفرقة وسكون الليل وحضنه الدافئ ، بعد وقت وبعدهما

هدأت أبعدني عن حضنه وأمسك وجهي وقال " هل ينسى

كل واحد منا جرح الآخر ونعيش الواقع كما هوا "

بقيت أتقل بين عينيه بحيرة ثم قلت بهمس مخنوق

"كيف؟؟ لا أستطيع "

نظر للأسفل وأبعد يده عن وجهي وقال

"مي خارج حساباتنا يا وسن بل وخط أحمر حتى علي أنا"

بقيت أنظر له بصدمة لوقت ثم قلت بهمس " وأنا"

رفع رأسه ونظر لي ثم أمسك يدي ووضعها على قلبه وقال

"أنتي هنا يا وسن"

لذت بالصمت سوا من دموعي التي عادت للنزول ، كيف يقول

أنها خط أحمر ويقول أنني في قلبه كيف ! إن كنت أنا في قلبه فأين

تكون هي ، مسح بيده على خدائي وقال " يكفي بكاء يا وسن أين

كنت تخزين كل هذا عني في السابق "

فتحت فمي لأسأل السؤال الذي يخنقني وقتلني به فوق موتي

وهوا مكانتها لديه لكن شفتيه لم تعطيني أي مجال لأنها أغلقت

أي طريق لخروج الكلمات ليرشف بهما رحيق شفتي بل وبقايا

روحي لتخرج مني شهقة ليست صدمة كتلك المرة بل شيء

لا أعرفه ولم أفهمه جعله يشد على شفتي أكثر ويضمني له بقوة

أكبر لتنتقل قبلاته الحارقة لعنقي ونحري ، أردت أن أقول لا ويكفي

وابتعد ... دعني أفهم حدودها وحدودي لكني لم أقدر ، نعم لم أقدر

وعجزت عن كل شيء سوا التنفس بقوة وهو يرجعني للخلف

لأنام على السرير ليرسم حدوده في حياتي وليختم على جسدي

ملكته الأبدية ويتركني معلقة في أفكاري بين السماء والأرض

عند الصباح فتحت عيني بصعوبة وجلست مسرعة أنظر حولي

هل كان حلما أم حقيقة كل ذلك ؟ وتأكد ذلك حين وقع نظري على

النائم معي على سريري فأمسكت اللحاف وشدته على جسدي

وكأني أخفيه عن نظري ثم رفعت شعري خلف أذني ونظرت مجددا

للجسد النائم بهدوء بجانب يخفي عيناه بذراعه وأول ما وقع عليه

عيني ذلك الحرق في كتفه بمنظره المؤلم وارتجف كل جسدي حين

تذكرته البارحة في طلبه الوحيد مني وهو أن أقبل هذا الحرق وحين

فعلتها تبث وجهي عليه بيده وقال (نعم يا وسن اشفيه فهو لم

يشفى حتى الآن ولا زال يحرقني)

ولا أعلم ما علاقتي أنا به تحديدا وما قصته ! تسللت من السرير

بيطء ودخلت الحمام وفتحت المياه على أقواها ووقفت تحتها

مغمضة عيني بقوة وكل ما حدث البارحة يدور في رأسي ، كل

همساته وقبلاته وأنفاسه الساخنة نبرته المفعممة بمعاني كثيرة

كل شيء كان كالحلم وحدث فجأة ولا أعلم كيف فكل تصرفاته

بالأمس كانت غريبة ، خرجت بعد وقت أتحرك في الغرفة ببطء

كي لا يستيقظ ويبدوا لا يفكر في ذلك ولا زال على حركته تلك

لم يغيرها ، لبست أقرب بيجامة وجدتها أمامي ومشطت شعري

دون تجفيف وخرجت من الغرفة كمن يفر من الواقع ، دخلت

المطبخ محطتي الوحيدة لأفاجئ بمي تجلس هناك تتناول فطورها

فوقفت وجمدت مكاني ثم هربت بنظري عنها وأبعدت شعري

الرطب خلف أذني ثم عدت بنظري لها فكانت تنظر لعنقي بتركيز

أو استغراب فرفعت يدي وجدبت بعضا من شعري أماما ، مؤكدا

رأت شيئا وفهمت ما حدث البارحة فيكفيها أن تفكر أنه لم ينم معها

لتدرك كل شيء ، رفعت نظرها لي بسبب حركتي ثم سافرت بنظرها

للأسفل سريعا عندما وجدنتني أنظر لها وإن لم أكن جُننت أو أتوهم

فإنها كانت مبتسمة ابتسامة رضا وكأنها فرحت بما خمنت أنه

حدث بيننا فجمدت أنظر لها بصدمة أحاول تفسير هذا

"صباح الخير "

ليرتجف كل جسدي من اليد التي لمست ظهري والصوت

الرجولي الذي عبر أذناي ليكمل طريقه وسحب الكرسي

وجلس معها فهربت منه بل ومنهما وعدت مسرعة لغرفتي

*

*

التفتتُ أنظر لها حتى اختفت وأعاد نظري صوت مي قائلة

"كنت أنتظر كل يوم أن تنهيا خلافاتكما وحدث أخير "

لذت بالصمت ودخلت حينها راضية وقالت مبتسمة

"صباح الخير ما صباح النشاط هذا "

قالت مي بعد ضحكة " لا يسمعك أحد ويضن أننا ننام للظهيرة "

توجهت للمغسلة قائلة " يبدوا أنني أنا من تستيقظ متأخرة وتظن

أن الجميع كانوا نيام ، لما لم توقظيني لأعد لك الإفطار "

قالت مي " لا داعي لذلك أقوم بهذا وحدي "

وأنا طبعا لم أشارك بشيء سوا شرب شاي مي وأمسح قفا

عقتي بيدي كل وقت لأنني على ما يبدوا لازلت مخدرا من ذكرى

البارحة ، فبعدهما قررت أن لا أخسرهما بمرض مميت هي أيضا لأنها

ستكون نهايتي قبلها فرأيت أن أأخذ على الأقل من مشاكلنا أن أدوس

على نفسي كي لا أخسر الحياة بعدها لكن كلماتها للوسن جعلت

الحصن ينهار بكامله وأنا أسمعها تبوح لها بحبها لي وكأني كنت
أنتظر فقط أن أسمع شيئاً يدعوني إليها فلم تبرد نار قلبي إلا وهي
في حضني لأحقق ما حلمت به منذ رأيتها أول مرة بل ولم أترك
شيئاً في قلبي لم يقله لساني وهي تستسلم بين يداي وقبلائي ، كانت

أغرب ليلة عرفت فيها نفسي وعرفت فيها معنى الحب والعشق
والنساء أجل كانت ليلتي ، تنفست أزفر الهواء بقوة ومررت
أصابعي في شعري ثم رفعت نظري لهما فكانتا تنظران لي
وتضحكان فقلت ببرود " ما يضحكما "

رفعت راضية كتفيها وقالت " لا شيء طبعاً "

نظرت لمي فضحكت مباشرة ثم وقفت ودارت حتى أصبحت
خلفي ومالت لرأسي وهمست في أذني قائلة " مبارك لكما

يا نواس أقسم أنني اليوم فقط شعرت بالراحة "

ثم استوت في وقفاتها وهي تمسح بيدها على ظهري وغادرت

المطبخ فتهدت بأسي ووضعت الكوب من يدي ووقفت مغادراً

أنا من لن يرتاح يا مي حتى تجدي أنتي الراحة وعلى وسن أن

تقتنع قبلي أنك ما أن ترضي بالعيش معي كزوجان فلن تخرجي

من هنا وليلتك معي كليتها أو أسلمك لغيري برضا منك ، أقسم
وبي نفس أتفسه أن أسعى جهدي لتسعدي وتنسي كل ما قاسيته
خرجت للخارج ووقفت تحت مظلة الباب مستندنا بالجدار أنظر
للجزء الذي تركه نزار من المزرعة من أجل حديقة وألعاب
للأطفال وأتخيل أن يصبح أبنائي بالفعل يلعبون هناك بعدما رأيت
الأمر أصبح بعيد المنال وأنا زوج لانتنتين وكل واحد منا ينام في
غرفة لوحده ويبدو أن ليلة البارحة أيقظت اللحم من سباته ، حلم
ظننت أن سنين الغربية قتلته خصوصا بعدما سلبوني حبيبتني وأعطوها
لغيري لأشعر أكثر أن لا فرص لي لأكون سعيدا في الحياة ، مررت
يدي على مكان الحرق في كتفي حرق عمره عامان وأكثر ولم يبرد
إلا البارحة فكم ظننت أن ناره لن تخدم ما حييت ، نظرت للأسفل
وأغمضت عيناى بشدة وأنا أتذكر تلك الليلة التي صارت فيها
وسن خطيبة لذاك فمن صدمتي ذاك اليوم خرجت من العاصمة
بأكملها وبقيت وحدي في البر ، كانت ليلة لم أنساها ما حييت بل
كانت النار تشتعل في داخلي كالسعير ، جمرة تكوي قلبي وحتى
شمس الصباح أبت الظهور كنت أبحث عما يطفئ تلك النيران عن
شيء ولو يكونني أكثر منها ويلهيني عما أنا فيه ، وبدون تردد أو

أدنى تفكير حرقت نفسي هذا الحرق لعلي أشعر بوجع آخر أقسى
من وجعي وأنساه بحرارة الآخر لكنني أصبحت في حرقين ووجعين
لم يبردا رغم كل اعتذاراتها وأعدارها ورغم مرور الأيام والشهور
والسنين ، أخرجني من أفكاري صوت كعب حذاء خرج مسرعا
ثم وقفت خطواته فجأة فالتفت من فوري فكانت وسن تحضن
معطفها ومذكراتها وهربت بنظرها للأرض ما أن رأته
فسرت أمامها قائلاً " تعالي سأوصلك أنا "
وصلني صوتها المنخفض وأنا أصل سيارتي قائلة
" اتصلت بالسائق "
فتحت باب السيارة وقلت دون أن التفت إليها
" تعالي يا وسن "
ثم ركبت وأغلقت الباب فنزلت الدرجات بهدوء ودارت حول
السيارة وفتحت الباب وركبت في صمت فشغلته وتحركت
بها خارجان من المزرعة واتصلت بالسائق فأجاب من
فوره فقلت " أين أنت "
قال " في غرفتي سيدي "

قلت بحدة " ومنذ متى وسن متصلة بك "

قال بارتباك " من منذ لا أذكر لكنه ليس كثير ومحاضرتها بعد س "

قاطعه قائلاً بغضب " وما علاقتك بوقت محاضرتها ، كم

مرة ستوقفها في الخارج تنتظرك ، لم أوافقك على جلب

زوجتك هنا لتنام معها وتترك أعمالك "

شرقت حينها وسن وبدأت بالسعال فنظرت لها بسرعة

ثم مددت لها قارورة الماء الصغيرة فأخذتها دون أن تنظر

إلي على صوته قائلاً " حاضر سيدي لن يتكرر هذا "

أغلقت عليه الخط وقلت " إن تأخر عليك ثانيًا أخبريني "

نظرت جهة نافذتها وقالت بحزن " كنت سأنتظره لما

توصلني وأنت لا تريد هذا "

نظرت لها وقلت بصدمة " وسن ما هذا الذي تقولينه "

قالت ببرود " ولما كل هذا الغضب والاستياء إذا

وكأنك مكره على إيصالي "

تهتدت وهزرت رأسي وقلت " لا أعلم لما أنا وحدي

من تفسرين كل شيء يخصه بشكل سيء "

قالت بضيق " لأنه كذلك "

قلت بضيق أكبر " لا ليس كذلك أنتي من يريد أن يكون

هكذا وعليه أن يكون كما تريدين رغما عن الجميع "

قالت بأسى " أعدني للمنزل فورا فالسائق بكسله أرحم منك "

تأففت واستغفرت الله ولذت بالصمت فلم يكن عليا صنع مشكلة

من لا شيء وكأني أقتنص لها الفرص ، بعد قليل دخلنا للعاصمة

وبقينا على صمتنا حتى وصلنا لجامعتها ، أوقفت سيارتي

وقلت " متى تنهي محاضراتك اليوم "

فتحت الباب لتنزل دون أن تجيب فأمسكت يدها وسحبته نحوي

وقبلت باطن كفها وقلت " لم يكن قصدي ما فهمته أقسم لك "

سحبت يدها من يدي وضممتها لحظنها وقالت وعيناها

في عياني " لم أعد أفهمك يا نواس "

حضنت خدها بيدي وقلت " ما الذي لا تفهميه بي

يا وسن لتريحي نفسك وترحمني "

أرخت نظرها وكأنها تنوي قتلي بعينيها وقالت بهدوء

"مكانتي لديك "

أمسكت وجهها بيدي وقبلت عيناها وقلت بهمس " سبق وأجبتك

البارحة وسأعيدها ، أنتي في قلبي الذي عاندني فيك يا وسن "

رفعت نظرها لي مجددا وقالت بنظرة حزينة " ومي "

أبعدت يداي عن وجهها بل ونظري عنها وقلت

"سوف آتيك وقت العصر "

فنزلت دون أن تضيف شيئا وأغلقت الباب وغادرت فاستندت

بذراعي وجبيني على المقود ، ليتك ترحميني من هذا السؤال

يا وسن وتشعري بي ، حتى متى سنبقى نبنى الحواجز بيننا
رفعت رأسي على صوت رنين هاتفني ونظرت للمتصل

باستغراب ، رقم غريب ومميز بل ليس أي رقم!

أجبت بتوجس " نعم من معي "

جاءني الصوت الرجولي الواثق الحازم قائلا

"نواس خالد شاهين معي "

قلت مباشرة " نعم وصلت "

قال بذات النبرة " معك جابر سيد حلمي من مكتب الشرطة الجنائية "

تجمدت جميع حواسي وتوقفت عن العمل ، هذا شقيق معتصم لكن

ما يريد به بي ولما يتصل ولم يرسل طلب استدعاء ، فتحت فمي

لأتحدث لكنه لم يعطني أي مجال لتحيته وقال من فوره

"وزوجتك وسن أحمد عمران عامر "

انفتحت عيناى من الصدمة ليضيف قائلا " علينا مقابلتها "

قلت " هل تريد أن تزور مكتبك أم قسم التحقيق ولما "

قال " بل أنا من سأزورك "

قلت بصدمة " أنت تزورنا " !!

قال بثبات " نعم وبسريرة تامة ولا يسمع أحد بما

دار بيني وبينك حاليا ولا زوجتيك "

أخذت نفسا كبيرا أحاول أن لا أفكر في شيء حاليا

وقلت " والسبب "

قال " أود أن أحقق معها في مقتل والدها "

فتحت فمي من صدمتي وقلت " والدها مات مقتولا " !!!

قال من فوره " نعم وبأقي مجريات الأمور لديها وحدها "

بقيت لوقت واقفا أمامها وأنظر للأرض وكأنى أحاول جمع

الكلمات المتزاحمة في رأسي بل وكأنى لم أتحدث لفتاة من قبل

ولم يكن لي خطيبة حادثتها لسنوات ، قد يكون الوضع الآن مختلفا

فأنا أمام فتاة حساسة أكثر من رهام بملايين المرات فتاة تحركت

مشاعري نحوها بشكل مختلف فيكفي أنها أنثى لم أضع لها عيبا

في صفحتها معي ولا حتى خطأ بسيط ، ما سأحاول قوله أن أقنعها

بأي طريقة أن تنتظرنني فقط ليكون كل واحد منا مهياً للأمر ، عليها

أن تختارني بعقلها وبقلب أكثر نضجا من الآن لا أريد أن أظلمها

ولا أظلم نفسي ، أريدها لا أنكر ذلك لكني لست بمستواها وأريد أن

تحبني من منظوري أنا وليس من منظور فتاة في الخامسة عشرة ولم

تعرف من الرجال سوا القليل جدا ولم تحتك بسواي ، رفعت رأسي

ونظرت لها وهي تنظر لي بترقب وحيرة فتنفست الصعداء ثم ابتسمت

بحمق على نفسي حين شعرت بنبض قلبي اطرب فهزرت رأسي يمينا

ويسارا وعدت برأسي للأرض وقلت بهدوء " سما أنا "

قاطعتني بسرعة قائلة " اصمت نزار "

رفعت رأسي ونظرت لها بصدمة فسالت دمعة واحدة على خدها

وقالت بحزن " لا تتحدث عن موضوع تزويجي حلفتك بالله

إن كان في الموضوع زواج فلا تفتحه "

مسحت دمعتها بكف يدي وقلت بابتسامة حزينة " حسنا فقط

لا تبكي وليتك لم تقسمي فالموضوع كان سيحسم الأمر "

هزت رأسها بلا وقالت بأسى " عفت ذلك ولم أعد أريده

بل وكرهته أيضا "

أبعدت يدي عن الشجرة خلفها وابتعدت عنها وقلت " ما كنت

أخشاه حدث يا سما وزدتك تعاسة مع تعاستك وأريتك

العالم من زاوية مظلمة جديدة "

وغادرت وقلت مبتعدا " الحقاني فلن اطمئن وأنتما بعيدان "

ثم عدت حيث البقية ووقفت انتظر حتى اقتربا من بعيد عندها فقط

استطعت الجلوس معهم لكن بجسدي فقط أما ذهني فلم يكن معهم

ولا أعلم مما يقولون شيئا وأنا مسافر بنظري للأرض وسما

طبعاً لم تجلس معنا وأكملت باقي وقتها عند النافورة حيث الأطفال

وها قد صنعت منك ما أريد يا سما فتاة ميت إحساسها اتجاهي

لكني لست سعيداً بذلك مطلقاً يا طفلة نزار الحبيبة

"نزار هيه أتعبت صوتي "

رفعت نظري له وقلت بضيق " ثقت لي طيلة أذني

يا أحمق ... ماذا تريد "

وضع ذراعه على كتفي وقال مبتسما " يبدوا صديقنا وقع
وسنفرح به قريبا فاعترف بسرعة من هذه التي سلبت العقل "
أبعدت ذراعه عني وتأففت وقلت " عوني يالا ثقل دمك يا رجل "
قالت والدتي " ائس منه كما ئست أنا وأيقنت بأنه لن يتزوج ما

حييت فهو لا ينفع سوا لجرح نفسه أو غيره "

قلت بضيق " أمي حلفتك بالله يكفيني ما بي "

قالت ببرود " لم ترى شيئا يا ابن أم نزار فالنتائج لم تظهر بعد "
نظرت لها بضيق وكنت سأتكلم لولا أوقفني الصوت الناعم والهادئ

الحزين من خلفي قائلا " نزار أريد أن أرجع للمنزل "

التفت لها وقلت " لماذا وخرجنا كله من أجلك "

قالت مغادرة بخطواتها جهة مخرج الحديقة " وأنا أريد المغادرة "

وقفت وقالت والدتي " ما بها هل تحدثتما "

نظرا عوني وزوجته لبعضهما باستغراب فقلت

" لا شيء دعيني أساعدك لتجلسي على الكرسي فسناغادر "

وقف عوني وزوجته وجمعنا الحاجيات وحملها لسيارتهم وخرجت

أنا بوالدتي فكانت سما تنتظرنا عند مدخل الحديقة ، في رحلة البحر

كانت معترضة على عودتنا رغم أننا قضينا أغلب النهار هناك أما

الآن صارت سما جديدة تكره حتى وجودي بقربها لأنه يحزنها
ليتك تفهميني يا سما وتقديري أن هذا الأمر سيجرحني أكثر منك
وضعنا الأغراض وركبنا جميعنا وعدنا للمنزل وركب أحمد معنا
مصرا أن يركب مع سما وكان طوال الطريق جالسا في حجرها
وينظر من النافذة ويتحدث معها حتى وصلنا ودخلت قبلنا أدخلت
والدتي ولم تكن في الأسفل ومؤكدا صعدت لغرفتها ، أجلس
والدتي على السرير فقالت " يبدوا تحدثتما "
طويت الكرسي وقلت وأنا أضعه مكانه " حاولت يا أمي لكنها
رفضت أي حديث عن زواجها وأقسمت أن لا أتحدث "
قالت مباشرة " هي تظن أنك ستكلمها عن أحدهم "
قلت ببرود " النتيجة واحدة "
تهددت وقالت " كم تناقض نفسك تحبها وتتهرب من التحدث
معها عن أمر يحسم ما بينكما وتتججج بحجج واهية "
قلت بضيق مغادرا الغرفة " لا أحد سيفهمني مهما شرحت وأعدت "
خرجت للسيارة وأنزلت الأغراض منها وأعدت كل شيء مكانه
ثم صعدت لغرفتي استحمتت وصليت ونمت أحاول أن لا أفكر

في شيء وسأحاول فيما بعد أن أجد حلا لكل هذا

*

*

دخلت غرفتي وأغلقت الباب خلفي ووقفت عليه وأطلقت العنان

لدموعي التي أمسكها منذ ساعات ثم مسحت عيناى بقوة ودخلت

الحمام واستحمت ، عليا أن أكون أقوى من كل هذا فقد واجهت

ما هوا أصعب وفقدت حتى والداى وشقيقي واجتزت ذلك فعليا

أن أهزم حبه في داخلي كي لا أضعف أكثر وأطلب وجوده في

حياتي أكثر ولا أنسى أنه عاملني بلطف وود وفعل الكثير والكثير

من أجلي وهوا لا يقرب لي وغير ملزم بهذا ثم هوا لا يعلم عن

مشاعري نحوه فكيف ألومه ، نزلت بعدها لخالتي وما أن دخلت

حتى قالت " أردت بهذه النزهة أن ترفهي عن نفسك ويبدووا

زادتك تعاسة فوق تعاستك "

نظرت للأرض وقلت " قررت أن أتوقف عن التفكير

في كل هذا وألتفت لأمر أخرى "

قالت من فورها " قرار جيد يا سما وكما أخبرتك ستجدين كل

شيء في انتظارك فما كتبته الله لك لن يأخذه غيرك منك "

نظرت لها وقلت بحزن " هل باعتقادك سأنجح وأنا أراه أمامي "

تنهدت وقالت " سيكون الأمر صعباً لكن من لا يحاول

يحكم على نفسه بالفشل "

قلت بهدوء " ما يهون الأمر أنه لا يعلم عن مشاعري نحوه لأنها

حينها ستكون إهانة لي لأنه سيكون رفضني بتصرفه هذا "

هزت رأسها بقلّة حيلة فقلت " خالتي هل لي بطلب "

قالت على الفور " بالتأكيد بنيتي "

قلت مبتسمة " أريد أن أقرأ جزء كبير من الرواية فعندما أقرأها

أنسى نفسي وكل شيء وأنا سبق ووعدتك أن أقرأ كما كنا نقرأ "

قالت مبادلة لي الابتسامة " بالتأكيد صغیرتي ففي السابق كان لديك

دراسة أخاف أن تلهيك عنها أما الآن فافعلي ما يحلو لك وابقى

دائماً هكذا تحترمين وعودك "

هزرت رأسي وقلت " بالتأكيد "

ثم صعدت لغرفتي وأخرجت الرواية وجلست على السرير

وبدأت بالقراءة ((جلست أمام الخزانة أرتب باقي أغراضي

كي أكون جاهزة قبل أن يأتي فريق خبيرات التجميل ، أرمي

ما لا أريده جانبنا وأضع الباقي في حقيبة حتى سمعت أصوات

ركض ثم فتح أحدهم باب غرفتي بقوة لأقف فرجة وأنا أرى

عمتي سعاد تقف أمامي بوجه مسود من كتم صرخة أو صدمة

وعينان حمراوان من كتم الدموع تتنفس بقوة وصعوبة ثم قالت

"مات يا ردين "

وضعت يدي على قلبي وقلت بصدمة " ليس هوا جميعهم إلا

هوا ، أرجوك عمتي قولي أنه ليس عمي رياض "

وضعت يدها على فمها لينزل طوفان دموعها وقالت بعبارة

"مات سندي وسندك يا ردين مات عمك رياض "

صرخت بكل صوتي " كذب كاذبون "

وركضت خارجة مجتازة لها وفي صرخة واحدة ونزلت

السلام متوجهة جهة الباب كالمجنونة لأصطدم بذاك الصدر

العريض وتكبلني ذراعيه بقوة فقلت بصراخ باكي

"أتركوني أذهب له لأنكم كاذبون جميعكم كاذبوون "

استمر في احتضاني دون كلام حتى قلت بوجع وعبارة

"مات يا فراس مات والدي ليتنا جميعا متنا وليس هوا "

ولم أرى أو أسمع بعدها شيئا لتسود الدنيا في عياني مثل قلبي
وحياتي بعده ولم استيقظ إلا في سريري وأول ما قابلني سقف
الغرفة ، نظرت يمينا فكانت عمتي سعاد تجلس ممسكة رأسها
بيدها تنظر للأسفل وبجانبها امرأة وضعت يدها على كتفها

وقالت " اذهبي وارتاحي يا سعاد ها أنا بجانبها هذا لن

ينفع بك ولا بها ثم المعزيات يسألن عنك في الأسفل "

قلت ببحة وصوت مرتجف " عمتي "

فهرعت لي بسرعة وجلست على السرير بجانبني فجلست

وحضنتها ودخلنا في بكاء مرير وموجع كل واحدة منا تبكي

نفسها والأخرى بعده بل وحدي يبكون عليها فهي لديها أبنائها

وشقيقها ووالدها أما أنا فلم يترك لي شيء سوا زوج لا يريدني

وكل واحد منا قبل بالآخر من أجله واحتراما له بل تزوجني هوا

انتقاما مني أي تركني في هم أسوء من همي ، قلت بعبرة

"تركني وحدي يا عمتي كيف يفعلها ولا أحد لي

قبله ولا بعده تركني بلا سند ولا أحد "

زادت من احتضانها لي وقالت " لا تقولي هذا يا ردين

فأين ذهبنا نحن وزوجك سندك أكثر حتى منه "

قلت بنحيب " لا زوج لي ولا أحد لا أحد هو كان كل شيء

وغاب ليتركني بلا شيء هو والدي وزوجي وجميع أهلي

واختفوا جميعهم اختفوا باختفائه فقدتهم اليوم فقط "

وبقينا على حالنا هذا حتى تجمعوا علينا يحاولون تهدئتنا وما

كان هناك شيء ليهدئني ويطفئ النار في قلبي لأفقد وعيي

مجددا ولم استيقظ هذه المرة إلا في المستشفى ولازمته أربعة

أيام لا أعلم من جاء ومن ذهب ومن زارني وماذا قالوا لي

فلست أرى إلا السواد ولا أسمع إلا بكاء قلبي ونحيب صدري

جلست ببطء بمساعدة الممرضة التي ساعدتني في لف

حجابي أيضا لحظة دخول فراس واقترب مني وقال

" هل تغادر يا ردين هل كل شيء جاهز "

هزرت رأسي بنعم دون كلام ودون أن أرفع نظري فيه

فأوقفني وقال " إن كنت لا تستطيعين المشي أحضر كرسيًا "

هزرت رأسي بلا وقلت بهمس " أمشي وحدي "

فترك يدي وحمل كيس أدويتي وخرجنا معا أسير بجانبه لا

أرى شيئا سوا الأرض تحتي وأقدام المارين حتى وصلنا السيارة

وفتح لي الباب وركبت وانطلقنا في صمت موحش أنظر للفراغ

وذهنى ليس معي ، قال شيئا لم أفهمه ولم أهتم به فأمسك كتفي

وقال مجددا " ردين وصلنا انزلي والدتي تنتظرك هنا

عند الباب لأنه عليا المغادرة لأمر ضروري "

نزلت في صمت ودخلت ووجدتها بالفعل تنتظرني هناك أمسكت

يدي وأدخلتني تقول أيضا أشياء لا أفهمها ولا تعينني ، وصلنا

للداخل وكانت هناك جوري وامرأتان أو ثلاث أو مجموعة

نساء لا أعلم ولم أركز ، توجهت جوري نحوي وسلمت علي

فقلت لعمتي بصوت متعب " خذيني لغرفتي "

ف فعلت في الفور ورافقتنا جوري وبقيت معي في الغرفة تواسيني

أو تسليني لا أعلم ولا أفهم شيء مما تقول سوا كلمة موت وأنا

دموعي لا تتوقف عن النزول في صمت

ومر شهرين وأنا سجيئة غرفتي لا أستقبل أحدا سوا عمتي

سعاد ولا حتى فراس ولا جوري لا أحد غير وحدتي وحزني

تجاوزت الصدمة لكن الحزن وشعور الفقد لم أتجاوزه بعد

فمصابي أكبر منهم جميعا ، انفتح الباب ودخلت عمتي تحمل

صينية في يدها وضعتها على الطاولة وجلست بجانبني ثم

أمسكت يدي وقالت " ردين هذا الذي تفعليه في نفسك وفي

زوجك غير صحيح بنيتي فهو يسأل عنك يوميا ويريد

رؤيتك وأنتي ترفضين حتى هاتفك لم تفتحيه "

قلت باستياء " لا أريد أن أراه ولا أرى أحدا

ارحموني وافهموني أرجوكم "

تنهدت وقالت " جوري أيضا تسأل عنك استقبلها هنا على

الأقل فأنتي بحاجة لمن يسليك ولو قليلا وهذه العزلة لن تزيدك

سوا هم وغم وحزن ، مصابنا فيه جميعنا كبير حتى أبنائي لم

يغادرهم الحزن بعد لكنه قدرنا وما مات أحد بعد ميت وها أنتي

فقدت عائلتك جميعهم وعشت حياتك بعدهم كالبقية والله لم ينسأك

وأوقف رياض رحمه الله في طريقك ولن ينسأك الآن

ورزقك بزواج يعوضك عنه "

ابتسمت بسخرية أنظر للفراغ وقلت " يعوضني عنه ! ابنك

لا يريدني وما وافق إلا من أجل والده ولينتقم مني وقالها

لي بلسانه سابقا "

تنهدت وقالت " لو كان كذلك ما كان يسأل عنك كل يوم "

اكتفيت بالصمت ولم أعلق كي لا أرحها بكلامي فيكفيها ما

بها ، أمسكت يدي مجددا وقالت " جوري على الأقل استقبلها

هنا ولا تنزلي فهي تريد رؤيتك قبل أن تسافر "

تنهدت وهزرت رأسي بحسنا فوقفت من فورها وخرجت وعادت

بعد قليل وهي معها وغادرت عمتي سعاد وبقينا معا ، جلست معي

وتحدثت في أمور كثيرة وأنا أشاركها بكلمات قليلة جدا وعلمت منها

الآن فقط أن جدهم والد عمتي قرر البقاء هنا والعيش معهم وأن

زواجها ووائل تحدد على أن يكون عقد قران فقط بعد أشهر والزواج

حتى إشهار آخر أو ينهي دراسته العليا كما فهمت ، ودعتني بعدها

وخرجت وبقيت لوحدي وحزني ، وقفت وتوجهت لخزائني وأخرجت

ألبوم الصور وتوجهت به للسرير وجلست ألقبه ، كان كله صور لي

مع عمي رياض رحلاتنا للبحر والمدن التي زرناها والدول التي

سافر بي لها فقد في كان وقت إجازتي في النزل الداخلي يحاول

دائما قدر الإمكان أن يخرجني من هناك ويسليني حتى إن كان

سفر من أجل عمله يأخذني معه ، كان كل شيء بالنسبة لي وآخر

ما كنت أتوقعه أن يذهب ويتركني ، ضمنت الألبوم لحضني

وقلت بعبارة " لازلت صغيرة يا والدي لازلت أحتاجك في كل

شيء تركتني معلقة بين السماء والأرض زوجة لابن لا يريدني
أو مطلقة لا أحد لها سوا الشارع فبقائها هنا حينها لن يكون منطقيا
تركتني وأنا في عز احتياجي لك لماذا يا عينا ردين وحياتها "
ونمت ليلتي وصورته في حضني ودمعتي على خدي ، في
الصباح دخلت عليا عمتي وشدتني من يدي وقالت " لو عمك
رياض يعز عليك تخرجي معي الآن يا ردين وترحمي نفسك
والذي يريد رؤيتك ولا يستطيع صعود السلالم فانزلي له يا ابنتي "
سحبت يدي منها وضممتها لصدري وقلت بعبرة وحسرة
"لم يعد شيء في الحياة يعني انتهي حياتي وسعادتي انتهت "
حضنتي وقالت بحزن " ردين ارحمي قلبك من هذا ، لا يجوز
يا ابنتي هذا ظلم في حق نفسك وزوجك "
ابتعدت عنها وقلت باستياء " زوجك زوجك لا يريدني وأجبر
علي لما لا يفهمني أحد أنا لا أظلمه لأن أمري لا يعنيه "
تنهدت وقالت " حسنا فقط انزلي لرؤية والدي ويكفيك عزلة
ووحدة فهذا لن يعيد رياض حيا ولن يغير في واقعك شيء "
ثم أوقفتني مجبرة وقالت " لم تكوني ضعيفة هكذا أبدا عرفتك

فتاة قوية كما سمعت عنك قبل أن أراك فلا تدعي الضعف

يسيطر عليك وينهيك "

خرجت معها مجبرة ونزلنا معا ودخلنا للمجلس العائلي كل

مكان هنا يذكرني به ليثني أموت أو أخرج من هنا ، كان ثمة

شيخ كبير في السن جالس وبجانبه فراس لكني لم أرفع نظري

به وما أن دخلت حتى حاول الوقوف وهرع فراس له ليساعده

فأسرعت له وأعدته مكانه وقبلت رأسه وقلت

"أنا من آتيك يا جدي لا تتعب نفسك "

أمسك يدي وشد عليها وقال " أحسن الله عزائك يا ابنتي

اعذريني لأنني لا أستطيع صعود السلالم "

قبلت يده وقلت " بل أنا من عليها أن تعزيك

في زوج ابنتك وليس أنت "

ثم قلت بغصة ودمعة " ليخلفنا الله فيه خيرا جميعنا أقسم

أنها كانت كسرة لظهري وستبقى ما حييت "

وقف حينها فراس وغادر الغرفة فيبدوا كلامي لم يعجبه أو لا

يكون يعتب عليا لأنني لم أسلم عليه وفي الحالتين لا يعني ما

يفكر فيه ، جلست بجانب الجد يتحدث وأنا أستمع له بانتباه فكم

عشقت كبار السن وحديثهم وطريقة كلامهم وحتى طيبتهم وتهميشهم

للحياة ومظاهرها ، تنهدت بحزن وقلت " لكن الأمر ليس سهلا

عليا يا جدي ولن يفهم أحد ما عناه لي عمي رياض رحمه الله "

قال بهدوء " أعلم يا ابنتي ونعلم جميعنا رياض كان طيبا مع

الجميع وفقده أوجع كل من عرفه لكن هذه الحياة وهذه سنتها

هل سنعترض على أمر الله ، انظري لجذك هذا أمامك دفنت

زوجتي ثم ابني ثم ابنة شابة قبل زواجها بأسبوع ولم يبقى لي

سوا عمك سعاد وابني قصي وعشنا بعدهم وضحكنا وفرحنا

ولم تتوقف الحياة والميت لا أحد ينسأه يا ابنتي مكانه في

القلب لكن الحياة تستمر "

هزرت رأسي بلا وقلت " ليس مثلي ليس كمصابي فلم يكن

لي غيره كان ظهري وسندي وكل شيء كان أهلي الذين

فقدتهم ولم أحتج معه لأحد "

أمسك يدي بيده المجددة الضعيفة وقبض عليها بوهن وقال

"ترك لك زوج من صلبه من صلب الرجل الذي كنتي تتحدثين

عنه الآن وهو من اختاره لك وفضله على الجميع فكيف

تقولين هذا الكلام "

نظرت للأسفل وقلت بحزن " لن يفهمني أحد مهما قلت

وشرحت يا جدي أقسم لن تفهموا ولن تشعروا بي "

ربت على كتفي وقال " أخرجيني للحديقة الجلوس

هناك أفضل من هنا "

ساعدته وخرجنا للطاولة في الخارج وجلسنا هناك وبدأ

يحكي لي حكايتهم القديمة التي أعشقها وقصص تحرير البلاد

من الاحتلال والثورات الطلابية وحياتهم قديما وأنا أستمع باهتمام

ونجح في رسم ابتسامة صغيرة في ملامحي الحزينة ثم انضمت

لنا عمتي سعاد وجلست وقالت " ها ما رأيك في زوج ابني يا أبي "

قال مبتسما " عروس بدون ثوب جيد أن رياض زوجها لابني فراس "

ماتت ابتسامتي وأنزلت رأسي ولويت شفطاي بعدم رضا فضحكت

عمتي سعاد وقالت " لا يسمعك حفيداك الآخران وتصبح في مشكلة "

قال ببرود " وهل ثمة من لديه اعتراض "

غيرت مجرى حديثنا بغيره وكثرت الأحاديث وتشعبت يحكي عن

طفولتها وكيف كانت مشاكسة رغم أن هذا لا يظهر عليها وهي

تنكر أغلب الأمور ، كم هوا رائع جدهم وأدخل البهجة على المكان

وكل ما أخشاه أن أعتاد عليه وأتعلق به أيضا ويفجع قلبي فيه

نظرت عمتي لشخص خلفي مبتسمة فالتفت له فكان فراس

فعدت بنظري سريعا للأمام فوصلني صوته قائلا ببرود

" هيا يا جدي عليا أخذك لموعدك عند الطبيب "

كانت كلماته جافة وباردة جعلت عمتي سعاد تنظر لي فورا

وكأنها ترسل لي رسالة لأفهم أنه عاتب علي فتجاهلت الأمر

تماما وقال الجد " وأين أشرف ألم يقل بأنه سيأخذني

حتى متى ستبقى وحدك من يشعر أن لك جدا "

قال فراس " لن أنتظر حتى يتذكرك سيادته ولم

أطلب أن يساعدي أحد على خدمتك "

وقفت حينها لأستأذن وأغادر على دخول صوت آخر

علينا قائلا " أسمع اسمي يذكرونه بالسوء "

قال الجد من فوره " وهل ستمانع أين من سيأخذني لموعدي "

اقترب ينظر لي بصدمة ثم ابتسم ابتسامة جانبية وقال

" ردين هنا هل سقطت الشمس على الأرض ولا نعلم "

تجاهلته ولم أعلق فصفر تصفيره طويلة ثم قال " ردين تقال

لها كلمة ولا تردها بعشرة لابد وأن السماء ستقع علينا "

قلت مغادرة " بعد إذنكم "

ولففت خلف الشجرة ليقع سواري فنزلت لأرفعه وسمعت

عمتي سعاد تقول " لم نصدق أن نزلت للجلوس معنا لتأتي

أنت تعكر لها مزاجها بكلامك الذي لا داعي له "

قال أشرف ببرود " وماذا قلت لها أردت ممازحتها فقط "
تابعت طريقي على صوت فراس قائلا " أمي كم مرة قلت

أبنائك تعاملهم مع ردين لا يجب أن يكون كما قبل زواجنا

ولم يسمع كلامي أحد فتحملوا النتائج وها قد حذرت "

فابتعدت وغابت أصواتهم عني ولم أعد أفهم شيئا ، يا عيني

هذا ما كان ينقص يتحكم بي على مزاجه من يحدثني وكيف

يتكلمون معي صدق نفسه حقا العريس ، دخلت لغرفتي أو عدت

لسجني السابق ، فعلا أشعر أن ردين القديمة ماتت بداخلي وكأني

تحولت لعجوز لا قدرة لها على المرح والركض وصنع المقالب

كما كنت دائما ، آخر ما كنت أتخيله أن تموت ردين التي أحبها

من داخلي وآخر ما أتصور أن كلام الناس عن تغير شخصية

الإنسان صحيح لأنني كنت أنكر هذا وأكذبه دائما

سمعت طرقا على باب غرفتي فانتظرت أن يدخل صاحبه لكن

الطرق تكرر فنظرت للباب باستغراب عمتي سعاد والخادمة

يطرقون ويدخلون فورا وفراس كان يدخل دون حتى طرق

فمن يكون هذا والجد لا يمكنه الصعود !! لم يبقى سوا أشرف

ووائل وكأنه ينقصني مشاكل مع شقيقهم ، توجهت جهة الباب

وفتحته لأفاجئ بفراس هوا من كان يطرق نظرت له باستغراب

فدخل وأغلق الباب فوقفت جانبا مستندة بالجدار ووقف أمامي

وسند يده بجانب رأسي وقال وعيناه في عيناى " لا تنسى

يا ردين أنى زوجك ولم يتغير شىء بوفاة والدى "

ابتسمت بسخرية وقلت " تعنى كرهك لى أم انتقامك منى "

نظر لى مطولا بصمت ثم قال " أعنى أنك زوجتى وأنى

زوجك بعيدا عن الطريقة التى تزوجنا بها "

أشحت بوجهى عنه وقلت ببرود " نعم لن يتغير شىء تزوجنا

بناء على رغبة والدك ومجبر كلينا وخصوصا أنت وانتقاما

منى وآخر رسالة لك لى يوم زفافنا تشهد على كلامك

الذى قلته يوم أمرك بأن تتزوجنى أمرا "

أمسك ذقتى وأعاد وجهى للأمام وقال ونظره على عيناى

"لا تُعلنها حرباً معي يا ردين لأنك ستكونين الخاسرة"

حركت رأسي لأبعد ذقتي من قبضة أصابعه وقلت بجمود

"لم يعد لدي شيء أخسره عمي رياض كان أول وآخر وأعظم

خساراتي ولولاه ما تزوجتك حياتي يا فراس ولو بقيت دون زواج

فأنا لا أعرف سوا قول الحقيقة ولا تهددني ثانياً فموت عمي

رياض لا يعني أنني بث بلا سند ولا ظهر تفهم"

أمسك قفا عنقي بيده التي خللها في شعري وشدني ناحيته

حتى التصق وجهي بوجهه وقال بهمس " هكذا إذا "

قلت بجمود ونظري في عينيه " نعم والخاسر

أنت في كل الأحوال "

شدني له أكثر حتى التصقت شفتيه بالجزء الموجود بين

أنفي وشفتي العلوية وقال بذات الهمس " والطلاق مطلبك "

لم أستطع قول لا رغم أنني أريد الطلاق منه لكني بذلك

سأصبح خارج هذا المنزل ومكاني الشارع فقلت بثبات " نعم "

ولم أدفعه عني طبعاً لأن هذا غرضه وأعرف الرجال جيداً

في هذه الأمور صد المرأة لهم يعتبرونه تحدي وهو لا يريد

سوا قهري أكثر بما يفعل خصوصا إن أظهرت امتناعي عنه

أخرج يده من شعري وترك عنقي كما توقعت ثم وضع يديه

في جيوبه وقرب وجهه من أذني وهمس فيها

"وأنا لن أطلقك ومهما حدث فجدني لك منها مخرجا"

ثم فتح الباب وخرج وها هوا من أعلنها حربا وليس أنا ولا

يخبره عقله أني لن أكون ندا له وأقوى مما يتصور وبعمي

رياض أو بدونه ردين تبقى هي ردين ولم يعرفها بعد

أول ما فعلته بعدها أن ركضت لصورة عمي رياض

وحضنتها بقوة وقلت " أحتاجك يا والدي أقسم أني أحتاجك

لبيتك تعلم أي مصائب تركتها لي ورحلت)) "

أغلقت الرواية ومسحت دموعي التي لم تتوقف طيلة قراءتي

لها وتوجهت أيضا لخزائني جلست وأخرجت صورة عائلتي

وضممتها لحضني وبكيت أيضا فقدي لهم واحتياجي لوجودهم

*

*

جلست من نومي مفزوعا ومسحت وجهي أتعوذ بالله من الشيطان

ثم أخذت قارورة الماء وشربت منها مباشرة ودون توقف حتى

امتلأت معدتي ثم نظرت لقميصي الذي تعرق بشكل كبير في هذا

الجو البارد ، غادرت بعدها السرير أتمتم بخفوت

"أعوذ بالله من الشيطان ما هذا الكابوس "

دخلت الحمام نزعت ثيابي ودخلت تحت الماء البارد وصورة

سما في الحلم لا تفارقني وهي تمسك فخذها المجروح تنزف منه

الدماء بقوة وتبكي بشدة وأنا واقف أشاهدها بصمت حتى هجمت

عليها السباع واختفت بينهم وأنا مكاني لم أتحرك ، ياله من كابوس

يبدوا لأنني نمت متضايقا وأفكر في موضوعي معها ، خرجت من

الحمام لبست ملابسي وخرجت من الغرفة ووقفت أمام باب غرفة

سما بدلا من أن أكمل طريقي ، آه يا سما ما الذي جلبك لحياتي وما

الذي وضعني في طريقك ، وضعت كف يدي على الباب وحررت ما

سأفعل وإن أخرجتها ما سأقول لها ؟ لا أريد أن أرحها أكثر وأريد

أن أفهمها الأمر من وجهة نظري وأن أقنعها به ، أبعدت يدي لأغادر

فوقفت مكاني وأنا أسمع صوت بكائها المكتوم فأمسكت عياني بيدي

مغمضا لهما بشدة بل وبحيرة وضياح ثم أبعدتها وكنت سأطرق الباب

لكن يدي تحركت مباشرة لمقبضه وفتحته ببطء فكانت تجلس على

الأرض أمام خزانها وتحضن صورة عائلتها وتبكي وجهها يخفيه

شعرها عني لكن نحيبها المكتوم لا يخفيه شيء يصيب القلب قبل

الأذنين ، كنت سأحدث لكني تراجعته فلا الزمان ولا المكان مناسبان

رغم أن أوصالي تتقطع من بكائها ومنظرها وهي لم يبق لها سوا

صورة عائلتها أما نحن البشر فلم نزلها إلا ألما مع ألمها ، ألوم رهام

لتخليها عني في محنتي ولم أكن أرحم منها ، أغلقت الباب بهدوء كما

فتحته وغادرت بقلب ينحب مثلها ولا يملك من أمره شيئا ، وقفت

عند باب غرفة والدتي وقلت " اتصلي بسما تنزل لك "

قالت باستغراب " ما بها " !!

نظرت للأرض بصمت فقالت " ما الذي حدث

ولما تريدها أن تنزل لي ؟ "

قلت ورأسي لازال أرضا " تبكي في غرفتها "

قالت ببرود " إذا المنديل لديك وليس لدي "

نظرت لها بضيق فقالت مباشرة " اتركها لعلها تحرم أن تحب

كل حياتها فأنتم الرجال لا تستحقون وخصوصا مثيلاتها "

فتحت فمي لأحدث فقالت بحدة " والمصيبة أنك تعلم أن الفتاة

تحبك يا نزار ولا تزيدها إلا عذابا فوق عذابها ، يؤسفني

أن أقولها لك لكنك لا تستحقها "

هزرت رأسي متأففا ثم خرجت من عندها لأصدم بسما واقفة

أمامي تنظر لي بصدمة ويبدووا سمعت حديثنا لكن كيف لم أشعر

بها ! نظرت لقدميها فكانت حافية وهذا هو السبب والغريب أنها

ليست عاداتها ، عدت بنظري لعينيها اللتان ما تزالان تنظران لي

بصدمة ثم ركضت للأعلى مسرعة كنت سألحق بها لولا جرس

الباب الذي بدأ يرن دون توقف حتى خفت أن أحدهم به مكروه

فتوجهت نحوه و فتحتته فكانت دعاء أمامه ويدها على الجرس

فأبعدتها وابتسمت ما أن رأته وقالت " مرحبا نزار أين

أنت لم أعد أراك ولا مصادفة "

قلت بهدوء " كنت مشغولا طوال المدة الماضية ثم

نحن لم تكن تجمعنا سوا المصادفات "

تغيرت ملامحها ولم تعلق فأنا الحظ تحركاتها مؤخرا تريد أن

تجدني هنا ونهارا وبأي شكل ولا أكون نزار إن لم يكن ورائها

شيء ما ، رفعت يدها فيها كيسا وقالت " هذه فاكهة ناذرة

تحدثت عنها مع والدتك سابقا وجلبت لها "

ابتعدت عن الباب قائلاً " شكرا لك وتفضلي لما تقفين في الخارج "

دخلت من فورها لكنها توجهت جهة المطبخ قائلة

" هلا ساعدتني فأنا لم أعد أعرف مكان الحاجيات بعد قدوم سما "

تتهدت بضيق وتبعثها وأخرجت لها السلة المخصصة لغسل الفواكه

والأطباق والسكاكين ، كانت تتحدث دون توقف لكني لم أكن

أفهم من حديثها شيئا فبالى مع التي ركضت للأعلى بعدما باتت

تعلم أنني أعرف عن مشاعرها نحوي ومؤكد الآن جرحها مني

زاد أضعافا ، كنت واقفا عند الطاولة بذهن شارد أفكر فقط ما

سيكون القادم وكيف ستكون ردة فعلها ليوقظني من أفكاري

أصوات الأجراس في حدائها وهذا دليل أنها تنزل السلام الآن

ومؤكد تضن أنني خرجت وما أن اقترب الصوت أكثر حتى

وقفت دعاء بجانبى مستندة على الطاولة تمسك رأسها بيدها

فلففت جهتها وقلت بقلق " دعاء هل أنت... "

وما أنهيت جملتي إلا وقد فقدت توازنها وأمسكت بقميصي

جهة الصدر فأمسكت بخصرها بسرعة كي لا تقع لحظة وصول

سما لباب المطبخ بخطوة واحدة لتصعقتي دعاء وقد لفت ذراعاها

حول عنقي على دخول سما لتجدها متعلقة بي وأنا أمسك خصرها

ففتحت فمها من الصدمة وخرجت منها شهقة قوية حتى ضننت

أن روحها ستخرج معها ودعاء على حالتها بل تعلقت بعنقي أكثر

فدفعتها بعيدا عني لحظة ركض سما عائدة للأعلى ثم خرجت أركض

خلفها مناديا لها بصوت مرتفع لكنها لم تكثر لي بل دخلت غرفتها

وأغلقت الباب فطرقتة قائلا " سما أخرجني لتتحدث "

طرقت وناديت مرارا وتكرارا لكنها لم تفتحه ولم تتحدث ففتحته

ودخلت فكانت نائمة على الأرض تعطي الباب ظهرها وتخفي

وجهاها في ذراعيها وتبكي بشدة فقلت بهدوء

"سما توقفي عن البكاء واستمعي إلي "

قالت بعبرة " اتركني وحدي "

قلت بضيق " انهضي من الأرض ويكفي نحيب أو

دخلت ورفعتك بنفسني "

وقفت حينها ونظرت باتجاهي تبعد شعرها عن وجهها ونظرت

لي بنظرة حقد أو كره أو غل أو لا أعلم ما تكون ولأول مرة

أراها في عينيها ثم رفعت يدها لعنقها وأمسكت السلسال الذي

أهديته لها سابقا وشدته بقوة حتى انقطع ثم رمته على صدري

ليقع بعدها على الأرض وقالت " أعطه لها أيضا أنا لم

أعد أريده بل هي أولى مني به "

ثم دخلت الحمام وأغلقت خلفها فنزلت للأرض ورفعت السلسال

المقطوع ووقفت أضغط عليه بقبضتي بقوة وأنا أستمع لبكائها

يخترق باب الحمام المغلق ، كنت سأحاول إخراجها لتتوقف

على الأقل عن البكاء في الحمام لكني بهذا لن أزيد الأمر إلا

سوءا فعليها أن تهدأ قليلا وهناك ما عليا فعله قبلها ، نزلت

للأسفل لأجد دعاء واقفة عند أول السلالم تنظر لي حتى

وصلت للأسفل وقالت " ما بها ماذا فعـ"

قاطعتها بحدة مشيرا بسبابتي جهة ممر باب المنزل

"أخرجي حالا ولا أراك هنا ثانيـا "

نظرت لي بصدمة فقلت بغضب " هل تضنين أني طفل ستنظلي

عليـا تمثيليتك السخيفة تلك ، أخرجي فمبتغاك قد تحقق "

قالت بصدمة " تطردني بلا سبب من أجلها "

أشرت بإصبعي مجددا وقلت " نعم ولم نعد نتشرف بزيارتك "

قالت بسخرية " تحبها لهذا الحد "

قلت مباشرة " نعم "

زادت صدمتها وقالت بدهشة " وتعترف يا نزار "

قلت بحدة " لا أعتقد أنني وعدتك بشيء وسما أجل أحبها

حبا لم أحبه ولا لرهام وهي بالنسبة لي لا امرأة توازيها "

صفتت بيديها وقالت " عاشت الشعارات القديمة الهابطة "

أمسكت ذراعها وسحبتها منها جهة الباب فاستلتها مني بقوة قائلة

" أخرج لوحدي وبكرامتي فأبعد يدك التي نجستها بجسد طفلة "

فارت الدماء في رأسي فصفتها بقوة وقلت بغضب

" سما أشرف من أمثالك وأنا لم أنجس يدي برهام وبك

سابقا لأفعلها الآن يا سيدة الشرف ، أقسم إن رأيتك هنا

مجددا حطمت وجهك "

خرجت تمسك خدها وتبكي متوعدة لي بأني سأندم على هذا

فأغلقت الباب خلفها بقوة وعدت جهة غرفة والدتي التي تناديني

منذ أن سمعت شجارنا معا ، وقفت عند الباب أتنفس بغيض فقالت

بقلق " ما بك ومن هذا الذي تطرده ؟ أليس هذا صوت دعاء "

قلت بضيق " نعم وطردتها ولن أقبلها هنا ثانيًا "

ألجمتها الصدمة عن الحديث فغادرت من عندها بل ومن المنزل

برمته ولم أرجع حتى مر أغلب الليل ، جربت الاتصال كثيرا
بسما لكنها لا تجيب فعدت للمنزل عند الثالثة فجرا ودخلت متوجها
للسلام من فوري ليوقفني صوت أمي منادية لي فعدت جهة

غرفتها ووقفت عند الباب وقلت " ألم تنامي بعد "

قالت " وكيف أنام وأنت خرجت ولم ترجع حتى

الآن ولا تجيب على اتصالاتي "

نظرت جانبا بصمت فقالت " ما الذي حدث ولما حين عدت

قبل ساعتين لم تجب عليا وأنا أناديك "

نظرت لها بسرعة بصدمة وقلت " أنا لم أعد هنا منذ خرجت "

قالت باستغراب " من فتح باب المنزل وأغلقه

إذا في هذا الوقت المتأخر "

قلت مباشرة " سما هل رأيتها "

قالت " لم أرها منذ عدنا "

تركتها وصعدت السلام ركضا وفتحت باب الغرفة بقوة ولم

تكن هناك ففتحت باب الحمام ولا أحد فيه ، إذا هي من خرج

ومنذ الواحدة ، وقفت ممسكا رأسي بيدي ولم أعرف كيف

أتصرف فأخرجت هاتفي واتصلت بها فرن هاتفها عند الطاولة
لأكتشف أنه هنا وليس معها ، توجهت للخزانة فتحتها فكانت
ثيابها كلها هنا فنزلت للدرج في الأسفل وفتحته فكان حليها
جميعه موجودة وفقط صورة عائلتها التي اختفت والتفسير واحد
وهوا أنها تركت المنزل وبدون حتى ثياب بل وبملابس المنزل

عدت للقصر عند منتصف الليل فلم أستطع الرجوع قبل هذا الوقت
فتحت باب الجناح ودخلت الغرفة ولم يكن هناك أحد ، رفعت
الهاتف المرمي أرضا مفتوح بدون شريحة ورميته على السرير
بغضب ثم توجهت لغرفة الملابس وفتحتها فكانت ثيابها كلها هنا
خرجت وتوجهت لممر غرف الأطفال وفتحت الباب فكانتا هناك
نائمتان وجلست ترف مباشرة وقالت " ظننتك ماما هل عادت "
قلت " وأين ذهبت لتعود "

مسحت الدموع من عينيها وقالت " لم أجدها صباحا ولم تأتي
طيلة النهار وجدتي قالت أنها رحلت ولن تعود "
تأففت وهزرت رأسي وهممت بالمغادرة حين استوقفني

صوت بيسان قائلة " هل ستذهب لإرجاعها "

قلت مغادرا " لم أخرجها لأرجعها لو تريدكم لبقيت معكم "

نزلت للأسفل وغادرت القصر وتوجهت لغرفة السائق وضربت

بابها لينفتح على وسعه ويقفز من نومه واقفا وقال بخوف

"نعم سيدي هل من مشكلة "

أمسكت قميصه وشدته نحوي بقوة وقلت من بين أسناني

" أقسم إن أخفيت عني شيئا فصلت جلدك عن لحمك "

هز رأسه بحسنا فقلت " أين أرجوان "

قال من فوره " في منزلها طلبت مني "

هزته بقوة وقلت " أين كنت تأخذها وتطلب منك أن لا تخبر أحدا "

ارتجف وقال " لم يحدث ذلك أبدا "

هزته بقوة أكبر وقلت " لا تلعب معي وقل الحقيقة أو

لا تلمني يوم الحساب على موتك "

ارتجفتا حدقتا عينيه دليل إخفائه شيء يخاف من اكتشافه

فقلت " إذا تكذب يا عمر "

هز رأسه بلا بقوة فأطبقت يداي على عنقه أشد من خنقه شيئا

فشيئا حتى توقف تنفسه فأرخيت قبضتي قليلا وقلت

"إن قتلتك فلن يلومني أحد فيك فتذكر هذا جيدا "

هز رأسه بلا بقوة فتركته وقلت " تكلم بالحقيقة إذا "

سعل كثيرا ثم قال " لمركز التسوق والمدعوة سوسن

فقط ومن قال غيره يكذب "

أمسكته من ثيابه وخرجت به من غرفته أجره جرا على الأرض

وقلت " لم أعرفك كتوما هكذا لكنت شغلتك معي في القسم "

سحبته على الحجارة في الحديقة ركبتاه وقدماه تتسلخان على

الأرض حتى قال " دار الرأفة للعجزة والمسنين "

وقفت ورفعته حتى وقف على طوله وقلت " فقط "

قال " نعم "

هزرته وقلت بصراخ غاضب " ولما تخفي عني أمرا تطلب

منك إخفائه ، لا وتكذب وتكرر وأنا أواجهك "

قال برجفة " لأنها قالت ستقتلني إن قلت لك "

غلبتني ابتسامتي فرميته وقلت مغادرا " في الصباح لا أجدك

هنا أو رأيت حسابك معي واحمد الله أني رحمتك الآن "

عدت بعدها للقصر وصعدت لأجدهم ثلاثهم في انتظاري

فأشرت بإصبعي جهة الممر وقلت بحزم وأمر

"لغرفكم بسرعة ما يوقظكم حتى الآن "

قالت ترف " ولكن "

قاطعتها بحدة " لا أسمع صوتا وكلن في سريره فورا "

غادروا من أمامي وأمجد يسحب ترف من يدها باكية فتركهم

وتوجهت لجناحي دخلت الغرفة ونزعت سترتي وربطة العنق

ورميتها على السرير بغيض ودخلت الحمام أطفأ بالماء هذا

التعب والإرهاق وحتى الغيظ ، أي تصرف أحمق هذا يا أرجوان

يبدوا أنكن النساء نفس التفكير ولا تختلفن في شيء ، حمقاء لو

كان لك عقل لأثبت للجميع من معه الحق لأنني إن تكلمت حينها

لن يزداد الأمر إلا سوءا ، ثم يفترض أن ما يهمك نظرتي لك

وبراءتك أمامي فأنا أعلم من أي نوع تكونين والدتي لن يقنعها

شيء وخروجك لذاك المكان كان ما يكون بغير علمي جريمة

وزيدي عليها موضوع موانع الحمل إن كان صحيحا

تستغفني وتعاملني وكأني طفل لكن الذنب ذنبي أرخيت لها

الحبل حتى سخرت مني ، خرجت من الحمام لبست ملابسني

وغادرت مجددا عائد لمكتبي

*

*

منذ جئت صباحا وأنا أنظف الغبار الذي تراكم في المنزل طيلة
الأشهر الماضية ، وها قد عدت وأسرع بكثير مما كنت أتوقع
تهدت بأسى ورميت منشفة التنظيف أرضا وجلست على الأريكة
غريب أن يسكت عن خروجي هكذا أو قد يكون لم يرجع للقصر
ولم يعلم لأنه لن يرحمني بالتأكيد ولن يطلب أن أرجع كما قالت
والدته المصون ولن أرجع ولو مت هنا جوعا ، كان يفترض بي
أن جلبت أبناء شقيقتي معي فلم أعد غريبة عنهم لكنها ستكون
فكرة فاشلة أكرر بها خطأ حسناء وسيرجعهم مني بسهولة
تحملت كل شيء حتى ضربها لي وجرح كرامتي لكن أن تصل
لشرفي شيء لن أسكت عليه وإن كان ثمنه خسارتي لأبنائي الذين
ربيت بل ووالدهم الذي لم أعرف الحب إلا معه لكن عند هنا ويكفي
فلم يكلف نفسه عناء أن يسكتها عن قول تلك الأمور التي يخجل
منها الجدار وهو وكأنه يوافقها الرأي لم يعنيه ولا اتهامها لأم أبنائه
كل يوم أكتشف أكثر أنك لا تعترف بالحب يا جابر وأن وجودي

عندك كعدمه ، مسحت دمعة سالت كالجمره على خدي بل خرجت
ملتهبه من أعماق قلبي ثم وقفت وتابعت التنظيف وكأني أهرب به
من كل شيء وحتى التفكير ، وعلى ذلك الحال قضيت أغلب الليل
ونمت بعدها من شدة التعب ولم أستقض إلا وقت متأخر حتى أن
صلاة الفجر فأتتني ، صليت وأخرجت هاتفني القديم وركبت فيه
شريحتي وشغلته لتصل الرسالة المعلقة فيه وكانت من سوسن
فتحتها فكان فيها (أرجوان ماذا يحدث معك)
نظرت لأحرفها مطولا بحيرة فما يدري سوسن أنه حدث معي
شيء !! اتصلت بها فأجابت بسرعة قائلة " لا الأمر غير طبيعي
أبدا مادمت اتصلت بي ولم تراسليني برسالة "
قلت بحيرة " وما أدراك بما حدث "
قالت " إذا ثمة أمر ما "
قلت مباشرة " عدت للمنزل "
قالت بصدمة " ماذا !! ولما "
جلست وقلت " لأنه لا مكان لي هناك وهذا هوا مكاني "
قالت " إذا كما توقعت من كلام حامد أن ثمة ما حدث معك "
قلت بحيرة " وما دخل حامد بالأمر "

قالت بعد ضحكة صغيرة " عاد اليوم من عمله في حالة مزرية وقال

ما أن رأني (أخبرني صديقتك تخف على زوجها قليلا ليرحمنا)

فتحت فمي وقلت بصدمة " ولما قال هذا "

قالت مباشرة " يبدووا زوجك لم يرحم اليوم أحدا من غضبه

حتى أنه قال بأنه وبخ رئيسهم وأمام الجميع ولم يسلم منه

أحد فما هذا الذي حدث جعله هكذا "

قلت ببرود " هذا طبع جابر دائما فما تغير في الأمر "

قالت " أعلم لكن حامد لم يتحدث عنه هكذا من قبل "

تهتدت وقلت " الموضوع يطول شرحه فاجلبي ابنيك

وتعالني ولنا حديث "

*

*

نهضت قليلا من السرير مستندا بمرفقي أنظر للمختبئة عني خلف

الوسادة وضحكت بصمت ، كانت ليلة البارحة ليلة مأساوية فلم

ترضى أن أنام معها حتى وضعت هذا الحاجز بيننا ، مددت

أصابعي أبعد بها خصلاتها الذهبية عن وجهها وعيناي تسافران
في ملامحها الفاتنة ، زهور يا متعبتي وعذابي لا تعلمي أي حريق
أشعلته بقلبي البارحة وأنا أسمع بكائك المكتوم وأنتي نائمة ، أي
عذاب هذا الذي تعيشينه حتى نومك بكاء وأنين ، اقتربت منها
وفكرة مجنونة تسيطر علي وعبثا سأحاول منعها ، اقتربت أكثر
وقبلت شفيتها قبلة سريعة لتقفز جالسة تنظر لي بصدمة فابتسمت
وقلت " نعتذر عن تدني الخدمات الصباحية لكن هذا العربون فقط "
تنفست بغضب ثم رمتني بالوسادة وقالت بغضب
" ابتعد عني كم مرة سأقولها لك ألا كرامة لديك "
اتكأت برأسي على ظهر السرير وقلت بابتسامة
" آه يا حبيبة رضا وقلبه وعيناه "
نظرت بعدها للأعلى حيث السقف وقلت " اشهدي يا سماء يا سحب
الحب يا حكاياتي مع مطر الشتاء ضاع قلبي حين عرف الكبرياء
بل ضاع عمري حين تركت أميرتي الحسنة قالوا ضاع منك
الكبرياء أغبياء فلا كرامة حين تُعشق الأشياء "
وقفت وقالت متوجهة للحمام " كاذب وممثل أيضا "
قفزت من السرير ولحقت بها وسددت عليها باب

الحمام بذراعي وقلت " سنخرج معا "

قالت ببرود " لا "

قلت بإصرار " بل سنخرج ولو لجلب بعض الأغراض "

فمعتصم قادم الليلة بعدما اعتذر المرة الماضية "

أمسكت ذراعي تحاول إبعادها فلففتها حول خصرها فقالت

بضيق وهي تحاول الابتعاد " ابتعد عني بأي لغة تفهم أنت "

حملتها عن الأرض بين ذراعي وقلت " بلغة الحب طبعا "

وستخرجين معي أو خرجت بك هكذا "

دفعني من صدري وقالت " مجنون ... أتركني قلت لك "

للفت بها حول نفسي فتعلقت في عنقي وقالت

" توقف رضا ... لا "

زدت من قوة دوراني أكثر قائلا " يا يومك اليوم يا رضا "

وهذه الشفاه تقول اسمك "

قالت بذعر " توقف سوف أقع أقسم لك "

قلت " نخرج "

تشبثت بي أكثر وقالت " حسنا حسنا توقف "

توقفت عن الدوران وأنزلتها وجلست على السرير وقلت

بنفس متقطع " أصبنتي بالدوار كله من أجل نزهة

صغيرة ، مهرك غال جدا يا زهور "

أمسكت فمها وركضت جهة الحمام فتبعتها ودخلت خلفها

مسرعا فكانت تحاول أن تتقيأ ولا شيء يخرج من معدتها

فرفعت لها جبينها بكف يدي وقلت " هذا كله بسبب إهمالك

للطعام ... معدة خاوية تماما "

ابتعدت عني وقالت " بل بسبب جنونك لقد أصبنتي

بالغثيان ، أخرج من هنا حالا "

قلت مغادرا الحمام " إذا لا تتأخري لكي نرجع مبكرا "

وصلت الباب ليوقفني صوتها قائلة " أخرج وحدك أنا لا

أريد الـ "

رجعت من فوري نحوها مسرعا فعادت للوراء قائلة

" أقسم إن أعدتها مجددا صرخت ولممت عليك الناس "

وصلت عندها وحملتها مجددا وقلت " وإن يكن فليأتوا ليروا

فاتنتي وسيعذرنني الجميع ، قرري نخرج أو نأخذ لفة هنا "

أبعدت وجهها عني وقالت " نخرج فاتركني "

أنزلتها للأرض وخرجت من الحمام وغيرت ثيابي

لا بأس نزهة ولو مجبرة خير من لا شيء

*

*

سمعت طرقا على الباب ففتحت لها ودخلت قائلة " ما هذا

يا أرجوان كاد رجال زوجك أن يزجوني في السجن "

نظرت لها بحيرة وأغلقت الباب وقلت " عن أي رجال تتحدثي " !!

قالت وهي تدخل لصالة المنزل " اللذين عند الباب طبعاً ، ألم تريهم "

تبعتهما وقلت باستغراب " أنا لم أخرج ولم أرى أحدا "

جلست على الأريكة ورمت حجابها وحقيبتها وقالت

"لم يتركني أقرع الجرس حتى اتصل بأحدهم وأعطاه اسمي

كاملاً من بطاقتي طبعاً وأذن له وكان يناديه بسيدي

فلن يكون غير زوجك "

وضعت يداي وسط جسدي وقلت بضيق " ومن قال أنني

أريد من يحرسني ، أو لا يكونون هنا لمنعي من الخروج "

رفعت كتفيها وقالت " لا تصرخي بي فلا علاقة لي بما يجري

ثم قد يكون خائفا عليك ويريدهم أن يحموك "

قلت بسخرية " بل يخاف على سمعته يا نبيهة ، إن كانت خادمة

تجسست عليه أعدّها إهانة وجريمة في حقه فكيف أن يؤدي أحد

أعدائه زوجته ، أما أن يخاف علي فلا تنطبق علينا أبدا "

لوحث بيدها قائلة " لما لا تجلسي وتحكي لي ما حدث أولا "

جلست وقلت " نعم فلا شيء لدي أضيفك به ولم

أكل شيئا منذ صباح أمس "

شهقت وقالت " ولما تعاقبين نفسك "

قلت بتذمر " غبية أي أعاقب لنفسي هذا ، لم أكل لأنه لا طعام

في المنزل وأنا انشغلت في التنظيف ولا رغبة لي في أكل شيء "

هزت رأسها بمعنى اتركينا في موضوعنا فتنهدت بأسى

وسردت على مسمعها كل ما حدث حتى وقت خروجي

فقالبت بصدمة " ولم يتكلم أبدا " !!

ابتسمت بآلم وقلت " لا طبعا بل لحقتي ليستجوبني

إن كان ما قالته صحيحا كما حكيت لك "

قالت بعد صمت " أنا معك أنه أخطأ في حقك لكني

أراه تصرف بحكمة "

قلت بضيق " حكمة !! أي حكمة هذه التي تصرف بها "

قالت بهدوء " لا تغضبي مني يا أرجوان لكن إخفانك لتلك

الأمر عنه تصرف أحمق ، توقعت أن يجرك من شعرك طاردا

لك أو يضربك وأستغرب كيف أن كلام والدته لم يؤثر به "

قلت بصدمة " تضعين اللوم عليا يا سوسن أليس هوا من قال

لي بعظمة لسانه أنه يعرف جيدا من أكون ويثق بي حد أن

ترك لي أبنائه يوما كاملا واختارني زوجة لنفسه ولم يهتم

بما قيل عن والدي "

تنهدت وقالت " أنا لم أقل أنك المخطأة لكنه حد من خطأه وكان

يفترض بك التصرف مثله فهو لم يدافع عنك أمام والدته لكنه

أيضا لم يستخدم معك أسلوب سحب المعلومات وتعرفي جيدا

براعته فيه أو أهانك وجرحك وصدق كلامها ، وأنتي كان يفترض

بك أن تصرفت مثله خاصته وعاتبته أو حتى هجرت جناحكما لكن

فكرة خروجك من القصر كانت غبية وهو لن يأتي لإرجاعك مهما

حدث لأنك أنتي من خرجت من تلقاء نفسك دون حتى أن يطردك "

هزرت رأسي وقلت " ومن قال أنني أريد أن أرجع إلى هناك "

قالت بصدمة " ما قصدك بهذا "

قلت " لم يعد لي مكان ولا حياة معه فقد بدأها بكذبة

وانتهت بتهمة في شرفي فأنا في غنى عن كل ذلك "

قالت " حتى الأطفال "

نظرت جانبا وقلت " حتى الأطفال "

قالت بشبه همس " مستحيل ليست أرجوان من تتحدث "

قلت بحسرة " تبعت عواطفي كثيرا وما جنيت شيئا غير أن كثرت

خساراتي ، كان في البداية الأطفال فقط والآن أصبحوا هم ووالدهم

وإن استمر الأمر ستتضاعف النسبة وتزيد بأبناء لي منه وأنا من

غبائي استمعت لنصائحك وأوقفت مواعيد الحمل من مدة وجيد

أنه لم يحصل حمل لأنه سيأخذ طفلي مني بالتأكيد "

هزت رأسها بياس وقالت " تلك العجوز عرفت كيف تلعبها "

قلت بسخرية " لا وتذكرني أنه لن يركض خلفي ليرجعني تضنني

أفعل ذلك عمدا ليراضيني فلتزوجه بابنة راضية تلك عليها تراح "

نظرت للأرض بشرود وقالت " لكن كيف لم تكوني

تعلمي عن شقيقتك "

هزرت رأسي وقلت بحيرة " بل لم يخطر ذلك في بالي ولم أتخيله

ويبدو والدتي بتكرارها لكلمة ابنتي تعنيها هي وليس أنا "

نظرت لي وقالت " وما ستفعلينه الآن هل ستخبرينه

عن أمر زيارتك لوالدتك "

قلت بجدية " مستحيل فيكفيها ما رأته من رجال الشرطة والسجن

والذل حتى فقدت ثلثي إدراكها وحواسها ولم تسلم منهم إلا حين

ظنوا أنها ماتت دماغيا وسجلوا لها شهادة وفاة ، حتى متى

ستبقى تدفع ثمن جرائم اتهم بها والذي ظلما "

تنهدت وقالت " وماذا ستفعلين الآن "

قلت ببرود " لا شيء سأعود لحياتي السابقة وسأكمل

دراستي وابحث عن عمل "

هزت رأسها بياس وقالت " وكأنك لا تعلمين من يكون

زوجك وكيف أجبرك على الزواج به سابقا فلن

يحدث هذه المرة سوا ما يريد "

قلت بجمود " سيطلقني ولو خلعتني في المحكمة "

قالت بصدمة " ماذا هل تعني أن تحدثني هذه الشوشرة

وهو صاحب مركز حساس كهذا "

قلت " بل وحضانة أبناء شقيقتي أيضا "

ضحكت وقالت " بربك أرجوان كيف تطالبين

بحضانتهم من والدهم "

قلت بلا مبالاة " لا يهم يكفيه الفضيحة "

قالت بجدية " أرجوان هل تنتقمين من والدته فيه أم تنتقمين

من جرحك منه فلا تنسي أنه يمكنه ردك عن كل هذا بأبسط

الطرق بل وزجك في السجن دون أن يحتاج لتهمة "

أشحت بنظري عنها ولم أتحدث فوقفت وقالت " لو تريدين نصيحتي

عودي للقصر وتفاهما هناك وإن على الطلاق فقدومك هنا واتخاذك

لقرارات فردية لا يعلم زوجك عنها خطوة أغبى من الغباء ذاته "

قلت ببرود " لن أرجع لمكان أهنت فيه لتسخر والدته مني لأنني

رجعت بنفسني ولن أرجع في كل الأحوال فأموت عزيزة

نفس خير من أن أحيا بلا كرامة "

قالت مغادرة جهة الباب " تذكرني أنه لن يحصل إلا ما يريد

هوا حتى في موضوع الطلاق "

ثم وصلت عند الباب قائلة " لقد تركت الأبناء وحدهم

سأعود لك في وقت آخر"

ثم خرجت وتركتني كما كنت ، جلست مكاني لوقت أفكر في
كلامها أعلم أنه سيفعل ما يريد هوا أن يحدث لکني لن أسکت
عن جرح کرامتي مهما حدث فهوا لن يضره فراقني بما أنه

لا يحبني وسيعتاد على غيري من مبدأ عشرته الفاشل

وقفت وارتيديت حجابي وعباءتي وأخرجت النقود التي ترکتها
هنا من قبل زواجي به وهذا ما تبقى لدي فحتى مهري حجرت
عليه المحكمة ولا يمكنني الانتفاع به إلا في المسائل القانونية

لما قوانين هذه البلاد جائرة وظالمة؟؟ لما مهر الفتاة يسلم
لوليها وإن لم يكن لها ولي حجروا عليه في المحكمة ليدفع في
الإجراءات القانونية كالكفالة عند السجن يالهم من ظالمين

فتحت باب المنزل ليقف أحدهم أمامي قائلا " عذرا سيدتي

لا يمكنك المغادرة دون أوامر من السيد جابر "

قلت بضيق " وهل أموت جوعا من أجل أوامر سيدك "

قال بهدوء " اعذريني سيدتي يمكنك التحدث معه ليسمح هوا بهذا "

ضربت الباب بكل قوتي ودخلت أخرجت هاتفي واتصلت به

وهذا آخر ما كنت أفكر فيه وطبعا لم يجب ولم أكرر

المحاولات بل أرسلت له (أخبر رجالك يتركوا الباب)

ولم يصل منه أي رد طبعاً فأرسلت له

(أريد أن أخرج ... بأي حق تمنعني)

ولا جواب طبعاً ليتركني أكل نفسي من الغيظ وبعد أكثر من

ساعة أرسل رسالة فيها (عندما تضعين عقلك في رأسك

اتصلي بالسائق الجديد ليعيدك للقصر)

ثم رقم السائق فضغطت على الهاتف وعلى أسناني من الغيظ

*

*

جلست على طرف حوض الاستحمام دون حراك لوقت

طويل حتى طرق الباب وقال " زهور لذي مفتاح

آخر للحمام وسأجلبه حالا "

تأففت ووقفت وفتحت الباب فكان واقفاً أمامه فأمسك

يدي وسحبني منها قائلاً " أقسم أن كل ما تفعله على

قلبي كالشهد وكوننا معا وحده يكفيني "

استللت يدي منه بقوة وقلت " اتركني وشأني إذا "

وضع يديه وسط جسده وقال بابتسامة جانبية " يبدو أن

الدوران في الهواء أعجبك وتريدون تجربته مرة أخرى "

تأففت وتوجهت جهة الخزانة وفتحتها قائلة بضيق

" لا أطيقك يا رضا لما لا تفهم هذا "

أخرجت ثيابي منها بغضب فأمسك يدي وقبلها وقال

" هل أخبرك سرا "

قبلها مجددا ثم نظر لعيناي وقال بابتسامة " عندما تذكرين

اسمي في عبارة لا اسمع منها شيئا غيره "

بقيت أنظر لعينييه لوقت أترجم تصرفاته وأستغرب أكثر أنه

رغم كل الشتائم التي يسمعها مني لم تتغير ولا حتى ملامحه

للسوء ، نفضت يدي منه وأبعدت وجهي وقلت ببرود

" أخرج أريد أن أغير ثيابي "

ضحك ضحكة صغيرة وقال " ما رأيك تتركين لي المهمة "

نظرت له بصدمة فضحك وقال مغادرا الغرفة

" أمزح حبيبتي ما بك "

قلت صارخة " لست حبيبتك فلا تقل حبيبتي تفهم "

نظر لي من عند الباب وقال " حسنا لست حبيبتي فلا تتأخري

كما في الحمام يا حبيبة رضا "

ثم أغلق الباب بسرعة قبل أن يسمع جوابي ، غيرت ثيابي بتذمر

مجبرة وأخذت حقيبة يدي وخرجت له فكان جالسا على الأريكة

فوقف ما أن رأي ووضعه يده وسط جسده وقال

" ما هذا يا زهرتي "

نظرت له باستغراب فتوجه نحوي وعاد بي للغرفة

قائلا " هل ترسمين لي على شجار مع المارة في

الشارع ما كل هذه الأنافة "

أخرج عباءتي وألبسها لي قائلا " حبيبتي لي أنا وحدي أقسم

أن نساء الأرض في كفة ووحدها في كفة ، لم أقل زهور

فلا توبخيني ، قلت حبيبتي أنتي لا تعرفينها "

ثم وقف أمامي وقال وهو يغلقها على جسدي " ليتها تعلم

فقط أن حياتي من دونها كانت ظلام وأن أيامي معها بكل ما

فيها تساوي عندي الحياة وبهجتها حتى إن جلدتني "

قلت بحزن " قتلتنني يا رضا أنا انتهيت فلا تبحث عندي عن شيء "

رفع وجهه لي بسرعة ونظر لي بضياع وحيرة ثم أمسك وجهي

بيديه وألصق أنفه بأنفي وقال بهمس " أعطنا فرصة يا زهور

فرصة واحدة فقط وأقسم أن أعوض كل ذلك "

أمسكت يداه وأبعدتهما عن وجهي وابتعدت عنه وقلت

"ظننتك لم تسمع من عبارتي سوا اسمك "

ضحك وأمسك يدي وخرج بي من الغرفة قائلا

"ومن قال أنني سمعتك"

خرج بي بعدها من الشقة وأغلقها ونزلنا لا يتوقف عن الحديث

أبدا ولا أعرف من أين له كل هذه القدرة على الكلام وكأنه يخرج

بطفلة وليس امرأة ، نزلنا للشارع فسار بي على الرصيف قائلا

"لن نركب السيارة طبعاً ، أريدها نزهة مختلفة "

استللت يدي منه لكنه لم يتركها فقلت بتذمر " قلت سنشتري

أغراضاً للمنزل وليس ننتزه على قدمينا أعدني فوراً "

تجاهل طبعاً كل ما قلت واجتاز بي الشارع يركض ويسحبني

خلفه راكضة كي لا تصدمنا السيارات حتى وصلنا وقال ضاحكاً

"أريد أن تصدمني سيارة حمراء لا أريد السوداء

هل تذكرين هذه العبارة يا زهور "

وقفت ووقف هوا لوقوفني ونظر لي وقال مبتسما

"لم تنسيها إذا رغم السنين الطويلة "

نظر بعدها للسماء وقال " اشهد يا رب هي حبيبتي منذ كانت

تريد أن تصدمها سيارة حمراء وتكر هي ذلك "

أشحت بوجهي عنه وقلت بحزن " كنت طفلة أراك كل شيء

لأنني لم أكن أرى شيئا غيرك لكنك لم تكن كذلك لقد شوهتني

من الداخل فحتى إن تزوجتك كنت سأشعر بالنقص كل حياتي "

أمسك يدي وتابع سيره قائلا " ناقصة في نظر نفسك وفي عقلك

فقط ، اقسام لو تزوجك عشرة قبلي ما اعتبرتكم إلا امرأة كاملة "

سرنا لمسافة ثم دخل بي لمتجر كبير أخذ عربة وبدأ باللف

بها ممسكا لي طبعا وكأني سأهرب منه ، واشترى الكثير من

الأشياء المهمة والغير مهمة يقف عند كل واحدة يقرأ كل ما

كتب عليها قبل أن يشتريها بعدها قابلنا رجلا ناداه من خلفنا

من بعيد فالتفت له وعاد بخطوات وحده وسلم عليه ومضى

الوقت يتحدثان فعدت للخلف قليلا ناحيتهما لأسمع ما سر كل

هذا الحديث فنظر لي ذاك الرجل ثم نظر لرضا وغمز له وقال

" ما هذه القذيفة هل لديها شقيقة حلفتك بالله تتصدق بها علي "

قال بضيق وظهره لي " عثمان تصمت أو أقسم أفقاً لك عينيك "

لكم كتفه وقال " قلت شقيقتها وليس هي فلما الغضب "

قال ببرود " لا شقيقات لديها وعض بصرك أو تنسى من أكون "

قال بدهشة " لا شقيقات لها لا تقل أنها حبيبك تلك

التي صرعتنا بها لسنين "

ابتعدت حينها عائدة للخلف بل اجتزت الكثير من الرفوف مبتعدة

أسير وأنظر للأرض بشرود أفكر كيف يفعل ذلك بي يتركني

أواجه مصيرا هو السبب فيه ويقول للجميع أنه يحبني ، من يحب

لا يدمر حبيبه وينهيه ، لو أنه أخبرني فقط بذلك كنت قتلت نفسي

وما تزوجت ذاك الرجل ، كنت هربت معه حتى الهروب على

أن أوجه ذاك المصير وحدي

"زهور "

التفت للصوت الذي يناديني فكان رضا قادما نحوي مسرعا

بعربته ووصل عندي قائلا " آسف أمسكني من حديث لآخر

ذاك الثرثار فهو يعمل معي في الجريدة "

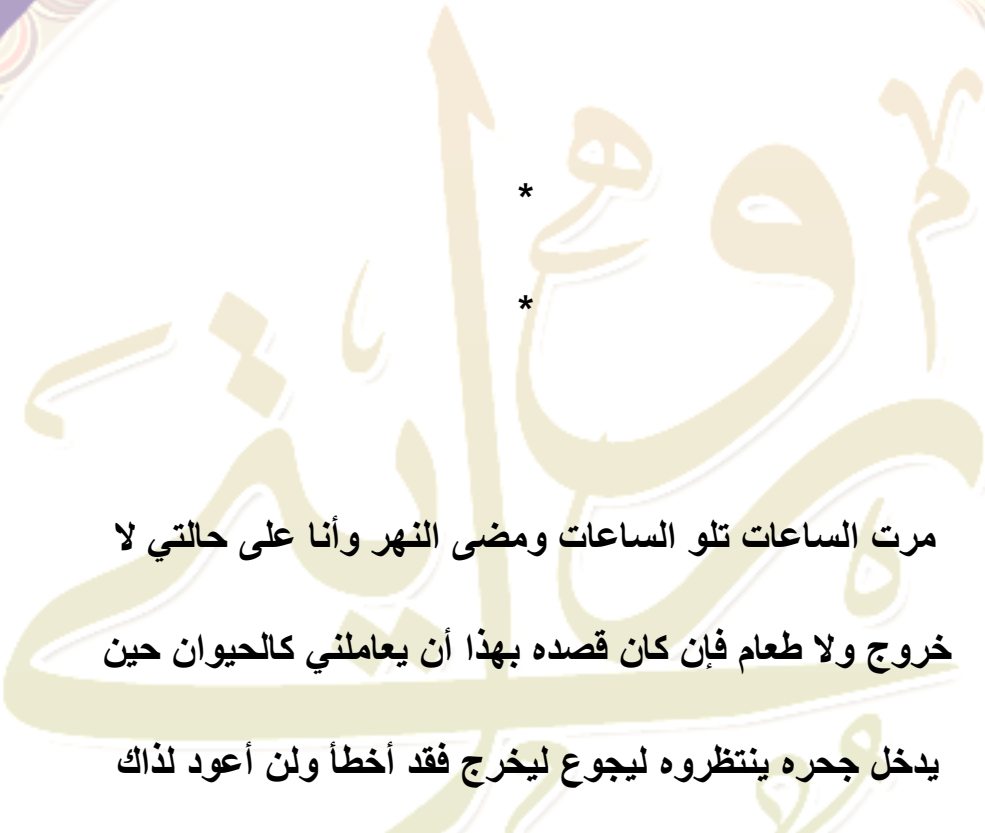
تابعت سيرتي قائلة " يعمل معك لذلك هو ثرثار "

ضحك وقال " مقبولة منك بل وجميلة أيضا "

قلت متوجهة جهة المحاسبين " ها قد انتهينا لنعد للشقة "

تحرك بجانبني قائلا " بل سنتناول الغداء في الخارج أيضا "

تأففت وابتعدت عنه فيبدووا لا خلاص منه وعليا استحماله باقي الشهر



مرت الساعات تلو الساعات ومضى النهر وأنا على حالتي لا

خروج ولا طعام فإن كان قصده بهذا أن يعاملني كالحيوان حين

يدخل جحره ينتظروه ليجوع ليخرج فقد أخطأ ولن أعود لذاك

القصر ولو مت من الجوع ، أمسكت هاتفي وأرسلت له

(أخبرهم يتركوني أخرج أو سببت لك فضيحة في

الشارع إن منعوني مجددا)

ليفاجئني برقمه يتصل ففتحت الخط على صوته قائلا من فوره

"أرجوان لا تشتغلي لي مثل منظومة الهواتف

أنا مشغول حتى عن فرك عياني "

قلت بضيق " أنا أيضا لا أريد سماع صوتك فأخبر رجالك

في الخارج يتركوني أخرج لأشتري طعاما فأنا لم أكل

شيئا منذ صباح يوم أمس "

قال ببرود " القصر مليء بالطعام أمامك "

قلت بجمود " أموت ولا أكل منه رغيف خبز "

تأفف وقال " أرجوان هل تعلمي معدل غبانك كم وصل عندي "

قلت ببرود " لا يهم وإن صرت في الحضيض فأنا

عندك لا أستوي شيئا في كل الأحوال "

قال بحدة " أرجوا ان متى سننتهي من هذه الاسطوانة "

قلت بحدة أكبر " لن ننتهي منها أبدا لأنها الواقع

الذي كنت أجهله طوال الوقت "

ثم قلت بخيبة أمل " آخر ما كنت أتوقع أن أتهم وأم أبنائك

في شرفنا وتسكت ، أقسم أن الموت هنا جوعا أهون

عندي من العودة هناك "

ثم أغلقت الخط ورميت الهاتف بعيدا عني أزفر بغيض وأشعر

بقلبي يتمزق فما أقساه من شعور هذا شعور الخذلان من أعز
الناس لديك ، هذه هي الحقيقة التي كانت أمامك وتغفلين عنها
فأنتي وحدك الملامة يا أرجوان ولا يحق لك لوم غيرك ، كله
بسببه كنت قبله مرتاحة البال فمئذ دخل هذا الرجل حياتي حولها
لأعصير فلم تنفع معه لا حيل نساء ولا غيره ، هه وقالت سوسن
تصرف بحكمة أي حكمة هذه التي تهدي بها ، أمسكت هاتفي
مجددا واتصلت بالقصر فأجابت إحدى الخادمت فقلت من
فوري " نادي لي سيلا "

تركت الهاتف دون تعليق وبعد لحظات وصلني صوت سيلا
باكية وهي تقول " سيدتي لا تتركي القصر أرجوك لا ترحلي أنتي أيضا "
قلت بحزن " يبدو أنتي السبب يا سيلا فكل من تحبينها تهج من هناك "
قالت بصوت منخفض " لما تعطيها المجال لتحقق غرضها
بإخراجك ، الأولاد لا يتوقفون عن البكاء وخصوصا ترف
عودي ولو من أجلهم "

مسحت دموعا غلبتني وقلت بحزن " اعطني بهم يا سيلا

أرجوك وحدك من أضمن أن تقوم بذلك "

شهقت شهقة قوية وسمعت صوت تلك المتوحشة وهي تصرخ

بها " أقسم إن اتصلت بها مرة أخرى طردتك ، لعمرك فورا "
جاء بعدها صوتها من سماعة الأذن قائلة " نعم يا ابنة الـ
فأغلقت الخط عليها قبل أن تنهي شتمها وسبها وتشفيها لتنزل
دموع القهر والذل الواحدة تتبعها الأخرى ، بعد نصف ساعة دق
جرس الباب فوقفت ولبست حجابي وتوجهت نحوه لابد وأنه أحد
الجيران فهؤلاء الرجال سيتسببون لي بفضيحة ، فتحت الباب فكان
الرجل الواقف في الخارج ويده مليئة بالأكياس مدها لي قائلا
" السيد طلب إيصالها "

نظرت ليده ثم له وقلت " لا أريدها ولم أطلبها "

قال بهدوء " لا تسببي لي مشكلة سيدتي "

قلت بحدة " قلت لا أريد فكلها أنت أو أرسلها له "

ثم أغلقت الباب بقوة

*

*

وقفت بجانب الباب ألعب بمفاتيحي حتى خرجت تتذمر وهي

تُخرج يد عدي من شعرها قائلة " ما بك دائما مع شعري لا

أعلم متى ستكبر وارتاح من تربية الأطفال لباقي عمري "

قلت ببرود " هذا في منامك هل تريدي حرماي من الأبناء "

نظرت لي بصدمة بادئ الأمر ثم أمسكت خصرها بيدها

الأخرى وأمالت وقفتها وقالت بغنج " تزوج بأخرى

إذا لتنجب لك واتركني وشأني "

شد عدي شعرها بقوة فصرخت بتألم وبدأت بضربه على

ظهره لتتطلق ضحكتي مرتفعة وقلت " تستحقينها كي لا

يطول لسانك على زوجك ثانيًا "

أخرجت يده بصعوبة وشعرات منه لازالت بين أصابعه

فأخذته منها قائلًا " عند هنا ويكفي هل يريدون أن

أجدك بعد عامين صلحاء "

جمعت شعرها المبعثر تتأفف بضيق فأمسكت ذراعها

وقربتها إلي وقبلت خدها بسرعة وقلت " انتظرني في

السيارة البسي عبايتك وحجابك "

انتفضت مبتعدة عني تمسح خدها بقوة وقالت بضيق

"وقح كم مرة قلت لك أبعدها وجهك الخشن عني "

ضحكت وقلت " حسنا سأحلق ذقني وشاربي كلما

أتيت لمنزلكم اتفقنا "

قالت بحدة " لا ولا تقترب مني ثانيًا "

قبلت خد عدي وقلت بمكر " لا بأس أصبر نفسي

بهذا حتى أنزل للعاصمة غدا "

نظرت لي بصدمة فقلت بلامبالاة " لا تنظري لي هكذا

فأمري كما أضن لا يهمك "

قالت بصدمة " تعرف نساء يا معتصم "

قلت بمكر " ومن لا يعرف النساء هي تصبيرة فقط قبل الزواج "

غيرت نظرتها للبرود وقالت " كاذب من هذه التي تقترب

منك أنت يا قبيح يا ثقيل الدم حتى المعز تعافك "

ضحكت وغمزت لها وقلت " أشم رائحة غيرة "

ضحكت بسخرية وعادت باتجاه الباب فأمسكت ذراعها

مجددا وسحبتهما نحوي وقبلت خدها بقوة وهي تحاول الهرب

مني ثم عضت خدها كالعادة وقلت " يكفي أنني تركت

شفتيك إرضاء لك ، بسرعة وخذي شقيقك معك

ولا تتأخري أو سعدت لك بنفسي "

أخذته مني بقوة وقالت " لن أخرج لأي مكان فإذهب

لإحدى نساءك تخرج معك "

ضحكت وشدتها لي وقبلت خدها مجددا وقلت

" أقسم أنك تغارين يا أناستي وأنه لا امرأة في العالم

سواك تعيني فبسرة سنذهب لخالك وزوجته "

قالت بسعادة " حقا سنذهب لهم "

اتكأت على الجدار خلفي ولعبت بمفاتيحي مجددا وقلت

" نعم لكن أماننا مشوار قبله "

نظرت لي باستفهام وحيرة فمددت أصبعي ورسمت به

على خدها الصغير الناعم قلبا بحركة بطيئة وقلت مبتسما

" أريد أن أشتري شيئا وستختارينه أنتي "

أبعدت يدي وقالت متوجة نحو الداخل

" المهم أن أزور خالي وابنة عمي "

ثم نظرت لي من عند الباب وقالت بابتسامة مأكرة

" وإن كانت هدية فلا بأس وأريد آلة كمان فوالدي

رفض شرائها لي بسببك "

أشرت على شفتاي بسبابتي وابتسمت بمكر فنظرت

لي بصدمة ودخلت قائلة " لا أريده غيرت رأيي "

فضحكت بصوت مرتفع وخرجت لسيارتي

*

*

وقف فوقي ويداه على الطاولة وقال " هذه ثالث رسالة "

وقفت وقلت " ليكن الجميع حذرا فهذه الرسائل

المجهولة أمرها أصبح مريبا "

قال خليل " لما لا نستغلها طعما "

حملت حقيبة حاسوبي وقلت " قد تكون هي الطعم منهم

المهم كونوا والمقربين منكم على حذر أنا بقي منزل عمي

وشقيقتي وزوجها سأضع عليهم حراسة أيضا وعليا

المغادرة الآن وسأعود خلال ساعات قليلة فوفوني بكل جديد "

ثم خرجت من عندهم ومن القسم برمته ، ها قد أصبحت تقتربون

من قبضتي يا ميتين الضمير ، ركبت سيارتي وشغلتها وانطلقت

وركبت سماعات الأذن بهاتفي واتصلت بمن كان يتصل بي من

مدة وقال من فوره " رفضتهم ثانيا سيدي حاولت كل

جهدي لكنها رفضت "

تأففت وقلت " حسنا خدكم أنت ولا يغب ناظركم

عن المنزل مفهوم "

قال من فوره " مفهوم سيدي "

أغلقت الخط ورميت السماعات وتابعت طريقي لمدينتي وللقصر

فورا وما أن دخلت بخطوات قليلة حتى سمعت بكاء ترف الهستيري

والغريب أنها في الأسفل ، توجهت نحو مصدر الصوت لأجد سيلا

عند باب المجلس من الخارج تنظر لداخله فقفزت مذعورة ما أن

رأنتي وكانت تبكي فتركها ودخلت فكانت أمي تشد ترف من أذنها

بقوة وهي تقفز باكية وأمي تصرخ قائلة " أنا تقولين عني

هذا يا عديمة التربية قليلة الأدب "

شدتها منها بقوة لتنتبه لوجودي وقلت صارخا

" ما بها ماذا يجري "

قالت وهي تحاول إمساكها مني مجددا " أتركني أربي

من ربتها ابنة تربية الشوارع "

أبعدتها عنها أكثر وناديت سيلا بصوت مرتفع لتدخل

راكضة وكان ساعة الفرج أتها فأخذتها وخرجت بها بسرعة

ونظرت أنا لوالدتي وقلت بضيق " ما هذا يا أمي حتى نحن لم

تربينا بالضرب ولم تمتد يدك على أحدنا يوما "

تنفست بغضب وقالت " أنتم لم تدخل عليكم تربية أبناء

المجرمين ، هؤلاء يحتاجون لتربية جديدة "

قلت بذات ضيقي " أمي أنا أراهم هنا منذ أشهر ليست بقليلة

ولم ألحظ عليهم سلوكا يحتاج الضرب ولا حتى التوبيخ

فلما نصحهم مشكلة من لا شيء "

قالت بغضب " نعم قلها قل أن تربيتها لا تحتاج معها توبيخا

ولا تقويم ، هذا وهي تلعب بذيلها من ورائك "

قلت بحدة " أمي لا داعي لهذا الكلام وتوقفي

عن رمي المحصنات "

صرخت بغضب ووجه محمر " نعم يا ابن تربيتي فأنت ستقول

هذا في حقها فهي قد سلبت قلبك وعقلك حتى أنك لم تبقى في

القصر ليومين ولا دقيقة منذ غادرته سيدة الحسن غاضبة منك "

قلت بضيق " ما الداعي لهذا الكلام الآن "

قالت بسخرية " نعم لما لم تذهب لإرجاعها أيضا

وترجيتها لترجع معك "

قلت بحدة " لو كنت من أخرجها أقسم لفعلتها هل ارتحت"

ثم خرجت من عندها أتأفف بغیض وصعدت السلالم وتوجهت

لغرفة الفتاتين ليصلني بكاء ترف من قبل أن أصل ، فتحت

الباب ودخلت لتركض جهتي مسرعة وحضنت ساقي فنزلت

لها وشدتها لحظني وقلت " توقفي عن البكاء يكفي يا ترف "

ثم نظرت جهة سيلا وقلت " ماذا حدث أريد سماعه منك

لا من ترف ولا والدتي "

ثم قلت مهددا " وبلا كذب وتلفيق لأنني سأرى التسجيل "

ارتجفت وقالت بخوف " لن أكذب أبدا سيدي وأنت تعرفني "

ثم بلعت ريقها وقالت " ما أن رأيت ترف سيارة السائق من الشرفة

تدخل القصر حتى نزلت فارة مني تضنها السيدة أرجوان وحين

وصلت للأسفل أوقفها السيدة الكبيرة وقالت لها أن تنساها وأن " ...

سكتت ونظرت للأسفل فقلت " وماذا أيضا "

قالت " شتمتها كثيرا ولا أستطيع إعادته فبكت ترف وقالت

لها أنها هي التي تكرهها وبسببها ذهبت من هنا وأنها تريد

الذهاب لها فشدها من أذنها وسحبها منها للمجلس "

هزرت رأسي بيأس ووقفت فنظروا لي للأعلى ثلاثتهم وقالت

ترف من بين شهقاتها " هل صحيح لن ترجع ماما أبدا "

انحنيت لها ومسحت بيدي على أذنها المحمرة وقلت بهدوء

" سترجع فتوقفوا عن البكاء وإتعب سيلا معكم "

ثم وقفت وقلت بحزم " ولا أريد أن ينزل أحد منكم

للأسفل ولا تردوا الكلام على جدتكم مفهوم "

هزوا رؤوسهم بحسنا وقالت بيسان " اتصل بها

لنكلمها ونطلب منها أن ترجع لنا "

تنفست بقوة وقلت مغادرا الغرفة " في وقت آخر

وكما قلت يكفي حديثا في الأمر "

*

*

رتبت الكعك والعصير وحدي وزهور طبعاً منذ عدنا وهي

في السرير لا أعلم نائمة أم تدعي النوم وكأنها تعاقبني على

إخراجه لها اليوم مرغمة ، أنهيت تجهيز كل شيء فأنا اعتدت

على حياة العزوبية وأن أفعل كل شيء وحدي ومدللتك قد

اعتادت حياة الرفاهية ويخدمها الخدم ، لا أمانع وإن عشت في

خدمتها كل عمري فيكفي أن تحقق الحلم الذي ظننت أنه لن

يتحقق مهما طال السنين ، شعرت بحركة عند الباب فالتفت

بسرعة فكانت زهور تقف هناك ببيجامتها الحريريّة فعدت

لما كنت أفعل وقلت بابتسامة " هل كل هذا نوم يا كسولة

معتصم اتصل وقال أنه في الطريق "

قالت ببحّة " ولما لم تخبرني "

التفت لها بكامل جسدي لأرى سبب هذا الصوت وركزت على

عينها فأرخت نظرها للأسفل فقلت بعتب " لن نخرج مجدداً

لا نزهة ولا غداء فارحمي نفسك لترحمي قلبي على الأقل "

قالت مغادرة " لا تخف سأرحمك مني بجميع تفاصيلي فاصبر قليلاً "

هزرت رأسي بيأس أراقبها حتى دخلت الغرفة وأغلقت الباب
خلفها ، لو أعلم ما الذي تخططين له يا زهور ؟ إن كنت ستطلبين
الطلاق فلما تزوجتني هل لتزيدي عذابي بأن تتركي لي ذكرى في
باقي تفاصيل حياتي لأعيش باقي عمري أهدي بك في يقظتي بل
أصبح مجنوناً يلف الشوارع يحدث الناس والجماد عنك ، أخرجني
صوت جرس الباب من أفكاري فتركت ما في يدي وخرجت له
لحظة خروج زهور من الغرفة وقد غيرت ملابسها فتحتته وابتسمت
للوائق أمامه مصافحاً له وقلت " مرحباً بالمعتصم زارتنا "
ولم أنهي جملي طبعاً لأنه اندفع للأمام قليلاً ليخرج صوت
بتول الرقيق من خلفه قائلة " ادخل هيا سدّدت الباب كله
ولا أرى شيئاً ما كل هذا الجسد المخيف "
ضحكت بصوت مرتفع وسحبها هوا من خلفه قائلاً " ستري ما
يفعله هذا الجسد المخيف ثم خالك لا يقل عني بشيء "
تجاهلته وحصنتني وقبلت خدي قائلة " مبارك لكما
حبيبي رضا ، ها قد أخذت الفاتنة أخيراً "

سعلت حينها زهور من خلفي ويبدووا شرقت من الصدمة

لكلامها أو الإحراج ودخل معتصم وأغلق الباب قائلاً

"أحضان بالمجان وحببي رضا وأنا لي الشتائم والتأفف"

ضحكت وقلت " من أراد الورد "

تجاهلتنا ودخلت تسلم على زهور ودخل معتصم ومد لي

كيسا كان في يده وتوجه لزهور واحتضنها وقبل رأسها وقال

"كيف حالك يا زهور "

قالت بهدوء " بخير "

دخل بها جهة الصلاة ممسكا كتفها وتبعناهما أنا وبتول

ودخلت المطبخ ووضعت الكيس هناك وعدت لهم وقلت

"اجلسوا هيا لما أنتم واقفون "

سحب معتصم بتول من يدها وأجلسها بجانبه مرغمة

فضحكت وقلت " الحب من طرف واحد مصيبة "

نظر لي ببرود ولف ذراعه خلفها ووضعها على

كتفها وقال " نعم والدليل لديك "

أنزلت زهور حينها رأسها للأسفل فأمسكت يدها وأجلستها

بجانبني أيضا وأحطت خصرها بذراعي وقلت

"واهم واسأل زهور لتتأكد "

كنت أعلم أنها ستنتهز الفرصة لتخرجني أمامهم وستتكر

طبعا لكن المفاجأة أنها وضعت يدها على يدي المحتضنة

لخصرها وقالت بهدوء " نعم والسنين تشهد "

وضغظت على يدي بقوة ، لو أفهم ما تنوين عليه يا متعبتني

ضحك معتصم وقال " كله عند والدتي وويلكما منها يا عاشقان "

سحبت يدي من خصرها ووضعت ساق على الأخرى

وقلت بابتسامة " المهم أن لا يعلم جابر "

ضحك مجددا وقال " كله إلا جابر فلا أحد يعلم ما

يخفي تحت صمته وذكائه فلا تستهن به "

وقفت حينها زهور وتوجهت للمطبخ وأبعدت بتول يده عنها

بقوة وقالت بضيق " أبعد يدك عن عنقي يا وقح "

ضحك وقال " دعيني أتلمس الهدية التي كلفتني الكثير "

قالت بضيق " ومن أجبرك على شرائها أنا قلت أريد

كمان لا سلسال به كمان من ذهب "

قرص خدها وقال " ومرصع بالألماس فلا تنسي "

قلت بضحكة " ما قصة الكمان هذه "

وضع معتصم ساق على الأخرى وأعاد يده على كتفها وقال

"ابنة شقيقتك تريد شراء آلة كمان لتصدع به رؤوس

الجميع وهي لا تجيد حتى العزف عليها "

جاءت حينها زهور بصينية الكعك والعصير فقلت

وأنا أتبعها بنظري " قد تكون موهوبة كابنة عمها "

قالت بتول بحسرة " من أين لي بصوتها الجميل يا حسرتي

قلت لعل وعسى بما أن زهور وجابر يجيدان عزف البيانو

ووالدي العود قد تكون لدي موهبتهم "

ثم أبعدت يد معتصم عنها مجددا وتابعت بضيق " لكن هذه

العائلة لا تعترف بالموهب ويبدووا أنني أشبه أحدهم بلا موهبة "

ضحكت وقلت " لا بد وأنه أنا فمعتصم رسام ماهر "

وضعت زهور الصينية وعادت للجلوس لكن مبتعدة عني هذه

المرة وقال معتصم " بلى أنت كاتب مميز يبدووا أنها

الطفرة في العائلة "

نظرت له ببرود ثم تجاهلته ونظرت لزهور وقالت

"كيف خالي معك "

أنزلت نظرها وقالت بابتسامة مغصوبة " كما تعرفيه "

ضحكت بتول وقالت " لا من ناحية أعرفه فأنا أعرفه "

ثم غمزت لي بعينها وقالت " اسأليني أنا فكم أتعب لي

ساقاي أجمع الأوراق الممزقة لأحظرها له "

نظرت حينها زهور لي بصدمة وقال معتصم باستغراب

"أوراق ماذا "

قلت مغيرا مجرى الحديث " ما هي أخبار جابر هل

مازال على قيد الحياة "

تنهد بضيق وقال " لا تبدوا جيدة ولم أدخل القصر اليوم

بسبب الموجات الكهرومغناطيسية التي تملأه "

نظرنا له بحيرة وقالت زهور " هل حدث شيء "

لوح بيده وقال ببرود " أنقذك الله من ذاك الجحيم

المسمى قصرا فلا ترجعي له أبدا "

تبادلنا نظرات الاستغراب وقالت بتول

"لم أكن أعلم أن ثمة شيء حدث لكنت ذهبت "

نظر لها وقال ببرود " نعم فأنتي لا يأخذك شيء

إلى هناك سوا الفضول "

تجاهلته وقالت ببرود " بل وزوجة جابر وأبنائه "

قالت زهور " ماذا هناك يا معتصم يبدو الأمر يخص جابر "

تنهد وقال " يبدو أن شجارا حامي الوطيس قد حدث بينهما "

ووالدي وغادرت زوجته القصر منذ يومين ولا أحد

لديه تفاصيل الحكاية غيرهم ثلاثتهم "

وضعت زهور يدها على صدرها وقالت بقلق " ولما تخرج

أرجوان كانا على وفاق كما يبدو وتبدوا عاقلة أكثر من ذلك "

رفع كتفيه وقال " هذا فقط ما علمته فأبنائه لا يعلمون ما

حدث ولا شيء لديهم سوا الدموع وبكاء ترف الهستيري "

قالت بتول بهدوء " مساكين هم متعلقون بها كثيرا "

قالت زهور بحزن ونظرها للأرض " أرجوان امرأة رائعة

وعلى جابر أن لا يخسرها بسبب والدي "

قلت مبتسما " هل كل هذا فيها لقد شوقتموني للتعرف عليها "

شهقت حينها بتول بقوة ووقفت زهور على طولها وأنا أنظر

لها بصدمة على صوت بتول قائلة " أي جريمة هذه التي

ارتكبتها وتستحق عليها عقابا قاسيا من زهور "

قالت حينها زهور مغادرة " عن إذنكم أريد الحمام "

ثم دخلت غرفة النوم ونظري المصدوم لا زال يتبعها ، تغار
يا رضا غارت من كلامك أقسم أنك لا تتوهم ، لا ومن زوجة
شقيقتها ولم تستحمل أن أتحدث عنها ! أعادني من أفكاري صوت

معتصم قائلا بعد ضحكة " جد لك الليلة مكانا تبات فيه "

حككت شعري وقلت بإحراج " لم أقصد ما فهمت "

قالت بتول بضيق " معها حق لو كنت مكانها لقطعت لك لسانك "

نظر لها معتصم وقال بمكر " ما أروعها من امرأة أرجوان

جمال وقوام ممشوق وجاذبية و " ...

قاطعته بابتسامة جانبية " نعم معك حق "

وقف وأوقفها معه وقال بضيق " هيا الزيارة انتهت "

قالت مغادرة أمامه " نعم فلم يعد لهم بك حاجة

بعدما تسببت بمشكلة بينهما "

ثم توجهت جهة الباب ونظر لي معتصم ثم قال مغادرا

" ابنة شقيقتك هذه إما أن أقتلها أو تصيبني بالجنون "

تبعته مبتسما وودعتهما وأغلقت الباب ثم عدت للداخل نظرت

للحكك والعصير الذي لم يقربه أحد ثم توجهت نحوهم لأنظف

كل شيء لكني تراجع بنظرة واحدة لباب غرفة النوم ولحقت
القطعة من قلبي الموجودة هناك وأنا مبتسم وأشعر بالنشوة فقط
لأنها تغار ، نعم تحبني لازالت كما كانت وهذا أكبر دليل لها
ولي ، دخلت الغرفة فكانت ما تزال في الحمام فخرجت محترما
رغبتها في البقاء وحدها قليلا وعدت للصلاة ورفعت الصينية
وأعدتها للمطبخ ورتبت كل شيء مكانه ثم عدت للغرفة فكانت
ما تزال في الحمام حتى الآن فطرقت على الباب قائلا
"زهور أخرجي ويكفيك سجن لنفسك "
لم تجب طبعا وكنت سأحدث ولكن أوقفني صوت هاتفني
فأخرجته وأجبت قائلا " ما هذه المفاجأة ظنناك ميت
زر شقيقتك على الأقل "
قال بأمر " اسمعني جيدا يا رضا سيصل رجلان ستكونان
في حراستهما ولا تخرجا إلا للأمر الضرورية وبرفقتهما "
قلت بتوجس " ماذا هناك "
قال من فوره " حماية للمقربين لي جميعهم فكونا حذرين "
قلت بقلق " يبدوا الأمر خطيرا "
قال " لم يصل لمرحلة شديدة في الخطر لكنه سيكون كذلك

وعلينا التحسب لأي خطر وداعا الآن وسلم لي على

زهور وسأزورك ما أن أجد وقتا "

نظرت لباب الحمام بتوجس على إنهائه للاتصال ثم طرقت

الباب مجددا وقلت " زهور افتحي أو فتحتة أنا "

ولم تجب طبعا فشعرت بالخوف من أن تكون حبيبي أول

ضحاياهم فباقي عائلته في حماية الحراس في القصر ، أدت

مقبض الباب والمفاجأة أن الباب كان مفتوحا ففتحتة ببطء ودخلت

فكانت جالسة على طرف حوض الاستحمام وتنتظر للأرض

فتوجهت نحوها وجلست بجانبها عليه ومسحت بيدي على

شعرها وقلت " زهور أخبريني ما الذي يريحك وأنا

سأفعله ، فقط أرحمي قلبي الذي يتقطع عليك "

خرج حينها صوت بكائها فضممتها لحظني وهي لم تقاومني

ولأول مرة تفعلها ، ضممتها بذراعي لصدري بقوة وقلت بهمس

"يكفي يا قلب رضا يكفي أقسم إن كان هجري للبلاد هوا ما

سيرحك ويعيدك كما كنت لأفعلها ، أقسم لو العمر يهدى لأهديت

عمري لك ولو أن السعادة تشتري بالمال لبعث أعضائي لأشترتها

لك وأراك سعيدة أمامي ليوم واحد فقط قبل أن أموت "

لم تزد إلا بكاء فزدت من احتضانها أكثر وقبلت رأسها وقلت

"أسف إن كان كلامي ما أزعجك أقسم لم أقصد ما فهمتموه "

ابتعدت عني حينها وقالت ببرود ورأسها للأسفل تمسح

دموعها " لا دخل لي بما قلت ولا يعنيني "

ابتسمت وشدتها لحظني مجددا قلت

" حسنا صدقتك فقط توقفي عن البكاء "

قالت بعبرة " لما نحن فقط والدتنا هكذا لما لا تحبنا

ولا تريد لنا السعادة ... لماذا "

قبلت رأسها وقلت بهدوء " ومن قال أنها لا تحبكم قد

تكون هذه هي طريقتها في التعبير فقط "

شهقت شهقة صغيرة وقالت بأسى " كيف تحبنا وهي تدمر

حياتنا ، كيف وهي من زوجتي بغيرك وحرمتني منك لأدفع ثمن

ما أخفيته أنت عنا ، كيف وهي تدمر أي زواج لجابر وبدون أسباب

وحرمت معصم من دراسته لسنين ليدرس مع من هم أصغر منه

بسنوات ، قل لي كيف تحبنا كما تقول "

أبعدتها عن حضني ومسحت دموعها وقلت " أششش يكفي بكاء

وعليكم أن لا تستمروا في تدمير ما دمرته هي يا زهور عليكم

أن تبنوا أنتم السعادة لأنفسكم مادمتم ابتعدتم عنها "

بقي نظرها معلق بعيناي دون كلام فمسحت بيدي على طرف

وجهها وقتلت بابتسامة حزينة " ليس وحدكم من دمرته فحتى

أنا قتلتني وقتلت حلمي وجرعتني الأسي حين حرمتني منك

وليتك تعلمي ما رأيته من عذاب بعد زواجك وسفري وأنا لست

ابنها لكني لم أياس وما أن وجدت الفرصة وعلمت بخبر طلاقك

ولو متأخرا عدت لأحاول بناء ما هدمته هي ولا أبقى

واقفا أشاهد حطام ما فعلت بي وبك "

بقيت على صمتها تنظر لعيناي وتتنفس بهدوء وكأنها تستمع

لكلامي منهما أو تبحث فيهما عن شيء ما ولا تعلم ما تحدثه بهذا

من براكين بداخلي ، لا تعلم أنني أقاومها منذ أيام بقلب رجل

عاشق وعطش لكل تفاصيلها وأنها حتى بأنفاسها المتلاحقة تعبت

بي حد الجنون ، مررت أصابعي في شعرها وقربت وجهها لي

غير مصدق استجابتها لما فعلت وكل شيء بي يقول لا تتراجع

يا زهور لا تقتلي الشوق في أوجه لا توصليني لآخر محطة عند

شفتيك وتتركيني ظمأنا ، انحنيت لثغرها وقربتها لي أكثر حتى
كانت في قبضتي نعم تلك الشفاه الناعمة الوردية وأخيرا تعبت
فوق صفحات شفتاي ، أجل يا زهور علميني معنى العشق معنى
الجنون في الحب معنى تذوق رحيق الشفتين من امرأة لا ينساها
الرجل مهما طال به العمر امرأة حتى رائحة نفسها توصل للثمالة
سمعت كثيرا عن هذا الرحيق عن هذا الإكسير عن هذا الطعم
والمذاق لكني لم أعرف أنه هكذا فهو أقوى مما سمعت عنه
وأروع من كل ما قيل فيه ، كانت مستسلمة لي تماما وكأنها
منومة مغناطيسيا لكن الوقت يحسدني وحتى الفراغ لا يتفق
معي ليقطع رنين هاتفك تلك اللحظات برنينه المرتفع لتتنفص
مبتعدة عني ووقفت تنظر للأرض بخجل وارتيابك وتعطي
شفتيها بظهر أصابعها ثم خرجت راكضة وتركتني لم أشفي
غليلي بعد ولم أروي عطش السنين الطوال فدست يدي
في جيبك وأغلقتك دون حتى أن أرى المتصل من يكون

*

مر اليوم الثاني ودخل الثالث وأنا على حالتي سجيئة المنزل
وبلا طعام ومنقطعة عن العالم ، وقفت وشعرت بدوار خفيف
يبدوا من قلة الأكل حتى أن سوسن مرضت ابنتها ولم ترجع
لزيارتي ، صليت الظهر وجلست على الأريكة فلم يعد بإمكانني
الوقوف أكثر ولا أعلم ما بي ففي السابق كنت أبقى لأيام دون
طعام حينما يبدأ مصروفي بالنفاذ ولم تكن تأتيني هذه الحالة
بسرعة هكذا ، يبدوا أنك اعتدت على العز والرفاهية يا أرجوان
وتبطرت معدتك ، سمعت طرقا على الباب فوقفت بهدوء وببطء
وتوجهت له لأفتحه فلا بد هذه سوسن إن لم يكن الواقف في
الشارع عاد لمحاولاته من جديد ، فتحت الباب فكان شخص
آخر لكنه دون أكياس في يده ، قال بهدوء " السيد سمح
بأخذك حيث تريدون لكن للمشاورير الضرورية فقط وبرفقتنا "
نظرت للخارج لأرى من هم فكانا اثنان بلباس
شرطة فقلت " ولما كل هذا "

قال " الأوامر تقول بحمايتك ولا يحق لنا أن نسأل وما فهمته

منهم أن أفراد عائلة السيد جميعهم تحت الحراسة "

غريب يبدووا ثمة أشياء تحدث ولا أعلم عنها وتبدووا خطرة

جدا فجابر لا يأخذ حذره من فراغ ، قلت " ومن تكون أنت "

قال " أحد حرس القصر سيدتي والسائق الجديد "

جميل يبدووا لم يعد يثق ولا في السائقين ، هزرت رأسي

بحسنا وقلت " لدي مشوار ضروري ستأخذونني إليه لكن

ليس اليوم وسأعطيك أنا نقودا لتشتري لي بعض الأغراض "

تنهد وقال " حسنا وأتمنى أن لا يسبب لنا هذا مشكلة "

قلت داخلة " لا تخف مادام سمح بخروجي فلن يمانع "

أعطيته النقود وورقة بالأشياء التي أريدها وأحضرها سريعا

فأعددت طبقا خفيفا وأكلت منه ما يسد جوعي فبالرغم من أنني

لم أكل منذ أكثر من يومين لم أشعر برغبة في الطعام فليست

أشعر سوا بالاكئاب والإحباط وها أنا الآن حتى وضيقة لن

أستطيع البحث عنها مع كل هذه الحراسة ، لا بأس فلن يدوم

هذا الأمر طويلا فبعد أن يطلقني لن يحتاج الأمر لحمايتي

ومنعني من الخروج ، ترى هل جد شيء في قضيته تلك أم
مشاكل أخرى وثمة من يهدده ، آه يا رب أحمي أبنائي أقسم
أن أفقد عقلي إن أصاب أحدهم مكروه ، وقفت بعدها بسرعة
قبل أن تأخذني الأفكار في أن يصاب جابر بمكروه فلا علاقة
لي به فلتقلق عليه والدته الحنون البار بها ثم ضحكت على
نفسي وقلت بهمس " أقسم أنها لو كانت أحن الخلق ما
شعرت به مثلي لأنني حمقاء وقلبي أحمق مني لكن
كرامتي لن أهدرها من أجله مجددا ولو
تعذبت باقي حياتي بحبه "
ومرت بي باقي أيام الأسبوع مسجونة في المنزل لا خروج
ولا أحد يزورني فحتى سوسن تعبت ابنتها ونامت بها في
المستشفى ولم تعد تحدثني سوا في الهاتف وباختصار وأنا لا
شيء لي سوا مشاهدة التلفاز والهرب من الحسرة والألم كلما
فكرت بما حدث معي وجابر طبعا لم يكلف نفسه ولا عناء
الاتصال بي ولا أعلم عن ذاك القصر شيئا فحتى سيلا لم
أتصل بها مجددا كي لا تجدها تلك العجوز المجنونة فرصة

وتطردها ، تأففت وأمسكت عباءتي ولبستها نزلت وغادرت

المنزل برفقتهم طبعاً فعلى الأقل لن أطر لدفع المال لسائق

سيارة الأجرة ، أوصلوني للمكان الذي أزوره أسبوعياً فأنا

لم أزرها طوال هذا الأسبوع وأخبرتهم أنني سأزور صديقة

قديمة لعائلتنا موجودة هنا فموكد ذاك السائق أخبر جابر

عن هذا المكان لكنه لا يعلم لما آتي ولن يعلم خصوصاً إن

أخبره من في الخارج ما قلت لهم

طرقت باب غرفتها ودخلت واقتربت منها مبتسمة وأمسكت

يدها وقبلتها فابتسمت لي فقبلت رأسها وجلست بجوارها

قائلة " كيف أصبحت اليوم آسفة لأنني لم أزرك "

ثم تنهدت بأسى أعلم أنها لن تسمعني لأنه أقل من ثلث نسبة

حواسها تعمل فقط وقد أصيبت بجلطة مرتين فهي لا تسمع

جيداً مهما صرخت ولا تستطيع قول سوا كلمات متقطعة وقليلة

ونظرها ضعيف جداً لم ترى إلا بعد العدسات ولا تستطيع

المشي أيضاً وكنت عاجزة عن إخراجها لتعيش معي لأنني لا

أقدر على تكاليف علاجها وطعامها وأجهزتها وحتى بعدما

تزوجت من سوء حظي أنني تزوجت برئيس الشرطة في البلاد

وهي في نظر القانون ميتة فلن أفتح أعينهم عليها فلن يصدقوا

حينها أنها لا تستطيع الكلام وسيعذبونها باستجوابها وهذا

إن لم يسجنوها مجددا ، مسحت بيدي على وجهها وقلت

"ليتك تسمعيني وتحدثين فقط لأعلم كيف تكون حسناء

شقيقتي ولما لم يخبرني أحد سابقا وتركتموني أعيش في

كذبة مرتين أن أبنائها أشقائي ثم أبناء لزوجي ثم أكتشف

الواقع الجديد وهو أنهم أبناء شقيقتي ، لما يعشق الجميع

الكذب علي لما أنا أضحوكة لهم دائما"

"الحقيقة لن تغير شيئا في الواقع يا أرجوان"

وقفت والتفت بسرعة أنظر بصدمة للواقف عند باب

الغرفة ثم تقدم بخطواته نحو سرير والدتي قائلا ونظره

عليها " لو بقيت في قصرِك وسألت لعرفت الحقيقة "

أشحت بوجهي للجانب الآخر ولم أتحدث لأنني إن تكلمت

فلن يعجبه ما سأقول ثم لا حاجة لقول شيء لن يغير في

الواقع شيئا ، توقعته سيسأل ماذا أفعل هنا ومن تكون هذه

لكنه جلس على طرف السرير وأمسك يدها وقبلها

وقال " كيف أنتي الآن يا خالة "

لتنفتح عيناى من الصدمة وتزيدني والدتي بأن وضعت

يدها الأخرى على يده وابتسمت له وكأنها تعرفه من سنين

لحظات رجوع نواس للمزرعة بعد زواجه من وسن للكاتبه

همس الريح ومشكوووورة يا عمري الصراحة إبداع

[فتح الخزانة الموجودة في المكتب و اخرج صندوقا متوسطا

من الخشب ..فتحه و هو ينظر الي القطع الذهبية الموجودة داخله

..كل قطعة عمل جاهدا ليجمع ثمنها .. و كلما اشترى قطعه بدا

في تجميع ثمن القطعة الاخرى ..كل قطعة كان لها انشودة عشق

خاصة بها .. حلم كيف سيلبسها اياها و هو يهمس في اذنها بعبارات

الغرام .. تخيل احمرار وجهها خجلا و هو يقبل اصبعها بعد ان يلبسها

المحبس .. و معصمها بعد ان يلبسها الاسورة سحب الاسورة

الموسومة بتاريخ زواجهم الذي لم يتم سابقا قبل ان يعيد الصندوق الي

مكانه و يغلق الخزنه ..وقف طويلا امام باب غرفتها .. يبتعد قليلا ليجد

اقدامه تشده الي بابها .. هل سيظل هكذا طوال عمره .. مصلوبا امام
محرابها .. تنفس بعمق قبل ان يفتح الباب ليجدها مكورة علي الارض
.. اقترب منها لتلفت نظره علبة دواء .. ليست اقراصها المعتادة..

عقد حاجبيه و هو يقرأ النشرة الطبية المرفقة .. مسكن الم من اقوي

انواع المسكنات ... اعاد العلبة الي مكانها قبل ان يركع امام تلك

الغافية الغافلة عن كل شئ في الدنيا .. لم يكثرث لقطع القماش الممزقة

تحتها .. نظر لوجهها النائم بسكينة جعلت قلبه يصرخ بالم ... ضغط

علي كفه بقوة لينتبه للاسورة في يده .. ثبتها علي يدها و هو يطبع

صورتها الودية في عقله .. اقترب منها ليحملها للفراش لتتمتم بعبارة

غير مفهومة و تتهد ثم تهمس "نواس" .. ليحس بنار تستعر داخله..

نزع قدميه انتزاعا من مكانه لينزع اللحاف و يغطيها به قبل ان يخرج

تاركا الغرفة كلها .. و بدون ان يغلق الباب]]

قراءة ممتعة للجميع

.....

الفصل الثامن والعشرون

" هيه وسن أين وصلت "

رفعت رأسي لها فقالت ضاحكة " ألن تخبريني ما بك اليوم "

قلت ببرود " وما بي "

غمزت بعينها وقالت " متجهمة وشاردة الذهن وشينا ما

في ملامحك لم أفهمه ولم أره سابقا "

أشحت بوجهي عنها للجانب الآخر ولم أتكلم فأمسكت بذقني

وأعادته جهتها وقالت " ماذا حدث بينكما هل تشاجرتما مجددا "

أنزلت نظري للأسفل وقلت بهمس " بل نام معي "

شهقت وقالت بصدمة " مستحيل ما هذه المعجزة "

أشحت بوجهي وقلت بضيق " ملاك لست بمزاج لك "

قالت بتوجس " هل أجبرك على ذلك "

عدت بنظري للأسفل وهزرت رأسي بلا دون كلام فصفت

واقتربت مني أكثر وقالت بحماس " ما كل هذه المستجدات

والتشويق هيا أحكي لي ولا تتركي ولا تفصيلا بسيطا "

نظرت لها بصدمة فضحكت وقالت " سررك في بئر

ولا تخجلي مني"

ضربتها بحقيبتني وقلت " وقحة ما تعنيه بهذا"

رفعت رأسها وضحكت كثيرا ثم نظرت لي وقالت بمكر

"أريد معرفة كفاءة رجال الخيول وها هي التجربة الأولى لديك"

ضربتها بالحقيبة مجددا ووقفت وقلت بضيق

"استحي قليلا يا قليلة الأدب"

وقفت وضمت يداها لصدرها وقالت بحالمية " وأخيرا يا وسن

لقد أطلتماها حتى تجاوزت الحد متى دوري يا ربا"

قلت مغادرة من أمامها " وقحة والذنب علي أني أخبرتك"

لحقت بي وأمسكت يدي وسحبنتي جهة أحد الكراسي وأجلستني

وجلست وقالت " أين أين هذا حدث تاريخي يلزمه جلسة"

قلت ببرود " لا شيء أخبرك عنه لكنك قلت من نفسي"

قالت بتذمر " لا سامح الله الفضول الذي رماني عليك ، أقطعي

الفيلم من القبة الأولى حتى الصباح واحكي لي عن الباقي"

تأففت وحكيت لها مبسطا فقالت بصدمة " سمعك تقولين ذلك"

نظرت للأرض وقلت بحزن " نعم لم أكن أعلم أنه

خلفي ويسمعي وحدث ما حدث"

تنهدت وقالت " مسكين هذا النواس يبدووا كان على

شعرة ينتظر فقط أن تقولي تلك الكلمة"

قلت بأسى " لكنه لم يقلها سمعها مني فقط حتى أنه لم

يجب عن أسئلتي بخصوص زوجته"

قالت بهدوء " وسن يا غبية يكفيك ردة فعله تلك يكفيك

أنه فقد زمام الأمور ما أن سمع فقط أنك تحبينه

ولازال ما كان في قلبك باق له"

نزلت دمعتي فمسحتها بقوة وقلت بحرقة " قال مي خط أحمر

لا أحد يحق له مناقشته في أمرها ولا حتى نفسه ويقول أني في

قلبه فكيف يكون كل هذا كيف فحتى كلامه وأنا في حضنه يمارس

على جسدي كل أحقية له كزوج كان كلاما كله أسى وحرقة

تصوري كان يقول (عذبتني يا وسن ، آه من حر قلبي حين حرمته

منك ، أطفني النار التي أشعلتها بي من سنوات ولم تخمد ، علميني

معنى العشق الذي سلبته مني")

ثم نفضت يداي وقلت بحرقة أشد " والأسوأ من ذلك حين قال

من بين قبلاته (مارسي الحب الذي حدثها عنه أرني كيف

تحبيني (تخيلي وقاحته وجرأته"

كانت تنظر لي بصدمة لأنتبه لنفسي ولحماقتي

فهزت رأسها وقالت " نعم تابعي"

رفعت الحقيبة لأضربها بها مجددا فأخذتها مني وقالت

بضيق " يكفي لقد حطمت عظامي بها"

ثم وضعت يداها وسط جسدها وقالت

"ولما لم تمنعني عنك مادمت لا تريدني"

نظرت للأسفل وقلت بحزن " لم أستطع"

قالت بهمس " كيف لم تستطعي"

رفعت نظري لها لتمتلئ عيناها بالدموع وقلت بأسى

"لم أقدر نعم فالأمر ليس سهلا فأنتي لم تجربيه"

وقفت وقالت " وسن هذا لأنك تحبيني بل عشقيني بجنون فأعطي

قلبك حريره ولا تضيعا المزيد من الأيام فلا أحد يعلم كم

سيعيش في هذه الحياة"

ثم غادرت جهة مبنى الجامعة وتركتني جالسة وحدي

فوقفت وتبعتها فلا أريد أن أفكر في شيء مما قلناه ، أنهيت

يومي هناك وعند العصر خرجت ووجدت نواس ينتظرني واقفا
عند سيارته فأنزلت نظري للأرض واقتربت منه فركب السيارة
في صمت فتنهدت وركبت بجانبه وخرجنا من هناك وقال بهدوء

"سنخرج لتناول الغداء فأنا أيضا لم أتناوله حتى الآن"

لذت بالصمت ولم أعلق وعاد هوا لصمته حتى وصلنا أحد

المطاعم ونزل وأنا أتبعه ، جلسنا عند أحد الطاولات وقال

"هل ترغبين في شيء معين أم أطلب أنا"

قلت ونظري لازال بعيدا عنه أشغله بكل شيء على

الطاولة " أنا أكلت في الجامعة ولا رغبة لدي

في شيء أطلب لنفسك فقط"

وقف وقال " لنغادر إذا"

رفعت نظري له لأول مرة منذ قدومنا وقلت

"ألم تقل أنك لم تتناول غدائك"

قال مغادرا و ببعض الضيق " لم تعد لدي رغبة به"

تأففت ووقفت وتبعته ، ما به هل أجبر نفسي بالإكراه ليرضى

لما لم يأكل هوا ثم نغادر ؟ ثم أنا لم أطلب منه جلبي إلى هنا

ركب السيارة وركبت بعده وشغلها وانطلقنا فقلت بعد وقت

ونظري على يدي في حجري " لما غضبت مني ما ذنبي أنا"

لم يجب فرفعت رأسي ونظرت له وقلت " نواس تكلم"

مد يده ليدي وأمسكها بقوة ثم سحبها نحوه وقبلها وقال

"وسن لنغلق الموضوع أرجوك"

سحبت يدي منه ولدت بالصمت ، لما لا أفهمه ؟ تصرفاته غريبة

وكأنه يحاول كبت غضبه كلما انزعج مني ! ليثني أفهمك يا

نواس لقد أصبحت معقدا جدا ، نظرت له مجددا وكأني ارسم

تفاصيل جانب وجهه بل وكأني أبحث عن كل الأجوبة فيه وبقيت

على هذا الحال للحظات فمد يده دون أن ينظر لي ومررها خلف

رأسي حتى وصلت لكتفي وشدني حضنه ويده الأخرى

تحرك المقود وفي صمت حتى وصلنا

*

*

دخلت المنزل تسير بجانبني في صمت ومي تنزل السلالم

حتى صارت أمامنا فأسرعت وسن بخطواتها مبتعدة ورأسها

للأسفل تضم مذكراتها لحظنها بقوة وكأنهم سيطيرون من

بين يديها وتبعت أنا بنظري خطواتها المسرعة نحو ممر غرفتها

ليعيدني صوت مي قائلة " أرجوا أن لا تكونا تشاجرتما مجددا"

هزرت رأسي بلا ثم تركتها وخرجت من المنزل وتوجهت

لساحة الخيول ووقفت عند السياج أنظر للأرض بشرود ، ترى

ما سر مقتل والدها وكيف هي من تعلم عن مجريات الحادث!

كيف تعلم وحدها بأمر كهذا ولما تخفيه ، آخ لو فقط لم يطلب

مني أن لا يعلم أحد بالأمر حتى يتحدث معها أولا ، مررت

أصابعي في شعري وزفرت بضيق فشعرت بيد على كتفي

وصوت معاذ قائلا " ما به زوج الاثنتين هموم الدنيا

كلها تخيم فوق رأسه"

أنزلت رأسي وقلت ببرود " واحدة بهمين والأخرى

أنا المهموم عليها فكيف سأكون"

قال بعد ضحكة " إذا طلق صاحبة المهموم مالك ووجع الرأس"

هزرت رأسي وقلت بأسي " تلك بهمومها قطعة

من قلبي إن أبعدها أموت"

صفر تصفيره طويلة واتكأ بذراعه على كتفي وقرب رأسه

مني وقال بهمس " لا تسمع زوجتك الأولى هذيانك

بضرتها وتصبح في مشكلة"

قلت بضحكة صغيرة غلبتني " وما أدراك أني

عن تلك كنت أتحدث"

ربت بيده على كتفي وقال " أقسم أنها منافسة الغزلان فلا

غيرها تقلب مزاجك دائما وتعرف كيف تخرج الوحش من نواس"

ثم ضحك وتابع بخبث " بارعة في اللعب بأعصابك

وأرتنا نواس الغاضب الذي لم نكن نعرفه"

أبعدت ذراعه عني وقلت بضيق مغادرا من أمامه

" أقسم إن تغزلت فيها مجددا قطعت لك لسانك"

ضحك وقال بصوت مرتفع لأسمعه " لا تنسى أني قلت

عيوبها أيضا أم تسمع فقط ما تريد"

لوحث له بيدي على صوت رسالة وصلت لبريدي فأخرجته

وفتحتها فنادى " هيه نواس أريدك فيما بعد في أمر مهم"

قلت ملوحا بيدي " في الغد وأخبر وليد يأتي لمكتبي حالا"

أعدت هاتفي لجيبي بابتسامة انتصار لما قرأت ودخلت وقلت

لراضية المارة من أمامي " أخبري وسن لا تخرج من

غرفتيها لأن وليد سيدخل لمكتبي"

هزت رأسها بحسنا وصعدت أنا للأعلى أخذت بعض الأغراض

من غرفتي ونزلت وضعتهم على الأريكة في الصالة ومررت

بالمطبخ وقفت أمام الباب وقلت " الأغراض على الأريكة

ضعيهم في غرفة وسن سأخرج للصلاة وسأتعشى هنا"

ثم خرجت من المنزل ووليد قادم نحوي ، وصل عندي فوضعت

يدي على كتفه وقلت ونحن نتابع سيرنا " لدي لك خبر

سيعجبك لكن دعنا نصلي أولا ونرجع"

قال بهدوء " لدي موعد مع المحامي فهل سيأخذ موضوعك وقتا"

هزرت رأسي بحسنا ولم أعلق ، وصلنا المسجد صلينا وعدنا

للمنزل فأمسك يدي وقال " إذا نتحدث ثم أذهب له"

أمسكت كتفه وقلت مبتسما " خذ وقتك اذهب وارجع أولا"

وضع يده على ظهري وقال " بل ندخل الآن والمحامي ينتظر

ثمن للمال الذي يأخذه على الأقل"

ضحكنا معا ودخلنا وتوجهنا لمكتبي فورا دخلت وهو خلفي

وقلت ما أن أصبحنا في الداخل " أمسكوا بأنور سبب فضيحة مي"

من صدمته ترك الباب الذي كان سيغلقه ولحق بي قائلا

"قل قسما حدث وكيف"

*

*

منذ أحضرت الخادمة ملابس نواس وأنا جالسة أنظر لهم كالتمثال

فما يعنيه بهذا ملابس داخلية وبيجامات نوم وعدة حلاقة وفرشاة

أسنان وعطر ولم يترك سوا ملابس الخروج فلما لم يرسلها أيضا

يبدوا أنه ترك راضية تواجه ردة فعلي ليفهم إن كنت أقبل بليلة

أخرى كالبارحة وأن تكون لنا حياة طبيعية كزوجين أو أنها

كانت بالنسبة لي خطأ لا أريد أن يتكرر ، تبدوا إشارة ينتظر

ردي عليها فإما أن أقبل أغراضه هنا وأعطيه الضوء الأخضر

أو أرميها خارجا أو في غرفته ، هذا إن لم يكن قصده منها أنتي

زوجتي وأنام معك أحببت ذلك أم كرهته ، لكن مستحيل هذا ليس

طبع نواس فأنا أعرفه جيدا لن يجبرني على شيء لا أريده

ترددت كثيرا واحترت ما سأفعل ثم وقفت ورتبتها في الخزانة

سأتركه أيضا يكتشف بنفسه جوابي وردة فعلي ، عدت بعدها

لمذكراتي أشغل عقلي بها لكنه لم يتركني وشأني أبدا وكلما

تحرك شيء ارتجف جسدي ظنا أنه أمام الباب وسيدخل رغم

أن الوقت لازال مبكرا على نومه وقد ينام الليلة معها وليس

معي ، ضغطت بقبضتي على القلم بقوة لتنزل دموعي على

الورق وتفسد الكلمات وتحولها لبقع زرقاء متداخلة وقلت بوجع

"يا رب لما أنا يحدث معي هكذا كيف تقبلها نفسي كيف ؟ أقسم

أنها نار تشتعل داخلي وليئه يشعر بحجمها ومعناها"

طرق أحدهم الباب فانتفضت واقفة ومسحت دموعي على دخول

راضية قائلة " العشاء جاهز ونواس هنا فلا مفر لك من تناوله"

ابتسمت لها بحزن وتبعتها بعد قليل خارجة من الغرفة لأفاجئ

بنواس يسير أمامي على بعد خطوات عديدة فخففت من سيرتي

حتى وصل وقال مخاطبا راضية الخارجة من هناك

" أين مي ليست هنا"

قالت وهي تتابع سيرها مارة من أمامه " قابلتها منذ

قليل هنا وقالت لا تريد وأن رأسها يؤلمها وتبدوا متعبة"

مررتُ حينها من أمامه ودخلت فتابع سيره ودخل غرفة

الطعام دون أن يسأل أكثر أو يرجع ليصعد لها ، شكرا لك

يا رب رحمتي بها لا أريد أن يحدث ذلك أمامي ، سحبت
الكرسي وجلست مكاني المعتاد لتوقفني يده ممسكة بذراعي
حتى وقفت وقال وهو يسير بي لرأس الطاولة " حتى متى

ستهربين من الجلوس بجانبني أنا لا أكل البشر

والجميلات خصوصا"

أنزلت رأسي وعضضت شفتي بإحراج اتبعه منصاعة
حتى أجلسني في الكرسي الذي بجانبه وقال وهو يجلس
"سأزيل كل تلك الكراسي بسببك"

أنزلت رأسي ليحجبه شعري عني ويخفي توتري وخفقان
قلبي الذي أشعر أنه ينبض في وجهي ويفضحني فمد يده
وأبعد شعري للخلف قائلا " وهذا كيف نبعده أيضا"

تحركت للخلف بالكرسي بتوتر ورجفة من حركته وكلماته
فأبعد يده وقال بضحكة " حسنا فقط لا تقعي للخلف

لن أزيل الشعر كالكراسي"

ثم بدأ الأكل وقال بهدوء " هل من مشاكل تواجهك

في الجامعة أو تحتاجين شيئا"

هزرت رأسي بلا ونظري على طريقي فقال وهو يتابع أكله

"وكيف تدبرون أموركم في المراجع والمواد من الأماكن

البعيدة خارج العاصمة"

حممت قليلا وشغلت نفسي بالأكل مثله وقلت بهدوء

"طلال يفعل كل ذلك"

قال بنبرة استغراب " ومن يكون طلال!! "

حركت الطعام في الطبق وقلت

"شاب يعمل معنا أنا وملاك على الرسالة"

قال " ولما شاب معكما"

رفعت نظري له لأول مرة فكان ينظر لي عاقدا حاجبيه

فعدت بنظري للأسفل وقلت " تلك هي القوانين إما

شاب وفتاتين أو شابين وفتاة"

تنهد بضيق ولم يعلق أكثر ، نواس لم يدرس في الجامعات

ولا يعرف طبيعة الظروف التي تجمع الطلبة هناك فلا

أستغرب أن يتضايق لكن هذا واقعا مهما اعترضنا عليه

فتكون الفتاة مجبرة على الاحتكاك ببعض زملائها وكل واحدة

واحترامها ودرجة تربيتها ، تابع طعامه في صمت من كلينا

حتى قال " لم تسأليني سابقا عن مهرک ولا جهازک"

رفعت نظري إليه فكان ينظر لطبقه فنظرت للأسفل وقلت

"ولا أنت تحدثت عنه سابقا ولا يعنيني منه شيء"

نظر لي وقال بجديّة "وسن لا تضني أني لم أتحدث عنه

عمدا ليحدث ما حدث البارحة أولا ، كنت فقط أنتظر

الوقت المناسب لأنك"

سكت فجأة فرفعت يدي وأبعدت بها شعري عن وجهي

بقوة وعبرة تخنقني أجهدهما كي لا تخرج وقلت بأسى

"كنتُ ماذا لما لا تكمل كلامك"

مد يده لوجهي مجددا ومسح بظهر أصابعه على خدي وقال

"أسف فهلا توقفنا عن هذا كي لا نصنع منه مشكلة"

نظرت لعينيه بحيرة وكل الأسئلة التي تحيرني تدور فيها

فهرب مني بعينيه فقلت بهدوء حزين " لا أفهمك يا نواس"

نظر لي وقال بضيق " ولما؟؟ هل في السابق وشجاراتنا

تهد الجدران كنت تفهميني والآن لا"

نظرت له بصدمة فوقف وقال مغادرا " ليثني أنا من يفهمك"

و غادر الغرفة فمسحت بيدي على عنقي ورفعت شعري للأعلى

أتنفس بقوة ثم وقفت وغادرت غرفة الطعام أيضا فالتقيت براضية

فوقفت وقلت بتردد " هل ... نواس هل صعد للأعلى"

قالت بنظرة استغراب " لا رأيته يخرج للخارج"

نظرت للأرض وقلت " وأين يكون الآن في العادة"

ضحكتُ فرفعتُ رأسي ونصرت لها بحيرة فغمزت بعينها

وقالت بهمس " عند ساحة الخيول والجو الهادئ

والأضواء فأسرعي إليه"

ابتعدت عنها بتوتر وخجل قائلة " ليس هذا أقصد"

ثم غادرت جهة غرفتي

*

*

وضعت كف يدي على فمي أكتم شهقاتي وبكائي الذي لم

يخف أبدا منذ نزلت لمكتب نواس لأخبره أن عاصم يريد

زيارتنا وسمعت ما كان يدور بينه وبين وليد وهو يقول له

"أمسكوه وشلته في جريمة اغتصاب فتاة قاصر ولن

ينجى منها هذه المرة كما حدث مع مي"

قال حينها وليد " الآن فقط ارتاح ضميري ولو قليلا أقسم

أني حتى النوم كباقي البشر لم أكن أتذوقه من كثرة

ما كان يؤنبني "

قال نواس " لكن مي ستكتشف يوما كل ذلك فأنت أعلم

الناس أنهم اغتصبوها وليس كما تظن هي "

قال وليد " السر مات معك فمن سيعلم "

قال نواس " هو اجسي ليست كهواجسك يا وليد ولا

أستطيع قول كل ما في قلبي "

قال وليد " ماذا هناك "

قال نواس " كنت أريد أن أخفي هذا لكن الوضع لن يستحمل "

سكت قليلا ثم تابع " أنا لم أقرب مي حتى الآن

وكل منا ينام في غرفة "

سمعت صرير الكرسي دليل أن وليد وقف مصدوما

ثم قال " كيف ولما " !!

تنهد نواس وقال " شيء بيني وبينها لن أطلعك عليه ومي

تصر أن تتركني بعد انتهاء السنة الذي بات وشيكا وباقي

شرط العقد ينص على أن لا أطلقها إلا بزواج لغيري وهي

ستكتشف الأمر حين ستتزوج بالتأكيد"

لاذا بالصمت كليهما وأنا أغلق فمي بكفي ودموعي تنزل بلا

توقف حتى قال وليد " وماذا ستفعل وبمن ستزوجها"

قال نواس " لا أعلم لقد اتفقت وعمها وشقيقها عاصم على

هذا ولن أبقياها معلقة هكذا وتعيسة وإن اضطر الأمر أن

أواجهها بحقيقة ما حدث لها وعلاقتك بالأمر"

قال وليد بضيق " إياك يا نواس إياك أن تخبرها

بجرمي فيكفيني عذاب ضمير"

قال نواس " وليد لن أرتاح قبل أن تحكي لي ما

تخفيه عني تفهم"

قال ببرود " ما لدي قاتله سابقا"

قال نواس " بل ثمة ما تخفيه وأنت من سيندم وقت لا ينفع

الندم ومي لن تخسر أكثر مما خسرته وأقسم لولا حكاية

اغتصابها تلك ما نقضت عهدي لها وأخبرتكم عما بيني وبينها

لأنه علينا أن نجد حلا للأمر فلا أريد التعاسة أكثر لهذه

المسكينة فهي لا تستحق شيء مما يحدث معها"

غادرت بعدها راكضة وصعدت لغرفتي أبكي بحرقة ، كذبة

عشت طوال الوقت في كذبة وأنا أضن أن من أنقذني من

هناك أدركني قبل أن يحصل شيء بل لا زلت أتذكر ذاك

الطيف في الظلام وذاك الرجل الذي لم أكن أتبين ملامحه

ولا صوته لأنني أفقت من إغمائي ووجدت نفسي في حضنه

في ليل أسود لا يرى منه إلا القليل والرؤية عندي كانت ضبابية

لكن كلماته كانت واضحة وهو يقول لي " لا تخافي لم يمسوك

بسوء وهذه الدماء من يدي لأنهم جرحوها"

كان يكذب إذا كذبوا علي وأوهموني أنني لازلت شريفة

لم يمسنني أحد ولو لم يأتي نواس ويتزوجني لكنت سأواجه

مصيرا أسود مع غيره لكن كيف علم نواس ووليد وهل أخوتي

يعلمون أم مثلي كذبوا عليهم بل كذب عليهم ذاك الذي أنقذني

بل من يكون ذاك وما صلته بنواس ووليد أم أنه واحد منهما

زادت عبراتي أكثر وخبأت وجهي في الوسادة وأنا أتذكر

كلامه وهو يقول أنه السبب فيما حدث لي ، لماذا يا وليد

لما أنت من بين كل من خلق الله من كتب ماساتي

*

اتكأت على ظهر السرير وسافرت بنظري للسقف وأنا أتذكر

كلمات نواس وعلاقة مفاتيحي تتدلى من بين أصابعه قائلا

"أليست هذه لك واختفت منذ وقت طويل"

نظرت لها بصدمة فتابع " هل تعلم مع من وجدتتها"

نظرت له بحيرة فأعادها لجيبه وقال " عند مي في صندوق في

خزانتها لم تفارقها حتى وقت مجيئها هنا زوجة لي فها أنا أقولها

لك يا وليد إن كان لك فيها حاجة فاسبق غيرك لها أو انتقيت أنا

من ستعيش معه حياة ستعوضها عما خسرتة ولن يكون من

ستتزوجه إلا من اختياري وبموافقتها وقدمها لن تعتب منزل

أهلها مجددا فحتى العدة يسقطها الشرع عنها لأنني لم أقربها"

أنزلت حينها رأسي وقلت " كل ما كان كان في نفسي فقط ولا

تعلم ولا حتى هي به ، سبق وصارحت عصام شقيقها أنني أريد

خطبتها ومتردد لأنهم سيرفضونني بالتأكيد لأنه لا مال لدي

ولا منزل وكنت أنتظر أن أكون نفسي بعلمي معك لكن بعد

الحادثة وأنا من أخرجها من ذاك المنزل وأعادها لهم لم تعد

لدي فرصة لذلك لأنني حينها كنت سأخسرهما أكثر وسيضنون

بي ولن يعطوها لي وسيقسون عليها أكثر"

قال بضيق " ولما لم تخبرني منذ البداية يا وليد تحبها وهي

مثلك وتخفي هذا عني كيف وهي ليست عادتك"

تهدت وقلت بهدوء " بادئ الأمر لم أخبرك لأنني لم أرد أن

تكلف نفسك لتوفر لي مسكن لأنني أعرفك جيدا ستسعى كل

جهدك لأتزوجها ثم حدثت تلك الحادثة المنكوبة التي جعلتني

أخرس لباقي حياتي خصوصا بعدما علمت بالوعد بينك ووالدها

فهل تضن أنني كنت سعيدا بذلك أقسم أنها نار تشتعل في داخلي

فقط لفكرة أنها تنام في حضن غيري وليس أي غير بل

أقرب صديق لي ومن أعده الأخ الذي لم أراه يوما"

عدلت جلستي على السرير وأمسكت رأسي بيدي ، لم تكونا

زوجين إذا يا مي لهذا سألتني ذاك السؤال في آخر يوم لي في

منزل نواس ، لهذا سألتني لما لم أرجع لخطبتك لأنك تعلمين

بأنك ستتركين نواس وكنت تعيشين على أمل أن يشعر بك

هذا المتحجر الذي لم يجلب لك سوا المشاكل أينما ذهبت

الآن عليك أن تكوني لي وعلى نواس أن يعيد تحريك أحجار

اللعبة ويرجعك لي ويجبرهم على قراره كما كان الاتفاق مع

عمها وعاصم فنواس فكر فيها جيدا حين طلب تحويل الوصاية

لعمها قبل أن يتزوجها ومؤكدا الآن نقلوها لعاصم

أخرجت هاتفي واتصلت بنواس فلن يهدا لي بال ويغض لي

جفن قبل أن تسوى الأمور ، جربت مرارا وتكرارا لكنه لم

يجب فأرسلت له (أريدها يا نواس وإياك وتسليمها لغيري

وسر ما حدث لها سيموت معي ولن تعلم بال)

*

*

وقفت عند سياج ساحة الخيول وهمومي أسود من هذا الليل

وسن التي بث أخاف عليها من النسيم لا يجرحها وتسوء

حالتها أكثر وأخسرها وأكون السبب ومن مي التي منذ قليل

مررت بغرفتها فكانت تبكي وتردد بحرقه " يا رب خذ

روحي وارحمني يا رب"

وحين دخلت عليها الغرفة نظرت لي بعينان محمرتان من

كثرة ما بكت فأوقفقتها ومسحت دموعها وقلت " مي توقفي

عن تعذيب نفسك أقسم وبي نفس أن أسعى جهدي لإسعادك

مع من تتمنين وأن يحصل كل ما تريدينه"

قالت بشهقة باكية " لن أخرج من هنا سأبقى هنا وفي

غرفتي أأست تقول ستحقق ما أريد"

قلت باستغراب " نعم قلت"

ارتمت على سريرها وقالت بعبرة " إذا أريد البقاء هنا ولن

أذهب لأي مكان لأنه أي مكان غير هذا سيكون جحيما

فلعلي أموت هنا يا نواس"

ضغطت بقبضة يداي على السياج بقوة وأنا في حيرة من

أمري فلن أجبرها على ما لا تريد وهي اختارت البقاء هنا

لكن وليد ماذا بشأنه ووسن وأسئلتها التي لا تتوقف وعهدي

لمي وسمعتها فلن أضمن حتى أن لا تتشاجر ووسن وتعيرها

ثم أنا عاهدت أهلها عهدا حرا ويكفي أنني كنت سأنقضه وقت

قررت أنني سأخبر وسن تلك المرة فما هي السنة باتت تقترب

وقد أطلقها وأزوجها بغيري ويبقى السر سرا وتحت التراب

ووسن ستنسى مع الأيام وستعدها ولو نزوة كما قلت لها

سمعت حركة من خلفي فالتفت بسرعة فإذا بها وسن واقفة

تنظر لي بصمت ثم أنزلت نظرها وقالت بنبرة طفولية

وإحراج " لما ابتعدت كثيرا هكذا خفت وأنا قادمة إلى هنا"

ابتسمت لطفلي وسن التي ظهرت مجددا ومددت يدي

لها وقلت بهمس " تعالي يا وسن"

رفعت نظرها لعيناي واقتربت بخطوات بطيئة فضمته

لحضني أقبل خدها في كل مكان فيه فقالت بهمس

"مازلت غاضب مني؟؟"

زدت من احتضانها أكثر وقلت

"لم أغضب منك منذ البداية يا غزالتني"

قالت بعد ضحكة صغيرة " قلتها لي أخيرا وأنا من

كنت أسمعها على لسانهم فقط أنك تقولها"

رفعت رأسي للأعلى وقلت " بلى كنت أقولها للجميع

عداك أنتي منتظرا أن أقولها لك في وقت كهذا الوقت

وأنتي في حضني زوجتي وملكي"

دست وجهها في صدري أكثر وقالت بحزن

" هل تحبني يا نواس"

أبعدها عني وأمسكت وجهها بيدي وقلت

"وتسألين يا وسن كل هذا وتسأليني هذا السؤال"

ابتعدت عني وتوجهت جهة السياج ووقفت عنده معطية

ظهرها لي وقالت " أخاف يا نواس أخاف أن يتكرر كل

ما كان وأنت لم تنسى حقدك علي"

ثم قالت بنبرة باكية " أقسم لو كان الأمر بيدي ما تركتك ساعة

في حياتي كنت مجبرة يا نواس ليتك فقط تفهم وتعذرنى"

توجهت نحوها وأحطتها بذراعي وضممتها من ظهرها

لصدري وقلت " لنتصافى إذا ونرتاح وسأعد ما

كان لم يحدث وأحاول نسيانه"

قالت بحزن " تحاول !! يعني أنك لم تنسى"

قبلت خدها وعنقها وقلت بهمس " أحبك يا وسن

أقسم وربى يشهد"

قبضت على يداي بيديها بقوة وأنا انتقلت لعالم غيبي

وانفصلت عن هذا العالم أقبل عنقها بشغف حتى قالت

بهمس " تصافينا في جانب وتركنا الآخر يا نواس"

ابتعدت عنها فالتفتت لي وفتحت فمها لتتحدث فوضعت

أصابعي على شفتيها ثم حملتها بين ذراعي وقلت

"دعينا ندخل عن هذا البرد فملايسك خفيفة"

*

*

دخل بي حتى غرفتي وأنزلني ونظر من حوله قائلاً

"أين ملايسي"

نظرت للأرض وقلت بحياء " في الخزانة"

ضممني لحضنه وقال " ولما كل هذا الخجل والحياء

وكأنك ارتكبت جرماً"

لم أجب ولم أعرف ما أقول فرفع وجهي له وأبعد خصلات

شعري للخف وقال ونظره على يده " علمي الليل معنى

أن لديك قطعة منه"

ثم نظر لعيناي وقال " بل قطعتين"

ثم انحنى لشفتي فأغمضت عيناي بهدوء وقلبي أشعر أنه

سيخرج ويقفز من ضلوعي من شدة خفقانه وتنفسي أصبح

يرتفع تصاعدياً كلما شعرت بأنفاسه تعبر مجرى تنفسي حتى

تلامست شففتينا فلم تكن سوا قبلة صغيرة وأبعد شففتيه فشهقت

بقوة أسحب الهواء ليعود لرنتي فضمني لحضنه وقال بضحكة

"نعم معك حق كانت صغيرة وبخيلة أنا أيضا لم تشبعني"

دسست وجهي في صدره وقلت بإحراج

"نواس أصمت"

قال بهمس " حسنا وبسرعة أخرجني لي ثيابا من التي

سرقتها وخبأتها في خزانتي لأنني سأستحم"

ثم قبل رأسي وابتعد عني ودخل الحمام وأغلقه خلفه وأنا أشعر

أنني تحولت لكتلة من الإحراج بسبب حماقتي تلك ، سمعت صوت

الماء في الحمام فتحركت مسرعة للخزانة وأخرجت له ملابس

داخلية وبيجامة ووضعتهما على السرير ثم جمدت مكاني ولم أعرف

ما أفعل وكيف أتصرف في نفسي نظرت لملابسي ثم عدت جهة

الخزانة وأخرجت بيجامة حريرية فليس هناك غيرهم لأنني مزقت

كل قمصان النوم والفساتين القصيرة تلك الليلة وحولتها لقطع

مشطت شعري ورششت من عطري فرأيت مقبض باب الحمام

يدور فرميت ملابس بيضاء فخرج بالمنشفة على خصره وقال

مبتسما وإحراج " استخدمت منشفتك نسيت أن

أضع واحدة مع الأغراض"

أنزلت رأسي للأسفل وقلت بخجل من هيئته هكذا

"لا بأس فجميعها لك"

توجه نحو السرير جلس على طرفه وقال

"لما لا تقربي لي ملابسني"

توجهت نحوهم بخطوات بطيئة رفعتهم واقتربت منه بارتباك

واضح حتى مددتهم له من بعيد ونظري للأسفل فمد يده وسحبني

من يدي لأرتمي في حضنه بشهقة مفزوعة فضحك وقال

"هل سنحتاج للحيل دائما"

حاولت الابتعاد عنه حتى جلست فأخذ الثياب من يدي ورمأها

جانبا وأمسك ذقني ورفع وجهي له فحولت نظري للحرق في

كتفه ومددت يدي ببطء حتى لامسته وحركت أصابعي عليه ثم

نظرت لعينييه فكان ينظر لي بهدوء ثم أمسك يدي التي تلامسه

بأصابعها ووضعها عليه وتنهد تنهيدة طويلة وقال " عمره عامان

وثماني أشهر يا وسن ، عمره ليلة أصبحت خطيبة لذاك

وأصبحت أنا أتقلب فوق جمر الجرح والصدمة"

ضغط بها عليه أكثر وتابع " كان هذا ما ضننت أنه سيبرد

حر تلك الليلة لكنه بقي يحرقني لعامين ، بقي كتذكار لتلك

المأساة كلما نظرت له"

تنفست بقوة وقلت بدمعة تتدلى من رموشي " لم تنسى يا نواس

ولن تنسى أبدا ، لو أعلم فقط لما تكابر على جرحك هكذا

وكأنك تجبر نفسك على تجاهله وليس حتى نسيانه"

نظر للأسفل وشدني لحظنه دون حتى أن يعلق على كلامي

وتنهذ بأسى قائلا " أاااااه يا وسن داوي الجراح داويها"

فنزلت دموعي وقلت بحرقة " أجبني على الأقل لما استبدلتني

بها لما تزوجتها لما أحرقت قلبي أقسم أنها كانت أكبر ضربة

قسمت بها ظهري ولا زالت تفعلها لليوم ، وآه يا نواس لو تعلم

عن نارها ما فعلتها بي ، أرح لي قلبي أخبرني لماذا وماذا تعني

لك إن كنت لا تريد التغاضي عن كل ما حدث مني ، إن كنت

لا تريد أن ترحم نفسك فارحمني على الأقل"

شدني لحظنه أكثر ولم يجب كعادته فأمسكت معدتي بقوة لأن

الآلام التي لم تزرها ليومين عادت لها اليوم فأبعد يدي بقوة

وقال بأسى " وسن يكفي وارحميني حتى في حضني تتعذبين

أشعري بي أنا على الأقل وارحمي نفسك ولو من أجلي"

وضع بعدها يده عليها ومسح بحنان وصوت همسه وهو

يقرأ عليها يصلني بوضوح ثم رفع يده وحضني أكثر

وقال " أين تضعين حبوبك لأحضرها"

قلت بهمس " أصبحت أفضل ولم أعد أحتاجها"

قبل رأسي وقال " هذا لأنك رحمت نفسك ، أنتي تري

بعينك يا وسن علاجك في يدك كما تعبك"

قلت بحسرة " لو كان في يدي ما مرضت من

أساسه فمن يتمنى لنفسه المرض"

مسح على ذراعي وقال بهدوء " أرحمي نفسك

إذا من أجلي يا وسن أرجوك"

قلت بهمس " لم تولمني منذ يومين"

أبعدني عن حضنه ورفع وجهي له وقال

" هل كانت تؤلمك يومياً !!"

أرخيت نظري وابتسمت بحزن وقلت " بل قل كم مرة

تؤلمني في اليوم وأحياناً لا تهدأ طوال النهار"

عاد لاحتضاني مجددا وقال بحرقه " سحقا لك يا نواس سحقا"

تمسكت بحضنه وقلت ببكاء " لا لا تدعي على نفسك

أنت آخر من بقي لي توقف عن قول هذا"

أبعدني عن حضنه مجددا ومسح دموعي وقال

"يكفي بكاء حتى متى سنعيش في الحزن"

ثم أبعده خصلات شعري عن وجهي وقال مبتسما

"كيف الحل مع هذه ؟ كيف ترين معها"

ضحكت ضحكة صغيرة غلبتني فقبل خدي وقال مبتسما

"نعم دعيني أرى وأسمع الضحكة التي ماتت منذ أشهر طويلة"

خيم الحزن على ملامحي وكنت سأقول أنت من قتلتها

حين ماتت ابتساماتك لي لكن قبلته المجنونة أوقفت

كل ذلك ككل مرة حين يقتل الكلمات على طرف

شفتاي كي لا تخرج

عند الصباح فتحت عياني وحاولت التحرك لكن ذراعه

التي تحضني لصدره منعني من ذلك وكل مناي أن أخرج

قبل أن يستيقظ ، حاولت سحب نفسي منه ببطء لكنه شدني له

أكثر فقلت بهمس " نواس أتركني إنه وقت الصلاة"

أبعد حينها ذراعه فاردا لها وعيناه ما تزالان مغمضتان

وغادرت أنا السرير بسرعة ودخلت الحمام استحمت

وخرجت فلم يكن في الغرفة ومؤكد صعد ليستمح ويدرك

الصلاة وأستغرب كيف له الجراءة يدخل غرفتها هذا الوقت

ليستمح عندها وأستغرب أكثر لا مبالاتها فيبدو لم تصب

بداء الحب لما كانت قبلت ولا بوجودي هنا

صليت ولبست فستانا خريفيا لنصف الساق وجففت شعري

وجمعه للخلف لتتساقط خصلاتته من الأمام فأبعدتها مبتسمة

لتذكري لكلامه عنها ثم سرعات ما شعرت بغصة في حلقي

وماتت ابتسامتي ، لا أعلم لما لا أستطيع تجاهل ما حدث وأنه

متزوج بها وأن لها فيه ما لي وقبلي ، لا أعلم حتى متى سيكسر

هذا الأمر سعادتي ، ضمنت وجهي بيدي وبدأت بالبكاء وقلت

بحرقة " كيف أنسى هذا وأتجاهله كيف ؟ أقسم أنني تعبت"

بدأت أشعر بالآلام في معدتي وعضلاتها تتقلص فمسحت

دموعي وأبعدت كل ذلك عن تفكيري وتركت المجال فقط

للحظات السعيدة لي معه ليلة البارحة فهي كانت مختلفة

حتى عن سابقتها كل كلماته كانت مشبعة بالشوق والعشق

وأرضى الأنثى بي لأقصى حد

خرجت بعدها من الغرفة وتوجهت للمطبخ ، كان المنزل هادئا

ولا حركة حتى لراضية ، دخلت المطبخ وفتحت الثلاجة أخرجت

العصير وحمصت بعض الخبز فعليا الذهاب للجامعة مبكرا ، نظرت

بعدها جهة الباب الخارجي للمطبخ وتوجهت نحوه وفتحته ليدخل

منه ضوء النهار والهواء البارد ، لما يتركونه مغلق دائما كم

غير هذا في كآبة المكان فالمنزل لا يدخله النور الطبيعي أبدا

ولا هواء نسائم الفجر الرطبة الجميلة وأصوات سهيل الخيول

وقفت عند الطاولة مولية ظهري له أضع الخبز في الطبق

فشعرت بذراعان طوقا خصري لأشهب مفزوعة على صوت

ضحكة نواس قائلا " تفتحين الباب ولا تتوقعين دخولي"

رفعت شعري خلف أذني أخفي ارتباكي وقلت بشبه

همس " وما يدريني أنك ستدخل منه"

قبل خدي وقال " لم أكن استخدمه في السابق وظننتها

راضية وكنت سأوبخها لأنني أمنع عليها فتحه"

قلت بهدوء " ولما !! الهواء الذي يدخل منه منعش والبحر

قريب جدا من هنا استنشق رائحة الملح وكأننا عند الشاطئ"

شدني له أكثر وقبل خدي مجددا وقال " أعلم لكني لا أريد

لأعين العمال أن ترى غزالتني وهي هكذا"

لذت بالصمت ولم أعرف ما أقول فإن كان العمال يسلكون

هذا الطريق فمعه حق ، انتقل بعدها لعنقي وبدأ يقبله قبلات

متتالية وكأنه انفصل عن المكان والواقع ليزيد إرباكي وارتجاف

أطرافي لحظة دخول مي علينا فشعرت أنني أصبحت والكرسي

أمامي سواء وأرخيت نظري للأسفل ونواس على حاله ولم ينتبه

لها فقلت بهمس أحاول الابتعاد عنه " نواس توقف عن هذا"

فرفع رأسه حينها ونظر لمي التي اتجهت للثلاجة قائلة

"صباح الخير"

فأجاب عليها ولازال يمسكني من خصري وظهري

ملتصق بصدره ثم عاد يقبل خدي وهي خرجت بقارورة

الماء دون أن يهتم أحدهما لأمر الآخر وخصوصا نواس

ونحن في هذا الوضع ولم يسألها حتى عن ألم رأسها

فملاحها تبدا متعبة جدا

ابتعدت عنه بصعوبة وقلت بتذمر " نواس ما هذا

الموقف الذي وضعتنا فيه"

أمسك بذراعي وسحبني نحوه وأمسك وجهي بيديه قائلا

"وما في الأمر زوجتي وحلالي"

أبعدت يديه وقلت " وهي هل ستفعل هذا معها أمامي"

نظر لي بصدمة من كلامي فوضعت أصبعي على شففتي وقلت

بحرقرة وعيناى تمتلئ بالدموع " إياك وفعلها أمامي يا نواس

أقسم أن أفقد عقلي إن فعلتها"

قال بصدمة " وسن ما هذا الذي تقولينه"

نزلت أول دمعة وقلت " لا تنهي قتلي بها يا نواس أقسم

أنه حتى تخيلها يحرق لي قلبي قبل أحشائي"

ثم غادرت المطبخ راكضة حتى وصلت غرفتي وارتيمت على

السريير واحترق معدتي هذه المرة لا مزاح فيه ولا تهاون ليخرج

أنيبي رغما عني فسمعت خطواته داخلا للغرفة ثم جلس بجواري

على السريير وقلبني على ظهري قائلا بحدة " وسن يكفي لن

يحدث ذلك أبدا ولن تريه فتوقفي عن تعذيب نفسك"

أمسكت خصري بقوة وتكورت على نفسي فصرخ قائلا

"وسن يكفي توقفي قلت لك واطردي هذه الأفكار من

رأسك فأنا وم"

فقطع كلامه صوت راضية وهي تدخل راضية وقالت

" ما بكما ما بها أفزعتنا بصراخك ومي في

أول الممر مشغولة عليكما"

نزلت دموعي وبدأت بالبكاء فأمسك ذراعي وأجلسني

وضمني له وقال " كل شيء بخير لا تقلقا"

فخرجت حينها وزاد هوا من احتضاني أكثر حتى

خف بكائي وابتعدت أنا عنه وقلت

"تأخرت على ملاك أريد الذهاب لجامعتي"

أمسك يدي وقال " وأنتي متعبة هكذا"

هزرت رأسي بلا وقلت " سأكون أفضل"

وقف وقال مغادرا الغرفة " غيري ملابسك وأنا من سيوصلك"

وخرج دون أن يسمع حتى رأيي في الأمر

*

*

خرجت من غرفتها وكأني أجنبها رؤيتي بل أجنبها أي شيء
يزيد من أوجاعها ، لما لا تساعدني يا وسن لما لا تفهمي أنني
لا أريد أن أخسرك ، أخسر نفسي أخسر حياتي لكن لا تطلع
عليها شمس صباح لست فيه ، الجراح نجتازها الماضي قد ننساه
لكن الفقد ما الذي يعوضه بل أن تموتي أمامي بالعرق وأنا أتفرج
لأنه لا حيلة لدي ، هزرت رأسي أتردد حتى التفكير في الأمر
ومررت بمي واقفة في بداية الممر فقالت " نواس"
وقفت والتفت لها فقالت بقلق " ما بكما كنتما منذ قليل
بأفضل حال ما جعلك تصرخ عليها هكذا"
نظرت للأرض وقلت بهدوء " لا شيء يا مي لا
تقلقي وسأوصلها الآن لجامعتها"
قالت بعبارة " لما حدث ما حدث بعدما دخلت عليكما في
المطبخ أقسم لو كنت أعلم أنكما هناك ما دخلت"
قلت بتذمر " مي توقفي عن إلقاء اللوم على نفسك"
فغادرت بخطوات راکضة وهزرت أنا رأسي بقلة حيلة ثم
خرجت لسيارتي ، ما أفعل معكما أنتما الاثنان ؟ لا مي
أسعدتها كما وعدتها ووعدت نفسي ولا وسن أنقذتها من

دنو الورم منها ، قد يكون الحل أن افصل الطابقين وأجعل
مطبخا للطابق العلوي وخادمة وسلام خارجي لتنفصل عنها
علها ترتاح وترحمني ، لكن هذا أيضا ستضع له احتمالا واحدا
وهو أنني أريد إبعادها هي عن مي وليس فصل مي عنها
ركبت السيارة وأغلقت بابها بقوة واتكأت على المقود وأشعر
أن هموم حياتي كلها في كفة وهمي الآن في كفة لوحدها وأنا
أفكر في الطريقة التي تتوقف بها أوجاعها حتى أنني كدت
أرتكب حماقة جديدة وسأخبرها مجددا بطبيعة وضعي مع مي
متناسيا مشاعر مي وحقها كزوجة علي أن اكنم ما قد يجرحها
لو فقط وسن تقدر الوضع وترحم نفسها وترحمني ، آآآه هل
ستضحك على نفسك يا نواس وتضع اللوم عليها وأنت من لم
تستطع ولا تزويجها بغيرك فتخيل أن يكونا أمامك ، شعرت
بباب السيارة انفتح فرفعت رأسي ونظرت لها تتركب الكرسي
بجانبي وأغلقت الباب دون أن تنظر لي ولا تتحدث ويدها
تحتضن حقيبتها ومذكرتها التي في حجرها فشغلت السيارة ثم
أطفأتها مجددا فنظرت لي باستغراب فألتفت بجسدي ناحيتها

وأمسكت يدها وقبلتها ودستها في حضني وقلت

"ما الذي يرضيك ويوقف أوجاعك شوري به علي

وأنفذه هل تريدي أن يكون منزلك وحدك"

امتلت عيناها بالدموع التي تكابدها كي لا تسقط وقالت

ببحة بكاء " أريدك لي وحدي لا أحد يشاركني فيك"

ضغطت على يدها بقوة ولم أعرف ما أقول ثم رفعتها

لشفتاي وقبلتها مجددا ووضعتها على قلبي وقلت " أنتي

هنا يا وسن في قلبي وأقسم أنه ولا واحدة تشاركك فيه"

سقطت دمعته وقالت بأسى " ومي أجب عن

هذا السؤال وارحميني"

أنزلت رأسي للأسفل وقلت " مي فرضتها ظروفني

يا وسن لا أنتي ولا أنا السبب في وجودها"

ثم رفعت رأسي لها وقلت " ضعي نفسك مكانها تتزوجين

برجل يتزوج بأخرى هل ترضي أن يرميك من أجلها"

هزت رأسها وقالت بعبرة تتقاطر معها دموعها " ضع أنت

نفسك مكاني ولتضع هي نفسها فيما أنا فيه ، أنا أحبك بجنون

يا نواس هل تعي معنى هذه الكلمة أعشقتك ولو الأمر بيدي

لا يشاركني أحد في حزنك ولا حتى خيولك"

أمسكت وجهها بيدي وقبلت جبينها وقلت بحزن " لا أحد

يأخذ الحنان والحب من حضني مثلك يا وسن ولا حتى خيولي

ولا كل نساء الأرض قدري ظروفى يا وسن أرجوك"

دست وجهها في صدري وقالت بيبكاء " أفهمنى السبب إذا

أقنعنى بالشىء الذى لم تقتنع أنت به لسنوات لا حين صرت

خطيبة لخالد ولا حين كنت سأصير زوجة لسليمان أخبرنى

كيف أرى بما لم ترضى به أنت ، كيف أقنع بما عجزت

عن أن أفهمه لك فى أكثر من عامين ارحمنى

أنت يا نواس وقدر مشاعرى"

حزنتها بقوة ولم أعرف ما أقول هل أقول لها اصبرى قليلا

وسأطلقها ومي طلبت منى البارحة أن لا أخرجها من هنا أم

أخبرها بما بينى وبينها وسبب زواجى بها وأنقض العهد ، لا

أستطيع فعلها الموت أرحم لى من ذلك ، أبعدتها عن حضنى

ومسحت دموعها وقلت " يكفى يا وسن يكفى أرجوك

كم مرة سأقولها وأترجأك"

مسحت دموعها واستوت في جلستها على كرسيها وساد

الصمت سوا من صوت شهقاتها الصغيرة فقلت بهدوء

"لا داعي لأن تذهبي للجامعة اليوم"

هزت رأسها بلا وقالت " لا يمكنني التغيب هذه الفترة"

تهدت بقلة حيلة وشغلت السيارة وخرجنا ولم نتحدث باقي

الطريق لأنني أمضيتها أجيب على اتصالاتي من أجل الخيول

التي سيتم نقلها اليوم والبضائع التي سنتزل الميناء حتى وصلنا

جامعتها ونزلت في صمت وطلبتُ من السائق إرجاعها للمنزل

فيما بعد ولم أرجع له باقي النهار ونمت في غرفتي في منزل

والدتي وعند الصباح توجهت للمزرعة ولم أدخل المنزل

توجهت للإسطبلات فوقف ووليد ما أن رأيي وقال

"هل نتحدث الآن فيما تركناه معلقا"

قلت مجتازا له " ليس الآن حتى أتحدث معها أولا"

وأمضيت هذا النهار كسابقه ولم أدخل المنزل ولا من

أجل تناول الطعام لأنني إن دخلت ستسحبني قدامي لها وستفتح

ذات الموضوع وتبكي وتتعب نفسيتها وإن تجنبتها ستكون

النتيجة واحدة فالأفضل أن أجنبها رؤيتي في كل الأحوال

حتى أجد حلا لكل هذا

*

*

نظرت لرسالته للمرة العاشرة الرسالة التي أرسلها صباح اليوم
وجعلتني مخدرة لباقي النهار (لم يُعلم الصباح أحبتي أن يشتاقوا
فلمت على الصباح فقط كي لا ألوم عليهم اشتقت لك غزالتني)
ضممت الهاتف لحضني وأنا أشعر حقا بالاحتياج والفقد والشوق
فيومان أصبحا عبئا كبيرا على قلبي لا يحتملها كما في السابق فهذا
الرجل يعرف كيف يجعلني أعشقه كل يوم أكثر لأكتشف أن عشق
القرب أقوى مئات المرات من عشق البعد ، رميت الهاتف على السرير
وأخذت وشاحا خريفيا ولففته على جسدي فالجو هنا يبرد كثيرا في
الليل وخرجت من غرفتي وعبرت الممر الطويل حتى صرت في
وسط المنزل ودخلت المطبخ وفتحت النافذة ونظرت منها فكانت
سيارته ما تزال هنا فخرجت منه بسرعة أفكر أين سيكون الآن
فكرت أن أراه من نافذة غرفتي لأعلم إن كان هناك كما تلك الليلة
أو في شعرت بقلبي انقبض فسرعان ما أبعدت تلك الأفكار

من رأسي واتجهت جهة باب المنزل وأنا أتمتم " ليس معها ليس

في الأعلى نواس يحبني أنا أجل قالها أنا وحدي في قلبه"

وصلت للباب وكدت أموت فرحا حين وجدته مفتوحا وهذا إن

عنا يعني شيئا واحدا أن نواس في الخارج ولم يدخل ، فتحت

الباب وخرجت أخطو الخطوات ألف حول المنزل حتى صرت

عند ساحة الخيول ولم أجد أحدا فتحركت في المكان وكان الظلام

حالكا والوقت متأخر ولم أعرف أين أبحث أيضا حتى شعرت

بحركة في الجهة المظلمة فشعرت بالخوف فعدت راکضة

لتمسك يد بذراعي وسحبتي لأرتفع عن الأرض صارخة بخوف

لتسكتني الشفاه التي همست لي " ما أخرج غزالتني هذا الوقت"

لأكتشف أنني بين ذراعي نواس الذي حملني عن الأرض

وضم رأسي لحضنه فتعلقت بعنقه وقلت بهمس

" أخفتني جنت من أجلك طبعاً"

سار بي نحو كراج سياراته قائلا " ولما لم تتصلي بي لتري

إن كنت هنا أو لا أو حتى رسالة أين أنت اشتقت لك هل

أنت بخير معقول زوجة مهمة هكذا"

كان وجهي مختبئ عنه أدسه في عنقه متشبثة به ولم أعلق
على كلامه حتى أنزلني لأجد نفسي أمام سيارته الصحراوية
فنظرت له بحيرة ففتح بابها الذي بجانب السائق وقال

"اركبي ... قليلا وسأعود"

خرجت ركضا ونزلت السلالم متوجها ناحية الباب فأوقفني

صوت والدتي تناديني فقلت بصوت مرتفع

"سما تركت المنزل يا أمي عليا أن أبحث عنها"

وخرجت ولم أسمع حتى ما كانت تقول ، ركبت سيارتي

وانطلقت أجوب الشوارع أبحث عنها فأين ستذهب في وقت

متأخر مؤكد سلكت الطريق على قدميها ، بحثت كثيرا وبلا

فائدة ويبدو أنني أضيع الوقت ليس إلا فرفعت هاتفي واتصلت

بجابر وكل مناي أن لا يكون نائما وهاتفه على الوضع

الصامت لكنه أجاب فوراً وقال " ما بك يا نزار تتصل الآن"

قلت من فوري " سما تركت المنزل منذ أكثر من ساعة ولم" ...

قاطعني بحدة " كيف هكذا يا نزار اعتمدت عليك في

حميتها ماذا إن اختطفها أحدهم ولم تغادره"

قلت بضيق " أنا لم أقصر في حمايتها وما يدريني تخرج

هكذا لكنت أغلقت عليها الباب كلما خرجت"

قال بحزم " خرجت أم أخرجوها يا نزار"

قلت بجديّة " بل خرجت لأنها أخذت صورة عائلتها معها"

قال بضيق " لم تأخذ ثيابها ولا حليها ولا أموالها

فما يدريك أن تكون هي من خرجت"

تنهدت وقلت " بل خرجت لأنها كانت غاضبة مني ومجروحة"

قال بحيرة " ما معنى ما تقول"

قلت باستعجال " ليس وقته الآن أنا عند قبو منزلهم إن

لم أجدها هنا سأتصل بك"

قال من فوره " بل تأتي هنا في مكثي في الحاليتين

وسأبلغ رجالي ليبدءوا البحث عنها"

أنهيت الاتصال منه ليرن هاتفي برقم والدتي فأجبت

عليها وأنا أنزل من السيارة فقالت " نزار ماذا حدث

كيف تتركني مشغولة هكذا"

قلت وأنا أدخل بين الأشجار " سما سمعت حديثي معك ثم
جاءت دعاء ولعبت الفصل الأخير من لعبتها لذلك طردتها
وسما تركت المنزل والباقي نتحدث فيه فيما بعد فأنا

الآن عند قبو منزلهم"

قالت مباشرة " بالرفق عليها بني الفتاة تحبك ومجروحة

منك فلا تأخذ على كل ما ستقول"

قلت وأنا أبحث عن زر الباب " أعلم أمي وداعا الآن"

أنهيت الاتصال معها وأعدت هاتفي لجيبي وتوجهت ناحية

الباب الذي فتحته ونزلت وشغلت المصباح في هاتفي لأنني

لم أفكر أن أحضر مصباحا ، سرت حتى وصلت القبو فكان

مظلمًا تمامًا فبدأ خوفي يزداد ، أيعقل أنها ليست هنا أين

ذهبت إذا ! توجهت جهة مفاتيح الإنارة وشغلته لأفاجئ بها

في مكانها السابق تجلس محتضنة ساقها وتخفي وجهها فيهما

فتوجهت نحوها مسرعا ونزلت عندها ووضعت يدي على

شعرها وقلت بهدوء " سما كيف تقلقيني عليك هكذا"

حضنت ساقها أكثر وقالت بعبرة " طفلة ولا أعرف

كيف أفكر ولا أتصرف أليست هذه حقيقتي"

أغمضت عيناى بقوة ونفت نفسا حارا ثم فتحتهما

وقلت " ومن قال هذا أنتى بعقل فاق حتى الراشداة"

قالا بحرقا " بل أنت قلاها مرأهقا ومن فى سنى لا

ىعرفون سوا المظاهر والغرامىا أما دعا فتعجبك

كأىرا حد أن "

وبداة بالبكا بنأىب ىقطع القلب فأمسكا كلفىها وقلتا

"أوقفى عن البكا ىا سما فدعا لم تعنى فى

الماضى لألأفا لها الآن"

رفعا رأسها ونظرا لى بعىان مرهقاان وأفنان

مأمران من كأرا البكا وقالا بأسى " ولا أنا أعنىك

فارأل وأراكنى وأدى"

فأأا فى لأأأا لىوقفى صوا أرق بعصا فى سقا

القا لآناأضا سما واقفا وأسقا صورا عائلاها من أأرها

وىأأم زأاأ البرواز ووقفا أنا معا من الصأما والمأأاأا

وأمسكا سما فىها وبداة بالارأاأا من البكا والأرق

ىأأرب منا وىأأا وارأاأا ىزأاأ أكثر فأأأاها لى

وحضنتها دون أدنى تراجع أو تفكير وكل ما فكرت فيه
وقتها أن ألمم ارتجافها وأشعرها بالأمان فطوقتها بذراعي
وأنزلت رأسي لها وقلت بهمس " لا تخافي يا سما لن

يصلوا لنا توفقي عن الارتجاف"

قالت بصوت مرتجف ضعيف " ها هم كما

أخبرتكم جاءوا لأخذي حيث عائلتي"

قبلت رأسها وقلت بحنان ماسحا على ظهرها

"لن يفعلوها أموت أنا دون أن يحدث ذلك"

تمسكت بي أكثر ولم أعرف كيف أتصرف الهواتف لا

تعمل تحت الأرض ولا يمكننا الخروج حتى يغادر من في

الأعلى ، لو أجد طريقة أصل بها لجابر فحتى الصعود مستحيل

فقد يكونوا مجموعة أو مسلح حتى إن كان واحدا ، بعد قليل

اختفى الصوت وابتعدت عني فقلت " سأؤكد إن كانت

الطريق أمان وعلينا أن نخرج من هنا"

قالت بشهقات متتالية " لن أخرج لأي مكان"

تأففت ونظرت للجانب الآخر كي أهدئ نفسي أكثر فوصلني

صوتها الحزين قائلة بأسى " وتريد تزويجي يا نزار تعلم عن

مشاعري نحوك وتريد أن تتخلص مني ، ليثني لم أحبك يوماً"

نظرت لها بصدمة فابتعدت وجلست بعيدة عند أحد الجدران

وعادت لجلستها السابقة فرفعت الصورة من الأرض وتوجهت

نحوها ومددت يدي لها وأمسكت يدها وقلت " أخرجني معي

يا سما وسنتحدث عن كل هذا أقسم لك"

هزت رأسها بلا بقوة وقالت ببكاء " لا أريد أن أسمع شيئاً

أتركني وحدي كما كنت لماذا أخرجتني من هنا لماذا

أخذتني للعيش معك لماذا تعرفت عليك لماذا"

تنهدت بحيرة ثم غادرت وتركتها حتى خرجت من القبو

وابتعدت عنه بضع خطوات من أجل حمايتها فليمسكوني

وحدي المهم لا يجدوها ، أخرجت هاتفي واتصلت بجابر

فأجاب من فوره قائلاً " أين أنت هاتفك خارج التغطية

رجالي يطوقون المنطقة ، ماذا حدث معك"

قلت بصوت منخفض " وجدتها في القبو ورفضت

الخروج معي وعاد ذلك الشخص وطرق وسمعته

بأذني فلم يعد في الأمر أي شك"

قال باستعجال " قادم لكما حالا لا تخرجها من هناك حتى أصل"

التفت للخلف حيث الباب وفكرت أنها قد تخرج من باب

المنزل لكن مستحيل ستخاف من ذاك الذي يطرق في

الأعلى ، عدت أدراجي ونزلت لها هناك ووجدتها مكانها

ولا شيء ولا حتى بكاء تخفي وجهها عني في ذراعيها

ويبدووا تصر على عدم المغادرة وهذا ما سيسبب لنا مشكلة

مع جابر ، خرجت مجددا أنتظره لأنه لا يمكنه أن يدخل

للقبوا ولا الاتصال بي وأنا هناك ، وقفت في أبعد مكان

أرى منه فتحة القبو تحسبا لأي طارئ ولتكون أمام ناظري

إن خرجت حتى شعرت بيد أمسكت كتفي فقفزت مفزوعا

وإذا به جابر ومجموعة لا بأس بها من رجاله وقال بهمس

"لا زالت في القبو؟؟"

هزرت رأسي بنعم فقال " علينا أن ندخل المنزل من هنا

ستكون فكرة غبية أن ندخله من الخارج لعنا نجده في الداخل"

هزرت رأسي بحسنا وتحركت وهم يتبعوني حتى نزلنا

لأسفل ثم التفت له وقلت " هل المنطقة آمنة يا جابر

هل خروجها فيه خطر عليها"

أمسك كتفي وقال " لا تقلق المنطقة مؤمنة بالكامل والرجال

في كل شبر منها وسترى ذلك بعينك وماداموا لا يعرفون

شكلها فهي في مأمن منهم"

هزرت رأسي بحسنا وقد شعرت بالارتياح فسحبني بعيدا

عن رجاله وقال بهمس " ماذا حدث يا نزار"

تنهدت ثم أخفضت رأسي وحكيت له مختصرا قدر الإمكان

فأن يعلم ونحن هنا أفضل من أن يذهب لها ويصرخ عليها

قال بعدما انتهيت " وأنت"

رفعت نظري له باستغراب فقال " أنت ما شعورك ناحيتها"

هزرت رأسي بلا وقلت " هذه الفتاة يا جابر بيني وبينها

مسافة طويلة لا نحن من نفس العالم ولا العمر"

نظر جانبا وقال " أفهمك يا نزار لا تشرح لي وأعلم

مثلك عن عائلتها وأعدرك"

ثم ركز نظره على عيني وقال " لكنك بهذا تظلم

نفسك قبلها وتعذب قلبك أكثر منها"

أبعدت نظري عنه وابتسمت بحزن قائلا

"فهمتها دون جواب يا جابر"

ربت على كتفي وقال " لن أكون جابر ولن تكون

صديقي إن لم أفهمك ومنذ يوم طلبت أن تزوجها"

رفعت نظري له وقلت " وما قصة هذا الذي يطرق"

تحرك حينها قائلاً " دعنا ندخل له ثم نتحدث"

سلكنا الممر حتى وصلنا القبو وكانت سما مكانها وعلى

حالتها فغمز لي جابر ناحيتها وقال بهمس " ليلاك تبدوا في

حالة سيئة وأراك تستحق ذلك تجد تلك في حضنك وتريد

منها أن تعذرک وتقبل أعدارك"

قلت بضيق " جابر ليس هذا وقت سخريتك مني"

ضحك وابتعد عني قائلاً " سحقاً للحب يا رجل ضعنا معاً"

فتأففت وهزرت رأسي ، يتحدث بحرية ولا يحسب حساباً لأن

تسمعنا وتضنه يتحدث عنها ، أشار لي ففتحت الباب لرجاله

وصعدوا للأعلى واقترب هوا منها وأنا أتبعه حتى وقف أمامها

وقال " سما أين تريدين الذهاب وأنا آخذك حالا لكن هنا لن تبقي"

ضمت نفسها أكثر وقالت بحزن " لا مكان لي غير

هذا فاتركوني هنا"

نظر لي ثم لها وقال " أخبريني من كدرك هكذا

وسيكون الليلة في السجن"

نظرتُ له بضيق وقلت هامسا " منذ متى هذا الحنان سيد جابر"

قال بابتسامة جانبية " لم ترى شيئا بعد يا منحوس فالنساء

إن أحبين وجرحن يتحولن لشيء لا يوصف اسمعها من مجربا"

ابتسمت له ابتسامة شامتة ليفهم قصدي فقد فهمت معنى كلامه

فلكمني على خدي وقال " شتان بيني وبينك فلا تنسى"

ثم نظر لسما وقال " أخبريني من يكون فقط وستري أفعالي"

قالت بعبرة " نزار وحبيبته"

فتحت عيناى على اتساعهما من الصدمة وجابر رد لي نظرتي

الشامتة فنظرت له ببرود ثم نظرت لسما وقلت بضيق " سما هي

ليست حبيبتي ولم أحبها يوما فارمي هذه الأفكار من رأسك"

أوما لي جابر برأسه وقال " هيا أعطهم اسمها كاملا

هناك والليلة تكونان في السجن"

قالت سما حينها " لا تسجنوهما معا"

فضحك جابر ولم أستطع أنا إمساك ابتسامتي ، كل ما فكرت

فيه أن لا أكون ودعاء في زنرانة واحدة ما أنقى قلبك يا

سما لبت كل البشر مثلك ، وصل رجال جابر لنا وقال

أحدهم " لم نجد أحدا سيدي"

هز رأسه بحسنا فنظرت له وقلت " اختفى"

قال بجدية " بل وقع بين أيدينا وليلة غد يكون في قبضتي"

ثم التفت لرجاله وقال " ما أن نخرج من هذه المنطقة تخلو

المكان ويعود كل شيء لطبيعته وليلة غد سنقضها هنا

في منزل سما في الأعلى ونستقبل زائر الليل"

قلت بحيرة " وما يدريك أنه سيأتي"

دفعني بسبابته من رأسي وقال " عداد الكهرباء يا ذكي

به يعلم أن ثمة من في المنزل وشغل الأضواء ولأن

المنزل مظلم خمن أنه سيكون ثمة قبوا فيه"

نظرت له بصدمة وقلت " رائع كيف خطر هذا في بالك

صحيح عداد المنزل لن يعمل إلا في حالة استهلاك

الكهرباء في داخله ولأنه في الشارع فما أن يمر

أمامه سيعلم إن كان يعمل أم لا"

هز رأسه بنعم وقال " ولهذا لم يدخل طيلة المدة الماضية

وأنا من غبائي لم أفكر فيها"

قلت مبتسما " كل هذا تقول عن نفسك انك غبي"

نزل حينها عند سما ورفع وجهها له وامسك ذقنها وقال بهدوء

" آخذك لمنزلي حيث زوجتي وأبنائي ولن ترجعي مع نزار حسنا"

قلت من فوري " لا تعرضها للخطر يا جابر"

وقف وقال " القصر مزود بحراسة مشددة ولن يصلوا لها"

قلت " لكنهم بهذا قد يعلموا بوجودها وإن لم يصلوا لها وليس

عليك أن تتق ولا في حراسك فهم في النهاية بشر ياستهويهم المال"

ابتعد بي عنها وقال " نزار ماذا تريد بالتحديد"

قلت بضيق " ابتعد عنها وأبعدها عنك"

قال بابتسامة جانبية " ولما"

تأففت وقلت " أعلم أنك تفهمني بدون أن أتحدث"

اتسعت ابتسامته وقال " تريد أرضائها يا صعلوك"

قلت بغل " جابر أتركها عندي قلت لك"

ضحك وسحبني معه ناحيتها وقال موجه حديثه لها

" ما رأيك في أن نرجعك لمنزله وسأضعه في السجن فيبدووا

أن قضيتك ستفرج قريباً ونرجعك لأهلك ونخرجه حينها"

نظرت جانباً وقالت " خالتي ستحزن عليه ولا

أريدها أن تتعب وتتعب "

قال " والحل إذا"

وقفت وقالت " هل وجدت عائلتي"

نظر لي ثم لها وقال بحيرة " ولما خمنت ذلك"

قالت " من كلامك منذ قليل عن أنك ستعيدني لهم قريباً"

قال مبتسماً " هل هذا ذكاء منك أم غباء مني أنا"

قالت بهمس " لا أعلم"

أمسكها من كتفها وقال " بلى وجدتكم ومن قبل أن

أجدك ولا يمكن إرجاعك لهم الآن يا سما"

قالت بأسى " ولما أليسوا عائلتي"

أبعد يده عنها وقال " نعم لكن بذلك ستظهر شخصيتك

الحقيقية فقد يكون ثمة من يراقبهم وسيأخذونك منهم

في لمح البصر ويكل سهولة"

قالت بحزن " وما بقي لي إذا غير الشارع"

قال بجديّة " عودي لمنزله وستغادرينه قريباً أعدك"

قالت بتشكك " حقا تعدني "

ابتعدت عنهما حينها لأنني لم أعد أحتمل تمسكها بالمغادرة
بعيدا عني فها هي أصبحت لا تريد حتى رؤيتي وأستحق ذلك
خرج حينها وهي تتبعه ورجاله خلفهم فهزرت رأسي ولحقت
بهم حتى صرنا في الخرج وقال " تغادرين معه أم أوصلك أنا "

نظرت للأسفل وقالت بهمس " بل معك "

ضحك حينها بصمت وغمز لي فنظرت له بضيق وغادر
وهي خلفه فغادرت جهة سيارتي وركبتها وغادرت لكني
لم أرجع للمنزل بل اتصلت بوالدتي لتعلم بالأمر مني أنا
وليس كما فهمته سما فوالدتي الشخص الوحيد الذي يمكنه
التأثير عليها ، حكيت لها مفصلا أما هي فكانت تستمع لي
دون أن تناقش أو تقاطعني كعادتها حتى أكملت كلامي فقالت
" اتركها عليها تنسأك وهذا ما تريده أنت أليس كذلك "

قلت بضيق " أمي ما هذا الذي تقولينه هل يرضك أن "

تأخذ تلك الفكرة عني وهي غير صحيحة "

قالت ببرود " ولما لم تحكي هذا لها هي "

قلت بتذمر " لم تسمع مني خروجها من عندنا فيه خطر

عليها يا أُمي ففكري في سلامتها على الأقل فهي

لم تعد تريد البقاء معي"

قالت باختصار " سأرى سأرى ها هو الباب

انفتح لا بد وأنهما هي وجابر"

ثم أغلقت الخط ورميت الهاتف جانبا واتكأت على المقود

وكل ما حدث اليوم يمر أمامي كالشريط

*

*

انفتح الباب وأنا أنتظر حتى دخلت سما بملامح متعبة

وحزينة يتبعها جابر وركضت نحوي وارتمت في

حضني تبكي وسلم عليا جابر وقال " كيف حالك"

قلت مبتسمة وأنا أمسح على شعر سما

"بخير بني أين أنت لا تتذكرني ولا بزيارة"

قال مبتسما " لو وجدت وقتا ما بخلت بها عليك"

ثم قال مغادرا " لتكن في أعينكم يا خالة فخروجها

قد يكون فيه هلاكها وسأضع عليكم حراسة"

ثم غادر ولم نسمع سوا صوت إغلاقه للباب فمسحت

على شعرها وقلت بحنان " يكفي بكاء يا ابنتي "

قالت بعبرة " أريد والداي أريد أن اذهب لهما "

أبعدتها عن حضني وقلت " سما ما هذا الذي تقولينه

هل يرضيك أن تغضبي الله منك "

قالت ببكاء " يحبها هي خالتي وتعلمين أنه يعلم

عني ولم تخبريني "

مسحت دموعها وقلت " لم أكن أريد لك العذاب يا

صغيرتي ثم دعاء لا يحبها ولا يريد لها "

هزت رأسها بلا وقالت " بلى رأيتهما بعيني "

حضنت يدها بين كفاي وقلت " تمثلية منها لتبعدك عنه فأنتي لا

تعلمي ما حدث بعد صعودك وسمعتة أنا وهو يطردها من المنزل "

نظرت لي بعدم تصديق ولا اقتناع فتنهدت وحاولت أن أفهمها ما

حدث كما حكاه لي لكن دون أن أخبرها أنه من أخبرني بكل

هذه التفاصيل فقط ما حدث في المطبخ وهي تستمع لي وكل دمة

تلحقها الأخرى حتى فطرت لي قلبي فمسحت على خديها وقلت

"يكفي يا سما لو لي رجاء عندك يكفي بكاء"

مسحت عيناها ووقفت وغادرت الغرفة وصعدت للأعلى

دون حتى أن تعلق على ما حكته لها ونزار لم يرجع تلك

الليلة واتصل بي ليخبرني أنه سيقضيها خارج المنزل

ومرت عدة أيام ولم يأتي نزار سوا ليلا وخلصه ليري ما

يحتاج المنزل ولا يبدووا لي فكر جيدا فهو يرى أنها تحتاج

أن تبعد عنه فأن يبقى بعيدا أفضل من أن تحاول الخروج

مجدد أما سما فأصبحت تمثال من الصمت والحزن لا أسمع

سوا أجراس حدائها وهي تتحرك في المنزل والمطبخ ولا

تتحدث إلا مجيبة عن أسئلتي ومات كل ذاك المرح والنشاط

وتلك الابتسامة البريئة الجميلة بعدما خيم عليها الحزن والبرود

حتى أنها لم تسأل عن غيابه عن المنزل طوال النهار

كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل حين انفتح باب المنزل

ودخل منه نزار ودخل عليا الغرفة من فوره وجلس فقلت " هل ترى

هذا الحال حلا لكل ما حدث أنت هارب طوال الوقت وهي غيمة

من الحزن والصمت ، إن كنت ترى هذا صوابا فغير رأيك بني"

نظر للأرض وقال بهدوء " لا أريدها أن تغادر المنزل مجددا

فلن تسلم الأمور في كل مرة"

تنهدت وقلت " وما يفعلون رجال جابر في الخارج فلا تتحجج"

أشاح بوجهه بعيدا وقال " لا تريد رؤيتي وتعلمين ذلك جيدا"

قلت بتذمر " لو أفهمك فقط وأفهم ما تريد ولما تصر على

أن لا أخبرها أنك تحبها ولا أن تخبرها أنت"

كان سيتحدث فسمعنا صوت حدائها تنزل السلالم فوقف

ينظر لي فرفعت له كتفائي بقلة حيلة فإن دخلت هنا فستجده

وليدعوا الله أن تتوجه جهة المطبخ لكنها بالفعل وقفت عند

باب الغرفة قائلة " خالتي هل"

وبترت كلامها ونظرت له بصدمة ثم اختفت في لمح البصر

لتعود للأعلى راكضة ونفض هوا يده وخرج فقلت " نزار"

التفت لي فقلت " هروبك ليس حلا عليك أن تفتنع بذلك"

قال مغادرا " وهذا ما لاحظته فلن أغانر مجددا"

قلت قبل أن يصعد " لا تتحدث معها الآن"

ثم تنهدت واتكأت على ظهر السرير أفكر في حال تلك

المسكينة وحال ابني أكثر منها فهوا كلما اقترب من السعادة

هربت منه وها قد جاءه كلامي فإن سمع نصيحتي وتزوجها

سابقا ما كنا في كل هذا فليجرب نتائج أفكاره وقناعاته

التي لازال يتمسك بها

*

*

عدت لغرفتي ركضا وأغلقت الباب وتوجهت للسريير من

فوري وارتميت عليه أبكي بصمت فلا أكبر من أن تحب

شخصا لا يعلم عن حبك له إلا أن يكون يعلمه ويرفضه

وأن يدعي السذاجة ليخلق حولك فيزيديك تعلقا به وهو موقن

من أنه سيطعنك في النهاية ، كان يريد التخلص مني وأنا من

سذاجتي أضنه يريد تحقيق رغباتي لماذا أحببتك يا نزار وأنت

قاس هكذا ؟ لماذا يا سما تحبينه ولما الحب أمر جارح وقاتل

هكذا كيف أنساه كيف أكرهه بل كيف أنسى كل ما فعل من

أجلي وأتعامل معه بجفاء وقسوة وهو حتى النقود كان

يدفعها لي من جيبه ولم يرفض لي يوما طلبا أطلبه منه

يا رب لما يحدث معي هكذا كيف أكون أحبه وأريد أن ابتعد

عنه في آن واحد كيف يجتمع النقيضان ؟ كيف سأتركه وأرجع

لعائلتي الذين لم يريدوني يوما ، كيف وهو فكر سابقا بالتخلص
مني بتزويجي لأنه لا يريد أن أحبه ، غمرت وجهي في الوسادة
أكثر أخفي صوت بكائي فسمعت طرقا خفيفا على باب الغرفة
فاختبأت تحت اللحاف ولم أجب وليس لديه ما يصنعه بي لا
يحبني ومشاعري ستتغير وعليا أن أنساه ولا يستحق دموعي
فهمتها وسبق أن قالها فلا حاجة لأن يعيدها ، طرق أكثر من
مرة ثم غادر واستسلمت أنا للنوم بعد مسيرة طويلة من البكاء
ولم أستيقظ إلا وقت الفجر صليت ثم نزلت لخالتي لأدخلها
الحمام لتصلي أيضا فوجدت نزار يغطي لها ساقها والتفت
لي ما أن وصلت فعدت أدراجي ودخلت المطبخ بدلا من
الصعود كي لا يتكرر مشهد البارحة ، لو علمت أنه هنا ما
نزلت ظننته كالأيام السابقة سينام خارج المنزل ولم نعد نراه
ولا نهارا ، أشعر بالخجل منه أكثر من الجرح فكم وضعي
أصبح سخيفا ومحرجا ، رفعت نظري لأجده واقفا أمام الباب
ينظر لي بهدوء فأنزلت رأسي للأسفل ووصلني صوته قائلا
"سما أريد أن أتحدث وأن تستمعي لي ولا تفهميني بشكل خاطئ"

هزرت رأسي بلا وقلت بحزن " لا تقل شيئا نزار أرجوك

ويكفي حتى هنا"

تنهد تنهيدة طويلة وقال " والحل إذا"

رفعت رأسي ونظرت له وقلت بجمود " الحل عندي"

نظر لي باستغراب فمررت من أمامه خارجة من المطبخ

وقلت " حكيت لي خالتي كل شيء ولم أعد أهتم"

ثم ركضت جهة السلام وصعدت وعدت لغرفتي واختبأت

في سريري أهرب من كل شيء وأولهم البكاء ولم أخرج

ولم أنم حتى التاسعة فنزلت بعد صراع نفسي طويل فعليا

أن لا أهمل شيئا مما كنت أفعله كي لا يرو أنني أمن عليهم

توجهت لغرفة خالتي بعدما وقفت لوقت ولم أسمع صوته

في غرفتها فوقفت عند الباب وقلت " صباح الخير"

قالت " صباح النور ما كل هذا النوم فليست عادتك"

نظرت للأسفل وقلت " لم أكن نائمة"

تنهدت وقالت " هاربة منه إذا"

اتكأت على الباب وقلت بحزن " كيف أتصرف خالتي لقد تعبت"

مدت لي يدها فتوجهت نحوها وارتميت في حضنها أبكي

بصمت فمسحت على شعري وقالت " يكفي وارحمي نفسك

يا سما نزار فقط لا يريد أن يظلمك معه وهو يرى نفسه بلا

مستقبل ، يكفي وانظري لنفسك في المرآة وجهك صاحب

وحزين وعيناك ذابلتان لما كل هذا"

قلت بعبرة " أريد أن أنساه أن أتوقف عن

حبه فأخبريني كيف يكون ذلك"

اكتفت بالمسح على شعري في صمت وتركتني ابكي في

حضانها حتى توقفت عن البكاء وابتعدت عنها فمسحت

الدموع من خدائي وقالت " ليته كان بيدي حل لما توانيت

لحظة عن فعله لا أريدك أن تضني سوءا بنزار وتكرهينه

ولا أن أعشمك بشيء لن تجديه عنده فقط أريدك أن تتبعي

رأي قلبك إن قال أحبيه فافعلها ولو لآخر العمر وإن

قال انسيه في أي يوم كان فلا تتراجعي"

بقيت أنظر لعينيها بضياح فتنهدت وحضنت يدي في

كفيها وقالت " سما ما أريد قوله عيشي حياتك والتفتي

لدراستك ونزار إن بقي قلبك يريده فستجديه يوما ما أمامك

وإن اختار غيره كوني له أما الآن فأعطي قلبك وعمرك

المجال فنزار يريد سما المستقبل

شهقت شهقة صغيرة من أثر بكائي وقلت بحزن

" هو ا قال لك هذا "

هزت رأسها بنعم فقلت بحزن " لا يريد سما اليوم إذا

فكيف سيحب سما الغد ! هو يتحایل عليك فقط "

ضغطت على يدي بقوة وقالت " لا يتحایل علي ، نزار لا

يريد أن يظلمك معه أقسم على هذا يا سما "

وقفت وقلت " لكن سما المستقبل قد تكون ميتة "

نظرت لي بحيرة من كلماتي فابتعدت جهة الباب وقلت

" هل أعد لك الإفطار "

قالت من فورها " تناولته مع نزار نامي أنتي الآن وارتاحي "

غادرت غرفتها وصعدت السلام عائدة لغرفتي

*

*

ما أن صعدت سما حتى خرج نزار من خلف المكتبة يمسك

في يده خيط المكبس الذي كان يصلحه وقال بضيق

"ليس هذا ما اتفقتنا عليه يا أمي"

قلت ببرود " أخبرتك منذ البداية أنني لن أعشمها بشيء وقلت

ما أنا مقتنعة به أما الباقي فأخبرها به بنفسك"

تأفف وقال بتذمر " لم تعطني فرصة يا أمي كم

مرة سأقولها لك"

قلت ببرود أشد " تستحق ذلك"

رمى السلك من يده وتركني وخرج متضايقا ، يريد مني

أن أشرح لها أسبابا أنا لست مقتنعة بها ولا أراها أعدارا

مقبولة فليخبرها بها بنفسه وليتحمل نتائج ما سيأتي به المستقبل

وكما قالت سما فقد تكون بعد سنين ميتة أو هوا الميت فما

نفع إضاعة اليوم من أجل غد مجهول

لم يرجع بعدها نزار إلا بعد وقت الغداء فيبدووا لي لا يريد

أن يجتمعا عندي وخيرا فعل فأنا لاحظت سما لا تريد أن تلتقي

به أمامي وأعذرها فهي مجروحة منه ومحرجة من وضعها

أرى أن بقائها هنا أصبح يتعبها أكثر من مغادرتها ويبدووا

أنها هي أيضا باتت مقتنعة بذلك

*

*

ما أن تناولنا الغداء حتى أنهيت أعمال المطبخ وتركت له
غداه وصعدت لغرفتي ممتنة لله أنه لم يأتي لتناول الغداء معنا
وقضيت باقي الوقت في غرفتي فلم أعد أريد أن ألتقي به
رغم الشوق الذي يتعبني وقلبي المتلهف لرؤيته ، سحقا
للحب كم هوا سيء وكله مضار ، جلست على السرير
وأخرجت الرواية لأتسلى بها قليلا رغم أنني لا رغبة لي في
شيء فقط لا أريد التفكير في كلام خالتي الذي قالت أنه قاله
لها فيبدو أنها غاضبة منه وهو أراد إسكاتها بتلك الكلمات
فما يعني يريد سما المستقبل وهو يرفض سما اليوم وكيف
يخاف أن يظلمني وما يفعله الآن أكبر ظلم لي ، هزرت
رأسي أنفض منه كل تلك الأفكار ومسحت الدمعة التي
تسللت من عيني ثم اتكأت على السرير ورميت الرواية
بعيدا وأخفيت وجهي بذراعي ونمت دون شعور
واستيقظت بعد وقت طويل لأجلس مفزوعة ونظرت لهاتفني
فكان المغرب خرج وقته منذ زمن فركضت جهة الحمام

توضأت وصليت المغرب ثم نزلت لأعد العشاء وتوجهت
أولا لغرفة خالتي فوجدتها نائمة والسجادة ليست في مكانها
وهذا يعني أنها صلت المغرب فأطفأت نور غرفتها وتوجهت
للمطبخ أعددت العشاء ووقفت عند الموقد بشرود أنتظر أن
ينضج فسمعت باب المنزل يُغلق وهذا يعني أن نزار قد عاد
يا رب لا يأتي هنا ويصعد مباشرة لا أريد أن أراه فيكفيني
إحراج وأعلم ما سيقول لي ولا أريد أن أسمعه كي لا يتعب
قلبي أكثر بنصائحه ، تنفست بارتياح حين مر بعض الوقت
ولم يأتي فالتفت للموقد وأطفأته والتفت لأذهب وأوقظ خالتي
فتسمرت مكاني حين وجدته أمامي مباشرة ينظر لعيناي
بتركيز وقال بهدوء " حتى متى سنهرب من بعضنا يا سما"
نظرت للأسفل ودسست شعري خلف أذني وقلت " أنت من
كنت تهرب لأيام وليس أنا ، أعدك أن لا تسمع مني كلمة
عن الأمر وإنسا كل ما حدث لأنني أريد أن أنساه"

مد يده وأمسك يدي وقال " تريدني نسيان ما حدث

أم نسياني أنا يا سما"

ارتجف كل جسدي من لمستته ولم أستطع قول شيء وأنا

أنظر ليدي في يده يرفعه ببطء ثم فرد أصابعها بيده

الأخرى وقال ونظره عليها " هل تري يدك يا سما"

رفعت نظري له فكان ينظر لها ثم مسح بأصابعه في

كفي وتابع " لا أريدها أن تبقى كل حياتها معي في

شقاء وكان يفترض بها أن لا تلمس الماء والصابون"

ثم رفعها لوجهه وقبل باطنها قبلة طويلة ولا يعلم ما أحدثه

بي من ملمس شفتيه عليها وقد توقف عقلي عن ترجمة

معنى ما يجري وما يفعل ثم أبعد يدي عن شفته وحضن

وجهي بيده الأخرى وقال ونظره عليها

"وهل تري هذه اليد يا سما"

ثم نظر لعيناي وقال " لا أريدها أن تعيش على حسابك

وبمالك وأن تمتد عليه وأن تهان من عائلة والدك"

ثم أمسك وجهي بيده الأخرى أيضا وقبل جبيني ونظر لعيناي

مجددا وقال بهمس " لو كان الحب وحده ما يقدم يا سما

ما تركتك تخرجين من عندي لآخر عمرك"

شعرت بمفاصلي تصلبت من الصدمة لما فعل وقال ، يحبني

هل تحبني فعلا يا نزار وليس شعورا من ناحيتي فقط وما
يمنعك ففرك وخوفك من عائلتي ورأيهم بك ، شعرت بغصة
في حلقي لتمتلئ عيناى بالدموع وقلت بحزن ونظري على

ملامحه " وها أنا أسألك الآن ما الحل إذا"

أبعد يديه وقال ونظره للأسفل " سينقلك جابر من هنا فذاك

الرجل لم يرجع لمنزلكم وأصبحت في خطر حقيقي"

استندت بجبيني على كف يدي لينزل شعري مغطيا وجهي

ونصف جسدي من الأعلى وأنا أتذكر ما حدث يومها حين

وجدته أمامي في غرفة والدتي بل وحدثها وعرفته بكل سهولة

ليضرب شيء واحد في دماغي أنه سيكون هوا من كتب لها

شهادة وفاة وهوا من أوصلها هنا وسيكون فاعل الخير الذي

يتكفل بكل تكاليف علاجها وأجهزتها

وقف بعدها والتفت ناحيتي وقال " ألن تفكري بعد في

العودة لمنزلك"

أشحت بوجهي جانبا وقلت ببرود " ليس منزلي فمنزلي

أنا فيه الآن"

تنفس بقوة وقال " أرجوان لا نريد شوشرة وفضائح في

المستشفى فلا تطرينا لرفع أصواتنا أمام الناس"

توجهت جهة الباب لأخرج من هنا فتبعني وأمسك ذراعي

ولفني ناحيته وضرب الباب بيده الأخرى ليغلقه وقال بضيق

"تخطئين وتغضبين كيف هذا يا عاقلة يا أرجوان"

استللت ذراعي منه بقوة وقلت بضيق مماثل " لست المخطنة

فلا تتهرب من أخطائك وهذا المكان كما قلت قبل قليل ليس مكانا

للمناقش أم أنك لا تريد أن تذهب لي في منزلي وتُحسب عليك"

تأفف وقال " أرجون لا أريد أن أخرجك من هنا مرغمة

فستخرجين معي للقصر في كل الأحوال فخلصينا من

الفضائح ووجع الرأس"

قلت بثبات " لن أعود له مكان أهنت فيه لا بقاء لي به ولو

كنتَ قادم لإرجاعي لكنت ذهبت لمنزلي وتحدثت معي

لكنك حتى هذه تريد فرضها علي بالإكراه"

ضغط على أسنانه بقوة وقال " ما الذي تريدين

الوصول له يا أرجوان"

قلت بهمس حزين " طلقني "

نظر لي بصدمة ولم يتحدث فقلت " وأبعد رجالك

عن منزلي واتركني وشأني "

أمسك حينها يدي وسحبني جهة والدتي وأراها إصبعي وخاتم

زواجنا فيه فابتسمت لتمتلئ عيناها بالدموع وكأن الحياة عادت

لها بمعرفتها بأنه زوجي فأخرج جابر الخاتم من أصبعي

ووضعه في كفي وقال محدثا والدتي " وتريد أن أطلقها "

للتحول نظرتها للقسوة تنظر لعيناي بتركيز فأبعدت نظري عنها

وسحبت يدي منه وقلت ببرود " ولما لا تخبرها عن السبب

يا صهرها العزيز "

نظر لي وقال " وأخبرها عن أفعالك أيضا يا ابنتها فما رأيك "

ثم أمسك يدي وسحبني للخارج قائلا " وها قد رأيت بعينك

أن والدتك غير موافقة على جنونك أم ستناقضين

نفسك وتعصينها "

حاولت سحب يدي منه وأنا أجاري خطواته فسحبني بقوة

لأكون أمامه وضغط على رسغي بشدة حتى ظننته سيحطم

عظامه وقال بحزم " أرجوان أقسم أنها واصلة معي لأقصى

درجة من الغضب فلا تطريني لفعل ما أكرهه تفهمي"

وعاد يجرني خلفه كالشاة ولا شيء لدي سوا الدموع فحتي

ملامحه أخافتني ولن أضمن نتائج غضبه ، خرجنا وأركبني

سيارته وغادرنا وها قد أجبرني على ما يريد هوا وضرب

رأبي وكرامتي عرض الحائط ، لم أنظر ناحيته طوال الطريق

ونظري كان على النافذة أمسح أي دمعة تتمرد تريد النزول

وهوا لم يترك شخص اتصل به إلا وصرخ فيه حتى تعب

ليندموا على اللحظة التي فكروا فيها الاتصال به

وصلنا القصر ونزل وضرب باب السيارة ثم توجه جهتي

فتح الباب وقال بأمر " انزلي هيا"

لم أتحرك من مكاني ولم أرفع نظري له فتأفف وأمسك يدي

وسحبني مجددا فليدخني مرغمة على أن أدخل وحدي أتبعه

دخل بي ولحسن حظي الذي يعرف متى يبتسم اجتاز بي

والدته الجالسة على كرسيها في الأسفل لتعلم أنني لم أرجع

من نفسي كما قالت فها هوا أمامها أحضرنى بنفسه ورغما

عني أيضا ولا أضن أنها موافقة على إرجاعه لي تحت

أي ظرف كان ، سعد بي السلام وتوجه بي لممر غرف
الأطفال وفتح باب غرفة الفتاتين على اتساعه ليقفوا ثلاثتهم
ينظرون لي بصدمة ورفع جابر يدي وقال بحدة " تكلمي أمامهم
يا أرجوان أخبريهم عن سبب تركك لهم فقد عجزت معهم
أفهميهم أنك تريدين الانفصال وتركهم للأبد أقنعيهم بكل هذا
ليرتاحوا ويرحموا أنفسهم من البكاء إن كنت أنا لا أعنيك
ففكري بهم وقدمي التبرير أو السبب أم هم باتوا لديك مثلي"
أنزلت رأسي وقلت ببحة وصوت منخفض " ليس هذا مكانه
يا جابر فأبعد الأطفال عن مشاكلنا وشجارنا"
ترك يدي وقال بحزم " بل هنا والآن"
قلت بهمس " أرجوك ليس هنا"
تأفف بغضب وفتح حينها الباب وخرج وتركني معهم ولا أعلم
أين ذهب ولا أريد أن أعرف ، رفعت نظري لهم فكانوا ينظرون
لي بحيرة أو استغراب أو لا أعلم ما تكون تلك النظرة ثم انطلقوا
راكضين نحوي لأهوي أرضا وارتموا هم في حضني يشاركوني
البكاء والحزن والألم فكم ظلمتنا الظروف يا أبنائي وكم ظلمنا البشر

قالت ترف بعبرة " ماما لا ترحلي ثانيئا وتتركينا أرجوك"
حضنتهم بقوة اكبر ولم أعرف ما أقول وبما أعلق بعدما قاله أمامهم
حتى ابتعد أمجد عني وقال " لما والدي غاضب منك ولما تشاجرتما"

قلت بهدوء " مجرد خلاف بسيط بيننا بني وأردت أن

أبتعد عن هنا قليلا وها قد عدت"

ابتعدت عني بيسان وقالت " لما قال والدي تنفصلا هل

يعني هذا لن تكونا زوجين كالسابق"

مسحت على شعر ترف التي لازالت متعلقة بحضني وتبكي

وقلت " لا شيء حبيبتي والدك غاضب فقط فلا تتحدثوا

عما حدث هنا ثانيئا ولا تفكروا فيه"

دخلت حينها سيلا وركضت ناحيتي وجلست أمامي وأمسكت يدي

وقالت ودموعها تترقرق في عينيها " حمدا لله أنك عدت سيدي

لم أصدق حين سمعت الخادما يقرن ذلك كم أنا سعيدة بهذا"

ثم نظرت جهة أمجد و بيسان وقالت " ألم أقل لكم أنها

سترجع ها قد عادت"

نظرت بعدها لي مجددا وقالت بصوت منخفض " منذ سمعت

السيدة الكبيرة البارحة تقول للسيد بصوت غاضب

(أذهب وأرجعها عله يتحسن مزاجك علينا على الأقل)

علمت أن شيئاً ما يجري بينهما وهي لا توافق عليه

ولم أتخيل أن يرجعك"

أبعدت ترف ووقفت ومسحت دموعي وسحبت سيلا بعيدا

عنهم قليلا وقلت " أمازلت وحدك من يصعد هنا"

هزت رأسها بنعم فقلت بهمس " أريد ثيابا لي من جناحي

وبعض الأغراض المهمة أحضريهم لغرفة أمجد هنا سابقا

ولا أريد أن يعلم احد وخصوصا الأبناء"

هزت رأسها بحسنا وغادرت في الفور وهذا هوا حالي منذ

أرجعني هنا سجينة الغرفة ولا أعلم في الخارج ما يجري

*

*

سمعت جرس الباب يقرع باستمرار وإصرار ورضا يبداوا

خارج الشقة أو أنه في الحمام فمنذ ذاك الموقف المخجل معه

يومها رفضت أن ننام معا في ذات المكان وقومت عليه ليلته

وكنت سأخرج أنا من الغرفة فخرج وتركها لي فلن أسمح أن

يستدرجني مرة أخرى لأجد نفسي في حضنه ولا أعني لنفسي

إلا صباح اليوم التالي ويضيع كل مخططي وتعبي فأنا أعلم
كم أضعف أمامه حين يستغل وقت احتياجي له ، ووقت عند
الباب وفتحته قليلا ووقفت أمامه فخرج رضا من حمام الصلاة
وقال متوجها جهة الباب " عودي للغرفة يا زهور

فقد يكون أحد أصدقائي"

أغلقت الباب وسمعته يتحدث مع أحدهم ثم دخلا وأغلق الباب
ليختفي صوتهما خلف باب آخر ، غريب لما لم يجلس به في
صالون الاستقبال ! بعد قليل فتح عليا باب الغرفة وقال بشيء
من التردد " حبيبتي هلا أعددت لنا قهوة"

يبدوا وضعه ذاك في موقف محرج ولا يريد أن يظهر له أنه
هوا من يخدم نفسه بنفسه ، كنت سأرفض وأخرجه معه لكن
هذا سيمسني أنا وليس هوا فوقففت وقلت وأنا أخرج مجتازة له
"حسنا ولا تقل حبيبتي ثانيًا كم مرة سأقولها"

خرج خلفي قائلا بابتسامة " سأكذب وأقول لست

حبيبتي هل يرضيك هذا"

توجهت للمطبخ متجاهلة له وعاد هوا جهة غرفة الجلوس

فبيدوا أدخله هناك ، جهزت القهوة وبعض الحلويات ثم
احترت أوصلها له أو أخبره عنها فحملت الصينية وتوجهت
بها حيث يكونان وما أن اقتربت من الباب حتى سمعت رضا
يقول " حسنا سأرى فواز وأستلف منه لأرجع لك نقودك فأنا

أنتظر راتبي ولا دخل لي غيره ولا يمكنني أن أسدده لك

دفعة واحدة والآن لا نقود معي"

قال الآخر بشيء من الضيق " لو لم أحتاج للمبلغ ما طالبت
به وأنا ظروفي لا تسمح لأن أنتظر فبع سيارتك أو تصرفا"
قال رضا " أخفض صوتك يا راشد وسأدير لك المبلغ فأنا
لم أحتاج يوما وأستلف من أحد قبلك وظننتك ستنتظرنى"
قال ببرود " غريب أمرك ناسبت رئيس شرطة البلاد
وتستلف النقود حالك يحير يا رجل"

قال رضا بضيق " ناسبتهم ليس لأمص دمهم وأخذ مالهم

ففرق كبير بين أن تتزوج امرأة وأن تتزوج مال عائلتها

وأنا مستعد لأن أحرث الأرض بأظفري على أن

أطلب المال منهم"

ابتعدت حينها ووضعت الصينية في المطبخ وعدت لغرفتي

ورننت على هاتفه ليأخذها من هناك وبقيت في غرفتي حتى

غادر ذاك الرجل وكل حرف سمعته يدور في رأسي فوقفت

وخرجت من الغرفة ولم أجده فهل خرج معه يا تري!!

قد يكون ذهب لذاك الذي سيستلف منه ليرجع له المال

حسنا وما دخلي أنا به فليجرب البؤس والضيقه ، دخلت

المطبخ لأفاجئ به هناك يعيد الصحن للثلاجة وأغلقها ما

أن رأني ثم توجه ناحيتي وأمسك يدي وقبلها وقال مبتسما

"شكرا يا زهرتي فالرجل مدح قهوتك كثيرا وشعرت

أني صرت كالبالون أمامه من الفخر"

استللت يدي منه وأنا أنظر له ، تكذب يا رضا لا أعتقد أن

ذاك الرجل كان في مزاج يمدح به قهوة ، نظرت بعدها

للأسفل وقلت " أعجبني طقم في السوق حين خرجنا

سابقا وأريد أن تشتريه لي"

نظر لي باستغراب بادئ الأمر ثم أشار بإصبعه لعيني

وقال " من عيني هذه قبل هذه قولي فقط أين رأيته"

بقيت أنظر له بحيرة ألم يفكر من أين سيجلب ثمنه ظننت أنه

سيعارض وأجدها فرصة لأعيده أنه لا يستطيع توفير ما أريد

فلما وافق على شروطني وتزوجني ، قال عندما طال صمتي

" أو ما رأيك نخرج معا ونشتره في أقرب وقت"

قلت مغادرة المطبخ " لم أعد أريده غيرت رأيي"

ثم عدت لغرفتي وجلست على السرير دون حتى أن أغلق

الباب فدخل وجلس أمامي وأمسك يدي بين يديه وقال

"لن يبقى في خاطرك يا زهور وأنا حي أنتفس فأخبريني

فقط أين رأيته وسيكون لديك"

قلت " قد يكون مكلفا جدا فهل ستشتره"

نظر للأسفل ثم رفع نظره لي مجددا وقال " أشتريه أو أموت

دون ذلك فلا حياة لي وحببتي تريد شيئا أعجز عن إحضاره لها"

تنقلت بنظري بين عينيه محتارة من تصرفه هذا فهو لم يفكر

حتى في الرجل الذي يطالبه بمبلغ لا يستطيع سداه ولا بكل

راتبه أم أن ذاك الرجل قرر أن ينتظره ، قال عندما طال صمتي

" هل كل هذا بحث عن ذاك المحل في عياني ستسببين

بهلاكي بهذا يا زهور فارحمي حالي"

أبعدت نظري عنه بل ووجهي أدركته للجانب الآخر

فرّغ يدي لشفتيه وقبلها وقل " ها ماذا قررت"

نظرت للأسفل وقلت بهمس خافت " لم أعد أريده أقسم لك"

ترك يدي ومد يده لذقتي ورفع وجهي له وقال بدفء

"ولما الحزن في صوتك يا زهور وأنتي تقولين أنك لا تريدينه

فدعيني أوفر لك كل ما تتمنيه يا عينا رضا اللتان يرى بهما"

فتحت فمي لأتكلم لكن الكلمات تبعثرت ولم أعرف ما أقول

أطرديه يا زهور ابتعدي عنه لا تضعفي مجددا لا يخذعك

بالكلام فهذه هوايته ومراده ، لكنه لم يكن يعلم أنني كنت أسمع

ما دار بينهما وهوا مستعد أن يدفع أي مبلغ فقط ليرضيني

كاذب يا زهور وسيأتيك بعذر تلو العذر ليتهرب من شراءه

لكنه أصر رغم رفضي ولم يستغل الفرصة ، مرر إبهام يده

التي يمسك بها ذقتي على شفتي السفلى ببطء وقال بهمس

"أهلكني يا زهور سامحك الله فتحدثي أو أغلقيهما مجددا"

شعرت بقلبي يضطرب بشدة وخداي يشتعلان من الخجل

لجراته فأرخيت نظري للأسفل وأغلقت فمي فلم أشعر سوا

بشفتيه تقبلان شفتيائي بسرعة لأنتفض بشهقة ووقف هوا

من فوره وقال مبتسما " سامحيني حبيبتي فقد أضعت

مني أي قدرة على التحمل"

ثم قال وهو يخرج من الغرفة " إن غيرت رأيك فأخبريني"

مسحت شفتاي بظهر أصابعي متمنية أن أحرقهما على الشعور

الذي شعرته حين قبلهما ، أنتي تكرهينه يا زهور أجل لم تعودني

تحبينه فطيلة الأربع أعوام الماضية بعد طلاقك لم يراودك شعور

الاحتياج له ولا التفكير فيه إلا بحقد فما تغير الآن ماذا حدث

لك ، توجهت للحمام دخلت وأغلقت الباب خلفي وجلست مستندة

ببابه وضممت ساقي أخفي وجهي فيهما بل دموعي التي

لا أعلم على ماذا تنزل بالتحديد

*

*

رفعت هاتفي ثم أعدته مكانه ولا أعرف أي خطوة سأأخذ

ففواز لن يملك كل هذا المبلغ رغم أنه ليس كبير جدا ولا حل

أمامي سوا منزل عائلتي القديم لكن كيف سأقنع أميرة بأن نبيعه

وهي متمسكة بكل ذكرياتنا فيه ثم ستسألني لما أريد بيعه وما

حاجتي للمال وهي لا تعلم بأمر شروط زهور ولن أستطيع أخذها

من منصور زوجها أيضا فهوا مثلها يعلم أن لي إرثا من عائلتي

كنت أحتفظ به في المصرف وجابر يستحيل أن آخذ المال منه

رغم أنه لن يمانع ولا حل أمامي سوا أن أعمل عملا آخر يكون

السداد فيه باليومية لكن المشكلة ستبقى كيف سأندبر المبلغ لراشد

تنهدت وهزرت رأسي ووقفت وتوجهت لغرفة النوم فلأنسى همومي

بفانتتي التي النظر لها فقط ينسيني حتى نفسي وليس هموم الدنيا

فنظرتها لعيناي قبل قليل كانت مختلفة كتلك الليلة تماما ولولا

خوفي من عواقب الأمر كالمرّة السابقة لكنت حظيت بقبلة مهلّة

كتلك التي سلبت مني النوم ليلة كاملة ، فتحت الباب ببطء فلم

تكن في الغرفة فدخلت واقتربت من الحمام ووضعت يدي على

بابه وقبضتها بقوة وأنا أستمع لنحيبها المكتوم وقلت بوجع

"زهور حلفتك بكل من يعز عليك أن تخرجي وتتوقفي عن البكاء"

لم تجب ولم تخرج ولم تزدد سوا بكاء فقلت برجاء

"زهور ارحميني وأخبريني ما الذي يرضيك وسأفعله حتى لو

طلاقك مني أو تركي البلاد التي أنتي فيها ولن تريني مجددا"

انتظرت قليلا لتخرج أو تتوقف عن البكاء وبلا فائدة فقررت

تركها والخروج من الغرفة لحظة فتحها لباب الحمام واتكأت

على حافته وعيناها منسدلة للأسفل تتنفس بصعوبة فتوجهت

نحوها بسرعة وأمسكتها وأوصلتها للسريير وقلت بضيق

"زهور لما تفعلين هذا بنفسك أنتي تعلمي أن كثرة البكاء تتعبك"

اضطجعت عليه في صمت ودون مقاومة وجلست أنا عند

رأسها أمسح على شعرها وقلت بهدوء " ستضطرينني

لأخذ مفتاح باب الحمام أيضا بما تفعلينه"

أخفت وجهها بذراعها وقالت " ولما تشغل بالك بي

اتركني أموت في الداخل"

رفعت ذراعها عن وجهها وانحنيت لوجهها ليصبح أنفي

ملامسا لخدها مستندا به عليه لأنها تنام على جنبها مقابلة لي

وقلت بهمس " أحبك يا زهور وأعشق حتى الهواء الذي يخرج

من رئتيك حتى إن صرختي في الشوارع أنك تكرهيني ولا

تريديني ولو سلخت جلدي عن العظم فلن أتوقف عن

حبك ولن ينقص منه ولا ذرة"

ثم قبلت خدها مغمضا عيني غير مصدق أنها لم تبتعد عني

وقلت بعدها بهمس " لو أعلم ما بك الليلة يا زهور هل قلت

شيئا أزعجك لهذا الحد أخبريني لأعتذر ولن أعيدها مجددا"

انقلبت على ظهرها تنظر للسقف وقالت بحزن

"رضا لما تحبني وأنا أكرهك"

شعرت بكلمتها كالنار على قلبي لكني سجت وجعي في نفسي

ككل مرة وقلت بابتسامة " أحبك لأنني أحبك ولا أعرف غير

هذا ولن أتعلم غيره ولن يتحول لكره أبدا كما حدث معك"

أغمضت حينها عيناها ببطء وقالت هامسة

"لا تخرج لا أريد أن أنام لوحدي"

ثم انتظم تنفسها ويبدووا استسلمت للنوم ولا أعلم قالت ما قالته

تعي لنفسها أم لا ولن أهتم فأنا كمن بحث عنها في السماء

ووجدها في الأرض فلم أتردد لحظة عن تلبية طلبها الذي

تمناه قلبي لسنوات طوال فشددتها لحضني لأعطي الحلم

مراده ورغم تحركها متضايقة من نومها إلا أنني لم أتراجع

وكانت المعجزة أن استكأنت في حضني ونامت بهدوء لتسرق

النوم من عيناى وكيف أنام وأحد أحلامي المستحيلة يتحقق

أخيرا كيف أنام وأترك متعة مشاهدة هذا الحسن عن قرب

وتنفس هذه الأنفاس ، كنت كطفل أعطوه لعبته المفضلة يلعب

بها كيف يشاء فكنت تارة أتمرر أصابعي في شعرها وتارة
أتحسس بهم نعومة عنقها وتارة أخرى أوزع قبلاطي الخفيفة
جدا على ملامحها وليثه ليس ليلتك هذه صباح يا رضا

*

*

نمت ليلتي في غرفة أمجد ولم أخرج من ممر غرفهم ولم
أراه هنا فمؤكد نام في الخارج فكما قالت سيلا أنه قضا أياما
ينام خارج القصر أو يكون هنا ولم يهتم بأمرى ولما سيهتم
الصفقة في زواجه بي هي الأولاد وهو الراح فيها في كل
الأحوال أما وجودي في حياته فهوا كعدمه بالنسبة له امرأة
كغيرها ، استغفرت الله وغادرت السرير ورتبته كما كان كي
لا يشعر الأطفال بوجودي هنا ثم دخلت الحمام استحمت
وغيرت ثيابي وخرجت لغرفة الفتاتين لتستقبلني ترف راقضة
جهتي ما أن فتحت الباب فنزلت عندها وحضنتها بقوة
كنت أشعر بحبي الشديد لهم والآن بعدما اكتشفت أنهم أبناء
شقيقتي زاد تعلقي بهم أكثر وبث أشعر أنهم جزء مني بالفعل

وفهمت معنى رسالة والدي التي تركها لي وعلمت لما أخفى

أمرهم عني لأبد وأنه خشي أن أضعف أمام مسئولية تربيتهم

فأبحث عن والدهم لأعيدهم له أو أحمله مسئولية دفع

المال من أجلهم ، أبعدتها عني وقلت مبتسمة

"يكفي قبلات ستفوتنا صلاة الفجر"

حضنتني من جديد وقالت " اشتقت لك كثيرا ماما"

نزلت دمعتي ومسحتها بسرعة وعلمت الآن لما تتحمل

المرأة الضرب والسب من الزوج هم الأبناء وحدهم من

يكسرون ظهر المرأة لما بقيت زوجة في منزل زوجها

حملتها من الأرض وقلت " ما بك أصبحت ثقيلة فجأة"

ثم تابعت وأنا أمسح على شعرها وأسير بها جهة سرير

بيسان " أم أنا التي أصبحت أعجز عن حملك"

أنزلتها وأيقظت بيسان التي قالت من نومها

"ماما عودي من أجلنا أرجوك"

ابتسمت بحزن على حالي وحالهم أكابر دموعي كي لا

تنزل ثم غمزت لترف وقلت بهمس " هيا ندغدغها"

فابتسمت بمكر وقفزت جهتها وبدأت تدغدغها معي حتى

استيقظت تضحك بهستيرية فبيسان أكثر طفلة رأيتها

تضحك بسرعة ما أن تلمسها ، أدخلتها للحمام وخرجت

وغادرت الممر لغرفة أمجد وما أن عبرت جهة السلالم

لأكمل طريقي حتى سمعت صوت جابر من خلفي قائلا

" لا لا تتركوا المكان ولا يغيب عن نظركم

لحظة فلا بد أن يرجع له"

فزدت من سرعة خطواتي حتى ابتعد صوته نازلا فوقفت

وعدت خطوات للوراء وأملت جسدي أنظر للسلالم فكان

نازلا والهاتف على أذنه وببذلة الشرطة فوقف فجأة والتفت

عائدا لتقع عينه في عيني فأبعدت نظري عنه وتابعت

سيرتي مسرعة حتى اختفيت وتوجهت جهة غرفة أمجد

حمقاء ما الذي أوقفك هناك تراقبينه وهو ينزل ماذا سيفسر

الأمر الآن ، دخلت غرفة أمجد وأنا أتمتم قائلة " فليفسرها

كما يريد يعلم أنني عدت مرغمة وليس حبا فيه أو في قصره"

أيقظت أمجد فجلس وقال " هل هذا وقت الصلاة"

قبلت خده وقلت وأنا أسحبه من يده " نعم وبسرعة

لتدرك عمك وابنه"

غادر السرير قائلا " لكن والدي منعني من

الخروج حتى للمسجد"

وضعت يداي وسط جسدي وقلت بضيق " لا شيء يمكن

أن يكون عذرا لترك المسجد والله وحده من يحفظ البشر"

قال بهدوء " لكنه سيغضب إن خالفت كلامه"

تتهدت وقلت " بسرعة أدخل الحمام بني والحق

بي لنصلي معا"

دخل هوا الحمام وخرجت أنا لأعود للفتاتين سريعا ولحق

بي أمجد وعاد نهاري لروتينه المعتاد مع فرق وحيد لا

خروج لي من هناك لجناحي وغرفتي والأهم قلب مكسور

يشعر بالذل والاستصغار و الإهانة ، لا أعلم متى سيجعل لي

هذا الرجل قيمة ورأي على الأقل فيما يخصني لكن هذا

الوضع لن يدوم ولن يبقوا أبنائه نقطة ضعفي فإما أن تتغير

معاملته لي ويضع لوالدته حدا أو أن يذهب كل في حال سبيله

"ماما ألم تعديني إن نجحت بتفوق تشتري لي تلك اللعبة"

نظرت له وقلت باستغراب " هل ظهرت نتائجكم"

هز رأسه بنعم ، يالا كسلكم يا المدارس الحكومية حتى تنتصف
الإجازة لتظهر النتائج وفي المدارس الخاصة لا تأخذ أسبوعين

قال بحماس " أنتي وعدتني أليس كذلك"

قالت بيسان " وأنا نجحت بتفوق أيضا هل

ستشتري لي هدية"

قفزت ترف قائلة " وأنا ماما"

تنهدت وقلت " أوضع كما ترون بني ممنوع

عني الخروج مثلكم"

قال من فوره " أطلبي من والدي أن يجلبها

لي هوا يخرج دائما"

أه يا لا مرارة الواقع الذي تجهلونه ثم من أين سيجد وقتا

ليزور الأسواق أشك أنه يعرف أين تقع في هذه البلاد

هزرت رأسي بحسنا وقلت " سأرى ما يمكن فعله"

تناولنا الإفطار في الغرفة وأمضينا الوقت معا حتى صلينا

الظهر ثم جلسوا يتابعون الكرتون في التلفاز وجلست أنا

مبتعدة عنهم وبذهن شارد أفكر ما سيكون بعد هذا وكيف

سأجد مجالا لأناقش فيه وضعنا ، لا أريد أن أعتب جناحنا
ولا أريد أن أسأله متى سيجد لي وقتا كي لا يجدها فرصة
ويسمعي كلاما يسم به بدني ، ارتجفت مفزوعة على صوت
هاتفي في حجري ليخرجني من شرودي فنظرت للمتصل فكانت
سوسن فحملته وخرجت من الغرفة ودخلت غرفتي الجديدة هنا
وأجبت عليها فقالت من فورها " أرجوان أين أنتي أنا عند
باب منزلك وحتى رجال زوجك ليسوا هنا"
تنهدت وقلت بحسرة " أنا في القصر يا سوسن"
قالت بصدمة " ماذا !! لكن متى وكيف"
قلت ببرود " منذ أمس وكيف هذه حكاية أخرى
مؤكد خمنتها لوحدك"
قالت مباشرة " مؤكدا هوا قرر ونفذ"
تنهدت وحكيت لها كل ما حدث وهي تستمع لي دون
مقاطعة حتى انتهيت فقالت " أرجوان قد لا يكون كما
تضنين ويريد عودتك من أجل نفسه قبل الجميع"
ابتسمت بألم وقلت " لن يكون جابر حينها"
قالت بضيق " أرجوان سمعت كثيرا عن الغباء الذي يصاحب

الحب لكني الآن رأيتته بعيني فأبعدي عواطفك جانبنا وانظري

للأمر بعقل فلا شيء يطره لإرجاعك ولا أبنائه فكم من رجل

طلق زوجته وفرض الأمر عليهم وتقبلوه إن بالطيب أو الإكراه

ثم نفرض أنك مت كيف سيرجعك لهم حينها ، قد يكون اتخذ

الأمر عذرا لكن أن تكون حجته الوحيدة مستحيل"

قلت بسخرية " لو كان كلامك صحيحا لكان على الأقل ذهب

لي في منزلي وأعاد لي ولو جزءا من كرامتي المهذورة

بسبب والدته لكنه لا يتغير أبدا"

قالت ببرود " ولا تنسي أخطائك أيضا يا أرجوان فكونك

تخفين عنه تلك الأمور جريمة في حد ذاتها"

قلت بضيق " سوسن لو أفهم لما تدافعين عنه دائما

ضعي نفسك مرة في مكاني"

قالت من فورها " أرجوان لا تدمري حياتك وزوجك من

أجل كلام قالتة والدته وليس هوا وأنا أذافع عنه لأنني أراه

تصرف بحكمة حتى الآن فأخر ما كنت أتوقع أن تطلبي منه

الطلاق ولا يرميه عليك وبالثلثة ، فكري بعقل ولو

هذه المرة فقط وداعا الآن"

أنهيت المكالمة أتأفف بغیض على صوت طرقات على الباب

ثم دخلت سیلا وقالت " سيدتي الغداء جاهز"

وقفت وقلت " قادمة حالا"

قالت من فورها " الغداء في الأسفل وليس في الغرفة"

بقیت أنظر لها لوقت بتجهم فقالت " السيد جابر هنا"

لويت شفتاي وقلت ببرود " وما جاء به وقت

الغداء لیست عاداته"

رفعت كتفيها وقالت " تناوله هنا بالأمس أيضا وهو

من طلب مني الآن أن أبلغ الجميع لينزلوا"

ثم غادرت مباشرة فتنهدت بضيق وخرجت من الغرفة

ونزلت وأعلم أن تلك العجوز ستعدها انتصار لها علي

وستضن أن جابر أرغمني على النزول لذلك نزلت لكني

إن لم أنزل سأكون في مشكلة من أسئلة أبنائه فيكيفهم ما

رأوه وسمعوه بالأمس ، وصلت غرفة الطعام ودخلت في

صمت وكانوا جميعهم يجلسون في أماكنهم المعتادة فالتفت

لي الأطفال ثلاثتهم بابتساماتهم الجميلة فعودتي بالنسبة لهم

تساوي الدنيا وما فيها ، ابتسمت لهم مجبرة وتوجهت لمكاني

السابق مجبرة أيضا وجلست بجانبه وهو لم يرفع نظره بي

أبدا منذ دخلت أما والدته فعيناها لم تفارقنا تنتقل بنظراتها

بيننا، بدأ الجميع بالأكل في صمت حتى قال جابر

" هل زارتك زهور "

فقالت والدته " لا "

قال من فوره " كيف وهي متزوجة منذ أكثر من

أسبوعين هل تحدثك بالهاتف "

قالت ببرود " نعم ومن حين قلت أنك وضعت حراسة عليها

أيضا حذرتها من الخروج ولا حتى المجيء هنا "

عم الصمت مجددا للحظات ثم قالت " ومعتصم لا تتركه

يرتع هكذا عليه أن يثبت هنا معنا "

وضع ملعقته وقال " تعرفين ابنك جيدا نبهته كثيرا

ولا يجدي معه شيء "

ثم أمسك الكوب وقال " سأرى كيف يمكنني أن أضع عليه

حراسة عند شقته ومزرعة صديقه وسيكون بخير ففي الجامعة

لن يمسه أحد بمكروه وامتحاناته باتت وشيكة"

وقفت حينها والدته وقالت " وزهور أنظر حالها مع زوجها

كي لا يتكرر ما في السابق وأنت سأتصل بك كل يوم

فأجب على اتصالي ولا تتجاهله وكن حذرا"

وغادرت وأنا أتبعها بنظري مستغربة مما حدث لها ، غريب

أن ينشغل بالها عليهم وتخاف هكذا فليست عاداتها المهمة لا

مبالية ميتة المشاعر اتجاههم ، وقف حينها جابر يتحدث في

هاتفه وخرج من فوره ونظرت أنا للأطفال ووقفت وقلت

"من ينهي طعامه يغسل يديه قبل أن يصعد"

ثم صعدت قبلهم وسبقتهم للغرفة ولحقوا بي بعد قليل وجلسوا

حولي وكأنهم لم يروني من سنين وكل واحد منهم يريد أن

يحكي لي أولا ما حدث في غيابي عنهم وكأنهم لم يسردوا

كل التفاصيل صباحا فشكاويهم من بعضهم لا تنتهي أما أنا

فذهني لم يكن معهم أبدا بل كنت أفكر في المهزلة التي أنا فيها

الآن ، يرجعني مرغمة ولا يفكر حتى في التحدث معي لنرى

حلا لمشاكلنا العالقة بل ضرب قراراتي عرض الحائط

يا رب صبرني على هذا الرجل وعلى دماغه المقلوب

" هل أخبرتي والدي عن اللعبة"

نظرت لأمجد الذي أعادني من أفكاري ثم أبعدت نظري

عنه وقلت ببرود " أمجد لا تشتغل لي كالمذيع حين سيجد

فرصة سيحضرها لك فأنت تراه مشغول كثيرا هذه الفترة"

قال بتذمر " ولكن ليس و"

ليقاطعه الصوت الرجولي القادم من خلفي قائلا

"تعالى خذ"

فقفز أمجد مسرعا نحوه ووقفت الفتاتين ولحقنا به وأنا على

وضيعتي لم أتحرك ولم ألتفت لما يجري خلفي وأنا أسمع

أمجد يقول بسعادة " هذه أفضل من التي مع عمر شكرا

لك أبي كم هي رائعة"

وقالت ترف قافزة " أروني ماذا تكون أنزل بها قليلا يا أمجد"

وقالت بيسان " وأنا بابا لقد نجحت بتفوق مثله أيضا"

قال بجدية " العام المقبل الهدية من نصيبك أنتي ثم هذه ليست

من أجله وحده ولا أريد أن أراها في أيديكم طوال الوقت

وما أن تبدأ الدراسة تختفي أو حطمتها"

غريب أنا لم أخبره عنها فكيف علم !! آه نعم كيف نسيت أنه

يراقب القصر ويبدووا كان يستمع لكل ما دار هنا بعد دخولي

جيد أني تحدثت مع سوسن وقت الغداء لكان تجسس على

مكالمتي معها هذا إن لم يرجع للتسجيل ويستمع لرأي السيئ

فيه ، زفرت نفسا حارا بل حارقا يعبر عن الاشتعال في داخلي

فقال بضيق وخطواته تبتعد جهة الباب " يكفي تأفف يا ترف

لنجد طريقا للتفاهم وننتهي من هذا الوضع المأساوي"

ثم أغلق الباب وغادر فأمسكت رأسي بيدي مخللة أصابعي

في شعري متكأة بمرفقاي على فخذي حيث أجلس ، لما لا

يذكر نفسه قبلي أن عليه أن يوقف ثوراته الغاضبة حين نتحدث

لنجد السبيل للتفاهم فأنا حددت مطالبتي إما أن يرجع لي كرامتي

واعتباري وأمامها أو لا حياة لي معه هنا ، أخرجني من

أفكاري صوت ترف قائلة بحزن " ماما"

فرفعت رأسي لها فورا فقالت بذات النبرة مشيرة بأصبعها

لنفسها " لما قال بابا ذلك عني أنا لم أغضبه في شيء"

ضممتها لحضني وقبلت خدها وقلت هامسة في أذنها

" هوا يحبك بنيتي ولن يقول عنك ذلك أبدا"

عليه أن لا يسمع مدحي له ولا شتمي له أيضا أي يجب أن
أموت من كتم ما بي في داخلي حتى أنفجر ، أبعدت ترف
عن حضني والتفت لأمجد و بيسان وقلت " أبعدها عن عيناكما

أمجد بسرعة ولن تلعبوا بها إلا لأوقات محددة مفهوم"

هز رأسه بحسننا وقال " شكرا لك ماما ففي السابق قبل

أن تتزوجا وتأتي للعيش معنا رأيتها عند عمر

فأخبرته عنها لكنه رفض"

قلت باستغراب " ولما وها هوا أحضرها الآن"

رفع كتفيه وقال " لا أعلم قال لا ينقصني مشاكل منكم

وقال أنها تضر العينين والدماغ"

تنهدت بضيق ولذت بالصمت ، إذا يعلم الآن أني أنا من

ستواجه مشاكلهم وليس هوا فلما لم يشتري لكل واحد واحدة

لوحده ، قال أمجد " سأريها لعمر هذه أجمل وأفضل من لعبته"

قلت من فوري " ولا تقل لن تدعه يلعب بها كما يفعل معك"

هز رأسه بلا فقلت " نعم هكذا أريدك بني"

ضرب يد ترف التي لمستها وقال بضيق

"لقد أفسدتها ها قد مات"

وانطلقت صرخة ترف الباكية فقلت بحدة " أمجد لا تضربها

مرة أخرى من أجلها ولا تنسى ما قال والدك أنها لكم ثلاثكم"

لاذ بالصمت فقلت بضيق " أعطها لها فورا"

مدها لها من فوره فأخذتها منه طبعا دون ممانعة فقلت

بهدوء " أرها كيف تلعب بها"

وانشغلوا مع بعضهم من جديد ووقفت أنا ودخلت غرفتي هنا

*

*

دخلت من الباب عابرا ممر المركز وأجبت على هاتفني قائلا

"نعم يا نزار"

قال بهدوء " ماذا قررت"

قلت وأنا أفتح باب المكتب " قررت ما قررته سابقا وعلى

سما أن تكون في مكان أضمنه بنفسني فعلينا أن نبعتها حتى

نمسك بذاك الرجل فما يدرينا ما الذي علمه تلك الليلة لم يجعله

يرجع ورسائل التهديد والابتزاز أصبحت تكثر بين رجالي وهناك

من وجهوا له سوألا عن مكانها فهل تريد خسارتها للأبد"

تنهد واكتفى بالصمت فقلت وأنا أجلس أمام مكتب العقيد سالم

الذي وقف لي " خلال أيام تكون جاهزة لن أعدد يوما معينا"

قال " أين ستأخذها"

قلت وأنا أشير بيدي لسالم ليجلس " لم أعدد مكانا بعد ، وداعا"

دستت هاتفي في جيبتي على صوت سالم قائلا

" هل نبدأ المرحلة الثانية ونشغل أضواء القبو"

قلت " هذان اليومان وإن لم يدخل المنزل نكون خسرنا

أهم جولة في الموضوع"

قال " ماذا عن خطيبة خالد سابقا سيدي"

حركت خرامة الورق على الطاولة ونظري عليها وقلت

"استعد أنت وأكثر شخص تثق به ليدون أقوالها وسنلتقي

بها قريبا وبسريرة لا يخرج أسمها ولا شيء ولا توثقوا أقوالها

في محضر رسمي ، الورقة ستكون عندي وفي منزلي وزيارتنا

لمزرعة زوجها ستكون ليلا وبتمويه فلن نعرض المزيد للخطر"

هز رأسه بحسنا فقلت " كونوا حذرين خصوصا أنت وخلييل وأسعد

ولا تستهينوا بالوضع خصوصا بعد مقتل رجلين من الشرطة

فبيدوا أنهم شكوا أن أوراقهم باتت مكشوفة أو خمنوا ذلك"

تنهد وقال " ورجالك إن استمروا في تمنعهم عن المغريات

التي تُقدم لهم سيبدوون بتصفيتهم بالتأكيد"

هزرت رأسي وقلت " لذلك علينا التحرك بسرعة"

ثم شدت قبضتي وقلت من بين أسناني " لو أمسك ذاك الذي

يدخل منزل رفعت الشاطر ليلا أكون قفزت قفزة واسعة للأمام"

قال بجدية " سيعود إن لم يشكوا بشيء تلك الليلة مؤكدا سيعود"

وقفت وقلت " ما يحيرني كيف علموا أن لرجالي معرفة بسما"

وقف لوقوفي وقال " يبدووا شكوا أنك أنت من يعرف شيء

عنها أو يكون مجرد تخمين لأنهم لو رأوها يومها لعلموا

أنها في منزل ذاك الشاب صديقك"

هزرت رأسي بنعم وقلت " وأنا فكرت هكذا وهذا يعني أنهم

يعلمون بوجودها هنا في العاصمة وصعب عليهم الوصول لها

لأنه لا معلومات لديهم عنها لا أسمها المزور ولا شكلها ولا شيء

لو أعرف فقط ما السر الذي تحمله تلك الفتاة وأين"

هز رأسه بقلة حيلة وقال " يبدووا شيئا مهما وخطيرا

والمشكلة أنها نفسها لا تعرفه"

قلت مغادرا من عنده " أريدك أيضا مع الرجال هناك الليلة

فلن أستطيع البقاء معهم وأعلموني بكل جديد"

ضرب التحية قائلا " حاضر سيدي"

وخرجت أنا من عنده وأخرجت هاتفي واتصلت بمعتصم

فأجاب من فوره فقلت " قلل من تحركاتك يا معتصم التهديد

وصل لرجالي وإن وصلت لشيء ستصبحون جميعكم في خطر

وسأضع لك حراسة عند شفتك ومزرعة صديقك وغيره

لا تخرج سوا للضرورة"

قال بضيق " هل ستسجنني في الشقة"

قلت بحدة وأنا أركب سيرتي " عد للقصر إذا وكن مع البقية

سيعجبك الوضع هناك أكثر أليس كذلك"

تأفف وقال " ومنزل عمي منصور"

تحرك بالسيارة قائلا باستغراب " ما به" !!

قال " وضعت حراسة عليه أم لا"

قلت بابتسامة جانبية " لا تخف زوجتك وضعت من يحرسها"

قال ببرود " وأخيرا مزحة من اللواء جابر حلمي"

قلت ببرود أكبر " لا تبتعد عن موضوعنا إذا"

تأفف وقال " والجامعة اختباراتي النهائية باتت وشيكة

لا تقل ستحرمني منها"

لففت بالسيارة يمينا وقلت " لا"

قال من فوره " وأنت"

قلت بهدوء " المهم أنتم أنا لا تخف علي"

قال " ليس ذلك أعني"

قلت " ماذا إذا"

قال بعد صمت " أعني زوجتك متى ستذهب لترجعها"

وقفت عند الإشارة وقلت " هي في القصر الآن"

قال مباشرة " فعلت الصواب لا تُفرط فيها يا رجل يكفي

زواجك الأول ثم هذه لا تعوض ولا تستبدل"

قلت ببرود " أرى الموضوع تحول لغزل"

ضحك وقال " سحقا للغيرة"

انطلقت مجددا وقلت " تلك الحركات تركتها لك وأمثالك"

قال بضيق " لا تكن مخلوق فضائي ولا أعلم لا تضيقها وهي

واسعة يا جابر ولا تترك والدتي تدمر كل زواج لك هذه

حياتك وعليك أن تضع لها حدا فأنت تطيعها بشكل مبالغ فيه"

قلت بضيق مماثل " وهل تريدني أن أتعبها أيضا ، أنا لست

مثلك يا معتصم ولا أريد أن أشرح أكثر فخف عليها أنت

أيضا ولن يضرك شيء إن سايرتها"

قال بسخرية " والنتيجة تصبح حياتي مثلك أليس كذلك"

تأففت وقلت " لا أرى حياتك أفضل مني"

قال من فوره " من صنع يدي على الأقل كما أنني

أجزم أن وضع حياتك لا يعجبك"

قلت منهي الحديث " مهما شرحت لن يفهمني منكم أحد

لا تنسى ما أوصيتك وداعا"

أغلقت بعدها هاتفني ودخلت القصر نزلت من السيارة ودخلت

صعدت قاصدا جناحي فغيرت وجهتي جهة ممر غرفة الطفلتين

وما أن وصلت حتى لمحت والدتي عند الممر تتقدم جهة أرجوان

المولية ظهرها لنا لتدخل غرفة أمجد سابقا فعدت خطوتين للخلف

حتى اختفيت عنهما أسمع ما سيجري فوصلني صوت والدتي

قائلة " انتظري لا تدخلني"

لم يأتي الرد من أرجوان وقالت والدتي بعد قليل

"أراك كسرت غرورك وعدتي"

لم تتحدث أيضا لتقول والدتي " اسمعيني جيدا هوا أمر واحد

فقط ترفعي من رأسك فكرة أن تتحكمي في جابر وقراراته

أو تخرجي من هنا كما خرجت شقيقتك قبلك لكن من

دون الأبناء هذه المرة ولا تحلمي بها"

تحدثت حينها أرجوان لأول مرة قانلة " لا تتعبي عقلك

بالتخطيط والتدبير فطلبي الوحيد من ابنك هوا

الطلاق وهي مسألة وقت ليس إلا"

ثم سمعت صوت باب الغرفة يغلق بقوة فقبضت يدي

وضربت بها الجدار وتأففت وغادرت جهة جناحي ، هذا

الوضع أصبح لا يمكن السكوت عنه ، دخلت الجناح والغرفة

نزعت سترتي وربطة العنق ورميتهما على السرير ثم وقفت

لبرهة وسط الغرفة دون حراك أزفر الهواء من صدري

كالنيران تريدين الطلاق إذا يا أرجوان ، ابتعادك عني أصبح

كل ما تريدين وتضحين حتى بالأبناء لتتخلصي مني ، أين

الحب والكلام الذي كنتي تقولينه أين حياتي من دونك لا تساوي

شينا يا جابر ، مررت أصابعي في شعري وتأففت نفسا خرج

كالإعصار لأملاً صدري مجددا بالهواء وأخرجته بقوة أحاول

تخفيف ماذا لا أعلم ، ثم ما بي هكذا ثارت أعصابي من سماعها

تصر على الطلاق ، وأمي من جهة أخرى وما فعلته وتريد فعله

لا أعلم متى سأرتاح في حياتي كباقي خلق الله

غادرت الغرفة وخرجت من الجناح وعدت جهة ممر غرفهم

ولازالت أعصابي تقول للجدران ابتعدي عني

*

*

دخلت الغرفة أمسك دموعي كي لا تنزل ويراهها فيما بعد

ليضن أني أهتم جدا للبقاء معه وفي كنفه ، جلست وحضنت

الوسادة بقوة أتمتم بهمس " نعم يا أرجوان لا حاجة لك به

اكرهيه انسيه لا يستحق منك ولا حتى الدموع"

ضممتها بقوة أكبر وأنزلت رأسي للأسفل ليطلق أحدهم

الباب فوقفت بسرعة ودخل وكانت سيلا نظرت لي وقالت

"العشاء جاهز والسيد جابر وصل منذ قليل لكنه لم ينزل

بعد هل ستنزلين أم أقول أنك متعبة"

ابتسمت بألم للخادمة التي تراعي مشاعري أكثر من زوجي

ووالدته وقلت " لا تقولي شيئا ولن أنزل"

قالت بحزن " فكري مليا بأي شيء تفعلينه ولا

تتركينا سيدة أرجوان أرجوك"

"سيلا اتركينا وحدنا"

كان هذا صوته من خلفها الصوت الجاف الحازم الذي ارتجف

له جسد سيلا وجعل كل خلية في جسمي ترتعش فرغم كل

شيء نبرة الحزم والقوة لا تفارقه وفي كل حالاته ، خرجت

سيلا من فورها ودخل هوا وأغلق الباب خلفه فوليته ظهري

وكتفت يداي لصدري فلم أشعر سوا بيده تمسك ذراعي

بقوة ولفني جهته وقال بحزم

"حين أكون أمامك لا توليني ظهرك يا أرجوان"

بقيت أنظر لعينيه بجمود ودون كلام فقال بحدة

"وهذه النظرة لا داعي لها"

أشحت بوجهي جانبا ولم أتحدث فتنفس بغيض وتركت ذراعي

وقال " هل لك أن تشرحي سبب خروجك لمكان دون إذني

وتطلبين من السائق أن لا يخبرني"

جاء ليصفي الحساب مني إذا ولهذا جلبني ، قلت ببرود

ولازال وجهي جانبا " خفت على والدتي منكم من

حقي هذا أو ليس من حقي"

قال بضيق " وهل سأكلها أم سأقتلها لتخافي عليها مني"

نظرت لعينيه وقلت " لكني لم أذهب لأضيع شرفي

وشرفك وهذا هوا المهم في الأمر"

رمى يده في الهواء وقال بحدة " وإن يكن تحترميني ولا

ترتعي من ورائي كيف تشائين لأنني وثقت بك وجعلت لك

سائقا تحت إمرتك ، لما لم تفكري في كل هذا ثم موانع الحمل

وأسألك وتتهربين من الجواب تضحكين مني وكأني طفل هل

تعلمي حجم هذه الجريمة وما تفعل في عقل الزوج يا أرجوان

وكيف يفسر إقدام زوجته على مثل هذا هل وضعت نفسك مكاني"

أنزلت نظري وقلت " ذلك عندما يكون زوج آخر وليس جابر

سيد حلمي رئيس الشرطة الجنائية عقله يزن عقولهم

ويعرف مقصدي من هذا"

أمسك ذراعي مجددا وضغط عليها بقوة وقال بحدة أكبر

"نعم وإلا كان مصيرك مني شيء لا يمكنك تخيله"

أمسكت يده أحاول تخفيف ضغطه على يدي وقلت بتألم

"نحن لا يمكن أن نستمر معا يا جابر أنا بث

مقتنعة بهذا وأنت تعلم ذلك جيدا"

هزني بقوة قائلا بغضب " هذا ما تفكرين فيه فقط الطلاق أن

ننفصل أن ندمر أسرة من جديد أما أنا أفكر دائما في مصلحتك

وأنتي آخر من يفكر بي تزوجتك ليس من أجل الدروس ولا

تربية الأولاد كما تتخيلي لأنها مشكلة لن يصعب عليا حلها

بل تزوجتك من أجلك أنتي يا أرجوان من أجل مصلحتك من

أجل مستقبل قلبك وعقلك أردتك معهم كي لا تكوني ضحية"

قلت بصوت منخفض متألم " جابر أتركني ليس التفاهم هكذا"

هزني بقوة أكبر وقال وغضبه يزداد اشتعالا " هل فكرت لما

أريد طفلا وأنا لذي الإناث والذكر هل حكمت عقلك وفكرت

أنه من أجلك وليس من أجلي ، لأحميك من نفسك يا أرجوان

حين تزوجتك ورأيت كم لك من عقل كبير فكرت أنك الزوجة

التي ستقدر البلاء الذي أنا فيه وتكون بجانبني لكني تسرعت

وأخطأت ، لن تفهمي ما أقول مهما شرحت يا أرجوان لن
تفهمي لأنك لا تريدين إلا ما تقتنعين به ... حب وغرام وكلام
معسول ... لا أستطيع لا يمكن ، ليس لأنني لا أريد ولا لأنني
لا أقدر لكن لأنه لا ينفع لي لا يخدم مشاكل حياتي ليترك
تفهمين يا أرجوان لكن دماغك توقف عن العمل فجأة"
قلت بحرقة " توقف عن معاملتي هكذا أنا بشر ولست بغلا
ولما لم تفكر بي ووالدتك تهينني وتتهمني وأم أبنائك في
شرفنا لما وحدي من عليها أن تقدرك وتحترمك"
ترك ذراعي بعنف وخرج قائلاً " لا جدوى من
الشرح لك ويبدو أن هذا الأسلوب لا ينفع"
وخرج وخلفني خلفه كالورقة أرتجف من شيء لا أعلمه
هل هوا الخوف أم الحزن أم الحسر أم كتم الدموع
تحركت ووصلت الكرسي بصعوبة وانهرت جالسة عليه
لتنزل الدموع التي أمسكها أمامه بل بدأت بالبكاء ، يضع
اللوم علي وحدي بينما هوا لا يخطأ وهوا المتفضل بما صرت
فيه ، لا ويقول بأنه تزوجني من أجلي ويريد طفلا مني من

أجلى أيضا أنا لم أطلب منه لا أن يتزوجني ولا أن يهديني
طفلا من صلبه ، مسحت بعدها عيناى بقوة وخرجت أتبعه
فعلى هذه المهزلة أن تنتهي بأى طريقة كانت ولا يعتبرني
شيء يتحكم به كيف يشاء عليه أن يحترم قراراتى ورغما
عنه أيضا ، نزلت السلالم مسرعة ليشدنى صوته الغاضب
في جهة معينة من القصر فيبدوا أنه انفجر في أحد غيرى هنا
ولن يكون غير والدته ، توجهت جهة مصدر الصوت وسمعت
يصرخ غاضبا " هي لم تُخبرني بشيء بل سمعت ما قلته لها بأذنى
أرحموني منكم ومن عذابي متى سأعيش حياة كغيرى من البشر
ما الذى فعلته أكافأ عليه بالعيش حياة كهذه ، متى سأرتاح من
هذا هموم فى الخارج والداخل"

قالت والدته بحدة " اذهب وارفع صوتك عليها وليس عليا يا ابني
يا تربيتى أم لأنها لم ترضى عنك جنت تنفس غضبك بي لما
لا تضربني وتطردني لتراتح منى"

قال حينها بحدة أكبر " بل أنا من سأريحكم منى فقد

سئمت منكم ومن حياتى"

ثم سمعت صوت باب ضربه بقوة وخرج من بداية الممر حيث

أقف واجتازني وكأنه لا يراني وابتعد بخطوات غاضبة فعدت

أدراجي مسرعة قبل أن تخرج والدته وتجذني وتنفس غضبها

بي أيضا ، عدت للأعلى ودخلت الغرفة وأغلقت الباب

وجلست على الأريكة ألهث بتنفسي بسبب ركضي لأصل

بسرعة ، إذا سمع ما دار بيننا وقالته والدته لكن ما عناه

بأنه هوا من سيرحمنا منه وفي ماذا يفكر !! أمسكت جبيني

بيدي أضغط عليه بقوة وأحاول تفسير ما قاله لي هنا كان

الغضب قد أعماه وتفوه بأشياء مبهمة لم أفهم منها شيئا

ما معنى أنه لديه بلاء وما معنى كل ما قاله عن أن الحب

لا ينفع له ومكره لأن يكون هكذا ، أشعر أنني في لغز

محير ويطلب مني أن أتفهمه وأستحمل ، من يرضى

لنفسه أن يكون محكوما عليه بالإعدام ويبتهج بوضعه

بعد وقت مسحت دموعي ودخلت الحمام غسلت وجهي

وخرجت لغرفة الفتاتين ومر يومي معهم أحاول أن أكون

طبيعية أمامهم وأنفرد بحزني وحدي

*

صباح ليلة البارحة تسللت من السرير قبل أن تستيقظ
وخرجت من الغرفة بل وجنبتها رؤيتي باقي النهار ، لا
أصدق أنها نامت في حضني بل كانت تدفن نفسها فيه أكثر
وتمسك قميصي بقبضتها بقوة وكأنها تخشى أن أتركها
وتمنيت فقط أن سألتها إن كانت مستيقظة وتعي ما تفعل
وخفت أن تكون نائمة وأوقظها بكلماتي ونصبح في مشكلة
عند المساء خرجت من غرفة الجلوس حيث سجنت نفسي
باقي النهار وجلست في الصلاة عند التلفاز وشغلته بدون
صوت لينفتح باب غرفة النوم وخرجت منه ووقفت أمامه
تنظر لي بصمت وكأنها تريد سؤالي عن شيء وتمنع نفسها
لن تسألني أين كنت طبعاً لأنها إن بحثت عني لوجدتني هناك
نظرت لي لوقت ثم قالت بهدوء " رضا أين كنت"
نظرت لها بحيرة مطولا ثم قلت " في غرفة الجلوس"
نظرت لي باستغراب ثم قالت " طوال النهار هناك" !!
ابتسمت وقلت " نعم جربت أن أجنبك رؤيتي لترتاحي مني"
تركت المكان وعادت للغرفة مجددا دون أن تضيف شيئا

هل خافت وضنت أنني كنت خارج الشقة أم انشغلت علي

آه يا رضا يالا مخيلتك الواسعة هل تضن أنها ستقلق عليك

وقفت دون أن أفكر ولا أقرر ودخلت الغرفة فكانت تجلس

أمام مرآة التزيين تمشط شعرها فاتكأت على طرف الباب

بكتفي وقلت بابتسامة " هل تسمح لي فاتنتي أن أنام على

السريير الليلة فعظامي لم تعد تحتمل أكثر صلابة الأريكة"

وضعت المشط ووقفت وقالت متوجهة نحوي

"إذا أنا سأنام هناك"

أمسكت ذراعها قبل أن تخرج من أمامي وقلت

"زهور البارحة نمت هنا وأنتي في حضني ولم أنقض

عهدي لك ولم ألمسك فدعينا نتصرف كشخصين راشدين"

نظرت لي باستغراب بادئ الأمر ثم قالت " كاذب"

تنهدت وقلت " بل أنتي من طلب مني ذلك وكنت في

نومك تنادينني رغم أنك في حضني"

استلت ذراعها مني وقالت بحدة " كاذب أنا لم أفعل ذلك أنت

من تستغل ضعفي دائما أنت من تنتهز الفرص لتضيعني أكثر"

قلت بضيق " توقفي عن هذا يا زهور أنا لم أقصد يوما إيذائك

وأنتي تعلمين ذلك جيدا كان الأمر حادثا منذ البداية جلبت لك

الدراجة التي كنتي تتمنين فقط أن تركيبها ولو مرة في حياتك

ومن كثرة ما كنتي تتحدثين عنها أمامي ومن كثرة ولعي بك لم

أقدر إلا أن أجلبها ولو غير مناسبة لسنك وطولك ولم أعلم أن

نتيجة ذلك ستكون تلك الحادثة المشينة وكنت أنوي إصلاح

الأمر وخطبتك مرارا ووالدتك رفضت وأنتي تعلمين ذلك جيدا"

قالت بحدة " نعم فذلك وحده ما قدرت عليه كنت تعلم

وترككتي أتزوج دون أن تخبرني .. لماذا وما تفسير ذلك"

قلت بحدة أكبر " وما يدريني أنك لا تعلمين بذلك ما يدريني

أن فتاة تدرس في الجامعة ولا تعلم تلك الأمور ظننتك تعلمين بالأمر"

قالت بحرقة " كيف وممن وأنت وحدك من يعلم طبيعة حياتي

فما لم تعلمه أنت لي لا أعلمه وما لم تخبرني عنه لا أحد

سيخبرني به فحتى جامعتي كانت انتساب"

رفعت يداي جانبا وقلت " وما يدريني أنا أيضا لما وحدي الملام"

قالت ودمعتها تدحرجت من عيناها " وإن يكن كنت أعلم

وإن فرضا ذلك أنت تعي أن من سأتزوجه سيكتشف الأمر

لكنك هربت من البلاد ولم تفكر بي وفي ردة فعل ذاك الرجل
وردة فعل أشقائي ووالدتي لو أخبرهم ذاك الزوج ، كيف نسيت
أني تزوجت من ضابط في الجيش يعني الصفحة من يده كالضرب

بالكهرباء ليحول جسدي لخرائط من التعذيب وأنت السبب"

ثم أشارت بإصبعها لوجهها وقالت ودموعها تزداد نزولا
" هل ترى هذا الجمال الذي تتغزل به لقد أصبح مجرد قشور

لامرأة بجسد مشوه من أثار التعذيب"

شعرت بكل خلايا جسدي تخونني أمام دموعها وكلماتها

فقلت بصوت منكسر " لم أقصد الهرب من مواجعتهم أقسم

لك يا زهور أردت أن أبتعد ولا أراك تصيرين لغيري ضننت

أنك وافقت وتزوجته لأنك وجدت حلا للأمر ولو بإجراء جراحة"

قالت بسخرية " جراحة لماذا يا رضا لجسدي أم لقلبي لكي

ينسى جرحك وتخليك عني ، كنت تعلم أن والدتي من

تجبرني على كل ذلك ومع هذا هربت وتركتني"

ثم أشارت لي بإصبعها وقالت بحقد " لكنك ستري ما رأيت

وكما رأيته تماما هوا شهر واحد وسأرجع من حيث أتيت

وسأخبر الجميع أنك رجل عاجز ولا يمكنني العيش معك

أكثر وستطلقني رغما عنك وستعاني الشبهة طوال حياتك ولن

تتزوج مثلي تماما سنبقى كلينا نبكي الجراح والشبهة"

نظرت لها بصدمة مما قالت وسمعت ثم قلت بهمس

مصدوم " تقولين عني أي عاجز"

قالت بجمود " نعم لتجرب أن تعيش ناقصا في عين

نفسك رغم كمالك لتقاسي ما قاسيت أنا"

هزرت رأسي وقلت " مجنونة هل تعلمي أنه يمكنني

أن أجعلك تحملي مني والليلة"

ابتسمت بسخرية وقالت " لن تستطيع يا رضا مهما حاولت

وفعلت لن ينجح ذلك أبدا"

نظرت لها بصدمة أكبر أحاول تفسير ما قالت ثم قلت

" تحبيني يا زهور قلتها البارحة لي مرارا أحبك يا رضا

لا تتركني وحدي فدعينا ننسى ما فات"

صرخت بحرقة " كاذب أنا لم أقل ذلك"

قلت بحدة " بلى قلتها لما لا تعترفي يا زهور كنت أسيطر

على نومك بسبب ضغطك على نفسك وأنتي مستيقظة"

صرخت بقوة وبدأت برمي بكل ما طالته يداها تبكي وتصرخ

فتوجهت نحوها وأمسكت ذراعاها وهزتها بقوة وقلت بحرقة

"توقفي وارحمي نفسك وارحميني يا زهور أرجوك"

لكنها لم تزدد سوا صراخ بهستيرية فلم أشعر سوا بيدي تضربها

على خدها بقوة لتسقط أرضا تمسكه وتنظر لي بصدمة ودموعها

لا زالت تنزل وبغزارة وعبراتها تتلاحق دون توقف فنزلت عندها

وشددتها لحضني وقلت بحزن " زهور ارحميني أقسم أني أحبك

أكثر من نفسي وأن ما في جسدك أشعر به وكأنه في جسدي"

قالت ببكاء " لن تشعر بي أبدا لأنك لست مكاني لقد دمرتني

لقد أنهيتني ولن أرتاح ما لم تقاسي مثلي"

ضممتها لحضني أكثر أخفي شهقاتها وارتجافها فقالت بعبرة

" أحببتك وأدمنتك يا رضا لكنك قتلتني مثل والدتي حين

حرمتني منك وقتلت قلبي وحلمي أنتما السبب في كل ما

حدث لي أكرهكم جميعكم"

ضممتها أكثر حتى كنت أكاد أدخلها لجوفي وقلت بهدوء

"توقفي عن تعذيب نفسك يا زهور لا أحد يكرهك ولا أحد يريد

إيذائك أنتي كنتي ضحية لظروف أرغمتنا على ذلك أعترف
أني أخطأت ولم أتحدث مع جابر وأحكي له كل ما حدث ليجد
حلا للأمر ويلغي ذلك الزواج بأي طريقة كانت لكن الأولى كانت
دون قصد مني يا زهور أرجوك ارحميني من تعذيب الضمير"
استكانت وهدأ ارتجافها وبكائها شيئا فشيئا وهي تحكي عن
معاناتها طوال تلك الفترة وكأنها تخرج ما في جوفها وتكتمه
لسنوات وأنا لم أتحدث بحرف أستمع لها وقلبي يتفتت عليها وما
بيدي شيء غير سماعها وتركها تحكي ما قتلها لسنين وهي
تسجنه بين ضلوعها فلعلها ترتاح ولو قليلا ، وبقينا على ذلك
الحال حتى هدأت تماما وتوقفت عن الكلام واستسلمت للنوم
بين ذراعي فحملتها ووضعتها على السرير وخرجت من
الغرفة وجلست في الصلاة رأسي بين يدي أفكر في كل ما
قالت ، كانت تنوي فعل ذلك وتشويه سمعتي لتأخذ بحقها
مني لذلك وافقت على الزواج بي إذا كانت تريد أن تتركني
بلا مال ولا سمعة ولا سكن ، لم أكن أتخيل أنها حققت علي
لهذا الحد حتى فكرت في تدميري دون تراجع ، تنفست بقوة
ومسحت وجهي بيدي ورفعت رأسي واتكأت على ظهر الأريكة

وأغمضت عيناى ولم أشعر بنفسى سوا بعد وقت نائما عليها

جالسا مكاني فوقفت وعدت للغرفة فكانت نائمة كما تركتها

فدخلت وجلست بجوارها على السرير أمسح على شعرها

ونظري لا يفارق ملامحها وشيء واحد يدور في رأسى

وهى كلماتها حين قالت أن هذا الجمال أصبح مجرد قشور

فكم عانيت يا زهور ولا يعلم عنك أحد ولم أعد ألومك في

أن تحقدي علي ، انقلبت للجانب الآخر مولية ظهرها لي

فمددت يدي لخيط الفستان من الخلف وفتحته ببطء ليظهر

لي ما يخفي وارتجفت جميع مفاصلي لآثار الضرب التي

شوهدت ظهرها في أماكن عديدة فقبضت على الخيط بيدي

وأغمضت عيناى بقوة وحرقة وأشعر بنيران تشتعل في

داخلي غضبا من نفسى قبل الجميع ، سحقا لك يا رضا يا

غبي يا مغفل لو تركت جابر وقتها يسلمك عن عظامك

واعترفت له لكان أفضل من أن تتعذب هي بالنيابة عنك ، ولم

تفكر إن أخبرهم ذاك الرجل بما علم تلك الليلة لكانوا أنهموا مسيرة

تعذيبها فالشرف لا يرحم فيه أحد ، خرجت بعدها من الغرفة بل

ومن الشقة ونزلت للأسفل فشعوري بالاختناق لا يمكن وصفه

*

*

خرجت من الغرفة راكضة فأمسكت ذراعها وجذبتها

نحوي فقالت بضيق " معتصم أتركني من أين

تخرج لي أنت ومتى دخلت"

جذبتها لتلتصق بصدري وقلت " أنا هنا منذ وقت

وأستمع لشجارك وعمر وسأريه ولن يتعبك مجددا"

قالت وهي تحاول الابتعاد عني " اتركني قد

يرانا أحد فما سيضن بنا"

أمسكت وجهها بيدي وقبلته في كل مكان فيه قائلا

" يقول زوجته واشتاق لها وجاء لرؤيتها"

قالت بضيق وهي تدفني عنها " معتصم ماذا تفعل

أتركني قلت لك ولا تنسى أين نحن الآن"

قلت بابتسامة جانبية " اعتراضك على المكان فقط

حسنا سنغيره ما رأيك في غرفتك أو غرفتي"

شهقت بقوة فضحكت وضممتها لحضني وقلت " لا تخافي

ما بك كدت تموتين وتتركيني أقسم أني اشتقت لك يا ظالمة"

ابتعدت عني وقالت " معتصم ماذا تريد بالتحديد اشرح لي لأفهمك"

أمسكت وجهها مجددا وقلت " كل هذا ولم تفهمي"

قالت بهدوء " اعتبرني غبية و اشرح لي أكثر"

قبلت جبينها ووضعت أنفي على أنفها وقلت بهمس

"أحبك يا أجمل غبية في الوجود أحبك أكثر من كل

شيء وحتى الرسم هل فهمتي الآن"

نظرت لي مطولا بحيرة ثم قالت " إن طلبت

منك ترك الرسم هل تتركه يا كاذب"

قبلت جبينها مجددا وقلت " أقسم إن خيروني بينه

وبينك لاخترتك وإن كان الثمن أن لا ألمس ريشة

الرسم ما حييت"

بقيت على صمتها ونظرتها ازدادت حيرة وضياعا في

عيناى فقبلت شفتاها قبلة صغيرة وللمعجزة لم تتمنع أو

تهرب فزدت الأخرى وأنا أقول " أحبك بتول أحبك"

وهي جامدة مكانها سوا من توثر أنفاسها وقلبي يكاد يرقص

فرحا وفعلت الخطوة الأكبر وجذبتها لي وقبلتها بقوة لينفتح

باب الغرفة ويخرج منه عمر فابتعدت بسرعة وركضت قائلة

"تبا لك يا أحمق هل ارتحت الآن أحمق ومغفل وقليل حياء"

وواصلت وعلى هذا الحال حتى اختفت وأنا كنت أراقبها مبتسما ثم

نظرت لعمر وقلت بضيق " أنت ما أخرجك هذا الوقت يا مفسد"

حرك يديه في الهواء وقال " وأخيرا وجدتها شكرا لك يا ابن عمي"

ثم عاد لغرفته وأنا أنظر له بحيرة واستغراب ثم غادرت

تاركا المكان بعدما أشبعت شوقي وظمني وركبت سيارتي

وأنا أتحسس شفتي بلساني مبتسما وكأني أتأكد مما حدث

فلازلت أشعر بملمس شفتيها حتى الآن ... آه من عشق

النساء كم هوا مهلك

*

*

مر أربعة أيام على خروج جابر ولم يرجع حسب كلام سيلا

ولم ينم هنا فهوا سابقا رغم أنه قد يقضي جل النهار في عمله

إلا أنه يزور القصر من وقت لآخر أقلها مرتين وها نحن نعبر

اليوم الخامس ولا أثر له هل كل هذا غضب مني ووالدته أم

حدث له مكروه ولا أعلم ! ومن أين سأعلم فحتى إن انقلبت
الدنيا في الخارج لا علم لي بها لأننا ممنوعون من الخروج
وحتى إن علمت والدته شيئا لن تخبرني طبعاً ثم كيف يذهب
ويترك ما بيننا معلقاً هكذا هل يكون سافر ! لكنه أخبرني سابقاً
أنه لا يركب الطائرة ولم يذكر السبب وأستغرب كيف قبلوه في
منصب كبير كهذا ولا يسافر للاجتماعات في الخارج ويوكل
شخصاً عنه ، نظرت لهم خلفي فكانوا منشغلين باللعب فغادرت
الغرفة وذهبت للصالون المخصص للتلفاز هنا وشغلته وجلست
أقلب في القنوات المحلية والفضائية أشاهد الأخبار فإن أصابه
مكروه سيتحدثون عن الأمر ، بقيت أتنقل بينها كثيراً حتى شعرت
بالممل فرميت جهاز التحكم ووقفت وعدت من حيث جنت فمالي
ووجع الرأس هل اهتم هواي وبأمري ، دخلت الغرفة على
بكاء ترف فقلت بحدة " أقسم أن أخذها منكم لو
سمعت شجاراً أو بكاء بسببها"
ناولها أمجد لها وقال بضيق " خدي أنانية دائماً"
تنفست بقوة وقلت بغضب " ترف ستلعب بها صباحاً لأنها
لا تنام لساعة فقط بيسان بعد الغداء وأمجد قبل النوم ومن

الغد ستسيرون على هذا النظام أو أنا من سيحطمها مفهوم"

هزوا رؤوسهم بحسنا ينظرون لي باستغراب وخوف ولأول

مرة أرى هذه النظرة في أعينهم ثم وضعت ترف اللعبة على

الأرض ولم تلمسها فأمسكت رأسي بقوة وضربته بقبضتي

منذ متى تفرغين غضبك بهم يا أرجوان منذ متى كان هذا

أسلوبك معهم صراخ وغضب ونست أنهم أمانة شقيقتك

ووالدك ، جلست على الأرض وانهرت باكياً وكأني أفرغ

كبت اليومين بأكملهما فتوجهوا نحوي ترف تبكي معي و بيسان

وأجد يحاولان الحديث معي فضممتهم لحضني أو اصل بكائي

الذي هم آخر من كنت أريد أن يروه فقد تعبت ... تعبت من

نفسي ومن مشاعري ومن وضعي أقسم أنني تعبت حقاً

بعد وقت أبعدتهم عني وتركت الغرفة وسجنت نفسي في

غرفتي كعادتي مؤخراً أمضي ساعات فيها لوحدي لأنني

لا أريد أن أفرغ غضبي من والدهم وجدّتهم بهم

ارتميت على السرير وغطيت جسدي بالحاف حتى رأسي

ونمت في غير وقت نومي المعتاد ولا أعرف كيف ولا لما

لأجلس مفزوعة على صوت رنين هاتفي وأسكته من فوري
أنظر بحيرة للرقم الغريب على شاشته ، من يكون يا ترى لم
يسبق واتصل بي رقم غير من أعرفهم ولا بالخطأ ، لم أستطع
الإجابة عليه وقلبي يقول لي قد يكون شخصا يعرف جابر وقد
يكون حدث له مكروه ما ، نفضت كل تلك الأفكار من رأسي لأنها
باتت تسيطر عليا بشكل مزعج على صوت رسالة رنت في هاتفي
ففتحتها من فوري فكانت من ذات الرقم وفيها (أنا منصور عم
زوجك يا أرجوان أريد أن أراك من أجل أمر مهم ودون
علم أحد وأي كان)

المخرج كلمات لحيبتي المبدعة عذراء سوداء القلب

وسن أنتي ملكي لي

أنتي امرأة غير كل النساء:

أنتي امرأتي ومعشوقي

بالله عليك ارحمي قلبي الملتاع في حبك سيدتي

يا امرأة اشتقت اسمها من سنيني

ماذا تريدین بعد ؟

هل تريدن هدم السنين

أنا عاشق مجروح جرحه غائر يأبى الشفاء فضميني

ضمي أجنحتي واهديني سنين سعادة بين حناياك فأودعيني

نهاية الفصل أتمنى يكون عند حسن ظنكم ويستحق انتظاركم

الفصل التاسع والعشرون

فتح بابها الذي بجانب السائق وقال

"أركبي ... قليلا وسأعود"

قلت بحيرة " أركب لما وأين سنذهب"

أمسك وجهي وقبل شففتاي قبلة صغيرة وقال

"أركبي وستعلمين كل شيء في وقته"

ركبت وغادر وتركني في حيرة من أمري ، أين سيذهب

بي في هذا الليل ولما في سيارة البر تحديدا !! عاد بعد قليل

وفتح باب السائق ركب وأغلقه كنت سأحدث لكنه أمسك

ذقني وقبلني قبلة طويلة ثم قال " قلت ستعرفين كل شيء"

ثم شغل السيارة وغادرنا المزرعة ولا أفهم شيئا مما يجري

سرنا لمسافة طويلة حتى صرنا في طريق صحراوي لا شيء

به سوا الجبال والحجارة والأشجار المتفرقة وكأنها أشباح

في الظلام ، نظرت لكل شيء حولي ثم قلت " نواس ما

هذا المكان المخيف دعنا نرجع للمزرعة"

ضحك وقال " تخافين وأنا معك يا جبانة ثم معنا

سلاح والطريق آمن لا شيء فيه"

للفت جهته بجسدي وقلت بحماس " هل سنذهب للمكان

الذي تذهب له وفيه صديقك هنا"

نظر لي ثم عاد بنظره للطريق وقال " بل مكان آخر

ومادمت ذكرت ذاك المكان فسوف آخذك له من عين

نواس اليمنى قبل اليسرى"

شعرت بسعادة الكون كله تجتاح صدري حينها فهذا هوا

نواس الذي عرفته وحلمت به لسنين وهذه هي الحياة التي

تمنيتها معه ، اقتربت منه وقبلت خده بهدوء وعدت مكاني

فأوقف السيارة ونظر لي بصدمة مصطنعة ثم قال بابتسامة

"كرريها لأعلم أنني لست أحلم"

نظرت جهة النافذة وقلت " نواس توقف عن هذا"

ضحك وأمسك يدي وسحبها جهته وقبل كفها كثيرا ثم قال

"هيا أنزلي يا قلب نواس"

نظرت من حولي وقلت " هنا " !!

فتح بابه قائلا " نعم وسيعجبك المكان بالتأكيد"

نزلت وتحرك هوا جهتي حتى أصبح بجانبني فنظرت له

وقلت " نواس ما هذا المكان الموحش ، هذا بدل أن تأخذني

رحلة في البحر أو تسافر بي تجلبني لوادي الأشباح"

ضحك كثيرا ثم قبّل خدي وقال " ما وادي الوحوش

هذا من أين جنّته بهذا الاسم"

اتكأت على كتفه وقلت مبتسمة " الأشباح وليس الوحوش"

ضحك وضمّني لحضنه ثم رفعني مجددا وسار بي قائلا

"يبدوا أنك لن تسيري إلا مرغمة يا جبانة"

أو أنك استحلّيتِ حملي لك"

قلت بضحكة " لم أفكر في ذلك ويبدوا أنه أنت

من لديك طاقة لرفع الأثقال"

ضمّني له وقال بعد ضحكة " أنتي أخف بكثير من

الأثقال التي كنت أحملها في تلك البلاد"

تمسكت به أكثر وأنا أتذكر معاناته تلك وما عانى هناك وهو

صغير وما لقي من الجميع بعد عودته وكنت سأحدث لكنه

سبقني قائلًا " أبعدني وجهك يا جباتي وانظري لهذا"

أبعدت وجهي ونظرت ثم صرخت وتمسكت به بقوة

وقلت " نواس أبعدني عن هنا هل جلبتني لتقتلني"

ضحك وعاد للخلف بضع خطوات قائلًا

" وأين أذهب بنفسي إن قتلتك يا قلب نواس هل

تعي معنى أنك قلبي ومن غيره لا أعيش"

حضنته بقوة وقلت بهمس " أحبك نواس أقسم على ذلك"

أنزلني حينها فتمسكت بقميصه وقلت " دعنا نعود

للوراء أكثر سنقع من هذا الارتفاع"

قبل خدي وقال بضحكة " يا جبانة سأريك مشهدا لن

تنسيه حياتك فقط اصبري ثم أريد أن أسمعك من

يشهد على حبي لك"

نظرت له باستغراب فنظر جهة الجبال البعيدة وجمع كفاه

حول فمه وقال صارخا " وســــنــــن"

ليردد الصدى أسمى ثم قال " نواس يحبك بجنوووون"

ليردد الصدى كلماته وكأنه هوا من يقولها لي بل وكأن

الجال تنطقها فنظرت له بعينان تمتلئ دموعا فنظر لي

ومسح عيناى بأصابعه وقال " لا دموع أبدا حبيبتى لا

أريد أن أرى هذا رجاءا يا وسن"

هزرت رأسى بحسنا فضمنى لكتفه وقال " هيا أسمعيني

شهادتهم على كلامك أيضا"

ضحكت على الفكرة وقلت " نواس من كل عقلك تقولها"

ابتعد عني وقال بجدية ويدها وسط جسده " نعم أو ذهبت وتركتك هنا"

شهقت بقوة فضحك وقال " كل هذا خوف من البقاء وحدك هنا"

قلت باستياء " بل عد هنا ولا تتركني واقفة وحدي في هذا المنحدر"

ضحك وعاد ناحيتي وطوق كتفائي بذراعه مجددا فلففت ذراعي

حول خصره وأمسكت بقميصه بقبضتي بقوة ونظرت

له فكان ينظر لي ثم قبل أنفي وقال " اشهدي يا جبال"

ثم نظر للبعيد وصرخ " نواس يحب وسن وهي

هوائه الذي يتنفسه"

غمرت وجهي في صدره أخفي دمعتي عنه ثم نظرت حيث

نظر وملئت رنتاي بالهواء ثم صرخت

"أحبك نواااااااس أحبك وحدك"

فضحك و صداها يتكرر وقال " لم أكن أعلم أن الجبال تحبني"

فضحكت على غبائي ثم وضعت كفي بجانب فمي وصرخت

"وسن تحبك يا نواااااااس تحبك حد الا حدووووود كحجنا

جميعنا وكالأرض تحتنا والسمااء فوقنا"

وغاب صوتي حين شدني لحضنه بقوة لتنزل الدموع الواحدة

تسابق الأخرى فقال بهمس " أششششش يكفي بكاء وسن هل

هذا وقته ومكانه"

قلت ببحة " لا أستطيع ، هذا من سعادتني وليس حزني"

قبل خدي وقال هامسا " هيا انظري هناك فقلتيلا

وسيبدأ العرض"

ابتعدت عنه انظر بحيرة وترقب لأشهق بقوة لمنظر

الأضواء البيضاء التي بدأت تتسابق حيث البعيد تضيء

بالتوالي ليدخل عليها أسراب أخرى لتتحول لمشهد يشبه

نجوم السماء وكأنها نزلت للأرض فنظرت له وقلت بدهشة

"رائع وكأنها نجوم ما سرها وكلها بذات اللون"

أمسك يدي بيده والأخرى تحضن كتفائي قبلها وقال

"هل سمعت عن أكبر مصنع في هذه البلاد"

هزرت رأسي بنعم وقلت " بل وفي الشرق الأوسط ككل"

أشار حيث الأضواء وقال " هذا هوا هناك نشاهده من أعلى

أقرب مكان له يشغلونه قبل الفجر بساعة فكم كنت آتي وخاطر

أو وحدي هنا لمشاهدته حين يضيء في الظلام وخاطر من

اكتشف هذا المكان سابقا ولم نخبر عنه أحد ولا نعلم

من يعلم عنه غيرنا"

نظرت لذاك المشهد الغريب مجددا وقلت بدهشة

"لو أخبرتني لكنت أحضرت هاتفني لأصوره"

ضممني له أكثر وقال " ما كنت لأسمح لك فحتى

نحن لم نسمح بها لبعضنا"

نظرت له وقلت مبتسمة " وإن قلت لك من أجل

غزالتك وإن كان لها خاطر لديك"

حضني وقال ضاحكا " حينها سأقول حمدا لله

أنك لم تحضري هاتفك"

قلت بضحكة " محتال"

أبعدني عن حضنه وبدأ بإبعاد شعري الذي يتطاير مع

الريح عن وجهي قائلا " والحل معه الآن"

قلت بضحكة " ما بك معه يضايقك أنت

أم يضايقتني أنا"

قال بابتسامة وهو يجمع ما يبعده للخلف بيده الأخرى

"بل يعيق مخططاتي وطريقي"

شعرت بأني اشتعلت من الخجل وأنزلت نظري

على صوته قائلا " وأخير يا مزعج"

فتنفست بقوة لأهدئ نفسي لكن لا مجال لذلك فقبلته سبقت

كل شيء قبلة لم أعشها معه سابقا ولم أعرفها فيبدووا كانت

كل قبلاته تلك ناقصة أو خجولة أو مراعية لي أما هذه من

جنونها جعلتني أبادله الأمر وكانت المرة الأولى أفعالها لأتعلم

معه وفي شفتيه هذا الفن الأسطوري ، أغمضت عيناى ولففت

ذراعي حول عنقه بقوة ليزداد الأمر جنونا ومع الريح شعرت

وكأننا نطير في الهواء ووجدنا في هذا العالم ، حتى شعرت

بارتخاء قبضة ذراعيه على خصري فابتعدت مبعدة شفتاي

ببطء وأنزلت رأسي للأسفل خجلا منه ومما حدث فمسح

بكفه على طرف وجهي وقال بهمس " ما بك حبيبتي خفت

فقط أن تتألّمي من ذراعي ولم أقصد إبعادك"

شعرت بقلبي سيخرج من شدة خفقانه وأنزلت رأسي أكثر

أبعد شعري خلف أذناي فمسح بيده على ذراعي نزولا

حتى طوق بها خصري برفق ليصقتني به وانحني لي

وقال بهمس خافت " وسن أقسم كانت رائعة ما بك"

أغمضت عيني بشدة وقلبي يقول يا غبي بل خجلت منك

فأنا أراها أروع مما تراها ، همس مجددا وهو يشدني

له أكثر " وسن"

فرفعت رأسي وعيني ما تزالان مغمضتان وطوقت عنقه

مجددا بذراعي وفعلتها أنا هذه المرة وقبلته..... نعم أنا من

جعلت من شفتيه فريستي ليشاركني الأمر سريعا وطوق

خصري بذراعه الأخرى أيضا وحملني عن الأرض ودار

بي حول نفسه ونحن لازلنا في حديث شفاه طويل

*

*

دخلت المنزل وقت الفجر قاصدا المطبخ ووجدت مقصودي

وهي راضية وقلت من فوري " أين نواس"

التفتت لي فزعة وقالت " بسم الله ما بك وليد

لقد أفزعتني يا أحمق"

قلت بضيق " أين نواس بلا كثرة كلام هواتفه جميعها مغلقة"

قالت من فورها " خرج منذ الليل قاصدا البر ألم يخبرك"

قلت بحيرة " وما يفعل في البر يخرج ذاك

الوقت ولم يفتح هاتفه الثريا"

رفعت كتفها بمعنى لا أعلم والتفتت تنهي عملها قائلة

"أخذ زوجته معه هذا فقط ما أعلمه ولن يرجعا

اليوم ولا أعلم متى"

قلت بحيرة " من منهما تقصدين"

ليقطع حديثنا الصوت الذي نادى راضية من بعيد وهو

لمي مما يعني أن الأخرى معه وبالتأكيد سيأخذ تلك ما

سيفعله مع مي وهما زوجان بالاسم فقط ، عند هذه النقطة

فقد عقلي التركيز وخرجت لها دون أن أعطي قدمي الإذن

لأجد نفسي عندها تفصلنا بضع خطوات فقط تنظر لي

بصدمة ومؤكد من وجودي هنا ، آه يا مي لا أصدق أنك

لازلت حرة طليقة وسترجعين لي رغم أنك لم تكوني لي

يوما ، بقيت أنظر لها بلهفة وسعادة وهي لا تزال في

صدمتها ثم وضعت يدها على شعرها وكأنها تتأكد من

أنها بلا حجاب واستدارت لتغادر مسرعة لكنني سبقتها

وكانت ذراعها النحيل في قبضة يدي وأدرتها

ناحيتي قائلا " مي انتظري قليلا"

نظرت لعيناي نظرة لم أفهمها لا تشبه نظرتي أبدا ثم

أبعدت وجهها جانبا وقالت ببرود " نواس ليس هنا"

نظرت لها بحيرة فلم يكن هذا تعاملها معي في السابق ثم

مددت يدي لذقتها وأدرت وجهها لي وقلت بهدوء

" لكني كنت أدخل في غيابه بل وأعيش هنا فما تغير"

ابتعدت للخلف وقالت بجمود " ذاك كان في السابق ولا

تلمسني ثانيًا فأنا لا أحل لك ومتزوجة إن نسيت"

ثم ركضت عائدة للأعلى وأنا أتبعها بنظري بذهول ، هل
حكا لها نواس شيئا يا ترى !! ولكن مستحيل لن يفعلها
أعرفه جيدا ، إذا ما بها تغيرت معي هكذا فجأة وتُذكرني
أنها متزوجة ولم تفعلها سابقا ، نعم يا أحمق وهل تعي
أنت لنفسك تخرج لها وهي دون حجاب وتمسك وجهها
ونسيت أنها مي ذاتها لم تتغير أم كلام نواس عن علاقة
مفاتيحك التي تحتفظ هي بها أنساك نفسك وضننت أنها
إن كانت تحبك ستتخلي عن احترامها ومبادئها ، أخرجني
من أفكاري صوت هاتفي الذي رن فجأة فأجبت خارجا من
المنزل وأنا أقول " أجل سننقله من هناك لم أجد نواس
والوضع لا يحتمل انتظاره جهزوا سيارة إسعاف خاصة"

*

*

بعد صراع طويل معي أجلسني مرغمة عند بداية الصخرة
المخيفة وجلس خلفي وأنا في حضنه ظهري يتكأ على صدره
نشاهد شروق الشمس وأمسك بقوة ذراعه المطوقة لي وكأنه
هو الأرض التي سوف تحميني من السقوط وليس احتمال

سقوطنا معا وارد جدا ، كان يقبل خدي وعنقي وأنا لا أفكر

سوا في أني سأسقط من هنا فقلت بضيق " نواس يكفي

توقف أقسم أنني خائفة"

ضحك وغمر وجهه في عنقي أكثر يقبله ثم قال

" جبانة أنا وخاطر نجلس هناك عند الحافة"

أمسكت يده أكثر وقلت " لا تفعلها مجددا ماذا إن وقعت"

لكنه لم يجب طبعا فحركت كتفي ورأسي وقلت بضيق

"نواس يا مجنون يكفي النهار بدأ يبزغ قد يرانا أحد"

ضحك وابتعد عن عنقي أخير ورحمني وسند ذقنه برأسي

وشدني له أكثر نشاهد منظر الشروق بصمت حتى نزل بيده

أسفل بطني وقال " ترى متى سيصبح هنا نواس صغير"

ابتسمت بسعادة على مجرد الفكرة واتكأت على كتفه

برأسي أنظر له للأعلى وقلت مبتسمة " كله أسبوع

واحد هل تضنني آلة صنع حلوى"

ضحك وانحنى لشفتاي وقبلهما قبلة صغيرة وقال

"بل خمسة أيام فقط يا ظالمة رغم أننا متزوجان من شهر"

قبلت أسفل ذقنه وقلت " ولما الاستعجال ورائي امتحانات

ورسالة تخرج فأخبر ابنك يوجبها قليلا"

عاد بنظره للشروق وقال بهدوء " لو الأمر بيدي لكان منذ

ست أعوام وقت عودتي لهذه البلاد ، لقد تعبت من الانتظار

فمن هم في سني أبنائهم أعمارهم عشر سنين ويزيد وأنا

حياتي ضاعت أركض في مكاني وكل شيء ضدي منذ ولدت"

أبعدت رأسي عن كتفه ونظرت للأسفل بحزن وشعرت

أن كلامه أنا أحد المعنيين به فماذا كان في يدي لما أبقى

دائما ملامة منه لما لا يقدر وضعي وظروفي ، عاد لخدي

مجددا وقبله وقال بهمس حزين " تأخر ابني كثيرا يا وسن

تأخر حبيب والده فلا تؤخريه أنتي أيضا مزيدا من العمر"

ما يعني بهذا هل زوجته لا يمكنها الإنجاب ليطلبها مني أنا

وماذا إن حملت هي قبلي وحققت له مناه وتركتني في الخلف

ككل مرة ، قلت بحزن " قد تهديه لك غيري يا نواس"

ارتخت حينها ذراعاه عن احتضاني وكان كلامي فاجأه ثم

قال بضيق " وسن حتى متى سنبقى نتحدث في هذا"

نزلت دمعتي لتسقط على رسغه مباشرة وقلت بعبرة

"قد تفعلها هي يا نواس هذه حقيقة لما نهرب منها"

أبعد يديه عني ووقف وقال بحدة " وسن يكفي أصمتي ولا كلمة"

ضمت ساقاي لحضني وانكشيت على نفسي وقلت باستياء

"تلك هي الحقيقة يا نواس فهل ترضى أنت أن أكون زوجة

لك ولغيرك في آن واحد ، أقسم لو كنت تحبني كما أحبك لكنت

فضلت الموت على التفكير بها فقط فكيف إن كانت واقعا أمامك"

قال بحرقه " يكفي يا وسن كم مرة سأقولها"

ولم أسمع بعدها سوا خطواته الثقيلة مبتعدا رغم وعورة

المكان فضمت نفسي أكثر من الخوف فإن كنت جالسة

في حضنه وخائفة كيف إن تركني وحدي هنا ، زاد ارتجافي

لابتعاده وقلت بخوف وبكاء " نواس لا تبعد لا تتركني

هنا أرجوك ، أي عقاب إلا هذا"

وازداد بكائي وخطواته تقترب مني حتى أصبح خلفي

ونزل مستندا بقدميه وضمني له مطبقا ذراعيه على

صدري وقال بهدوء " لن أتركك هنا يا وسن ما هذا الذي

تقولينه أردت فقط أن أبتعد بغضبي عنك ولا أرفع صوتي

أكثر ، آسف أقسم أنني آسف ونسيت أنك ستخافين"

قلت بشهقات متتالية " أبعدني عن هنا لا أريد البقاء أكثر"

أوقفني وغادرنا عائدين ناحية السيارة حتى وصلنا هناك

واتكأت على بابها بظهري أمسح دموعي ونواس توجه

للخلف فتح بابها ثم عاد ناحيتي وفي يده قارورة ماء صغيرة

فتحها وقربها من فمي وأشربني منها بنفسه ثم رماها بعيدا

والمياه تتناثر من فوهتها حتى سقطت أرضا يجري مائها

على الحصى الصغيرة وضمني له قائلا " مي حكمتها ظروفي

يا وسن كم مرة سأقولها لك فمثلا كانت خطبتك من الصقار

بحكم ظروفك كما ترين فزواجي منها كان بحكم ظروفي

ولا أستطيع قول المزيد"

قلت بأسى وأنا أتمسك به أكثر " لكنها تشاركني فيك يا نواس

ولا أستحمل هذا لا أريد أن تكون لغيري أنت لي أنا ووحدتي"

زاد من احتضاني أكثر وقال " لنترك كل شيء لوقته وسنجد

له حلا ودعينا الآن نعيش أيامنا هنا كما أريدها أنا ومنذ

سنوات أرجوك يا وسن"

ابتعدت عن حضنه وهزرت رأسي بحسنا أنظر للأرض

فمد يده لذقتي وأمسكه ورفع وجهي له ومسح دموعي بيده

الأخرى قانلا " ماذا أفعل ولا أرى عينا الغزلان هذه

دامعة ، ارحميني يا فؤاد نواس"

مسحت عيناى بقوة وقلت " حسنا لن أبكي حتى تنتهي رحلتنا"

ضحك وقبل شفطاي قبلة صغيرة وقال " يعني ما

أن نرجع سنعود للدموع"

ابتسمت ثم ضحكت ضحكة صغيرة أمسح طرف عيني

كالأطفال فأمسك وجهي بيديه وقبل شفطاي عدة قبلات

وقال مبتسما " كيف أفعل مع طفلي يا بشر ستصيبني بالجنون"

قلت وأنا أحاول الابتعاد " نواس قد يرانا أحد ابتعد عني"

أمسك وجهي أكثر وقرب شفطيه من شفطاي وقال بهمس

" ما رأيك بواحدة كتلك لقد قتلتني بها يا وسن"

ابتعدت أضربه على صدره قائلة " نواس أقسم أن

أغضب منك لا تتحدث عن شيء مما كان عند تلك

الصخرة وسنتركه هنا"

ضحك وفتح لي باب السيارة قانلا " كل شيء قد

يبقى هنا إلا تلك تفهمي"

ثم توجه جهته وركب فتنهدت ألحن قلبي وغبائي على ما

حدث وفعلته لكن ليس ذنبي لم أستطع المقاومة ، ركبت

بسرعة على صوت منبه سيارته دون توقف وأغلقت الباب

وأبعدت له يده عنه قائلة بضيق " يكفي ثقت لي طيلة أذني"

فضحك وشغل السيارة وتحركنا وأنا أحاول ترتيب شعري

على المرأة الأمامية بعدما أدرتها جهتي فقال مبتسما

"إن تعرضنا لحادث سير سيكون بسببك"

أعدتها جهته وقلت " وأي حادث هذا ولا طرق

معبدة هنا ولا سـ"

لأقطع كلامي صارخة وأنا أشير بإصبعي للخارج قائلة

" غزال نواس أنظر"

قال بصوت مبتسم " وغزلان أيضا يا غزالة نواس

فهذا مكانهم جلبتك له خصيصا"

كنت أنظر للغزال بدهشة وهو يقفز قفزا وتحرك

نواس جهته بسرعة وقال " تمسكي جيدا"

أمسكت بطرف النافذة المفتوحة أصرخ بحماس وخوف من

سحبني للجهة الأخرى وقال " جربي فالأمر سهل

جدا وكثيرات يقدن السيارات"

ركبت منصاعة وقد أكون أحببت الفكرة وأغلقت الباب

وركب هوا بجانبى وأغلق بابى وقال " هيا اضغطي بقدمك

على تلك وتحكمى بالاتجاهات بالمقود وأنا سأحرك

ذراع السرعة بجانبى"

فعلت كما قال فتحركت السيارة فصرخت ضاحكة بحماس

وأنا أقول " فعلتها نواس أنا أقودها فعلا"

ضحك وقال " نعم والآن اضغطي هذه أكثر واستعدي للإسراع"

فعلت كما قال لتنتلق السيارة مسرعة وتففز بنا فوق الصخور

فصرخت قائلة بذعر " ماذا أفعل أنا خائفة أوقفها نواس بسرعة"

قال ضاحكا " لا تخافى وأبعدي قدمك قليلا"

خفت سرعتها وأصبحت أعتاد الأمر شيئا فشيئا وأقود بحماس

وسعادة ونواس يوجهني لما أفعل حتى ترك ذراع السرعة

والتفت للمقعد الخلفى وأخذ بندقية الصيد وعاد للأمام قائلا

"قودي فى ذاك الجانب على ذات السرعة"

تحركت حيث قال وأخرج هوا البندقية من النافذة وجزء

من جسده معها وقال " حركي ذراع السرعة للأمام

درجتين وزيدي السرعة يا وسن وفي نفس الاتجاه"

فعلت ما قال رغم توتري وخوفي وأصبحت سرعتي مخيفة

وأنا أصرخ بأني خائفة وسأبعد قدمي وهو يصرخ أن أتابع

حتى سمعت صوت إطلاق النار فأبعدت يداي وأغلقت بهما

أذناي صارخة فأمسك نواس المقود وأوقف السيارة ثم فتح

الباب ونزل منها قاتلا " رائع لقد اصطدناه ، أنا وخاطر

كان يأخذ منا نصف يوم"

توجه لجهة معينة رفع شيئا ثم عاد جهة السيارة وأراه لي من

بابه كان شيء يشبه الأرنب وليس أرنبا ولا فأرا شيء غريب

حركه وقال بحماس " هذا الحيوان أصعب صيد في البرية

جميعها فكم كان يتعبنا وحصلنا عليه اليوم بسهولة"

كنت أنظر له في يده باستغراب ثم نزلت قائلة " أرمه واركب

مكانك وقد سيارتك بنفسك أنا تبت عن فعلها ما حبيت"

ضحك وقال وهو يتوجه لصندوقها الخلفي

"كيف أرمي صيدا ثمينا كهذا"

ركبت مكاني السابق وركب هوا وحرك السيارة قائلا

"ستذوقين طعم لحمه وستعرفين قيمة صيدنا هذا"

نظرت له وقلت بقرف " يع أنا تريدني أن آكل من ذاك الفأر الكبير"

ضحك كثير ثم قال " هذا الفأر الكبير يربط البعض

لأيام في البر لاصطياده"

قلت ببرود " مغفلين لو يشتروا دجاجة ويأكلوها أفضل لهم"

عاد للضحك مجددا فنظرت جهته وقلت " هل تصطادا دائما"

قال ونظره للأمام " أحيانا نقضي أكثر من أسبوع نخيم في البر"

قلت باستغراب " ألا توجد هذه الأشياء في الأسواق

تشترونها أوفر لكم من كل هذا التعب"

عاد للضحك فقلت بتذمر " نواس لا تسخر مني"

قال بعدما أنهى ضحكه " المتعة في مطاردته

واصطياده ليس شرانه"

قلت ببرود " هواية غريبة"

قال مبتسما " ألم تستمتعي بكل ما فعلته ثم يفترض

بك أن تحبي كل ما يحب زوجك"

شعرت بمشاعر غريبة وهو يقول زوجك وينسب نفسه

لي بل يؤكد لي أنني لست في حلم ، ضمنت ذراعه ودست

وجهي فيها وقلت بألم " آه يا نواس كم بُعد هذا الشيء

وطال حتى أتعبنا ودخل الأعراب وأخذوا هذه

الخصوصية واجتازوها"

مسح على شعري بيده الأخرى وقال " المهم أننا الآن معا

يا وسن هذا المهم فالصعب أن يكون فراقا لآخر العمر"

أبعدت وجهي وقبلت خده واتكأت على ذراعه وبقيت

متمسكة بها وسرنا مسافة حتى وصلنا لطريق ترابي وقال

"دعيني أخرج هاتفني"

ابتعدت عنه وتركت ذراعه فمدها للدرج فتحه وأخرج هاتفنا

غريبا كبير وقبيح فتحه واتصل به ، يبدو أنه الهاتف الذي

يعمل بالأقمار الاصطناعية فلا اتصالات هنا ، قال بعد قليل

"مرحبا بابن الصحراء"

ثم ضحك وقال " وكيف تكون هذه يا غبي المهم أنني

في الطريق إليك"

سكت قليلا يستمع ثم ضحك وقال " لا طبعا لا نكبات هذه المرة"

"حسنا نلتقي ونتحدث المهم سأوقف سيارتي عند الغرف

الشرقية لتنزل زوجتي هناك فابتعد أنت ورعيانك

عن الجهة بأكملها"

استمع له ثم ضحك وقال " افعل ما قلت من غير كثرة

حديث يا معتوه وسنلتقي ونتحدث"

أنهى بعدها المكالمة ونظر لي ثم أماما وقال " زوجته وأبنيه

هنا سأنزلك عندها لتأخذي منها شيئا تغطي به شعرك

وتتعرفي عليها وسيعجبك المكان"

قلت بحماس " رائع فكم سمعت عن الأماكن التي ترعى

فيها الإبل والمواشي وقالوا أنها جميلة"

ضحك وقال " من هذا الذي كذب عليك"

قلت بعبوس " نواس ما بك لا أقول شيئا لا تضحك

منه يبدووا تسخر مني"

مد ذراعه لي ونظره أمامه وقال " تعالي يا قلب

نواس هل هناك من يسخر من قلبه"

اتكأت على كتفه وضممني بذراعه فمسحت بكفي على صدره

صعودا حتى طوقت عنقه وقلت بهمس " أحبك نواس

أحبك بحجم لا تتصوره"

مسح على ظهري بيده في صمت يقبل رأسي كل حين وبعد

مسافة وصلنا لسور كبير ومنخفض بعض الشيء فابتعدت

عن كتفه وقلت باستغراب " هل هنا يعيش صديقك"

أوقف السيارة وقال " لا هنا إحدى المفاجآت هيا انزلي"

قلت بحماس " رائع ومفاجآت أيضا"

نزل ودار جهتي فتح لي الباب وأنزلني بنفسه فقلت

ضاحكة " يلزمها سلالم من علوها"

قبل خدي وقال وهو يغلق الباب " بل أنتي يلزمك

كعب حذاء مرتفع"

ضحكت وقلت " وكيف أسير به هنا"

أمسك يدي وسحبني معه نسير بجوار السور أحاول رؤية

شيء مما ورائه ثم قفزت لأرى فوقف وأبعدني قائلاً بضحكة

"توقفي يا مخادعة حتى نصل"

قلت مبتسمة " لم أستطع أكاد أموت فضولاً"

ضحك وتحرك بي قليلاً حتى كنا عند باب حديده منخفض

حتى نصف أجسادنا والباقي أعمدة حديدية فقط ليظهر لي
ما يخفي هذا السور الطويل وشهقت بقوة وأنا أرى العدد
الكبير من الغزلان بداخله بأحجام مختلفة منها النائمة ومنها
الواقفة والتي تقفز وتركض فأمسكت بالقضبان وأنا أنظر لها
وقلت بحماس وصدمة " نواس كل هذه غزلان ما أروعها"
أخرج مفاتيح من جيبه وفتح بأحدها قفل الباب وأبعد
السلسلة الحديدية وفتحه قائلا " نعم كلها غزلان
وملكي أيضا ، ادخلي هيا لتريها عن قرب"
قلت بتردد " ألن تؤذينا"
قال وهو يدخل أكثر " لا وأغلق الباب بعد دخولك"
دخلت ورددت الباب ووقفت بجانبه أنظر لهم
حولنا وقلت " كلها لك أنت"
وضع ذراعه على كتفائي وقال " نعم ولك أنتي معي فمالي
مالك وأملاكي أملاكك وهذا أحدها"
نظرت له وهو ينظر لهم وقلت " وما لديك هنا غيرها"
نظر لي وضحك وقبل شففتاي وقال " هل تريدي
أن تحصي أملاكك"

قلت باستياء " نواس ما هذا الذي تقوله"

ضمني لكتفه نشاهدهم معا وقال " لا شيء غيره فالإبل

والمواشي لا تستهويني أما هذه فحبي لها من حبي لك"

ثم اقترب بي حتى سرنا بينهم وكنت أنظر بخوف للضخام

فيها وقلت وأنا أتمسك به " نواس ما بها بعضها مخيفا"

ضحك وقال " هؤلاء الذكور تعالي لتري هذا"

وصلنا عند واحد صغير بل يبدو أصغر المجموعة ونزل له

يمسح على ظهره وقال " هذا آخر مولود عمره أيام فقط"

نزلت مثله ومسحت على وجهه الصغير بسعادة وقلت

" علمت الآن لما كنت تأتي هنا دائما وتبقى لأيام ، من

روعة كل شيء في هذا المكان"

وقف ووقفت معه وقال وهو يمسح على إحدى الغزلان

بجانبه " هذه المخلوقات حذرة جدا ولا تؤمن لأي أحد ولو

لم يعتادوا رؤيتي لما سمحت لنا والدة الصغير بلمسه"

قلت بخوف " تقصد أنه إن كنت وحدي هنا لخرجت

مليئة بالثقوب بسبب قرونها"

ضحك وقال " لا طبعاً إن لم تؤذيها ، لكنها ما كانت

ستبقى قريبة منا هكذا وستبتعد عن مكان تواجدك"

لويت شفطاي وقلت بغنج " يالا عديمو الذوق يحبونك

أنت الرجل وأنا المرأة الرقيقة يخافون مني"

ضحك وشدني ناحيته وأمسك وجهي وبدأ بتقبيلي فقلت

بضيق مبتعدة عنه " نواس توقف هذه حيوانات لكنها

تنظر ثم ماذا إن جاء أحد هنا"

حضني ضاحكا ثم سار بي بينهم فبدأت بالركض خلف

الغزلان الصغيرة بينهم فوحدها أقدر عليها لكني كلما اقتربت

من أحدهم هرب مني ونواس في ضحكة واحدة حتى

قال صارخا " اهربي وسن أحد الذكور قادم من خلفك"

لأصرخ تلك الصرخة المدوية ولم أشعر بنفسي إلا وأنا في

حضنه وهوا يضحك فابتعدت عنه أضربه بقبضتي على

صدره وقلت بضيق " كاذب وكم تحب أن تضحك علي"

أمسك وجهي وعاد لتقبيلي مجددا فابتعدت عنه بقوة

وقلت " محتال لهذا فعلت ذلك"

قال بضحكة " لو لم أفعل هذا لما أتيت لي أبدا"

أبعدت يداه وابتعدت مجددا أركض خلفهم وقال ضاحكا

" حسنا تعالي سأقول لك شيئا"

لكني لم أكثرث له ولم أخرج معه حتى أمسك لي بأحدهم

ووضعه جالسا في حجري أمسح على ظهره فوضع

يديه وسط جسده وقال " هكذا سأشعر بالغيرة"

ضحكت وضممت عنقه الصغير بذراعي فأبعده عني

بالقوة وقال " يكفي الوسن تشاركني هذا الحضن

هيا بسرعة سنغادر"

خرجنا من هناك وركبنا السيارة وتوجهنا نحو غرف

مبنية حديثا وبجانبها أشياء يبدووا تعمل بالبنزين أو الديزل

من أصواتها ومؤكد من أجل الماء والكهرباء ، أوقف

السيارة وقال " انزلي هنا ، في هذه الغرف عائلة خاطر"

نظرت له وقلت باستغراب " يعيش وعائلته هنا" !!

هز رأسه بنعم وقال مبتسما " زوجته رفضت تركه هنا

والعيش في المدينة بل كانت وابنيها في خيمة هنا"

نظرت له بصدمة وقلت " غبية"

ضحك كثير ثم أمسك أنفي وقال " ولما غبية تحب زوجها

وتريد أن تكون معه تحت أي ظرف كان هل كنتي

أنتي ستتركييني هنا وتعيشين هناك وحدك"

أبعدت يده ووضعت يداي وسط جسدي وقلت

"ولما لا تفكر أنت بي"

انحنى جهتي وفتح بابي وقال مبتسما " كيف أترك عملي

ورزقي من أجلك ونموت جوعا هيا فزوجته تنتظرك"

استوى في جلسته مجددا فلففت ناحيته وطوقت عنقه

بذراعاي وقبلت خده ثم ضمته بقوة وقلت بهمس

"سأشتاق لك"

مسح بيده على ظهري وقبل خدي وقال

"كلها ساعات قليلة وسنكون معا"

ابتعدت عنه انظر له فأمسك وجهي وقبل شفطاي قبلة

صغيرة وقال " إن لم يعجبك الوضع هنا فأخبريني فقط"

هزرت رأسي بحسنا وقبلت شفطيه سريعا ونزلت وطرقت

الباب ودخلت المكان لأجد في استقبالتي زوجته التي قابلتني

برحابة ووجهه مبتسم وأدخلتني للداخل ، كانت مجموعة غرف

على ما يبدو وأحدها مطبخ ويبدو الحمام مستقل في الخارج

كما أنه لا يزال هناك المزيد من الغرف المنفردة غير هذه

دخلنا لغرفة مجهزة بمجلس أرضي أرقى من تخيلي ومن هذه

الصحراء وجلسنا وجاء ابنها ويبدو لم يتجاوز العامين وقال

كلاما لم أفهم أغلبه فوقفت وقالت " بعد إنك ابني يبدو

استيقظ سأجلبه وأرجع لك"

ثم خرجت وعادت بعد قليل تحمل طفلا يبدو عمره أشهر

وضعته في حجري وقالت " إن لم يزعجك الأمر امسكيه

قليلا حتى أحضر لك فستانا وحجابا كما طلب زوجك"

هزرت رأسي بحسنا مبتسمة لها فخرجت وابنها يتبعها

ونظرت أنا للصغير في حجري وهو يلعب بالخيط المتدلي

من قبعة بيجامتي وابتسمت بحب وضممته لحضني ومشاعر

غريبة تولد في داخلي وتمنيت بالفعل أنه ابني من نواس فكم

سيكون ذاك شعورا رائعا أنا حقا أريد ذلك وأكثر منه ، بعد

قليل عادت زوجة صديق نواس وجلبت فستانا طويلا مزركشا

بالخيوط ومدته لي وقالت " أتمنى أن يعجبك ويكون على

قياسك والحجاب معه البسيه وقت الحاجة له"

أخذته منها وقلت بامتنان " شكرا لك واعذري

ثقلنا فالأمر لم يكن مدبر له"

أخذت ابنها مني وقالت " أبدا أنا سعيدة أن زارتني

امرأة هنا ، سأخرج فالبسيه على راحتك"

قلت بإحراج " لو لم يكن فيها ثقل أريد أن أستحم أولا"

قالت مبتسمة " الحمام هنا بجانب الغرفة ويوجد

غيره في الخارج"

وقفت ودخلت الحمام استحممت ولبسته وغسلت البيجامة

لأنها اتسخت قليلا ونحن من مكان لآخر ثم ارتديت الفستان

كانت المرة الأولى ألبس هذا النوع منهم في حياتي فلباسي

كان دائما بنظونات وتنورات ، خرجت بعدها وعدت للغرفة

فوجدت طعاما تجلس وابنيها حوله وقالت مبتسمة ما أن رأيتني

" عليك أجمل مني فجسدك أنحف وأنا ممتلئة فلم

أرتديه سوا مرة واحدة"

توجهت نحوهم وجلست وقلت " كنت ممتلئة قليلا مثلك

لكني الفترة الأخيرة بسبب تعب معدتي فقدت كثيرا من

وزني وسيكون عليك أجمل بالتأكيد"

قالت بعد ضحكة " أبدا نحافتك متناسقة وجسدك جميل ولون

بشرك الناصح عكس على لونه كثيرا فلا تجامليني"

ثم قربت الصينية وقالت " تفضلي شيء بسيط حتى

وقت الغداء فزوجك قال أنك لم تأكلي شيئا"

قلت بحياء " لما تتعبين نفسك نواس فقط يبالغ في

هذا فأنا لا رغبة لي في الطعام"

قالت وهي تطعم ابنها " يبدوا يخاف عليك كثير حتى

أنه أخبر خاطر يتأكد مني أنك أكلتي"

قلت مبتسمة بإحراج " نواس هكذا دائما"

قالت ضاحكة " أو أنكما عرسان جددا"

ضحكت وقلت " أجل تزوجنا منذ شهر فقط"

ثم ضحكنا معا وقالت " شهر ويجلبك للبر بدلا

من أن يسافر بك لمكان أفضل"

مددت يدي للخبز وقلت " هكذا كانت الظروف ثم ما

به البر لقد استمتعت كثير ولم أتخيله هكذا"

وأمضينا الوقت نتعارف ونتحدث وعلمت أنها متعلمة وحاصلة

على شهادة إدارة أعمال وانتهت بالعيش هنا وتربية الأولاد

وما يعجبني فيها قناعتها التامة بوضعها وما يهملها أن تكون

بقرب زوجها ، أعدنا الغداء معا وتناولناه سويا والرجال

وحدهم ثم أخبرتني أن زوجها ونواس خرجا للصيد هوايتهما

المفضلة وعندما تناولت الغداء ومدحته كثيرا علمت أن السبب

هو لحم ذاك الشيء الذي اصطاده نواس وأنا أكلت منه

بشهوة وأعجبني ولم أكن أعلم أنه ذاك الفأر الضخم

وقضيت النهار برفقتها وخرجنا نتمشى قليلا بجوار غرفهم

وتحدثنا عن مواضيع كثيرة وأعجبت بثقافتها ورفقي أفكارها

فهي وهذا البر لا يتوافقان أبدا ، نظرت يمينا وقالت

" هذا صوت سيارة زوجك يقترب لنرجع لأن خاطر

يكره خروجي نهارا وحدي بوجود الرعيان"

قلت ونحن نرجع جهة الغرف " وماذا إن

كان رأنا ستتسببين لنفسك بمشكلة"

دخلت قائلة وأنا أتبعها " خفت أن يصيبك الملل هنا سجينة

الغرفة طوال النهار ثم لا خوف منه مادام زوجك معاً"

وتابعت وهي تجلس بابنها " كم مرة سمعته في السابق يتحدث

معه عني وأبنائه ويقول له بأنه يظلمنا بالعيش في هذا المكان

حتى أنه هوا صاحب فكرة البناء هنا وأصر عليه بل وساعد

في كل هذا حتى اكتمل البناء ، زوجك إنسان ينذر وجوده

بين الرجال فله قلب يحمل حنان قلب امرأة"

ابتسمت بحب بل بفخر بسبب كل ما قالتة عنه فنواس هوا

نواس كما عرفته من قبل أن أراه فقط تقلبات قدرنا من

غيرته ناحيتي سابقا ، وقفت ودخلت المطبخ ومؤكدا لتعد

العشاء ويبدووا أن الصيادان لم يصطادا شيئا أو هكذا ظننت

لأنه ما أن انتصف المساء حتى أحضر زوجها لنا لحما مشويا

على النار وأكلت منه وكأني لم أكل شيئا وأنا من تعشت الآن

فطعمه كان رائعا ثم جلسنا أساعدها في تغيير ملابس طفلها

حين طرق أحدهم الباب وهوا زوجها بالتأكيد لكنها عادت سريعا

وقالت " زوجك يريدك عند النار لفي خلف هذه الغرف وستجديه"

وقفت ولبست حجابي وخرجت ولم أتوقع أن يطلبني للخارج

ظننته سينام مع صديقه ونغادر صباحا ، سرت حول غرفهم

ووجدت أخرى وسرت خلفها أيضا أشعر بالخوف من الظلام

وسكون المكان فلا وجود ولا لضوء القمر ، وضوء غرف

صديقه بقي خلفي ، سرت حتى رأيت ضوء النار فشعرت

بالأمان وأنا أرى الجالس هناك يعطيني ظهره ووقفت مكاني

حين مر صديقه من خلفه دون أن ينتبه لي ووضع يده على كتف

نواس وقال " تصبح على خير فموكد لن أراك قبل الصباح"

شعرت بأني أنصهر خجلا من كلامه وضحك نواس وقال دون

أن يلتفت إليه " نعم وما أفعل بك وأترك حضن زوجتي"

لأشعر أنه سيغمى عليا من الإحراج وعدت خطواتي للوراء

حتى ينتهي حديثهما فيبدو أنه لا حدود بينهما في هذا فقد

استمر ضحكهما وكان نواس يرميه بالأحجار الصغيرة وذاك

يتحدث ويضحك ، بقيت قليلا حتى غادر صديقه واقتربت منه

وشعر بخطواتي ما أن صرت خلفه فالتفت لي ونظر لجسدي

وفستاني على ضوء النار ثم مد يده لي وقال مبتسما " تعالي يا

غزالة نواس التي لم يزد لها البر وملابسه سوا فتنة"

عدلت حجابي أنظر للأرض بخجل واقتربت منه وأمسكت

يده وجلست بجانبه فضمني لكتفه بذراعه ونزع حجابي بيده

الأخرى وقال " هل أعجبك المكان هنا أم نغادر الآن"

حوطت خصره بذراعي وقلت بهمس " بلى أعجبني"

مسح على شعري يبعده عن وجهي وقال

"إذا يبدوا رحلتنا ستطول هنا"

ابتعدت عنه ونظرت لوجهه وقلت " لولا جامعتي لبقينا

أكثر لكن امتحاناتي اقتربت كثيرا و رسالة تخرجنا

تأخرت بسببي بما يكفي"

حضن وجهي بيده وقبل خدي وقال " كل ما تريديه

سيحدث سنقضي الغد هنا ونرجع ليلا للمزرعة"

بقيت أنظر لملامحه مبتسمة بحب فمسح بظهر أصابعه على

خدي وقال بهمس " لو كنت شاعرا لكتبت قصيدة في هذه

الملامح التي علمتني الليلة أنه لضوء النار حكايا كثيرة حين

يكتب على صفحات الحسن والفتنة فهل السر في

النار أم في حبيبتي"

قلت مبتسمة وعينا في عينيه " كل هذا ولست شاعرا"

ثم أملت رأسي وقلت بنبرة طفولية " وهل عندك شك

أني أنا من زدت النار روعة"

لأكتشف أن هذه أكبر حماقة مني وفي غير وقتها لأنها جعلتني

فريسة لقبلة مجنونة عبثا سأحاول إيقافها لأنها أضعفتني حد

العجز عن كل شيء سوا عيشها معه ثم أبعث شفتيه قليلا

وتنفس بقوة وقال بهمس وشفته تلامس شفتي

"أحبك غزالي وأقسم لم أعرف هذا إلا معك"

لم أفهم إن كان يقصد الحب لم يعرفه إلا معي أم قبلته لي

لكني فقط شعرت بالسعادة لكلماته فنزلت دمعتي سريعا لتسبق

أصابعه نزولها فعانقته بقوة وقلت بعبارة " تأخرنا كثيرا نواس

كم تأخرنا عن كل هذا ، لما حدث معنا كل ما حدث"

ضممني له بقوة وقبل خدي بحنان وقال " المهم أننا اجتمعنا مجددا

قولي هذا كلما زارت هذه الأسئلة بأحزانها قلبك يا وسن"

شدت ذراعي على عنقه أكثر وقلت " أجل المهم أننا في

النهاية صرنا معا يا عينا وسن التي تعشقها"

حملني بعدها وسار بي فتمسكت بعنقه وقلت

"نواس أين تأخذني"

ضحك وقل " لغرفتنا هنا طبعاً أم تضني أني سأتركك

تنامين الليلة بعيدا عني"

*

*

كنت جالسة مكاني كالصنم منذ استمعت للبرنامج والمتصلة

التي قالت أنها والدة أحزان السنين وكانت تبكي وتطلب أن

ندعو له لأنه في المستشفى وفي حالة حرجة بسبب تعرضه

لحادث مروري ، وأنا هذا حالي جالسة طوال الليل وكل

دمعة تلحقها الأخرى أنتظر طلوع شمس الصباح ووسن

الحمقاء لا تجيب على هاتفها حتى أني من صدمتي اتصلت

بنواس وهاتفه مغلق ، يبدووا أنها تنام في حضن زوجها وأنا

هنا أعلي من الانشغال وقلة الحيلة ، وقفت وبدأت بالدوران

في غرفتي أضم يداي لصدري وأتمتم بخفوت " يا رب

صبرني حتى الصباح وأحفظه من أجلي يا رب هوا طوق

نجاتي من همومي ، بل ليبقى حيا حتى إن كان لغيري"

وما أن طلعت شمس الصباح حتى خرجت من المنزل ولم

أخبر أحد كي لا يمنعوني فلن يوافق خالي ولا جدتي على

خروجي ، ركبت سيارة أجرة وتوجهت لأكبر مستشفيات
العاصمة في الفور نزلت ودخلت راكضة ألهمت وتوجهت
من فوري لقسم الاستقبال كان هناك شاب وممرضة وآخر

يولي ظهره جالس على الكرسي فقلت ما أن وقفت

" هل وصلت حالة لحادث سير أسمه معاد أحمد الشا"

ولم أكمل جملتي حتى قالت الممرضة

"وصلت قبل ليلة البارحة وتم نقله"

قلت من فوري " أين أخذه"

رفعت كتفيها وقالت " لا علم لي أخرجه أحدهم في

إسعاف خاصة قد يكونوا أخرجوه خارج البلاد"

أمسكت قلبي وقلت بدمعة محبوسة

" هل حالته خطيرة لهذا الحد"

نظرت للشباب ثم لي وقالت بسخرية " لو لم تكن كذلك ما نقلوه"

قلت بضيق " وهل تريه وقت سخرية واستهزاء إنسان

يموت أسألك عنه ويكون جوابك باردا كقلبك"

قالت بحدة " ما رأيك أن تضربيني أيضا لست من

صدمه ولا صدم به أو لا أكون قتلتته ولا أعلم"

قلت مغادرة " لو كنت فعلتها لقتلتك وكل سلالة عائلتك"

ثم خرجت من المستشفى كل دمعة تلحقها الأخرى ووقفت

لا أعلم أين سأذهب وما سأفعل ، ما به حضي هكذا بعدما

وجدته يموت ويتركني ، ليعيدوه لي حتى مشلول أو من غير

ساقين المهم يرجعوه لي حيا وتلك الحمقاء وسن لا أعرف متى

ستجيب على هاتفها أو يفتح زوجها هاتفه هل هذا وقته الآن

تنام في العسل وأنا أحترق وكأنه ليس صديقه وأنا لا أحد لي

غيرهما ، جربت رقمه مجددا وعلى حاله مقفل لما من يحدث

له حادث يغلقوا هاتفه ؟ شعرت بشيء ضرب كتفي ودفعتني

للأمام فنظرت فكان صديق نواس الآخر ذاك الوسيم المدعو

معتصم فكان وكان ساعة الفرج حلت علي ، نظر لي

وقال " عذرا يا أنسة آسف كنت مستعجلا"

آه يالا حظ من تكون زوجتك وسامة فاقت الحد ولباقة وأسلوب

كان سيغادر فلحقت به فمؤكد جاء يسأل عنه وسيعرف كيف

يصل له ، ركب سيارة لا تقل جمالا عنه وكأنه خلق لها

وصنعت لأجله وتحرك ليغادر وهاتفه على أذنه فركبت سيارة

الأجري وقلت للسائق " الحق هذه السيارة وسأدفع لك كل ما تريد"

تبعنا سيارته حتى وصل لمستشفى خاص نزل ودخل وأنا خلفه

عيني لم تتركه لحظة حتى دخل إحدى الغرف فانتظرته بعيدا

حتى خرج فتسللت للغرفة وفتحت بابها ببطء متمنية أن لا

أجدها فارغة لأن صديقه ذاك خرج سريعا وما أن فتحت

الباب حتى وجدته مضجع على السرير يضع ساق على

الأخرى وينظر لي بابتسامة انتصار فشهقت بصرخة أو

صرخت بشهقة عندما قال " وأخيرا يا ملاك الليل"

*

*

شعرت بشيء يجري على يدي فنفضه وجلست صارخة من

نومي لأجد نواس جالسا بجانبني ويضحك وفي يده عود قش

فأمسكت الوسادة وضربت به كثيرا وقلت بضيق

"ظننتها حشرة من بركم هذا ، لقد أخفتني الا تُقدر أنني

نائمة كم تهوى إزعاجي يا نواس"

أبعدها وأخذها مني ورماها بعيدا وسحبني ناحيته فخلصت

نفسي منه بصعوبة ووقفت وقلت " ابتعد لن تلمسني عقابا لك"

اضطجع على الفراش تحته مسندا لنفسه بمرفقه وقال بمكر

"جربي وستري ما سأفعل لك"

جمعت شعري للخلف أتأفف منه فضحك وقال

"حله الوحيد قصيه كشعري"

نظرت له بصدمة فمد يده لي وقال " تعالي تعالي"

هزرت رأسي بلا وقلت " أين خرجت منذ وقت وتركتني"

ضحك وقال " كنت مستيقظة وتدعين النوم إذا"

تحركت مبتعدة أكثر وقلت " بل عدت للنوم مجددا

لأنك تأخرت كثيرا"

مد يده مجددا وقال " تعالي وسأخبرك"

هزرت رأسي بلا فقال " تعالي أو جنتك أنا"

قلت مبتسمة " أهرب للخارج"

قال بصدمة " بملابسك هذه أقسم أن أدفئك هنا وأرجع"

شهقت بقوة وقلت " تدفئني يا كاذب يا من تقول أنني

قلبك ومن دونه تموت"

وقف وتوجه ناحيتي فهربت من جهة الباب ففتحه ضاحكا وقال

"محتالة أعلم أنني أتعبتك ولم أتركك تنامين البارحة لكن لدي

لك مفاجئة في الخارج بسرعة غيري ملابسك وأخرجي"

أبعد يديه وقال ونظره للأسفل " سينقلك جابر من هنا فذاك

الرجل لم يرجع لمنزلكم وأصبحت في خطر حقيقي"

نظرت له بضياح ثم قلت ببحة " وأنت من طلب ذلك"

رفع رأسه ونظر لي بصدمة ثم قال " أبدا لم يحدث"

نظرت له بحزن ودمعة تدلت من رموشي وقلت

"دعاء تحبها أليس كـ"

وضع أصبعه على شفطاي مسكتا لي ثم مسح دمعتي بإبهامه

وقال " دعاء لم ولن تعينني يوما وطردها من منزلي

وحياتي وهذه الخطوة كان عليا فعلها منذ وقت"

نظرت للأسفل وقلت بحزن " وأنا فعلت معي ذلك أيضا"

سكت قليلا ولا أعلم تأثير كلامي عليه ثم شعرت بيديه على

كتفائي وصوته قائلا بحزم " سما اطردني هذه الأفكار

من رأسك مفهوم"

هزرت رأسي بلا وقلت بأسى " لا أستطيع لأنها الحقيقة"

هزني بقوة وقال بضيق " لا تتصرفي بغباء لم أعرفه فيك

سابقا يا سما أنا لم أفكر في طردك من حياتي يوما بل

أخاف عليك من مستقبلك معي"

رفعت يداي وأبعدت بهما يديه ورفعت نظري له وقلت

بحرقة " أنا لم أهتم يوما للفروق بيننا يا نزار وأراك أفضل

مني ومن الأثرياء بكثير فهل تقاس الناس بالمال أم بأعمارها

أنا لست غبية ولا صغيرة كما يخبرك عقلك يا نزار ولن أنظر

لنفسي أني بعقل أقل من الراشدين فانظر أنت لنفسك كرجل

بمستوى الأثرياء ... معادلة سهلة لكنك تصعبها دائما"

نظر لي نظرة غريبة وكأنه لم يتوقع كلامي ثم هز رأسه

بلا ونظر للأسفل وقال " صعبة يا سما في الجزء الذي

يخصني وستفهمين يوما معنى كلامي"

قلت بضيق " بل فهمته الآن"

رفع رأسه ونظر لي فقلت وأنا أضربه بقبضتي على صدره

ونظري عليه " أنت إنسان فاشل يا نزار فاشل بسببك أنت

أو لم تهتم لأمرى أبدا وتتحجج ولن أصدقك مهما قلت

وحدهم الفاشلون يفعلون هذا يدمرون أنفسهم دون

سبب فاشل يا نزار فاشد"

شدني فجأة لحضنه لتختفي كلماتي هناك بل لتنتلق دموعي

التي أمسكتها طوال الوقت وقلت بعبرة " أنت فاشل وعاجز

عن رؤية نفسك كما يراك الناس أنت ميت يا نزار ميت

في جسد حي ولا نفع منك"

شدني لحضنه أكثر ولم يترك مجالا سوا لدموعي ترسم

النهاية على صدره نهاية حبي له ، نهاية وجودي في حياتهم

ونهاية كل ذكرى جمعتني هنا به لأنه وبكل بساطة طردني من

حياته وقالها لي علانية بل وسيطبقها ليثبت لي أكثر أنه مقتنع

بما يقول ، قلت ببحة " طردتني من حياتك ليترك فعلتها منذ البداية"

شد ذراعيه حولي أكثر حتى شعرت بعظامي ستتحطم بينها

وقال بأسى " يكفي يا سما ارحمي نفسك لترحميني"

ابتعدت عنه بقوة وخرجت من المطبخ راکضة وصعدت

لغرفتي وأغلقت الباب خلفي وركضت للسرير وارتميت

عليه فسمعت طرقتة على الباب وصوته قائلا

"سما افتحي الباب"

قلت بصراخ باكية " لن أفتحه أتركني وشأني لا أريد أن أسمع

صوتك ولا تتحدث عن الأمر مجددا أكرهك يا نزار تفهم"

لم يتحدث بعدها ويبدوا غادر وبقيت أنا على حالي أدس

وجهي بين ذراعي أخفي عبراتي فيهما

*

*

وقفت بجانب الباب متكأ برأسي للخلف على الجدار استمع

لبكائها المكتوم ولا أجد تفسيراً أو سبباً لوقوفها هنا ، أعلم أن

هذا موجه لها لكنه سيكون أقل وجعا من بقائنا معا وستكتشف

ذلك يوماً ، أقسم أنها عليا أقسى مما هي عليها لكن العواطف

لا تنفع في هذه الحالة لأنها ستخسرنا كلينا سأخسر أنا كرامتي

وستخسر هي أهلها ، سامحيني يا سما يا طفلة نزار بل يا قلبه

فلو كان الأمر بيدي ما خرجت من هنا لآخر عمرك لو كان

بيدي لنظرت لنفسي كما تنظرين أنتي لي لكني لا أستطيع

لأن الناس لن يستطيع ذلك ووحده من ستبقي تقنعين نفسك

بنظرتك لي حتى يقتلوها في داخلك وداخلي ولن يصمد حتى

الحب حينها لأن الكثيرين قبلنا فعلوها وفشلت حياتهم فالواقع

بقي واقعا يطاردهم مهما طال بهم العمر

وبقيت بل بقينا لوقت على هذا الحال حتى سمعت صوتها

المختلط بالبكاء وهي تقول " أحبك يا فاشل يا نزار أحبك

فليتك تفهم لكنك أحمق"

عندها تحركت قدمي ونزلت ، أجل فاشل أجل أحمق وأكثر

من ذلك يا سما تلك حقيقتي التي لا أريد أن تعيشها معي

وقفت أمام باب غرفة والدتي وقلت " جابر سيأخذ سما

من هنا لأن الخطر أصبح كبيرا عليها"

وخرجت دون أن أضيف شيئا وأن تقول هي شيء أو لم

أعطاها المجال لتتحدث ، ركبت سيارتي ولففت الشوارع

أقاوم أي فكرة تجعلني أضعف أمام عواطفي ودموعها وما

أكثر الأفكار التي تقودني لذلك حتى أنني كدت أن أفعلها مرارا

وأرجع لها ولن تطلع شمس الصباح إلا وجابر ثالثنا وهي

زوجتي ولم أقتل هذه الفكرة إلا بوقوفني أمام منزل عمها الأكبر

بجوار منزل جدها ... منازل تكاد تكون قصورا من علوها وكبر

حجمها وفخامتها وكل سيارة تخرج منهم بثمن منزلنا وسيارتي

انظر يا نزار هذا ليس عالمك فهو لاء ثمن عطرهم يساوي ضعف
راتبك وملابسهم لم تعرف يوما من أين يشترونها لأنهم يحظروها
من خارج البلاد ، غادرت بعدها محبطا كعادتي وسافر بي الوقت

عند البحر حاضن هموم الجميع يسمع ولا يشتهي

*

*

منذ أن خرج نزار لم يزرنني أحد منهما وتحول المنزل لفراغ لا
أحد غيري فيه وطال الوقت ولا نزار عاد ولا سما نزلت من
الأعلى فرفعت هاتفي واتصلت بجابر فأجاب سريعا ، لا أعلم
لما يقولون أنه لا يجيب على الاتصالات ! قلت من فوري
"مرحبا بني"

قال " مرحبا يا خالة أتمنى أن لا يكون مكروها أصاب الفتاة"

ضحكت وقلت " وأنا التي تستغرب كيف تجيب عليا

فورا وكنت أظنه تقديرا لي"

ضحك وقال " حتى والدتي هذا الوقت لا أجيب عليها

لكنك تعلمي ظرف الفتاة ووضعها"

تنهدت وقلت " نعم أعلم حفظها الله ورعاها ، هل

صحيح ستخرجها من هنا"

قال باختصار " نعم"

قلت من فوري " هل هي في خطر كبير لهذا الحد"

قال بهدوء " لن ننتظر أن يأخذها الخطر منا يكفي أن بعض

رجالي تلقوا أسئلة من مجهولين عنها والرجل الذي كان

يبحث عنها في المنزل لم يرجع منذ تلك الليلة"

قلت بياس " لكن هي ... ونزار أعني"

قاطعني قائلا " حكا لي نزار كل شيء ومعه حق فلا تضغطي

عليه أكثر أنا أنظر للأمر من منظوره وأنا رجل مثله الفتاة

من عالم مختلف ونزار ليس من النوع الذي يعيش على ثروة

المرأة ويرضى الذل والمهانة من أجل المال ، سما ما تزال

صغيرة والحياة أمامها وأبناء أعمامها كثر قد تجد أن أحدهم

هو الأنسب لها وتعني كلامه حينها"

قلت بحزن " ونزار"

قال مباشرة " نزار لدي الحل له وسأندبر أمره لن نسكت عنه

أكثر خصوصا بعدما بدأ يقبل العمل بشهادته فبإمكاني إيجاد

فرص كبيرة وكثيرة من أجله وسأستعين بأصحاب المراكز
في البلاد وسأوظفه في إحدى الشركات العامة براتب فوق
الجيد بكثير المهم الآن أنه تخلى عن أفكاره الناقصة تلك

وليزيل فكرة إنهاء الدراسة من رأسه"

تتهدت وقلت " أتمنى ذلك فقد يتمكن من الزواج

بها ولو بعد حين"

قال ضاحكا " نلف نلف ونرجع لذات الموضوع"

قلت بضيق " لأن تحطيم القلوب أمر سيء بني"

قال باستعجال " لو طلب ذلك لكانت زوجته في الفور وغيره

لا لكني أحترم رأيه ، اعذريني يا خالة عليا الخروج الآن"

قلت من فوري " لا بأس بني فأنا أسمع هاتفك الآخر يرن منذ

وقت فقط أريد أن أعلم أين ستأخذ ابنتي وهل ستكون في مأمّن"

قال ضاحكا " ابنتك دفعة واحدة لا يسمعك نزار وتأكله

الغيرة ولا تقلقي ستكون معي"

قلت " معك في قصركم"

قال " لا ليس في القصر لكنها ستكون معي وداعا الآن"

*

بعد ساعات من البكاء والحزن والوحدة رن هاتفي فكان جابر

فنزلت دمعتي مجددا مسحتها وأجبت عليه فقال من فوره

"جهزي نفسك يا سما سوف آخذك بعد العشاء"

قلت بحزن " أريد أن أبقى الليلة مع خالتي أرجوك جابر

وفي الصباح أذهب حيث تريد"

سكت قليلا ثم قال " حسنا سوف آتي لك بنفسي قبل

طلوع الفجر لأنني أريد أخذك في الليل"

قلت بهمس " حسنا وشكرا لك"

فأنهى المكالمة لأن أحدهم كان يكلمه ، عليا الخروج معه من

هنا لأبعد الخطر عن خالتي ونزار فأنا يبدو أن مصيري

كمصير عائلتي وعليا أن أحميهم مني كي لا ينتهوا نهاية

سيشا ابنة خادمتنا الهندية ، بعد وقت طويل قضيته في جمع

جميع أغراضي ودموعي تتقاطر فوقهم ، خرجت من غرفتي

ونزلت لغرفة خالتي وقفت أمام الباب ونظرت لها نظرة حب

وكأنها والدتي عادت للحياة وسأخسرها مجددا ثم قلت بحزن

"خالتي هل أنام معك الليلة ففي الفجر سأغادر"

مدت يداها لي ودمعة انسابت على خدها وقالت بابتسامة

حزينة " بالتأكيد بنيتي ويسعدني ذلك"

فأسرعت راکضة جهتها وارتميت في حضنها ابكي بصمت

وهي تمسح على شعري حتى قلت بعبرة " سأشتاق لك خالتي

أقسم أنني اعتدت وجودك وأشعر وكأنك والدي"

قالت بحنان " وأنا اعتبرك ابنتي ولن تأخذ واحدة مكانك في

قلبي مهما كانت ولولا خوفي عليك ما تركته يأخذك مني"

ابتعدت عن حضنها فمسحت لي دموعي بكفها وقالت بحزن

" عشائك في المطبخ أحضر لك نزار البيتزا التي تحبينها"

نزلت دمعتي من جديد وقلت بعبرة وأسى

" أحبه خالتي لما يفعل بي وبنفسه هكذا"

قالت بشبه همس " هل تحدث معك"

هزرت رأسي بنعم ونظرت للأسفل بحزن فوصلني

صوتها قائلة " ولم تقتنعي بأسبابه أليس كذلك"

قلت بحزن " لم أستطع حاولت ولم أنجح أبدا"

ثم رفعت رأسي ونظرت لها وقلت ودموعي تتقاطر تباعا

"ليتہ يمكنني الاقتناع مثله لكني لا أرى أسبابه منطقية أبدا

فما علاقتنا نحن بغيرنا وبالناس وبأهلي ، نحن نعيش من

أجلهم أم من أجل أنفسنا"

مدت يدها لي فنمت في حضنها مجددا ومسحت على ذراعي

وقالت " لكنها صعبة عليه يا سما وستعلمين ذلك يوما فإن

كنت أنتي مكانه لعانيت كثيرا حال تزوجتما فكيف به هوا

الرجل ، انتظريه يا سما وسيرجع يوما أنا أكيدة ولكن لا

تربطي نفسك بهذا فقد يغير قلبك وجهته في أي وقت وهذا

أمر طبيعي لكن إن قال قلبك انتظريه فانتظري ولا تيأسي"

قلت بأسي " ليثني لم أعرفكم فما أقسى فراقكم خالتي لما

كل من أحبهم يتركوني لقد تعبت أقسم أنني تعبت"

ثم دفنت وجهي في صدرها أبكي بعبرة وهي لاذت

بالصمت ولا شيء سوا صوت بكائي حتى غلبنى

النعاس ونمت ولا أعلم كيف

*

*

قبل الفجر بأكثر من ساعة عدت للمنزل دخلت وتوجهت

لغرفة والدتي فكانت جالسة على سريرها وسما نائمة
بجوارها ودمعتها ما تزال عالقة في رموشها وأنا انتهى
نظري على ملامحها ولم أرفعه عنها وعن وجهها البريء
الحزين حتى قالت والدتي بصوت منخفض " لا تكن جبانا

وودعها على الأقل لأنني أعلم فيما تفكر"

رفعت نظري لها فتابعت بجدية " لن تكون ابني إن لم

تفكر أن تغير حتى منزلنا وأرقام هواتفنا"

أشحت بوجهي جانبا وقلت بحزن " على سما أن تنسانا

وتلثت لحياتها الطبيعية الحقيقية فأنا وأنتي مجرد

مرحلة في حياتها وانتهت"

قلت بضيق " غبي أتركها تزورني على الأقل

أم تخشى على نفسك ومشاعرك"

قلت هامسا بأسى وملوحا بيدي في الهواء " أجل خائف من

نفسي ومشاعري فراعني مرة يا أمي وفكري بي فحتى هذا

المنزل سيصعب عليا العيش فيه بعدها هل يرضيك سماع هذا

هل تقتنعي الآن ، على سما أن تبتعد عن عالمي قبل أن أبتعد

عن عالمها فساعديني يا أمي أرجوك وأشعري بي فأنا ابنك"

هزت رأسها وتنهدت بقله حيلة فتركتها وصعدت للأعلى

دخلت غرفة سما ووجدتها جهزت جميع أغراضها فأنزلتهم

وأنا الآن من تمنا أني لم أقابلها يوما رغم أني لم أندم على

مساعدتي لها أبدا ولن أندم لكني الآن شعرت بمعنى خروجها

من حياتي فيا ليت الظروف كانت غير الظروف وواقعا كان

مختلف عن هذا لحاربت بكل قوتي من أجلها فسما علمتني أن

عقل المرأة لا يقاس بعمرها وأن أرى فيها أشياء لم

أراها في من هم في سنها أبدا

وبعد صراع طويل مع نفسي وأفكاري أنزلت أغراضها للباب

وأجبت على هاتفني قائلا " نعم يا جابر كل شيء جاهز"

قال من فوره " جيد أنا قريب من منزلكم ستخرج

هي لي وأخرج أنت أغراضها"

أغمضت عيناى بقوة وقله حيلة ثم قلت " حسنا"

أخرجت أغراضها لسيارته وتوجهت بعدها لغرفة والدتي

فكانت سما تعانقها وتمسكة بها وتبكي ويبعدوا أن جابر

أخبرها بقدمه ، نظرت لي والدتي تمسح دموعها بأطراف

أصابها فنظرت للأرض أخفي ملامحي عنها أو أهرب من

دموعها وقلت بهدوء " هيا يا سما فجاير أمام المنزل"

ابتعدت حينها عن والدتي فأمسكت يداها وقالت " اعتني بنفسك

صغيرتي واتصلي بي كل يوم وفي أي وقت ليحفظك الله يا سما

وحين ترجعي لعائلتك زورينا دائما"

اكتفت سما بالصمت ولم تعلق وأعلم فيما تفكر فهي لن تفعلها

أبدا ، ثم وقفت وقبلت رأس والدتي وقالت " اعتني بنفسك

وصحتك جيدا خالتي ولا تنسيني مهما طال بك العمر"

فابتعدت حينها عن الباب فتبدوا سما أيضا موقنة أنها لن ترانا

مجددا ، وقفت بعيدا أسمع كلامهما ولا أفهمه حتى خرجت

سما وسارت من أمامي تنظر للأرض ولم ترفع نظرها بي

مطلقا فأمسكت يدها وأعدتها ناحيتي وأمسكت وجهها

ورفعته لي حتى التقت عينانا وقلت " ودعيني على

الأقل يا سما فأنا قرأت في كلماتك لوالدتي

أنه الوداع الأخير"

قالت بحزن " أنت أردت هذا وتريده وداعا أخير"

هزرت رأسي بلا فأرخت نظرها للأسفل وقالت بدمعة وحيدة

انسابت على خدها " أتمنى لك السعادة مع من سيختارها

عقلك وقلبك معا ولن أنسى ما فعلته لأجلي ما حبيت"

قبلت جبينها بحنان وقلت بحزن " لن تكون هناك واحدة

سأختارها يا سما أقسم لك"

رفعت نظرها لي وقالت " لا تسبب الحزن لخالتي فهي

تنتظر أبنائك بفارغ الصبر"

هزرت رأسي بلا وقلت بهمس " لا أستطيع"

نزلت الدمعة الثانية من عيناها وقالت بهمس " قل أنك تحبني يا

نزار قل انتظريني كلمة منهما ستجعلني انتظرك لآخر العمر"

خارت حينها قواي أنا فضممتها لحضني وقلت بأسى " لا يا سما

لا تربطي نفسك بي واتركي لقلبك حرته وإن بقي يريدني

فسيجدني يوما أمامه أرجوك يا سما لا تربطي نفسك بي"

ابتعدت عني حينها وخرجت راکضة وتركت الباب مفتوحا

ولم أسمع سوى صوت سيارة جابر تغادر ليأخذ معه الحلم

ويتركني لواقعي المرير ليأخذ البسمة والمرح والتفاؤل

من هذا المنزل ويرجعه أسوء مما كان كئيب ومظلم وميت

بلا حياة ، أغلقت باب المنزل وعدت جهة غرفة والدتي
ودخلت وجلست أمامها ولا أعلم لما بل يبدوا أنني أريد أن
أسمع سيلاً من توييخها لي لتبرد ناري قليلاً لكنها خانت
توقعاتي أو قرأت أفكاري ولم تتكلم ، وقفت بعد وقت

وقلت " هل آخذك للحمام فهذا وقت الصلاة"

قالت بهدوء " أدخلتني سما وتوضأت أيضا شكرا لك بني"

ابتسمت بحزن لقلبها الطيب وقلت " آسف يا أمي ليته كان

بإمكاني إرضائك في هذه فأنا ما عصيتك يوما فسامحيني"

هزت رأسها بحسنا ولم تتكلم فتنهدت وغادرت غرفتها ووقفت

في المطبخ وشعرت منذ الآن بفراغ المكان منها بعدما تركت

بصمتها في كل شيء وأولهم قلبي ، أتني لك السعادة يا سما

وأن تنسي شخصا في الوجود اسمه نزار لأنك وجدت أفضل منه

أما أنا فلن أنساك ما حييت لأنك لم تفعلي لي شيئا يجعلني أنساك

*

*

ركبت سيارة جابر وانطلق بي في صمت ولا أعلم أين ولم

يعد يعنيني ، كنت أمسح دموعي التي تنزل كلما تذكرته
أو تذكرت خالتي حتى قال جابر " سنتتهي قضيتك وترجعي
لأهلك وتزورهم متى أردت ذلك فلا تحزني يا سما"

مسحت دموعي وقلت بصوت مخنوق

"لن أراهم أعلم ذلك جيدا"

تههد حينها واكتفى بالصمت ولن يستطيع أن ينكر ذلك
وصلنا بعد مسافة لا بأس بها لمنزل محاط بالحراس من كل
جانب ورجال شرطة مجتمعين أمامه وكأنه مركز شرطة
وليس منزلا ، أوقف السيارة وقال " ستكونين هنا معي يا سما
فهذا هوا منزلي وسأعمل فيه أي ستوقلمين نفسك أنك في
مكان أشبه بمركز شرطة أو تحقيق"

هزرت رأسي بحسنا دون تعليق أو اعتراض ودخل بسيارته
حتى كنا في الباب الخلفي ونزلنا معا ودخل وأنا أتبعه حتى

وصلنا للطابق الثاني ، كان منزلا راقيا وجميلا ولم يقل نزار

عنه سابقا ويبدووا اشتراه أو بناه حديثا فحتى رائحة الأصباغ

والأثاث الجديد ما تزال تفوح فيه بوضوح ، فتح باب الغرفة

وقال " هنا غرفتك وتوجد خادمة ستوفر لك كل ما تحتاجينه

وستحضر لك أغراضك هنا حالا"

كانت الغرفة بألوان زاهية بسريرين أحدهما معد لي والآخر

لا يوجد به شيء ، غريب تبدووا غرفة أطفال من ألوانها

والرسوم على الجدران لكن الأسرة كبيرة هل هي لابنتيه

اللتان رأيتهما سابقا !! لكن أين هم إذا أم أن المنزل لم

يكتمل لينتقلوا له ، كان سيغادر لكنني أوقفته قائلة

" جابر هل لي بطلب أخير"

نظر لي وقال " بالتأكيد ولا تجعليه أخيرا فلك كل ما تريدين"

ابتسمت له وشكرته هامسة فلم أتخيله هكذا أبدا ، من يعرفه

وهو يمارس عمله لا يتخيل أنه هذا ، قال عندما طال صمتي

"ماذا تريدين يا سما لأنني مستعجل قليلا ورجالي ينتظرونني"

نظرت للأرض وقلت " أريد مقابلة أحده أفراد عائلة والدي"

سكت ولم يعلق فرفعت نظري له فكان ينظر لي بحيرة ثم قال

" لا يمكن ذلك الآن يا سما وما أن تنتهي هذه

القضية سترينهم جميعهم"

قلت بهدوء " وقد لا أرى أحدا يا جابر لأنني سأموت

معك أليس كذلك"

نظر لي باستغراب ثم ابتسم ابتسامة صغيرة وقال

"كيف حسبتها هكذا"

قلت بابتسامة حزينة " لن أحتاج كثيرا لأفهمها فأنت جلبتني

هنا لتحميني بعينيك أو نموت معا والاحتمال الآخر وارد

جدا وأكثر من الأول لذلك عليا أن أرى شخصا منهم

بأي طريقة كانت"

ربت بيده على كتفي وقال " حسنا أعطني بعض

الوقت فقط وليس كثيرا"

ثم غادر وتركني لأدخل عالمي الجديد الذي الله وحده يعلم

سأخرج منه أم أبقى فيه للأبد أو أموت بين جدرانها ، أحضرت

الخدمة حقائبي وكانت سترتبها في الخزانة لكنني رفضت وأخبرتها

أني سأفعل ذلك وحدي فغادرت وجلست أنا على الأرض وفتحت

الحقيبة وبدأت بالبحث عن صورة عائلتي ولم أجدها فتشت كثيرا

وبلا فائدة ثم تذكرت أنني تركتها في القبو يومها ولن يرضى جابر

أن يحضرها لي لأن صورة والدي فيها ، فتحت جيب الحقيبة

ووجدت فيه ورقة مطوية موضوعة مع حليي فأخرجتها وفتحتها

فكان فيها السلسال الذي أهده لي نزار سابقا ولازال مقطوعا كما
كان وكان مكتوب في الورقة (لا امرأة في الوجود غيرك تستحقه
يا سما فاحتفظي به من أجلي واعلمي أن بعض الأشياء تركها
موجع أكثر من أخذها تذكارا وهذا ما حدث معي بالنسبة لك)

حضنت حينها الورقة والسلسال وعدت للبكاء من جديد

مر يومان آخران تبعا التي قبلهما وجابر لم يرجع ليصبح
الآن تاركا للقصر منذ أسبوع كامل ولم أعرف حتى طريقة
أصل بها لعمه منصور والجميع هنا ممنوع من مغادرة القصر
أمسكت هاتفي لوقت طويل وأنا بين شد ورد لا أعلم ما سأفعل
ومتردة كثيرا فيما أفكر فيه ، وبعد جهد مع نفسي حسمت الأمر
بين قلبي وعقلي واتصلت به لكنه لم يجب فجريت الثانية والثالثة
وبلا فائدة فأرسلت له (جابر أجب ولو افتح الخط وأغلق)

اتصلت بعدها وبلا نتيجة فأرسلت له (طمنا عليك على الأقل)
انتظرت قليلا ولا رد فرميت الهاتف ألعن نفسي وقلبي ... سحقا
لكما تستحقا ما نحن فيه الآن هل ارتحما ، خرجت بعدها من
الغرفة وتوجهت لغرفة الفتاتين لكني لم أستطع الدخول وأشعر

بحريق في قلبي وعبثا سأحاول إخماده فغيرت طريقي وبحثت
عن سيلا حتى وجدتها وقلت ما أن رأيتها " سيلا جدي حلا كيف
تعلمي من خادمة عمتي إن كانت تتصل بجابر أو يتصل بها"
هزت رأسها بحسنا وغادرت في صمت وعدت أنا أدراجي
وصعدت للأعلى وعدت جهة ممر الغرف لأفاجأ بوالدته أمامي
وقالت بحقد " هل ارتحت الآن بعدما هججت ابني من القصر"
قلت ببرود " ابحتي عن السبب الأساسي لأنه ليس أنا"
قالت بجمود وتغطرس " أنا وأنتي لن يشملنا هذا القصر وإحدانا
تخرج منه فأرني أفعالك لأنك أيضا لم تري أفعالي بعد"
قلت مجتازة لها " أخبرتك سابقا أن لا تتعبي نفسك بالتخطيط"
وعدت لغرفتي دخلتها وأغلقت الباب وجلست على السرير
أمسك دموع القهر كي لا تخرج فطرق أحدهم باب الغرفة
ثم دخلت سيلا وأغلقت خلفها وقالت " لا يتصل بها
ولا يجيب على اتصالاتها"

بقيت أنظر لها بجمود وعقلي بدأت تعصف به الأفكار ، هوا
يتجاهلها هي أيضا إذا ولكن لما هل كله غضب منا وهج كما

قالت أم به مكروه !! ولكنها قالت أنني سبب عدم عودته وهذا

يعني أنها تعلم أنه بخير فمؤكد تكلم معتصم وعمه ، آه أجل

عمه أمسكت بهاتفني ثم نظرت لسيلا الواقفة مكانها وقلت

"يمكنك المغادرة يا سيلا شكرا لك"

خرجت من فورها واتصلت أنا برقم عمه الذي اتصل بي

به سابقا فأجاب سريعا فقلت من فوري " أين جابر يا عم

هل هوا بخير"

قال من فوره " هوا بخير اطمئني ويبدو أنك لم

تستطيعي الخروج لمنزلي"

قلت بصوت منخفض " الحراس يمنعون خروج الجميع

إلا بأوامر من جابر وأنت طلبت مني أن لا أخبره

و ... وهوا لا يجيب على اتصالاتي"

قال " سأتدبر الأمر معه وما أن تأتيك الإشارة مني تأتي

لمنزلي ولكن لا تدخله كي لا يراك أحد من عائلتي"

تسارعت دقات قلبي وقلت " ماذا هناك أخفتني"

قال من فوره " لا شيء يستدعي الخوف اطمئني لأنني فقط

لا أريد أن يعلم جابر بأني استفردت بك وأنه ثمة حديث دار

بيننا وستفهمين كل شيء ما أن تأتي ، وداعا الآن

واتركي هاتفك قريبا منك"

ثم أنهى الاتصال وتركني كمركب تعصف به الأمواج ولم

أجد ولا حتى احتمالات أضعها أمامي عما يريد قوله لي

خرجت بعدها من غرفتي وتوجهت لغرفة الفتاتين وجلست

معهم يشاهدون التلفاز وأنا جالسة جسد بلا عقل وكل ما

أفكر فيه موضوع عمه وما يريد

*

*

بعد ذاك اليوم أو تلك الليلة تحولت زهور لكتلة من الصمت

تتحرك في الشقة وكأننا ببنتول جديدة ظهرت الآن فهل

سنحتاج لجابر أيضا ليجعلها تنطق ، توجهت نحوها وهي

في المطبخ ووقفت عند الباب وقلت " زهرتي دعينا نتحدث

بروية وسأعتبر كلامك سابقا عن الانتقام مني لم أسمع

لأنك لن تنجحي في ذلك صدقيني"

لم تتكلم فجربت أن أستفزها أكثر وقلت " لن يصدقك أحد

وسأتزوج بأخرى من أي مكان وتحمل مني وتنجب"

نظرت لي نظرة سريعة وكانت ستقول شيئاً ثم تجاهلتني

وعادت لتحميم الخبز فاتكأت على حافة الباب وقلت

بابتسامة ماكرة " هذه المرة سأتزوج بواحدة سمراء بشعر

أسود وعينان سوداوان بدينة وقصيرة وقبيحة أيضاً"

أولتني ظهرها ولم أفهم لما فتابعت " ليس لأقهرك بها طبعاً

لكن لأجرب جميع الأصناف فبعدها سأتزوج بواحدة وسط في

كل شيء ما رأيك بأن تكون عيناها عسلية أم خضراء أو

أمممم"

قالت بضيق " توقف يكفي أوجعت لي رأسي"

قلت بمكر " أوجعت رأسك أم قلبك"

التفتت لي وقالت بحدة " أخرج واطركني وحدي

ابتعد عني لما لا تفهم"

قلت ببرود " حسنا الخضراء يبدوا لم ترق لك"

ثم تابعت بابتسامة " نبقى على العسلية والشعر بني آه

كم أحب الشعر البني كشعر"

صرخت وهي تغلق أذنيها قائلة " أصمت توقف يا رضا"

توجهت نحوها وأبعدت يداها عن أذنيها وقلت " في تلك البلاد
رأيت من كل صنف ولون ورأيت الرجال العرب وما يفعلون
هناك وكل كلامهم كان (ما في الأمر استمتع يا رجل) لكن لم
تستهويني لا الشقراء ولا السمراء ولا الحنطية ولا أي امرأة غير
التي تركتُ قلبي معها وسافرت كنت أراك في كل النساء فإن لم
تكن أنتي لم تحرك بي شعرة فأول قبلة لي كانت لشفتيك وأول
امرأة ألمسها لمسة ترسل عقلي للجنون هي أنتي ، كلمة حبيبتي
التي ترجف الحواس لم تخرج من شفاهي سوا لك لكنك أتعبتني
يا زهور وأقسم أنه كلما زاد تعبي معك زاد حبي لك"
كل هذا وهي رأسها للأسفل ورسغاها في قبضتاي تستمع دون
تعليق فقلت بهمس حزين " لبتك تقتليني يا زهور فلو خيروني
في موتي لاخترته على يدك وكي لا أعيش وأنتي بعيدة عني"
وما أن أنهيت جملتي إلا وهي مرتمية في حضني تبكي بحرقة
فطوقتها بذراعاي وشدتها لحضني بقوة وتركتها تفرغ باقي
ألمها فيبدو أنه أكثر مما أتصور ويحتاج لوقت أكبر مما كنت
أتوقع ، بكت كثيرا وبكت طويلا تستل عروقي مع كل شهقة
تخرج منها حتى هدئت وقالت بأسى " خذلنتي فيك يا رضا

لماذا فعلتها وأنا أحببتك حد الإدمان"

أغمضت عيناى بقوة وألم وزدت من احتضاني لها ثم قبلت
رأسها وقلت " أعطني فرصة يا زهور فقط فرصة أصلح كل
ذاك الظلم الذي رأيته منى وبسببي أعطنا فرصة واحدة فقط"
قالت بعبرة " انتهى الوقت ولا مجال لإصلاح أي شيء لقد

أضعتني ولا حل سوا أن تضيع مثلي"

أبعدتها عني وأمسكت وجهها وقلت " ماذا حدث لك يا
زهور ما معنى ما تقولينه"

أبعدت يداى بعنف وخرجت من المطبخ راكضة وإلى
الغرفة فورا ثم لسجنها الدائم وهو الحمام بالطبع

*

*

كنت جالسة مع ترف وهي في حديث طويل تلعب بالماء

في حوض الاستحمام حين رن هاتفى وخرجت له مسرعة

وكان رقم عم جابر وتوقف ما أن وصلت وهذا يعني أنه عليا

الذهاب الآن ، عدت للحمام وأمسكت ذراعاها وأخرجتها من

الماء وهي تقول " ماما ألت ستتركيني هذه المرة كثيرا"

لففتها بالمنشفة وقلت " في المرة القادمة الآن جد شيء

والوعد يبقى وعدا بنيتي وسأتركك تلعبين بالماء كثيرا"

المسبح الآن عاد حلما كما كان بما أن جابر ليس ظهرا لي هنا

وعدنا كما كنا لا ماء سوا في الحمام ولا خروج إلا للشرفة

ألبستها ثيابها بسرعة وخرجت بحثا عن سيلا وأوصيتها بالأولاد

ثم لبست عبائتي وحجابي وخرجت وما أن صرت خارج الباب

حتى قال أحد الحراس " لمنزل السيد منصور أليس كذلك"

هزرت رأسي بنعم فهز لي رأسه أيضا وخرجت وتوجهت

لمنزلهم من فوري ووجدت الباب الخارجي مفتوحا فدخلت

لأجده ينتظرني هناك فقلت ما أن رأيته " مرحبا عمي"

قال مبتسما " مرحبا يا أرجوان كيف حالك"

قلت مبادلة له الابتسامة " بخير إن لم يكن ما تريدني

لأجله سيئا ويخص جابر أو أحد الأولاد"

تحرك قائلا " خيرا خيرا اتبعيني"

تبعته كالأطرش الأبيكم لا أفهم شيئا ، دار بي خلف المنزل

حيث طاولة وكراسي هناك غير التي في الأمام فيبدووا هذا

الرجل يعشق الجلوس في الحديقة ، جلسنا هناك وقال من فوره

" أرجوان ما سأقوله لك الآن لا أحد يعلم به غيري وجابر

وبسبب ما سمعته عنك وخصوصا منه نفسه سأؤمّنك

عليه أنتي أيضا"

قلت بحيرة " ما الذي سمعته من جابر عني"

قال مبتسما " هذا فقط ما شكك في الموضوع"

أحسست بحرارتي ارتفعت من الإحراج وهربت بنظري منه

للأرض فتابع " أنا أحب جابر وكأنه ابني وليس ابن شقيقي

ولا أريد أن ينهار زواجه هذا كزواجه السابق"

بقيت على صمتي أترقب بفضول وحيرة ما سيقول فتابع

"والدة جابر ليست والدتهم"

انفتحت عيناى على اتساعهما من الصدمة وخرجت مني شهقة

لا إراديا وقلت " ماذا !! كيف ليست والدتهم"

قال من فوره " هي خالتهم"

بقيت أنظر له كالتمثال الحجري دون حتى أرمش فتنهد وأنزل

رأسه وقال بشرود " ما سأحكيه لك الآن عمره سبعة وعشرون

عاما منذ كان جابر في العاشرة وزهور عمرها أربع سنوات

ومعتصم حديث ولادة في يوم مأساوي تحطمت فيه طائرة

ركاب ، حادثة لا زالت تذكر في التلفاز حتى الآن

رغم أنها كانت قبل أن تولدي أنتي"

قلت مباشرة " نعم سمعت عنها كثيرا"

نظر لي وقال " في تلك الرحلة كانت والدة جابر وخاله

وزوج خالته التي هي والدته الآن وأبنائها الثلاثة عماد

وندين وعثمان وجدة جابر أم والده"

وضعت يدي على فمي من الصدمة وقلت بأسى

"ماتوا جميعهم وفي نفس اليوم"

هز رأسه بنعم وقال بحزن وشروء " كانت فاجعة أكثر من

كونها حادثة ، لم نكن نعيش هنا كان سيد شقيقي والد جابر

يعيش في الخارج كما عائلة والدته جميعها فهوا عرفها

هناك وتزوجها"

قلت " تعني أن والد جابر تزوج خالته"

هز رأسه بنعم وقال " ولأن جابر كان في العاشرة فهوا

يعرف جيدا أن والدته ليست السيدة نادية والدته الحالية أما

زهور فيستحيل أن تتذكر ، كانت تحمل بعض الذكريات

في صغرها لكنها نستها سريعا وتأقلمت مع الوضع"

قلت بحيرة " ولما لا يعلمون عنها ولا يعلم أحد"

تنهد تنهيدة طويلة وقال " كانت الصدمة كبيرة على خالتهم

فقدت أبنائها الذين أنجبتهم وكانت متعلقة بهم حد الإدمان وكأنه

لم ينجب أحد غيرها وفقدت زوجها ووالدته وشقيقها وشقيقتها

مما جعل صدمتها أشد وأشد وتعبت نفسياتها وكانت أحد نزل

المستشفى النفسي لأشهر حتى أشار عليهم الطبيب الذي نقلوا

له حالتها في الخارج أن يزوجها سريعا وتنجب أبناء لأنها لن

تصدق ما يقولوه إلا بأبناء آخرين لأنها ستعيش حاضر جديد

منفصل عن ماضيها وبذلك ستنسى ولأن حالتها كانت صعبة

ويستحيل أن تتزوج وقتها وأبناء شقيقتها كانوا فيما يقارب أعمار

أبنائها فأول ما حدث عندما تحسنت قليلا وأخرجوها للمنزل أن

ركضت جهتهم وضمتهم لحضنها وبكت ذاك اليوم بكاء أبكانا

حتى نحن الرجال وهي تضمنهم أبنائها لم يموتوا وكانت تبكي

وتصرخ وتضحك في آن واحد وتقول لنا (انظروا ألم أخبركم

أنكم كاذبين وأنهم لم يموتوا))

ولو لم يشرح لي الطبيب عن حالتها حينها وكيف صور لها
عقلها أنهم أبنائها ما صدقت ما يحدث أمامي رغم أنهم لم يكونوا
يشبهوا أبنائها ليكون قد اختلط عليها الأمر ، فنسيت شقيقتها
وزوجها وما باتت تقتنع به أن هؤلاء أبنائها وأن والدهم زوجها
ومشدها ذلك اليوم يذيب الحجر فكيف بقلوب بشرية فما كان
من والد جابر إلا أن قرر فوراً أن يتزوجها وأن تموت قصة
أبنائها معهم ومن أجل ذلك عاد هنا كي لا يواجهها أحد بالحقيقة
وعاشت معم ولا يعلم سرهما غير عائلتها وأنا وجابر لأنه كان
من المستحيل أن نكذب على فتى في العاشرة وخصوصاً جابر لأنه
كان بذكاء فاق سنه بعشرات الدرجات ، صحيح أنني تعاطفت معها
لكنني عارضت شقيقي بادئ الأمر فيما قرر فهي تبقى امرأة مريضة
عاشت الصدمة قد تؤدي أبنائه أو تؤدي كل من قد يتعرض لهم لكنه
لم يستمع لي وقال أنه ما من بشر يمد للبشرية بصلة يرى أنه بيده
إخراجها من حالتها ويقف يتفرج وما أن تنجب أبناء مني ستنسى
كل شيء كما أشار الأطباء وحينها سيسهل علينا أن نقول لها أن
هؤلاء ليسوا أبنائك لكن العمر لم يسعفهم فقد أجهضت بادئ الأمر

مرارا بسبب الأدوية والتوتر النفسي الذي احتاج وقتا لتشفى منه

وتوفي بعدها شقيقي سيد وكانت وفاته بعد زواجهما بعام وبعد

الحادثة بقرابة العامين ليظهر أشقائي الثلاثة يطالبون بالوصاية

على أبنائه وأمواله وبدؤوا يتقاسمون أملاكه أمامنا وفي الأسبوع

الأول من موته ولم يعارضهم غيري وشقيق والدة الأبناء أي خالهم

والواقفة الكبيرة التي لم يتوقعها أحد كانت من السيدة نادية ولا زال

المشهد الثاني الذي لم أنساه وهي واقفة أمام أعمامهم تضمهم لها

وتقول بحدة (أقسم أن أقتل كل من يقربهم أو يقرب أموالهم)

وحولت سريعا كل أسهم سيد رحمه الله وشركتيه لأموال وجمدتها

في المصرف ولم تبقي سوا العمارتين تصرف عليهم من إيجارهما

ولو لاحظت لم يستلم أبنائه أعمال والدهم جابر درس وتخرج على

رغبتها هي حبا لها واحتراما لما فعلته فكم عانت من أشقائي حتى

أنهم هددوها وأخافوها في الليل وأرسلوا من يتهم عليهم في القصر

ولم يتركوا شيئا لم يفعلوه وحتى المحاكم جرحوها فيها لسنوات

ووقفت هي لكل ظروفها كالجبل القوي الشامخ ليتحول خوفها

عليهم لتحكم وكما تري حالها أمامك"

هزرت رأسي وقلت بحيرة " وكأني في فيلم وليس واقع"

تنهد وقال " جابر كان كبيرا ويعرف كل ما يجري حوله ورغم

أنه يعلم بحالتها وأن حبها لهم ضنا منها أنهم أبنائها لكنه لم ينسى

يوما ما عانت من أجلهم وما فعلت وعاهد نفسه على احترامها

وتلبية رغباتها ما عاش في هذه الحياة ورغم ما ناله من دمار في

زواجه السابق بسببها إلا أنه لم يقل لها يوما أنتي لست والدتي أو

لا علاقة لك بي حتى أني عاندته كثيرا كي على الأقل لا يسمح لها

بأن تدمر حياته وتتحكم بها لكنه رفض وفتحت معه هذا الموضوع

بعد زواجه بك مخافة أن يكون مصيره كسابقه لأنه بعد حسناء قرر

أن لا يتزوج من أجلها هي لكنه عارضني وقال أن زوجته هذه

التي هي أنتي مختلفة عن حسناء وأنتك بعقل كبير وقدرت ظروفه

دون أن تعلمي لأنني طلبت منه أخبارك بالأمر فعارض وقال لي

بالحرف الواحد (أرجوان الزوجة التي كنت أريد أن تكون زوجتي

تفهمني دون أن أتحدث وتتفهم ظروفه دون أن أخبرها فامرأة

ربت أبنائي بتلك الطريقة لن تتصرف بجنون وصغر عقل بسبب

تصرفات خالتي ولن يخرج سرها أبدا كما عاهدت نفسي وأهلها)

امتلت عيناى بالدموع وقلت بأسى " ليثه كان أخبرني لكان

أرحم من أن نصل لما وصلنا له وكنت سأقدر الأمر وأموت

ولا أخبر عنها"

هز رأسه وقال " ولهذا أنا جلبتك هنا وتحدثت معك لأنني لا أريد

أن تتكرر مأساة جابر و يعيش وحيدا لباقي عمره ولم أنسى ما

حدث يوم طلاق زهور وجاءتهم شبه ميتة بسبب ضرب ذاك الحقيير

زوجها لها وتعرضت نادية لنوبة نفسية وتذكرت الحادثة وأبنائها

ومرت على جابر أيام تعب فيها كثيرا بسبب مرضها وهذه المهمة

الامبالية التي تريها أمامك إن تعرض أحدهم للخطر أمامها تعود

لحالتها بل أسوء ويزداد خوفها عليهم وتضيق الخناق حولهم أكثر

ضنا منها أنها تحميهم"

مسحت دمعتي وقلت بحزن " لكن هذا ظلم لهم أكثر منها كيف

تتركون امرأة تعاني حالة نفسية كهذه تدمرهم فحتى معتصم

وبتول سيمران معها بنفس التاريخ الذي مر به جابر"

هز رأسه بلا وقال " جابر شيء مختلف بالنسبة لها لا تريد أن

تتحكم به أي امرأة ولا أن يحبها فقد صنعت منه الرجل الذي

تريد درس الشرطة بناء على رغبتها ودخل سيرك التحقيق بناء

على رغبتها أيضا ورغم رتبته العالية جدا أصر على البقاء في
عمله فهل تري الشرطة في البلاد بجميع مجالاتها وتخصصاتها
جابر أوامره سارية عليهم ولا أحد يناقشه سوا الوزير أو الرئيس"

قلت بهدوء " لهذا إذا هوا لا يسافر بالطائرة"

هز رأسه بنعم وقال " أجل وأخويه أيضا لأن عواقب الأمر

ستكون سيئة على خالتهم إن ركب أحدهم الطائرة"

بقيت أنظر له بضياع ودموعي تصارعني للنزول وقلت ببحة

"وهل كان سيتركها جابر تدمر حياته دائما"

تنهد وقال " جابر يحترمها بل ويحبها ولم ينسى ما فعلت من

أجلهم ولم يكن يعارضها في شيء احتراما وحباً لها وتقديرا

لحالتها المرضية لكن شقيقه لم يكونا يريا الأمر كما يراه هوا

معتصم تمرد عليها كثيرا وزهور فتاة صعب عليها تقبل كل ذلك

فصنعت منها إنسانة انعزالية منذ طفولتها فحتى الناس لا يرونهم

تخشى أن يأخذوهم منها أو يصيبوهم بأعينهم كما كانت تقول ولم

تزوج زهور إلا وهي فيما فوق العشرين بسنوات رغم أنه كان

الخاطبين يتهافتون عليها تهافتا لحسنها وكل من تقدم لها أظهرت

فيه عيبا ورضا زوجها الآن خطبها حتى حفي ولم توافق عليه

وكانت تقول أن ابنتها لا يأخذها أي أحد ، آخر الأمر وقف جابر

لها لأن الموضوع تخطى المعقول كما كان يقول وخيرها بين

آخر من خطبوها لتوافق على أحدهم وهي اختارت لها زوجها

السابق أسامة الذي كان ضابطا في الجيش"

اتكأت بجبيني على كف يدي وغبت بنظري لعشب الأرض بل

انفصلت بعقلي عن الحاضر وكل ما حدث يعود أمام عيني

كالشريط ، لهذا كان دائما يقول لي قدري مشاعر والدتي يا

أرجوان ومشاعري كابن لها ، هكذا أريدك يا أرجوان ولا

تهتمي لأي شيء تقوله لك ولا تجاريتها في الكلام ، بل فهمت

الآن معنى آخر كلامه معي عن البلاء الذي هو فيه ولما قال

أنه تزوجني من أجلي من أجل قلبي وعقلي مستقبلا هو خاف

أن يتكرر ماضي خالته معي بل لهذا أراد أن أنجب أطفالا

وقال أنه من أجلي فهو فكر لو أنه أصاب أبنائه مكروه سأجد

من ينفدني من الصدمة وأذكر أنني قرأت مرة عن هذا وأنه الأم

التي يموت جزء فقط من أبنائها تكون أقل عرضة لمثل هذه

الحالات من الصدمة عن التي يموت أبنائها جميعهم لكن هذا لا

يحدث مع جميع النساء فيبدو أن ما عاناه جابر ورآه من معاناة
خالته جعله متخوفا من هذا الأمر بل تكتم حتى عن أمر حسناء
وأنها شقيقتي لذات السبب ، يا الهي كيف استحملت كل هذا فأنا
لا أتخيل أن يصاب أحد أبنائه بمكروه وأول ما أرجحه أنني سأفقد

عقلي فكيف أن يكونوا أبنائي ! لا ووالدهم معهم وشقيقتي

وشقيقتي هذا شيء لا يمكن لبشر أن يتحمله

ولهذا قال يومها ليس لأنني لا أريد الحب أو لا أستطيع لكن
لا أقدر لا يخدم ذلك مشاكلتي وحياتي والآن فهمت معنى هذا
لا يريد أن يربطني ويربط نفسه بكلام لن يستطيع أن يكون
عند تطبيقه وسأذكره يوما أين حبك لي أين كل ما كنت تقوله
أو أرى أنني صرت بالنسبة له كل شيء وتكثر مشاكلتي مع
خالته وأقحمه فيها لذلك قال ما قال لأفهم أنني وهي وأبنائه
وعائلته في نفس المقام لديه ، أخرجني من أفكاري صوت
عمه قائلا " لهذا أردت أن أقول لك كل شيء يا أرجوان لا

أريد أن يخسرك جابر وأبنائه وأن يبقى وحيدا يرببهم لآخر

عمره بل سيتعرضون للظلم كما تعرضوا له هم وتمارس

عليهم جدتهم أمومتها بطريقتها الخاطئة التي يصورها لها

عقلها ، هي لا تريد أن تقول أن كل ما تمنع فعله بسبب
خوفها عليهم تخشى حتى أن يقع الأطفال من المراجيح أو
يغرقوا في المسبح وجابر بالتحديد تخاف عليه أكثر من أخويه
وأبنائه لذلك تغطي خوفها بأنها أمور لا تليق بأبناء الأثرياء
وأنها لا تجوز وهي لم تكن هكذا أبدا مع أبنائها الحقيقيين ولم
تكن بهذا السوء والتعطرس كانت شابة جميلة وهادئة وحنونة
تحب الجميع فكيف بأبنائها"

رفعت رأسي ونظرت له وقلت " وهل هي كانت

سبب هروب شقيقتي حسناء"

هز رأسه بنعم وقال " تركت رسالة لجابر قبل فرارها وقالت

له فيها أن والدته تهددها بأبنائها وأنها ستقتلهم فهربت بهم

وساعدها والدك لكن الموت كان حليفها سريعا فهي من بعد

ولادتها بترف تعبت كثيرا وماتت بعد هروبها بفترة قليلة جدا

وباقى الحكاية لديك فحافظي على زوجك وبيتك من الانهيار يا

أرجوان ولو لم أكن متأكد منك ومما سمعته عنك من الجميع

ما سلمتك هذا السر فلا يخرج من فمك حرف منه مهما طال

بك العمر أو حدث"

هزرت رأسي بقلة حيلة وقلت " لكن هذا ظلم لهم كان عليكم

أخبار زهور ومعتصم فأن يعرفوا الحقيقة أفضل من أن

يعيشوا في كذبة تجلب لهم التعب بجميع أشكاله"

قال بهدوء " جابر رفض ومعه حق فلن يضمن أحد تهور أحدهم

معها في الحديث إن وصل به الغضب أقصاه فكلمة أنهم ليسوا

أبنائها وحدها كفيلا بأن تجعلها تنهار ، كما أن جابر رفض أن

يرمي بها في مستشفى الأمراض النفسية ويرى أن جميلها فوق

رأسه ومستعد أن يتحمل ويبحث عن الحلول من كل مكان ولا

يفعل ذلك وهو على اتصال دائم بطبيبها ويتابع معه حالتها

ولقد حذره كثيرا من وقوفه أمامها معك وفي صفك ضدها وأن

يكون من ورائها وللضرورة كي لا يتكرر ما حدث مع حسناء

وتصبح عدائية أكثر"

وقفت في صمت فوقف وقال " كوني عند ظني بك يا أرجوان"

ابتسمت له ابتسامة حزينة وقلت " أخشى أن الأوان قد فات

فجابر ترك القصر وأنا طلبت منه الطلاق مرارا"

تنهد بأسى وقال " لكنه لم يطلقك وجابر لا يتمسك بشيء لا

يريده أنا أعرفه جيدا فحتى نفسيته تغيرت بعد زواجه بك"

هزرت رأسي بحسنا وقلت " شكرا لك يا عمي لن أنسى هذا

لك ما حييت أعلم أنه من أجل ابن شقيقك وأبنائه

لكن ثقتك بي وحدها تكفي"

ثم غادرت عائدة للقصر ودهني ليس معي أسير كالدمية

ولازلت أحاول ترجمة كل ما سمعت منه وحدث سابقا

تري هل فكر جابر ذاك اليوم أن يحكي لي كل هذا لذلك

كان مترددا ومتوترا ، مررت بكرسي عمتي وكانت جالسة

عليه تنظر لي بجمود لكن نظرتي لها لم تكن كالسابق لا أعلم

نظرة رحمة لحالها أم خوف فهذه قد تصبح مؤذية حد أن تقتل

وحتى القانون لن يأخذ لي بحقي منها لأنها مريضة وفهمت

الآن سبب جهاز المراقبة الذي وضعه جابر هنا وكل وظيفته

داخل القصر ، هوا خائف أيضا من تبعات مرضها عليها

صعدت السلالم وتوجهت لغرفتي وفتت أمام بابها ثم غيرت

وجهتي وذهبت لجناحنا فتحه ودخلت وكان عطره أول من

استقبلني ، مغفلة يا أرجوان وتسرعت ولم تخطأ سوسن حين

قالت أنني تحولت لغيبة فجأة فكلامه كان واضحا دائما وهو

يقول ويكرر لا ترفعي أي شيء من كلامها ولا تكرريه ولا

بينك وبين نفسك لكني لم أكن أفكر سوا بنفسي أريد رجلا لا

يمكن أن أجدّه في جابر حتى لو لم تكن له هذه الحكاية المأساوية

فكيف وظروفه تخنقه من كل جانب ، فهتمت الآن لما ليس سيئ

طباع لا يضرب ولا يشتم وله مواقف نبيلة حتى مع والدي

لكني لم أكن أرى سوا عيوبه وأراه مستبدا منتهزا لا يفكر سوا

بنفسه وراحته ويضع الأحمال على عاتقي وتزوجني لأربي

أبنائه ويريد أبناء مني ليكثروا أولاده ليس إلا لكني كما قال

أفكر في نفسي فقط بينما هو يفكر بي وبمستقبلي

لم أستطع أن أخطوا أكثر وأدخل الغرفة فخرجت راکضة

وعدت لغرفتي هناك دخلت وأغلقت الباب وبقيت مع دموعي

وبكائي حتى خيم الظلام

*

*

سمعت صوت رسالة في هاتفي فركضت نحو السرير وقفزت

عليه ، لا بد وأنها من سما فهي لم تجب عن اتصالاتي ، فتحتها

مبتسمة لتموت ابتسامتي حين قرأت اسم معتصم ففتحتها وقرأتها

فكان فيها (هل توافق أمرיתי على الخروج معي)

أول ما خطر في بالي قبلته تلك وكلماته فهزرت رأسي

بقوة وأرسلت له (لا)

فأرسل فوراً (ظالمة ومتجبرة على قلبي المسكين الذي يحبك)

أرسلت (أخاف أن ألتصق بك لتصبح ملطخ بعلكة بالفراول)

كنت أنتظر رده ففاجئني باسمه على الشاشة (معتصم يتصل بك)

كنت سأرمي الهاتف و أتجاهله لكني غيرت رأبي وأجبت عليه

فقال مباشرة " اشتقت لك علكتي "

قلت بضيق " لست علكة كم مرة سأقولها لك "

قال بصوت مبتسم " مشكلتي أنني أحب تضايقتك من

قولي لها فما سأفعل بنفسني "

قلت ببرود " خطة فاشلة "

ضحك وقال " أقسم أنها حقيقة "

قلت بحدة " وتقولها بصراحة تحب إزعاجي ورويتي

مقهورة ونعم الزوج حقاً "

ثم أبعدت الهاتف بسرعة بسبب صرخته الضاحكة في أذني

وأعدته وقلت بضيق " أحمق كدت تسبب لي الطرش هل

أخبرك أحد قبلي أنك مجنون"

قال ضاحكا " لا يهم المهم أنك نطقتها أخيرا"

قلت بحيرة " نطقت ماذا" !!

ضحك كثيرا ثم قال " تذكرني آخر كلامك لي"

قلت ببرود " نسيته فأعده أنت يا ببغاء"

ضحك وقال " مقبولة منك ... قلتي بالحرف ونعم الزوج حقا"

شعرت أنني تحولت لبومة من صدمتي بل من غبائي

وحماقتي فتداركت الأمر وقلت ببرود " كاذب أنا لم أقلها"

قال ضاحكا " بلى قلتها واعترفت أخيرا أنني زوجك

أحبك بتول رغما عن أنفك أحبك"

قلت بهدوء حزين " كاذب وتكذب عليا دائما وتريد أن

تتزوجني لتسخر مني أمام الجميع وتنتقم من أفعالي بك"

قال بهدوء " اقسم أقسم وأقسم أنني أحبك فراولتي ولن

أرتاح حتى تكوني في حضني"

قلت ببرود " وقح دائما"

ضحك وقال " زوجتي ويحق لي فلما المانع"

قلت ببرود أشد " لست زوجتك"

ضحك مجددا وقال " بلى واعترفت بنفسك"

قلت مباشرة " لا أعترف بها أيضا"

تنهد وقال " بتول داليني على حل لحالنا أفعله مباشرة

أقسم تعبت من شوقي لك وبعده عني"

قاطعته بضيق " أصمت يا وقح كم مرة قلت لا

تقل لي هذا الكلام"

قال باستياء " لمن أقوله إذا للجدران أم لأعمدة النور أم

لامرأة لا تحل لي أتغزل بها في الهاتف"

قلت ببرود " تلك مشكلتك"

قال " حسنا أعطني رقم إحدى صديقاتك"

قلت بصدمة " ماذا هل جننت أم ماذا"

قال ضاحكا " ولما لا أم أنك لا تريدي أن يقولوا أن زوجك

يغازل في الهاتف ظننتك لا تعترفين بي زوجا"

قلت بتذمر " معتصم أتعبت لي رأسي ماذا تريد وانتهى"

قال " يا حبيبة معتصم وقلبه وعيناه أنتي المتصلة

وليس أنا فماذا تريدن"

نظرت للهاتف بصدمة وأغلقت عليه الخط ثم ضربت به
رأسي واتصلت به مجددا وقلت ما أن فتحه " كاذب أنت

من اتصل وليس أنا"

سمعت حينها صوت لرجل لكن ليس صوته قائلا

"عذرا يا أنسة معتصم في الحمام"

قلت بضيق " بل معك فأعطه لي حالا"

قال مباشرة " دخلت الغرفة الآن ووجدت هاتفه يرن

وهوا في الحمام حقا"

قلت بضيق أكبر " وما تفعل أنت بهاتفه تجيب عليه

لما لم تتركه حتى يخرج"

أغلق الخط في وجهي ذاك الوقح لا يختلف عن صديقه أبدا

لابد وأنه ذاك الذي يسكن معه في شقته في العاصمة

خرجت من غرفتي لأجد عمر أمام بابها ويبدووا كان سيدخل

فابتسم ابتساما واسعة وقال " أريد البطاريات التي لديك

فبطاريات لعبتي انتهت"

وضعت يدي وسط جسدي وقلت " في منامك يا صعلوك

اذهب واطلبها من والدي إن كنت تجرؤ"

قال " لن يرضى طبعاً يا مدللة"

نظرت له بغضب فسكت وقال بمكر " تعطيها لي أو"

نظرت له باستغراب وقلت " أو ماذا"

أدار إصبعه على شفثيه وقال بخبث " أو أخبر والدي

عن هذا ومعتصم"

فتحت عيناى على اتساعهما من الصدمة فمد يده

لي وقال " بسرعة أحضريهم"

ضربت له يده وقلت بضيق " وقح اذهب وقلها له وأنت

من سينال العقاب منه وليس أنا"

قال مغادراً " حسناً سنرى"

لحقت به وأمسكت قميصه من الخلف موقفة له وقلت

" أنتظر لا بارك الله فيك وفي ابن عمك"

سحبته معي للغرفة وأعطيتهم له وأخذهم مبتسماً طبعاً ثم

أمسكت قميصه وهزرتة بقوة وقلت " حاول ابتزازي بذلك

ثانيتا وسترى مصيرك مني"

أبعد يدي وقال بسخرية " وماذا ستفعلين لي "
قلت بابتسامة مأكرة " سأأببر معصم طبعاً وسأطلب منه
أن يأخذ منك الدراجة التي اشتراها لك ليموت

حلمك الذي تحقق حديثاً"

نظر لي بغل فضحكت عليه ففرقع أصبعيه وقال

" معصم لن يفعلها لأنني حليفه "

قلت بسخرية " بل خادمه وأنا زوجته إن نسيت

ولن يرفض لي ذلك أبداً "

" للمرة الثانية تعترفين يا فراولتي "

شهقت بقوة ونظرت بصدمة للواقف عند الباب مستندا

بكتفه على حافته ينظر لي مبتسماً ثم دخل قائلاً " هكذا إذا يا عمر "

أمسك له أذنه وقال وهو يسحبه منها خارج الغرفة

" عند زوجتي ينتهي كل شيء والدراجة تنساها إن

طلبت مني بتول ذلك تفهم "

ثم أخرجته وأغلق الباب بعده والتفت ناحيتي فصعدت واقفة

على السرير وقلت بتهديد " ابتعد عني أو أقسم أن أصرخ

بأعلى صوتي "

ضحك كثيرا ثم قال " لا تخافي انزلي هيا لن أقتلك"

قلت بشك " أقسم على ذلك الآن"

ركض ناحيتي مسرعا فقفزت بصرخة من السرير

فأمسك خصري وحملني ورماني عليه وتبنتني بيديه

وقال بابتسامة جانبية " هكذا إذا"

قلت بضيق محاولة الفكاك منه " ابتعد سيرجع عمر

ويرانا يكفيني فضائح"

قرب وجهه مني وقبل خدي عدة قبلات وقال " أنتي من

اختر أن يكون أمامهم لو تركتنا نتزوج ما حدث كل هذا"

قلت محاولة دفعه " معتصم توقف ليس هكذا"

ابتعد وسحبني لأقف معه ودفعتني لصدره وقال

" إذا ما رأيك في هكذا"

تأففت محاولة الابتعاد وقلت " كاذب أنت وصديقك

يقول أنك في الحمام وأنت هنا"

لعب بشعري بين أصابعه وقال " نزلت لأحد المحلات ونسيت

هاتفي في السيارة وحين رأى اسم أناستى تتصل

فعلها ذاك الصعلوك وسيرى حسابه مني"

ثم أمسك خصري بيديه ورفعني للأعلى بخفة ينظر لي

رافعا رأسه وقال " هل تعلمي لما أنا هنا يافراولتي"

سندت يداي بكتفيه وقلت وعيناي في عينيه " لتعكر مزاجي طبعاً"

ضحك وقال " بل مبارك نجاحك يا زوجة معتصم"

صرخت بفرح ودهشة ومفاجأة فأنزلني وقال بضيق

" ثقبت لي طبله أذني يا غبية"

قلت بصدمة " قل قسما نجحت"

أمسك أنفي وقال " ورب الكعبة"

اتسعت ابتسامتي وقلت بغير تصديق " قل قسما نجحت

في مادة اللغات ولست أحلم"

هز رأسه بنعم وقال " أقسم أنك نجحت يا فاشلة"

من فرحتي قفزت وتعلقت بعنقه حاضنة له لا أعرف ما

أفعل أضحك أم أصرخ أم أبكي والنتيجة كانت أن فعلتهم

جميعهم معا فحوظ جسدي بذراعيه وقال ضاحكا

"من يراك يضحك في السنة الأخيرة وليس الأولى"

تعلقت بعنقه أكثر وقلت بسعادة " لا أصدق معتصم أنت

لا تعلم معاناتي بسبب تلك المادة وكيف أنها

أضاعت عليا عاما كاملا"

قبل خدي وقال " أعلم فأنا من ضاعت منه سنين وليس

سنة ، ما أسعدني بهذا لو كنت أخبرتك في الهاتف

لأضعت هذا على نفسي"

ابتعدت عنه حينها وقلت " ابتعد عني يا وقح"

ثم قفزت ضامه يداي لصدري وارتميت للخلف على

السريير وقلت مبتسمة بفرح " لا أصدق وأخيرا انزاح هذا

الهم ، كله بفضل سما"

نظر لي من فوقي وقال " من تكون سما هذه"

وقفت مجددا وقلت ببرود " لا شأن لك"

رسم بإصبعه قلبا على خدي كعادته وقال مبتسما

" غ ي و رة وتغارين"

أبعدت يده عني وقلت ببرود " واهم"

ثم وضعت يداي وسط جسدي وقلت " يا عديم الذوق تأتي

لتخبرني بنجاحي ولا تجلب معك هدية لابنة عمك"

نظر لي نظرة ما هذا الذي أسمعه فلعبت بأصبعي

في الهواء وقلت بغنج " لن أقوول زوجتك أبدا"

ضحك وأمسك وجهي وقبل خدي بقوة وطبعا عضه

كعادته ثم قال " وها قد قلتها يا علكتي"

دفعته من صدره وقلت بضيق " لست علكة هل تفهم"

ضحك وأدخل يده في جيبه وأخرج مفتاحا تتدلى منه ميدالية

ذهبية باسمي حركها أمام وجهي وقال " يا غبية إن كنت سابقا

أهديك بغير مناسبة هل سأنساها الآن"

قلت ونظري يتحرك مع اسمي " ما هذه الميدالية"

أنزل المفتاح يتحرك معها وقال مبتسما " قولي لماذا

هذا المفتاح وليس الميدالية"

نظرت له بتركيز ثم نظرت لعينيه وقلت بهمس

مصدوم " سيارة"

هز رأسه بنعم ورمى المفتاح وأمسكه بقبضته وقال " بل وأحدث

موديلات السنة في السيارات النسائية وبلونك المفضل"

بقيت أنظر له مصدومة دون كلام فأخرج ورقة من جيبه

وقال " وبسمك أيضا"

فتحت فمي مندهشة فقبل شفتي السفلى بخفة وقال " وطبعا لن

تقودها قبل السن القانوني وسأسجلك في دورة لتعليم القيادة"

تنهدت وقلت بخيبة أمل " والدي لن يوافق ، سيارة

وتدريب سيموت من الصدمة إن علم"

وضع يديه وسط جسده وقال بضيق " وما علاقتك

بوالدك وأنا زوجك وأقرر وقلت وسأنفذ"

هزرت رأسي وقلت " لن يوافقك على هذا"

لعب بالمفتاح في يده وقال " قلت أن القرار في يدي وحدي

ولعلمك يا ذكية والدك كان معي من أجل تحويل ملكيتها لك"

اختطف المفتاح من يده وضممته لصدري وقلت مبتسمة

"سيارتي حقا"

هز رأسه بنعم فماتت ابتسامتي وقلت " لكنك لن تعطيها

لي إلا إن تزوجنا أليس كذلك"

هز رأسه بلا في صمت فقلت بهمس " تكذب علي"

قرص خدي وقال " بل هي لك في كل الأحوال"

قلت بابتسامة صغيرة " شكرا لك"

أمسك وجهي وقبل شفطاي قبلة صغيرة وهمس

وشفطاه تلامس شفطاي " فقط يا بخيلة"

قلت بهمس " فقط"

قبلني قبله أطول منها ولم أقاومه أو لم أستطع ذلك ثم همس

مجددا " إذا أغلقي زر بيجامتك قبل أن أتهور"

أمسكت ياقة البيجامة بسرعة فقبل خدي وقال مغادرا جهة

الباب " انتظر اتصالك الليلة فلا تتركيني أسهر كثيرا

انتظرك لدي اختبار غدا"

ثم خرج وغادر وتركني أنظر للمفتاح غير مصدقة هذا

*

*

استيقظت أشعر أن رأسي سينفجر من كثرة ما بكيت ، أمسكت

هاتفي ونظرت للساعة ثم فتحت الأسماء ولاسمه فورا نظرت

له مطولا ثم أبعدت الهاتف ، لن أتعب نفسي فهو لن يجيب

ولا على رسائلي وسيكبر ما في رأسه أكثر حين أركض خلفه

أستجديه لذلك عليا أن أرجع لحكمتي في التصرف وأبعد غبائي

المفاجئ كما قالت سوسن ، غادرت الغرفة وتوجهت لغرفة

الفتاتين وفتحت الباب لتركضا نحوي تحضنان ساقاي وقالت

ترف " ماما ظننتك سترحلين عنا مجددا"

قالت بيسان بعدها مباشرة " خفنا أن تكوني غادرت مجددا

لأن سيلا منعنا من أن نذهب لك في جناحك"

مسحت دمعتي ثم نزلت لهما وحضنتهما مطولا ولا أعلم كيف

كنت سأفقد عقلي وأتركهم وأتصرف بأنانية لأول مرة في حياتي

لو كانوا أبنائي حقا ما فكرت بها ولا فعلتها كم كرهت نفسي هذه

اللحظة أكثر من وقت اكتشافي لحقيقة تصرفات جابر وخطئي

في حقه ، أبعدهما عن حضني ومسحت دموعي

وقلت ببحة " أين أمجد لنصلي"

قالت بيسان " في غرفته ومعه عمر لقد صلينا

منذ قليل نحن وسيلا"

هزرت رأسي بحسنا ثم مسحت على وجه بيسان وقلت

بابتسامة حزينة " لما لم تعودي تناديننا بتلك الصفات ومنذ

مدة فقد صرت ماما وليس إمبراطورة"

قالت بحزن " سخرؤا مني في مدرستي الجديدة

فلم أعد أقولهم"

ضممتها لحضني وقلت بحسرة " بل أنا من أهملك ولم

أنبههم كما في مدرستك السابقة ليمنعوا الطلبة من ذلك

سامحيني يا ابنتي"

تعلقت بحضني وقالت " لا بأس ماما أنا صرت كبيرة أليس

كذلك ولن أقولها وأحبهم بقلبي فقط وذلك يكفي"

شدتها لحضني أكثر وقلت بحنان " أجل بنيتي يكفي أن تحبي

الشيء في قلبك لا داعي لأن تتحدثي بذلك ، تفهميني أنتي

وتجهلها والدتك"

قفزت بعدها ترف حاضنة لنا وقالت " وأنا تركتmani

بلا حضن"

ضحكت وضممتها معنا وقبلتهما كثيرا ثم أبعدهما

عني وقلت " سأصلي ثم نتناول عشاءنا حسنا"

هزوا رؤوسهم بالموافقة فوقفنا وعدت لغرفتي صليت

وجلسنا جميعا نتناول العشاء وقال أمجد ما أن بدأنا

"والدي لم يرجع بعد؟؟"

نظرت له ثم هربت بنظري للأسفل من أعينهم المحدقة

بي تنتظر الجواب وقلت " لا بني "

قالت بيسان " لم يكن يغيب عنا هكذا "

وضعت الملعقة من يدي ونظرت لهم وقلت " ما أن ينتهي

عمله سيأتي أنتم فقط ادعوا له في صلاتكم أن يحفظه الله لنا "

ثم وقفت دون أن أكل شيئا وقلت متوجهة جهة الباب

" أغسلوا أيديكم بعدما تنتهوا ولا أجدكم إلا في أسرتكم "

خرجت بعدها من غرفتهم وتوجهت لجناحي دخلته ودخلت

غرفة النوم فورا وشعرت بغصة وكنمت دموعي وتوجهت

للسرير ارتميت عليه وشعور الفقد يتعاضم عندي ياله من عقاب

قاس منك يا جابر لم أتخيل أن يكون هجرانك لنا مؤلما هكذا

شدت بقبضتي على وسادته استنشقت رائحة عطره واستسلمت

لدموعي التي نزلت بصمت ثم انقلبت على ظهري ونظرت لسقف

الغرفة ثم نظرت ليداي اللتان تلعب أصابعهما بطرف اللحاف

وقلت " جابر قد تكون مشغولا ولا تراقبنا فإن كنت تسمعني

الآن فعد ولو من أجل أبنائك الذين لا يتوقفون عن السؤال عنك "

كان لدي الكثير لأقوله لكني تراجعت لأسباب كثيرة أهمها أن

هذا لن يجدي الآن وقد لا يسمعي من أساسه ، شددت اللحاف

علي بل ضمته في حضني وأعلم أنني أناقض نفسي

*

*

رفعت نظري عن حاسوبي للداخل للغرفة وضرب

التحية فقلت " هل كل شيء جاهز"

قال " نعم سيدي"

أغلقت جهاز المراقبة والحاسوب ووقفت وتوجهت نحوه

وضعت يدي على كتفه وقلت " سالم أنا أعتد عليك وأنت

الأفضل عندي بين من هم في ربتك ، سما لا يعرف حقيقة

شخصيتها هنا غيرك أريدك الليلة هنا معها تحرسها بقلبك قبل

عينيك وتموت دون أن يؤذيها أحد وما خرجت لولا اعتمادي عليك"

شد بيده كتفي أيضا وقال " كن مطمئنا إن ماتت أكون أنا ميت قبلها"

ربتت على كتفه عدة مرات وقلت " إن حدث لي شيء فهذه الفتاة

أمانة في عنقك يا عقيد سالم وإن تخفيها خلف الشمس"

هز رأسه بحسنا فتركته وخرجت وصعدت للأعلى طرقت

باب غرفتها وفتحته فكانت نائمة فاقتربت منها وكانت تضع

كف يدها بجانب وجهها وبه سلسال فضي اللون بزهرة
حمراء ، نظرت لوجهها ولجفنيها المحمران من البكاء
ورموشها المبللة بالدموع ثم تنهدت بأسى ومددت يدي

لكتفها وهزرتة برفق وقلت " سما "

فتحت عيناها ببطء ثم جلست تنظر لي بصمت فعدلت ووقفتي

وقلت " الليلة ستكون ساعة القبض على من كان يبحث عنك

في القبو وسأكون مع رجالي هناك "

قالت من فورها " وتتركني وحدي "

قلت مبتسما " كل هؤلاء الرجال في المنزل وتقولين وحدك "

قالت بحزن " ليسوا أنت أنا خائفة منهم "

جلست بجوارها وأمسكت يدها بقوة وقلت " كوني قوية

وشجاعة يا سما فمن مرت بما مررت به تكون تخطت

مرحلة الخوف بكثير ولا تقلقي فالعقيد سالم معك هنا في

الأسفل وأثق به كما أثق بنفسي ووحده من يعلم باسمك

الحقيقي وقصتك وسبب وجودك هنا أما البقية فلا علم لهم

سوا بما قلت واتفقنا عليه ولا تنسي أنتي اسمك

جيهان أحمد ناصر مهما حدث"

هزت رأسها بحسنا فتركت يدها وقلت

"هل أمورك مع الخادمة جيدة"

هزت رأسها بنعم فقلت " جيد وسالم سيكون في الخدمة

إن جد شيء واستنجدي به في أي شيء ولا تخرجي من

هنا مع غيره مهما حدث وقالوا لك"

هزت رأسها بحسنا فابتسمت على طبعها الغريب عن

النساء ! معه حق ذاك المعتوه نزار يحبها حتى الكلام لا

يخرج منها سوا للضرورة ، قالت بعدها بتوجس

"هل الأمور خطيرة لهذا الحد"

تنهدت وقلت " اليوم مات أحد رجالي على أيديهم ، هم لا

يعلمون عنك حتى الآن لكنك تبقين في خطر وإن أمسكنا

الليلة بذاك وهذا ما أنا أكيد منه فسيضيقون الخناق أكثر ولن

تنجوا ولا عائلتي ، نحن نتعامل مع عدو مجهول يا سما وهذا

أصعب ما قد يمر به من في مكاتي فلا تنسي العقيد سالم وحده

من يحميك بعدي وإن أدخلك للصحراء تدخلين معه اتفقتا"

هزت رأسها بحسنا ثم قالت وعيناها تمتلئ بالدموع

" جابر أحضروا لي قتلة أهلي قبل أن تسجنوهم"

ابتسمت ومسحت على شعرها وقلت " هذا مطلب

جميع أهالي الضحايا فمن سنرضي ومن"

قالت وقد سقطت دمعها الأولى من عيناها

"كلهم ليسوا مثلي لم يقتلوا جميع أهلهم وأمامهم"

ربتت على كتفها ثم وقفت وقلت " أعدك أن ينالوا ما ناله

جميع ضحاياهم وهو الموت ولن يردعني عن

ذلك إلا موتي"

ثم خرجت من عندها وأغلقت الباب ونزلت للأسفل وقلت

للموجودين وأنا آخذ سلاحي وأثبتته مكانه " منزلي في

حراستكم وعهدتكم ما يأمر به العقيد سالم ينفذه الجميع

ولا تتلقوا أوامر من غيره مفهومة"

قالوا معا " مفهوم سيدي"

خرجت بعدها خارج المنزل حيث رجالي أو الموثوق به منهم

ينتظرونني ركبت السيارة وانطلقت لتتبعني سياراتهم وتوجهنا

لوجهة معينة قريبة وهي منزل رفعت الشاطر ، تفرقنا لندخل

الأرض خلفه دون شوشرة أو شبهة لأجد من وصل منهم
ينتظرني عند باب القبو ونزار يقف مبتعدا عنهم فتوجهت

نحوه وقال ما أن رأي " كيف هي الآن "

هزرت رأسي وقلت " وفيما يعينك ذلك "

قال بضيق " جابر لا مكانها أخبرتني عنه ولا تريد أن

أطمئن عليها ، لا أكون من يطاردها ولا أعلم "

ضحكت وقلت " ما قصة السلسال بالوردة الحمراء "

نظر لي بصدمة وقال " ما به "

قلت بمكر " وجدته في سلة المهملات عندها "

توقفت جميع ردود الفعل في ملامحه فعدت للضحك مجددا

وقلت " لا أعلم لما لا ترحم نفسك وترحمها يا رجل "

قال ببرود " حقيقة تلك أم تكذب وتسخر مني يا جابر "

وضعت يدي على ظهره وقلت وأنا أسير معه " أنت اخترت

إنهاء ما بينكما يا نزار بل وإبعادها عن عالمك فلن

تجدي هذه الأسئلة في شيء "

وقف وقال " هل ستكون معهم هنا الليلة "

هزرت رأسي بنعم فقال من فوره " وهي "

أخرجت سلاحي وقلت " هي في حماية من أثق به

جيذا لا تشغل بالك"

قال بصدمة " رجل " !!

قلت ببرود " لا امرأة ، رجل طبعا ولا تشتغل لي بحركات

الغيور فها أنت رجل وكانت معك واستأمنتك عليها وضمنتك

عند أهلها وذاك لا يختلف عنك في شيء"

أشاح بوجهه عني بعدم رضا فقلت ضاحكا " هذا وأنت

لا تريدها وتبعدها عنك كيف ستتركها تتزوج غيرك إذا"

ابتعد عني يتمم بضيق بكلمات لم أفهمها واتجه نحو زر

الباب وفتحه لنا فقلت " غادر الآن يا نزار وعندما تأتيك

الإشارة مني تعال لإغلاقه"

قال من فوره " وماذا بشأن الفتحة في الأسفل"

اقتربت من رجالي قائلا " لا تقلق بشأنها لدي لها حل

بما أننا نعرف مكانها"

ابتعد وخرج من المكان فانتظرت بعده قليلا ثم أخرجت

مسدسي وضربت به إطلاقه في الهواء ثم نظرت لهم

وقلت " هيا بدأت ليلتنا والهدف قادم للطعم بلا شك"

نزلنا وبعد مسافة كنا في الداخل والباب الموصل للمنزل مفتوح

طبعا من يوم أمس ، سعدنا بعدما شغلنا أضواء القبو وجلسنا

في انتظار وصمت مميت لا يُسمع منه ولا حتى أنفاسنا ليمر

الوقت والساعة تتبعها الساعة ولا شيء سوا الأعين التي تحرق

في الظلام لنسمع فجأة قفزة قوية في الخارج فوقفت على طولي

ووقفوا رجالي بعدي ، رانع هذا واحد ومنتظر البقية أو قد لا

يكون هناك غيره ، بقينا واقفين في صمت وسكون وكأننا تماثيل

نستمع فقط لصوت الخطوات وفتح الباب الرئيسي للمنزل ببطء

ذات الخطوات وهي لشخص واحد فقط وهذا أفضل وكل ما كنت

أتمنى الليلة ، بقينا حيث نحن نستمع لحركته ونرى ضوء مصباحه

من أسفل فتحة الباب ومؤكد سيجد الفتحة وينزل منها وبالفعل وقع

الطعم ونزل ليمسكوه من بقوا هناك وجاءت الإشارة فتحركنا

بسرعة ونزلت لهم وشغلت المصباح في يدي ووجهته لوجه

الرجل الذي كان في قبضة أحدهم وشدت له شعره للأعلى

وقلت " وأخيرا يا لص الليل"

شدته له بقوة حتى ارتفع على رؤوس أصابعه وقلت

"فتشوه فورا بما أن يداه مبتعدة عن جسمه"

فتشوا كل ثيابه وأخرجوا ما كنت متأكد من وجوده وهو جهاز

إنذار كان سيُعلمهم به حال أمسكناه فوضعتَه تحت قدمي ودست

عليه ليتحطم وشدت شعره أكثر وقربت وجهي من وجهه وقلت

"لم تغب عني حركاتكم وخططكم السخيفة تعلمهم ليقتلوك يا

غبي كما فعلوا مع غيرك وإن ضغطت أنا على الجهاز ليعطيهم

الإشارة وأتعب مكانهم علموا بي فورا ، ست أزرار واحد لك

والآخر حال أجبرناك على فعل ذلك والثالث لي والبقية منظر

فقط أليس كذلك وضغطي على أي واحد بعده يفسد كل شيء

كما حدث سابقا مع عارف ومنصور"

كان ينظر لي بفزع فقط دون كلام ولا ردة فعل فشددت شعره

أكثر وقلت " عيناك تقولان بأنك تعرف جيدا جابر حلمي وكيف

يستخرج المعلومات ولن يرحموك ولا بموتك هذه المرة"

ابتعدت عنه وتركت شعره وأشرت لهم قائلا " قوموا بالواجب

وأريده في منزلي حالا حيث اتفقتنا سيكون ولا يعلم به أحد"

ثم غادرت من هناك وغادر رجالي بالطريقة التي اتفقتنا عليها

ولم أرسل الإشارة لنزار الآن وبالفعل خشيت عليه وسأعود
معه وبعض رجالي فيما بعد من أجل حمايته إن جد شيء هنا
انتقلت بعدها لقسم الشرطة من أجل بعض الأمور وزرت بعده
مكتبي ثم صليت الفجر وذهبت لمنزلي استحممت أولا ثم نزلت
لضحيتي التي انتظرت طويلا لأجدها ، دخلت المستودع في
الخلف فكان هناك واثنان يحرسونه في الداخل مكثف اليدين
والعينين والفم أيضا ، أزلت الشريط اللاصق عن فمه وعصابة
عينيه ورفعت وجهه لي وأريته ورقة في يدي وقلت
"مؤكد تعرف من في الصورة هذه والتي أسفلها ماتوا لأننا
قبضنا عليهم أي قاموا بتصفيتهم حالا رغم أنهم لم يدلوا بشيء
فأمامك خيارين تختار بدون تفكير إما أن تعترف بكل شيء
ونكتب لك شهادة وفاة وأنت مت مكانك البارحة في ذاك المنزل
أو مت على أيديهم إن لم تتعاون معنا فحتى الصقار قتلوه وهو
في الخارج ، بسرعة أجب قبل أن تمتد يدي عليك"
هز رأسه بحسنا وقال " سأقول كل شيء"

ابتسمت بانتصار لأنني كنت فعلت هذه الخطوة وأخرجت له
شهادة وفاة في الحالين لأنهم إن علموا أنه وقع في قبضتنا

سيحاربوننا أشد حرب ويؤذوا الجميع كي يصلوا إليه ، سحبت

الكرسي وجلست أمامه وقلت " تحدث وأقسم إن شممت رائحة

كذب في حديثك تموت على يدي قبلهم ولا تحاول

تضليلي لأنني سأكشفك"

بلع ريقه وهز رأسه بحسنا فقلت " عن ماذا تبحث هناك"

قال من فوره " عن سما رفعت الشاطر"

ابتسمت بانتصار فهم كما ظننت لا يعرفون سوا اسمها

الحقيقي ، قلت " وكيف تكون هذه أي ما هي

المواصفات التي أعطوها لك عنها"

هز رأسه وقال " لا شيء سوا فتاة ابنة ساكن المنزل

اختفت هناك ومكلف بالبحث عنها في أي مكان"

قلت بجدية مركزا نظري على عينيه " والسبب"

قال " لم يخبروني عنه فعليا جلبها لهم حية فقط

وأي شيء أو غرض أجده معها"

نظرت له باستغراب مطولا ثم قلت " والسبب"

هز رأسه وقال " أقسم سيدي لا أعلم"

قلت " أنا أعلم ولا حاجة لتجيب أخبرني الآن بالأهم

من كل هذا وهو من الذي كلفك بذلك"

قال بخوف " تحموني منهم"

نظرت له مطولا ثم قلت " مجموعة إذا"

هز رأسه بلا وقال " ليسوا مجموعة لكنه يملكهم بالتأكيد"

قلت باستغراب " قل من بسرعة"

بلع ريقه وقال بصوت منخفض

"العقيد جمعة راكان"

وقفت على طولي من الصدمة ثم شددت قميصه

بقوة وقلت " إن كنت تكذب أضعتك تفهم"

قال بخوف " أقسم أنها الحقيقة"

شددته أكثر وقلت بغضب " هل تعي معنى

هذا ومن يكون هذا الاسم"

قال " نعم ضابط في البحرية"

تركت ثيابه بعنف وابتعدت عنهم موليا ظهري لهم ومررت

أصابعي في شعري ، سحقا كما كنت أتوقع يالا الكارثة يا

جابر يالا المصيبة والأعظم أن يكون ثمة من أعلى منه ويأمره

تنفست بغيض وزفرت لهيبا حارقا عدة مرات ثم عدت ناحيته

وقفت فوقه وقلت " هل يتلقى الأوامر من غيره"

هز رأسيه بنعم ، يبدوا هذا الرجل أخطر مما توقعت وجلوسي

معه سيطول ، قلت بجدية " من"

قال " لا أعلم سيدي لكن ثمة أوامر جاءتة أمامي"

ضربت الكرسي بقدمي ليتدحرج بعيدا وقلت بغيض " سحقا

سحقا لهم أضاعوا الناس معهم بدلا من أن يحموهم"

لهذا إذا كان المدعو عمران معهم لأن البحرية مغموسة في

الأمر فمن أيضا غيرهم ، بل لهذا هم أقوىاء بهذا الشكل لم

تكن توقعاتي خاطئة أبدا ، جلست معه لساعات نسحب منه

المعلومات فكانت لقاءاته به قليلة ومعدودة ولم أحصل على

المزيد ، وقفت بعدها وقلت " وقعوه على أقواله وأعطوني

الورق ولا تتركوا نسخة في السجل ولديه سابقا شهادة وفاة

فسيشاع خبر موته البارحة بسبب رصاص الشرطة في منزل

أحمد عبد الله والموت بسبب محاولة القبض عليه وانقله حيث

حددت سابقا"

وخرجت بعدها واتصلت بسالم وقلت " أريدك وأسعد وخلييل

سريعا في مكتبي في المنزل هنا"

قال من فوره " هل قبضتم عليه"

قلت " نعم وورائه مصائب لا تحصى بسرعة أريدكم

هناك سأصعد للأعلى قليلا وأعود لكم"

*

*

دخلت عليا سيلا الغرفة وقالت " سيدتي السيد منصور وصل"

وقفت وقلت " وأين أدخلتموه"

قالت " طلب أن يكون في مجلس الرجال"

أخذت حجابي ولبسته وقلت " ابقى مع الأولاد قليلا"

ثم نزلت له لأنه قال لي بأنه لديه رقم لشخص قريب جدا

من جابر الآن وسيجده معه بالتأكيد فقد اقترح عليا هذا لأجد

طريقة أتحدث بها معه بما أن خروجي ممنوع ، وصلت المجلس

ودخلت وسلمت عليه وجلسنا وأخرج هاتفه وقال " سأتحدث أنا

مع الرجل وعندما يعطيني جابر سأتركه يكلمك"

هزرت رأسي بحسنا ألعن حظي الذي جعلني أتوسل الناس

لأكلم زوجي وأجده بل ليجدوه لي وهو كان بين يدي ، كم

أشعر بالإحراج والخجل من عمه ولكن لا طريقة لي غيرها
ولا أحد لي غيره لأنه لا يجيب على جميع هواتفهم وأرقامهم

ولا حتى معتصم فيبدو أنه خاصم العائلة جميعهم

وضع الهاتف على أذنه واتصل وأنا أشعر أن توتري يزداد

أخاف أن يقسوا علي ويجرحني أو يكشف الأمر ويحرجني

أمام عمه فهوا داهية في قراءة الأفكار ، تنفست بقوة أهدئ

نفسي فاضطرب دقات قلبي أكثر حين قال " مرحبا عقيد

سالم أنا عم جابر حدثتك سابقا"

يبدو هذا الذي طمئنه أن جابر بخير ، قال بعدها

"أين جابر الآن لأن أخباره انقطعت عني ومشغول عليه"

سكت قليلا ثم قال باستغراب " منزله في العاصمة !! متى

كان لديه منزل هناك"

سكت يستمع عاقدا حاجبيه ثم قال " غريب لا علم لنا به وإن

كان أمره حديثا ، المهم أعطني إياه لأمر ضروري

جدا فهاتفه لا يجيب عليه"

مد لي بعدها بالهاتف فمددت يدي بتردد وأخذته منه

ووقف قائلا " قال سيعطيه له فورا سأخرج عند الباب

حتى تنتهي وأحضريه لي هناك"

هزرت رأسي بحسنا وخرج من فوره ووضعت أنا الهاتف

على أذني وأشعر بتوتر لم أشعر به حياتي وارتجف قلبي حين

سمعت صوته قائلا " نعم يا عمي هل من مكروه"

بلعت ريقي وقلت بهمس خافت " جابر"

ساد الصمت من طرفه بادئ الأمر ثم قال باستغراب

"أرجوان" !!!

بلعت ريقي وفتحت فمي لأتحدث لتسكتني الجلبة عنده والأصوات

وتحرك معهم قائلا " حمقى كيف حدث هذا تحركوا سريعا"

ثم أصوات الركض تكثر وأنا بقيت من الصدمة جامدة دون كلام

حتى قال راکضا " وداعا يا عمي أنا مشغول الآن"

ثم صوت انفجار مدوي جعل قلبي يتوقف ووقفت على

طولي وانفصل الخط بيننا

نهاية الفصل

الفصل الثلاثون

استحمت ولبست الفستان وحجابي وفتحت باب الغرفة
وخرجت ببطء ، كان الوقت بداية شروق الشمس مع نسيمات
خريفية باردة ومنظر الجبال وكأنها لوحة لفنان وكما يقولون
يرجع الإنسان دائما لأصله ، تقدمت أكثر أنظر من حولي
بحثا عن نواس ولا شيء هنا لا هوا ولا مفاجأته ، بعد قليل
مر على مسافة قريبة مني قطيع كبير لأغنام وخراف مع
راعيين وحمارين وكلاب وأنا أراقبهم مبتسمة وعيناى تتبع
الخراف الصغيرة البيضاء ، لو كنت مكان الراعي لكان يومي
يمر أترك واحدا وأحضن الآخر ، شعرت بشيء لأمس
خصري فنظرت جانبا فكان نواس فأشرت لهم بإصبعي
وقلت " أريد أن ألمسه نواس أرجوك"
قال متوجها نحوهم " من دون أن تترجيني أنتي
اطلبي وتمني فقط"

راقبته مبتسمة وهوا يتوجه نحوهم وتحدث مع أحدهم وبدأ
ذاك بالركض خلف احد الخراف الصغيرة وأنا أضحك عليه

حتى أمسكه وأعطاه لنواس الذي توجه به نحوي وما أن اقترب

مني حتى مدت يداي له وأعطاه لي فأمسكته وجلست على

الأرض ووضعتة في حجري أمسح على صوفه وأراقب جميع

تفاصيله كان صغيرا جدا وشديد البياض ورائع وقد هدأ

عندي فضمته لي وقلت " كم هوا رائع أريده لي نواس"

قال مباشرة " وهوا لك وسنأخذه معنا"

نظرت له فوقي وقلت " هل هم لك أيضا"

قال مبتسما " سبق وقلت لك أنه ليس لدي هنا غير الغزلان

لكن ما ستشيرين عليه سيكون لك وسأرى من صاحبها ومؤكد

خاطر فالأراضي هنا مقسمة ولن تدخل مواشي لأي كان إلا

له أو شخص يبيع حشائش الأرض لأغنامه وسيكون يعرفه"

حضنت الخروف الصغير بسعادة وقلت " شكرا نواس

كم أحبك وكم أنت رائع"

ضحك وقال " هل سميته نواس"

ضحكت ووقفت به وقلت " فكرة جيدة كما سميت

أنت فرسك باسمي"

وضع يديه وسط جسده ينظر لي بضيق مصطنع وقال

ببرود " فرق كبير بين الفرس والخروف ولا

تنسي أن هذا سيكبر ويصبح مخيفا"

ضحكت وقلت " كذلك هناك فرق كبير بين المرأة والرجل

وأنت لم تهديني أحد خيولك لأسميه عليك"

أخذ مني الخروف قائلا " لم تشيرني على إحداها سابقا

لكنت أعطيتها لك في الفور"

قلت بابتسامة مأكرة " إذا أريد الوسن"

ضحك كثيرا ثم قال " وهل بقي لي فيها شيء فمئذ

رأتك لم تعد تعترف بي"

ثم غادر به جهتهم فقلت بصوت مرتفع " نواس لا

يعطونا واحدا آخر فيما بعد ... أريد هذا"

قال مبتعدا " لا تقلقي هؤلاء يحفظونهم كأسمائهم"

أعطاه لأحدهم وتحدث معه ثم عاد ناحيتي وطوق خصري

بذراعه وقال سائرا بي " القطيع لخاطر فماذا قررت أن تسميه"

قلت على الفور " شبل"

ضحك كثير ثم قال " خروف وتسميه شبل"

قلت ببرود " وما في الأمر أنا أريده شبل"

ضحك وقال ونحن نلف خلف الغرفة التي نمنا فيها

" هنا مفاجأتك"

تحركت جميع خلايا الفضول لدي ونحن نسير هناك أعدل

حجابي مع هذه الريح فلا شيء يمسكه ولم تعطني معه دبوسا

فأنزله نواس من على رأسي وقال " لا أحد في هذه الجهة

فلا داعي له مادام يضايقك"

عدلته حول عنقي وأعطيت شعري حرিতে وما أن صرنا هناك

ورأيت المربوطة في الشجرة حتى صرخت بفرحة وصدمة

"الوسن"

*

*

لا أعلم كيف أصف شعوري حين دخلت عليه الغرفة لأجده

مسترخي هنا بكامل عافيته لا حادث سير ولا شيء من كل

ذلك وما أن هممت بالمغادرة أو بالأحرى الهروب حتى قفز

من السرير وأمسك بذراعي قبل أن أغادر ولفني جهته وقال

مبتسما بخبث " أين أين وأنا ما صدقت أن وجدتك"

قلت وأنا أحاول أن أخلص ذراعي من قبضته

"عن ماذا تتحدث اتركني وشأني"

ضحك وسحبني للغرفة وأغلق الباب وأوقفني عليه ووقف

أمامي فقلت بخوف " معاذ ابتعد ماذا تريد مني"

قال بابتسامة جانبية " ومن أخبرك باسمي ها"

بلعت ريقى وشعرت أنني وقعت في مطب فقلت

"صديق زوج صديقتي فكيف لا أعرف اسمك"

وضع يده بجانب رأسي وقرب وجهه وقال " وتعرفين اسمي

الثلاثي أيضا وتساألين عني في مستشفى الحوادث بعد

اتصال والدتي وتكرين يا ملاك"

شعرت أنه سيغمي علي فقلت بابتسامة صفراء

"وكيف عرفت أنت اسمي"

ضحك رافعا رأسه ثم عاد بنظره لي وقال " ناداك

نواس أمامي ذاك اليوم إن نسيتي"

قلت مدعية السذاجة " وأنت ذكر اسمك الثلاثي أمامي مرة"

نظر لي نصف نظرة وقال ببرود " ملااآاك"

شعرت أنني وقعت ولا مجال للإنكار أكثر فادعيت الإغماء

برأسي على الباب خلفي وقلت مغمضة العينين ومبتسمة

"ارحمني يكفيني عينيك وتنادي باسمي أيضا هذا كثير"

ضحك وأمسك ذراعي وقال من بين أسنانه " لو فقط لم

نكن في المستشفى لكنت"

فتحت عياني على اتساعهما وقلت بصدمة

"لكنت ماذا"

قال بهمس " لكنت علفتك من ساقيك في السقف

على ما فعلته بي يا مشاغبة"

دفعته من صدره بكل قوتي حتى تراجع للخلف يترنح في

خطواته وبدأ يفقد توازنه واستغليت أنا ذاك الجزء من الثانية

وفتحت الباب وفررت هاربة ركضا حتى ركبت سيارة الأجرى

التي تنتظرني في الخارج وغادرت جالسة كالتمثال طوال الطريق

من الصدمة ، لعبوا بي إذا وصديقهم معتصم ذاك كان متفق معهم

وهوا من أوصلني له وتلك الممرضة كانت معهم ، إذا الجالس

معهم هناك يعطيني ظهره كان مؤكد الذي اسمه وليد ، لقد لعبوها

بدهاء شلة رجال الخيول أولائك ولم ينقصهم سوا نواس ولابد

وأنه كان معهم ، ما أن دخلت المنزل حتى وجدت خالي يقف

في منتصف الصلاة ويديه وسط جسده وقال ما أن رأني

"أين يا سيده ملاك من الفجر حتى الآن في يوم الإجازة

وتتركيني أبحث عنك في الشوارع كالمجنون"

بلعت ريقى مرارا ولم أعرف ما أقول فأني عذر سأقوله

سيكشفه فلا مكتبات ولا معامل طباعة ورق ولا حتى متاجر

تفتح ذاك الوقت ، قال بصراخ " أجيبني "

ارتجف كل جسدي من الخوف وقلت بتلعثم " ف في المسد مستشفى "

نظر لي باستغراب ثم قال " وما تفعلين هناك ذاك الوقت "

قلت " صدي "

قال بغضب " صديقتي وصديقتي إن داست النار تتبعينها ونسيت

من يكون والدك وأني كنت سأتصل به إن لم تدخلني الآن "

شعرت بجميع عظامي ارتجفت من الخوف وحمدت الله سرا

أنه لم يفعلها فقال بغضب متوجها جهة غرفته " لكني سأفعلها

وأصل به ليأخذك فورا فلن أتحمل مسنولية طائشة مثلك والدها

لا يعرف أبيض من أسود ورجال دخلوا المستشفى من تحت يديه "

أغلقت فمي بيدي وبدأت بالبكاء والشهيق ، كله إلا والدي

لا أريد الذهاب معه ، ما به يومي اليوم هكذا ! ركضت جهة
غرفتي وأغلقتها خلفي وجلست على السرير وأمسكت هاتفي
برجفة وخوف وأرسلت رسالة لخالي أترجاه فيها أن لا يفعلها
ويتركني انهي دراستي على الأقل فهوا غاضب الآن وما أن يهدأ
سيفكر في كلامي ، جربت بعدها الاتصال بوسن ولم تجب تلك
الحمقاء فأرسلت لها رسالة أيضا ورميت هاتفي جانبا وواصلت
بكائي ، كله بسبب المعاذ ذاك

*

*

وقفت أنظر لها وهي تحضن الوسن بسعادة بل الوسن من كانت
تبدوا أسعد منها برويتها ، استندت بالجدار أراقب الحلم والواقع
مجتمعان بل حلمان لم أتخيل في حياتي أن يتحولا لحقيقة ويصيران
ملكي وسن والوسن ضاعتا يوما من يدي وصارتا بكل بساطة
لغيري لكن الله رحمني وأعادهما لي البيضايتان صاحبتا الشعر
الأسود الليلي جنوني وهيامي الحقيقي ومن حياتي دونهما
ستكون تعيسة خصوصا تلك مهجة قلبي وحلمي الأول والأخير
بقيت أراقبهما مبتسما وشعرهما الأسود الفاحم يتطاير مع

الريح وأشعر أنني ملكة الدنيا بما فيها ووجدت السعادة أخيراً

ووجدتني ولن أترككما مجدداً لتأخذكما مني ظروفياً ونكبات

حياتي كما في السابق ، انظر يا نواس كل هذا لك ... لك

وحدك لا أحد يشاركك فيه ، من قال أن ما ضاع لا يمكن

أن يعود وأن الحصون المنيعه حين تقف بينك وبين حلمك

لا يمكن أن تنهار أبداً من قال ذلك فهو كاذب والدليل ها هو

أمامي ، التفتت لي ونادت قائلة " نواس تعال"

فما كان مني إلا أن لببت النداء كنت أريد أن أتأمل عن بُعد

فقط لسببين الأول حقيقته وهو أن أراها معاً الوجهان لعمليتي

التي اشتري بها السعادة والثاني وأستبعد أن أحققه وهو أن

أبتعد عنها كي لا أتهور ونحن في مكان مفتوح ومكشوف

وصلت عندهما ووضعنا ذراعي على كتفها فنظرت لي

للأعلى وقالت مبتسمة وبهمس " لو لم نكن في مكان

هكذا لكنت عرفت كيف أشكرك"

ضحكت وأمسكت أنفها وقلت مبتسمة " أنا من لو لم نكن

في مكان مكشوف هكذا ما تركتك تشكريني لأنني سأسبقك"

ابتسمت بحيائها الذي أحب فيها واتكأت على كتفي وقالت

"أحبك نواس وما أسعدني بك"

قبلت رأسها وقلت ماسحا على ذراعها " لم تتركي

لي كلمة غير أحبك أقولها"

دست وجهها في صدري وقالت " يكفي أن تكون

قربي وحده يكفيني"

ضممتها بذراعي وقبلت رأسها مجددا ثم أبعدتها عني وفككت

حبل اللجام من الشجرة ثم أمسكت خصرها ورفعتها وأجلستها

فوق ظهرها وقلت " اجلسي جيدا فوقها"

بقيت ممسكة بيدي وقالت بخوف " لا نواس سأقع أنا خائفة"

قلت بعد ضحكة " لا تخافي يا جبانة هذه الفرس مروضة

وتحبك ولن تؤذيك ألا تتمني أن تركبها"

قالت ولازالتمسك يدي " نعم لكني خائفة فلم أركب

الخيول من قبل"

أمسكت اللجام مجددا وركبت خلفها وقلت " عدلي في

جلستك الآن يا جبانة"

قالت بضيق " نواس توقف عن مناداتي بالجبانة كيف

لا تريد أن أخاف من هذه الأمور"

عدلت لها جلستها بنفسي قائلا " من الوسن تحديدا لا خوف

أنتي فقط أجلسي ثابتة وقوديتها بتحريك اللجام وسأعلمك الآن"

انصاعت لي واتكأت بظهرها على صدري فتحركت بالوسن

وقلت ضاحكا " هل تضنيني كرسي طائرة"

ضحكت كثيرا ثم قالت " خائفة ولن أطمئن إلا وأنا

قريبة منك هكذا"

ضربت الوسن لتزيد سرعتها قليلا فقالت وسن بحماس

"يااااا رائع نواس"

قبلت خدها وقلت ونحن نبتعد عن المكان " أنتي أول من

ركبها بعدي ولا حتى أصدقائي المقربين"

قالت بدهشة " حقا ولما"

قلت وأنا أزيد سرعتنا بضربها برفق " كيف أسمح لرجل

غيري يركب سميتك ، أنتي وهيا شيء إن أصبح لغيري

عشت بحسرتي عليه حتى أموت"

زادت سرعتنا أكثر فقالت بحماس " ويااااا رائع لم

أتخيل الأمر رائعا هكذا"

شددت اللجام قليلا لتخفف من سرعتها وقلت " أمسكي

حبل اللجام مني وافعلي كما سأقول"

أخذته مني قائلة " أمسكني جيدا نواس"

ضحكت وقلت " لن تتعلمي ركوبها وأنتي خائفة هكذا

فقط أجلسي بثبات ولا تخافي"

فعلتُ ما قلت وعلمتها كيف تغير مسار سيرها وكيف تزيد

من سرعتها وكيف توقفها ثم أبعدت ذراعاي عن خصرها

وقلت " والآن لن أمسكك ولن أوجهك هيا افعلي كما علمتك"

قالت بخوف " لا نواس لا تبعد يديك"

تبت نفسي وقلت " هيا ولا تخافي سأمسكك إن

اطر الأمر ولن تقعي"

انصاعت ولو مكرهة وهي تسير بها ببطء فقلت ضاحكا

" هل نحن فوق سلحفاة ولا أعلم"

ضحكت كثيرا ثم قالت " أقسم أخاف لما لا تشعر بي"

ضربت الوسن بقدماي وقلت " من لا يجرب يبقى خائف دائما"

لتنطلق الوسن مع صرخة وسن وتحكمتُ بها وبخوفها أخيرا ثم

نزلتُ وتركتها وحدها فوقها ولم أترك عبارة لم أشجعها بها ولو

كانت طفلة لفلعتها دون خوف من كثرة تشجيعي

كنت أراقبها وهي فوقها وهذا المشهد الذي كنت أريد الفرس

وفارستها وشعرهما الأسود يتطاير مع الريح مشهد سأموت

بحسرتي إن لم أسجله لدي ، أخرجت هاتفي المحمول وشغلته

وفتحت آلة التصوير وصورتها صور ثابتة ومقاطع فيديو أيضا

ووسن طبعا لا تعلم لأنها نسيت نفسها على ما يبدو ، الوسن فرس

مروضة ترويضاً مميّزا لذلك سهل عليها حتى تثبتت نفسها فوق

ظهرها وبالإضافة لحب الوسن الغريب لوسن فستساعدنا في

أن تقودها براحة وسهولة

دسست بعدها هاتفي وأشرت لها بيدي مناديا " الوسن تعالي"

فعدت جهتي دون أوامر من وسن لأنها تعودت على صوت

مناداتي لها وإشارتي هذه بيدي فتأتيني مباشرة ، وصلت عندي

ووقفت فركبت خلفها مجددا وأخذت الحبل منها فقالت ببرود

"الله اكبر على الحسد علمتني وأخذته مني"

ضحكت كثيرا ثم قبلت خدها وقلت " ستركبنيها في المزرعة

حتى تشبعي هل يرضيك هذا"

قالت مبتسمة " نعم وسأركبها كل يوم"

مشينا بها كثيرا ثم قلت " ألبسي حجابك اقتربنا من

الجانب الآخر من الغرف"

لبسته بسرعة وما هي إلا لحظات ووصلنا ونزلت وأنزلتها

بعدي فالصعود والنزول من ظهرها سيحتاج وقتا لتتعلمه

بما أنها تعلمت الجلوس عليها هكذا بدون سرج

نظرت بعدها خلف كتفي وقالت وهي ترفع جسدها

"نواس ما تلك بعيدا"

ألتفت ورأيت حيث أشارت ثم قلت " تلك أبل خاطر

هل تريدي رؤيتها"

قالت بحماس " بالتأكيد لكن عن بعد فقط"

ضحكت وحملتها من خصرها وأعدتها فوق الوسن مجددا وركبت

خلفها وسرت بها جهتهم حتى صرنا بينهم وكنت في أقصى درجات

استمتاعي وهي تصرخ بذعر كلما أنزل أحدها رأسه لنا فأوقف

الوسن ضاحكا وهي متمسكة بي حتى تحول خوفها لبكاء فابتعدت

بها عنهم قائلا " وسن هل تبكي بسبب بعير"

مسحت دموعها وقالت بعبرة " ألا ترى أشكالها وكيف تقرب

وجوهها الضخمة المخيفة من وجهي كنت أموت من الذعر

وأنت لا تصدق أنني خائفة بالفعل"

ابتعدنا عن هناك أكثر ونزلت وأنزلتها ومسحت الدموع من

على خديها وقلت " آسف حبيبي توقفي عن البكاء فهذه

الحيوانات ودودة ولا تخيف ولا تؤذي"

مر أحدهم من جانبنا راكضا والغبار حوله فقفزت لحضني

صارخة وتعلقت بي وقالت ببكاء " هذا على أساس أنها لا

تخيف ابتعد بي من هنا بسرعة أو مت ذعرا"

رفعتها من خصرها وأجلستها على ظهر الوسن وقلت

"تموتي وتتركي نواس ، لا أسمع منك هذه الكلمة مجددا مفهوم"

قالت وهي تنظر لذاك عاندا يركض كما غادر

"حسنا فقط دعنا نرجع هناك"

ضحكت وسرت بها هي فوق الوسن وأنا أمسك لجامها

وأسير على قدمي نتبادل الأحاديث حتى رن هاتفي فأخرجته

وكان خاطر فأجبت عليه فقال مباشرة " الغداء جاهز يا عاشقان

لا تضيعا في الصحراء ولا يجدكم أحد"

ضحكت وقلت " وكيف نضيع وأنت هنا ستجدنا

ما أن نصف لك أين نحن"

قال ببرود " وهل تضنني آلة تصوير أحفظ شكل الجبال"

قلت بضحكة " وكيف تجد أهلك ومواشيك ما أن

يخبرك أحد أين رأها"

قال مباشرة " ذاك يخبرني اسم المنطقة هنا بملكيتها لصاحبها

فهل ستعرف أنت ذلك يا نبيه بسرعة وسأرسل

لكم الغداء في غرفتكم طبعاً"

ضحكت وقلت " هل اشتقت لزوجتك سريعاً"

قال ببرود " لم تعجبني هذه النكتة"

ثم تابع " بل لأن زوجتي قالت أن زوجتك لم تأكل شيئاً فيبدو

أنها تخجل من الأكل مع الغرباء فكلاماً أفضل كي لا تلمنا

حين يغمى عليها وتحطم جدران الغرف على رؤوسنا

بسبب معشوقتك"

قلت ببرود " سأصل لك وترى حسابك مني"

ضحك وقال " هذا إن رأيتك قبل وقت مغادرتك"

قلت بلامبالاة " هيا أصمت ها نحن وصلنا"

ثم أنهيت المكالمة معه لحظة وصولنا ليرن هاتفي من جديد

وكان معاذ هذه المرة فأجبت عليه فقال قبل حتى أن أتحدث

"إن كنت مع زوجتك فلا تذكر اسمي"

لذت بالصمت فتابع " أخرج لي منها جميع المعلومات عن

صديقتها ملاك ودون أن تلاحظ"

قلت ببرود " كيف تكون هذه تريد كل شيء دون أن ...

قال من فوره " أصمت ستفضحنا أريد اسم والدها وأين

يكون وأي معلومات تستطيع الخروج بها منها"

ساعدت الوسن على النزول بيدي الأخرى وأشرت لها

لتدخل الغرفة وابتعدت قائلا " أعرف عنها القليل"

قال من فوره " بسرعة واختصر"

ضحكت وقلت " مهلك عليا يا رجل كيف هذا تريد

معرفة كل شيء وأن أختصر"

قال بضيق " لأنني أكلمك على هاتفك الثريا إن نسيت

وسيسحق لي كل رصيدي يا نبيه"

ضحكت وفصلت عليه الخط واتصلت به أنا فأجاب قائلاً

من فوره " نعم الآن قل كل شيء تعرفه عنها وبالتفصيل"

ضحكت كثيراً ثم قلت " في منامك فلن أضيع الوقت معك يا

صعلوك وأخبرني لما تريد معرفة كل شيء عنها"

قال من فوره " تكلم أنت الآن ونتحدث ما أن ترجع

صحيح متى تنتهي شهر العسل وتعود"

ضحكت وقلت " أنت قلتها شهر عسل يعني شهر"

قال ساخراً " ها هذا إن سمحت لك العروس وتركت جامعتها"

ضحكت وقلت " أتركنا في المهم الآن ، الفتاة والداها مطلقان

وكل واحد منهما متزوج ولديه أبناء وهي تعيش حالياً في

العاصمة مع جدتها وخالها وما أن تنهي دراستها سيأخذها

والدها وأعرف منزل جدتها إن أردت"

قال بعد أن لاحظ صمتي " فقط"

قلت " فقط"

قال ببرود " ما أروعها من معلومات ، غادر الآن واجلب

لي شيئاً ينفع وخصوصاً مكان والدها ، جد لهذا حلاً فلن

يصعب عليك"

ثم قال من فوره " انتظر لا تسألها كثيرا هكذا فستلاحظ فمؤكد

تعرف شيئا عني وعنهما أعطني عنوان منزل خالها"

أعطيته العنوان سريعا ثم قلت " هيا وداعا فقد أكثرث"

قال ضاحكا " نعم ضاعت علينا نحن ، لو بقيتما

متشاجرين كان أفضل"

قلت بضيق متوجها جهة الغرفة " يالك من صديق لا

تفكر سوا بمصالحك يا وقح"

ثم أغلقت عليه الخط ودخلت الغرفة وكانت وسن تصلي الظهر

فدخلت الحمام استحمت وخرجت ووجدت الغداء وصل

ووسن جالسة تمضغ فوضعت يداي وسط جسدي وقلت ببرود

"تأكلين دون أن تنتظري زوجك ، ماذا أفعل لك الآن"

ضحكت وأغلقت فمها بيديها وقالت " أقسم أنها قطعة

خيار فقط لأنني جائعة حد الموت"

ضحكت وتوجهت للسجادة المطروحة ووقفت عليها وكبرت

للصلاة وبعدها انتهيت توجهت نحوها وجلست بجانبها قائلا

"أنا من سيطعمك الآن وستأكلين كل هذا الطعام"

نظرت لي بصدمة وفتحت فمها لتعرض فشدتها لي

وقبلتها قبلة طويلة ثم أبعدت شففتاي وقلت بهمس

"ستأكلين ولو مرغمة"

اتكأت على كتفي وقالت هامسة " بل شبعنا الآن"

ضحكت وضممتها بذراعي وقلت " بل لأنك شبعنا

من أكل الخيار"

فضحكت وحضنت خصري بذراعيها ودست نفسها في حضني

ولم أترك شيئا لم أجعلها تأكل منه أحببت ذلك أم كرهته واتكأت

بعدها رأسي في حجرها وأصابها تلعب في شعري ويدها

الأخرى أضمتها لصدري وكل حديثنا عن حديقة في المزرعة

والمسبح والألعاب أين سيكون كل واحد منهم وكيف سيكون وأي

اقتراح يقترحه أحدنا يعترض عليه الآخر فجلستُ وشدتها من

يدها لحضني وقلت " لنترك المهندس هوا من يفرض علينا

رأيه ودعينا الآن من كل هذا"

قالت مبتسمة وهي تحاول الابتعاد عني " نواس أريد أن

أنام يكاد يغمى عليا من النعاس"

*

وقفت أمام المنزل الذي أعطاني نواس عنوانه وأنا أرى مجددا

الرسالة التي وصلتني منه وفيها (الفتاة سيزوجها والدها مرغمة

ما أن تنهي دراستها ، هذا أهم ما تحصلت لك عليه

ابتسمت بمكر وقرعت الجرس ووقفت جانبا ، أنا تلعب بي

تلك اللعبة يا جنية ستري ما سأفعل بك ، بعد قليل انفتح الباب

وخرج لي رجل نظر لي باستغراب بادئ الأمر ثم قال

"تفضل يا سيد هل أخدمك بشيء"

مددت يدي له مصافحا وقلت " معك معاذ أحمد شاكر

مؤكد أنت السيد مصطفى"

صافحني قائلا " نعم وصلت هيا تفضل للداخل"

دخلت معه لمجلس الرجال وجلسنا نتعارف قليلا وظهر أنه

يعرف نواس جيدا وقال بأنه رأي في عزاء والدة نواس لذلك

إذا استغرب وجودي حين فتح لي الباب ، قلت بعد قليل

"أنا قادم لك في موضوع أريده سرا بيننا ولا يعلم به

أحد وخصوصا ابنة شقيقتك ملاك"

لتنفتح عيناه على اتساعهما من الصدمة فقلت مبتسما

"لا تذهب بذهنك بعيدا أنا سبق ورأيتها مرتين بالمصادفة

مع صديقتها التي تكون زوجة صديقي وأريد عنوان منزل

والدها وكل غرضي خير ونواياي حسنة"

قال من فوره " ولما لا تريد أن تعرف ملاك عنك"

قلت من فوري " لأن طليقتي تثير المشاكل حولي ولا

أريد أن تعرف شيئا حتى يتم الأمر"

هز رأسه بحسنا ويبدووا اقتنع بسببي المزيف ثم أعطاني

عنوان منزل والدها والمدينة التي يسكن فيها وهذه الجولة

الأولى مرت بنجاح وسننتقل للمرحلة الثانية

*

*

خرجت وخاطر جولة في الأرض التي حكائي عنها وعدنا

مقربة مغيب الشمس ، دخلت الغرفة ووجدتها نائمة مكانها منذ

تركها عصرا فاقتربت منها وجلست بجوارها ومسحت بأصابعي

على ذراعها ناصع البياض ثم أمسكت يدها ورفعتها لي وقبلتها

وقلت " وسن هيا استيقظي ما كل هذا النوم"

همهمت قليلا وأولتني ظهرها فاتكأت على مرفقي بجوارها

وقبلت كتفها العاري وعنقها فتحركت متضايقه وقالت

"نواس أتركني أنام قليلا أرجوك"

قلت مبتسما " استيقظي يا كسولة سنغادر"

ولم تجب ويبدووا عادت للنوم فقلبتها على ظهرها وأمسكت لها

أنفها وقلت وأنا أحركه " هيا بسرعة أجدك في السيارة بعدي"

أبعدت يدي وأولتني ظهرها مجددا وقالت " ألم تقل سنغادر ليلا

فاتركني أنام نواس أنت لا نوم معك أبدا"

شددتها بذرعي من خصرها وهمست في أذنها

"بسرعة أو تعرفي كيف أفسد نومك"

تأففت وجلست تجمع شعرها للخلف وقالت بتذمر

" ها قد استيقظت فهلا أخبرتني لما نرجع الآن"

وقفت وقلت " لأننا بتنا وقت المغرب يا كسولة فألبسي

ملابسك لتودعي زوجة خاطر وسنغادر لنصل مبكرا"

ثم خرجت للسيارة فحصتها قليلا وبحثت عن خاطر وودعته

وعدت جهة السيارة فكانت وسن قد خرجت للتو فقلت وأنا

اركبها " ظننتك جالسة تنتظريني هنا وليس نائمة في الحمام"

تجاهلنتي رافعة أنفها وسارت جهة الباب الآخر وركبت وقالت

"أوقفني عند غرف صديقك لأودع زوجته وأعطيها ملابسها"

ضحكت وقبلت خدها وقلت " ولما الغضب هذا كله"

أبعدتني بيدها وقالت ببرود " أين الخروف الصغير

الذي وعدتني به"

قلت مبتسما " هكذا إذا"

هزت رأسها بنعم وقالت " وأريد غزالا صغيرا أيضا

أخذه معنا للمزرعة"

ثم نظرت للأسفل وقالت بحزن " ليتنا لا نرجع يا نواس

ليتنا نبقى هنا كل عمرنا"

تتهدت بأسى فأنا أعلم فيما تفكر وتريد أن تقول فأكبر همومها

العودة هناك ورؤية مي من جديد ، شدتها لحظني وقلت وأنا

أحضنها بقوة " أحبك وحدك يا وسن أقسم وربى يشهد

فقدري الظروف التي أنا فيها"

قالت بحزن " لكنك لم تقدر ظروفى سابقا ووضعت اللوم علي"

تركتها وقلت بضيق " وسن حتى متى سنفتح ذات المواضيع"

نظرت جهة النافذة وقالت بأسى " حتى تنسى أنت كل ما فات

وتعترف أنك كنت مخطأ في حقي وتشرح لي سبب

زواجك بها وتقنني به أيضا"

تأففت أمسك نفسي عن الغضب وقلت " وسن لما نختم أيامنا

الجميلة هنا بهذا دعينا نعيش لأجلنا فقط وأخبرتني أنني على

استعداد أن أضعك في منزل لوحدك ولنعتبر أنه لا

وجود لزوجتي غيرك لي"

هزت رأسها بلا وقالت ببكاء " لا أستطيع ارحمني يا نواس

أرجوك أقسم أن ذلك بالنسبة لي كالموت البطيء"

شغلت السيارة وقلت " يكفي سيطول الحديث في هذا بلا فائدة

وتعاودك الآلام التي لم أصدق أن توقفت"

انطلقنا بعدها وهي تنظر جهة النافذة وتمسح دموعها وأقسم

أنها تتألم الآن وتكابر وأنا اخترت الصمت فالحديث لن يجدي

أبدا ، وصلت عند أغنام خاطر ووضع الراعي الخروف الذي

اخترته وسن في السيارة في الخلف ثم توجهت لسور الغزلان

وأمسكت بأحد صغارها ووضعته معنا أيضا وعدنا أدرجنا في

صمت قاتل طوال الطريق حتى وصلنا ونزلت هي قبلي ودخلت

مسرعة ونزلت أنا أراقبها حتى اختفت ثم هزرت رأسي بقلة

حيلة وقلت للعامل المار بجواري " أين وليد ومعاذ"

وقف وقال " معاذ خارج المدينة وقال أن نخبرك أما

وليد فلم أره منذ العصر ولا أعلم أين"

هزرت رأسي بحسنا وقلت " أنزلوا الخروف والغزال من

السيارة وضعوهم في مكان آمن حتى نخصص لهما مكانا"

قال من فوره " حاضر سيدي"

تركته ودخلت وتوجهت جهة ممر غرفة وسن ثم تراجعت وعدت

أدراجي وتقابلت ومي فقالت ما أن رأيتني " حمدا لله على سلامتكما"

قلت " بهدوء " سلمك الله كيف أنتي الآن"

نظرت للأسفل وقالت " بخير أريد أن أتحدث معك في أمر"

نظرت لساعتي وقلت " ألا يمكن تأجيله قليلا يا مي لأنني

متعب حد الانهيار وإن كان ضروريا نتكلم الآن"

هزت رأسها بحسنا وقالت " نتركه حتى تجد وقتا"

قلت متجها جهة السلام " إذا تصبحين على خير"

وصعدت لغرفتي لأنام هناك وما أن وصلت للباب حتى

عدت أدراجي نازلا

*

*

منذ دخلت غرفتي ونمت على سريري والهواجس تلعب بي

أين ذهب وماذا يفعل هل سينام معها هل اشتاق لها لهذا الحد

ولا صبر له عليها فماذا عما كان يقوله لي أني حبيبته وحدي

وأني في قلبه يا رب لما لا يمكنني تقبل الأمر وأنا الزوجة

الثانية لا أعلم كيف تعيش بعقلها من يتزوج عليها زوجها أقسم

إن تزوج نواس بعدي أن أجن ، لو كان أي رجل آخر قد أقبلها

وتقبلها نفسي أما نواس يستحيل ، إن لم يكن لي وحدي أفقد

عقلي وليس صحتي فقط ، لا أريد أن ينظر ولا مجرد النظر

لامرأة غيري لا أن يتحدث معهم ولا يضحك معهم فكيف بامرأة

تشاركني حتى حضنه وقبلاته وكلامه لي بل قد يكون وعاطفته

نحوي ، شددت على معدتي بسبب الأوجاع التي عادت لها ثم

سرعان ما أبعدها حين سمعت صوت الباب انفتح وظننتها

راضية حتى وصلتني رائحة عطره وصوت فتحه لباب الخزانة

وحركته في الغرفة وأنا أعطيه ظهري ثم نام معي في السرير

وحينها فقط استكانت أوجاعي والنار المشتعلة في قلبي قبل معدتي

لكن دموعي هي الشيء الذي لم يهدأ أبدا فشعرت بيده على ذراعي

ولفني ناحته وشدني لحضنه فتمسكت به لآفة ذراعي حول عنقه

واستسلمت لبكائي أكثر فضمني له بقوة أكبر وقال " ارحمني نفسك

يا وسن وارحميني لما لا تفهمي أن تعبي من تعبك أنتي"

قلت بعبرة " قل قسما يا نواس قل قسما أنت لي وحدي"

قبل خدي وجبيني وقال بهمس " أقسم لا امرأة غيرك في قلبي

قسما بمن خلقتي وخلقك يا وسن فتوقفي عن تعذيب نفسك"

حينها فقط هدأت وهدأت جميع أوصالي واستكنت في حضنه

ونمت دون حتى أن أشعر ويبدووا أنه مثلي نام سريعا

عند الصباح لم أجده معي استيقظت أركض ركضا لأدرك

محاضرتي ، جهزت نفسي سريعا وخرجت شبه راکضة

ومذكراتي في يدي ، مررت المطبخ ووجدت راضية هناك

وطعاما على الطاولة فأخذت قطعة خبز وكوب قهوة وتناولته

واقفة فقالت " نواس حتى خرج وهوا يوصيني بطعامك لذلك

اجلسي وافطري جيدا فهذا ليس بأكل أبدا"

وضعت الكوب على الطاولة وقلت مغادرة " سأكل في

الجامعة عليا المغادرة فلا وقت لدي"

ثم خرجت ووجدت السائق ينتظرنى ركبت السيارة وانطلقنا

ووصلت العاصمة وجامعتي على الوقت تماما وما أن دخلت

حتى قابلتني ملاك وأمسكت يدي وسارت معي قائلة

"أين أنتي لا تجيبين على هاتفك يومين كاملين"

قلت ونحن ندخل " كنت في رحلة مع نواس"

شبهت ووقفت تنظر لي بصدمة فضحكت وقلت " مهلك لا

تخرج روحك زوجي وليس شخصا غريبا ذهبت معه"

هزت رأسها بعدم استيعاب ثم قالت " أعيدي ما قلتها"

أمسكت يدها وقلت وأنا أسحبها معي ناحية مبنى الجامعة

"بعد المحاضرة أحكي لك كل شيء دعينا ندخل الآن"

قالت وهي تجاري خطواتي " معك حق وأنا لذي كوارث

عليا قولها لك سريعا"

نظرت لها باستغراب وكنت سأحدث لولا رأيت دكتور المادة

قادم فدخلنا مسرعتين وقالت ملاك ونحن نصعد المدرج

" أول امتحان لنا في مادة التشريح يوم الأحد القادم"

جلست وقلت " حددوا مواعدهم جميعهم"

جلست وقالت " بغاة وظالمين لو رأيتِ جدول الامتحانات
لأصابتك سكتة قلبية وزيدي على ذلك تقديم رسالة التخرج

بعدها بأسبوعين فقط لقد حاصرونا"

قلت بهمس لحظة دخول الدكتور " مصيبة حاصرونا فعلا"

أنهيت محاضراتي ويومي المليء بالأعمال في الجامعة

فامتحاناتي الأسبوع القادم ولا وقت لدي ولم تتركني ملاك

حتى علمت عن رحلتنا بالتفصيل وقبلها طبعا حكّت لي الكارثة

التي حلت عليها وبعدها انتهيت من حديثي عما حدث قلت

"والآن ماذا ستفعلين يا ملاك"

هزت رأسها وقالت " لا أعلم عليا أن أرضي

خالي بأي طريقة"

قلت " وبعدها يا ملاك ستنتهي دراستك ويأتي والدك

لأخذك لما لا تتحدثي مع معاذ وتفهمي منه على

الأقل شعوره ناحيتك"

قالت بخوف " أبدا أنا أفعلها بعد ذاك اليوم ولا على قطع عنقي

هوا بات يعرفني وهوا من عليه أن يتحدث معي وليس أنا"

قلت بحيرة " أمرك غريب يا ملاك تحبينه وتتنازلين عنه هكذا"
تنهدت وقالت " وما في يدي أفعله لقد تعبت من همومي وحياتي

وكل شيء أفعله ينقلب ضدي ترى هل أسعد يوما مثلك"

هزرت رأسي وقلت " لا أعلم من منا تعست أكثر من

الأخرى اليتيمة أم شبه اليتيمة"

ضحكت كثيرا وقالت " ياله من تعبير"

ثم قالت بهدوء " المهم أنك وجدتي السعادة أخيرا يا وسن

فيكفك أوجاع وحزن وضياع لقد أخذت حصتك منهم وزيادة"

قلت بحزن " لكن وجود زوجة له غيري ينغص أي سعادة

أشعر بها معه إنها نار تشتعل في جوفي يا ملاك كلما فكرت

في ذلك فقط فكيف برويتها أمامي"

قالت بضيق " وسن توقي عن الجنون نواس يحبك وأنتي

تعرفين ذلك جيدا وكل ما حدث مؤخرا يؤكد ذلك فأبعدي

تلك الأفكار عن دماغك وقلبك"

هزرت رأسي وقلت " ليثني أستطيع يا ملاك"

وقفت وقالت " ستكونين غبية إن أضعته منك بسبب كثرة

تشكيك لتسحبه هي ناحيتها ففكري في هذا جيدا كي

لا ينقلب ضدك"

ثم قالت مغادرة " نلتقي غدا لا أستطيع التأخر أكثر"

ثم ابتعدت وتركتني وحدي مع أفكاري ، ماذا لو كما قالت

يتعب مني ومن تشكيا بينما هي لا تفعل ذلك ويصبح ينجذب

للراحة معها أكثر وأصبح أنا بالنسبة له مصدر للهموم

والتشكي والإزعاج

وقفت حينها لأن السائق أصبح في الخارج وغادرت عانده

للمزرعة ولم أرى نواس قرابة الثلاثة أيام لانشغاله بعمله

وحتى النوم نام خارج المزرعة ولا أعلم أين ويبدوا كما

قالت ملاك سيهرب من مشاكلي وتشكيا الدائم لذلك عليا

أن أغير من أفكار وطريقة تعاملتي مع الأمر فقد يكون كما

قال فرضتها ظروفه عليه لذلك لا يريد قول السبب مثلما

سبق وحدث معي في خطبتي من ذاك التاجر

*

*

عدت للهرب مجددا من أسئلتها ولا أعلم حتى متى سيدوم

هذا الحال لذلك عليا التحدث مع مي فقد نجد حلا لكل هذا
ولو فصلهما كل واحدة في طابق لوحدها كي لا تفهم مي
الأمر بشكل جارح ، ثم أحوالها هذه الفترة لا تعجبني ويبدو
لديها شيء تخفيه عن الجميع ، عند المساء كنت واقفا عند سياج
الساحة أخرجت هاتفي واتصلت بها وطلبت منها أن تخرج
لي هناك فكانت عندي خلال لحظات ووقفت بجانبني وقالت
"لما تفعل بها وبنفسك هكذا أكثر من يومان لم تدخل
المنزل وتقول أن أموركما جيدة"
نظرت للبعيد وقلت " دعك منا الآن وأخبريني أنتي
ما بك ولما قلت ما قلته يومها"
نظرت للجانب الآخر وقالت ببرود " سمعت
كلامك ووليد في مكتبك"
نظرت لها بصدمة ليس من أن تعلم ما قلنا لكن من أن تقول
لي أنها سمعتنا وما غرضها من هذا ! كنت سأتكلم لكنها
سبقتني قائلة " من هوا الشخص الذي أنقذني وما علاقته بكما"
نظرت للأرض وقلت " وما نفع أن تعلمي"
قالت بسخرية " هوا وليد إذا"

نظرت لها بصدمة من تخمينها له تحديدا فقالت بحزن

"وليته لم يفعل ليته تركني حتى قتلوني"

قلت بهدوء " وليد يحبك يا مي وأخبرني بنفسه

وقال أنه يريد أن يتزوج بك"

أشاحت بوجهها جانبا وقالت " لا أريده ولا غيره و

علينا أن ننفصل ما أن تنتهي السنة"

قلت بجدية " مي شروط العقد لا تنتهي عند ذلك وأنا

لن أعيذك لأخوتك وزوجاتهم مهما حدث"

نظرت لي باستغراب فقلت " حكا لي عاصم عن كل ما قاسيته

منهم وماذا قد يحدث إن عدت لهم ولن أسلمك إلا لمن يحافظ

عليك أو لن تغادري من هنا ولن أجد أفضل من وليد"

أشاحت بوجهها عني وقالت بحزن " لن أتزوجه ولا

غيره فاتركني أرجع لمنزلي ولا تفكر بي"

ثم نظرت لي وقالت " ما علاقة وليد بما حدث

وكيف كان هوا السبب"

نظرت للأسفل وقلت " أحدهم أراد الانتقام منه

واتخذك وسيلة"

قالت بأسى " بل قل ضحية ... ضحية لعبت شبان طائشين

لا أصدق أن وليد من هذا النوع"

رفعت نظري لها وقلت " مي وليد يحبك حقا وأخفى ذلك

في قلبه كل هذا الوقت من أجلك وضحي بحبه لك لتكوني

سعيدة ولم يخطبك بعد الحادثة لأنه من أنقذك وقد"

قاطعتني قائلة " أرجوك يا نواس لا تبرر له فالأمر لا يحتاج

ولا تطيل الطريق على نفسك وأعدني من حيث جنت بي

وعش حياتك مع من اختار قلبك"

هزرت رأسي وقلت " مستحيل ووعدني لوالدك أن أخرجك

من هناك ، لن ترجعي لهم يا مي فساعديني لأفي بعهدي له"

قالت بشبه همس " وأنت ووسن أنا لست غبية يا نواس ولا عمياء"

نظرت للأفق وقلت بهدوء " أنا ووسن جراح تداوي

جراح ولن ننتهي فلا تفكري بنا"

قالت بحيرة " ماذا هناك يا نواس ما معنى ما تقول"

قلت بهمس حزين " أحبها أكثر من نفسي يا مي وقيود كثيرة

ناحيته تكبني ولن أخلف وعودي أيضا لا لك ولا لإخوتك

وعمك وقبلهم والدك"

*

*

ما أن علمت أن نواس هنا حتى أخرجت الهدية التي اشتريتها
له وخرجت لأبحث عنه ولنبدأ صفحة جديدة يحاول كل واحد
منا فيها أن ينسى جراح الآخر وسأطلب منه أن يفصلني عنها
على الأقل لا أراها ولا أراه معها ولا أترك للتعاسة باقي أيامي
تدمرها ، خرجت من المنزل ولففت جهة الساحة حيث يكون
في العادة وجمدت مكاني وأنا أرى الواقعة معه هناك ويبدو
يتحدثان بل يتناقشان نقاشا جادا فعلت نبضات قلبي وتزاحمت
الدموع في عيناى واقتربت منهما أكثر والأفكار تتزاحم في
رأسي ، لا يبقى معي ويهجر المنزل لأيام ويبقى هنا وتخرج
هي له كيف يجتمع كل هذا ، اقتربت حتى أصبحت خلفهما
فسمعتها تقول له " وحتى متى سيدوم هذا يا نواس ارحمني

أرجوك أنا في النهاية بشر"

أنزل رأسه للأسفل وقال بهدوء " مرض وسن مرجح أن يتحول

لورم سرطاني إن استمرت الأوجاع معها وهوا مرتبط بنفسيتها

فعلينا أن أدوس على جرحي وأن تدوسي أنتي على قلبك

فهذه ظروف حكمت الجميع يا مي"

أغلقت فمي بيدي أمنع شهقة العبرة من أن تخرج والدموع

التي عبرت فوقها ترفض التوقف وتراجعت للخلف حتى

ابتعدت مجددا وعدت لغرفتي ودموعي تسابق خطواتي

*

*

كنت جالسة في غرفتي ومذكراتي حولي في كل مكان فلا

وقت أكثر لدي وعلياً أن أنجح بتفوق ككل عام أنا ووسن

فسبب صداقتنا كان تفوقنا منذ دخلنا الجامعة أول سنة

ظروف وسن هذه السنة من سيء للأسوء وكم أخشى أن

يؤثر ذلك على درجاتها ومعدلها ، آه كم حلمت أن آخذ

الأولى على دفعتي وأحصل على المنحة الدراسية وأسافر

وأنهي تعليمي لكن وحتى إن تحققت الأولى فلن تتحقق الثانية

ورغم أن وسن زوجها يملك المال ويمكنه تحقيق ذلك لها دون

الحصول على البعثة إلا أنني أتمنى أن تحصل هي عليها لسببين

أني أريد لها الأفضل دائما وأني لن استفاد منها في شيء وتضيع

عبثا ، لو كانت توهب وهبا لأعطيها لطلال فظروف ذاك الشاب

سيئة منذ توفي والده من أعوام ، تأففت ورميت الأفكار من رأسي

فليس وقتها أم هروب فقط من الدراسة وعدت أشغل نفسي بمذاكرتي

حتى طرق أحدهم باب غرفتي ودخل فكان خالي فوقفت على طولي

أنظر له باستغراب فاقترب مني وجلس وقال " كيف تسير دراستك"

بقيت لوقت أنظر له بصدمة فهوا لم يتحدث معي منذ ذاك

اليوم !! بعدما استوعبت الأمر جلست وقلت

"جيدة وأنا أفعل كل ما في وسعي"

هز رأسه بحسنا وقال " نعم عليك فعل ذلك لأن والدك

لن يرحمك ولا يرحمنا حينها"

نظرت للأسفل وقلت بحزن " أنا وأستحق ما سوف

يأتيني إن رسبت أنتم ما علاقتكم بذلك"

قال مباشرة " والدك وتعرفيه جيدا ولا تنسي أننا نحن

من أصر على أن تدرسي هنا وتبقي معنا"

تنهدت واكتفيت بالصمت فقال بهدوء حذر

"والدك اتصل بي اليوم"

رفعت رأسي ونظرت له بصدمة وقلت " هل قلت

له هل سيأتي لأخذي "

هز رأسه بلا ثم شئت نظره للأسفل وكأنه يهرب من

عيناى وقال " هوا من اتصل وقال"

ثم سكت فقلت بتوجس " ماذا قال ماذا هناك يا خالى "

تنهد ورفع نظره بي وقال " قال أن عقد قرانك نهاية الأسبوع "

شهقت بقوة حتى ضننت أن روجى ستخرج مع شهقتى وتقاطرت

دموعى كالمطر وقلت بعبرة " زوجنى به زوجنى شقيق

زوجته أليس كذلك "

عاد بنظره للأسفل وقال " لم يخبرنى ولم أستطع سؤاله "

قلت بنحيب أضرب صدري بكفى " نعم هوا ، قالت لى والدتى

أنه يريد فعل ذلك لأن زوجته لا تريد أن أرجع إليها وهوا

يعلم أنه بنهاية امتحاناتى سأرجع لهم ... لماذا لم

تمنعه يا خالى لماذا تتركه يفعل ذلك "

هز رأسه وقال " وما فى حيلتى أفعله تعرفين والدك جيدا

وهوا لم يطلب ولا حتى أخذ رأيك ثم ما يدريك أنه شقيقها

ذاك فهو لم يخبرني عن اسم العريس"

قلت بحدة " لا تقل عريس ليس زوجي ولن

أتزوجه لا أريد"

ثم توجهت نحوه ونزلت عنده وأمسكت يده وقبلتها وقلت

"تحدث معي يا خالي أرجوك امنعه من ذلك فشقيقتها سكير

سيء كم مرة حاول التحرش بي هناك وتزوج وطلق مرتين

ونسائه هججن منه ، لا تتركوه يبييني هذه البيعة أرجوكم"

مسح بيده على شعري وقال " فوضى أمرك لله يا ملاك ولن

يختار لك إلا الخير ، ثم كما أخبرتك قد لا يكون هو"

ثم وقف وقال " وكلي أمرك لله وهو لن ينسأك ، لو

كان بيدي شيء ما توانيت عن فعله"

ثم خرج وأغلق باب الغرفة وتركني وحدي أواجه نفسي وعقلي

وقلبي ، وقفت وبدأت أجوب الغرفة جيئة وذهابا كالمجنونة

وأشعر أنني لحظات وأفقد عقلي ، ما هذه المصيبة في هذا الوقت

تحديدا ، سيفعلها ويزوجني به ودون تراجع أعرفه جيدا ولو كان

شخصا غيره لقال لخالي من يكون أعلم أن خالي وجدتي لا حيلة

لهما في هذا ولن يستطيعا منعه من شيء ، ليثه كان أي شخص

إلا ذاك ولو ابن زوج والدتي لكنه رفضني ولن أرمي نفسي عليه
مهما كان ، نظرت لهاتفي وتوجهت نحوه وأمسكته فلا حل لدي
غيره فليفهمها كيف يريد فهو خلاصي الوحيد بما أنهم لم يعقدوا
القران بعد ، بحثت عن رقمه وشجعت نفسي كثيرا واتصلت به
انتهت المكالمة ولم يجب جربت الثانية وأيضا بلا نتيجة مؤكدا لا
يعرف رقمي فمن أين سيعلم أنها أنا لكن ما أعرفه أن الرجال
يجيبون على الهواتف دون أن يفكروا من يكون ، فتحت قائمة
الرسائل وإنشاء رسالة وبقيت أهدق في شاشته لوقت ولم أعرف
ما أكتب وما أقول له وبعد جهد كبير مع نفسي كتبت
(معاذ هذه أنا ملاك أجب علي)

فقط هذه نتيجة كل ذاك الصراع فليجب عليا أولا ثم لكل حادث
حديث ، أرسلتها وانتظرت قليلا ولم يبدر منه أي ردة فعل حيال
الأمر ، هل يكون نائم يا ترى ولم يراها ! لكن مستحيل من ينام
هذا الوقت ، جربت الاتصال به فهو بات يعرف رقمي وسيجيب
بدأ بالرنين لديه مرة اثنتان ثم قطع عليا الاتصال فأبعدت
الهاتف عن أذني أنظر له بصدمة لتعود دموعي للنزول من جديد

ياله من جواب قاسي يا ملاك انظري لنتائج أفعالك وتهورك منذ
البداية ، ليثني لم أعرفه يوما ليبتها يدي انقطعت قبل أن تتصل به
ياله من جرح وخذلان وأستحقه فقد صدقت نفسي وأنه يحبني ولو
قليلا وها هي جاءت النتيجة ، رميت الهاتف من يدي وارتميت
على السرير أبكي بحرقة أبكي كل شيء وأولهم نفسي وحظي
وبقيت على ذلك الحال لوقت طويل ثم أمسكت هاتفي واتصلت
بوسن كثيرا ولم تجب ، نعم فهي تنام الآن في حضن زوجها
وحبيبها فما ستفعله بي ، فتحت بعدها الإذاعة وكان وقت
برنامجي الذي لم يزدني سوا هم فوق همي وهذه ستكون آخر
مرة أسمعها فيها فلدي شعور بأنه سيتصل بل لدي أمل كاذب
يقول قد يكون ذاك مقلبا وسيفاجئني في الحلقة وبالفعل كانت
مكالمته أول مكالمة لأقفز جالسة ما أن قال المذيع " مرحبا يا
أحزان السنين وأخيرا سمعنا صوتك والمكالمة الأولى أيضا"
قال من فوره " مرحبا صفوان"

نزلت دموعي فور سماع صوته ونبرته الرجولية الهادئة
المبحوحة وتابع قائلا " اتصلت لأودعكم وأودع برنامجكم
لا أريد أن أقول أنها كانت غلطة يوم شاركت فيه وسأعتبرها

فرصة سعيدة ولن أكررها"

شهمت بعبرة وقد فهمت مغزى كلامه وقال صفوان " ولما يا

سيد أنت من المميزين في البرنامج ومدخلتك الجميع يحبها

وخسارة كبيرة لنا أن تتركها"

قال ببرود " البركة في غيري ولم يعد لي مكان معكم وأعتذر

إن أخطأت في حق أحد ولن أسامح من أخطأ في حقى طبعاً"

ضحك المذيع وقال " كيف تطلب السماح من الناس ولا تسامحهم"

قال مباشرة " هذا طبعى حقود ولا أنسى الإساءة الله خلقتى هكذا

وسعيد حظ من يخطأ معى ولا أجده أمامى ، وداعا الآن

وأتمنى للجميع السعادة وراحة البال"

ثم انتهى نعم انتهى كل شيء ، لا وغاضب منى وقلبه أسود ناحيتى

وقالها بصريح العبارة إن وجدنى أمامه سينتقم منى ولن ينسى

إساعتى ، رميت سماعات الهاتف بعيدا وارتميت على السرير

مجددا أحضن الوسادة وأخفى وجهى فيها وأبكي بمرارة وحرقة

بقيت سجيناً هذا المنزل بل هذه الغرفة ولا أسمع سوا

أصوات الحديث والضحك في الأسفل لرجال كثر أصواتهم
غليظة ومخيفة ولا أحد تعبت قدماه الطابق العلوي سوا الخادمة
التي تجلب لي ما أحتاجه ولا أعلم ما ستكون محطتي القادمة وأين
ستكون ولا يهم فبعدهما فقدت عائلتي لم يعد لدي سوا الوحدة أينما
ذهبت وكنت فحتى خالتي فقدتها وللأبد لأن نزار لم يعد يريدني
في حياته ، مسحت دمعة تمردت على خدي وتنهدت بأسى أقسم
أني أشتاق له حد الألم في قلبي وأفتقد جميع تفاصيله التي اعتدتها
في حياتي بل وأدمنها لكنه لا يشعر كما أشعر لكان صعب عليه هذا
يقول بأن تركي أسوء لديه من سلبيات بقائي معه ويتركني ! تناقض
نفسك يا نزار وتضمنني طفلة كما يخبرك عقلك وسأفهم كلامك كما
تريد أنت ، على حياتي أن تستمر إن بقيت على قيد الحياة سأكمل
دراستي وأترك الخيار لقلبي كما قالت خالتي رغم أنني أعرف
جيدا ماذا يريد هذا الغبي ، وضعت يدي على خدي وسرحت في
السماء البعيدة الشيء الوحيد المطل عليا في هذه الغرفة ، ترى
كيف يكونون عائلة والدي أولئك فكل ما أعرفه عنهم أنهم لا
يعرفونني ، ترى هل فيهم من بحنان خالتي وبقلبها الكبر الطيب
وهل فيهم من هم مثل نزار يأخذون مكان الأب والأخ وكل شيء

وسخافون علي من النسيم مثله وهل فيهم من مثل بتول وزهرة
فتيات بقلوب طيبة وروح مرحة أم أنهم مثل دعاء ورهام وريحان
وزوج الخالة عفراء ، الخالة عفراء ترى ما حل بها وأين هي الآن
هل هي حية أم ميتة أم مسجونة ليثني أشكرها مرة على كل ما فعلته
لأجلي ، يا رب أجعل لي شيئا أعوضها به عن كل ما فعلته إن كانت
حية أو ميتة ، وقفت وتركت كل تلك الأفكار التي لا مهرب لي منها
فكلما تركتها عدت لها فلا شيء لي غيرها هنا فحتى جابر لا أراه
ولا أعلم ما حدث منذ أمسكوا ذاك الذي كان يطرق بالعصا ليجدني
لو يتركوا لي المجال لضربته بها على رأسه حتى يموت بسبب ما
رأيته من رعب بسببه وسببها ، توجهت جهة باب الغرفة وفتحته
وخرجت للممر ، لم أفعلها سابقا لكني تعبت من كل هذا والطابق
لا أحد فيه غيري لذلك سأتجول فيه فقط ، فتحت باقي الأبواب في
الممر فكانت حمام وغرفتين واحدة فارغة والأخرى مليئة بكراتين
للألعاب جاهزة وبأحجام كبيرة وكأنها روضة أطفال خصوصا
الألعاب التعليمية ، خرجت منها وانتقلت بعدها للممر الآخر فكان
يفتح على ردهة صغيرة وجميلة وكان ثمة صالون في زاويتها جديد

بأغلفته البلاستيكية لم يُفتح بعد وطاولات وملحقاته من تحف ومناظر

حائطية يبدووا كل شيء راقى هنا وحتى الألوان رائعة ، خرجت من

جميع تلك الجهة لأجد السلالم أمامي فنظرت من الأعلى لأرى مصدر

هذا الضجيج والأصوات ولم أرى شيئا فنزلت عدة درجات وملت قليلا

بجسدي فظهر لي نهاية السلالم من الأسفل وشاب جالس على عتباته

يحمل سلاحا في يده يفتح زناده ويخرج مخزنه ويعيده ، كان بشعر

كثيف أسود شديد السواد وبشرة بيضاء ولا أتبين باقي ملامحه

يلبس بذلة شرطة لا أعرف لأي فئة منهم تنتمي فبدلهم كثيرة

لكن في كتفه أشياء صفراء وما أعرفه أن الرتب تعلق هناك

فيبدووا برتبة عالية ، لكن ما يجلسه هنا وكأنه يمنع أي أحد من

صعود السلالم ! ترى هل هذا العقيد سالم الذي أخبرني عنه جابر

وهو يجلس هنا كي لا يصعد أحد لأي سبب كان ، غير جلسته

فجنه واتكأ على خشب السلم ليرتفع نظره للأعلى فابتعدت سريعا

ولا أعرف رأني أو لا ، انتقلت بعدها للممر الآخر وفتحت الباب

الأول وكان جناحا فخما دُهلّت من أول ما رأيته ، لما هذا فقط جناح

وغيره لا !! دخلت وفتحت الباب الأول فيه فكان مطبخا مجهزا بكل

شيء لكنه فارغ بلا أدوات مطبخ ولا حتى ملعقة ، توجهت للباب الآخر

فكان حماما وكأنه سحب أو سماء لا ينقصه سوا طائرات لتكون في

الجو ، لم ترى عيني بجماله قط رغم أن منزلنا في الهند وهنا كانا

راقبين جدا لكن هذا غريب ومدهش ، توجهت للغرفة وفتحتها فكانت

غرفة نوم لا تقل فخامة عن باقي الجناح ولونها غريب لم أره حياتي

وكانه مزيج للونين معا وحتى ورق الحائط الفسفوري له لمعة

وإضاءة غريبة ومميزة ، هل هذا جناحه وزوجته يا ترى؟؟

باقي الغرف واحدة مكتب والأخرى غرفة تبدوا للجلوس بها تلفاز

وحوض أسماك كبير كالجدار وفارغ ليس به ولا حتى ماء فقط

حجارة ومرجان وأصداف ، خرجت من هناك وأكملت جولتي

في باقي الطابق وبلا شك هذا منزله الجديد وعائلته فهناك

غرفة منفردة وجاهزة ومؤكد لابنه لأنها تحوي مكتب للدراسة

أيضا كالتي أنام فيها ، عدت جهة ممر غرفتي وما أن وصلت

السلام حتى وجدت ذاك الشاب أمامي فنظرت له بصدمة

وعدت خطوتين للخلف فقال من فوره " آسف يا أنسة سما

سمعت صوتا في غير جهة غرفتك فصعدت لأتفقد الأمر"

هزرت رأسي بحسنا دون كلام ، غريب أنا لم أسقط شيئا ولم

أحدث أي ضجيج فكيف سمع شيئاً وهو في الأسفل ! يبدو
أنه رأي من السلام ولا يريد أن يقول ، قال عندما طال
صمتي وأنا جامدة مكاني " أنا العقيد سالم سبق وأخبرك عني
السيد جابر بالتأكيد ورقمي مسجل لديك فأني شيء تحتاجينه أنا

موجود هنا وفي الخدمة"

هزرت رأسي بحسنا دون أن أتكلم ثم اجتزته بسرعة جهة
ممر غرفتي وهو يتبعني بجسده حتى ابتعدت ودخلت الغرفة
وأغلقت بابها خلفي ولا أنكر أنني شعرت بالخوف منه بل أشعر
بالخوف من الجميع هنا عدا جابر ولا أعرف لما أخاف منهم
وهم رجال شرطة لكنني بعد انفجار البارحة الذي أجهل
سببه بث أخاف من كل شيء

*

*

تأففت وانقلبت على الجانب الآخر ثم رميت الوسادة وجلست على
السريير نظرت يمينا ثم أمسكت هاتفي وفتحت غطائه وأخرجت
الشريحة وكنت سأكسرهما فتراجعت فما سيمسح رقمها من دماغي
إن أنا كسرتها بعذر أن أبعد عن عقلي فكرة أن أطمئن عليها فقط

فجابر يبدوا لن يخبرني عن مكانها مهما حاولت وقالها بكل برود
(إن ماتت ستجد خبرها في الصحف) أي قلوب هذه التي لديكم
رجال الشرطة أو أنه يفعل ذلك عمدا فقد أدخل لي الوسواس سابقا
إن كانت رمت السلسال بالفعل أم كذبة منه لأكون عند كلامي
وأخرج من حياتها ، تأففت بقوة ومسحت قفا عنقي بيدي ورميت
الهاتف بعيدا عني هوا في جانب والشريحة في جانب وغادرت
السرير وخرجت من غرفتي ونزلت للأسفل ، عليا أن أبعد هذه
الأفكار من دماغي فإن كانت هي لم تتصل بي هل سأفعلها أنا
وأناقض نفسي ، ما بك يا نزار حتى المراهقين تخلوا عن هذه
الأفكار لتفعلها أنت ، لكن اعترفت بذلك أو أنكرته فهي تركت
فراغا في كل مكان هنا غرفتها غرفة والدتي المطبخ وغرفتي بل
كل تفاصيل المنزل فحتى هذه السلام كانت تسابقتني عليها إن
نزلنا أو صعدنا معا وحتى ثيابنا كانت تنشرها عليه حين يكون
الجو مغبر وسيء بينما أنا كنت سابقا لا أغسل حتى يتحسن الطقس
أما هي فغسل الثياب لديها كغسل أسنانها شيء لا يخلوا يومها
منه ، وقفت عند باب غرفة والدتي وقلت " سأخبر عوني

يرسل زوجته تسليك قليلا"

وضعت مسبحتها من يدها وقالت " صباح أم لأبناء ولها

زوج ومنزل ثم أنا لم أشتكي لك"

تهتدت وقلت " أعلم أنك لم تشتكي لكني أعرف أنك ستحتاجين

وقتا لتعتادي على الوحدة مجددا فما رأيك نخرج للحديقة"

أبعدت نظرها عني وقالت ببرود " فلنرى جيراننا الجدد فقد

يكونوا مسلمين ويملنون الفراغ أكثر من غيرهم"

تهتدت بيأس واستسلام فيبدو أن ما أقوله أو أقرره لن تقتنع

به أبدا ، كانت ستتحدث لولا قاطعها رنين هاتفها فنظرت له

ثم رفعتة وأجابت قائلة " مرحبا حسام كيف أنت بني"

ثم نظرت لي وقالت باستغراب " لا ها هوا أمامي"

"حسنا سيفتح لك حالا"

أبعدت بعدها الهاتف عن أذنها وقالت " هذا حسام عند باب

المنزل وقال بأنه يتصل بك ويجد هاتفك مقفلا"

خرجت في صمت وتوجهت لباب المنزل وفتحت له فدخل

وصافحني قائلا " مرحبا بالمهندس ما بك هاتفك

مقفل هل تهرب من الناس"

أغلقت الباب ودخلت بعده قائلا " وأين سأهرب

منك ووالدي لا تغلق هاتفها أبدا"

قال ضاحكا " عاشت خالتي"

دفعته حتى دخل الغرفة وقلت " أدخل يا حبيب خالتك"

سلم على والدي ثم جلس وقال " ما بكم تنقلون الأثاث

هل ستجدون ديكور المنزل"

جلست وقلت ببرود " ومنذ متى كان له ديكور لنغيره يا

غبي ، سوف ننتقل لمنزل آخر جنوب العاصمة"

نظر لي باستغراب بادئ الأمر ثم قال " ولما تنتقلون من

شمالها لجنوبها كلها عاصمة أي لم تغيروا شيئا"

نظرت للأسفل وقلت " سأعمل في شركة مقاولات

وهناك سيكون أقرب لي"

قال باستغراب " تفكيرك غريب يا رجل تبيع منزل والدك

وظفولتك وأنت تملك سيارة توصلك"

كانت والدي ستتحدث ولن تفوتها هذه الفرصة طبعاً لكنه سبقها

قائلا " هيه هيه أعد ما قلت ستعمل في شركة" !!

قلت " نعم ومهندس مشرف أيضا"

فتح فمه من الصدمة وقال " وكيف تحصلت على هذه الوظيفة"

نظرت لوالدتي ثم له وقلت " صديق لي توسط لأحصل

عليها في شركة الواحة"

هز رأسه غير مستوعب ثم قال " يعني راتبك سيكون

كراتبي ومن دون شهادة كفاءة"

قلت ببرود " نعم"

قال " وما بك هكذا تقولها من دون نفس ألت سعيدا بهذا

يا رجل ثم كيف حدثت هذه المعجزة واستغنيت عن قناعاتك

فجأة ... شهادتي غير صالحة لا شهادات خبرة لدي بل

كيف رميت حلم السفر في القمامة"

نظرت جانبا وقلت بحسرة " منذ متى أحلم حلما وأحققه

لقد اعتدت هذا في حياتي وسأرضى بقدرتي"

تنهد وقال " راتبك من هناك سيكون جيدا

فأكمل جمعك للمال وستوفر أكثر"

هزرت رأسي بلا وقلت بحزن " المنحة العلاجية التي توفرها

الدولة وكنت أبنى الآمال أن توفر عليا ثلث التكاليف أوقفوها

لخمس سنوات وقد يزيد فأى مال سأجمعه ، لو فقط

أجري لوالدتي العملية لم أعد أريد شيئاً غيره"

قالت أمي بهدوء حزين " لا تكدر نفسك بهذا بني ما كتبه

الله لي سأراه فإن كتب لي أن لا أمشي مجدداً فلن أمشي ولو

أجروا لي بدل الجراحة عشرة ، فكر في نفسك الآن وفي

باقي مستقبلك ووفر مالك لتتزوج من تستحقك فقط"

قال حسام " من هذا الذي حصل لك على هذه الفرصة فليس أي

أحد يستطيع ذلك والكثير من أصحاب الشهادات الجامعية مثلك

يعملون على سيارات الأجرى ولم يحصلوا ولا على أقل منها"

اكتفيت بالصمت ولم أعلق فقالت والدتي " اللواء جابر حلمي

تعرفه بالتأكيد ذاك يكون صديق نزار الذي ساعده"

نظر لي بصدمة ثم لها وقال " ذاك لا غيره"

قالت " نعم"

قال بسخرية " هيه العبوها على غيري ذاك

سيتواضع ليصادق أمثالنا"

قلت بضيق " وما ينقصنا عنه ؟ نحن بشر مثل بعض

وجابر صديق لي منذ كنت في الثانوية هوا تخرج

قبلي ودخل كلية الشرطة"

قال ببرود " كيف درس معك في الثانوية الحكومية

اشرحها لي"

قلت ببرود أكبر " لم أعرفه في الثانوية بل مصادفة ثم

هوا أكبر مني بثلاث أعوام يا ذكي"

قال من فوره " ولما لم يساعدك وتوسط لك في منحة"

نظرت للأرض وقلت " المنح تعطى سنويا بأعداد معينة فأن

يحصل لي على واحدة يعني أن يسحبوها من غيري وأنا

لن أرضى بذلك أبدا لأني لم أرضاها لنفسي سابقا حين

حاول عميد الكلية إعطاء منحتي لغيري لولا وقوف جابر

معي وقتها رغم أنه كان ضابطا وليس بمركزه الآن"

قال من فوره " لذلك إذا حرمك عميد الكلية من أن تكون معيدا"

لذت بالصمت فهز رأسه وقال بأسى

"وفي النهاية لم تسافر يالا الحظ الذي لديك يا نزار"

قالت والدتي " وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم"

هز رأسه بنعم ثم نظر لها وقال " وجابر حلمي ذاك

يأتيكم هنا ويجلس معكم متأكدان"

قالت والدتي مبتسمة " نعم وما في الأمر ونناديه جابر

فقط وفي حضوره"

ضحك ضحكة ساخرة وقال " مزاحكم ثقيل جدا اليوم"

قالت والدتي " وما في الأمر هو ليس وزيرا ولا

رئيس البلاد لتستغرب"

قال من فوره " لكنه رشح سابقا لمنصب الوزير وفي كل

الأحوال هو لا يقل عنه في شيء فأوامره سارية على الشرطة

جميعها في البلاد بل رتبته فوق الضباط والعقداء في الجيش"

قالت والدتي " لكنه رجل متواضع جدا ولا يعير للشكليات اهتماما"

قال " أعان الله أبناءه عليه رجل بقبضة من حديد صديق لي

حقق معه في قضية سرقة السيارات المشهورة تلك وقال أن

الصفعة من يده تجعلك تعترف بكل ما فعلت منذ ولدتك أمك"

ضحكت والدتي ونظر بعدها من حوله وقال

" أين العروس كل حين أقول ستدخل ولا أثر لها"

نظرت للأرض وقلت " غادرت فإن كانت الزيارة

من أجلها فارحل"

قال بعد صمت " هل ذهبت لعائلة والدها كيف لم تخبروني"

وقفت وقلت " سأخرج لجلب العشاء فماذا تطلبان"

نظر لوالدتي وقال " ما هذا الغش يا خالة اتفاننا لم يكن هكذا"

نظرت لي والدتي ويبدو أنها فرصة ووجدتها لكنها خانت

توقعاتي وقالت " سما لا تفكر في الزواج الآن وقالتها لي

بنفسها تريد إكمال دراستها أولاً"

قال بضيق " وإن يكن سأنتظرها أخطبها فقط والباقي

مؤجل حتى تقرر هي"

غادرت حينها وتركتها فلا أريد سماع المزيد ، ترى إن علم

حسام من يكونوا عائلتها هل سيبقى على رأيه ؟ قد يجدها فرصة

فكم مرة حكا لي عن شباب تزوجوا بثريات ليقفزوا بهم للأمام

فلو علم لتمسك بها أكثر وسما لا تستحق رجلا بهذا التفكير

أغلقت باب المنزل وسلكت الشارع على قدمي أحاول أن لا

أفكر في أي شيء يخصها وأول ما مررت بمطعم لبيع البيتزا

تذكرتها فهي من جعلتني أزوره كلما خرجت لجلب طعام لنا

من الخارج ، وضعت يداي في جيوبي ونظرت للأسفل

وتابعت سيرتي لمطعمي المعتاد

*

*

بعد صراع طويل مع نفسي أخرجت هاتفي وفتحت قائمة

الأسماء ووقفت طويلا عند اسمه بتردد وقد يكون خوف من

ردة فعله ، أريد حقا الصورة ولن يحضرها غيره لأن جابر

لن يرضى لكن هل حقا هذا ما أريد أم عذر ووجدته

أشتاق له حقا وأكاد أموت من شوقي له وسوف أجن إن لم

أفعلها وأريد أن اطمئن على خالتي لكن عليا نسيانهم

والافتناع بأنهم ماض وانتهى ، نزلت دموعي الواحدة تسابق

الأخرى وقلت بعبارة " ما أصعبه من شعور هذا ، يا رب

كم مرة ستموت عائلتي وأفارقها كم مرة سأفقد من أحب"

اتصلت بسرعة كي لا أتردد فوجدت رقمه مقللا ، أغلقه

كي لا أتصل به ... ما أقسى قلبك يا نزار

حضنت الهاتف وبكيت كثيرا وبوجع ثم مسحت دموعي

و أبعده عني ووقفت وتوجهت جهة النافذة المغلقة أنظر

للسماء بشرود حتى طرق أحدهم باب الغرفة ودخل فالتفت

له فكان جابر فقلت ما أن رأيتة " ما سبب ذاك الانفجار لقد

أخفتموني وكدت أنزل هاربة"

اقترب مني وجلس على الكرسي وقال " اغتالوا دليلنا بأن

فجروا جزءا من الحديقة والمستودع وجهة من المنزل

تضررت بسبب ذلك"

اقتربت منه وقلت " وهل مات أحد"

نظر للأرض وقال بحزن " اثنان من رجالي كانوا

يحرصونه وهوا أيضا"

أمسكت قلبي بيدي وقلت ودمعة نزلت من عيني " كم سيموت

من رجال بسببهم ، بسرعة أمسكوا بهم يا جابر أرجوك"

تنهد وقال " نحن نفعل ما في وسعنا وخوفي كله عليك الآن

فلو علموا بوجودك سيفجرون المنزل بمن فيه"

قلت " وكيف علموا بمكانه وأنت قلت أنك تثق برجالك"

مرر أصابعه في شعره وتنفس بضيق ثم قال " يبدو أن حيلة

وفاته لم تنطلي عليهم ورموا قنابل يدوية من الخارج أي أنهم

لم يتمكنوا من الوصول له في الداخل لكن كيف علموا أنه

في المستودع؟؟ سحقا كنا سنخرجه بعد لحظات"

قلت بتوتر " والعمل الآن"

وقف وقال " المهم أنني استخرجت منه المعلومات

والأهم الآن هو أنتي"

قلت من فوري " لا تخرجني لا أريد أن أذهب لأي أحد

لأودعه بعد أشهر أو أعرضه للخطر معي فاتركني معك"

وضع يده على كتفي وقال " لن أبعدك عني يا سما وكما قلت

سابقا نعيش معا أو نموت معا لكن بقائك المبهم هنا قد يثير

الشكوك حولك و عليك أن تكوني مكشوفة"

نظرت له باستغراب وقلت " لم أفهم!! وما الذي تفكر فيه"

توجه للنافذة ووقف أمامها موليا ظهره لي وقال " سأنشر خبر

زواجي وأنتك زوجتي وأنها في الأعلى بما أن لا أحد يراك هنا"

فتحت فمي من الصدمة ثم قلت " زوجتك"

التفت لي وقال " نعم حتى ننتهي من هذا وأضمن أن تكوني محمية"

هزرت رأسي وقلت " بل أعني وزوجتك هل ستخبرها بذلك أيضا"

نظر جانبا وقال " ستسمع من غيري بالتأكيد"

قلت بصدمة " ولن تخبرها أنها كذبة"

هز رأسه بلا ثم قال " أعلم أن أخفاء بعض الأمور أكثر ما

يدمر حياتي لكن للضرورة أحكام ولست أول من تزوج على

زوجته المهم عندي الآن حمايتك يا سما لأنني لن أتوقف عن لوم

نفسي إن وصلوا لك وقتلوك فيكفي رجالي الذين يموتون أمامي"

هزرت رأسي بحيرة ولم أعرف ما أقول فنظر جهة الخزانة

وقال " نريد الأغراض التي لديك سنخضعها لتفتيش دقيق"

قلت بحيرة " ولكن لما"

تنفس بقوة وقال " الرجل الذي كان يبحث عنك كانت

الأوامر لديه إحضارك وأي غرض يجده معك أي

أن دليلهم لديك وفي أغراضك"

بقيت أنظر له بصدمة ثم قلت " لكن كيف رجال يفتشون

أغراضي !!! مستحيل"

هز رأسه بحسنا وقال " وأنا فكرت في ذلك وطقم نسائي من

سيقوم بهذا دون أن يروك أو يعلموا لمن تكون"

تنهدت باستسلام وقلت " حسنا كما تريد المهم أن لا

تفتشوا أحشائي بجراحة سرية"

ضحك كثيرا ثم قال " لا تخافي لن نفتش أحشائك

رغم أنها فكرة جيدة"

نظرت له بصدمة فابتسم وقال متوجها نحو الباب

"رتبت لموعد لك مع أحد أبناء عمك الأكبر وهو أكثر من

كنت أثق فيه بينهم اسمه أسامة وسيأتي ليلا كي لا يلحظه أحد"

ثم وقف عند الباب وقال " وستنتقلين لجناحي هنا كي

لا تشك الخادمة"

تنهدت باستسلام وقلت " مصيري بين يديك

وافعل ما يحلوا لك"

قال مبتسما " وهناك عريس طلب يدك ورفضته

وإن كان لك كلام آخر تراجعنا"

نظرت له باستغراب وقلت " عريس لي أنا !! من

وكيف علم بوجودي معك"

أغلق الباب الذي فتحه وقال " العقيد سالم أخبرني أنه رآك

مصادفة وتحدث معي كانت ستكون فكرة جيدة لكني رفضته"

قلت بعد صمت " ولما رفضته"

قال بابتسامة جانبية " وهل ستوافقين عليه"

هزرت رأسي بلا ففتح الباب وقال مغادرا " حين تكوني

عند عائلتك يذهب لهم أما الآن وأنتي تحت عهدي لا"

ثم أغلق الباب وغادر وتنهدت أنا بضيق فيبدوا أن كل من

سأكون في عهديته سيتحكم بزواجي تحديدا ويقرره عني ثم

ذاك كيف يفكر في الزواج بي وهو لم يراني سوا تلك المرة

غريبو أطوار حقا أنتم الرجال تقرررون الزواج فجأة والطلاق

فجأة وكأن النساء ألعاب لديكم

جلست بعدها على السرير ووضعت يدي على خدي ، لا

أعلم كيف تعلم زوجته بخبر زواجه والأمر عادي عنده أقسم

لو كنت مكانها لجن جنوني وكل ما أخشاه أن تأيني هنا ما أن

تسمع ... يا الهي سأموت على يد زوجة رئيس الشرطة أي

موته معتبرة ستتحدث عنها الصحف والمجلات ، أخرجني من

أفكاري صوت رنين هاتفي فنظرت له فكان اسم بتول يضيء في

شاشته فلم استطع الرد عليها طبعاً كالمرات السابقة فستسألني

أين أنا ولن أستطيع أن أقول لها ولا أن أكذب عليها لكن تركها

هكذا تتصل أيضا أمر لا يجوز ، عندما انتهى اتصالها أمسكت

الهاتف وأرسلت لها (اعذريني يا بتول ظروفى لا تساعد أن

أجيب عليك وحين أستطيع الاتصال سأصل بك أحبك

واشتقت لك كثيرا) ثم أرسلتها لها ليصلني منها الرد سريعا

(حسنا سأنتظر اتصالك وأرجوا أن لا تكونى تزوجت وتركتى

عزباء) ثم وجه كرتونى مبتسم فضحكت على رسالتها رغم

كل حزنى ، لو علم ابن عمها بهذا لقتلها غبية بتول تجد

من يحبها هكذا وتعامله بجفاء هي لم تجرب أن تحب شخصا

ويتجاهلها ويجرحها ويغلق هاتفه كي لا يسمع صوتها لما كانت

عاملته هكذا ، مسحت الدمعة التي نزلت من عيني وتهدت بحزن

كم أحتاج لخالتى وحضنها الذي أسكب فيه همومى وحزنى ولبتول

ومشاغبته وابتسامتها الجميلة لزهرة وروحها الطيبة وحكاياتها

المضحكة عن والدتها وإخوتها ، هزرت رأسى أبعد عنه تلك

الأفكار ثم توجهت للخزانة لأجمع أغراضى ليأخذوها لتفتيشها

ثم سأنقلها لجناح جابر هنا وأرتبها بما أننى صرت زوجته

الوهمية ، عند منتصف المساء طرقت جابر باب غرفتى

ودخل وقال " ابن عمك هنا اتبعينى لرؤيته"

تبعته وخرجت خلفه قائلة " ما هذا السجن لا أحد

يسليني ولا أرى أحدا غيرك"

ضحك وقال " في وجهي يا سما !! قلت سابقا لا أريد أن

تأخذني لأحد أعتاد عليه ثم أتركه فأبقتي معك يعني أنك

لم تهتمي إن تركتني والآن تهينيني مجددا"

شعرت بالخجل من نفسي وكلامي فوقفت ووقف هوا

لوقوفي والتفت لي فنظرت للأرض وقلت " آسفة لم

أقصد شيئا مما قلت"

قال مبتسما " لا عليك أعلم أنني لا أسلي النساء وأعان

الله زوجتي علي"

هزرت رأسي بلا وقلت " بل لست موجودا فأنا لم أرك

سوا مرات معدودة ولدقائق قليلة"

تابع سيره قائلا " حتى زوجتي لم تكن تراني فلن تكوني

أفضل من ضرتك ولا تتعبي لي رأسي أو طلقتك"

ضحكت وسرت خلفه وقلت " ولم تكن تشتكي من كثرة غيابك"

فتح أحد الأبواب وقال " لا"

رفعت كتفائي وقلت " تستحق وساما أما أنا فلن أكون مثلها

فضع هذا في حساباتك"

ضحك وأمسك أنفي وقال " أطلقك حينها وأرجع

لها وأعيدك لنزار"

نظرت للأرض وقلت بحزن " هوا من لن يقبل بي"

وضع يده على كتفي وقال " سما عليك أن تفهمي نزار

وتفهمي ظروفه فالرجال أمثاله لا يرضون الذل لأنفسهم

ولمن يحبون وحين ستدخلين عالم عائلتك الأثرياء ستفهمين

هذا وتيقني من أنه داس على قلبه قبل أن يدوس على قلبك"

نظرت لعينيه وقلت بحزن " وعليا أن أنساه أليس كذلك"

تنهد وقال " سما أنتي ما تزالين صغيرة والحياة والفرص

أمامك فاتركي السنين تثبت لك صحة أو خطأ قرار

نزار فقد تشكره يوماً"

قلت بعبوس " تفكيرك وكلامك كخالتي تماما وكأنكما متفقان علي"

ضحك وقال " بل هذا أكبر دليل لك لتعلمي أنه عين الصواب"

قلت باستياء " بل أنتم الرجال قلوبكم قاسية ولا أعلم

لما أفتح قلبي دائما ولأي كان"

قال بابتسامة " لأن قلبك كالأطفال والآن فقط عرفتك أكثر"

قلت بابتسامة حزينة " وأنا أيضا عرفتك الآن وكأنك لست

أنت حتى أنني أناديك جابر فقط ولا تنزعج بينما ذاك

الضابط يناديك بسيدي"

ضحك ووضع يده على ظهري وقال " هيا تركنا

ابن عمك ينتظر طويلا"

ابتسمت له ودخلنا مكانا لم أراه سابقا كان صالون استقبال مقسم

لثلاث أجزاء ويبدووا مخصص للطابق العلوي فقلت بهمس ونحن

نقترب من الجالس يولينا ظهره " منزلك جميل وتخطيطه رائع"

قال ونحن نصل " نزار من رسم خريطته ولا يثق

في نفسه ذاك الأحمق"

ابتسمت بحزن ووقف الجالس هناك والتفت لنا كان شابا

يبدووا في بداية الثلاثين من عمره وفيه شيء يشبه والدي ولا

أعلم ما يكون أو أنها صلة الدم فقط فهوا من ذات دمه جدي هوا

جده ، مد يده لي وقال مبتسما " مرحبا يا سما سررت بلقائك"

نظرت ليده ثم صافحته وقلت بهمس " شكرا لك"

ثم جلسنا ثلاثتنا وقال جابر " هذا أسامة فريد الشاطر ابن عمك

الأكبر وهو الأكبر بين أخوته ووحده من أمته على سر وجودك

وغيره من أهلك لا يعلمون حتى أنك على قيد الحياة"

نظرت لجابر وقلت " ولما ليس أحد أعمامي"

قال حينها الجالس أمامي " أعمامك الأكبر وهو والدي توفي

منذ ثلاث أعوام وبعد جدي بعامين ونصف ، عمك الثاني يدعى

صابر وهو يعيش في الخارج منذ كنت صغيرا ولا يأتي إلا مرة

في العام ، عمك الثالث وهو عمران لا صلة كبيرة تجمعنا به لأنه

كان على خلاف مع والدي بسبب التجارة وفصلنا كلّ لوحده أما

الرابع فهو والدك رحمه الله ، لقد بحث عنكم جدي لسنوات ولم

يجدكم ثم استلم والدي الأمر بعده بوصية من جدي وأنا بعد والدي

وكنت على اتصال دائم بسيادة اللواء جابر حلمي وأنا مستعد لما

تريدي وثروتك في الحفظ تحت يدي أسهمك وحصتك من شركة

جدي ومن محلات قطع الغيار وحتى من الآلات التي تستأجرها

منا المصانع وكل العائدات والأرباح موجودة في حساب خصصته

لك بعلم من محامي العائلة في حال موتي"

قلت " ليس هذا ما أريد أن أعلمه"

بقي ينظر لي بصمت فقلت " لما طرتم والدي وغير

اسمه بسببكم"

نظر لجابر ثم لي وقال " بسبب خلاف بينه وجدتي"

وقف حينها جابر وقال مغادرا " سأترككما وحدكما وانزل

من حيث سعدنا يا أسامة وتجدني انتظرك"

ثم غادر جهة الباب ونظري يتبعه وقال أسامة " لا نفع من

نبش الماضي يا سما فجدتي ندم وبحث عنكم"

قلت بحزن " هوا المخطأ إذا"

تنهد وقال " كل واحد منهما نظر للأمر من وجهة نظره"

قلت بهدوء " أنت تعلم أي خطر أواجهه وقد لا أخرج منه

حية وأريد معرفة الحقيقة مهما كانت"

تنهد بقوة ثم قال " كنت في الخامسة عشرة حينها وأذكر

جيذا ما حدث والسبب كان زواج والدك بوالدتك"

نظرت له باستغراب وقلت " ولما"

نظر للأرض وقال " كانت رحمها الله من ميمم وجدتي

رفض أن يتزوجها"

وضعت يدي على صدري وقلت مصدومة

"كانت بلا عائلة"

رفع نظره بسرعة وقال " لا هي لم تكن بلا نسب بل لها اسم

كامل لكنه ثم وضعها في الميتم بعد وفاة والديها ومن

وضعها هناك أعطاهم جميع أوراقها الرسمية"

امتلأت عيناى بالدموع وقلت بأسى " ولما عارضه إذا

ولما غيّر والدي اسمه"

عاد بنظره للأرض وقال " اعترض جدي على زواجه منها

وأصر والدك وقال له إن تزوجتها لست ابني ولا أعرفك

ولا أريدك أن تحمل حتى اسمي"

قلت بعبرة خنقتني " ووالدي رضي أن يغير اسمه على أن

يترك الإنسانية التي اختارها قلبه ، لما كل هذا الظلم فقط

لأنها يتيمة وليست ابنة عائلة غنية ومعروفة"

تنهد وقال بقلة حيلة " كان كلاما في ساعة غضب وحاول جدي

الضغط عليه به وازداد اشتعاله حين علم أنه تزوجها وسافر

لكن السنين كانت كفيلة بأن ألانت قلب جدي"

تدحرجت الدمعة الأولى من عيناى وقلت بحرقه " لكنها لم

تلن قلب ابنه المجروح ، ألانت قلب الطارد لكنها لم تشفي
المطرود فعاش يتيما فقط لأنه تزوج من يتيمة وعاش فقيرا
فقط لأنه تزوج بفقيرة لكن الله كان أرحم منكم وأخذهما معا"
قال بهدوء " سما لا تلقي باللوم علي أنا مثلك لا يد

لي فيما حدث"

وقفت وقلت بعبرة " كنت في مثل سني الآن وأنا أعلم الناس
بأن من في هذا السن يعرف الصحيح من الخطأ رغم أنه لن
يأخذ أحد برأيه ثم وباقي أعمامي أين كانت أسنتهم أم ما
يهمهم المال والشكليات ، الغني يتزوج الغنية أو أجرم"
وقف وأمسكني من ذراعي وأجلسني وجلس مكانه وقال
" لا ألومك يا سما وكنت مقتنع دائما باعتراض والدي على
كل ما حدث فهل بيدي أو بيدك تغيير ماضي لا يد لنا فيه"
هزرت رأسي بلا وقلت " أنت لا تشعر بما أشعر به"
قال بجدية " بلى أعلم بشعورك وأنا معك فلا تسمحني
للماضي أن يدمر مستقبلك أيضا وكوني قوية ودافعي

عن أموالك وحقك"

ابتسمت بسخرية وقلت " أموال !! وما الذي جلب لي التعاسة

كل حياتي غيرها حرمت من أن يكون لي عائلة أعمام
وجد بسبب المال ، فقدت عائلتي وأصبحت يتيمة بسبب المال
وحرمت حتى من أن أختار مستقبلي مع من يكون بسببه فهل

سأتمسك به لأخسر نفسي بسببه أيضا"

قال بجدية " سما حصتك ليست بقليلة فحتى منزل جدي
بجانب منزلنا ملك لك بيع وشراء بتوقيع من جدي ليكون لمن
نجده حيا من عائلة عمي رفعت وأسهمك الأكثر بين الجميع
ووحده تملكين خمس محلات لبيع قطع غيار آلات كحجم
نصف هذا المنزل ، مبنى شركة جدي لك فيه الخمس فوق
الأسهم فأنتي صاحبة ثروة ضخمة وتركك لها سيجعلها في يد
أعمامك وأبنائهم فعليك أن تكوني أكبر من سنك بضعفين لكي
تدافعي عن حقك وأنا معك سأكون أمامك في وجه ظروفك
ووجه الجميع وخلف ظهرك في غيابك حتى أسلمك للزوج
الذي يستحقك ويحفظك ويحفظ ثروتك"

قلت بتوجس " كلامك مبطن بالكثير من المعاني فكن

واضحا كي لا تأكلني الأفكار"

قال بابتسامة صغيرة " ابنة والدك ذكية مثله"

ثم تنهد وتابع بهدوء " معنى كلامي أن أغلب العائلة ينتظرون

أي خبر يؤكد موت الفتاة المتبقية من عائلة عمي رفعت ليتم تقسيم

الثروة من جديد وحياتي تحول دون ذلك مادمت حيا واللواء جابر

حلمي كسبتيه أكبر سند في صفك وهددني بصريح العبارة حين أخبرني

عنك أنه مصيري السجن لباقي حياتي إن مسك الآن سوء بسببي وقال

ما أن تنتهي قضيتك ويظهر اسمك للعلن أنه هوا من سيهدد جميع أفراد

العائلة إن مسك أو ثروتك سوء وسينسف الفاعل عن وجه الأرض فليس

بالأمر الهين أن يتلقوا تهديدا من رجل في مركزه وبقوته أي أنك

كسبت ظهرا لم يكسبه غيرك"

نظرت للأرض وابتسمت بحزن فحتى هذا الظهر نزار من كان

سبب معرفتي به ، كسبت الظهر وخسرت القلب فذاك أعطاني

ظهرا أستند به وأخذ قلبي معه للأبد ، قال عندما طال صمتي

"وأنا تحت أمرك في كل شيء يا سما ومعك للنهاية"

رفعت نظري له وقلت " إذا أريد منك الخدمة الأهم في كل لقائنا

هذا وأن تقوم بها على أكمل وجه ولا يعلم عنها أحد"

هز رأسه بحسنا وقال بجدية " لك كل ما تريدين"

*

*

عدت للمنزل ودخلت غرفة والدتي أحمل أكياس الطعام معي

ونظرت لها وقلت باستغراب " أين حسام هل غادر"

قالت ببرود " نعم ومستاء جدا لأننا لم نخبره عن مكان عائلتها

الذين ذهب إليهم واستجوبني حتى أتعبني ولم يصدق أنني لا أعرف

أين يكونون ويبدوا غاضبا جدا وسوف يسبب لنا هذا مشكلة معه"

وضعت الأكياس على الطاولة وقلت " لو كانت موافقة عليه

لقالتها منذ كانت هنا ولن يتغير الآن شيء"

قالت من فورها " سما ستتزوج إن منه أو من غيره وعليه أن

يعرف مكانها ما أن ترجع لأهلها والخيار لها ولهم كما كنت تقول

فلا تترك هذا الأمر يسبب الفرقة بينك وبينه"

قلت بضيق " أمي ليتزوج غيرها ألا فتيات سواها

على وجه الأرض"

قالت بضيق أكبر " ولما هي لا؟؟ توقف عن قتل نفسك من كبت

ما بك واذهب وانظر لوجهك في المرآة كيف أصبح ... تكبت تكبت

حتى تقتل نفسك ، كنت أرأف بحال سما سابقا وألوم عليك والآن

أرأف بحالك بني ولا أريد أن ألومك أكثر فعليك أن تعلم يا نزار أن

الندم ليس بالأمر السهل وأخشى أن تندم على كل هذا يوماً

خرجت وتركتها والطعام أيضاً وصعدت لغرفتي دخلت وضربت

الباب خلفي بقوة وتوجهت لهاتفني ركبت شريحته واتصلت بجابر

فأجاب بعد وقت فقلت مباشرة " قريب لي سبق والتقى بسما هنا

ويريدها فخلصني من مشاكله ووالدتي واسألها رأيها به ليقتنعا

ويرحماني ولا تخبرها أنني من أخبرك"

قال من فوره " نزار نحن أين وأنت وقريبك أين الفتاة بين

أن تعيش أو تموت على أيديهم وأنتم تتقاسمونها وتختلفون في

أمرها ثم هل جننت تريد أن يتزوجها قريبك ليكونا أمامك"

قلت بأسى " أريد أن أرتاح من كل هذه الضغوط لأنني حقا تعبنا"

قال بهدوء " وافق الآن وتكون زوجتك بعد ساعة"

هزرت رأسي وقلت بحزن " لا أستطيع يا جابر وأنت أكثر من

كان يفهمني ويعذرني وحكيت لي بنفسك عن طمع أعمامها

وأبنائهم في ثروتها فسيحولون حياتي وحياتها لجحيم"

قال بضيق " هذا بدل أن تقف معها ضدهم يا مغفل"

قلت " لن تحتاج معك لأحد أنت ستردعهم عنها بتهديد صغير

أما أنا فلن تستطيع ردعهم عني مهما هددت وسأعيش دليلاً

طوال عمري فيمكنك أن تحمي مالها بمركزك لكن كلامهم

وإهانتهم لي ولها لن تستطيع إمساکها عنا"

تأفف وقال " بما أنك مصر على رأيك فأخبر قريبك ذاك أنه

ثمة من خطبها ولا نصيب له فيها"

قلت بتوجس " حقيقة هذه أم كذبة لإسكاته"

قال ببرود " ولما سأكذب"

شعرت بجمرة اشتعلت في قلبي لو تنفست بقوة لخرج لهيبها

مع أنفاسي وأحرق كل شيء فأغمضت عيني بقوة وألم ، توقف

عن الجنون بها يا نزار هذا الأمر سيحدث إن اليوم أو في الغد

ومصيرها ستتزوج بلا شك بل وسريعا فالرجال لن يتركوا واحدة

مثلها وها هي رغم صغر سنها يكادوا يتشاجرون عليها ، بلغت

ريقا جافا وقلت بصوت ضعيف " من يكون"

قال من فوره " ضابط في الشرطة العسكرية وبرتبة عالية رآها

مصادفة مرة ويصر عليها وبالنسبة لي بعدك لا أو من لأحد

عليها مثله وانتظر موافقتها فقط بما أنك رفضتها ... وداعا"

ثم فصل الخط بعد سيل الرصاص الذي وجهه لي بلا رحمة ، معه
حق أنا رفضتها فبأي حق سأعترض وشاب بتلك الوظيفة والرتبة لن
يرفضوه ولن يجروا على إهانتته وإهانتها في أي شيء وأي وقت
رميت بالهاتف بعيدا عني وارتميت للخلف على السرير الجالس عليه
وأغمضت عياني بأصابعي بقوة ، ما أقساه من شعور أن تحب امرأة
وتعلم أنها ستكون لغيرك فرهام لم أشعر حياها سوا بالجرح لأنها
هي من طعنني ورحلت واختارت غيري أما سما فأنا من تركتها
هي اختارتنى وأنا تخليت عنها ورميتها في حضن غيري وحضني
يموت ظمنا لها ، أخرجني صوت رنين هاتفي مما أنا فيه فجلست
ورفعته وأجبت قائلا " مرحبا سيد سعيد كل شيء جاهز وسأبدأ
بنقل الأثاث للمنزل"

قال بعد صمت " الحقيقة جدت بعض الأمور وغيرت رأي

اترك منزلك لديك ومنزلي لن أبيعته"

قلت بصدمة " كيف غيرت رأيك ألسنا سنستبدل

المنزليين وسأزيدك الباقي مالا"

قال بصوت فيه خجل وتردد " اعذرني أخبرتك أنه ثمة

جديد أرغمني فابحث عن غيري"

قلت ببرود " يبدوا جاءك عرض أفضل من عرضي"

قال من فوره " بل لن أبيع أبدا فابحث عن غيري وداعا"

ثم أنهى المكالمة فرميت الهاتف وخرجت من الغرفة بل من المنزل

برمته وأشعر بضيق لو وزع على جميع أهل الأرض لكفاهم ، ما

بي اليوم مع الصدمات والنكسات بل يبدوا أنه منذ خرجت سما من

حياتي عمها السواد وكأنها كانت النور فيها وجالبة الحظ لكل ذاك

المنزل ، قضيت اليوم خارجا بعدما اتصلت بعوني وطلبت منه أن

يترك زوجته مع والدتي وسهرت مع رفاقي لكن جسد بلا روح

لا أعلم مما يقولون شيئا وصببت جل تفكيري في قرار الخروج

من المنزل من عدمه ولم أرجع إلا آخر الليل وصعدت لغرفتي

فورا استحمت ونمت ولم استيقظ سوا وقت الفجر صليت وساعدت

والدتي لتصلي وأعددت الإفطار لنا ثم خرجت قاصدا الشركة التي

سأعمل فيها لأرى متى سيكون دوام عملي وكم ساعة لأعرف

كيف أتدبر أموري ، دخلت مبنى الشركة وصعدت لطابق مكتب

المدير وطلبت من السكرتير إننا للدخول بما أن جابر الوصي علي

هنا فقال ما أن ذكرت له اسمي " نعم المدير غير موجود الآن

وترك هذه لنسلمها لك ما أن تأتي"

أخذت الورقة التي مدها لي وقرأتها واقفا مكاني وكان فيها اعتذار

خطي بأن الوظيفة لم تعد شاغرة وسيتم توظيفي في شركة أخرى

فرفعت نظري له وكنت سأحدث لولا قاطعني قدوم أحدهم

وقال للسكرتير " هل طلبنا المدير الآن من أجل الاجتماع"

فنظر لي السكرتير ثم له وتلعثم ثم قال " نعم تفضل"

فغادرت من عنده دون أن أتحدث في شيء أو أسأل حتى عن

مكان الشركة الجديدة ولا أعتقد أنها موجودة ويبدو أنهم يتهربون

مني ولم يوافقوا منذ البداية إلا من أجل جابر وكان عليا أن أفكر

فيها منذ البداية ، عدت للمنزل بخسارة لن أخسر كحجمها ما حييت

لأنها كانت فرصة عمل لا تعوض ، وقفت أمام باب غرفة والدتي

فقالته مباشرة " ما بك بني وجهك مكفهر أي خبر هذا الذي سمعته"

ابتسمت بسخرية وقلت " بل قولي أي أخبار انهالت علي ، المنزل

لم أحصل عليه والوظيفة ضاعت أيضا وسما ستتزوج وانتهى

كل شيء والفاشل بقي كما هو"

وغادرت جهة المطبخ وتركتها وما أن دخلت حتى ضربت

صينية الأطباق أمامي لتسقط وتتكسر جميعها وأشعر بغضب

لن يطفئه ولا تحطيم المنزل بأكمله ، غضب من نفسي ومن حظي

ومن حياتي فقد فشلت في كل شيء وبالضعفين ، كانت والدتي

تناديني دون توقف لتذكرني أكثر بعجزها عن الوقوف وعجزي

عن مساعدتها فضربت رأسي بالخزانة عدة مرات لتنزل من عيني

دمعة حارة كالجمر شعرت بها تخرج من عروقي وأوردتي على

صوت رنين جرس الباب المتقطع وليست عادة من أعرفهم فحين

يضعون إصبعهم على الجرس لا يرفعونه ، خرجت من المطبخ

وفي نيتي الصعود دون الالتفات له فلا رغبة لي برؤية أحد لولا

صوت والدتي الذي عاد لمناداتي قائلة " نزار افتح الباب على

الأقل فلم يكن منزلنا يرفض الزوار يوماً"

تنهدت حينها باستسلام وعدت جهته وفتحته لأجد أمامي شابا

بملايس فاخرة وأنيقة ورائحة عطر لن يكون إلا لأحد الأثرياء

ابتسم ومد يده لي وقال " مرحبا مؤكدا أنت السيد نزار"

لا ويقول عني السيد نزار بل من أين يعرفني ، صافحته قائلا

"نعم وصلت فمن أين تعرفني"

قال بذات ابتسامته " هل سنتحدث عند الباب هكذا فلم

أعرف عنك إلا كرم ضيافتك"

قلت بخجل " آسف من ارتباكي نسيت أن أدعوك

للدخول ، تفضل المنزل منزلك"

دخل وأغلقت الباب خلفه وتوجهنا لصالون الصلاة وجلس فقلت

"ماذا تشرب فلا أحد غيري سيضيفك هنا فما رأيك بالقهوة"

هز رأسه بحسنا وقال مبتسما " لا بأس وقهوتي متوسطة"

تركته ودخلت المطبخ في حيرة من أمره فأخر ما توقعت أن

يوافق على أن يشرب شيئا فمن هذا الغني المتواضع هكذا بل

سيارته في الخارج تدل على أنه فاحش الثراء وبشكل مخيف

توقعته سيطلب أن نخرج لمكان عام ويقول ما يريد مني وليس

يدخل ويجلس ويشرب القهوة أيضا بل يتحدث بتواضع ورحابة

دون أن يرفع أنفه وينظر بتقزز لما حوله ، سما وهذا الشاب

غيرا فكرتي جديا عن الأغنياء الذين ظننت أن جابر الوحيد

المتواضع بينهم ، أعددت القهوة ووضعت معها بعض الحلويات

وخرجت بها وقدمتها له وجلست فشربها وأكل وأنا أراقبه في

صمت حتى وضع الفنجال وقال " مؤكدا لا تعرفني وتستغرب

زيارتي أنا أسامة فريد الشاطر"

نظرت له بصدمة ... ابن عم سما نعم نفس اللقب لكن ما...

قال مباشرة " علمت عنك من اللواء جابر حلمي بالتأكيد ولأمر

مهم أصرت عليه أن أعرف مكانك بعدما أخبرني وحدي عن

وجود سما ابنة عمي رفعت فسألته وأصرت عليه أن

اعرف مكان من وجدها"

نظرت له بريبة فقال " الأمر الذي سنتحدث فيه لا يعلم عنه

غيرنا أنا وأنت فعائلة عمي رفعت كما تعلم كانت مختفية لسنوات

وبحث عنهم جدي كثيرا ووضع مكافأة ضخمة لمن يجدهم متأملا

أن يسعى موظفوه لإيجادهم وزادها والذي بعده وأمني عليها وقت

موته وأن تكونا سرا عن العائلة وأنت من وجد سما وأنت تستحقها

فحررني من هذه الأمانة لأرتاح من عبئ شيء مما في عنقي"

قلت بعدم استيعاب " مكافأة ولي أنا" !!

هز رأسه بنعم وأخرج من جيبه شيكا مصرفيا وقال " هذا الأمر

سر بيننا لا تطلع عليه أحد سوا اللواء جابر إن أردت لأنه

أخبرني أنك صديقه"

بقيت أنظر له بصمت وصدمة ثم قلت " وسما لم

تقابلها ولا تعرف عن هذا"

هز رأسه بلا وقال " سما محمية عن الجميع ومكانها

ممنوع كشفه لأي أحد"

ثم مد لي بالشيء وقال " هذا من نصيبك ومن حقك أيضا لا أحد

يناقشك فيه ولا يمن عليك به وأشكرك على كل ما فعلته من أجلها

فأنك صنت ابنتنا وحده أمر تستحق عليه الملايين ولولا خوفا من

رفضك لما علمته عنك من صديقك لزدتك عليه من مالي لأنه

لن نوفيك مهما دفعنا"

بقيت أنظر ليدته بصمت وكأني أترجم كل هذا للعربية وهو

يتحدث بلغة لا أفهمها فمد يده أكثر وقال " لا ترده يا سيد فهو

حقك كما أخبرتك ولا مئة لي عليك به ولا لأحد لأنه موجود

من قبل أن نعرفك أو نعرف سما"

مددت يدي بتردد وأمسكته منه فكما قال هذا موجود من قبل أن

يعرفوني أي لم يتصدقوا عليا به وهو مكافئة لإيجادي لها وليس

ثمنا لما دفعت من أجلها أو لحمايتها ولم أكن أعلم عنها ، عزة

نفسي تمنعني عن هذا وتحاربني فأنا لم أجدها أو أحافظ عليها

من أجل المال وإن لم أطلبه لكن الأمر الوحيد الذي فكرت فيه
هو والدتي وظروفي التي أمر بها الآن فلولا ضياع الوظيفة مني
ما قبلته مهما حاول ، رفعت نظري له وقلت " لو كان سيعلم
عنه أحد فلن آخذه أبدا فما صنعتها ووجدتها لأخذ ثمن ذلك"
هز رأسه بنعم وقال " أعرفك ومتأكد من صدق كلامك

ولن يعلم أحد وهذا المال من حقك"

ثم وقف وغادر جهة الباب فتبعته وودعني وخرج فأغلقت الباب
وعدت أدراجي أخطوا خطواتي ببطء وفتحت الشيك المطوي بين
يدي ونظرت له وانفتحت عيناى على اتساعهما من الصدمة
عندما رأيت الرقم المكتوب فيه

مر عليا باقي يوم أمس من أصعب أيام حياتي بعدما سمعت
ذاك الانفجار وأصابني شيء يشبه الحمى وليس بحمى ورغم
أن عم جابر أخبرني انه رآه بعينيه وأنه بخير إلا أن تلك الحالة
لم تغادرني بسهولة فقضيت ساعات أرتجف تحت اللحاف كالورقة
واتصل السائق بالجنح لأخذي للمستشفى ومؤكد أنها أوامر من جابر
وأنا رفضت أما هو فلم يتصل ولا للاطمئنان علي أو طمأنتي عليه

فهوا غاضب بلا مزاح ولا مكابرة هذه المرة

ورغم أني استيقظت صباح اليوم بحال أفضل إلا أنني لازلت أشعر

بصدى الانفجار في عظامي وكأنهم فجروها فيا أنا ، لما يعرض

نفسه لكل هذا الخطر لما لا يفكر بنا بأبنائه بعده بل وبخالته التي

لا يعلم سرها ويرفع همها غيره ، نظرت لي ترف وقالت

"ماما لما لم يصعد بابا لنا لكي يرانا حين جاء بالأمس"

نظرت لها باستغراب وقلت " جاء بالأمس"

هزت رأسها بنعم وقالت " أمجد رآه من الشرفة ونداده وحياه

بابا من الأسفل لكنه لم يصعد لنا أمازلتما متشاجران"

تنهدت بقلة حيلة ولم أعرف ما أقول فجابر زرع الفكرة في أدمغتهم

حين جلبني وتحدث أمامهم ولن يصدقوني مهما تحججت ، إذاً كان

هنا بالأمس بعد ذاك الانفجار ولم يصعد ولا لطمأنتنا عليه كم أنت

قاس عليا يا جابر وعتابك وعقابك يبدوان طويلا وقاسيان جدا

وقفت وخرجت من الغرفة قاصدة جناحي فتقابلت وعمتي وقالت

ما أن رأنتي " متى ستخرجين من هنا وترحيني من رؤيتك"

ابتسمت لها وقلت " ولما وأنا أحبكم وأريد البقاء معكم وجابر لن

أغيره ناحيتك فهو من قال لي مرارا والدتي فوق الجميع ولا أحد

بمكانتها عندي ولا أنتي ولا كل نساء الأرض"

هددنتي بسبابتها قائلة " أنتي أخرجته من هنا وأقسم إن تضرر

ابني وفقدته بسببك أن تموتي على يدي أنتي وأبناء شقيقتك

الذين لا أعترف حتى أنهم من ابني"

نظرت لها بصدمة وهي غادرت دون أن تضيف شيئا بل ما

الذي تركته لتضيفه بعدما هددنتي بقتلي لا وتتهم شقيقتي في شرفها

مجددا وتنكر أبنائه لذلك هي لا تشعر بهم أو تغيظني بهذا فقط

لكني لن أتصرف كحسنة حين أخذت تهديدها بعين الاعتبار وهربت

خوفا منها فلو كان جابر وطبيبها يعلمان أن بإمكانها فعل هذا ما تركوها

هنا ولا تركوني وأبنائه معها ولا أنكر أنني خائفة منها أيضا فإن كان

البعض طبيعيين جدا ويقتلون فكيف بها مريضة وحيال جابر بالضعفين

توجهت لجناحي ودخلته ودخلت غرفتي وأغلقت الباب خلفي واستندت

عليه ، ماذا لو لم يخبرني عم جابر بالحقيقة لكان كلامها الآن نتيجةه

سلبية على علاقتي وجابر وكنت سأصر على الطلاق أكثر ، رفعت

رأسي للأعلى وأمسكته بيدي وفتحت فمي أتنفس بقوة لأطرد هذا الشعور

المقرف والغثيان القوي ، أشعر أن في أنفي ومعدتي جثة متعفنة وأشعر

بالدوار والغثيان ، توجهت بعدها للتقويم على أحد جدران الغرفة وتتبع

التاريخ بإصبعي لقد تناصف الشهر ودورتي غائبة لشهرين هل كل هذا

بسبب مضاعفات الحبوب أو أني اتكأت عليه بجبيني ومسحت

بكف يدي أسفل بطني وأغمضت عيناى ببطء ، هل أنت هنا حبيب ماما

وهدية والدك الذي أرادها لي ، هل أتيت لتزيد أعبائي إن لا قدر الله وفقدت

والدك أم أني أتوهم فقط فليس بإمكانى ولا الخروج لأحضر جهاز اختبار

الحمل ولا سبيل لأتأكد من صحة ظنوني خصوصا أنها تجربتي الأولى

*

*

أمسك يداه للخلف وعصر له وجهه على الجدار وأنا واقف معهما

يداى في جيوب سترتي وقلت " حتى الآن لم أتدخل وأمد يدي

عليك فقل من أرسلك وماذا تفعل هناك أو تحولت لجثة تحت يداى"

قال بتألم " ما لدي قلته سيدي أقسم لك"

دست بحدائي على أصابع قدمه بقوة وحركته عليهم ومزقت جلد

أصابعه تحته متجاهلا صراخه المتألم وقلت من بين أسناني

"لقد خيرتك وأنت اخترت وهذا ليس طبعي فستنطق وصبري

أطول من صبرك إن كنت لا تعلم"

قال بتألم " ليس لدي شيء مهم ولن تستفيد مني في شيء"

قلت بسخرية " لعبة قديمة لا تنطلي على رجل حقق

مع الآلاف قبلك"

ثم زدت من الضغط على قدمه وقلت " لم ترى ولا

نصف قوتها بعد بل لم تجرب يداي"

صرخ بتألم وأنا أزيد من ضغطي تدريجيا ثم أبعدتها وقلت

" أتركه لي هذا يبذوا يريد أن يجرب يدي بالفعل"

قال حينها على فور " أنا عبد مأمور سيدي"

أمسكته منه وقلت " أعلم وأريد معرفة هذا الذي جعلك عبدا له"

قال بارتجاف " الرائد مختار أسعد السد"

صفعته وأمسكت شعره بقبضتي وضربت رأسه على الجدار

وقلت بحدة " ما أسعدني بك وبه رجال البحرية شرطة تقتل

الناس بدلا من أن تحميهم ويجرونكم أنتم طلبية كليتهم معهم

هل هذا ما يعلموه لك في كليتك هل هكذا تحمون الوطن

والمواطن أين ضمائرکم يا حثالة"

قال بصوت ضعيف والدماء بدأت تسيل من رأسه " استغلوا

حاجتي فوالدي لديه عملية وأحتاج للمال ضننت الأمر

عاديا كما قالوا لي ثم بدئوا بتهديدي"

بدأت بصفعه دون تركيز وأنا أصرخ بغضب " تنقد والدك على

حساب أرواح الأبرياء هل تعلم كم مات بسبب أفعالهم من رجالي

ورجال الشرطة والعامّة قبلهم هل تعلم كم امرأة ترملت وأبناء

تيتموا ومصانع توقفت وأرزاق قطعت لكي تجري عملية

لوالدك ، لو كل من احتاج فعل مثلك لانتهينا يا صلوك"

أبعده عني وقال " لن تستفيد شيئا من ضربه فما لديه قاله"

بصقت عليه وقلت " أبعده عن وجهي والليلة يكون خارج البلاد

ومكانه جاهز ولا تفرح بهذا كثيرا فستكون في سجن حتى النور

لا يدخله لتأتي هنا للمحاكمة فيما بعد هذا إن تركوك أسيادك

على قيد الحياة"

ثم خرجت وتركت المكان وتوجهت بخطواتي للمنزل

دخلت وقلت " خليل وسالم وأسعد وفلاح يكونون في

مكتبي هنا خلال أقل من ساعة"

ثم صعدت للأعلى وتوجهت لجناحي دخلت وكانت سما تقف

عند حوض الأسماك الفارغ تشاهد الأحجار والأصداف والتفتت
ما أن دخلت فوقفت عندها وقلت " سما كوني حذرة وآمني بشيء
واحد أن الموت أمر محتوم ساعته لا تتقدم ولا تتأخر"

قالت بهدوء " اقتربوا منا إذا"

قلت متوجها جهة غرفتي " وصلتني رسالة تهديد منذ

قليل ولأول مرة ، المهم افعلي كما قلت لك إن

دنا منك الخطر أكثر"

دخلت الغرفة وللحمام مباشرة استحممت ولبست ثيابا أخرى

ونزلت لمكتبي في الأسفل وكان الأربعة في انتظاري فتوجهت

للمكتب ووقفت خلف طاولته ورميت لهم بهاتفني فرفعه أسعد وقرأ

الرسالة الموجودة فيه ومدته للذي بجانبه ثم قال " وصل التهديد

لك إذا وبكل جرأة يفعلونها ويهددون من هو أعلى منهم"

قلت بسخرية " هذا لتعلم أن ثمة من أقوى ممن عرفناهم

ليرسل تهديدا كهذا"

قال فلاح " ماذا يعنون بأن تترك القضية لغيرك"

قلت ببرود " يعني يحلمون أن أسلمها لمن يغطي على أفعالهم

ويهددونني حال رفضي أن لا ألوم إلا نفسي الحثالة"

قال أسعد " نظمت دوريات كبيرة من رجال الشرطة حيث

أمرتنا والجميع يعمل على قدم وساق "

هزرت رأسي بحسنا وقال سالم " الشرطة العسكرية

تحت إمرتك أيضا "

قال فلاح " الجيش أيضا جاءتهم أوامر من الوزير احتياطا

وصاروا تحت إمرتك "

نظر له خليل وقال باستغراب " وما دخل الجيش بكل هذا "

تحركت من خلف المكتب ووقفت معهم وقلت " يبدو أن

العنكبوت بدأ يحرك ذيوله والوزير ورئيس البلاد

اعترفا بخطورة الوضع أخيرا "

ثم نظرت لساعتي ورفعت نظري لهم وقلت " لدي اجتماع بعد

ساعتين مع وزيري الداخلية والخارجية وسأطلعهم هذه المرة

على كل ما وصلت له والأسماء التي تحصلنا عليها من أدلتنا "

قال سالم " غريب ما غير رأيك فجأة "

قلت بجدية " الرسالة طبعا فانا أفهم مغزاها جيدا فعلى الوزير

ورئيس البلاد أن يضمنا لي أن يمسكوا الفاعل وينال عقابه كان

من يكون ومهما كان مركزه أو يخبروني منذ الآن أنه سيكون

هناك تورية ومداراة فضائح فأترك ليس هذا الأمر فقط بل

والشرطة بما فيها وأعيش حياتي وعائلتي كرجل عامي

وأحميهم هم على الأقل بما أني لن استفاد شيئا"

قال أسعد " معك حق تفكر هكذا فإن تبين أن ثمة ذراع

كبيرة في الدولة وراء هذا قد يغطوا عليها بتعهدات وسجن

لأبرياء لإغلاق ملف الجريمة فكم حدثت سابقا في دول أخرى"

قلت بجدية " ولهذا سأطرح أوراقى أمامهم ، عقيد سالم تعلم ما

الذي في عهدتك حتى أعود والبقية ابدعوا التحرك كما أمرت

وإن أتتكم إشارتي تجلبوهم للتحقيق معهم"

قال أسعد " هل تفكر فعلا في التحقيق مع ضباط في البحرية"

قلت بجدية " وسأرفع يدي عليهم إن لم يعترفوا لكن

هذه الخطوة ستكون للضرورة فقط"

ثم خرجت من عندهم وتبعني سالم قائلا " لم يجدوا

شيئا في أغراض الفتاة سيدي"

وقفت والتفت له وقلت " هل كان تفتيشا دقيقا أم العين

في جانب والعقل في آخر"

قال مبتسما " ألا تتق في فريقهم فكم عملوا

معك في التحقيقات"

هزرت رأسي بحسنا وغادرت من عنده ، لو فقط أجد

الدليل الذي لديك يا سما فأنا متأكد أن فيه هلاكهم

*

*

رفعت هاتفي وبحثت عن اسمها ، تلك العلكة المحتمالة فليتها

سهرت انتظر مكالمتها وفي النهاية اتصلت بي وادعت أنها لا

تسمعي وكانت أدكي مني وسأريها ، اتصلت بها فأجابت

وقلت ما أن فتحت الخط " تسمعيني الآن بالتأكيد"

قالت بصوت مرتفع " ماذا تقول معتصم أخبرتك أن

سماعة هاتفي لم تعد تعمل جيدا بعدما وقع مني

ولا أسمع جيدا ما تقول"

قلت بابتسامة جانبية " لا بأس يا علكة لا بد

وأن جزء منك التصق بها"

قالت بغضب " لست علكة وأقسم إن قلتها لي مجددا

أخبر جابر أنك تتعمد مضايقتي"

ضحكت وقلت " ظننتك لا تسمعين ما أقول"

قالت بغيض " بلى لكن هذه سمعتها"

قلت بسخرية " بل أرى أن هاتفك تحسنت حالته فجأة"

قالت ببرود " هاتفني ولا شأن لك به يمرض متي

يحب ويتحسن متي ما يريد"

تنهدت بضيق وقلت " بتول واحد زائد واحد كم يساوي"

قالت بذات برودها " عشرة"

قلت ضاحكا " لهذا أنتي فاشلة في الدراسة"

قالت بضيق " جئت به من ابن عمي وليس من غريب"

قلت بعد ضحكة " نعم وعلاماتي طوال سنين دراستي تشهد"

تأففت ولم تعلق فقلت " بتول واحد زائد واحد تساوي

اثنين سهلة فلا تعقديها"

قالت من فورها " شرط أن يكون كما أريد"

تنهدت وقلت " وأخيرا يا متحجرة ، أتحنفني بشروطك"

قالت بضيق " معتصم ما هذا الأسلوب عاملني باحترام"

قلت من فوري " حاضر يا قلب معتصم وعيناه أتحنفني

بأزهارك وهداياك"

قالت ببكاء مصطنع وغنج " أقسم أنك تسخر مني وسأريك"

تنهدت وقلت " وأنا أقسم أنك واهمة فقولي ما لديك"

قالت ببرود " نتزوج رسميا بعد أن أنهى الثانوية"

قلت " وغيره"

قالت " لن يكون هناك أبناء حتى أخرج من الجامعة"

قلت " وغيره"

قالت " فقط لم يعد هناك غيره"

قلت " لن نؤجل شيئا وسأتركك تغيرين سير دراستك لما

تريدي بل وتقلصي الأعوام كي تكسبي العامين اللذان ضاعا

منك فحتى هذا العام الذي نجحت فيه ستخسرينه لكني

سأندبر الأمر فماذا قررت"

قالت بمفاجأة " حقا تستطيع ذلك وأدرس ما أريد"

قلت " نعم فقط خلصينا من شروطك الحمقاء"

قالت بضيق " شروطي ليست حمقاء ولن

أتنازل عنها وهي من حقي"

تأففت وقلت " بتول ستدرسين ما تريدين وأنا بنفسني سأساعدك

والأبناء لن يعيقوك مع وجود الخاديات وأبناء جابر ، ارحميني

فكل غرضي أن نكون معا فلما نؤجلها كل ذلك الوقت وهي متيسرة"

قالت بغنج " لا أريد أن أحمل ويكبر بطني يع أكره الحوامل"

قلت ببرود " تفكيرك سطحي كسناك"

قالت بضيق " رأيت بعينك كيف تسخر مني

وتريد أن تتزوجني لـ"

قلت بحدة " بتول توفقي عن لعب الأطفال تعرفين جيدا أني

أحبك وتمسك بك وتماظلي وتتحججي"

قالت باستياء " توقف عن الصراخ بي هكذا"

قلت بنفاذ صبر " بتول لا أصدق أن من ربت أشقائها

تخاف من مسؤولية الأبناء فدعينا ننتهي من هذا"

قالت بهدوء " ولن يرجع معتصم القديم ويسخر مني مجددا"

قلت بذات هدونها " لن يرجع بح قتلناه وصلبناه فاقتنعي

أنه كان يحبك يا غبية"

قالت باستياء " طريقته في الحب لا تعجبني فإن

عاد ستطلقني فورا"

تنهدت وقلت " حاضر هل نقول مبروك وأذهب لعمي فورا"

قالت من فورها " لا طبعا أريد حفل زواج كبير تحظره كل

زميلاتي وشهر عسل وأن أسجل في المعهد كما وعدتني أولا"

قلت بقلّة حيلة " لا بارك الله في الشيء المسمى حب وفي الغبي

المدعو قلب حاضر أمري لله ألا تريدي أن أزفك بسلم من السماء"

ضحكت وقالت " لا طبعا هل تفاول عليا بالموت لتتزوج بأخرى"

قلت بمكر " ما رأيك لو تتركي لي باب منزلكم الخلفي

مفتوحا الليلة لنتفاهم في أمور الزفاف"

شهقت بقوة وقالت " وقح ولن تراني حتى تحقق كل ما

طلبت وويلك يا معتصم إن فكرت أن تقنع والدي بإلغاء

الحفل وداعا"

قلت من فوري " هيه انتظري"

لكنها أنهت المكالمة ، لا بأس فالمهم حدث أخيرا وانتهينا ، كم

أتعبتني معك يا بتول من قال أن اللعب بعقول المراهقات أمر

سهل فقد كذب ، وضعت هاتفي في جيبتي ووقفت وأخذت

محفظتي ومفاتيحي لأغادر الشقة قاصدا الجامعة وتقابلت ومعاذ

خارجا من المطبخ يغني وفي يده كوب شاي فقلت ضاحكا

"ما أخبار العريس يبدوا مبسوطا بجنيته"

جلس على الأريكة وقال ببرود " أولا أنا لم أتزوجها بعد

لتقول عريس وثانيا اسمها ملاك وليس جنية"

قلت متوجها جهة باب الشقة " جنية ملاك أو حتى ناقة المهم

أنها خلصتك من عقدة ما بعد الطلاق"

*

*

كنت جالسة مع بيسان أعلمها بعضا مما سيتعبنا العام القادم

فأمجد مر بها حديثا وأتعبني فيها فسمعت صرخة ترف الباكية

والسبب معروف طبعا فالتفت وقلت بهدوء " أمجد بني

أعطاها لها أنت رجل وعليك أن تسايرها"

قال بضيق " دائما تأخذها مني أليست تلعب بها صباحا"

تأففت وقلت بنفاذ صبر " أقسم أن روحي في رأس أنفي

وكارهة حتى نفسي فارحموني قليلا"

اختطفتها حينها من يده وركضت بها جهة باب الشرفة وضربته

لينفتح وخرجت بها ووقف أمجد ليلحقها لحظة سماعي لشيء

أعرف ما يكون من الصغير الذي يحدثه لأقف على

طولي وصرخت " توقف يا أمجد"

فوقف مكانه وتوجهت جهة الشرفة راكضة ودموعي بدأت

بالنزول وكل ذرة في قلبي تقول يا رب خن توقعاتي يا رب

اقتربت من أمجد وسحبته بعيد واقتربت لباب الشرفة لتوقفي

مكاني الرصاصة التي ضربت حديدها وكانت تقصدني بالتأكيد

فانبطحت أرضا وقلت صارخة ببكاء " ترف أجيبني إن كنتي تسمعينني"

ولا جواب طبعا كانت رصاصات بكاتم صوت ويبدووا أصابوها

زحفت نحو باب الشرفة أكثر ودموعي تغسل الأرض تحتي

وأنا أقول بعبرة " يا رب كله إلا أبنائي أقسم أن أفقد

عقلي إن أصابها مكروه"

كنت أقترب من فتحة الباب على صوت بكاء ومناداة أمجد

وبيسان لي وأنا أصرخ بهما ليبتعدا ولا يقتريا مني مهما حدث

حتى رأيت جسد ترف المرمي على أرض الشرفة والدماء حولها

فضربت وجهي في الأرض أناديها وأبكي رغم أنني أعلم أنها لن

تجيب ، وصلت لساقها بصعوبة وسحبته منها حتى وصلت بها

الباب ثم قلت " أمجد انزل للحراس فورا وأخبرهم مؤكدا منهم

من سمع صوت صفير الرصاص حذرهم من الصعود لنا ومن

أن تعلم جدتك أطلب منهم الاتصال بوالدك أو عمك منصور

بسرعة يا أمجد وإياك أن تشعر جدتك بشيء

ركض مسرعا وأنا أدخلت ترف بعدما طلبت من بيسان أن

تخرج من هنا كي لا ترى شقيقتها هكذا ، وصلت بها للداخل

ولففتها سريعا في لحاف سريرها ولبست حجابي وضممتها

لحضني ووقفت بها ولا أعلم أي قوة تحركني حينها لأن عقلي

لم يكن معي وكل ما كنت أفكر فيه أن نصل بها للمستشفى سريعا

فليس هذا وقت بكاء ووعويل ولا حتى لأرى إن كانت حية أو ميتة

خرجت بها من الغرفة وصرخت باسم سيلا بأعلى صوتي فكانت

في لحظة راكضة نحوي وقالت بفرع " ما بك سيدتي وما هذه

الدماء ومن تحملين ولما"

قاطعته قائلة " ليس هناك وقت للشرح الآن ، ترف أصيبت

أدخلي الغرفة ونظفي الدماء ولا تقربي الشرفة مهما حدث

أغلقها بحذر وابقى مع الأولاد ولا أحد يقترب من الشرفات

ولا تعلم جدتهم بشيء مهما حدث يا سيلا إياك وأن يقولوا شيئا

لأحد عما حدث خديهما لجناحي واسجنيهما معك هناك واهتمي

بهما جيدا حتى أعود"

ثم ركضت بسرعة ونزلت السلام وتوجهت بها لباب القصر
لأجد الحراس على قدم وساق في الخارج فقلت لأمجد الواقف
عند الباب " أصد لسيلا بسرعة واعتن بشقيقتك ولا تقتربا

من شرفة الجناح مفهوم"

هز رأسه بحسنا ودموعه لا تتوقف عن النزول فخرجت
وأعطيت ترف للحراس وغادرت معهم أحبوا ذلك أم كرهوه
وقلت ما أن ركبت السيارة " هل اتصلتم بجابر"
قال الذي يقود السيارة " قالوا انه في اجتماع مغلق مع الوزراء
ولا يمكن إعلامه بأي شيء حتى يخرج لأنه لن يجيب على
أحد ولن يرى اتصالاتهم"

هل هذا وقته الآن يا جابر ، كانت مخاوفه في محلها وها هم أبنائه
أصبحوا مستهدفين ، قلت بسرعة " عم جابر أخبروه بسرعة"
قال الجالس بجانب السائق " هوا في السيارة التي خرجت خلفنا"

ضمت يداي لحظني أبكي بصمت وادعوا بكل ما يأتي على
خاطري من دعوات ثم فتحت اللحاف من على رأسها وهي في
حضن أحد الحراس بجانبني ومسحت على شعرها أبكي بحرقة

وقلت " يا رب صبرني يا رب"

ثم مددت يدي المرتجفة لعنقها وأنظر للذي يمسكها بصدمة

فقال " هل هي حية سيدتي"

هزرت رأسي بنعم غير مصدقة ثم نظرت أماما وقلت

"بسرعة ما بكم هل تريدون أن تموت بين أيدينا"

قال وهو يلف بالمقود يسارا " ها قد وصلنا نحن نسير

بأقصى سرعة لدينا"

دخلنا سور المستشفى ونزلنا ركضا جميعنا وأدخلوها غرفة

العمليات فورا وتركوني لا أعلم حتى كم رصاصة أصابتها

وأين وكل ما أعلمه أنها دخلت حية وقد تخرج ميتة ، كنت

أجوب الممر وأبكي وأهلوس كالمجنونة وأشعر أن عقلي لحظات

ويطير من رأسي لحظة دخول عم جابر راكضا مع حارسين

آخرين ووصل عندي فأمسكت يده وقلت ببكاء " ترف ستموت

يا عمي قتلوها أمام عيناى طفلة ، تدفع ثمن لعبة موت"

قال محاولا تهدئتي " ستكون بخير يا أرجوان هدئي من

روحك ولا يموت أحد قبل يومه فكبري عقلك"

ضربت يداي ببعضهما وقلت بنحيب " أي عقل بقي بي لأكبره

أي عقل يا عمي أقسم إن فقدت حياتها أن أفقده معها أعيدوا

لي ابنتي أرجوكم لا أريد شيئا غير هذا"

هز رأسه وقال " لا حول ولا قوة إلا بالله ما هذا اليوم"

تركته وعدت أجوب الممر ثارة واتكأ على الجدار ثارة أخرى

ونحبيبي يصل لآخر الممر وعم جابر يحاول تهدئتي حيناً ثم

يذهب يبحث عنم يدخل ويخبره عن شيء وباقي الوقت يحاول

أن يتصل بجابر ومرت ساعة ونحن على حالتنا تلك حتى خرج

من آخر الممر جابر وخلفه ما لا يقل عن خمس رجال متوجها

نحونا بخطوات سريعة وهم خلفه فركضت جهته وارتميت في

حضنه أكمل بكائي هناك ولم أكرث لا بعمة ولا الحراس ولا

رجاله فوحده من أحتاجه الآن أحتاج وجده وحضنه وحتى سماع

صوته فقد أتعبني الشوق والاحتياج ، أمسكني بذراعه وابتعد بي

عن الجميع وعمه يتبعنا وقال " ألم يخرج أحد من الأطباء بعد"

قال عمه " لا هم في الداخل من أكثر من ساعة ولم

يخرج أحد حتى الآن"

شدني بذراعه بقوة وقال بغيض " سحقاً للأندال

يهددون وينفذون"

قال عمه " حمدا لله أن أرجوان كانت معهم لكان أمجد

لحق بها وستتبعهم بيسان بالتأكيد لولا أن تصرفت بسرعة

وبحكمة لكننا الآن في ثلاثة"

قال " هل علمت والدتي"

قال عمه " لا كل شيء بخير"

ثم قال بضيق " ما هذا يا جابر كيف يدفع الأطفال ثمن

اللعب مع المجرمين أنت تعرض عائلتك للخطر والله

وحده يعلم من القادم"

قال بجدية " يريدون أن أترك القضية ماذا سأقول لأهالي

الضحايا وأهالي رجالي ورجال الشرطة لا أريد أن أخسر

عائلي ولست كفنا لإرجاع حقكم وحماية غيركم"

تنهد عمه وقال " أعلم وأرى ما يقول الناس في مواقع التواصل

في الإنترنت ولا تذكر القضية إلا واسمك في كلامهم والجميع

يعلق أماله عليك لكن ما ذنب عائلتك وأبنائك ماذا إن ماتت ترف

الآن أو أصيبت بعاهة مستديمة ستبقى تشعر بالذنب كل حياتك"

قال بهدوء " الشرفات كانت حلهم الوحيد ولم أفكر فيها وفي

أن يستخدموا قناصة لأجل ذلك وهذا إن دل على شيء يدل

على أنهم تيقنوا من أني بث أقرب منهم"

رفع بعدها هاتفه الذي يرن لأذنه وأنا لازلت على حالتي

متعلقة به أوس وجهي في صدره وأبكي وذراعه تضميني له

أجاب قائلاً " أين أنت الآن يا معتصم"

"حسنا ما أن تنهي اختبارك تكون في القصر

ولا تخرج سوا لمادتك المتبقية"

قال بعدها بضيق " تنفذ بدون نقاش ترف أصيبت ونحن

في المستشفى ولا أريد أن أخسر الجميع"

"نعم ولا نعلم شيئا لازالت في غرفة العمليات كن هناك

واعتني بالبقية وحاذروا من الشرفات والنوافذ تغلق جميعها

وأخبر والدتي أن ترف لديها حمى ونوموها في المستشفى

واتصل برضا وحذره وزهور من الخروج ولا فتح نوافذ

شقتهم كذلك عائلة عمي منصور"

"لا لا تأتي عمي هنا معها والحراس كن هناك وافعل

ما قلت لك أنا أعتد عليك ورائي عمل كثير"

"لا تقلق بشأنني المهم الآن أنتم وداعا"

أمسكت بقميصه أكثر وزاد بكائي بعد كلامه الأخير وتخيلت

أن يأخذه منا بسهولة ، إن لم يرحموا طفلة بريئة فماذا سيفعلون

معه ، انفتح حينها باب غرفة العمليات فابتعدت عنه بسرعة وأسرعنا

جهة الخارج من هناك يزيلان كماماتهما والقبعات وقال أحدهما

من قبل أن نتحدث " رصاصة أصابت كتفها والأخرى رنتها اليمنى

أخرجناهما وستكون في العناية المشددة وتحت المراقبة لثمانى

وأربعين ساعة إن اجتازتهما تخرج من مرحلة الخطر فعليكم

بالدعاء لها وحمدا لله على سلامتها"

وغادرا فأغلقت فمي بيدي وعدت لنحبيبي المستمر وقال عمه

"أحمدي الله أنها لم تمت وأن الرصاصة لم تصب عمودها

الفكري وهي في هذا السن لكأنت أصبحت مشلولة لباقي عمرها"

بقيت على بكائي حتى انفتح باب الغرفة مجددا وأخرجوا

سريرا يجرونه وهي فوقه كالجثة لا تتحرك فركضت معهم

كل خطوة تسبقها ألف دمعة وكل ما أريده أن أراها فقط

أدخلوها غرفة العناية وانتقلنا لذاك الممر وقال جابر " لا نفع

من بقائكم هنا ليومين أرجعاً أأمن لكما وأنا سأكون على اتصال

بهم هنا وسأزورها كلما استطعت"

رفعت نظري به وقلت ببكاء " لا أريد الذهاب أتركني

معها ما سيضر ذلك"

قال بضيق " أرجوان هذا ليس وقته والطبيب أمامك قال

لن يراها أحد قبل يومين فما نفع بقائك هنا"

قلت بعبرة " نفعه ما نفعه لا يهمني قدر النار المشتعلة

في قلبي بقائي هنا أريح لي"

قال بحدة " هل يجب أن يشهد كل مكان عام على

صوتي وصوتك كالأطفال يا أرجوان"

قال عمه " تعودا من الشيطان واطركها معها يا جابر وأنا

سأكون هنا معهما ومؤكداً لن تترك ترف بدون حراسة مشددة

فلن يصيبنا شيء دعها تظمن عليها وأنا بنفسني سأوصلها للقصر"

تأفف ثم رفع هاتفه لأذنه قائلاً " أريد انتشاراً أمنياً وحراسة

مشددة حتى على الأطباء هنا مفهوم"

ثم وضع هاتفه في جيبه وغادر وتركنا وأعلم أن غضبه مني

ازداد أضعافاً لكن المهم عندي الآن أن أكون بجانبها فكيف

سأبات ليلتي هناك في القصر وهي هنا لا أعلم عن حالتها شيئا
وما مرت لحظات إلا وكان الممر مليء برجال الشرطة وانتقلت
أنا وعم جابر للغرفة المجاورة لها لكن الجمرة التي في قلبي لم

تكن تتركني أرتاح فكنت كل حين أخرج لأراها من الزجاج
في باب الغرفة وهي على حالها الأجهزة محيطة بها والأنايب
موصولة من كل جانب وهي كالميتة لا تتحرك ومرت عليا
ليلة مأساوية قضيت أغلبها أتقيء في الحمام وأحشائي تتقطع
وكنت أجاهد نفسي وأكابري كلما خرجت وتقابلت وعمه كي
لا يرجعوني للقصر وكلما علمت منه أن جابر هنا لا أخرج
من الغرفة كي لا نتشاجر مجددا

*

*

منذ اتصل بي معتصم وقال ما أوصاه به جابر وأنا في حالة
وسوسة فلم أفارق الغرفة جالس بجانبها وهي نائمة أخاف أن
لا تعمل بكلامه وتفتح باب الشرفة أو النافذة فلم يحذرنا جابر
من فراغ فمن لي إن قتلوها فالجميع سيعيش حياته ووحدني من
سأعاني بعدها ، ومرت ساعات الليل الطويل وأنا على حالتي

جالس بجانب رأسها على السرير وأراقب ملامحها ، نومها
هادئ وتنفسها منتظم عكس ما كانت أول ليلة نمت هنا تنن
وتبكي وتحدث كثيرا وهي نائمة ولا تشعر بنفسها فيبدو أنها
أخرجت شيئا مما تكبته وتخلصت منه ، مررت أصابعي على
خدها ببطء فتحركت متضايقا فأبعدت يدي بسرعة لكنها لم
تستيقظ فابتسمت على نفسي وكيف أتحايل عليها في نومها
فقط لألمسها بأصابعي وسرعان ما ماتت ابتسامتي وأنا أرى
الأثر الذي ظهر من فخذها حين ارتفع الفستان قليلا فمددت
يدي ورفعت الفستان للأعلى ووقفت على طولي مفجوعا
من آثار التعذيب أعلى فخذها ، النذل الحقير ما هذا الذي
فعله بها كيف يعذبها هكذا في مكان كهذا ، أمسكت الفستان
بقبضتي بقوة وغضب العالم كله يعميني وشدته للأعلى بقوة
وعنف لأرى باقي جرائمه فجلست هي مفزوعة تغطي
نفسها وقالت بحدة " ابتعد يا رضا ماذا تفعل"
لوحت بيدي وقلت بغضب " كيف تسكتين عن كل هذا يا
زهور كيف ، الوغد الحقير انظري ما فعل بك"

غطت نفسها برجفة وقالت بيبكاء " أنت السبب أنت "

فتحت فمي لأتحدث ثم أغلقته وخرجت من الغرفة وأخذت

هاتفي وخرجت به للمطبخ واتصلت بجابر فلم يجب كعوانده

فأرسلت له (أجب فوراً الموضوع مهم ويخص زهور)

اتصل بعدها بقليل ففتحت الخط وقلت مباشرة " أين ذاك

الكلب أين وفي أي بلاد فأنا من سيققص منه بنفسي "

قال مباشرة " ما بك وما بها زهور "

مررت أصابعي في شعري وأمسكته وقلت بحرقة " تعال وانظر

أي جرم ارتكبه فيها وأعطني مكانه فلن ينقذه مني أحد "

قال صارخاً " رضا تحدث ماذا فعل وأنا من سيسلخ

جلده عن عظمه "

تنفست بقوة وقلت " علينا أن نتقابل وتعلم بكامل القصة مني "

قال من فوره " قادم لك حالا لا تغادر من شقتك "

أنهيت الاتصال معه وعدت جهة الغرفة ووقفت عند الباب

فكانت تجلس على السرير تحضن ساقيها وتبكي فأغلق الباب

بهدوء وتركتها وحدها لتهدأ قليلاً أولاً وجلست في الصلاة حتى

سمعت جرس الباب فتوجهت نحوه وفتحته فكان جابر وقال

مباشرة " أريد أن أراها معك أين هي "

أدخلته وأغلقت الباب وقلت " دعنا نتحدث أولاً لأن

نفسيتها لن تسمح "

قال بجمود " رضا ما الأمر لطالما كنت أشك أن

سرا ما وراء ما حدث لزهور "

توجهت للأريكة بصمت وتبعني وجلس أمامي فقلت

" لا تتحدث حتى أكمل كلامي "

لم يعلق وأنا أعرف جابر بمقدار ما عقله كبير غضبه لا يرحم

ومؤكد خمن شيئاً أعرف ما يكون ، نظرت لعينيه بتبات وبدأت

أسرد عليه ما حدث منذ ذلك الزمن البعيد فأنا أعرف المحققين

حتى حركة حدقتا العينين ونبرة الصوت يدققون عليها ويحللونها

وما أن انتهيت حتى قال " ماذا غير فخذوها يا رضا وأنت تفهمني "

نظرت للأرض هوا فكر في هذه وترك باقي الأمور

كلها ، قال بحزم " تكلم يا رضا "

قلت بهدوء " لم أره "

قال بعد صمت وبصوت مصدوم " معك منذ هنا أكثر

من شهر ماذا كنتما تفعلان"

نظرت جانبا وقلت " شقيقتك لن تتخطى الصدمة بسهولة

لو اقتربت منها قد تفقد عقلها"

وقف وقال " سيرى ذاك الإمعة ولن أكون جابر إن لم أبكيه

دما كان جاء وأخبرني بدلا من تعذيبها الحثالة"

رفعت نظري له فأشار لي بإصبعه وقال " وأنت يا رضا أقسم لو

قالت زهور غير ما قلت ولم يكن حادثا ستري على يداي تعذيبا

لن تنجوا منه وإن بقيت حيا تكمل باقي عمرك في السجن"

وقفت وقلت " جابر أنت تعرفني جيدا وأقسم أنه

كان حادثا ولم أقصده"

قال بغضب " كنت تحدثت منذ البداية يا غبي هل يعجبك

ما صارت له شقيقتي بسببك والله يعلم ما يكون مخفيا"

ثم أشار لي بإصبعه مجددا وقال " ما يمسكني عنك حتى الآن

أني كما قلت أنت أعرفك جيدا ومنذ صغرنا لكن إن فقدت

زهور شيئا بسبب ما فعله ذاك وخسرت أمومتها أقسم

لن أرحمك حتى أنت"

ثم تركني وتوجه جهة الغرفة فلحقت به وأمسكت ذراعه وقلت

" جابر هي في حالة سيئة الآن وهذا ليس وقته"

رمى بيدي عنه وفتح باب الغرفة ودخل وأنا أتبعه فكانت

على حالها وجلستها وبكائها فتوجه نحوها وجلس بجوارها

وقال بهدوء " زهور"

فرفعت رأسها ونظرت له وارتمت في حضنه من فورها

تبكي بمرارة وهو يمسح على رأسها قائلا " يكفي بكاء أقسم

أن أمزقه تمزيقا ولن يرحمه مني أحد"

ثم ضمها بذراعه لحظنه أكثر وأخرج هاتفه واتصل بأحدهم

ثم قال بأمر " الصعلوك عاطف رفعت صفوان ملفه لدى النقيب

أسعد يكون في هذه البلاد خلال أربع وعشرين ساعة وفي

مكتبي بعدها بساعتين مفهوم"

أنهى بعدها الاتصال ثم وقف وأوقفها معه فقلت " أين تأخذها"

قال بحزم " للمستشفى طبعا لأرى إن كان غيره سيزور مكتبي"

وهو يقصدني أنا بالتأكيد ، قال بعدها ناظرا لها

" أين عباةتك وحجابك"

قالت بصوت ضعيف " في حقيبتني"

أجلسها على السرير وتوجه لحقيبتها فتحها وفتش فيها حتى

أخرجهما وعاد لها فقلت " جابر إن"

قاطعني بحدة وهو يمدهم لها " اشترى حياتك مني

يا رضا واصمت"

تأففت ولذت بالصمت وساعدها هوا لتلبسهما وخرج بها

فتبعتهما حتى الأسفل وركبت سيارتي وتبعته سيارته

*

*

غادرت بها من شقتهم في صمت من كلينا سوا دموعها التي

تعصر بها قلبي عصرا وتمزقه ، أين كنت عنك كل هذا يا زهور

أركض خلف الجرائم وأخذ بحقوق الناس وشقيقتي نصف إنسانة

جسد بلا روح بل ومشوه أيضا وأنا أضنها عزلة مطلقة هروبا

من كلام الناس ، ما هذا اليوم الذي يهد الجبل ابنتي التي بين

الحياة والموت هناك وشقيقتي التي ظهرت لي بحقيقة قسمت

بها ظهري لنصفين ، توجهت بها فورا لمستشفى خاص معين

بل قاصدا طبيبا بعينه ما أن اتصلت به ترك نومه ومنزله

وسبقني للمستشفى ، أقسم إن كان ما في عقلي حدث لك يا

زهور أن يفقد ذاك الإمعة رجولته وعلى يدي وليريني كيف
سيعيش حياته وحسابي مع رضا لن يقل عنه ، أوقفت السيارة
في موقف المستشفى فخرجت زهور حينها من صمتها وقالت
بصوت مرتجف ضعيف " أقسم أنني لم أضيع شرفي وشرفكم

يا جابر فأرأف بي يا شقيقي يكفيني ما رأيت من تعذيبا"

شددتها لحظني وقلت " تنقطع يدي قبل أن تمتد على أنثى مثلك
يا زهور كيف وهي شقيقتي التي أعرف كيف تكون ولست هنا
لأتأكد من صدق كلام رضا وحقيقة ما حدث وحتى إن فرضنا
ذلك فهو الملام وليس أنتي فأنا أعرف أي ظروف تربيتي فيها
وبإمكانه أن يستغل ذلك ليحولك لضحية انزلي معي فهناك طبيب
هنا عليه التأكد من أمر ما وذاك الحثالة زوجك السابق حسابه

سيكون معي عسيرا ويزوق ما أذاقك لن ينقص من ذلك

شيء وحتى سنوات سجنك لنفسك"

تمسكت بي أكثر وقالت بنحيب " أضاعوني يا جابر

ودمروا حياتي ومستقبلي"

شددتها لي بقوة وأشعر بألم وحسرة لم أشعر بها حياتي فكلامها
هذا يزيد من شكوكي أكثر ، قبلت رأسها وقلت " سأؤكد بنفسني

ولن ينجوا مني كليهما إن صدق كلامك وظنوني فاتركينا ننزل

فالطبيب ترك نومه ينتظرنا"

نزلت تتبطني في صمت ودخلنا لقسمه مباشرة لتأخذها الممرضة

لإحدى الحجرات وأغلقت الباب خلفهم وجلست أنا أمامه وقلت

"أريد أن أعرف أين وصلت التشوهات في جسدها وهل أفقدتها

شيئا كائني وفقدت أمومتها أو لا وما يمكن إصلاحه بعمليات

التجميل لكل الآثار في جسدها ولا تفكر في أتعابك فقط أريد

خبرة هذا الشعر الأبيض"

قال مبتسما " ألا تثق في هذا العجوز الذي أمامك بعد"

قلت بجدية " أريدها أن ترجع كما كانت حورية بين

النساء وفي نظر نفسها قبل غيرها"

وقف وقال " ثق بأني سأفعل ما في وسعي ودعني

أكشف عليها ونرى"

وقفت وقلت " لا أريد أن تدون عنها شيئا ولا معلومة

بسيطة أي وكأن هذه الحالة لم تدخل لك"

هز رأسه بحسنا وقال " كن مطمئنا"

خرجت بعدها ووجدت رضا في الممر فاقترب مني وكان
سيتحدث فأشرت له بسبابتي على شفأتي أن يسكت وقلت بحزم
"لا أريد أن أسمع صوتك يا رضا واشتري سلامتكم مني وابتعد
أو قطعك بأسناني قبل يداي وأفرغت فيك غضبي من الجميع"
تأفف وابتعد واقفا عند الجدار المقابل لي ووقفت أنا بجانب
باب غرفة الطبيب وبدأ هاتفني يرن دون توقف ولم أستطع أن
أجيب على أحد من البركان المشتعل داخلي ليرن بعدها هاتف
العائلة فأخرجته على الفور وكانت أرجوان فأجبت عليها قائلا
"ماذا بكم"

قالت مباشرة " يريدون دما وفصيلتي ليست كفصيلتها
لا بد أن لك نفس الفصيلة"

نظرت لساعتي وقلت " لا يمكنني المجيء الآن انظروا في
رجالي هناك قد يكون منهم من يحمل نفس الفصيلة
حتى أتمكن من المجيء"

قالت باعتراض " لكن هم لـ....."

قاطعتها بحدة " يكفي لا تشتغلي لي كالمصلح ... لكنها

ابنتك وليس هم ، لا أستطيع المغادرة لكنت أتيت"

قالت بهدوء حزين " لم يكن هذا ما سأقول ، رجالك سيحتاجون

لاختبار لدمهم ولن أسمح أن يعطوها أي دم من أي

شخص أما أنت شيء آخر"

مررت أصابعي في شعري وتنفست بقوة وقلت

"سأتصل بمعصم يأتيكم حالا عمي أين الآن"

قالت مباشرة " نام منذ قليل ولم أحب إزعاجه فهو لم ينم

أبدا وحين طلبوا الدم بداية العملية قال أن زمرة دمه

مختلفة والآن يريدون المزيد"

تأففت وقلت بضيق " ولما يتحدثون معك أنتي ورقمي لديهم

وطلبت منهم مهاتفتي إن أرادوا شيئا ثم ما يريدون بالدم

الآن بعدما انتهت العملية بساعات طويلة"

قالت بغصة عبرة " الممرضة هي من أخبرتني وقالت أنهم

يتصلون بك ولا تجيب"

تنفست بقوة واتكأت برأسي للأعلى وقلت

"سأرى ما يمكن فعله"

ثم أنهيت المكالمة معها وأنزلت رأسي وضغطت بأصابعي

على جبيني ، هل تمسك غضبك عن الجميع لتنفثه بها يا جابر

هل ستجعلها متنفس لغضبك وتترك السبب فقط لأنك مستاء

من نفسك قبلها وطلبها الطلاق أرسلك للجنون ، انفتح باب

الغرفة وخرجت منه الممرضة وقالت " يمكنك الدخول سيدي"

تبعتها وأغلقت الباب خلفنا وتوجهت هي للغرفة التي أدخلت

لها زهور ودخلتها وخرج لي الطبيب وجلس في مكتبه وجلست

أنا أمامه وقلت " ما تقييمك لوضعها"

هز رأسه وقال " ما هذه الوحشية حتى حالات الاغتصاب

الجماعي التي تأتيني ليست هكذا"

قلت بتوجس " أخبرني بالمفيد صدقت ظنوني أم لا"

نظر للورقة أمامه وقال بهدوء " التشوهات بسبب التعذيب

وصلت لمناطق من يراها رأي العين يحكم أنها انتهت لكن الحقيقة

العكس ، الجراحة ستساعد كثير والرحم أيضا يعاني مشاكل بسبب

الضرب الذي وجه له ، أخبرتني المريضة أنها متزوجة الآن وزوجها

لم يلمسها لكن كان سهل عليها اكتشاف أنها طبيعية من بعض المقدمات

كما فهمت منها لكن الصورة المزروعة في دماغها جعلتها تعتقد أن

الجوهر كالظاهر ومعها حق فهذه وحشية حتى الوحوش بريئة منها"

أنزلت رأسي وأغمضت عيني بقوة وتنفست بارتياح ثم

رفعت رأسي ونظرت له وقلت " المهم أنه يمكن إصلاح كل

هذا حتى الخدش الصغير في جسدها أريده أن يختفي"

هز رأسه بحسنا وقال " سنبدأ جلسات العلاج بالأشعة متى ما

أمرتني وهناك جراحتين سنجريهم لها ثم عليكم تحويلها لطبيبة

نسائية لأنها قد تواجه مشاكل في الإنجاب فرحمها متحرك من

مكانه بسبب قوة الضرب عليه والمبايض أيضا متضررة ولم

تحض منذ ذلك الوقت مما زاد فكرة الأمر سوءا على نفسيته

وزاد من أوهامها وكلها مشاكل مع تقدم العلم أصبح

يمكن حلها ولو أخذت وقتا"

وقفت وقلت " أريد أن تجري لها العمليتين أولا فأثار الضرب

ملحوق عليها كما الطبيبة النسائية أيضا وأريد أن نبدأ الأسبوع

القادم سأتدبر أمري وأجد وقتا لهذا وأكون هنا معها"

وقف وقال " إذا على بركة الله وحدد فقط اليوم الذي يناسبك

وسأكتب لها حبوبا تبدأ بأخذها الآن وحتى وقت العملية الأولى"

ضغطت قبضة يدي وقلت بغيض " سحقا للحقير أقسم أن

أمسح بوجهه الأرض"

تنهد وقال " لو طلّت من فعل هذا فلا ترحمه لأنه

لم يرحمها بكل ما تعني الكلمة"

نظرت جهة زهور الخارجة من الغرفة تلف حجابها وقلت

"لن يمسكني عنه إلا موتي وأسأل الله أن أعيش لأجل

هذا فقط وبعدها فلأمت لا يهم"

ثم توجهت نحوها فأسرعت لحظني وارتمت فيه تبكي فضممتها

بذراعي لصدري وقلت بهمس " أنتي بخير يا زهور وامرأة

كاملة لا ينقصك شيء كلها عملتان بسيطتان وجلسات علاج

وستعودين كما كنتي والبقية ستتولاه الطبيبة النسائية وذاك

الصعلوك غدا سيكون هنا عندي وسأريك فيه عجائب قدرتي"

قالت ببيكاء " هل حقا لم يحدث لي شيء لا تكذبوا علي"

قال الطبيب من خلفي " تأكدي من ذلك سيده زهور وإجاباتك

عن أسئلتني أكدت لك ذلك دون دليل فوحدها تكفي"

أبعدتها عن حضني ومسحت لها دموعها وقلت " الباقي كله

تشوهات تزيلها عمليات التجميل ومشاكل ال'نحاب حلها سهل

لدى المتخصصين بذلك أنتي طبيعية يا زهور ولا تشتكي

من شيء لبيتك فقط حكيت لي منذ ذاك الوقت"

أنزلت رأسها وقالت بحزن " ماذا كنت سأقول لك"

تهددت بقلة حيلة واستسلام بالفعل ماذا كانت ستقول لي وأنا

رجل ولا امرأة سوا والدتي التي بنت الحواجز بينها وبين

زهور وحتى صديقات لم يكن لديها ، وضعت ذراي على

كتفها وخرجت بها من عنده وسلكننا الممر مجتازان لرضا

الواقف هناك وتحرك من مكانه قائلا " جابر"

وقفت وقلت " لا حاجة لك بها وستطلقها فلا أنت أو هوا كفؤ

لها ورحمتك من يدي فقط لأن الطبيب طمئنني عليها وأملكك

التي أخذتها منك في العقد سترجع لك وانتهى كل شيء"

نظر لها وهي كانت رأسها للأرض وقال " لكني أريدها

هي لا ثروتي ولا أي شيء ومهما قال الطبيب"

تابعت طريقنا وقلت " إذا زهور من تقرر وليس الآن طبعاً

وغدا موعدا عند كاتب العقود لنعيد لك أملاكك"

خرجنا لموقف السيارات ووقنا عند سيارتي وقلت

" هل نذهب للقصر أم لمنزلي هنا في العاصمة"

نظرت لي وقالت باستغراب " منزلك هنا " !!

فتحت لها الباب وقلت " نعم منزل ومركز شرطة في آن واحد

وسيعجبك هيا اركبي أعلم أنك لا تريدين العودة للقصر حاليا'

كانت ستركبها لولا أوقفها الصوت المنادي لها " زهور"

فالتفتنا له كلينا فقال ناظرا لها " لن أطلقك يا زهور حتى تطلبي

أنتي ذلك ولا أريد مما أعطيتك شيئا لأنني سأترك البلاد لكن

تأكدي من شيء واحد أني راض بك ولو نصف امرأة

وحتى الأبناء لا أريدهم"

ركبت السيارة في صمت ولم تعلق بشيء على كلامه فنظر

لي وقال " لا تحرمني منها يا جابر فأنت لم تجرب

معنى الحرمان"

قلت متوجها جهة بابي " أخبرتك أنها من سيقرر

وأنا وأنت ننفذ ورغما عنك"

ثم أخرجت هاتفي وابتعدت قليلا واتصلت بسما فأجابت

سريعا فقلت " آسف أيقظتك من نومك لكن شقيقتي ستكون

معك هناك هذه الفترة وكل شيء كما اتفقتنا عليه حسنا"

قالت باختصار " حسنا"

فأنهيت المكالمة معها وعدت جهة السيارة وركبت وغادرنا
ورضا واقف مكانه ، أعلم ما يشعر به الآن لكنه السبب فيه فكل
ما مرت به شقيقتي هوا سببه الأساسي فلو أنه تحدث منذ البداية
ما وصلنا لهذه النقطة ، قلت ونحن نقتررب من المنزل " زهور

هناك شينان في منزلي عليك معرفتهما قبل أن نصل"

نظرت لي باستغراب فعدت بنظري للطريق وقلت " رجالي

ينتشرون في طابقه الأرضي فلا تنزلي له أبدا وفي الأعلى

ستكون معك ساكنة أخرى تشاركنا الطابق"

قالت بعد صمت " ساكنة تشاركنا تقصد امرأة تسكن معك"

قلت بهدوء ونحن نجتاز الباب الخلفي له ونقف

"نعم جيهان زوجتي"

شهقت بقوة واضعة يدها على فمها وقالت بصدمة

"تزوجت على أرجوان"

فتحت باب السيارة ونزلت منها قائلا " نعم ولا

تسأليني لما فعلت ذلك"

أوصلتها للغرفة التي كانت فيها سما سابقا ووقفت عند الباب

وقالت " جابر أرجوان لا تستحق منك هذا ، يومها اتصلت
بي تسأل إن كنت تتصل بي لتطمئن عليك ، لا تدمر زواجكما
فلن تكون هناك واحدة أفضل منها"

قلت بابتسامة جانبية " وما بكم كلكم معها ضدي

أنا شقيقكم وليس هي"

قالت بابتسامة حزينة " لأن هذا يذبح المرأة وليس يجرحها

فقط كنت أخبرتها على الأقل"

قلت مغادرا " ظروفني اضطررتي لهذا تصبحين على خير"

كان هناك الكثير أريد التحدث معها فيه يخص ماضيها الذي

ظهر حديثا لكن وقت الفجر بات يقترب وعليها أن ترتاح

وعليا أن أصلي وأذهب للمستشفى ، نزلت السلالم وقلت

للووقف أمامي " أصبح اثنتان في عهدتك وقت غيابي

يا عقيد سالم"

قال مبتسما " هل تزوجت الثالثة"

ضحكنا معا وقلت مغادرا " استعدوا الليلة"

قال أحدهم بصوت مرتفع " موعدنا معهم الليلة إذا"

قلت وأنا أفتح الباب " نعم فالرجال يراقبون المكان منذ

أيام فاستعدوا لاقتحامه ولزيارة منزل شاهدنا الجديد فجرا"

ذهبت بعدها للمسجد ووصلت على الأذان صليت الفجر

وغادرت فورا للمستشفى ودخلت حجرة الطبيب ليقف لي

مباشرة وقال " استقرت حالتها بسرعة وهذا مؤشر جيد

اتصلنا بك كثيرا ولم تجب لنعلمك بهذا وأنها تحتاج دما"

قلت " هل أستطيع الدخول لها"

تحرك من خلف مكتبه قائلا " لدقائق فقط وباللباس

المعقم ولن ندخل غيرك طبعا"

لبست بعدها ما قال وتوجهنا لغرفتها كانا معتصم وعمي

منصور لازالا يقفان مع رجالي هناك فدخلت غرفتها مباشرة

من أجل التعقيم وأغلقت الباب خلفي واقتربت من سريرها

وجثوت على الأرض عند رأسها وقبلت جبينها الصغير وقلت

بهمس " سامحيني يا ترف سامحيني يا بنتي كنتم ضحية عملي

أعدك أن أتلاك الشرطة وما فيها فقط تنتهي هذه القضية ولن

تكونوا ضحايا لميتين القلوب مجددا فيكفي ما خسرت"

أمسكت بعدها بيدها الصغيرة بين يداي أنظر بحزن لملامحها

البريئة النائمة الهائمة في سواد قاتم لا ترى غيره ثم قربتها

من شفاتي وقبلتها وقلت " عودي لنا سريعا يا قلب والديك

يكفي السنين التي خسرتكم فيها"

ثم أعدتها لها بجانب جسدها كما كانت وخرجت من الغرفة

وأزلت ما كنت أرتدي واقترب مني عمي منصور وقال

"زوجتك في الغرفة حتى الآن اطمئن عليها أيضا فصحتها

تبدوا سيئة وتكابر فقط وأقنعها لترجع للقصر بعدما

استقرت حالة ترف"

نظرت لباب الغرفة الموصد ثم له وقلت " وأنت عد لمنزلك

لترتاح بل أرى أن تجتمعوا في القصر جميعكم وتتبادلوا أنت

ومعتصم البقاء هنا حتى تتحسن حالتها قليلا ، لو كان بإمكانني

البقاء بقربها طوال الوقت لبقيت لكن الأمور لدي هناك تزداد

حسما وعلياً أن أكون مع رجالي"

تنهد وقال " كل ما تريده سنفعله سأنقل زوجتي وأبنائي للقصر

أنت فقط تحدث مع زوجتك بدلا من هذا الجفاء الذي بينكما"

نظرت له باستغراب فقال " لا يحتاج الأمر ليشرح لي أحد

وزوجتك لم تخبرني بشيء رأيتك كيف تصرخ بها وأرى كيف

تتجنب هي الخروج من الغرفة كلما كنت هنا ، أعرفك عاقل

دائما يا جابر فلا تترك للشيطان مدخلا بينكما"

تنهدت بقوة وأمسكت كتفه وقلت " المهم تعود بها الآن

للقصر وتجمعوا فيه جميعكم لأضمن حمايتكم"

ثم تركته وتوجهت للغرفة الأقرب لغرفة ترف وفتحت

بابها ببطء

*

*

انفتح الباب وقفزت واقفة لأن الذي دخل لم يطرقه وأنا كنت

مضجعة على السرير فلم يعد بإمكانني الجلوس طويلا خصوصا

بعدهما زرت الطبيبة هنا فجرا وأجرت لي اختبار حمل وتبنت

شكوكي ونصحتني كثيرا بالراحة خصوصا بعد التعب هذان

اليومان ، بقيت أنظر بتوجس للباب الذي فتح ولم يدخل منه

أحد ليظهر لي جابر من خلفه وقد خطى خطوتين للداخل ثم

أغلقه خلفه فشعرت بمشاعر لا أعرف ما أقول عنها لكن أول

ما خرج مني أن قلت " قل أنها بخير ولم تمت"

قال بهدوء " هي بخير وحالتها مستقرة كما تعلمي"

قلت مباشرة " وأنت تبدو مرهقا حد الانهيار"

أبعد وجهه ونظره عني وقال " عودي للقصر مع

عمي منصور سيكون أفضل"

بقيت عيناى معلقتان في ملامحه وهوا يشيح بوجهه عني هكذا

هل كل هذا عتاب ولوم يا جابر لما يحق لك وحدك هذا ما ذنبي

أنا وكيف كنت سأقدر ظروفك وأنا لا أعلم عنها ، اقتربت منه

حتى وقفت أمامه وقلت " وأنت متى ستعود لمنزلك"

نظر لي مباشرة ثم قال بابتسامة جانبية " منزلي أنا فيه الآن يا أرجوان"

أنزلت نظري للأسفل وقلت بابتسامة حزينة مقهورة " تعيد كلامي

إذا ، فلا تنسى أنك لم تعترف به منزلا لي وأعدتني للقصر"

وصلني صوته قانلا " وطلبتني الطلاق أيضا وتصرين عليه

وظهر أن حياتك من دوني تساوي يا أرجوان"

رفعت نظري له بسرعة وتعلقت عيناى في بعضهما وقلت

بدمعة محبوسة " أرجع لنتفاهم على كل ما تريد ويكفيك

معاقبة لي فقد اكتفيت"

ابتعد وأمسك مقبض الباب وقال وهوا يفتحه " عودي للقصر

مع عمي لا أريد أن يتأذى المزيد منكم"

وكان سيغادر لكني أمسكت يده حتى وقف ونظر لي فقلت

بهمس وعياني في عينيه " سأنتظرك الليلة ولن أنام"

ثم تركت يده وتوجهت جهة السرير لآخذ حدائي وهاتفي وسمعت

خطواته وهو يخرج دون أن يضيف شيئا ، عدلت حجابي وخرجت

من الغرفة وأغلقتها ونظرت يمينا فكان جابر يقف مع رجاله موليا

ظهره لي يكلمهم والجميع منتبه له بتركيز يد في جيب سترته

والأخرى يمسح بها مؤخرة رأسه تتخلل أصابعها في شعره

الحريري الكثيف يفرض على الجميع الانتباه له حتى وإن كان

لا يسمعه ، شخصية تراها عن بعد بشكل مختلف من الاقتراب

منها وصدقوا الذين أطلقوا عليه في مواقع التواصل (الرجل

الذي لم تعفه الرجولة)

" هل نغادر يا أرجوان"

نظرت للجانب الآخر حيث عمه وهزرت له رأسي بحسنا

وغادرنا في الاتجاه الآخر تاركة قلبان لي ورائي أحدهما

يصارع المرض والموت والآخر يصارع الموت والمجهول

ولا أعلم من سيرجع لي منهما أو سأخسر المزيد

غادرنا المستشفى في صمت ورجال لجابر أوصلونا حتى

القصر ولم يغادروا إلا بعد نزولنا ، قال عمه ما أن دخلنا

"سأذهب لجلب عائلتي هنا وسنبقى جميعنا معا فهكذا طلب

جابر لأكون أنا ومعتصم أحدنا في المستشفى والآخر هنا مع

البقية وكما اتفقنا يا أرجوان ترف مريضة ومحمومة فقط"

هزرت رأسي بحسنا دون كلام وتوجهت للسلام وصعدت

للأعلى ولجناحي فورا وأول ما فتحت الباب توجهها أمجد

وبيسان نحوي راكضان فنزلت لهما وحضنتهما بقوة وقلت

"توقفا عن البكاء هي بخير وستخرج قريبا"

لكن بكائهما لم يتوقف وقال أمجد " سأعطيها اللعبة

متى تريد فقط ترجع لنا"

أبعدهما عن حضني ومسحت دموعه وقلت " أمجد بني

أنت رجل وتأخذ مكان والدك والرجل لا يبكي هكذا"

مسح دموعه بسرعة وابتسمت بحزن على سعادته بكلامي ثم

مسحت دموع بيسان وقلت " يكفي بكاء ولا تخبرا أحد عما حدث

كما اتفقنا فعائلة عمكم منصور سيأتون للبقاء معنا هنا وسنقول

للجميع أن ترف لديها حمى شديدة لذلك هي في المستشفى

فوالدكما طلب أن نقول هذا مفهوم"

هزوا رؤوسهم بحسنا وأخرجتهما لغرفتيهما وقلت لسيلا

"نظفي جناحي وعطريه جيدا سأكون مع سعاد وأبنائها لباقي

النهار وأريد الجناح كما أعرفه سابقا وأثق بك"

هزت رأسها بحسنا وغادرت في الفور ونزلت أنا للأسفل وطلبت

من الخادمت أن يجهزوا لعم جابر وعائلته غرفا لهم في الطابق

الثاني حيث جناح زهور سابقا وغرفة أمجد ومعتصم فذاك الطابق

غرفه الأكثر حيث أن الطابق الأرضي لا غرف به

وقضيت باقي يومي معهم بين أبنائهم الصغار وأبنائي وأتبادل

الأحاديث مع بتول وسعاد رغم أن قلبي وعقلي هناك مع ترف

وأخرج كل حين لأتصل بمعتصم وأطمئن عليها وأحاول جهدي

أن أكون طبيعية أمامهم حتى حل الليل وذهبت لجناحي استحممت

وجففت شعري ولبست فستانا أنيقا ووضعت ماكياجا وجلست أنتظر

الغائب الذي أمني في قدومه أقل من عدمه بكثير لكن قلبي كان يقول

لي (قد يخون توقعاتك ويأتي) حتى مر الليل والساعة تلتحق الأخرى

ولا أمل يبدوا من قدومه فاتكأت برأسي على ظهر السرير ومررت
يدي أسفل بطني ببطء ، يبدوا لا أمل أن نخبر والدك عنك الليلة
بل يبدوا أنه لن يعلم بك أبدا فوالدتك آخر اهتماماته ، نظرت للساعة
على الجدار فكانت تشير للرابعة ولا شيء سوا الوحدة هنا وتصورات
في عقلي عن مجيئه وما سيحدث وكيف سيستقبل خبر طفله ولا شيء

مما يدور في مخيلتي حقيقة ، نظرت للجانب الآخر ومسحت دمعة

نزلت من طرف عيني وقلت بابتسامة حزينة

"لا تفسدي ماكياجي حتى يره أولا"

لتلحقها الأخرى والثالثة ووقفت على طولي حين دار مقبض

الباب ببطء ثم انفتح

نهاية الفصل

الفصل الواحد و الثلاثون

دخلت مي وكل كلامها إصرار على رأيها ولا ألومها

من ترضى أن تعيش مع رجل زوج وليس بزواج ، له

زوجة غيرها تأخذ حقها وحق نفسها منه وهي لا دور

لها سوا إلقاء اللوم عليها في كل شيء واعتبار وجودها

السبب في أي شيء يحدث من مشاكل ووسن لمرضاها

الدائم وحتى وليد لازال ينتظر وعودي بالحديث معها

وها هي النتيجة سمعت حديثنا ولا نفع من إخفاء ما حدث

عنها ، رن هاتفي فنظرت للمتصل فكان وليد فلم أقدر أن

أجيب عليه ولم أعرف ما أقول له وهو من ينتظر مكالمتي

بعدما سأحدث معها ، عاود الاتصال مرارا وتكرارا

فأجبت وقلت مباشرة " أنا عند الساحة تعال لي هنا"

ثم أغلقت الخط وأعدت هاتفي لجيبي ووصل هوا

عندي بعد قليل ووقف أمامي وقال " ماذا حدث معك

فقد اتفقت يومها مع عمها وعاصم وقالوا القرار لها"

قلت من فوري " لأجل ذلك إذا اختفيت يوما كاملا"

أبعد نظره عني وقال " كان عليا حسم الأمر معهم أولا"

قلت بهدوء " مي سمعت كل حديثنا يومها"

نظر لي بصدمة وقال " أي حديث!! "

تنهدت وقلت " الحديث الذي دار بيننا في المكتب

عن حادث اغتصابها"

قال بصدمة " سمعت كل شيء!! "

هزرت رأسي وقلت " تقريبا وخمنت أنه أنت

من أخرجها يومها"

قال بعد صمت " وماذا عن ما اتفقنا عليه هل حدثتها عنه

فأنت من اشترط أن تكلمها أو لا"

نظرت للأسفل وقلت " رفضت الزواج بالكلية"

قال من فوره " لما وهي كانت تريدني"

رفعت نظري له وقلت " ليس سهلا عليها أن تعلم بكل ذلك

وأنك السبب مهما كانت أسبابك وهي تصر على ترك المزرعة

من قبل أن ينتهي العام ونحن الآن نعبر الشهر التاسع منه وها

هي اختارت الابتعاد بطلاق أو بدونه وبدون زواج"

قال بضيق " كيف هذا يا نواس كيف تبقى معلقة فالشروط

تقضي بزواج غيرك لتطلقها"

أبعدت نظري عنه وقلت " لا يبدوا لي مي من النوع الذي

يرضى بالعيش على الجراح يا وليد"

قال باستغراب " ما معنى كلامك هذا!! "

نزلت بنظري للأرض وقلت بحزن " أعني أن الجرح سيبقى

حائلا بينكما مهما تغاضيتما عنه ومن ناحية مي خصوصا ستبقى

ترى نفسها ناقصة في نظرك بسبب اغتصابها لأنك تعلم وستبقى

تذكرك دائما أنك السبب أي أن اجتياز الجراح أمر صعب

جدا يا صديقي"

ثم رفعت نظري له وهو ينظر لي بحيرة وقلت بسخرية " حتى

أنا ووسن رغم كل ذلك الحب الذي دام لسنوات وبقي حتى الآن

لازلنا نعاني ضغط جراحنا جرحي القديم منها وجرحها الحديث

مني وكلما تشابكت الخيوط تذكر أهدنا وذكر الآخر بجرحه منه

ليفتح له الثاني دفتره أيضا ومي إن كانت كما أعرفها فلن ترضى

هكذا حياة خصوصا وهي تشهد تجربتي ووسن أمام عينيها"

هز رأسه وقال " لو لم تكن صديقي لقلت أنك تكرهني ما كل

هذا التشاؤم يا نواس وأنا من علقت آمالي عليك في إقناعها

بي وبنسيان الماضي وتجاوزة"

تنهدت وقلت " حاولت جهدي ولن أقول لك غير حاول ولا تيأس

لكن ضع جميع الاحتمالات نصب عينيك فالحياة كل شيء فيها

متوقع وأنا لن أترك مي دون زواج منك أو من غيرك"

تركني حينها دون أن يضيف شيئا وغادر وابتعد خلف الظلام
أعلم أنني قسوت عليه لكن عليه أن يعلم الحقيقة ويتوقعها فمي
تقرأ المستقبل بعين الحاضر وتعلم جيدا أن الماضي لن يتركهما
وشأنهما وهذا كان واضحا جدا من كلامها ، إن كنا أنا ووسن
لازلنا نصارع جراح الماضي حتى الآن فكيف سيكون الحال
معهما ولست ألومها ولا ألومه فالحب أمر مجهد حد الوجع
والجرح موجه حد الإجهاد وفي هذه المعادلة ينجح الجرح
أغلب الأحيان ، دخلت المنزل وتوجهت من فوري لغرفة وسن
بعدها حُسم الأمر مع مي فعصام هوا من سيستأجر منزلا لهما
ولن ترجع لإخوتها ورغم أنف الجميع ، هوا فقط يريد أن يرتب
أموره لبعض الوقت وبنهاية العام سأطلقها لأنه وعدني بإقناعها
بالزواج من أي كان وأنا طبعا من سأختار ذاك الزوج لها وليد
أو غيره فلا أريد أن تكون لأي رجل كان يظلمها فوق ما رأت
من ظلم ، وصلت باب غرفة وسن وفتحته لأفاجأ به مغلق من
الداخل جربت كثيرا وبلا فائدة طرقت ولم تجب فطرقت مجددا
وقلت " وسن افتحي الباب لما تغلقه على نفسك"
والنتيجة واحدة فصعدت للأعلى وجلبت المفتاح الآخر وفتحته

لأفاجأ بها تجمع أغراضها في حقيبتها فوقفت مصدوما مما أرى
أمامي وهي تخرج ثيابها بعشوائية وترميهم فيها وتمسح دموعها
بقوة وقهر وتتجاهلني تماما ولم تنظر جهتي ولا مجرد النظر فتوجهت
نحوها وأمسكت يدها وأخذت منها الثياب التي فيها ورميتها في
الخرانة وقلت بحدة " وسن هل جننتي ما هذا الذي تفعلينه"
سحبت يدها مني بقوة وقالت بغضب " نعم جننت جننت
يوم صدقت أكاذيبك يا نواس"
ثم أشارت لنفسها وقالت ودموعها عادت للنزول " تكذب علي
وتمثل أيضا وأنا من غبائي صدقتك ، نهايتها تشفق عليا يا نواس
يا ابن خالتي يا قطعة من هذه التي أمامك"
قلت بصدمة " ما معنى هذا يا وسن ما تعني بكلامك"
ابتسمت ابتسامة ساخرة خرجت معها ضحكة متألمة بحرقة
وقالت بأسى " تطلب منها أن تتنازل وتستحملني لأنك لست
بأقل منها ودست على جرحك مخافة أن أصاب بالسرطان
وأموت ، آخر ما توقعته أن تكون بهذا الانحطاط يا نواس"
أمسكت ذراعها وهزرتها وقلت بحدة " توقفي عن إهانتني هكذا

يا وسن هل لأنني أخاف على صحتك أكون منحطاً لأنني أحبك

وأدريك كي لا أفقدك تنزليني لهذه الدرجة"

قالت بسخرية " وتعترف أيضاً تخاف على صحتي وتراعيني

من أجل ذلك هل أصبحت بهذا الوضع المزري لتشفق

علياً أنت وزوجتك"

تركت يدها بقوة وقلت بغضب " يكفي تفوها بالحماقات يا

وسن من أين يرسل عقلك هذه الأفكار"

عادت لإخراج أغراضها وقالت " من الجنون طبعاً ألا تخشى

أن أجن أيضاً وأنا من غبائي أضنك تحبني حقاً وأن كل

كلامك ذاك حقيقة وهو تمثيل"

أخذت منها الثياب مجدداً ورميتهم على الأرض وقلت بغضب

"يكفي جنون فلا خروج لك من هنا تفهمي"

قالت بغضب أشد " بل سأخرج إن اليوم أو الغد ولن أرجع لك ولو

حفيت هذا إن فكرت في أن تحفى من أجلي فلتبقى لها وحدها من

تهمك وتراعي مشاعرها كثيراً سحقا لكم معشر الرجال قلوبكم صوان"

قلت بصراخ غاضب " هل أنا من أصبح الملام الآن لما لا تري

أن كل هذا من أجلك أنتي فما سيجبرني على أن أدوس جرحي

وأنسى ما فعلته وأخاف على صحتك هل هوا الانتقام أيضا"

قالت بحدة " نعم تمن عليا بذلك وتتججح بأنك دست على جرحك

من أجلي لا يسمعك أحد ويضن أني ارتكبت جرما لو كنت جدار

لرأفت لترجي لك ونسيت لكنك حقود وبقلب أسود يا نواس لم ولن

تنسى مهما حدث واسمعهها مني يا ابن خالتي مثلما لم تنسى فلن

أنسى لأنك جرحتي كما جرحتك يوم تزوجت بها وتركتني ولا

مجال لأسامحك كما فعلت اليوم وكنت سأرضى بالعيش مع واقعك

لأنك لا تستحق لا حبي ولا تضحيتي ولا شيء لأنك أجوف

من الداخل تسيرك مصالحك"

شددتها من ذراعها بقوة وسرت بها نحو السرير ورميها عليه

فانقلبت للجانب الآخر وأمسكت معدتها فقلت بغضب

" هل ارتحت الآن هذا فقط لتعلمي أنك الملام الوحيد في كل

هذا أنتي سبب أوجاعك وستنتهين على يديك أنتي"

قالت بتألم وهي تخفي وجهها عني وتمسك خصرها بقوة

"أخرج واتركني يا نواس لم اعد أريد رؤيتك ولا سماع

صوتك ولا شفقتك علي أخرج من حياتي أكرهك تفهم"

فخرجت حينها ضاربا باب الغرفة بقوة وهذه كانت النتيجة لأننا
تجاهلنا الجراح ولم نشفيها ضننا أنه يمكننا تجاوزها وهي تنزف
لكن الأمر لن ينجح بالطبع ، هي سمعت جزء من حديثنا على ما
يبدوا وربط عقلها الأحداث كما يريد وظهرت وسن الحاقدة من
جديد التي ظننت أنها ماتت مع نواس المجروح لكنهما وعلى ما
يبدوا لازالا على قيد الحياة وسيقفان بيننا للأبد ، توجهت لمكتبي
وقضيت ليلتي هناك ليلة لم تشرق عليها شمس الصباح وكلما
اقتربت من غرفتها سمعت صوت تقينها يصل للباب وها قد عدنا
لنقطة البداية ، لو فقط ترحم نفسها ولو بالمسكنات لكنها لا تتغير
تهوى تعذيب نفسها وتعذيبي ويبدوا أنها كمن يريد الانتحار لتموت
بالبطيء وهي باتت متأكدة أن في هذا موتها
ومر بعدها باقي الأسبوع لم أرها فيه قط ولا أسمع أخبارها سوا
من سائقها أنها تذهب للجامعة فاختباراتها هذا الأسبوع ومن راضية
التي تأخذ لها الطعام وهي ترفضه أغلب الأحيان وثيابها لازالت
في حقيبتها حتى الآن لا أعلم ما يخبرها عقلها وأين تريد الذهاب
كان الوقت ليلا والليل مقمرا وأنا أفق مكاني الذي أصبح كالإدمان
وهوا ساحة الخيول وكأنه بات يذكرني بشيء آخر كان لي وضاع

مني وما أكثر ما أخسر في هذه الحياة ، رن هاتفي ونظرت للمتصل

فكان جواد فتجاهلته لأنه لا مزاج لي لأحد لكن إصراره جعلني

أجيب عليه فقال مباشرة " وأخيرا ... كل يوم أقول قد يكون

مشغولا والنتيجة تتهرب مني"

قلت بهدوء " كيف حالكم"

قال بضيق " كيف حالنا برأيك فرح كانت ولادتها منذ يومين

ولا أحد منكما يجيب أنت وزوجتك لأخبركما ولا أسمع حتى

صوتك في غربتي هذه وظروفي تلك"

قلت " حمدا لله على سلامتها المهم أنها وابنتك بخير ماذا

سيفعل لك اتصالنا"

قال مباشرة " ما بكما ستتكلم الآن يا نواس"

قلت بحيرة " ومن أين علمت أن بنا شيئا"

تنهد وقال " من وسن طبعا اتصلت بفرح في ليلة لا يعلمها غير

الله وسمعتُ صوتها ونحيبها بأذني وهي تترجانا لنعود هناك

ونأخذها معنا ، نواس لا أريد أن نخسرها وأخسر زوجتي

فولادتها تعسرت وجاءت قبل موعدها بأيام بسبب ذلك"

قلت بضيق " عجزت معها يا أخي فعلت كل ما أقدر عليه

وهي لا تختار سوا أن تتألم حتى تنتهي أرحموني أيضا

أنا في النهاية بشر لما وحدي الملام"

قال بهدوء " سأوقف دراستي وسنرجع"

قلت بصدمة " ماذا تقول" !!

قال " ما سمعت أنا لست على استعداد لأخسر ابنة خالتي

وزوجتي في آن واحد ففرح لن ترتاح أعرفها تعذب نفسها

حتى تنتهي نهاية وسن بل سينتهي زواجنا بالطلاق على هذا

الحال ووسن إن بقيت هكذا سنتقهقر حالتها أكثر ونندم وقت

لا ينفع الندم ، بقي لي مادتان ثم سأكمل جميع إجراءاتي ونرجع

ونأخذها معنا ، على الأقل تستقر أموركما وتجدا حلا لكما

بعيدين عن بعض"

قلت بضيق " بماذا تهدي يا جواد أين تأخذها هل هي فوضى"

قال بهدوء " فكر في الأمر فهوا الحل الوحيد وفي كل الأحوال

سأوقف دراستي وسنرجع ووسن على علم بذلك ... وداعا"

ثم أنهى الاتصال وتركني أتأفف بغیظ ، لهذا إذا هي تركت

حقيبتها جاهزة تنتظر عودتهما لترحل من هنا ولم يظهر أن

كلامي وحدي تمثيلا بل هي أيضا كل كلامها تبخر وتريد تركي
بسهولة ولم تعطني ولا مجالا لأبرر لها ما سمعت بل ما الذي
لدي لأقوله لها فلا الحقيقة أستطيع قولها ولا الكذب سيجدي لأن
حباله قصيرة دائما ونهايته أسوء من الصدق ، رن هاتفي مجددا
فنظرت للمتصل وكان رقم شقيق معتصم رئيس الشرطة الجنائية
فنظرت له باستغراب ظننت أنه نسي كلامه ومقابلته لوسن بل وأنا
نسيت أمره تماما فما قصته معها ، أجبت عليه فقال مباشرة
" سأكون لديكم واثان من رجالي بعد ساعة لا أريد غيرك
وزوجتك تحضرا وحدكما فقط ولا تتسرب أي معلومات
عن الأمر لحمايتها"
قلت بتوجس " ولما تكون في خطر ما القصة"
قال " ستعلم كل شيء في وقته وداعا"
ثم أنهى الاتصال دون أن يوضح ولو شيئا بسيطا وترك اللغز
يزداد تعقيدا فما معنى أن تكون في خطر ومن هذا الذي قتل
والدها وشقيقها ولما ستكون في خطر إن تكلمت ، بقيت مكاني
أصارع الوقت وهو يصارعني حتى رن هاتفي وكان هوا المتصل

وعلمت أنه الضيف المنتظر قد وصل ، اتصلت بالعمال ليفتحوا
له الباب وانتقلت أمام المنزل لاستقباله لحظة دخول سيارة سوداء
مظلمة لا يظهر من بداخلها واقتربت حتى وقفت أمامي وانفتحت
أبوابها الثلاثة ونزل منها ثلاث رجال وعرفته فورا ومن لا يعرفه
ولم يره في الصحف أو التلفاز ، تصافحنا وقال مباشرة " نريد أن

نراها سريعا ونغادر كي لا نحدث شوشرة وشبهة"

هزرت رأسي بحسنا ودخلت وهم يتبعوني حتى أوصلتهم لمكتبي
وتوجهت لغرفتها ووقفت أمام بابها أفكر في هذا الصراع الداخلي
وأصارع الأفكار التي تريد الدخول لي حتى أمسكت مقبض الباب
وأدرته ببطء وفتحته وكانت المرة الأولى أدخلها منذ تلك الليلة فقد
تحولت وسن سجينة لغرفتها في الأسفل ومي سجينة لغرفتها في
الأعلى منذ تحدثت معي ليلتها وكأنها تريد أن تبتعد عنا كي لا تسوء
الأوضاع بيننا بسببها ولا تعلم أنها سينة من دون وجودها ، دخلت
الغرفة فكانت تجلس على مكتبها ولم ترفع نظرها جهتي أبدا ويبدووا

علمت أنه أنا دون أن تنظر للباب ، قلت بهدوء

" هناك من يريد مقابلتك"

لاذت بالصمت لوقت ثم قالت ببرود دون أن تنظر إلي

"لا أريد أن أرى أحدا"

تنهدت وقلت " هذا لا يستطيع أحد رفض طلب مقابلته

حتى أنه لم يطلب أخذ إذنك"

رفعت نظرها بي أخيرا لتعطي عيناى المجال لتروي عطشها مما

حُرمتُ منه لأيام فسحقا للجراح وللكبرياء لما لا تركض لي وترتمي

في حضني وأضمها لصدري بقوة ويُمحى من ذاكرتنا كل شيء كان

متى سنتجاوز الأمان يا وسن بل وكيف ، أبعدتُ نظرها بل ووجهها

عني عندما طال تأملي لها وقالت " ومن يكون هذا"

قلت بجدية " رئيس الشرطة الجنائية جابر حلمي"

وقف من فورها وقالت " جاء أخيرا"

نظرت لها بصدمة وقلت " ما قصتك معه"

تحركت قائلة بجمود " ثلاث أعوام ليتذكروني

تأخروا عني كثيرا"

بقيت جامدا مكاني وهي تجتازني خارجة من أمامي ولم أستطع

ترجمة شيء مما يجري فليفهمني أحدكم ما الحكاية !! يأتي لمقابلتها

وهي تنتظر قدومه من ثلاث أعوام أي وقت وفاة والدها وشقيقها

فلما لم تذهب هي له مادامت تنتظره ، خرجت أتبعها وهي تلف

حجابها ودخلت المكتب وأنا خلفها وجلستُ مقابلة له حيث كان

يجلس على أريكة صالون المكتب ويجواره الرجلين اللذان جاءا

معه ووقفت أنا دون جلوس وقال من فوره بنظرة ثابتة لها

"مؤكد أخبرك زوجك من أكون أم تريدين أن أعرف عن نفسي"

قالت ونظرها لازال للأسفل " لا يحتاج لا أن يخبرني ولا

أن تعرف عن نفسك فأنا أعرفك"

نظر للذي بجانبه وقال " دون كل شيء يا عقيد خليل ولا

تنسى لا تكتب اسمها الآن"

هز ذاك رأسه بحسننا وأخرج دفتره وقلمًا من جيبه وانشغل به

يملاً بعض خانات الورقة الفارغة أمامه وقال

"إن كان ثمة خطأ فصحيحه لي"

ثم بدأ يكتب ويقول " العمر اثنان وعشرون عاما طالبة في كلية

العلوم قسم الأحياء فصيلة الدم آي سالبة متزوجة وليس لديك أبناء

توفي والدك وشقيقك في "

وبدا يسرد لها تفاصيل دقيقة عنها وكلها صحيحة حتى انتهى

وتكلم حينها شقيق معتصم قائلاً " سيدة وسن أنا هنا من

أجل مقتل والدك وأنتي لديك علم بمقتله طبعاً"

هزت رأسها بنعم وأنا أنظر لها بجمود وهذا يؤكد كلامه

جلستُ لأن هذا اللقاء يبدو يحتاج لأرتكز على شيء وقال

"كان حادثاً مدبراً على طريق سببه انزلاق لسيارتهما

عند المنحدر لأنها كانت مطاردة من سيارتين"

قالت بهدوء " مجريات الحادث لا أعرفها ولا أستطيع

توثيقها لكم لكنني أعلم أنه مدبر"

قال " وتعلمين من وراء هذا"

هزت رأسها بنعم وأنا لازلت أنظر لها بصدمة وقالت

"خالد الصقار ومن يعمل لإمرتهم وقد تم تهديده

لأشهر بل وتهديدي معه أيضاً"

نظرت لها ولهم أحاول ترجمة شيء من هذا وقال هوا

"ولما هددوك وبماذا"

قالت ولازالتي كما هي نظرها لم ترفعه بهم أبدا

" هددوني وقت خطبتي بالصقار بل من أول ليلة لها"

قال " لماذا وبماذا"

قالت بهدوء " ليلة حكا لي والدي أن ذاك التاجر يريد الزواج
بي ولم يأخذ موافقتي بعد فزرتة في غرفته وقت الفجر وترجيته
أن لا يفعل ذلك وأني مخطوبة لابن خالتي ولا يجوز أن نفعل هذا
به فلاحظت التوتر والخوف باديا عليه ويطرجاني أن لا العب مع
من هم أكبر مني لكني كنت مصرة واخترت خطيبي حينها وهددته
بأنني سأهرب له وأترك المنزل إن هوا أرغمني عليه أو يخبرني
مما هوا خائف فأخذني لمكتبه واتصل بأحدهم أمامي وكان يصرخ
بوالدي وقال (أقسم إن اطلع أحد على ما بيننا وحتى ابنتك أو علمتُ
أن الأمر قد تسرب ستخسر حياتك على يدي وإن رفضتني

ابنتك ستدفع الثمن غاليا)

قال بهدونه ذاته " وبما هددك"

رفعت حينها رأسها ونظرت لي وقالت بحزن

" هددنا بحياة نواس"

وقفت حينها على طولي أنظر لها بصدمة وهي عادت بنظرها

حيث كان للأرض أمامها وقالت " إما أن أصير خطيبة له تلك

الليلة أو يموت نواس وإما أن أصمت أو يموت والدي بل

وجميع عائلتي سيلحقونه حال تكلمت فاخترت أن يموت داخلي

وحدي أن يموت قلبي وحلمي على أن أفقد الجميع وأولهم

خطيبي وابن خالتي"

قال بنظرة ثابتة " ولما لم تتحدثي بعدما مات والدك"

هزت رأسها بلا وقالت " لم أستطع خفت عليهم خفت أن يؤذوا

أحدا إن زرت مكتبك أو مكتب الشرطة تمنيت أن أدركتم أنتم

الأمر ، جريمة مدبرة وواضحة ماتت تحت الركام انتظرتكم

طويلا وتأخرتم كثيرا حتى ضاع أكثر مما كان"

قال " وها أنتي تحدثت الآن ألا تخشين منهم"

قالت بنبرة ساخرة " لم يبقى الآن شيء أخشى عليه فليتهم يأتوا

ليقتلوني ثم أنا أعلم من وقت قدومك هذا أنكم أدركتم خطورة الأمر

ولا تريدون أن يعلم أحد بأقوالي التي سأقولها لكم"

قال بجدية " نريد أي دليل ملموس لديك أي شيء قد ينفعنا

وإن كان بالنسبة لك ليس ذا أهمية"

وقفت حينها من فورها وخرجت من المكتب مجتازة لي ولم

ترفع ولا نظرها بي فنظرت له وقلت " كيف يكون كل هذا

ولم تخبر عنه أحد ولا حتى أنا"

وقف ووقف رجاله معه وقال " لكي تحميكم طبعاً فإن تكلمت
سيحاربونها بكم بل قد تكون هي أول ضحاياهم خصوصاً أنهم
لا يعلمون أنها على علم بما حدث لوالدها فإن تتكلم يعني أن تضع
الشبهة حول نفسها وسيبدؤون بتهديدها خصوصاً إن كانت

تملك دليلاً ضدهم وهذا هو الظاهر"

دخلت حينها وسن ومدت له بورقة وقالت " هذه صورة

عن الورقة التي قتلوا والدي من أجلها"

أخذها منها وفتحها وقرأ فيها ثم نظر لأحد رجاله وقال بصدمة

"أذن لإدخال ممنوعات وليست مزورة"

لنتحول الصدمة لرجاله وقال أحدهم " شرطة الجمارك

معهم أيضاً !! مصيبة أعظم من سابقتها"

طوى الورقة لأربع ودسها في جيبه وقال " لو كنت أعلم أن

لديك دليلاً كهذا لجنتك منذ وقت وطويل لكننا فعلاً لم نعلم عن

مجرىات ما حدث لوالدك إلا بعد موت الصقار ولم آتيك وقتها

كي لا يشك أحد بالأمر وانتظرت أن يمر على موته وقت فلست

وحدك من خسر أحداً بسببه"

هزت رأسها بحسنا وقالت ونظرها للأرض

"لا يهم فالأمور تساوت عندي"

ثم خرجت من فورها وتوجهت لغرفتها وخرج هوا ورجاله

يتبعونه مغادرين المكان وتركوني جامدا مكاني كأثاث هذا المكتب

كانت تحمينا بل فعلت ما فعلته لحمايتي أنا وافقت عليه وتركنتي

كي لا يقتلوني ، تحملت لومي وجفائي بل واتهاماتي لها كل هذه

السنوات وقتلت نفسها بالصمت وترجي الصفح مني وهي تواصل

تضحيتها كي لا يتأذى أحد وأنا أولهم بينما أنا لم أرحمها فكم قالت

أنه رغما عنها ولا يد لها فيه لكنني ظننتها حجة من أجل إنقاذ والدها

ولم يكن الأمر أموالا كما ظن الجميع لا ديون يريدونها منه ولا شيء

يمكنني توفيره ففي الحكاية مساومة بالأرواح ومنذ أول ليلة طلبها

فيها للزواج ، هزرت رأسي بقوة غير مصدق ولا مستوعب لما

يجري ، كيف هذا يا وسن كيف تحملي كل هذا في قلبك وكنت

ستحملينه لآخر عمرك لو لم يفكر هذا الرجل أن يأتي بهذه

الطريقة التي تضمن لك حماية الجميع بل قالتها بصريح

العبرة (لم يعد يعنيني شيء)

أي حتى إن قتلوها أو قتلوني لأننا البقية المتبقية لهم ، انهزت

جالسا على الأريكة وأمسكت رأسي بيدي وعقلي لحظات ويتوقف

*

*

ما أن طلعت شمس الصباح ورأيت زوجة نواس الثانية خرجت

لجامعتها حتى دخلت لراضية في المطبخ وقلت

"راضية هل تخدميني في أمر"

فالتفتت بسرعة وقالت بفرع " بسم الله ، وليد ما بك أصبحت

كالأشباح تدخل فجأة وتكلمني وأنا غافلة"

قلت بضيق " وكيف تريدني أن أكلمك"

قالت مبتسمة " قل أحم قل يا راضية قل أيتها

الجميلة السارحة"

ضحكت وآخر ما كنت أفكر فيه الضحك ثم قلت

" لا الأخيرة لا تفكري فيها لأنني لن أقولها"

رمت يدها ناحيتي وعادت لما كانت تفعل وقالت ببرود

"إذا أخرج ولا تتحدث معي"

قلت بهدوء " العمال أخبروني أن سيارة سوداء مظلمة مجهولة

دخلت البارحة المزرعة واستقبلها نواس هل لديك علم بها"

نظرت لي وقالت بتوجس " بسم الله ما هذه المواصفات لا

نكون في فيلم بوليسي ولا نعلم"

هزرت رأسي وقلت " يبدووا لا علم لك بشيء واتركينا الآن في

المهم اصعدي لمي في غرفتها وناديتها لي"

نظرت لي ببرود بمعنى هل هي فوضى أم ماذا فتنفست بقوة

وقلت " راضية مي ونواس سينفصلان ومؤكد لا علم لك وأريد

التحدث معها في أمر مهم وإن علمت أنه أنا فلن تنزل

لذلك علينا إيجاد حل"

قالت بصدمة " وصل الأمر لأن ينفصلا"

نظرت لها باستغراب فتنهدت وقالت " حتى الأعمى يلاحظ

أن علاقتهما ليست كزوجين طبيعيين لكني فكرت أنه

بسبب زواجه بأخرى"

نظرت للأرض وقلت " مي طلبت الانفصال منذ البداية وهما

متفقان ومتفاهمان على هذا وإن خرجت مي من هنا لن أتمكن

من التحدث معها فساعديني يا راضية"

قالت بعد صمت " لا أعدك بشيء لكني سأحاول فهي لا

تخرج من غرفتها أبدا ولأبي سبب كان فإن فشلت ورفضت

فلا تلقي باللوم علي"

قلت قبل أن تغادر " إن أخبرتها أنه أنا فلن توافق"

نظرت لي باستغراب وقالت " وما قصدك بهذا نكذب

عليها مثلا"

قلت " لو سينجح الأمر افعليه"

هزت رأسها بلا وقالت " مستحيل ستغضب مني بعدها وأنا لا

أحب أن يحدث ذلك بيننا فانس الفكرة يا وليد"

قلت بالحاح " لن تغضب أنتي فقط أخبريها أن شقيقها يريد

ولن تغضب منك لأنني أنا من طلب منك هذا"

هزت رأسها رافضة وبياصرار فقلت بضيق " والحل الآن"

قالت ببرود " أخبرها الحقيقة طبعاً"

تنهدت وقلت باستسلام " أمري لله وأقنعها بمعرفتك فأعرفك لوحدة"

قالت ضاحكة وهي تخرج من أمامي " لا فبعد زوجة نواس الأخرى

اكتشفت أنني فاشلة في الإقناع والزن أيضا"

ثم غادرت ونظري يتبعها حتى اختفت ووقفت أنتظرها على

نار حتى دخلت المطبخ مجددا وهزت رأسها بقلة حيلة فقلت

"ألم أقل لك أنها سترفض إن أخبرتها أنه أنا"

رفعت كتفها وقالت " رفضت وبياصرار وقالت أنها

ستغضب مني إن أنا تكلمت معها في الأمر ثانيًا"

تأففت وخرجت دون أن أضيف شيئًا وجربت الاتصال بها

مجددا ولا تجيب فأرسلت لها (مي أجيبني هذه المرة فقط

ثم اتصلت بها ولا أمل من كل ذلك بل وأغلقت هاتفها أيضا

*

*

هزرتها من كتفها وقلت " وسن تكلمي على الأقل وأنا أكلّمك

ما بك تحولت لتمثال وهاتي لي حلا لمصيبتني"

قالت ببرود " وما الحل وعقد قرانك اليوم"

قلت ودموعي تصارع للنزول " تعبت من البكاء ومن الصباح

لو أن الجدران تشعر لرحمت حالي أسأل الله أن يصاب ذاك العريس

بشلل نصفي اليوم ويتوقف كل شيء بل أن يموت ويريح البشرية

منه ، وبكل بساطة يرسل لي مع والدي وأخبر خالي ليسألني أين أريد

أن أسكن هنا في العاصمة أم في مدينته لا بارك الله فيه من عريس

ولا زواج ويهتم كثيرا أين سأعيش بل وهل يهم عندي أنا هذا فكلها

جهنم وجحيم ويريد أن تراني والدته المصون هذا ما ينقص أرى

والدة زوجة والدي تلك العقرب التي أنجبت العقربة الصغيرة"

ثم ضربت بيدي على فخذي وقلت بعبرة " سأموت يا وسن سأموت

من ناري المشتعلة بداخلي كيف سأكون وذاك المخيف في مكان

واحد ما هذا الحظ الذي لدي"

مسحت دمعة تسللت من عينيها فحضنتها وقلت ببكاء " سامحيني يا

وسن فهمي جعلني أنسى همومك ليثنا لم نصبح صديقتين لقد

تشاءمت من هذه الصداقة"

قالت بعبرة " لما لا أموت وأرتاح يا ملاك حتى فرح تأخرت

في عودتها أريد أن أخرج من منزلها سوف أفقد عقلي إن بقيت هناك"

أبعدتها عني ومسحت دموعها وقلت " وسن توقفي عن كل هذا وفكري

في صحتك خصوصا بعد الذي علمته لا أريد أن أخسرك فوحدك

من سيدعمني ويشجعني تعيشان للأبد"

حضنتني مجددا وقالت بحزن " سامحيني أنتي أيضا يا ملاك

أفكر في همومي وأنساك ليثه كان بيدي شيء أفعله من أجلك

لكني لست بأقل منك"

قلت ببكاء " لا بارك الله في الحب أتعسونا وقت

امتحاناتنا لو رسبنا فبسببهم"

ثم أبعدتها عني وقلت " توقفي عن البكاء وتعذيب نفسك يا

وسن ولا تنسي صحتك لا تستحمل كل هذا"

وقفت وحملت أوراقها وقالت " علينا أن نركز في مادتنا القادمة

فهي الأصعب بين البقية فليس لنا غير دراستنا نتمسك بها

فنهاية كل واحدة منا الطلاق"

وقفت أيضا وقلت " نعم معك حق فنهايتي كزوجاته السابقات

سيطلقني بلا أدنى تفكير ووقتها لن أرجع لوالدي مهما فعل وسأعمل

بشهادتي وأنفصل عنه هذا إن لم يكن لي وقتها ابن من ذاك المتوحش"

ثم قلت بابتسامة كرتونية " أي أنه قد يكون لنا مستقبل سعيد آخر بعد ذلك"

نظرت للأسفل بحزن فقلت باستياء " أنا لا أحبه أنتي ونواس ما ذنبكما

تصلان للطلاق"

قالت مغادرة " ونواس لا يحبني أيضا فلننا مختلفتين وليس بأقل

من صديقه الذي تخلي عنك"

هزرت رأسي بقلّة حيلة وتبعتها للداخل ، معها حق عليا

أن أفرغ غضبي وطاقتي كلها في دراستي فلا أحد لي غيرها

يتيمة وأبويها لازالا على قيد الحياة ، آه لا أعلم كيف سأركز

وزواجي من ذاك اليوم يا رب أرحمني

أنهيت يومي واختباري على خير وأجبت إجابات مرضية وعدت

للمنزل بعدما وضعنا اللمسات الأخيرة على مشروعنا فهوا يأخذ

أغلب وقتنا ونحتاج لأيام قليلة فقط وسيكون جاهزا ، دخلت المنزل

لأفاجأ بالهدايا الموجودة فيه وإيمان وابنها منسجمان في تفتيشها

وحتى جدتي أمامها هدية مخصصة لها وقفز سفيان قائلا

" عمتي ملاك أنظري ما أحضر لي زوجك "

قلت بصراخ غاضب " ليس زوجي لا تقل زوجك تفهم "

ثم توجهت لغرفتي دخلتها وأغلقت الباب خلفي بقوة وجلست

على الأرض أبكي وها قد حُسم الأمر يا ملاك وأصبحت زوجته

والجميع سعيد بذلك وكأنهم لا يعلمون ما ينتظرنني ثم من أين لذاك

البخيل أن يحضر كل هذه الهدايا فليست عادته ، يا رب خذ روحه

وارحمني منه يا رب أرملة أرحم لي من أن أصير زوجة فعلية

له وحتى من أن أكون طليقته ، رن هاتفي فنظرت للمتصل ووقفت

على طولي حين وجدت اسم والدي هوا المتصل فبلعت ريتي مرارا

وأجبت عليه فقال مباشرة " زوجك مستعجل وسيأخذك في آخر

يوم لك من الامتحانات"

قلت ودموعي تنزل تباعا " لكن ورسالة تخرجي"

قال بحدة " البطيخ رسالتك تنهيا عنده لا مشكلة لديه ، هوا أسبوع

واحد وفي نهايته سيأخذك من هناك أرسلت مهرك لخالك أم

تريدي حفل زفاف وتفاهات ناقصة ككلام والدتك"

قلت بخوف " لا أريد شئ شيئا كل ما تريده سيحدث"

فأغلق الخط حينها في وجهي ، ما هذا الأب المتحجر أين

منظمات حقوق الإنسان لتأخذ بحقي منه

*

*

مرت أيام اختباراتي أخيرا وأنا لا أعرف سوا غرفتي والممر

المؤدي للخارج وحتى نواس لم أراه من ليلة جاء رئيس الجنائية

ذاك اليوم ، أحيانا أسمع صوت خطواته في الممر ليلا ويحاول

أن يفتح باب الغرفة وحين يجده مقفلا من الداخل يغادر رغم أنه

يملك المفتاح ، فرح وجواد سيصلان هذا الأسبوع وسأغادر من
هنا وإن فجرنا المنزل أنا وهوا ولن أبقى يوماً واحداً فليهنأ بزوجته
ولا داعي لأن يضحيا لأجلي ولا يكن حين علم بسبب تركي له
وقبولي بالصقار أتبه ضميره فليأتيني بعذر الآن لزواجه منها

فلن أعذره أبداً كما فعل معي ولن أنساها له

سمعت طرقات متقطعة على باب الغرفة فلم أجب فزاد الإصرار
والطرق فتوجهت للباب وفتحته فكانت راضية وفي يدها صينية
طعام وقالت مباشرة " حلفتك بالله أن تأكلي وترحمي زوجك على
الأقل فقد رأفت لحاله من كثرة ما يطلب مني أن أحاول معك"
أبعدت نظري عنها وقلت ببرود " لا أريد ولا رغبة لي في الأكل"
تنهدت بأسى وقالت " أنظري لوجهك في المرآة شاحب ومصفر
وجسدك زاد نحولا ، تضغطين على نفسك بالدراسة والسجن

هنا وهذا ليس في صالحك"

لم أجب عليها فهزت رأسها بقلّة حيلة وقالت " على الأقل زوري

خروفك وغزالتك وانظري مكانهما وجمالهما ، كيف لا تزوريهما

وأنتي من جلبهم ، بالنسبة لي صرت أزورهما كل يوم من روعتهما"

نظرت لها باستغراب وتذكرت حينها فقط أننا بالفعل أحضرناهما

هنا تلك الليلة حين عدنا من البر ، قلت بهدوء " وأين وضعوهما"

قالت مبتسمة " خصصوا لهما مكانين بجانب إسطلب الوسن

جعل لهما نواس حظيرتين صغيرتين ورائعتين"

ثم دخلت ووضعت صينية الطعام وقالت " تناولي شيئا بسيطا

ولو من أجل دراستك ولا أريد أن أعود وأجدها كما تركتها"

ثم غادرت من فورها وأغلقت الباب خلفها فنظرت للساعة فكانت

السادسة ونصف فتوجهت للنافذة وفتحتها فكانت الشمس قد غابت

للتو ولم تظلم الدنيا تماما فأخذت حجابي ولففته على شعري وخرجت

من غرفتي وكان المنزل هادئا تماما فحتى صوت مي مع راضية لم

أعد أسمعه حتى وقت ذهابي أو عودتي من الكلية ولم أرها ولا

بالمصادفة ، مررت براضية في المطبخ ووقفت عند الباب

وقلت " راضية هل نواس موجود"

التفتت لي وقالت " غادر المزرعة منذ قليل"

هزرت رأسي بحسنا ثم قلت بعد تردد " زوجته لا صوت

لها هل هي ليست في المنزل"

تنهدت وقالت بحزن " غادرت مع شقيقها منذ يومين"

نظرت لها باستغراب وقلت " تركت المنزل " !!

التفتت لما كانت تفعل وقالت " نعم"

فغادرت وتركتها ، لم تحتمل أكثر إذاً ويبدووا خيّرته بيني وبينها

فهي قالت له بنفسها أنها لم تعد تحتمل هذا الوضع ، لو كانت صبرت

قليلا لكنت تركت لها الجمل بما حمل ولا تقلق فسيذهب قريباً لإرجاعها

لأنني من سيترك لهم المنزل بما فيه ، خرجت من المنزل ولففت جهة

إسطنبول الوسن مجتازة العمال الذين يعيدون الخيول لإسطنبولاتها وكنت

مطمئنة لأنني رأيت صديق نواس الذي كان يعيش في المنزل معهم وهو

شاب مهذب وخلوق ولن أخاف من العمال في وجوده ، وصلت لحظيرتيهما

فكانت رائعة بسياج خشبي جميل مقسومة لنصفين ومكان ليدخلا له وقت

يسوء الطقس أو تهطل الأمطار ، فتحت باب حظيرة الخروف ودخلت

وتوجهت نحوه وأمسكته وجلست وأجلسته في حجري أمسح على صوفه

الأبيض الجميل ليلفت انتباهي الشيء المعلق في أذنه فكانت قطعة

من الفضة على ما يبدو ومكتوب فيها (شبل) الاسم الذي سميته له سابقاً

"لم تسمي الآخر لكنا وضعنا له اسمه أيضاً"

نظرت بسرعة لمصدر الصوت فكان نواس يقف عند باب الحظيرة

فوقفت من فوري وركض الخروف مبتعداً وتوجهت للباب لأخرج

فأمسك بذراعي قبل أن اجتازه وقال بهدوء " وسن دعينا نتحدث

ولو للمرة الأخيرة"

أبعدت وجهي جانبا وقلت " لا"

تنهد وقال " لما لم تخبريني حقيقة ما حدث

لما تركتها حتى الآن"

ابتعدت عنه للخلف عدة خطوات ونظرت لعينيه وقلت

بسخرية " وهل كنت ستصدق حكايتي"

ثم هزرت رأسي بلا وقلت " بالتأكيد لن تصدقني لأن حقدك علي

قد أعماك فلو كنت تحبني فعلا لكنت عذرتني دون أن تبحث عن

السبب وأنا الآن من لن تغفر لك زواجك منها وتركك لي فجد عذرا

تقنعني به أو لا تتعب نفسك لأني لن أصدقك مهما قلت وفعلت

فأنت انتهيت من حياتي يا نواس"

أغلق الباب ودخل وتوجه نحوي وأمسكني من ذراعي وهزني

وقال " كيف أنتهي من حياتك يا وسن ما هذا الذي تقولينه"

قلت وأنا أحاول أن أتخلص من قبضة ذراعيه " نعم انتهيت

وباختيارك أنت ومنذ البداية تركتني بإرادتك وتزوجتني مرعما

والآن انتهى كل شيء فاذهب لها وأرجعها لترضى عليك"

ففاجأني حينها بأن ضمنى لحضنه بقوة وشدني لصدره بذراعيه

وقال بهمس " يرضيك ابتعادك عني يا وسن يرضيك أن أبقى

من دونك ارحميني فوحذك من بقي لي ويعينيني"

قلت بحرقة " ولما أنت أرضاك ذلك ولوقت طويل فكم ترجيتك

أن تعذرني لكنك لم تفعل أنت السبب يا نواس"

ارتخت حينها قبضة ذراعيه عن جسدي حتى تركني وابتعد

جهة الباب وقال موليا ظهره لي " جواد ينتظرك عند باب المنزل

أذهبي معهم وارحمي نفسك على الأقل من أخذ المسكنات

التي عدت لها من جديد"

فغادرت الحظيرة راکضة حتى وصلت باب المنزل وكان جواد

هناك يمسك طفلا صغيرا في لفافة وفرح تقف بجانبه فركضتُ

نحوها من فوري واحتضنا بعضنا بعضنا ملئه شوق وبكاء وحزن

وقلت بعبرة " أخرجوني من هنا يا فرح ولا تتركوني ثانيًا أرجوكم"

فقال ببيكاء " لن نتركك يا وسن وستغادرين معنا ستحضر

الخدمة حقائبك حالا ولن تدخل المنزل أبدا"

ثم أركبتي السيارة وركبت معي وغادرنا ما أن أخرجت

راضية حقاني الجاهزة منذ أكثر من أسبوعين

*

*

تنهدت وقالت " ملاك توقفي عن البكاء فهذا لن

يغير في واقعك شيئاً"

قلت بنحيب " لما أنا حظي من بين الخلق هكذا أنني امتحاناتي

برؤية وجهه البشع ما بكم تحجرتم جميعكم ولا أحد يشعر بي ولم

تجدوا حلا سوا هذه العبارات التي أسمعها منكم على الدوام نصيبك

وقدرك واصبري ، أشعروا بي يا عباد الله هذا وحش وليس ببشر"

هزت رأسها بقلة حيلة ثم قالت " خالك ينتظرك فأخرجي له

قبل أن يصعد لنا والدك يا ملاك"

تأففت ووقفت وأخذت عباءتي بقوة من على السرير ولبستها

فقلت " دعيني أصلح لك زينتك قليلا فبكائك أفسدها"

قلت بتذمر " اتركيني وشأني يكفي تزينت له مرغمة

هل بظنك سيرى وجهي وما أضع عليه"

سحبتني للكرسي مرغمة وقالت " بل رغما عنك سأعدلها لك

وأزيد من مثبت الماكياج لأنني أعرفك ستندبين طوال الطريق"

أطعتها مرغمة وأقسمت على نفسي أن لا أبكي أكثر وأري ذاك

الحقير دموعي فأنا أعرفه سيسخر مني كما كان يفعل في الماضي

غطيت وجهي وخرجت وأنزلني خالي وركبنا سيارة والدي ولم

أستطع ولا حتى التحدث في وجوده فصمته بالنسبة لي رحمة لأنه

لا يتحدث إلا غاضبا وعريس الغفلة لم يكن معنا طبعاً ، وصلنا لمكان

لا أعرفه ولم يعينني وسرنا مسافة طويلة حتى وصلنا له لم تكن

طويلة جدا لكنه يبدو خارج العاصمة ثم نزل والدي وفتح لي الباب

فنزلت ووقفت بجانبه متمنية أن تنزل عليا صاعقة من السماء وتقتلني

ولا أدخل هنا ، كان منزلا يبدو عليه الرقي بعض الشيء أي ليس

متواضعا وقال والدي " أدخلي فوالدة زوجك تنتظرك وهو قال

أن لديه شيء مهم وسيأتي بعد قليل"

تنهدت بأسى واستسلام ودفعت الباب ثم التفت له وقلت

"سامحك الله على هذه البيعة التي بعثني فيها يا

والدي فأنا لن أسامحك"

ثم دخلت من فوري كي لا يصبح عنقي في قبضته وخطوت

الخطوات سريعا كي أدخل ودخلت المنزل بعد تردد ، ما هذا

اليوم يا ملاك تدخلين وحدك لمكان لا تعرفيه ولأول مرة أزوره

ووالدته المصون تنتظرني ، لم أرى والدة زوجة والدي منذ صغري

ولا أذكر شكلها لأن تلك المجنونة قاطعة الأرحام كانت على خلاف

مع الجميع ولا أحد يحبها ولم يكن يزورها سوا شقيقها السكير ذاك

فهموا على شاكلتها ، دخلت ووجدتها في الداخل وبجانبها فتاتين وبقيت

واقفة أنظر لهم باستغراب ، لا يبدوون لي يشبهون تلك المجنونة هذه لا بد

وأنها شقشقتها المسافرة مع زوجها والأخرى زوجة شقيقها الآخر فلم

أسمع عنهم سوا حكاياتها للناس عن عائلتها التي هجرتها وتدعي

أنها تواصلهم دائما ، تقدمت مني والدته وقالت

"مرحبا بك في منزلك يا ملاك"

وقالت إحدى الأخيرتين " فعلا ملاك ولم يخبرنا ذلك

الأحمق أنك جميلة هكذا"

كنت أنظر لهم باستغراب وكأنني لأول مرة أرى بشرا في

حياتي حتى قالت الواقفة هناك " أتمنى أن يركز هذه المرة

ولا يطلق ملاكا مثلك"

يا إلهي متأكدين جدا من أنه سيطلقني كغيري سامح الله الحظ الذي

رمانى عليه وعليكم ، تقدمت منى والدته وأمسكت يدي وقالت

"تعالى ادخلي ما بك خائفة هكذا ويديك باردة كالجليد"

قالت ابنتها ضاحكة " أمي معها حق تخاف وتخجل

أليست عروس"

نظرت لها وقالت " أين شقيقك حتى الآن ما هذا الذي

يفعله ذاك المجنون"

قالت الأخرى ناظرة جهة باب المنزل " ها هوا قد جاء أسمع

باب المنزل الخارجي يُفتح لابد وأنه يدخل سيارته"

وقفت حينها كالمندوغة وبدأت أرتجف من الخوف والقهر أو

كبت الدموع أو لا أعرف ماذا وقالت والدته " غرفتك هناك وأنا

سأذهب مع ابنتي فخذنا راحتكما في المنزل ومبارك لكما يا

ملاك ، ابني طيب كثيرا فقط يحتاج امرأة تفهمه"

ثم خرجوا وتركوني وحدي نعم تركوني في المنزل وأوجهه لوحدي

توجهت راكضة جهة الغرفة التي قالت عنها وأغلقتها خلفي بالمفتاح

لن أسمح له بالاقتراب منى ولا لمسي وسأهرب من هنا صباحا ولن

أعود ولن يجدوني مهما بحثوا عني ، شعرت بحركة جهة نافذة الغرفة

فابتعدت والتصقت بالجدار أرتجف من الرعب ، من هذا الذي جاء هنا

لو أنه جرب فتح الباب ولم يُفتح له لقلت أنه سيدخل لي من النافذة

انفتحت النافذة بقوة فصرخت بكل صوتي وغطيت وجهي بيدي

لحظة سماعي لقفزة لأحدهم منها للغرفة وصوت رجولي قائلا

"تظنين أنك ستهربين مني يا ملاك الليل وتتزوجين بغيري بعدما

لعبت بي ، لا ليس معاذ من تفعل به واحدة مثلك هكذا"

أبعدت يداي بسرعة ونظرت له بصدمة وقلت

"م م معاذ"

اقترب مني وقال " نعم معاذ وهل بظنك سأنسى

بسهولة انتقامي منك على فعلتك"

قلت برجفة وأنا ابتعد يمينا ملتصقة بالجدار " ابتعد عني يا

معاذ أرجوك لا تسبب لي فضيحة معه سيقتلني إن وجدك هنا"

قال بسخرية " نعم وهذا ما أريده سيدخل ويجدني معك

وليس في أي وضع"

ثم شدني لحضنه بقوة وأنا أصرخ من الخوف حتى أظلمت

الدنيا في عياني ولم أعد أرى شيئا حولي وغبت في سواد قاتم

لم أخرج منه إلا بعد وقت وأنا أشعر بقطرات من الماء البارد على

وجهي وفتحت عيناى بصعوبة وأول من وقع عليه نظري والدة
زوجي فقلت ببكاء " أقسم أنى لم أفعل شيئا يا خالة هوا من دخل"
مسحت على وجهى وقالت بحنان " بسم الله عليك يا ملاك لا

تخافى يا ابنتى ماذا حدث لك"

دخلت فى نوبة بكاء لحظة دخول ابنتها بكوب عصير قانلة

" هل استفاقت أخيرا"

ثم نظرت جهة النافذة وقالت بضيق " أربعتها يا مجنون أصبر

عليها قليلا فهى تتزوج لأول مرة فى حياتها"

ثم اقتربت منى أكثر قانلة " أنتم الرجال لا أعلم ما بكم تفقدون

عقولكم ما أن تتزوجوا ولا تراعون خوف وخجل المرأة أبدا"

نظرت بريبة جانباً حيث تلك النافذة المشنومة وحيث كانت تنظر

وتحدث أحدهم بأشياء لا أفهمها لتقع عيني على الجالس فى النافذة

ينظر لى بابتسامته المشاكسة فجلست مفزوعة وأسقطت كوب

العصير من يدها دون قصد ووالدته تسمى الله بخوف وقالت

" معاذ أخرج حتى ترتاح قليلا لقد أصبحت لها مصدر رعب"

قفز حينها من النافذة وقال " أنتم أخرجوا واتركونى وزوجتى

سنتفاهم بمعرفتنا"

فغادرت السرير حينها ووقفت في الجانب الآخر منه وقلت

"من أنتم وأين أنا"

وضعت ابنتها يدها على صدرها وقالت " بسم الله الفتاة

فقدت ذاكرتها بسببك"

لتنطق ضحكته العالية ثم اقترب مني وأنا أصرخ أن يبتعد عني

لكنه لم يأبه لي حتى وصل عندي وحملني بين ذراعيه وقال

"توقفي سببت لنا فضيحة مع الجيران هذه والدتي والأخرى

شقيقتي ومؤكد تذكرني أن والدك من أوصلك بنفسه هنا"

قالت حينها والدته " افهمنا الأمر يا معاذ ما بكما وما بها زوجتك"

نظر لي وقال مبتسما " أخرجوا هيا واتركونا لا شيء بنا"

فخرجتا من فورهما وأغلقتا الباب خلفهما وأنا لازلت أنظر له

كالدمية لا أفهم شيئا ولم أعرف ما أفسر وما أترك فرماني على

السرير وقال " مبارك يا عروس ما رأيك بهذه المفاجأة"

بقيت أنظر له بصدمة كالميتة فحرك أصبعه أمام وجهه وقال

"واحدة بواحدة وهكذا تصافينا يا حبيبة أحزان السنين"

فما كان مني حينها سوا أن نزلت دموعي بغزارة تعبر طرف

عيناى وتنزل لشعري وقلت بهمس " أنت هوا زوجى"
فهز رأسه بنعم ثم جلس بجوارى على السرير وانحنى لوجهى
وقبل شفئائى قبلات كثيرة وقال " نعم يا زوجتى وهذا منزلى
ومنزلك بما أنك لم تختارى العاصمة"

فصرخت بقوة وأبعده عنى وغادرت السرير لىطرق أحدهم
الباب ووصلنا صوت والدته قائلة " معاذ ماذا بكما أخرج
واتركها الليلة الفتاة خائفة ومتوترة أخرج بنى أرجوك"
فأمسك يدى وسحبنى نحوه وقال " هل يعجبك كل هذه الفضائح
الآن وسنضطر لأن نحكى لهم الحكاية غدا طبعا لأنك الآن لن
تخرجى من هنا أبدا"

وشدنى لحضنه يقبل خدى فقلت بعبرة " لماذا فعلت

هذا بى لماذا يا معاذ"

فحملنى ورملى على السرير مجددا وقال " عقابا لك على ما

فعلته بى طبعا يا جنية"

خرجت من الجناح أتبعه ودخلنا للغرفة التى كنت فىها سابقا حيث

وجدنا فتاة رائعة الجمال وتشبهه في أشياء كثيرة في ملامحها

نظرت لي باستغراب مطولا ثم قالت " هذه زوجتك يا جابر"

نظر لي وقال " نعم ألا تعجبك"

نظرت له ثم لي ثم له وقالت بصدمة " لكنها طفلة"

قال بعد ضحكة " كل هذه طفلة ألا تريها امرأة كاملة أمامك"

قالت بحيرة " نعم ولكنها صغيرة يا جابر صغيرة جدا"

وضع ذراعه على كتفائي وقال " اقتربي يا جيهان وسلمي على

زهور شقيقتي ستكون رفيقتك هنا وستحبينها فهي مثلك

قليلة كلام وحركة"

اقتربت منها بتوجس وأعرف ما تشعر به حيالي وأعذرها

لكن كما قال لي جابر سابقا للضرورة أحكام وهو يضحى

براحة باله وليس سهلا أن ينشر كهذا خبر وهو متزوج فعليا

أن أقدر هذا ، مددت يدي لها وقلت " سررت بمعرفتك"

نظرت ليدي مطولا ثم صافحتني وقالت " هل أخبرك

أنه متزوج ولديه أبناء"

نظرت له ثم لها وقلت " نعم ومرتين أيضا"

هزت رأسها وقالت " لا أعلم كيف تفكر يا جابر"

أمسكنا كلينا من كتفينا بذراعيه وقال متوجها بنا جهة الأريكة

" أفكر فيما أجبرني على أن أكون هكذا يا زهور كما سبق وأخبرتك"

ثم جلس بنا هناك وقالت هي " أخبر زوجتك إذا قبل أن تعلم من

غيرك فذاك لا يجوز ، تزوجت هذا من حقك لكن أن تسمع من

الناس وليس منك أمر لا يقبله عقل وأعرفك عاقلا يا جابر"

وضع ساق على الأخرى وقال " حسنا أي أوامر أخرى"

تنهدت وقالت " لا ومن يستطيع أن يأمرك"

وقف بعدها وقال " إذا جهزي نفسك غدا موعدنا مع

الطبيب يا زهور لا تكوني نسيتي"

هزت رأسها بلا وقالت " وكيف أنسى هذا"

ثم غادر دون أن يضيف شيئا ووقفت أنا من فوري فوقفت هي

لوقوفي وقالت " أخبريني فقط ما جعل جابر يتزوجك

وهو يحب زوجته"

هزرت رأسي بلا وقلت " لا أعلم"

نظرت لي باستغراب وقالت " لا تعلمين !!"

قلت بهدوء " لا تحقدي علي يا زهور فأنا ضحية ظروف

أجبرتني لأكون هنا"

قالت مبتسمة " لم أحقد عليك أبدا يا جيهان فقط أقتعيه

يخبر زوجته ويقتعها بهذا"

هزرت رأسي بحسنا وخرجت مسرعة وكأني أهرب منها وعدت

للجناح فورا ودخلته ودخلت غرفته فكان هناك مضجعا على السرير

بملابسه ويغطي عيناه بذراعه فشعرت بحماقة ما أفعل أدخل غرفته

هكذا هل صدقت أنه زوجي أم ماذا ، كنت سأخرج حين أوقفني

صوته قائلا " تعالي يا سما"

فالتفت له فكان على حاله فقلت بهدوء " آسفة يبدوا أنك ستنام وأنا

دخلت دون استئذان بسبب توتري من لقاء شقيقتك"

قال ولم يرفع ذراعه عن عيناه " تعالي اجلسي"

اقتربت وجلست على الكرسي وقلت " هل ستنام هكذا ببذلتك"

قال مبتسما " زوجتي الأخرى كانت تجهز لي ملابس وتلبسها لي

أيضا ما أفعل مع الزوجة الثانية المهمة"

نظرت للأرض بخجل من كلامه هذا فمهما كان أنا لست

زوجته فعلا ، قال بهدوء " سما نزار سيسافر"

رفعت رأسي له بسرعة وكان على نومته لم يغيرها فقلت

بعينان تمتلئ دموعا " قرر أن يسافر "

قال " نعم النقود كانت تكفي العملية وأن يدرس وأنا ساعدته

بمعرفتي هناك وقبلوه على الفور يكفي أضعت عليه فرصته

هنا والمنزل بطلب منك "

نظرت للأرض وقلت بحزن " ما كان سيأخذ المال لو لم

نعمل ذلك أعرفه جيدا "

تنهد وقال " يريد أن يراك قبل أن يذهب "

وقفت على طولي وأبعد هوا ذراعه عن عينيه وقال

" لكنني رفضت إلا إن كان لك أنتي رأي آخر "

قلت وقد نزلت أولى دمعاتي " لا أريد يا جابر حتى إن ضعفت

وطلبت ذلك منك فرفض واضربني حتى الضرب لا أريد

أن أراه يكفيني حتى هنا "

جلس وقال " توقفي عن البكاء يا سما واجلسي "

مسحت دموعي وجلست حيث كنت وقال بهدوء " لن يحدث إلا

ما تريدين يا سما لقد خدمتية خدمة العمر فلم تري التفاؤل في

عيني نزار فالسفر والدراسة وعملية والدته بالنسبة له حلم حياته

الذي عاش سنينا على أمل تحقيقه لكن طلبه رؤيتك ورائه

أمر لا يريد الإفصاح عنه"

هزرت رأسي بلا وقلت " دعه يرحل ويكون كما يريد فبعدهما قابلت

ابن عمي وفهمت منه حقيقة وضعي في العائلة اقتنعت بكلام نزار

ورأيه فأنا وهوا كالمستقيمان المتوازيان لا يلتقيان مهما امتدا ، كل

ما أريده أن تشفى خالتي وأن يحقق هوا حلمه ولو يجرب ويفشل

المهم يصل هناك وكنت أكيدة أنه سيسافر ما أن يقبل المال فأنا

أعرف جيدا كيف يفكر"

تنفس بقوة وقال " المبلغ كبير جدا يا سما وأثر تأثيرا واضحا في

حصتك ونزار لم يقبله عبثا أخشى أنه شك في الأمر"

هزرت رأسي وقلت " لا يهم المهم أنه قبله لأنني كنت أخشى من

أن يرفضه وحصتي شيء يخصني وحدي وسيرجع كما كان بما

أن كل شيء يتحرك ويخرج أرباحا وليس واقفا مكانه وحتى إن

كنت سأخسر كل مالي من أجلهما فلن أمانع"

قال " وأعمامك وأبنائهم أتركي أمرهم لي فلا بد سيلاحظون خروج

الأموال ، أسامة لن يقصر معك رجل يقاس بالذهب وأعرفه جيدا وأنا

بجانبك دائما يا سما ولا تحلمي حتى أن أوافق تزويجك لرجل

يطمع في مالك"

قلت بابتسامة حزينة " لا تقل أنك ستبقى تتحكم بزواجي

حتى آخر عمري"

ضحك وقال " وهذا ما سيحدث وصايتك لن أسلمها لأعمامك أبدا

أناس مثلهم لا يستحقون هذا وسيستغلونه ، لذلك إما أسامة أو أنا أو

القانون لتزوجك المحكمة برضاك فقط"

قلت بهدوء " إذا أنت لكن لا تجعلني أندم يوما حين ترفض

زواجي بمن أريد"

ضحك وقال " يبدوا نسييتي نزار سريعا"

نظرت للأرض وقلت بأسى ودمعة محبوسة " هل تنسى أنت

امرأة أحببتها بسهولة هل هذا سهل لديكم أنتم الرجال"

قال من فوره " لا بالطبع"

رفعت نظري له وقلت " هل جربت الحب يوما"

ضحك كثيرا ثم عدل جلسته واتكأ على ظهر السرير وقال

" يبدوا أن هذه الجلسة بدأت تزداد حماسا"

نظرت له باستغراب وقلت " أنت شخصية غريبة حقا يا جابر"

قال بهدوء " وما الغريب بي ألتست بشريا"

قلت مبتسمة " بلى لكن يصعب فهمك واستنتاج ردود أفعالك"

قال بابتسامة صغيرة " هناك امرأة استطاعت كل هذا ولم تفشل"

قلت بفضول " وهي التي أحببتها"

هز رأسه بنعم فقلت بحماس " يالها من جبارة كيف تمكنت

من جلبك لمصيدتها"

ضحك وقال " حتى أنا لا أعلم"

قلت بهدوء " أعذر فضولي لكن هل هي إحدى زوجاتك

أم أنها ماضي وانتهى"

قال " بلى زوجتي الحالية"

قلت بحزن " أخشى أن يدمر خبر زواجك زواجكما وأنت تحبها"

نظر للبعيد وقال " اتركها لعل هذا يرجعها تلك التي أعرفها

فكل تفاصيل حياتي تفتقدها"

بقيت أنظر له باستغراب فنظر لي وقال " هيا أخذتي أكثر من

حصتك معي فلم افتح قلبي لأحد قبلك ولا أقرب المقربين لي أنتي

كالساحرة بالجناحين ترفرفين حول القلوب وتخرجين كل ما فيها"

ابتسمت على تعبيره الغريب وقلت " بل أنت رجل رائع يا جابر
وزوجتك محظوظة بك وما فهته من كلامك منذ قليل أنها تغيرت
عليك وتتمنى عودتها كما كانت فأخبرها بحقيقة زواجك بي أو
على الأقل أفنعهما أنك تزوجت بسبب ظروف أرغمتك على

هذا فأنا لا أريد لك التعاسة أبدا"

هز رأسه بحسنا وقال " اتركيني أنام قليلا ورائي عمل

بعدد شعر رأسي"

وقفت وقلت " حسنا طردة مقبولة لكن أخبرني أولا

ماذا جد في القضية"

عاد لنومته السابقة ووضع ذراعه على عينيه وقال " وجدنا شيئا

جديدا يؤكد انغماس شرطة الجمارك أيضا في الأمر وهذا متوقع

البحرية والجمارك جهازان متصلان لكن لم يظهر لنا بعد أي

أسماء منهم كما في البحرية ولا بد وأن يقع الرأس يوما"

قلت بهدوء " وصورة عائلتي أريدها جابر أرجوك ولو

أن تضعها في مكان آمن حتى تنتهي القضية"

قال بهدوء " لم نجد لها حتى الآن"

قلت باستغراب " اختفت"

قال " نعم وسنبحث عنها مجددا في القبو"

أطفأت حينها النور وغادرت فلا أريد أن أزعه أكثر

خرجت من غرفته ودخلت لغرفتي هناك وجلست عند النافذة من

بعيد كعادتي اتكأ على حافتها أشاهد السحاب والغيوم ، ستسافر يا

نزار ستبتعد للأبد وستفصلك عني البحار والقارات وليس كيلومترات

بسيطة فقط كما الآن ، كم أتمنى لو كنت بجانب خالتي وأراها تسترد

عافيتها وأن آخذ بيدك حتى تكمل حلمك بالنجاح لكنك ترفضني بكل

تفاصيلي يا نزار وأنا أيضا لم أعد أريد ذلك كي لا يؤذوك عائلتي فإن

كان والدي تبروا منه فقط لأنه تزوج من يتيمة فقيرة فكيف بي وهم

ينتظرون زوالي ليتقاسموا حصتي كيف إن جلبت لهم معي زوجا من

عامة الناس مؤكد سيهينونه حد الوجد ولن أستطيع ولا ردعهم عنه

ووقتها سيختار تركي مجروحا ومطعونا في رجولته

بعد وقت غادرت من أمام النافذة وتوجهت للخزانة وأخرجت

الرواية التي لم أقرأها منذ وقت طويل ، ترى ما سيحدث مع

ردين وهل ستفارقهم مثلي أم لا وهل ستحب فراس أم سيكرهها

على العيش معه ، توجهت للسريير وجلست عليه وقرأت من حيث

توقفت ((عدت لسجن نفسي من جديد ورغم محاولات عمتي سعاد

لم أنزل لكني اليوم رضخت لها فقد رأفت بحالها وترجيها لي

خصوصا أن من هنا اليوم ابنة عمة عمي رياض رحمه الله

وشقيقة الجد أي عمة عمتي سعاد ولم تتركني أنزل حتى سرّحت

شعري ووضعت كحلا خفيفا وأحمر شفاه بحجة أنني عروس

وأنهم لم يروني سابقا ويريدون رؤيتي ، كيف ننسى أنه مر فقط

أشهر قليلة على وفاته لنتزين ونبتهج لكني أطعتها لأنني أراها

تحاول إسعاد الجميع ليعيشوا حياتهم الطبيعية أما هي فهي الأكثر

حزنا بيننا وفقدنا له فهو زوجها حتى النوم كانت تنام بجواره

نزلت للأسفل وتوجهت حيث يكونون بعدما أخبرتني أن وائل

مسافر ليومين وأن أشرف خارج المدينة ولا خوف من دخولهما

وأنا بدون حجاب فلست بمزاج مشاكل مع الرجل الثالث الموجود

هنا وهوا فراس طبعا ، دخلت غرفة الجلوس وكانوا ثلاثهن هناك

فتوجهت نحوهم وسلمت عليهما ، توقعتهما أكبر من هذا بكثير وأنهما

عجوزان لكنهما في عمر ليس بكبير جدا ، قالت عمتها " ما شاء الله

يا سعاد زوجة ابنك أجمل مما سمعت عنها متى ستزوجونهما"

ضحكت الأخرى وقالت " كيف صبر لكم عليها حتى الآن"

نظرت للأسفل ليس خجلا من حديثها بل كرها له ، ما يريد بي

يتلهف هكذا ، مسحت عمتي سعاد على شعري وقالت

"وفراس كان مصرا أن يأخذها لمنزلها لولا أني

عاندته في ذلك حتى تخرج من حزنها أولا"

نظرت لها باستغراب من كلامها هل هوا حقيقة أم فقط

أمامها لحظة دخول أحدهم وقالت عمتها " ها هوا

العريس حذر كنا نتحدث عنك للتو"

توجه ناحيتي وجلس بجواري وكأنه ليس من بث سمومه

بي ذاك اليوم بل ووضع يده على كتفي ووضع ساق

على الأخرى وقال " وماذا تقولون عني"

ضحكت ابنة عم والده وقالت " نقول متى ستتزوج

وتُفرح والدتك"

استرخى في جلسته أكثر وقال " وأنا متزوج الآن أم

تريدون تزويجي بالثانية"

شبهقت عمتي سعاد وضحكتا هما عليها وقالت عمتها

"الله أكبر ما أوسع عينك مع هذه الجميلة تريد زوجة أخرى

بل هي نعني فمتى ستفرح والدتك بروية أبنائك"

أبعدت وجهي جانبا فلم أعد أحتمل هذه الجلسة ، قال أبنائه قال

هذا لا يفكر في الأبناء يريد فقط كسر رأسي وأنفي بل أنا التي

لن أحمل منه أبدا ، قال حينها " في القريب بما أنه لن

يكون هناك حفل زواج"

نظرت له بسرعة وصدمة فنظر لي وقال بابتسامة باردة

"أم تريدين حفلا ورقصا وغناء"

بقيت أنظر لعينيه بجمود لوقت ثم قلت بصوت

منخفض " أنت أكثر من يعلم ما أريد وتريد"

قرب شفثيه من أذني وهمس " أريد زوجة تضع عقلها في

رأسها وقبله حجاب فوقه فكم مرة قلت لا أريدك من

دون حجاب أمام أخوتي"

وقفت حينها وقلت " بعد إذنكم"

ثم خرجت لأنني إن بقيت هنا ستكون حربا والخاسرون فيها كثير

ولساني لن يرحمه أبدا وسأخرج عمتي سعاد أمام قريباتهم

وصلت غرفتي وأغلقت بابها بقوة لينفتح بعدي فورا ودخل فراس

وأغلقه خلفه وقال " متى ستحترميني أمام الناس يا ردين"

قلت ببرود " وماذا فعلت لا شتمتك لا سببتك ولا عيرتك بعيوبك"

توجه ناحيتي وأمسك ذراعي بقوة وقال من بين أسنانه

"قلت تحترميني وكلامي أعتقد واضح لك وتعلمي

معنى ما أعني وما فعلته جيدا"

استللت يدي منه وقلت " اخرج من غرفتي"

نظر لي بغضب يتطاير من عينيه وقال بحدة " أعيدي ما قلت"

لحظة فتح عمتي سعاد باب الغرفة ودخلت وقالت وهي تغلقه

"ما بكما لما هذا الصراخ"

أشار لي وقال بحدة " تعالي وتفاهمي مع من تقولين لي وصية

والدك وبيتيمة ووووو أنظري ما تقول وتفعل لا تحترم كبير ولا

تقدر أحد وأولهم زوجها"

قلت بضيق " قلت لكم لا زوج لي وكله كان بطلب من عمي

رياض وانتهى بموته وستطلقني فورا"

قال بغضب " في أحلامك يا ابنة مالك الحزين"

قالت وقد تجمعت الدموع في عيني " لن أسمح لك أن

تسخر من والدي"

قالت والدته بحدة " فراس أخرج حالا"

كان سيتحدث لكنها قالت بأمر " أخرج ولا تتحدث"

فخرج يتأفف بغضب وقلت بعبرة " رأيت ابنك ، كيف سأعيش

معه وهو يعاملني هكذا ولن يردعه عني أحد ولا عمي رياض

أقسم أني لن أجعله يهنا بها"

أمسكت ذراعي وأجلستني على السرير وقالت

"أجلسي واستمعي لي جيدا"

ثم جلست بجواري وقالت " ماذا حدث بينكما يومها

بعد نزولك لجده"

نظرت لها بحيرة وقلت " ولماذا"

تنهدت وقالت " لأنني أرى مزاجه أصبح سيء ومع الجميع من

يومها وهو من قال لي قبلها ويلسانه أنه سيأخذك لمنزلكما

دون حفل وأنه عند وصية والده له"

قلت بسخرية " يضحك عليك ليس إلا فقد هددني قبل وفاة

والده وبعدها وقال أنه سينتقم مني بزواجه بي"

قالت بهدوء " لكنه يصر على زواجكما والعناد لن يجدي في

شيء يا ردين ولا تنسي أنه زوجك ويمكنه إخراجك

من هنا متى أراد"

هزرت رأسي بلا بقوة فتنهدت بأسي وقالت " تعوذني من الشيطان

يا ابنتي وجنبينا المشاكل واذهبي مع زوجك"

قلت بتذمر " لما أنا من عليها أن تتعوذ من الشيطان وتذهب مع

شيطان آخر لما هوا لا يكبر رأسه ويُخرج من قلبه حقدَه علي

هوا لا يريدني فليطلقني بالحسنى"

قالت بجدية " وأين ستذهبين إن طلقك يا ردين عمك رياض لن

يرضى عنا يوم الحساب إن أخرجناك للشارع"

قلت بضيق " وابنك يعلم انه لا أحد لي غيركم لهذا يريد فرض

رأيه علي ، وعليه أن يطلقني وسأخرج للشارع وأحللكم

من مسؤوليتي أما الجميع أحياء وأموات"

وقفت وقالت " ردين لا تكثري المشاكل مع زوجك سبق ونصحتك

بها وسأعيدها فكل هذا ستكون عواقبه وخيمة والزوج سند

أمام الناس حتى لو كرهتِ عشرته"

ثم خرجت من عندي وأغلقت الباب وتركتني مع الأفكار تموج

بي موج البحر ، يخطط لأخذني معه هناك إذا ليستفرد بي لن تهناً

بها يا فراس يا ابن رياض وسترى ما ستفعله بك ابنة مالك الحزين

انتظرت حتى انجلى الليل وجمعت جميع ثيابي واتصلت بالرقم الذي

أعرفه وأحفظه جيدا فأجابت عليا صاحبه سريعا قائلة

"نعم من معي"

قلت بهمس " أزهار"

قالت " نعم من أنتي"

قلت " أنا ردين"

قالت بصوت مبتسم " مرحبا ردين أين أنتي

يا ناكرة العشرة"

قلت " ليس وقت عتاب الآن أخبريني هل عرضك

لي ما يزال قائما"

قالت من فورها " بالطبع أنتي فقط أشيري وأنفذ"

نظرت للباب وقلت " أريد سيارة تأخذني وسأعطيك العنوان

الذي تجدني فيه ونتفاهم لاحقا"

ثم أعطيتها أسم الشارع الآخر وتسللت من الباب الخلفي وخرجت

راكضة لأجد سيارة في انتظاري فركبتها وغادرنا في الفور فلنرى

كيف ستجدي يا فراس وبماذا ستبرر للجميع))

كانت الصفحة قد انتهت فقلبتها ولم يتبقى سوا صفحة واحدة مكتوب

فيها ((أين ذهبت ردين وكيف أمضت أربع سنوات عجز حتى

فراس أن يجدها فيهم بل وأين سيجدها وكيف وماذا سيحدث

كل هذا سيكون في الجزء الثاني من (خلف أسوار المدينة)) (

أغلقت الرواية وقلت بضيق " يالها من كاتبة مخادعة لو كنت أعلم

ما قرأتها منذ البداية ، أين سأجد الآن التكملة بل لن أبحث عنها

ولن أقرأ روايات مجددا"

ثم رميت الرواية بعيدا وكل تفكيري فيها فأين ستذهب بالفعل بل

أين اختفت كل هذا وكيف وما مصيرها من فراس حين سيجدها

مؤكد لن يرحمها أبدا

*

*

رتبت كل شيء في حقيبتها وأنا أقول " ماذا نسينا يا أمي

فلن نستطيع العودة له إن وصلنا هناك"

قالت وهي تمد لي مسبحتها " لا شيء هذه آخر شيء لي هنا"

أخذتها منها ووضعها في الحقيبة أيضا فقالت بهدوء

"ألن نودع سما أبدا ولا نراها"

شعرت بحرقه في قلبي فالتفكير في هذا الأمر يورقني حقا ولا

أجد له حلا ، قلت وأنا أغلق سحاب الحقيبة " رفضت ذلك يا أمي"

قلت باستغراب " مستحيل ترفض سما أن تودعني وتراني"

وقفت ورفعت الحقيبة وقلت " بلى اتصل بي جابر وأخبرني لقد

سألها ورفضت وعلينا أن نعذرهما في هذا"

تنهدت وقالت بحزن " فليحفظها الله هذه الصغيرة رأيت ما لا

يستطيع الرجال تحمله وحرمت كل شيء حتى الرجل الذي أحبته"

وضعت الحقيبة جانبا وقلت " لا تنسي يا أمي فطائرتنا وقت الفجر

إن لم انزل لك اتصلي بي كي لا تفوتنا"

هزت رأسها بحسنا وقالت " الليل لم يحل بعد ولازلنا

أول النهار لتوصني بإيقاظك"

قلت مغادرا الغرفة " لأنني بث أخاف أن يقف أي

شيء ضدي مجددا"

خرجت من غرفتها وصعدت للأعلى وأمسكت هاتفي واتصلت

بجابر مجددا وما أن أجاب حتى قلت " دعني أراها ولو من

دون علمها يا جابر أرجوك"

تنهد وقال " لو أفهمك يا رجل وأفهم كيف تفكر "

قلت بتذمر " أسدي لي هذا المعروف يا جابر فأنت لن

تراني قبل أعوام كثيرة "

قال باستسلام " أمري لله تعال لمكتبي الآن "

خرجت من الغرفة قائلاً " قادم لك حالا "

ثم خرجت من المنزل وركبت سيارتي وانطلقت لمكتبه فورا

وأدخلوني له فقال ما أن دخلت " أغلق الباب وتعال "

أغلقه واقتربت منه وهو جالس وأمامه حاسوبه ينظر له بتركيز

ثم نظر لي وقال " تعالی اجلس أأست تريد رؤيتها "

جلست وقلت بحيرة " هنا " !!

أدار لي الحاسوب وقال " نعم أم تريد أن آخذك لها وهي

رفضت ذلك ، أنظر هذا المقطع يهكم بالتأكيد ولا تطلب

مني شيء غيره لأنني لن أوافق "

نظرت للشاشة حيث ظهرت صورتها تجلس أمام نافذة تنظر للسماء

شعرها مفتوح وغرتها أصبحت في نهاية وجهها مدرجة على شعرها

للخلف تزداد جمالا في كل حالاتها وعيناها الزرقاء الواسعة تلمع من

حبسها لدمعتها كانت الصورة قريبة وواضحة وظننتها ثابتة حتى رفعت

يذاها لصدرها وضمتها له وقالت بحزن " يا رب أحفظ نزار

وخالتي فلن أراهما مجددا"

ثم نزلت الدمعة الأولى من عيناها وقالت بأسى " أحبك نزار وأيقنت

أنك لست لي ولن تكون لي مهما طال الزمن وأتلف لرويتك

لكني لا أستطيع فكل شيء انتهى نعم انتهى وللأبد"

لتظلم الصورة بعدها فرفعت نظري به فأدار الحاسوب وقال

" ها قد حققت لك طلبك وغيره لا تحلم به"

قلت بصوت ضعيف " متى كان هذا"

أغلق حاسوبه وقال " البارحة بعدما علمت بخبر سفركم

أنت قررت نسيانها يا نزار فاتركها تنساك"

وقفت وقلت " ومن قال أنني قررت ذلك"

وقف أيضا وقال " وما معنى أن تسافر لأعوام وتتركها دون

حتى أن تطلب منها أن تنتظرك ، سما من الذكاء أن تفهم معنى

ما يجري أمامها بل باتت موقنة من قراراتك ومقتنعة بها"

قلت بحيرة " هي قالت لك ذلك"

خرج من خلف مكتبه ووقف بجانبه ووضع يده على كتفي

وقال " نعم وبلسانها فانظر لمستقبلك ولتنظر هي لمستقبلها بما

أنك رفضت أن أزوجها لك وهناك أمر أخير ستفعله لها"

نظرت له بحيرة فقال " عليك فتح باب القبو لنا مجددا لنبحث

عن صورة عائلتها فهي تسأل عنها باستمرار"

نظرت للأرض وقلت بحزن " الصورة عندي وليست في القبو"

قال باستغراب " لديك أنت!! "

نظرت له وقلت " نعم وكنت أود أخذها معي لكن بما أنها تريدها

سأحضرها لك فأعطني وقتا لأغير لها زجاج بروازها أولا لأنه

انكسر تلك الليلة ولا تخبرها أنها كانت معي"

تنهد وقال " حسنا فعلت ولا تفكر أن تأخذ نسخة عن الصورة

فوالدها وهي فيها وخذ البرواز فقط ليركبوا لك عليه الزجاج

وليس الصورة أيضا"

هزرت رأسي بحسنا وخرجت من عنده وعدت للمنزل وأشعر

أني تركت قلبي هناك معه بل معها حيث المكان الذي لا أعلمه

حتى اليوم ، ترى هل ستجمعنا السنين مجددا يا قلب نزار هل

سيكتب لنا لقاء ولو بعد أعوام

وصلت المنزل مثقل بهموم لن تغادرني رغم أنني بث أدنوا كثيرا
من تحقيق أهم أحلامي لكن يبدو أن سما أهم منها فكيف أحققه
وهو الأصعب بينها ، عليا أن أقنع كما اقتنعت هي بكلامي وسوف
تنساني وتجد من هو أفضل مني بالتأكيد وقد يكون ابن عمها ذاك أو
غيره منهم أو غيرهم جميعهم كالضابط ذاك فموكد ستوافق عليه ولو
بعد حين ، دخلت المنزل وصعدت لغرفتي وأخرجت الصورة من
حقيبتي فحتى صورتها لن تذهب معي كما كنت أريد ، جلست على
كرسي مكتبي وتذكرت المقطع الذي أراه لي جابر وكأنه أمامي الآن
كُتب لك يا سما أن تبقي وحيدة لأن الظروف ضدنا وما لا تعلميه أنني
تركنت قلبي معك هنا وسأرحل من دونه
هزرت رأسي أحاول ولو طرد تلك الأفكار وليس طردها هي لأنها
لن تخرج ثم أخرجت القطعة المتبقية من زجاج البرواز وكانت قرابة
نصفه وكنت سأقيس حجمه لأجلب له غيرها لكني لاحظت أن القياسات
مكتوبة في طرفها السفلي الذي كان مخفيا في خشب البرواز فأخرجت
قلما ودفترت لأسجلها ثم توقفت أنظر لها بتركيز ، غريب هذه يستحيل
أن تكون مقاسه لأنها أصغر !! رفعت الصورة ببروازا ونظرت لها
بتمعن ، يبدو لي حجمها بين الـ 25 - 30 سم عرضا وحدود الـ 20 سم

طولا أما المكتوب فيبدو 9سم عرض و9 طول أي مربع لثلث الصورة
تقريبا فما السر يا ترى ، أخرجت عدستي المكبرة ونظرت لباقي الكتابة
الصغيرة ونقلتها في الورقة ولأنه سبق لي أن درست الهندسة فسهل علي
فك رموز المكتوب وهو (جهة الشمال ارتفاع 11 سم نزولا 9سم وحد
تقاطعي 21 سم و9 سم جنوبا) فقلبت الصورة وطبقت المعادلة على
خلفيتها وحددت خطا بالقلم على جميع الاتجاهات المذكورة فكانت النتيجة
مربع في الزاوية اليسرى من الأعلى فبدأت بلمس حدوده بالضغط عليه
بقوة وفتحت عيناى على اتساعهما من الصدمة وأنا أتلمس الشيء الموجود
فيها هذا يبدو الدليل الذي يبحثون عنه لديها لكن يا ترى ما سر أن كتبوا
وحددوا المكان بهذه الدقة ، نعم هو نظام طمس الأدلة وأي خطأ في
إخراج هذا الدليل ستكون نتيجته أن يتلف تماما وهذا تحسبا لأن يقع في
يد شخص من العصابة تحديدا وهو يشبه النقل المصرفي للأموال في
حوافظ خاصة تفتح بطريقة معينة وفي حالة سرقتها أحدهم وفتحها بطريقة
عادية ستتشوه جميع الأموال بالحبر الأزرق وتصبح ورق بلا فائدة
رفعت هاتفى واتصلت بجابر كثيرا ولم يجب فأرسلت له

(جابر أجب الموضوع مهم جدا وخطير)

عادت الاتصال ولم يجب أيضا أين ذهب هذا الرجل هل هذا وقته الآن

جلبت مشرطا من الدرج ومررته على الأجزاء التي حددتها ، عليا

أخراجه فورا فمن يعلم إن كان سيبقى حتى يجد جابر رسالتي أم لا

مزقت القطعة الورقية بحذر وببطء حتى تعرق جبيني وكل خوفي من

أن يضيع الدليل أو تتمزق صورة سما وعائلتها وما تبقى لها منهم

أنهيت العمل بعد وقت وقلبت الصورة وأول ما ظهر لي أن الصورة

لم تتمزق فارتحت من نصف المشكلة وبقي الأهم ، رفعت الصورة

ليقع القرص الذي كان موجودا بداخلها ووقفت على طولي أنظر له

بصدمة ، نعم هذا هو الدليل دليل قتلة عائلتك يا سما كان معك

طوال الوقت وضعه والدك هنا لتجديه يوما ما ، رفعت القرص

وشعرت أن مهمتي بدأت الآن وهي إيصاله لجابر سالما

مرت عدة أيام وكل شيء يسير مكانه ترف تحسنت حالتها

قليلا حسب كلام معتصم فلم أتمكن من رؤيتها ولن أتمكن من

ذلك فالخروج ممنوع منعا باتا أما زائر تلك الليلة فكانت بيسان

جاءتني تبكي وتقول أنها خائفة وأن الدم يدخل لها من الشرفة

وندمت أنني لم أترك بتول تنام معها كما طلبت ونامت معي تلك

الليلة وانتقلت بتول بعدها لغرفتها وأصبحتا معا طوال النهار

ومصعب وعدي لا يتركوهما سوا وقت النوم طبعاً أما جابر

فلم يأتي تلك الليلة وكل ما وصلني منه رسالة مكتوب فيها

(مشغول ولن أتمكن من المجيء)

كان ردا واضحا كي لا أحاول مجددا وأطلب ذلك منه قد يبدو

أفضل من أن لا يرسل شيئا لكن النتيجة واحدة وقد تعبت من كثرة

ما يسأل الجميع أين يكون ولما لا يأتي هنا فكل من في هذا القصر

منفصل عن العالم الخارجي ولا يعلمون أنه لديه منزل في العاصمة

يسكن فيه حاليا ولولا المصادفة ومكالمة عمه لذاك الضابط ما علمت

حتى أنا ، تنهدت بأسى وجمعت شعري للخلف ونظرت جانبا وقلت

"أين شقيقك لم أراه اليوم أبدا"

قالت وهي منشغلة بما تفعل " مع عمر طبعاً في غرفته

ولا يسمحون لنا بالدخول معهم"

قالت بتول بتذمر " مصعب أقسم أن أضربك إن أفسدتها مجددا

ابتعد عني لا أعلم متى سأتخلص من الأطفال"

قلت مبتسمة " بل جاعك الأطفال الذين لا ينتهون"

قالت ببرود " في أحلامه هل يظنني أرنبا لن أنجب أبناء هكذا متتاليين

كالمسبحة ولن أسكن هنا كي لا يكونوا هؤلاء معي طوال الوقت"

ضحكت وقلت " وهل هناك من تكره أن تكون بقرب عائلها"

قالت وهي مشغولة بما تفعل " نعم أنا"

فقفزت ببسان جالسة وقالت " انتهيت قبلك وفزت عليك"

فقالبت بتبول بتذمر " كله بسبب هذا القرد هل ارتحت الآن"

ثم وقفت راکضة جهة عدي الذي يحبوا بعيدا وقالت " تعال هنا

ستوقعها عليك ولن ترحمني والدتك ما أتعسني من فتاة لو فقط

بقيت جالسا ولم تتحرك كل عمرك"

ضحكت وهزرت رأسي وقلت " معك حق تربية الأطفال أمر

صعب وأرى والدتك لا تساعدك أبدا"

رفعته من الأرض وعادت به ناحيتنا وقالت " وكيف تشغل بالها

بهم ولديها مربية خاصة لكن الدنيا لن تبتسم لها طويلا

وستبقى لهم وحدها"

قلت مبتسمة " قالت ستجلب خادمة ما أن تتزوجي"

وضعت يدها وسط جسدها وقالت بضيق " نعم نعم هل الآن

أصبحت الخادمة أمر مباح وعندما كنت أنا خادمتهم كان

ذاك شيئا ممنوعا بالنسبة لها"

رفعت كتفائي مبتسمة فقالت " وأنتي أين زوجك طوال الوقت غير

موجود ولم نره منذ قدومنا هنا هل يأتي ليلا ويغادر أم ماذا"

نظرت للأسفل وقلت " شيء من هذا"

عادت للجلوس متربعة على الأرض أمام بيسان ووضعت عدي

في حجرها وقلت " كوني حذرة ولا تغفلي عن زوجك كي

لا تأخذه غيرك منك بكل بساطة"

نظرت لها بصدمة فقالت " نعم ما بك تنظرين لي هكذا زوجك رجل

تركض خلفه النساء ولا تنسي أنه يحتك بهن طوال الوقت وإن كنت

أنا مكان واحدة منهن لسعيت جهدي لأحصل عليه"

قلت بصدمة " بتول ما هذا الكلام ثم جابر ليس من هذا النوع"

ضحكت وقالت " لا تموتي قبل أوانك ولا تؤمني للرجال ولا

مكر النساء فأين يذهب كل هذا الوقت ألم تفكري أن يكون

تزوج عليك فالرجال لا مأمّن لهم"

وقفت وقلت " ما هذه الأفكار التي لديك الجلوس معك مهلكة"

أمسكت الورقة التي يلعبون عليها وقالت وهي تكتب فيها

"لقد حذرتك فلا تلومي إلا نفسك"

خرجت من هناك قبل أن تأكل رأسي بالوساوس بل هي فعلتها

بالفعل ، توجهت لجناحي ولغرفتي فورا ولم أنزل ولا لتناول

العشاء مع البقية ليمر بي الليل جالسة مكاني حتى فتح أحدهم باب

غرفتي وكانت بيسان مجددا وقالت وهي تفرك عيناها

"ماما بتول تركتني وحدي أنا خائفة"

مددت يداي لها وقلت " وأين ذهبت في هذا الليل لا بد

وأنها في غرفة شقيقها وستعود"

صعدت للسرير معي ونامت في حضني قائلة

"لا أعلم لقد خفت كثيرا"

ضممتها لحضني وتنهدت بأسى لقد أصبحنا في ترف جديدة تخاف

من الوحدة والظلام ولا ألومها بعد الذي رأته ، نامت سريعا فعدلتها

بجانبي ونمت معها أمسح على شعرها حتى أخذني النوم لأشعر بشيء

على ذراعي فقفزت جالسة بفرع فكان جابر في الغرفة ويقف فوقي

فوضعت يدي على صدري وقلت بخوف " أفرعتني جابر متى دخلت"

قال وهو ينظر لبيسان " الآن ، ماذا تفعل بيسان هنا"

نظرت لها وقلت " أصبحت تخاف كثيرا منذ اليوم الذي أصيبت

فيه ترف وبتول تنام معها ويبدوا الليلة نامت مع أخوتها الصغار"

هز رأسه بحسنا وكان سيغادر فغادرت السرير وأمسكت يده

وقلت " جابر"

فالتفت لي لتلقي عينانا عن قرب بل وسبحت عيناى في كل

ملامحه لتعود لمعانقة عينيه مجددا وقلت بهمس

" عد يا جابر فهناك من اشتاق لك بحق"

بقي ينظر لي بصمت فقلت بابتسامة حزينة

" أقسم أنى اشتقت لك"

فرفع رأسه ينظر للأعلى ورفع يده لشعره ومررها فيه حتى

أمسك بها قفا عنقه ولا أعلم ما سبب توتره هكذا فأحطت

جسده بذراعاى وحضنته بقوة وقلت " لا تتركنى مجددا

جابر أرجوك أقسم أنى تعبت من بعدك عنى"

قال بصوت منخفض " والطلاق"

رفعت رأسى ونظرت له وقلت " لن أذكره مجددا أقسم لك"

قال بهدوء " لا تنسى أنك أقسمتى"

غمرت وجهى فى صدره وقلت " لن أنسى ولن أقولها ما حبيت"

كنت سأخبره عن حملي فهذا الوقت الأنسب له ويبدو أن أمورنا

ستتصافى أخيرا لكنه سبقني قائلا بهدوء " أنا تزوجت يا أرجوان"

فابتعدت عنه للخلف عدة خطوات انظر له بصدمة وقلت

"تزوجت" !!

نظر للجانب الآخر وقال " نعم"

شعرت بشيء لا أعرف ما أقول عنه بلى أعرفه إنه نار نعم

نار اشتعلت في جوفي وقلبي وقلت مجددا بصوت مخنوق

غير مصدقه " تزوجت يا جابر"

نظر لي في صمت فوضعت يداي جانب رأسي أضغط عليه

بقوة من الصدمة وأنظر للأرض ثم بدأت بضربه بهما بقوة وأنا

أبكي وأمسك عبراتي كي لا تستيقظ بيسان ، كنت أضرب وأضرب

وشعري الطويل يتطاير مع حركة يداي فاقترب مني وأمسكهما

وأبعدهما قائلا " توقفي عن لطم نفسك يا أرجوان"

فاستللت يداي منه وجلست على كرسي مرآة التزيين وغطيت وجهي

بيداي وخرج بكائي ونحيبي ولم أستطع ولا السيطرة عليه فأمسكني

من ذراعي وأوقفني وأخرجني من الغرفة وأغلق الباب وقال

" أرجوان توقفي لتتحدث"

لكن جنون الكون كله كان يسيطر علي وقتها ويدي لازلنا على
وجهي فعدت لضربه مجددا لكن هذه المرة من الأمام وأنا في نحيب
مستمر فشدني لحضنه بقوة وقال بضيق " توقفي قلت لك كيف لامرأة

مؤمنة تعلم حدود الله تلطم وجهها هكذا"

استسلمت لبكائي في حضنه بل لنحبيبي الذي أخفاه في صدره
العريض قتلتني وجاء ليخبرني بل يضم جراحي لحضنه الذي
جرحني به الحزن الذي باتت غيري تشاركني فيه يا الله ياله
من شعور قاسي ويالها من نيران تشتعل في داخلي

*

*

خرجت من غرفة قصي وعدي ليشد انتباهي صوت ضحك معتصم
المرتفع من غرفته فتحركت جميع خلايا الفضول لدي بل ما أعاده
الليلة من المستشفى ! اقتربت من غرفته فكان يكلم أحدهم في الهاتف
ويضحك بهستيرية فشعرت بالشیطان الذي غرسته في عقل أرجوان
انغرس في عقلي وكان السحر انقلب على الساحر فاقتربت أكثر عندما
انخفض صوته وكأنه يحدث أحدهم همسا ومؤكدا من كان يكلمه الآن
اقتربت أكثر لأسمع فانفتح باب الغرفة بقوة فقفزت مفزوعة وأمسكت

صرختي بيدي وقال بنظرة استغراب " بتول ماذا تفعلين هنا

ظننتك إحدى الخاديات تتجسس علي"

أبعدت يدي عن فمي ووضعتها وسط جسدي وقلت " وماذا تفعل

أنت ومع من كنت تتحدث همسا وتضحك هكذا"

أمال وقفته وقال بمكر " الله أكبر جديدة هذه حرمانا المصون"

قلت بجديّة " جديدة أو حتى قديمة قل مع من كنت تتحدث"

قال بابتسامة جانبية " غيرة هذه أم ماذا"

قلت بضيق " أعتبرها ما تريد وأخبرني الآن من تكون"

وضع يده في جيب بنطاله القصير وقال " وما يعينك من

تكون ، هذه خصوصية حسب اعتقادي"

دفعته من أمامي وقلت وأنا أدخل غرفته " سأعرف

وحددي من هذه يا خائن يا معتصم"

أمسكني من خصري ورفعني من الأرض وقال

" أنتي السبب طبعاً يا بثلي"

قلت وأنا أحرك ساقي في الهواء " أنا السبب يا كاذب وأنا

وافقت على الزواج بك هل تتحجج بي"

سار بي حتى السرير ورماني عليه وقال " وافقت !! بعد ماذا

بعدهما أشبت لي رأسي"

جلست مقابلة له وقلت ببكاء " أقسم أن تطلقني إن كنت

تتحدث مع أخرى"

ثم ضربت بيدي على السرير وقلت " تكلم الآن واعترف بسرعة"

قفز بجانبني على السري وأبعد شعري المفتوح للخلف وقبل عنقي

وقال " كنت أتحدث مع صديقي"

قلت بعبرة " كاذب تتهامسان وتضحك وفي هذا الوقت

المتأخر يا خائن يا مغازل"

ضحك وقبل خدي عدة قبلات فدفعته بعيدا وقلت

"أبتعد عني قلت لك واذهب لها"

عاد للضحك مجددا ثم أمسك هاتفه ورماه في حجري وقال

" انظري بنفسك لآخر مكالمة لي"

رفعته من فوري ومسحت دموعي وعياني لأرى جيدا وفتحت

قائمة المكالمات ورأيت آخرها وكانت من اسم (معاذ)

فرميته له وقلت " ومن هذا معاذ الذي تحدثه هذا الوقت"

قبل خدي مجددا وقال " صديقي قلنا صديقي"

مسحت خدي وقلت ببرود " لا أصدقك"

رفع الهاتف واتصل به فأجاب من فوره قائلا " معتصم أتركني

وشأني يا حسود لديك زوجتك ففارقني الليلة"

ففصل عليه الخط وقال " تأكدت الآن يا غيورة يا من تحبيني"

دفعته عني وقلت مغادرة السرير " لست غيورة ولا أحبك أيضا"

فأمسك يدي وسحبني منها وشدني لحضنه نائما بي على السرير

وقال " أين أين ستنامين هنا الليلة"

قلت وأنا أحاول الخلاص منه " معتصم أتركني هل جنت"

شدني له بقوة وقال " لن أفعل شيئا فاهدني قلت لك والذنب عليك

حذرتك من المجيء لي هنا وفعلتها بنفسك"

ضربت يداه وقلت ببكاء " معتصم أتركني ماذا أنام معك هذه

أين تضننا أتركني قبل أن يرانا أحد"

فتركني ضاحكا وغادرت أنا السرير راکضة ووقفت عند

الباب ونظرت له وأخرجت لساني وقلت " المهم لم تكن تكلم

امرأة ولتعلم فقط أنه لا امرأة ترضى أن تكلمك يا بشا"

ثم صرخت وركضت هاربة حين غادر السرير راکضا نحوي

نزار رحلته بعد أقل من ساعة ولم يحضر الصورة وأن يكون
الأمر مهما يعني أنه يخصها ، اتصلت به بالهاتف الموجود عندي
وأنا أخرج بسيارتي فأجاب فوراً وقال " أين أنت يا رجل لم أترك
مكان لم أسأل عنك فيه ولا تجيب"

قاطعته قائلاً " ماذا حدث وأين أنت الآن وهل وجدت شيئاً أم لا"
قال من فوره " في المطار فأسرع فالشيء الذي لدي مهم جداً
ومكانه كان صورة عائلتها لم نتوقعه ولا في أحلامنا"

قالت بحماس " ما يكون وما حجم أهميته"

قال " قرص"

ضربت المقود ولففت به وقلت " رائع وجدنا دليلنا أخيراً
توقعت أن يكون معلومات مهمة"

قال من فوره " وطريقة حفظه له وإخراجه يدل على

أن الذي فيه مهم للغاية"

ثم سرد لي كيف وجدته وأنا أسير بكل سرعتي جهة المطار

وقلت ما أن انتهى " لا تكن شغلته"

قال " لا فأنا أعرف أن التعامل مع هذه الأمور حساس جداً

وقد يكون يعمل لمرة واحدة فلا خبرة لدي كثيراً في هذه

الأمور ولا تفتحه دون خبير"

وقفت بسيارتي وقلت " وهل نسيت خبرتي في مجال الحاسوب

فهوا هوايتي المفضلة ها قد وصلت أين أنت"

قال مباشرة " في صالة الركاب"

نزلت من فوري راكضا والحرس يركضون خلفي والجميع منتبه

لطريقة دخولنا لكن هدفي كان واحدا أريد الوصول له بأي شكل

كان ولو بقي واحد منا فقط على قيد الحياة وخرج به ، توجهت

حيث يكونون الآن وأسرع نزار ناحيتي وسلمه لي وقال

"كنت سألغي الرحلة بسببه لو لم تأتي ولولا أنه

أمر مهم ما كان سيوقفني شيء غيره"

ضغطت عليه في يدي وقلت " وأخيرا يا رفعت الشاطر وجدنا

ما يبحث عنه شلة المجرمين بأيديهم وأسنانهم"

أمسك كتفي وقال " جابر لتكن سما في عينيك يا صديقي أقسم

أني أترك قلبي معك وأسافر"

ربت على كتفه وقلت " لا تقلق فإن لم يقتلها ما

فعلته بها فلن يقتلها شيء"

نظر للأرض وقال بحزن " تمنيت أن تعذرنى هي مثلك لكن

يبدوا لي أنك أنت أصبحت تلومني كالبقية"

قلت بجدية " ليس بيدي فالفتاة تجعلك تتعاطف معها رغما

عك لكنها أقوى مما كنت أتصور هذه طفلة في جسد

امرأة تفتقدها أغلب النساء"

قال بحيرة " ماذا تعني بهذا"

قلت مغادرا " سلم لي على والدتك ولا تنسى أن

تكلمني ما أن تصلا"

ثم خرجت من مبنى المطار ووقفت عند السيارة وأجريت اتصالاتي

ليجتمع الجميع في منزلي ثم نظرت للطائرة التي حلقت في السماء

وأعلم علم اليقين أنها طائرتهما لأنها خاصة وطبية ، بقيت أنظر لها

وهي تحلق مودعة الأرض كما ودع من فيها أرضنا وأهم أحلامه

موفق يا نزار ولا تقلق على قلبك الذي تركته هنا فإن كانت تحبك

حقا سنتظرك دون أن يخبرها أحد فالحب الحقيقي شيء لا يحتاج

توثيق ، طفلتك وامراتي يا صديقي علمتاني شيئا جديدا في عالم

النساء وهوا أنهن لا يستسلمن بسهولة فسما اختارت بنفسها أن

تسافر عنها وتُحرم منك كي لا تخسرك للأبد أما امرأتي..

تهدت وفتحت باب السيارة ووقفت مكاني أتذكر اللحظات ما قبل

خروجي من عندها حين ابتعدت عن حضني ونظرت لي بعينان

تلمعان من الدموع في ضوء الردهة الخفيف وقالت بإصرار

وأصبعها على شفتيها " لن تأخذك أي امرأة مني يا جابر تفهم

وأفهمها ذلك جيدا فلن تكون إلا لي"

ليرن هاتفي وأجبت عليه فكان سالم وعلمت منه بأمر نزار

وكنت سأغادر فقالت " جابر لا تذهب"

التفت لها فقالت بجدية " عليه أن يكون نحن اختيارك

وإن ذهبت تكون اخترت"

قلت بضيق " أرجوان لن أذهب لها الأمر مهم وعليها أن أغادر"

قالت بحزم " اختر الآن"

قلت بضيق أكبر " توقي عن الجنون أخبرتك أنني لن أذهب لها"

قالت بعبرة تخنقها " الآن تختار يا جابر"

فوقفت مكاني وتوقف عقلي عن العمل لكن نزار والدليل لابد وأنه

وجدته وهذا الأمر مصيري للجميع وستتفهم أرجوان هذا فيما بعد

فعلينا أن نضحى وللنهاية ، ففتحت باب الجناح وخرجت وتركتها

واقفة مكانها هناك وأعلم ما فكرت فيه بسبب ما فعلت

هزرت رأسي وركبت السيارة وانطلقنا لتداهمني الأفكار مجددا

بعد نزولي من عندها حين وجدت خالتي في الأسفل وقالت ما

أن رأيتي " جابر متى عدت " !!

وقفت وقلت " الآن وسأغادر فوراً "

قالت " هل صحيح ما سمعته "

قلت باستغراب " وما الذي سمعته وممن "

قالت بجدية " من الهاتف طبعاً هل صحيح تزوجت

على ابنة فارس "

نظرت للبعيد وقلت " نعم "

قالت من فوراً " تطلقها إذا "

نظرت لها وقلت " من تعني ؟؟ "

قالت بجمود " أرجوان طبعاً أو لست ابني ولا أعرفك "

قلت بضيق " أمي ما هذا الكلام الذي أسمعته كيف تريدان

أن أطلق زوجتي "

قالت ببرود " ما لدي قلته فانا وهي لن نجتمع إما أنا أو هي "

تأففت وقلت " سأخرجها من هنا أما طلاق فلن أطلقها "

قالت بضيق " تحبها يا جابر أكلت عقلك يا رئيس شرطة البلاد"

قلت بضيق أكبر " زوجتي ولم أرتكب جرما ولا حراما كما

أحبك وأحب أبنائي هذا شيء طبيعي"

قالت مغادرة " أنا خيرتك ولك أن تختار"

لأخرج بهم جديد مع همومي ، ما هذه الليلة ليلة الاختيارات متى

سيرحمونني ويشعروا أن الذي بين ضلوعي قلب ولم يعد يستحمل

ضغوط الحياة أكثر كيف أرضيك يا خالتي وكيف أتصرف

ذهبت للمسجد أولا صليت الفجر ثم للمنزل ووجدت الجميع ينتظرنني

فدخلت المكتب مباشرة وهم يتبعونني وجلست عند المكتب وأحاطوا

بي فمددت القرص لأسعد وقلت " دليل رفعت الشاطر قرص مضغوط

من النوع الذي لا تُنسخ منه المعلومات ولا تُمسح ولا يمكن التلاعب

بما فيه بأي طريقة أي لدى المحكمة قرص لا يمكن إدخال

أي شبهة ناحيته"

أمسكه مني وقال " رفعت الشاطر رجل أذكي وأخطر

مما يتوقع الجميع"

وقفت وقلت " ومن أخرج لنا هذا القرص تصرف بذكاء فانق

ووقع عند صاحبه الأصلي ، رفعت الشاطر كان يعلم جيدا

مع من يلعب لذلك ترك دليلا مطموسا سيفسدونه بسهولة

إن وصل لأيديهم قبلنا مما يعني أنه سلاح ذو حدين"

قال أسعد " هل نشغله الآن"

تحركت من خلف مكتبي وقلت " سنشغله في حاسوبي فلدي

نظام طورته بنفسني لنسخ الأقراص من هذا النوع وقد

ننجح في أخذ نسخة عنه"

قال خليل " هل تعتقد أنه سيعمل لمرة واحدة فقط"

قلت وأنا أدخله لجهازي " ممكن رغم أنني أستبعد ذلك بما

أنه تركه دليلا لكن كل شيء جائز"

شغلته ليبدأ بعرض ما فيه البداية كانت صور لملفات وأرقام

وتصاريح بإدخال بضائع ممنوعة للبلاد بالوقت والتاريخ وكأن

ثمة من يصورها سريعا ويبدوا بكميرة هاتف نقال ويبدوان

شخصان واحد يحرك الورق والآخر يصور ويتهامسان ثم تغيرت

الصورة لثلاث رجال يعطون ظهورهم يتحدثون مع شخص جالس

على مكتب وقال لهم بحدة " حمقى شلة حمقى يكفي ضاع منا ما

ضاع أعلموا " وبدأ يسرد أسماء جعلتنا ننظر لبعضنا بصدمة

ثم قال " هل بضنك سيدهم جابر سيسكت عن الأمر طويلا سيتحرك

وإن تحرك سيكشفنا وحتى القتل لا يمكننا قتله يا فاشلين"

قال سالم بهمس " لو يتحرك احدهم لنراه"

وقف حينها ولازال مختفيا خلفهم وقال " أريد جثته ميتا مع دليله

الذي لديه بسرية وتكتم كما عرفتم والبضاعة ستدخل رغما عن

أنوف الجميع ككل مرة فالعملاء في انتظارها والهنود يلعبون

كثيرا وهذا لم يعد في صالحنا ورفعت هذا أصبح كالثوكة في

حلقومهم ويهدد بالتبليغ عنهم"

قلت من بين أسناني " ليبتعد أحدكم يا حمقى"

وما أنهيت جملي إلا وتحرك من خلف مكتبه وابتعدوا هم

جانبا لنقف جميع الجالسين منا على طولنا ونحن ننظر

بصدمة لمن ظهر في الصورة

*

*

شعرت بشيء يهزني بقوة فقلت بهمهمة " أمممم من"

ليوقظني صوت رقيق باكي قائلا " بتول استيقظي بسرعة أرجوك"

فتحت عياني فكانت بيسان أمامي وتبكي فجلست وقلت

"ما بك وأين أنتي لم أجدك هنا"

أمسكت يدي تسحبني منها وقالت ببكاء "ماما مريضة

بسرعة يا بتول"

فخرجت من السرير قفزا وركضت معها دون حتى أن ارتدي

حدائي وركضت لجناحها ودخلته ودخلت غرفتها لأفاجئ بالدماء

في لحافها وصوت أنينها المكتوم المتوجع فاقتربت منها وهزرتها

وقلت " أرجوان ما بك أجيبني"

وبلا فائدة كانت تقول كلمات لكني لم أكن أفهمها فنظرت

لبيسان الواقعة عند الباب تبكي وقلت " بيسان بسرعة

أحضري شراب من الخزانة"

فتحركت بسرعة وأخرجت كل ما يوجد فيها فأخذتها منها وقلت

"أخرجي من الغرفة وابق في الجناح ولا تخبري أحد مفهوم"

هزت رأسها بحسنا وقالت ببكاء " هل ستموت ماما"

أمسكت يدها وأخرجتها للخارج وقلت " لن تموت ماما هي

متعبة قليلا وسنأخذها للمستشفى حسنا"

بقيت تنظر لي ودموعها كالأمطار ولا تصدق شيء مما أقول

فتأففت ودخلت الغرفة وأغلقتها بالمفتاح ولم آبه لبيكانها وطرقها

على الباب وذهبت لسرير أرجوان فورا وأزلت اللحاف من عليها

يبدوا تنزف لكن لماذا !! أبعدت كل تلك الأفكار ولففت جسدها جيدا

بالأغطية النظيفة بصعوبة كي أخفي أي أثر للدماء ثم خرجت من

الغرفة ومن الجناح راكضة ونزلت السلالم وتوجهت لغرفة معتصم

وفتحت الباب ودخلت فكان نائما يحضن الوسادة ويغط في سبات عميق

فأمسكتها واستللتها منه وقلت " نعم تحلم بالنساء وتحضن الوسائد"

فقفز جالسا فنوم معتصم خفيف رغم كل التعب وقال بخوف " ما بكم"

سحبته من يده وقلت " بسرعة أرجوان متعبة وعلينا أخذها للمستشفى"

غادر السرير ثم جلس عليه مجددا وقال " بشكلي هذا اتركيني أستحم

وأغير ثيابي"

شددته من قميصه القطني وقلت " بسرعة لا وقت لدينا

ستموت من كثرة ما تنزف"

وقف وبدأ يدور حول نفسه ويبدوا أنني أربكته ولم يعد يعرف كيف

يتصرف فتأففت وأخذت مفاتيحه ومحفظته وأعطيتهم له ثم نظرت

لشعره ولحست كفاي بلساني (حركة كم كنا نفعلها ونحن صغار)

ثم مسحت له بهما شعره وقلت " هكذا أنت جاهز بسرعة هيا"

قال بقرف " ماذا فعلت لشعري يا مقرزة"

أمسكت يده وسحبته منها قائلة " لا وقت لنا وشعرك الكثيف

كان واقفا كالمغنيين وأنا عدلته لك"

خرجت وهوا يركض معي حتى ولم ينسى حدائه مثلي

وصلنا غرفة أرجوان وكانت بيسان تمسح على شعرها وتبكي

وقلت ما أن دخلنا " أحملها واهتم لتغطية شعرها سألبس

عباءتي وحجابي وأعود فورا لأذهب معكما"

نظر لها باستغراب وقال " وما بها هكذا وكأنها مومياء محنطة"

دفعته وقلت " هذا ليس وقته أنا لفتتها بالأغطية جسدها كله دماء

وثيابها أيضا تحرك بسرعة"

حملها من على السرير وقال " لا وقت لأنتظرك ابقني هنا"

فتحت خزانها قائلة " في أحلامك لن أكون إلا معها"

وأخرجت عباة أرجوان وحجابا من عندها ولبستهم ولبست

حدائها أيضا وركضت خلفه خارجا بها حتى ركبنا السيارة وكنت

معها في الخلف تنام في حضني أحاول إيقاظها بأي طريقة ثم نظرت

لمعتصم في الأمام وقلت " بسرعة هي غائبة عن الوعي تماما

واتصل بشقيقك ما بك عقلك وقف فجأة"

دخلنا سور المستشفى قائلا " لا يجيب واتصلت بأحد رجاله وقال

أنه في اجتماع وحتى هواتفه ليست معه ها قد وصلنا"

ثم نزل وأنزلها وأنا أركض خلفه واستقبلتنا الممرضات بسرير

وضعها عليه وركضن بها بسرعة ونحن نتبعهم حتى أدخلوها

إحدى الغرف وتركونا في الخارج ورغم أن الوقت مازال مبكرا

إلا أن الحركة كانت كثيرة في المستشفى ، نظرت لنفسي وعباءة

أرجوان الكبيرة علي امسكها من الأمام كي أرفعها عن الأرض

وحدائها ليس على مقاسي أيضا ثم نظرت لمعتصم فكان ببطلونه

القصير فوق نصف الساق وقميصه القطني بكتابه عند الصدر

وشعره المبعثر رغم نعومته فنظر لي وقال ببرود

" ما بك تنظرين لي هكذا"

قلت وأنا أمسك ضحكتي " لا شيء"

نظر لي بضيق ثم لثيابي لتنتلق ضحكته فقلت بضيق

"أضحك على نفسك أولا وانظر لثيابك وشعرك"

مرر أصابعه في شعره وقال " وما بي هذه الملابس تجذب

الفتيات أنظري كيف ينظرن لي"

ضيق عيناى وقلت " كاذب ولن تنال منى"

قال بمكر " ستري بعينك"

وضع يده فى جيبه وأما وقفته ونظر للجانب الآخر حيث تقف

فتاتين فابتسمتا له فى الفور فأمسكت ذراعه وسحبته ووقفت أنا

فى الجانب الآخر بينه وبينهما وقلت " لا وخبير فى هذا الفن أيضا"

حضن كتفاى بذراعه وقال " ها ولتعلم أنك وحدك من يعينى"

فمرتا حينها من أمامنا وقالت أحدهما " ما هذا الحظ الذى لديها"

وقالت الأخرى ضاحكة " هذا فوق أنها متشردة"

وضحكتا مبتعدتين وبدأت أنا بالبكاء فضحك وقبل رأسى وقال

" ما بك يا غبية فكل غرضهما إغاظتك لأنك أجمل منهما"

دفعته عني وقلت " لا وحفظت شكلهما درجة أنك بدأت تقارن"

سحبني جهة كرسي الانتظار وأجلسني وجلس بجائبي وقال

" الفرق واضح رغم مساحيق التجميل أنتي بطبيعتك أجمل"

منهما بل من جميع نساء الأرض يا غيورة"

سحبت يدي منه وقلت " لست غيورة"

فانفتح باب الغرفة وخرجت منه إحدى الممرضات فتوجهنا

نحوها مسرعين فقالت " أين زوجها"

قال معتصم " ليس هنا ولا يستطيع المجيء الآن فما بها"

قالت " لا بد من حضوره من أجل الإجراءات"

قال من فوره " هل ستجرون لها عملية ليوقع لكم أم ماذا"

نظرت لساعتها وقالت " شيء من هذا القبيل بسرعة أرجوكم

لن نستطيع فعل شيء من دونه فهذا المستشفى خاص كما

ترون والقوانين قوانين"

تأفف وقال " وهل نشق الأرض ونخرجه منها ، الموجودة في

الداخل زوجة اللواء جابر حلمي وأنا شقيقه"

ثم أخرج بطاقته قائلا " وها هي بطاقتي لدينا نفس الاسم وهو

مشغول الآن فأسرعوا أو تعرفون ما سيكون مصيركم منه"

أعطته بطاقته ودخلت للغرفة مسرعة وأغلقتها خلفها ، بشر

يخافون ولا يقدرّون ، قال قوانين قال وهي تموت أمامهم

*

*

خرجت من مكثبي ليوقفني أحد رجالي قائلا " سيدي اتا" ...

فقلت متوجها جهة السلام " ليس وقته الآن ليستعد الجميع فقط

وما أن أخرج من عند الوزير سنبدا التحرك أعلموا جميع

الوحدات التي تراقب الأهداف"

ثم صعدت للأعلى أقفز الدرجات قفزا ودخلت جناحي وكانت

كما توقعتها مستيقظة وجالسة على سجاداتها منذ وقت فوقفت

وقالت ما أن رأيتني " هل سافرا"

قلت بهدوء " قبل الفجر بقليل"

نظرت للأرض في صمت فتوجهت ناحيتها ووضعت يدي

على كتفها وقلت " سما أنتي من اختار له هذا وأعرف جيدا

فتاة بذكائك فيما تفكر ، إن كنتي تحبينه فانتظريه أو التفتي

لحياتك وهناك الكثير يتمنونك"

لم تعلق بشيء ولم ترفع رأسها فقلت " سما"

نظرت لي وعيناها محمرتان من سجنها لدموعها فشددت كتفيها

بيداي وقلت " وجدنا دليل والدك بل نزار من وجدته ليلة البارحة"

قالت بصدمة " وجدتموه"

هزرت رأسي بنعم وقلت " وسيتلقون عقابهم قريبا وسترجعين

لعائلتك وحياتك الطبيعية فاستعدي ما أن أخرج من عند الوزير

ستبدأ مرحلة القبض عليهم جميعهم وستكون الليلة ساعة الحسم

وستكونين معي فلا مأمّن منهم فقد يعلموا شيئاً قبل حلول الليل"

قالت بتوجس " ولما تتركونهم حتى الليل"

تنهدت وقلت " هناك ترتيبات كثيرة علينا القيام بها فالأمر ليس

لعبا يا سما ، العقيد سالم سيكون هنا حتى أرجع اتفقتنا"

هزت رأسها بحسنا دون كلام ثم قالت بهمس " أعتني بنفسك جيدا"

ابتسمت لها وربتت على كتفها ثم خرجت من عندها وتوجهت

لغرفة زهور طرقت الباب ودخلت فوقفت من فورها وكانت

بعباءتها وحجابها فقلت " هل أنتي جاهزة"

هزت رأسها بنعم وقالت " ومن قبل الفجر"

قلت مغادرا " اتبعيني فالطبيب ينتظرنا"

خرجت بها من هناك وأوصلتها المستشفى أولا ورجالي يتبعونني

واطمأنتت أنها دخلت غرفة العمليات ثم خرجت للوزارة فورا

ومعي الأدلة الجديدة وجميع الأسماء التي ظهرت حديثا وأهمها

رئيس شرطة الجمارك والرأس المدبر لكل شيء فأخر ما توقعته

أن يكون هوا وبما أن الوزير وعد أن الحق سيتم أخذه من المجرمين

مهما كانوا فسأقدم لهم كل شيء ، رفعت هاتفي وقلت

"ماذا حدث معكم"

قال في الطرف الآخر " عممنا الأسماء في جميع المطارات

والمداخل والمخارج البرية والبحرية والرجال يقفون في كل

مكان منها والمجموعة مراقبة وكل الأمور تسير على ما يرام"

دخلت مبنى الوزارة وأوقفت سيارتي وقلت

"استعدوا إذا حتى تأتيكم إشارتي"

قال من فوره " حاضر سيدي"

نزلت من سيارتي وتوجهت على الفور لمكتب الوزير حيث

الجميع في انتظاري فهذا اليوم سيكتب لنا في التاريخ وسنخلص

البلاد من كابوس جرائم المصانع قبل أن يقطعوا عنقي ، خطة

محبوكة لن يتمكنوا من اختراقها فهي نتاج عملي لأسابيع دون

نوم ولا راحة ولم أترك فيها ولا ثغرة بسيطة يخترقونها وإن

سرنا حسب مخططي لن يفر من قبضتنا أحد منهم وسنظهر

جهازي الجمارك والبحرية من مستغلي هذه المناصب لخدمة

أغراضهم الشخصية وإرعاب المواطن بدلا من حمايتهم

وقفت وقلت " أطلعتكم على كل شيء والتحرك سيكون بعد

ساعات أريد ما قلته أن ينفذ وساعة الصفر ستكون أول الليل"
وقف الوزير ليقف الجميع معه وقال وزير العدل " جميع الملفات
وصلت لي والمحكمة ستكون عادلة ومنصفة للجميع فلا

ثغرة يخرج منها أحد"

قال نائب وزير الخارجية لأنه خارج البلاد " بلّغنا الوزارة في
الهند وستكون جميع الأسماء التي أرسلناها تحت قبضتهم ما أن
تصلهم الإشارة منا بعدما نتلقاها منك"

قال وزير الداخلية " اعتمادنا عليك يا رجل المهمات الصعبة
وجميع الأجهزة الأمنية تحت إمرتك فكن أنت حذرا يا جابر"
هزرت رأسي بحسنا وجمعت أوراقني وخرجت من عندهم بعد
هذه الساعات الطويلة التي قضيتها معهم أعلمهم بكل شيء وناقش

كل ما سأفعل كي لا ألام فيما بعد إن حدث أي اختراق في الأمر
نظرت لساعتي ثم ركبت سيارتي وتوجهت للمسجد صليت العصر
ثم خرجت وركبت سيارتي وفتحت هاتفي واتصلت بالجميع لأطمئن
على الأوضاع وكان كل شيء يسير على ما يرام ثم اتصلت بطبيب
زهور واطمأنت على حالتها وقال أن العملية ناجحة وخرجت منذ

ساعتين ولا زالت تحت تأثير المخدر ثم اتصل معتصم لحظة وقوفي

بالسيارة أمام مكتبي وتحرك ناحيتي من كانوا ينتظرونني هناك

ففصلت عليه الخط وأرسلت له (مشغول يا معتصم إن كان ثمة

أمر مهم فأرسله في رسالة)

ثم دسست الهاتف في جيبتي وتوجهت نحوهم ودخلنا ندرس باقي

تحركاتنا ليسرقنا الوقت حتى مقربة مغيب الشمس ثم خرجنا ووقفنا

خارجا عند سيارتي وقلت " استعدوا سنعطي الإشارة للجميع سأذهب

لمنزلي وأحضر الفتاة من هناك وسأنظم للوحدة الأولى والأهم

وأكون معهم "

قال أسعد " هل ستأخذها معك " !!

قلت بجدية " نعم فلن تغيب عن ناظري وقت العملية والوحدة

الأولى تحتاجني لأن مهمتها الأخطر والأهم "

قال خليل " ماذا إن عرضتها للخطر بهذا "

ركبت سيارتي وقلت " لن أطمئن إلا وهي معي إما أن أموت

معها أو نعيش معا "

ثم أغلقت الباب وأنزلت الزجاج وقلت " استعدوا ما أن تأتيكم إشارتي "

ثم غادرت من عندهم وما أن وصلت المنزل حتى وردني اتصال

من أحد رجالي فأخرجت هاتفني وأجبت عليه فقال " تحركاتهم

باتت مريبة يبدو أنهم اكتشفوا شيء ما سيدي"

نزلت من السيارة وفصلت عليه الخط ثم أعطيت الإشارة

لجميع الفصائل بالتحرك ودخلت المنزل وصعدت للأعلى قائلا

" عقيد سالم اسبقني حيث البقية وقادم معكم حالا"

قال بصوت مرتفع لأسمعه " هل قدمت وقت التحرك"

قلت وأنا أصعد آخر العتبات " نعم لقد اكتشفونا"

ثم صعدت للجناح وفتحت بابه وناديت " سما"

فخرجت لي من غرفتها فمددت يدي لها وقلت " تعالي معي

الليلة أنا وأنتي إما أن نعيش في مستقبل آمن أو نموت قبل النهار"

اقتربت مني راکضة وأمسكت يدي وخرجت بها لا بكاء لا

خوف لا كثرة أسئلة ، امرأة أنتي يا سما وبمليون امرأة وأسأل

الله أن يقدرني على حمايتك أو لا أبقى بعدك حيا أجيب على

أسئلة من سيسألني لما قتلوها وهي في حمايتك"

خرجت بها وركبنا السيارة وانطلقنا واتصلت بالفصيلة الرابعة

التي بدأت مهمتها للتو فأجاب عليا وبالكد أسمع صوته بسبب

الرصاص عندهم وما فهته منه أن مهمتهم تسير على ما يرام
ووصلتني حينها رسالة فتحتها فكانت من ذات ذاك الرقم وفيها

(الموت لك يا جابر حلمي)

فضغطت على أسناني بقوة لحظة اتصال العقيد سالم فأجبت عليه
وقال مباشرة " نحن مستعدون ونحاصرهم حاليا ومنتظر أوامرك"

قلت " قادم حالا لا تتحركوا إلا بأوامري"

قال مباشرة " شقيقك يتصل بي طوال النهار"

تذكرت حينها فقط اتصاله ورسالته ، نعم معتصم حتى أني لم

أفتح الرسالة ، أنهيت الاتصال منه ووجدت رسالتين منه فتحت

الرسالة الأولى فكان فيها (زوجتك في المستشفى تعالى بسرعة)

نظرت لها مطولا باستغراب ، ما بها البارحة خرجت من عندها

وكانت بخير هل كل هذا من تأثير خير زواجي فقط ، لو كنت أعلم

أننا سنجد الدليل وتنتهي المشكلة ما أخبرتها ها قد سمعت نصائحهم

وجاءت النتائج ، فتحت الرسالة الثانية وكانت منذ أكثر من ساعتين

ولابد وأنها رد على رسالتي وكان فيها (أنت لست كفى لتكون لك

زوجة وأبناء يا رجل الشعب فقط وإن كان يعينك الأمر فابنتك

استفاقت اليوم وزوجتك حامل وجنينها في خطر)

وقفت حينها مكاني بالسيارة ونظرت لي سما وقالت

"لما توقفت هل هناك شيء"

بقيت واقفا أنظر للطريقين أمامي ... المهمة ورجالي أم زوجتي

وابنتي بل وابني الذي لم تكتب له الحياة بعد ، أي جرم ارتكبه

بإخبارها ذاك الخبر وهي بهذه الحالة الصحية السيئة ولم أترك

لها ولا المجال لإخباري وكنت مستعجلا لأزف لها الخبر وأغادر

اتكأت على المقود بجيبي ووقف عقلي عند تلك النقطة عائلي

ورسالة التهديد خالتي وأبنائي أرجوان وابنها سما والكثير غيرها

يعتمدون علي ، ولم يخرجني من كل ذلك سوا ملمس يد سما

على كتفي وصوتها الهادئ قائلة " جابر هل أنت بخير"

رفعت رأسي وشغلت سيارتي واتخذت قراري ولففت جهة

اليسار في الطريق الدائري أمامي وقلت " بخير يا سما

ولا تبتعدي عني مهما حدث اتفقنا"

قالت بهمس " حسنا"

*

*

شعرت بخدر كبير في أطرافي وألم قوي في النصف السفلي من

جسدي وخرج أنيني متقطعا فشعرت بيد على كتفي وصوت

أحدهم قال " زهور هل تشعرين بشيء"

قلت بصعوبة " ماء"

فشعرت بيده ترفع رأسي قليلا ثم بشيء يلامس شفثاي ودخلت

المياه الباردة لجوفي ثم أعادتني تلك اليد حيث كنت ومسحت

على وجهي وشفاه قبلت جبيني وعاد الصوت مجددا ليقول

" حمدا لله على سلامتكم يا قلب رضا وعيناها"

فنزلت دمعتي من طرف عيني لتمسحها أصابعه وفتحت عيناها

بصعوبة ووجدته جالس بجانبني ويدي في يده وقال مباشرة

" هل تشعرين بشيء هل أنادي الطبيب"

هزرت رأسي بنعم فوقف من فوره وغادر الغرفة وعاد بعد

لحظات والطبيب معه واقترب مني وقال " حمدا لله على

سلامتكم سيدة زهور هل تشعرين بشيء"

قلت بصعوبة " ألم قوي لم اعد أحتمل"

ربت على كتفي وقال " هذا طبيعي سنزيد لك جرعة المسكن

حالا ، العملية ناجحة ولن تحتاجي لأخرى أبدا وجلسات

الأشعة سننهيها قريبا حسنا"

هزرت رأسي بحسنا ونظرت للسقف وبدأ أنيني يخرج تباعا

فلم أعد أحتمل ذلك فقال رضا بقلق " بسرعة ألا تسمعها تتألم"

حقن المسكن في ذراعي وغبت عن الوعي سريعا والاسم الوحيد

الذي كان يتكرر على شففتاي هوا (جابر) فكلامه لي ونحن قادمان

لم يرحني أبدا وأشعر أنه في خطر خصوصا وهوا يختار أن

يكون رضا معي اليوم في العملية

*

*

دخلت المستشفى ركضا ويد سما في يدي بعدما أعطيت رجالي

الإشارة للتحرك فها قد اختار الله أن لا أكون معهم ولن أستطيع

ولن يطاوعني قلبي أن أذهب هناك وأترك اثنتين هنا لا أعلم

عن حالتها شيئا ، وصلنا حيث غرقتها ووجدنا بتول هناك

بعبأة أرجوان تلمها على جسدها واتجهت نحوي ما أن رأتنا

ونظرت لسما وقالت باستغراب " سما هذه أنتي ماذا

تفعلين هنا ومع جابر " !!

نظرت لي ولم تتحدث فقلت " اتركينا من كل هذا

وأخبريني ما بها أرجوان"

قالت في الفور " كادت تفقد جنينها وأنقذوه بصعوبة ، لو لم

تأتيني بيسان وتخبرني لماتت من كثرة ما نزفت ، هي الآن

أفضل بقليل والأطباء نصحوا بإبقائها لأن حالتها لا تسمح

بالخروج وهي تصر على أن تغادر ، ماذا حدث لها البارحة

جعلها تنزف هكذا الطبيبة قالت أنها زارتها سابقا وأخبرتها

أن ترتاح فحالة جنينها صعبة"

مررت أصابعي في شعري ولم أعرف ما أقول ولا بما أعلق

كانت تعلم كما توقعت ومنذ أصيبت ترف وإن مات ابني سأكون

السبب ، انفتح حينها باب الغرفة وخرج منه عمي منصور يساندها

لتسير وهي تخطوا الخطوات بصعوبة والمغذي ما يزال في يدها

ومعتصم يمسك القارورة ويدها الأخرى من ذراعها وأول ما وقع

نظره علي كان معتصم الذي أشاح بوجهه جانبا وتنفس بضيق وكأنه

يقول لي أين أنت من كل هذا شقيقك وعمك من يخرجاتها وهما لا

يحلان لها فتجاهلته ونظرت لأرجوان بسرعة وكان نظرها مثبتا

على يدي التي تمسك يد سما بقوة ثم نظرت لعيناي بعينان متعبة

ودامعة نظرة ملئها حزن وخيبة أمل ثم أبعدت نظرها عني

وقالت بصوت ضعيف " أخرجاني بسرعة"

فتحركا بها وأنا جامد مكاني حتى ابتعدوا عنا بخطوات وكنت

سألق بهم لحظة سقوط أرجوان من بين أيديهم على الأرض

فركضت نحوهم مسرعا وحملتها بين ذراعي و عدت بها للغرفة

ووضعتها على السرير والجميع من حولي يتحدث حتى وتروني

فوق الضجيج الذي في رأسي فقلت بضيق " يكفي وأخرجوا"

فسكت الجميع لكنهم لم يتحركوا فقلت بغضب " أخرجوا جميعكم"

فخرجوا على صوت تدمر وتأفف معتصم ليخرج الصوت الذي

لم أسمعه معهم وهو صوت سما قائلة بهدوء " هل أخرج"

كنت جالسا على قدمي أمام سريرها فالتفت لها وقلت

" لا ... قلت لا تبتعدي عني يا سما مهما حدث"

هزت رأسها بحسنا وابتعدت خلف الستار الموجود طرف الغرفة

لتبتعد عنا فعدت بنظري للجسد النائم على السرير وقد أنكه وجهه

التعب والمرض ، فمسحت بيدي على شعرها وتنهدت بأسى

خسرت الكثير في حياتي يا أرجوان بسبب التضحيات فلا تكوني

من ضمن كل ما خسرت وعودي أرجوان التي أعرف وأردت أن

تكون لي من أول مرة رأيتها فيها تقف في وجهي وتقول لي (لا)
بإصرار رغم علمها بمن يقف أمامها ، جميعنا لازلنا نحتاجك أبنائي
وأبنك وحتى الواقف أمامك ، مسحت بكف يدي على أسفل بطنها
أتحسس الشيء الذي جعلها تؤكد لي أنها لن تطلب الطلاق ولو
من أجله ، ثم صعدت بها حتى يدها وأمسكتها بقوة وقبلتها وقبلت

عينها وقلت بهمس " سامحيني يا أرجوان "

ثم وقفت لحظة وصول رسالة لهاتفي فكانت من ذات الرقم
ونفس الكلام والتهديد فتوجهت جهة سما أمسكت يدها وخرجت
بها من هناك ومن المستشفى برمته لأنني بث خطرا على جميع
المحيطين بي إن نفذوا تهديدهم ، ركبنا السيارة واتصلت بالعقيد
سالم لكنه لم يجب ، أتمنى أن لا يكون لقي حتفه مع البقية ، نظرت
جهة سما الجالسة في صمت ، لا أستطيع ترك هذه الفتاة ولا أخذها
معي هناك مصيرك من مصيري يا سما وأتمنى أن يكون خيرا من
أجلك قبلي ، توجهت لمنزلي ونزلنا هناك ودخلنا فقامت من

فورها " لما أتينا هنا "

توجهت بها جهة الأريكة في الصلاة وقلت " العملية بدأت من

أكثر من نصف ساعة ولا شيء لدينا سوا الانتظار إما رجالي

بانتصارهم أو أحد المجرمين ليقضي علينا"

ثم جلست وأجلستها بجانبى ننتظر مصيرنا المجهول في صمت

وهي متشبثة في ذراعي وكأني بصيص النور الوحيد في حياتها

أنا بث خطرا على الجميع إلا عليك يا سما فوحدهك من عليه أن

يعيش معي أو يموت معي فلن أتركك لعصابة قد تنتهك شرفك

ولا يقتلوك أو عائلة والدك ليأكلوك حية ، ويبدوا أنها تدرك ذلك

جيذا وتسلم نفسها للموت بنفسها ، قلت بهدوء

"ألا تخافين من الموت يا سما"

قالت بهمس وهي لا تزار متشبثة بذراعي " لا"

نظرت لها وقلت " ولما فمن لا يخاف منه"

نظرت للأرض وقالت بحزن " لأنه لم يبقى لي شيء أتمسك

بالحياة من أجله ، كل من أحبهم ضاعوا وآخرهم نزار وخالتي

أما أنت فمصيرك ومصري واحد"

مسحت بيدي على وجهها لحظة انفتح باب المنزل بقوة على

مصراعيه بسبب ضربة وجهت له

*

*

عدت للقصر وهي برفقتي مرغمة وتتأفف وتتذمر طوال الطرق

حتى وصلنا ودخلت وهي تتبعني قائلة " هل ارتحت بعدما

أحضرتني ، أخبرتك أنني لا أريد العودة ألا ترى حالتها"

التفتت لها وصرخت بكل صوتي " بتول أقسم أنها واصلة

معي حد الجنون فابتعدي عن طريقي"

فنظرت لي بخوف وصدمة فتأففت وصعدت وتركتها ودخلت

غرفتي وضربت بابها بقوة ، يتزوج وممن من فتاة أصغر من

بتول ويحضرها معه للمستشفى وكأنه يريد أن يقضي عليها ، لو

أفهم سبب جنونه المفاجئ حتى أنه لم يزر ابنته التي تسأل عنه

وعن والدتها منذ استفاقت رغم تألمها وصعوبة تنفسها ، ويقول

بأن تصرفاتي طائشة فليرى نفسه وما يفعل

بقيت في الغرفة لوقت طويل أفرغ جل غضبي في الرسم أرسم

أشياء بلا معنى ولا أعلم لما والتلفاز خلفي ولا أسمع حتى ما

يقولون فيه لأنه بدون صوت ليخرجني من أفكاري صوت الطرق

القوي على باب الغرفة لأنني أغلقتها خلفي بالمفتاح فتجاهلته

يسعد صباحكم جميعا

قبل ما نبدأ بالفصل اعتذر على تأخري لأنني خلصت كتابة

الآن فلو لاحظتوا أي خطأ أو تقصير فيه فالتمسوا لي العذر

لأن أواخره لم أراجعها أبدا

ثانيا الأخت في المنتدى الآخر زهرة القمر وكل من سال هناك

عن خلف أسوار المدينة للآن ما قررت إما بتكون شخصية من

أبطال رواية جديدة أو بتكون مستقلة والمرجح هوا الخيار

الأول إن شاء الله

ثالثا الفصل هالمرة ما فيه تقسيم لثلاث جزئيات مثل السابق

الفصل الثاني و الثلاثون والأخير

بعد مرور ثلاثة أشهر

اقتربت منها وهي تعطيني ظهرها سارحة في شيء ما في

الخارج أمام نافذة غرفتها بل يكاد يكون المكان الوحيد الذي

تتصل به مع العالم الخارجي تقف بثوبها الفضفاض رغم

أن حجم بطنها لم يكبر كثيرا حد أن ترتدي ملابس واسعة

وضعتُ يدي على كتفها وقلت مبتسمة

"ماذا تشاهدين كل هذا الوقت"

قالت بهدوء ونظرها على الأطفال عند الرصيف

"تري هل سيصبح ابني يوما يلعب هكذا مثلهم"

اتكأت برأسي على كتفها وأحطت خصرها بذراعي وقلت

"بالتأكيد وابني معه وسنمضي اليوم نك أيديهم من شعر بعض"

اكتفت بابتسامة صغيرة ولم تعلق فقلت "وسن ماذا

قررت بشأن ما تحدثنا عنه البارحة"

نظرت للأسفل وقالت "لن أغير كلامي يا فرح على جواد

أن يعود لدراسته ما أن يبتدئ الفصل الجديد هناك لن

أسمح له أن يضيعها بسببي"

ابتعدت عنها ونظرت لها وقلت "ليس بسببك هذا من أجلك

وفرق كبير بينهما ثم هوا لم يشتكي حتى لي ولا لك ولن يوافق

نواس أن تسافري معنا ولا أن تبقي وحدك هنا ولن توافقي

أنتي على الرجوع له"

ابتعدت عن النافذة وجلست على السرير وقالت

"من حقي أن أقرر مصيري وأكمل دراستي وعلى

جواد أن يسافر إن كنت معكم أو لا"

تهددت بيأس ثم توجهت نحوها وجلست أمامها وقلت

"وسن هل يرضيك أن يأخذ نواس ابنك منك ويحرمك منه

من حق نواس أيضا أن يراه ويرببه فلا تتخلي فرحته حين أخبره

جواد أنك حامل حتى أنه بنا في حديقة منزله ما يكاد يكون مدينة

العباب من أجله على أمل أن تعيشا معا هناك أو يراه حتى أيام معينة

في الأسبوع ، وسن لا تقسي على نفسك وعليه معك أنظري كيف

يأتي دائما على أمل أن يتحدث معك فقط وما أن نخبره برفضك يغادر

في صمت ولم ييأس أبدا ، وسن نحن لسنا متضايقان منك ولم يوافق

جواد أن نبقى في شقة والدي على الذهاب لمنزل والده إلا من أجلك

ولم يعد يفكر في السفر من أساسه ولن أوافق أنا على أن أسافر معه

وأتركك ولا أرى فكرة سفرك معنا سديدة ولن يوافق عليها نواس

فلا تنسي أنه زوجك"

أمسكت رأسها وقالت بضيق " ليطلقني ويرحمني إذا أريد أن

أعيش حياتي كما أريد أنا ، أسافر أبقى أمر يخصني أدرس

أعمل أموت لا أحد له بي دخل"

ثم رفعت رأسها ونظرت لي وقالت ودمعتها تعانق رموشها

"حتى متى سيسير الجمع للأمام إلا أنا أتراجع للوراء متى

سأعيش كأى بشر له حرية الاختيار تعبت يا فرح تعبت"

حضنتها وقلت بحزن " يكفي يا وسن أنا آسفة لم أقصد إزعاجك

توقفي فما صدقنا أن استغنيت عن المسكنات ورضيت بالعلاج

لن أفتح الموضوع معك مجددا"

ابتعدت عني ومسحت دموعها فأمسكت يدها وقلت

"ما رأيك أن تذهبي معنا لزواج صديق جواد فأنتي أيضا

مدعوة وستغيرين من أجوائك هذه قليلا"

هزت رأسها بحسنا وقالت " سأذهب من أجلك فقط لأنني

أعلم أنك لن تذهبي إن لم أذهب معكما"

قلت مبتسمة " بالتأكيد فلن أستمتع بشيء إلا وأنتي

معي يا شقيقتي الصغرى"

ابتسمت بحزن وقالت " من يرى كيف تعامليني لن يقول إلا ذلك"

وقفت وقلت " وما أفعل مع قلبي الذي يحبك"

ثم قلت مغادرة " سأذهب لجواد قبل أن يجن من صراخ ابنه

فأنا وعدته أنني لن أتأخر عليه"

خرجت من عندها ووجدته ينتظرنني في الصلاة فاقتربت

وأخذته منه وقلت بهمس مبتسمة ونظري عليه

" هل نام حبيب ماما ما أجمله يا بشر"

قال بعد ضحكة " فقط لأنه ابنك"

ابتعدت به قائلة ببرود " وهل لديك كلام غير ما قلت

أم فقط لأنه يشبهني"

تبعني حتى غرفته وقال " ماذا كانت النتيجة"

وضعته في مهده ثم وقفت والتفت له وقلت

"لم يتغير من كلامها شيء"

تنهد بضيق وقال " ولا حتى بعدما علمت أنه طلق زوجته

ومن شهرين فما الذي تريده بالتحديد"

قلت بهمس " أصمت جواد قد تسمعك"

قال بضيق " أقسم أن بقائها معنا على قلبي كالبلسم لكن

هذا ليس بعقل وأنتي تري بعينك حال نواس"

هزرت رأسي بقلة حيلة ثم نظرت له وقلت

"وافقت أن تحظر الزفاف معنا"

قال باستغراب " حسنا وما المشكلة"

أغلقت باب الغرفة وقلت " يا غبي أليس شقيق سيحضر

أيضا وهو صديقه مثلك"

قال بحيرة " هل تعني لقاء مدبر بينهما"

هزرت رأسي بنعم وقلت " وأخيرا فهمتها ، أنت فقط

تحدث معه واترك الباقي علي"

تنهد وقال " أتمنى أن ينجح هذا"

قلت مبتسمة " عليه أن ينجح وعلى شقيقك أن يعرف كيف

يكسب الجولة في صفه فهو يعلم كما الجميع أن وسن

تحبه ولم تتوقف عن حبه أبدا"

هز رأسه بحسنا وقال " أتمنى ذلك"

ثم نظر لي وقرص خدي وقال " ومنذ متى

تهتمين لنواس هكذا"

أبعدت يده وقلت مغادرة الغرفة " من اجل شقيقتي طبعاً

فلا أريد أن تعيش وابنها وحيدان"

*

*

وضع هاتفه على بطني كعادته وبدأ يحركه فضربت له يده

وأنا أراقب والدته الجالسة تنظر للصحف في يدها وقلت بهمس

" معاذ أبعد عني خردتك هذه وكأنك تستكشف الألغام"

ضحك دون تعليق ونظرت والدته لنا وقالت " ما بكما

تتهامسان وتضحكان لا يكون كله علي"

ضحك وقال " أمي لن تفلحي أبدا في حركات

أمهات الأزواج"

قالت مبتسمة " ولا ملاك تستحق أن أكون عدوا لها

كل خوفي عليها منك فقط"

ماتت ضحكته وقال بضيق " الله أكبر ضاعت علينا"

ضحكت وهزت رأسها وعادت لما تفعل وأعاد هوا هاتفه

على بطني فابتعدت عنه وقلت بضيق " معاذ أقسم أن

أغضب منك ماذا بك معي"

قالت والدته ضاحكة " لا يكن يضنك جهاز شحن"

شعرت بالدماء صعدت لوجهي من الخجل منها وها هي كانت
تري كل شيء وكله بسبب هذا الأحمق ، نظرتُ له ثم لولדתه
بمعنى هل ارتحت الآن فضحك وقال " هل هذا جزائي لأني

أبحث عن ابني الذي لم يظهر حتى الآن"

شهقت بصمت من الصدمة وعضضت شفتي أهده فرفعت
والدته رأسها وقالت " وما بك مستعجل وأنتما تزوجتما للتو"
قال بضيق " ولما لا ؟ أعرف نساء يحملن من ليلة الزفاف"
كاد يغمى عليا من الصدمة مع صوت ضحكة والدته قائلة
"وهل تركت فيها ما يحمل تلك الليلة وأنت كدت تقتلها من
الخوف ، لو تأخر ابنك أعوام سيكون بسببك"

حركت له رأسي بمعنى معها حق فوضع ساق على الأخرى

وقال ببرود " أتزوج عليها حينها لا دخل لي أريد أبناء"

نظرت له بصدمة وقلت " خالتي أنظري ما يقول"

ضحكت وقالت " تهديد بلا نتيجة ابني وأعرفه وقالها لي

بلسانه لا يريد غيرك"

نظرت له بنصف عين فقال " أضحك عليها كي لا تشتغل

لي محامي دفاع عنك"

توجهت جهة والدته وجلست بجوارها أحداثها بهمس وهي

تضحك ليس على شيء سوا لأنني لم أكن أقول شيئا مفهوما

فحاول جاهدا سماعنا ثم قال " أمني ألن تغيري رأيك

وتذهبي معنا لزفاف معتصم"

وضعت الصحن على الطاولة وقالت " لا طاقة لي على السهر

أذهب أنتما واستمتعا لما تفسدا سهرتكما لتعودا بي مبكرا"

أخرج هاتفه قائلا " كما تريدين وتحلمي النتائج من معتصم"

ثم اتصل بأحدهم وقال " مرحبا جواد ما به نواس هاتفه مقفل"

سكت لوقت ثم قال " ومتى سنقرر شقيقة زوجتك أن ترحمه

لما لا يفكر به أحد أحواله لا تعجبني هذه الفترة ولست مطمئنا"

انتبهت له بتركيز وهو يقول " لا أعلم أشعر أنه يخفي شيئا

ولست مطمئنا حاولوا تليين رأس تلك العنيدة"

" حسنا رغم أنني أعلم انه لا أمل يرجى منها لكني سأخبرها"

ثم أنهى المكالمة ونظر لي وأشار برأسه كي أحقه ثم توجه

لغرفتنا ودخل وأنا أتبعه وقلت ما أن دخلت

"من تقصد أنها لا أمل يرجى منها"

أمسك وجهي وقبل شففتاي وقال " أنتي طبعا

وصديقتك فجدي حلا لها"

أمسكت يداه المحتضنة وجهي وقلت " حاولت أقسم أي

لم أترك طريقة لم أجريها ، لا أحد منكم يعرف وسن مثلي

عنادها غير طبيعي وقد ناقشتها جهدي رغم أنني لو كنت

مكانها لفعلت مثلها"

نظر لي بصدمة مبعدا يداه عن وجهي ووضعهما في جيوبه

وقال ببرود " اسمعوا من يتحدث"

قلت بجدية " نعم وأقولها وأعيد تزوج عليا فقط وسترى"

قال " ها هكذا إذا وماذا ستفعلين لي"

كتفت يداي لصدري وقلت " سأخبر والدي طبعا

وللمستشفى يا معاذ"

ضحك بسخرية وقال " هذا إن وقف في صفك"

قلت بحزن " معاذ مزحة هذه أم حقيقة ترى أنني بلا سند"

حملني من على الأرض وقال " حقيقة وأنا سندك يا بطتي وزنك

ازداد فضعي في حسابك لا أحب المرأة الممتلئة"

تعلقت في عنقه وقلت " لم تخبرني ماذا كان يريد والدي"

قبل خدي وقال " قال يريد زيارتك"

ماتت ابتسامتي ونظرت له بشيء يشبه الصدمة والخوف

فتوجه بي للسريير ورماني عليه وقال " ما بك وكأن جنيا سكنك"

قلت بتوجس " لم يفكر في زيارتي سابقا فماذا يريد الآن"

رفع كتفيه بمعنى لا أعلم ثم توجه لباب الغرفة أغلقه وعاد

ناحيتي وقفز بجانبني فقلت " معاذ ماذا تفعل هنا

ألم تقل أن لديك موعدا مهما"

سحبني نحوه وقال " نعم لكن ثمة أمر آخر أهم وعلى ابنك هذا

أن يأتي رغما عنه لذلك علينا أن نكتف الجهود"

قلت ضاحكة وأن أحاول الابتعاد عنه " معاذ يا مجنون

اتركني والدتك سيأتيها ضيوف الآن توقف"

ولا حياة لمن تنادي فلو أحمل فقط لأرتاح منه ومن زنه

بل لأسعده مثلما يسعدني وخلصني من اكبر همومي أن

أضيع باقي عمري بين الأقدام وأستغرب سبب طلاقه من

زوجته الأولى ولا أرى شيئا يعيبه

*

كنت واقفا عند النافذة أشاهد الأرض المغطاة بالثلوج والمارة
الذين وكأنهم يعبرون فوق التراب بمعاطفهم الصوفية وفراء
قبعاتهم الذي يحضن وجوههم ، مكان أسوء ما فيه أنه لا يشعر
بالانتماء له رغم روعة كل تفاصيله ، الجمال الحقيقي هنا هو
لعب الأطفال بالثلوج فالأطفال لا يتغيروا مهما تغيرت الأمكنة
خَطَّطْتُ بِإصبعي خطأ طويلا على زجاج النافذة الذي يغطيه
بخار تدفئة الغرفة ونظرت لنهايته وابتسمت بحزن ... ثلاثة
أشهر مرت أشعر وكأنها ثلاثون عاما بأيامها ولياليها الطويلة فقد
أمضيتهما بين غرف المستشفى وخروجي الوحيد من أجل الجامعة
حياة باهتة الشيء الإيجابي الوحيد فيها أنني حققت شيئا من أحلامي
وأسعى للآخر وأخشى أن لا أشعر بلذته أبدا حتى بعدما أحققه
"نزار"

التفت بسرعة لها وتوجهت نحو سريرها فقالت بصوت

متعب " أعطني بعض الماء بني"

أشربتها الماء وساعدتها لتجلس وقلت " نمت كثيرا حتى

ضننت أنك سافرت في غيبوبة"

قالت بضحكة متعبة " وأنا لم أشعر بأني نمت سوا دقائق"

قربت لها صينية الطعام ووضعتها في حجرها وجلست معها

وقربت لها اللقمة لغمها فأكلتها وقالت " لا حاجة لأن تطعمني

بني يمكنني الأكل وحدي يكفيك تعبك معي"

قلت بتذمر " أمي كم مرة سنقول ونعيد ذات الكلام لو أطعمتك

لحمي بيدي فلن أوفيك حقك علي فمن رباني غيرك وتعب

وسهر هل هذا الذي أفعله سيتعبنى الآن"

قالت بحنان " يوفئك الله يا نزار ولو من أجل برك بي"

أطعمتها لقمة أخرى وقلت " الطبيب حدد وقت العلاج الطبيعي

وستسيرين يا أمي ، ستعود لك عافيتك ما أن تجري العملية

الأخرى فقط علينا بالصبر لأشهر معدودة"

قال بهدوء " حمدا لله على كل ما يعطي فلم أتحرك لسنوات فهل

سأتذمر الآن من أشهر بسيطة ، أخبرني أنت عن دراستك"

مددت لها كوب العصير وقلت " كل شيء يسير على ما يرام

البداية ليست متعبة كما توقعت ومادام لدي اللغة سيتيسر كل شيء"

وضعت الكوب وقالت " الله لا يضيع تعب من اجتهد المهم

أنك حققت حلمك أخيرا وكل مناي أن أراك كما تريد"

أطعمتها ملعقة حساء وقلت مبتسما " لازلت في أول

الطريق وأمامي أعوام لأتخرج"

قالت بابتسامتها الحنونة " وما أسرع ما تمضي الأعوام بني

فوحدهم المرضى ومنتظرين البعيد من يشعرون بطولها"

دخل الطبيب حينها فأبعدت صينية الطعام من حجرها ووضعتها

على الطاولة فاقترب وحيانا وأخذ أوراقها وقال " جميل كل شيء

بعد العملية يسير على ما يرام وسنبدأ المرحلة الصعبة وهي

المشي فهل أنتي مستعدة"

نظرت لي والدتي وقالت " ماذا يقول هذا الأشهب"

ضحكت وقلت " قال أنك في تحسن مستمر وأن تمارين

المشي قد تتعبك قليلا وعليك أن تتحملي الألم في البداية"

تنهدت وقالت " تحملت الكثير هل هذا سيؤثر بي ، أخبره

فقط أن يسرعوا لقد كرهت المستشفى"

ضحكت وقلت " ومن كانت تقول قبل قليل متى كتب

الله أن أتعافى فهو خير"

قالت باستياء " في منزلي وليس المستشفى"

خرج الطبيب بعدما طمئنني على حالتها وتحدثنا عن الخطوة

القادمة ونسبة حاجتها للجراحة الأخرى ثم جلست بجوارها

وأعدت صينية الطعام فقالت " شبعت بني يكفي طعامهم لا يطاق"

قلت مبتسما " لا يعترفون هنا بوجباتنا الدسمة فلا

تنسي أنه مستشفى"

تهتدت وقالت " كم اشتقت لتلك المعكرونة التي تعدها سما

وأكل منها حتى أشبع ترى ما تفعله الآن"

نظرت للأرض بحزن ولذت بالصمت وكأنه ينقصني يا أمي

لتزيدني علي فلن أفكر في نسيانها وأنتي لا تتوقفين عن

ذكرها كل حين ، قالت بهدوء " نزار"

رفعت رأسي ونظرت لها فقالت " اتصل لي بها وأنا فقط

من سأكلمها دعني أطمئن عليها"

قلت باستياء " أمي حتى متى سنتحدث في هذا إن كانت

رفضت توديعنا هل ستحدثنا الآن"

قالت من فورها " لها أسبابها وهي لا تعرف أرقامك هنا

فدعني أكلمها وحدي كما قلت لك"

وقفت وأخذت وصفة العلاج وقلت " وهي غيرت رقم هاتفها

أيضا أي أننا لن نعرفه"

قالت باستغراب " وكيف علمت هل جربت الاتصال بها"

حملت معطفي وقلت مغادرا " نعم فلا تفكري في هذا مجددا

لأنه أصبح مستحيلا"

ثم خرجت من المستشفى ولبست معطفي وأمسكته جيدا على

جسدي وسلكت الطريق بخطوات سريعة كي أعبر الشارع

ترى ما الذي يحدث معك يا سما فليس من الطبيعي أن يعاودني

ذات الحلم مرة أخرى وأرى الذئاب تهجم عليك خصوصا أن

قضية والدك انتهت ونال المجرمين جزائهم فما سر هذا الحلم

فأنا لا أعلم عنك شيئا منذ قدومي هنا ولا أحد يمكنه أن يجلب

لي أخبارك ، دخلت الصيدلية وأنا أخرج هاتفني وأرسلت

رسالة لمن قد يجد لهذا حلا فما يدريني ما يحدث معها الآن

*

*

خرجت والدتهم من أمامنا وكأن الأمر لا يعنيهما وتركتهما معي

فوقفت وقلت بضيق " لا أحد منكم يتحدث عن والدي ووالدتي

ما الذي تريدونه مني أموال ولديكم ما يغطيكم ويزيد حصصكم
من مال جدي وأخذتموها فما تريدون بعد وقلت زواج لن أتزوج
بأحدكم لتحفظوا مالكم حجة سخيقة فأنا أريد أن أنهى دراستي

ولا أحد له الحق ليتحكم بي"

قال بسخرية " عشنا وسمعنا لو سمع أعمامك حديثك هذا

يا طفلة لقطعوا لسانك"

دخل حينها أسامة على ذات المشهد المتكرر وقال بحدة

"حمزة صلاح كم مرة سنعيد ذات الكلام"

رمى يده في الهواء وخرج قائلا " لا يُكبر رأسها غيرك يكفي

مرغت سمعتنا في التراب بأن عاشت عاما كاملا مع رجل غريبا"

شعرت بغصة في قلبي واحتقان في عينايا لكني كابرته على

دموعي ككل مرة وأمسكتها بالقوة وصرخت به قبل أن يخرج

"ذاك أشرف من أمثالك وأنا أشرف من أفكارك الناقصة ولم

يتحدث عن هذا أحد سواك من قبل لتقول أنني مرغت

سمعتكم في التراب"

وقف عند الباب حيث وصل والتفت لنا وقال بسخرية

"أتبتي لنا العكس إذا ووافقي على أحد أبناء أعمامك لنعرف
سبب رفضك للجميع إن لم يكن هوا من تلاعب بك وتركك وسافر"
تنفست هواءً مُرًا دخل رنتاي كالشوك حتى مالأهما وقلت بجمود
"وذاك غرضكم ولن أحققه لكم لن تلمسوا قرشا واحدا من أموالني
ولو رميتها من الجسر للبحر واقسم أن اشتكي عليكم للعدالة"
قال الواقف أمامي وبسخرية " هه عشنا وسمعنا تشتكي على
عائلتك ليكتب خبر آخر في الجرائد عنك غير السابق"
أمسكني أسامة من يدي وسحبني حتى أدخلني غرفتي وأغلقها
عليا ولم أسمع بعدها سوا صوت شجاره وأخويه كالعادة كل
نهاية أسبوع بعدما يجتمعوا وباقي عائلتهم
لقد تعبت وسنمت هذه الحياة وأتعبت هذا الشاب معي ، لا
أعلم لما أخويه ليسا مثله لقد حشا لهما أبناء عمي الآخر أدمغتهم
وأصبحت أنا وصمة العار ومن ستجلب لهم من سيأكل أموالني
التي يعدونها أموالهم وأنه لا حق لي فيها ، صدق نزار حين
خرج من حياتي فلأي وحوش كنت سأجلبه أقسم أن ينهشوه
كالكلاب ويخرجوه وخالتي بذل لم يروه حياتهم ويتكرر معي
ماضي والدي لأترك مالي وأهلي فقط لأرضي قلبي وأكون

مع زوجي ، هذا إن تركوني له

جلست على السرير وقبضت على اللحاف بيدي لتتنزل الدموع

كل واحدة تلحقها الأخرى وقلت بحرقه " لكني أحجاجة أحجاجة

بجانبي يا نزار لأستمد قوتي منك فانظر لمن تركتني"

ثم انهرت على السرير وغمرت وجهي في اللحاف وذهبت

لعالمي الوحيد الذي يحويني وهو البكاء ، لولا أسامة لا أعرف

ما كان سيحدث لي وما سيفعلون بي هؤلاء فقد ماتت ضمائرهم

من أجل المال فحتى والدتهم لا تهتم لشيء سوا سهراتها وحفلاتها

ولا تتحدث معي إلا للضرورة والضرورة هي دعوة وجهت لي

لأذهب معها وحسنتها الوحيدة أنها لا تعاملني بقسوة

مسحت دموعي على صوت رنين هاتفي وجلست ونظرت

للمتصل فكانت بتول فأجبت عليها فقالت مباشرة

"سما سأنتظرك وعلبك أن تأتي فلن أقبل أي أعار"

قلت بحزن " لا أعتقد ذلك لا مزاج لي لحضور شيء"

قالت بصدمة " ولا حفل زواجي"

تنهدت وقلت " سأفكر وأتحدث مع أسامة لكني لا أعارك"

قالت بحزن " يكفيني غياب الجميع فلا تحرميني من

وجودك أيضا وكوني معي "

قلت بهدوء " ألم يرجع والدك بعد "

قالت مباشرة " لا ولا يبدووا سيرجع قبل موعد الزفاف

ومكتوب لي أن أزف له وحيدة مثله "

قلت " وخالك "

تنهدت وقالت بحزن " سيسافر اليوم "

قلت بهدوء " ولما لم تؤجلوه أكثر فزوجة جابر

لم تخرج من حزنها بعد "

قالت باستياء " إن تبعثها لن تنتهي من الأحزان نريد أن

نغير الأجواء قليلا فلا تتأخري وتأتي على وقت الحفل

مباشرة كالضيوف وداعا "

ثم أنهت الاتصال وكأنها متأكدة من حضوري فرميت الهاتف

جانبا ليطرق أحدهم باب غرفتي فقلت " تفضل "

فدخل أسامة وترك الباب مفتوحا كعادته واقترب مني وقال

" سما لا ترضخي لأحد كما اتفقتا "

هزرت رأسي بحسنا ثم قلت بياس " لكني تعبت من كل

هذا أقسم لو لدي حل يريحهم ويرحمني لفعلته إلا أن

أترك مال والدي لهم"

جلس على الكرسي وقال " وماذا بشأن الدراسة فالعام

سيبدأ خلال أيام"

هزرت رأسي بحسنا وقلت " افعل ما تراه مناسبا وأنا موافقة

عليها مادامت من اختيارك فهي في النهاية مدرسة"

قال مبتسما " إذا هناك أمانة لك عليك أن تذهبي لمكان ما لتتلقيا"

نظرت له باستغراب وقلت " لي أنا !! لكن ممن"

وقف وقال " من واحدة تحدثني عنها منذ فترة وسألت لك عليها

هنا وتقصيت أخبارها وعلمت أنها تركت شيئا لك"

ثم قال مغادرا " سأتركها لك مفاجأة حتى نهاية الأسبوع"

*

*

نزلت من على ظهرها وهي لا زالت تسير لتتابع ركضها

ووقفت أنا عند جواد الذي قال " لاحظ أنك لم تعد تركبها

كثيرا وهذا أمر ليس جيدا للخيل"

بقيت أتابعها بنظري دون رد فقال " هل ستذهب

لزفاف معتصم غدا"

نظرت للأرض حيث كنت أبعد حجرا بقدمي وقلت

"لا أعتقد"

قال بهدوء " عليك أن تذهب لترى وسن"

رفعت نظري له سريعا وبقيت أنظر له باستغراب فقال

"تحدثت معها فرح بالأمس ووافقت وهي ستدبر لك الأمر

اذهب هناك في الغد وهي ستتصل بك"

قلت بحيرة " متأكد أن فرح من ستفعل هذا!! "

ضحك كثيرا ثم قفز جالسا على خشب السياج وقال

"نعم وهذه فرصتك بما أنها رضت الخروج"

نظرت جانبا حيث الخيول ووضعت يداي وسط جسدي وقلت

"وهل سأحتاج لكل هذا لأرى زوجتي"

قفز واقفا أمامي وقال " وسن تريد السفر معنا"

نظرت له بصدمة وكنت سأحدث لكنه سبقني قائلا

"تصر على أن لا أوقف دراستي أكثر وتريد

الذهاب لإكمال دراستها"

ابتسمت ابتسامة تخالط الحزن مع السخرية وقلت

"ولا تقل تريد أن أطلقها إن رفضت"

تنهد وقال " نواس عليك أن تجد حلا غير بقاء كل واحد منكما

في مكان فهذا لن يجدي في شيء فكل ما تفعله أنك تذهب وترسل

فرح لها طالبا رؤيتها وهي ترفض وأنت تغادر وعلى

هذا المنوال لأشهر وبلا فائدة"

مررت أصابعي في شعري ونظرت للأعلى وتنفست بقوة وقلت

"وما الحل برأيك أضربها وأجلبها هنا مرغمة"

ثم أنزلت رأسي ونظرت له وقلت " أكبر ضربة قسمت ظهري

يا جواد يوم علمت بسبب قبولها بالصقار وتركها لي تلك الفاجعة

شلتني ولم أعد أريد أرغامها ولا مضايقتها في شيء فأنت لم تعش

معنى ما عشته لكنت جننت فتخيل أن تلوم شخصا لأعوام وتعاقبه

على ذنب يظهر في النهاية أنه بريء منه ، فحتى صحتها فقدتها

بسببي فلست على استعداد لأخسرها وابني دفعة واحدة"

أمسك كتفي وقال بجدية " وسن مجروحة منك لكنها لازالت

تحبك قد يصعب عليها رفض ما يخبرها دماغها به أنك لا

تحبها وتزوجتها مرغما وتحملتها من أجل صحتها وطلقت

زوجتك لأنها هي طلبت الطلاق وغيره الكثير لكن الواقع

واحد وهو أن الحب لا يموت بسهولة"

هزرت رأسي بقلة حيلة وقلت بياس " والحل يا جواد أخبرتك

مرارا أنني لا أريد أرغامها ولا مضايقتها في شيء مجددا فيكفيها

ما أتاهمني ، أقسم أن قلبي يأكلني عليها وفكرة أن ابني يكبر في

أحشائها وهما بعيدان عني أمر أفسى من الموت لكن ما باليد حيلة

لقد عجزت عن إيجاد طريقة فحتى هاتفها لا تفتح ولا تخرج"

تنهد وقال " اذهب غدا وقابلها وتحدثا فلا تعلم قد يكون بفائدة"

هزرت رأسي بحسنا ونظرت للوسن الواقعة هناك ، سأذهب

ولو لأراها فقد أتعبني الشوق لها وهي تحرمني منها لأشهر

ولازال لديها المزيد

*

*

شددت فستاني من يدها وقلت بتذمر " ترف لا

تتعبيني معك فوق تعبي قلت لا يعني لا"

قالت ببكاء " ولما لا أرقص معهم ماما أرجوك"

قلت ببرود " لن نكرر دائما نفس الكلام فصحتك لم ترجع

كما كانت بعد ولم يزيلوا البلاطين منك ورنئك لا تتحمل ذلك

فاجلسي عاقلة فالحفل لم يبدأ بعد لتعكري لي مزاجي"

غادرت من عندي مستاءة هذه العنيدة لا تتغير أبدا ولا تراعي

صحتها حتى تشفى تماما وأنا الملامة طبعا إن حدث لها شيء

نظرت للخلف وقلت " هل كل شيء جاهز"

رفعت سيلا رأسها وقالت " نعم سيدتي وسنخرجه حالا"

اقتربت منهم وقلت " لا ليس بعد لازلنا أول النهار وقد نضطر

لتسخين ما سيحتاج تسخيننا أردت أن ننتهي باكرا فقط كي لا

تكثر علينا الأعمال فيما بعد ، خذوا قسطا بسيطا من الراحة

ثم سننتقل للتالي"

ثم قلت مغادرة " مدكم الله بالعافية وسيلا اتبعيني رجاء"

صعدت بعدها للأعلى وهي خلفي وقلت " ستغيرين ثياب

ترف و بيسان وتساعدينهما ليستحما أشعر أني متعبة اليوم

أكثر من السابق"

دخلنا الغرفة وقالت بقلق " هل تشعرين بشيء سيدتي هل

أخبر السائق يأخذك للمستشفى"

قلت وأنا أخرج الثياب من الخزانة " لا داعي لذلك كله بسبب

الإرهاق وسأكون أفضل ألبسيهما هذه أعرف أنهما ستعاندا

لكن لا تكثرني لهما وأنا سأذهب لأرى أمجد"

هزت رأسها بحسنا فخرجت من هناك ونزلت للطابق الثاني

لو سيكون هناك ما سيقتلني وطفلي سيكون صعود السلالم ونزولها

وصلت غرفة أمجد وفتحت الباب ودخلت وقلت بصدمة

"ما هذا الذي يحدث هنا" !!

وقف أمجد على طوله يمسك بعض الثياب في يديه وقال

"عمر من فعل هذا أمي أقسم لك وأنا أحاول ترتيبها"

دخلت وقلت بضيق "عمر لا تعجبني جميع تصرفاته وكثرة

احتكاك به وأخاف أن تصبح نسخة عنه"

قال وهوا يحاول ترتيب وطي الثياب "قال يريد قميصا من عندي

وتسبب بكل هذه الفوضى وذهب سأعيدها كما كانت لا تنزعجي"

تنهدت بقلة حيلة ثم أمسكت يده وأخذت منها الثياب وسرت

به لطرف السرير وجلست وأجلسته أمامي وقلت بهدوء

"أمجد بني لا تغضب من كلامي أنا ربيتكم بطريقة لا أريد

"ترف لا تتعبي سيلا بالسباحة كالإخطبوط"

ضحكت بيسان وقالت ترف بضيق " أنظري ماما كيف

تضحك علي وأنتي السبب"

قلت خارجة من هناك " سأعطيك وحدك شوكولاتة

الفسق وهي لا"

وغادرت على صوت اعتراض بيسان وتوجهت لجناحي

اتصلت ببتول فأجابت من فورها فقلت " ما بك صوت بكائك

يخرج من ثقوب الهاتف"

قالت باستياء وبكاء " لما والدي هكذا لم يعجل في الرحلة

وتركها لنهاية الأسبوع تصرفني أنتي في الأمر"

قلت ببرود " أخرجيني من كل هذا وانسي الفكرة"

قالت بتذمر " لما تفعلون بي هذا حتى خالي رضا بقي

لليوم وسيغادر بعد قليل وقبل الزفة لما حظي هكذا

وجميعكم ضدي"

تنفست بقوة وقلت " ومعتصم وحده اليوم لن تختلفا في شيء

راعي مشاعره أيضا ويكفي بكاء كالأطفال"

أغلقت الخط في وجهي تلك المدللة فكل ما يعيها زفتها أمام
صديقاتها فما سأقول أنا التي تزوجت بلا زفاف من أساسه ، يبدووا
لي معتصم تسرع في زواجه بها الآن ، دخلت غرفتي وجلست
أمام مرآة التزيين وفتحت شعري ثم فتحت الدرج ونظرت لكل ما
فيه دون أن ألمس شيئا ، لا رغبة لي في كل هذا ولا أراه وقتنا
للتزين لكن حتى متى سأحزن بل وعلى ماذا وماذا هل سأظهر
أمام الناس شاحبة كالشبح فوق التعب والإرهاق خصوصا أن
بتول ومعتصم لم يتركا أحدا لم يدعوانه الليلة زيادة على ضيوف
والدتها ، أغلقت الدرج ووقفت وتوجهت للخزانة وأخذت حجابي
وعبائتي ولبستهم وغادرت القصر لمنزل عمهم ، سأترك المزيينات
يفعلون ذلك فلا مزاج لي ولا طاقة ، دخلت المنزل ولغرفة بتول
فورا حيث الفوضى وفريق التجميل فعليا العودة للقصر سريعا

فالوقت يسرقنا

*

*

جلست على كرسي الانتظار أنظر للأرض ولا أرى شيئا سوا

أقدام المارة يتحركون في كل اتجاه تحملهم لأماكن عدة كما

ونظرت للخلف برأسي فقط لأجد أنه للصوت صورة والصورة

واقع والواقع يقف أمامي ... زهور بمعطفها الشتوي الأحمر وحجابها

الأبيض خذاها المحمران من البرد وعيناها الزرقاء تُدمع نعم تبكي

لا ليس زهرتي من تبكي بعد اليوم ، دفعني أحد الراكبين وأضاع

عليا فرصة الركوب لأن القطار تحرك ، لا بل أعطاني الفرصة

لأعود للوراء ولا يأخذني القطار معه وتبقى الصورة مكانها

فلن تلحق بي حينها مهما حاولت

التفت لها مجددا وأوقعت الحقيبة من يدي للأرض حين ركضت

نحوي ومدت ذراعاها لي وقفزت لحضني وتعلقت بعنقي وأعدت

الحياة لعروقي والوطن لقدمي وقدامي للوطن من جديد

أجل هي ، نعم واقع يا رضا وها أنت تلمسه بيدك وتشعر ببرودة

خدها على خدك وأنفاسها الحارة رغم البرد تلفح عنقك وشيء ما

يسيل عليه وهو دموعها ، ضممتها بقوة أكبر وأنا أحملها عن

الأرض وقلت " يا رب أمهنتي من العمر ولو يوما واحدا ولا

تأخذ روحي حتى أروي قلبي من قربها"

فما كان منها سوا أن تعلقت بعنقي أكثر وقالت ببكاء " لا تقل

هذا يا رضا لا تتركني مهما حدث فلن يقرب غيرك هذه

المرأة التي عادت لك عذراء من جديد"

ابتسمت وضممتها بقوة وحنين واحتياج وقلت بهمس

"سنركب القطار القادم إذا فما رأيك"

تركت عنقي وأنزلتها للأرض ونظرت لي وقالت مبتسمة

"وحفل الزواج هناك فلا أحد يعلم بخروجي ولن يحضر

من العائلة معهما أحد"

مسحت دموعها من على خديها بكف يدي وقلت " وما شأننا

نحن بمن تزوج وبقي يكفي أن نخبرهم كي لا يبلغوا الشرطة

باختفائك فجأة ثم طائرة والد العروس نزلت منذ قليل"

ثم ضممتها لصدري ونظرت للسماء الملبدة بالغيوم وقلت

"من يصدق أن يومي سيتغير هكذا من يصدق أن ما كان

يفصلني عنك وعن الرحيل خطوة على باب القطار وتلاشت"

نظرت لي للأعلى وقالت " إذا سنركب القطار القادم ليبقى كل

شيء كما كان ويتغير وجودنا معا"

قبلت أنفها وقلت مبتسما " وهو كذلك لكن علينا

انتظار ساعة ونصف"

مسحت على خدها وقالت مبتسمة " إذا أريد الفوشار"

فضحكت وضممتها لحضني بقوة وقلت " لم تغيرك السنين يا

زهور رغم كل ما حدث طففتي زهور هي لم تتغير وسأشتري

لك الدنيا وأجلبها عندك ، أنتي فقط تمنني"

*

*

انتهيت من هناك ثم عدت للقصر وارتديت الفستان الذي اشتريته

حديثا يناسب المناسبة وجسدي ثم نزلت لأشرف على الخادما

لأنني كل شيء سريعا خصوصا أننا صرنا منتصف النهار

وصلت رسالة لهاتفي فرفعته وفتحتها فكانت من زهور

وفيها (لا تشغلوا على غيابي أنا مع رضا)

فابتسمت بسعادة ما أن قرأت الكلمات في الرسالة فكم حكمت لي

بتول عن جنون خالها بها وحبها لها منذ طفولتهم وكان سيسافر

اليوم وتطلق منه وهذه الرسالة تعني أن الأمور تصافت بينهم

رفعت الهاتف وضممته لحضني فهذه الفتاة تستحق أن تسعد

بعدها رأت

نظرت فجأة للحركة عند باب وماتت ابتسامتي وأنا أنظر

للووقف هناك ينظر لي بصمت مكتفا يداه لصدرة

*

*

منذ وصلت ووقفت هنا ووجدتها ترتب ما على الطاولة بانسجام
بقيت مكاني أراقبها بفستانها الأزرق تجمعه قطعة كريستالية تحت
الصدر وينزل منسابا لأول ساقها قرابة الركبتين ، شعرها ملفوف
ولا زال يعيق حركتها بكثافته وطوله ، وشيء آخر بطنها نعم كبير
وبرز من فستانها رغم أنها دخلت شهرها السادس للتو ، وصلت
رسالة لها تفها ففتحتّها ولم أتبين ملامحها بعد بسبب شعرها الكثيف
لكن لحظة احتضنت الهاتف علمت أن ما جاءها أسعدها كثيرا
شعرت لحظتها بشيين في صدري الشوق لذاك الحزن وشيء
آخر وهي الغيرة نعم غرت ولا أعلم من الهاتف أم من صاحب
الخبر مما جعلني أصدر صوتا بحركتي لتنتبه لي وبالفعل التفتت
نحوي من فورها وماتت ابتسامتها على أعتاب عياني ، لازالت
عاتبة إذا بل وحزينة ومجروحة ، سحقا للبعد يا أرجوان إن لم
يرقق قلبك بعد ، اقتربت منها وهي عادت لما كانت تفعل متجاهلة
لي فوصلت عندها واستندت بيدي على الطاولة واقفا بجانبها وملت

لها قليلا حتى كان وجهي مقابلا لجانب وجهها وقلت بهمس

"ما سر هذا الخبر الذي جعلك تحضنين الهاتف هكذا"

أبعدت شعرها خلف أذنها وهي تستمر في تجاهلي ولم تنظر

لي ولا مجرد النظر فنفخت على شعرها وقلت بابتسامة جانبية

"هل هكذا تستقبل الزوجة زوجها الذي لم تراه منذ أشهر"

لم تتحدث أيضا ولم تبدر منها أي ردة فعل فمدت يدي لذقتها

وأدرت وجهها ناحيتي لتعانق عيناى عينيها في صمت من كلينا

فأبعدت وجهها مجددا وقالت ببرود "حمدا لله على سلامتكم"

ابتسمت بل ضحكت ضحكة صغيرة وقلت "سلامتنا !!! حتى

السلامة لا تريدي أعطائها لي وحدي"

أولتني ظهرها لتغادر فأمسكت يدها ولففتها جهتي وأمسكت

وجهها بيدي ورفعته ليقابل وجهي وخللت أصابعهما في

شعرها وقلت "ولا حتى اشتقت لك يا جابر"

بقيت على صمتها تنظر لعيناى فقربت وجهي لها حتى

تلامست شففتينا وقلت بهمس "كم كنت أسمعها منك

في أوقات أفارقك فيها لأيام فقط"

اضطرب تنفسها بشكل واضح وحاولت التراجع للوراء والابتعاد

عني لكنني شدتها لي بقوة وقبلتها بعمق ثم أبعدت شففتاي وقلت

"رغما عنك يستقبلي حزنك وشففتيك يا أرجوان"

أبعدت وجهها جانبا وقالت ببرود " حتى هذه

أصبحت بالأوامر يا جابر"

أعدت وجهها أمام وجهي وقربت شففتاي مجددا وهمست

"نعم إن كانت ستجعلك تنطقين يا غضوب"

كنت سأكرر تقبيلها وأروي عطشي بعد لكن أوقفني الصوت

الذي نادى من خلفي قائلا " باباااااا"

فتركتها والتفت فإذا بترف راكضة نحوي فاستقبلتها بذراعي

ورفعتي للأعلى وقبلت خدما وقلت " مرحبا بالمشاكسة العنيدة

أراك صرت أفضل"

حزنتني وقالت " اشتقت لك كثيرا بابا لا

تغب عنا هكذا مجددا"

ضحكتُ وضممتها بقوة وقلت " حسنا من أجل هذه

الكلمات فقط لأن غيرك نسيها"

دخلت حينها بيسان وقفزت صارخة ما أن رأنتي وركضت نحوي

فأنزلت ترف ونزلت لها واحتضنتني قائلة " بابا لا أصدق

متى عدت؟؟ ولا تذهب ثانيًا هكذا"

ضحكت ثم قبلت خديا وقلت " حاضر"

قالت ترف " هل عادت جدتي معك"

وقفت وقلت " نعم لكنها متعبة قليلا وفي المستشفى

أين أمجد"

قالت بيسان " في غرفة عمي معتصم اتصل به وطلب

منه أن يأخذ من عطره ووافق"

ثم قالت بعبوس " وقال نحن لا وماما رفضت حتى أن

نأخذ من عطرها وقالت الفراولة فقط"

لعبت بغرتها بأصابعي وقلت " وحين تقول ماما لا يعني لا

أم تريدوها أن تذهب مجددا وتتركنا"

هزتا رأسيهما بلا فورها فضحكت ونظرت جهة الباب الآخر

الذي أتيت منه وقلت " سما تعالي"

فخرجت من هناك وتقدمت نحونا وأول ما فعلته أرجوان أن

شغلت نفسها بالطاولة مجددا وكأنه لم تحكي الجرائد كامل قصتي

معها وما حدث وشاع ، اقتربت منا فقلت " هذه زوجتي أرجوان

يا سما سبق وتقابلتما في المستشفى"

نظرت أرجوان ناحيتنا ولو كارهة للأمر فأنا أعرفها عند هذه

المواقف لن تُخجلني ، مدت سما يدها لها وقالت

"مرحبا سيدتي سررت بلقائك"

صافحتها أرجوان قائلة " شكرا لك وأنا كذلك"

وضعتُ بعدها يدي على كتف سما وقلت " ستبقي هنا اليوم ولن

ترجعي هناك حتى الغد وأنا معك كما اتفقنا"

كانت ستعرض لكني سبقتها قائلا " سما لن تكوني هناك الليلة

ولن أومن عليك ساعة أخرى بعد ، ستنامين هنا وغدا نُتم كل

شيء ، أخبرت أسامة أنك ستباتين مع صديقتك ولن يتحدث

أحد بل لن يكون هناك لسان يتكلم بعد اليوم لأن حسابه

سيكون معي وعسيرا"

ثم شددت بيدي على كتفها بقوة وقلت " رحلة عودتي كانت ستكون

نهاية الأسبوع وقدمتها لليوم ما أن وصلتني الرسالة التي

تخبرني أنك قد تكونين في خطر"

نظرت لي بحيرة وقالت " رسالة ممن !!"

لأجل حمايتي فلا تحقدي عليا أرجوك لأني أريد أن نكون صديقتان

من أجل جابر لأنك زوجته ولأنه يستحق ومحضوضون أنتم به"

ابتسمت وقالت " لا تفكري هكذا يا سما أبدا فالذي بيني وبين جابر

لا دخل لك به وإن كنتي فردا فيه ولن أحقد عليك ولن أكرهك

وقد قرأت قصتك وما حدث من الجرائد وتعاطفت معك كثيرا

وفخر لنا أن يكون جابر من ساعدك"

ابتسمتُ بارتياح لكلامها وقلت " كنت سأذهب لمنزل بتول لكنه

أصر أن آتي هنا وأتعرّف عليك أولا حتى أنه من المطار جاء

لمنزل عمي وأحضرني معه أولا لأن مشاكلي لازالت عالقة

وكل تفكيره في حلها ، سعيدة بأن تعرفت عليك وأنت

متفهمة لموقفي"

قالت مبتسمة " لا يحق لي محاسبتك يا سما يكفيك ما أتاك

وبتول تنتظرك منذ وقت سيأخذانك بيسان وترف هناك"

هزرت رأسي بحسنا مبتسمة وشكرتها وغادرت برفقتها لمنزل

عائلة بتول وأشعر أن هما كبيرا انزاح من على صدري فكم

خشيت من مواجهتها وأن لا تكون تفهمت الوضع وما حدث

لكن ما يحيرني من أين علم جابر ومن أخبره هل هوا أسامة يا

ترى !! لكني حذرتة كي لا نزعجه هناك خصوصا أنه سافر
بوالدته في نفس ذاك اليوم وما أعلمه أن حالتها كانت سيئة جدا
لن أنسى تلك اللحظات ما حييت حين دخل علينا رجاله وكأنا
في مهرجان رئاسي ووقف لهم جابر وبدئوا يضربون التحية
وهوا يهنئهم على ما فعلوا واحدا واحدا فذاك الدخول كان خشية
منهم أن نكون تعرضنا لخطر خصوصا أنهم ما أن أمسكوا
رئيس الجمارك علموا برسائل التهديد التي وصلت لجابر
يبدوا أن الإثارة في حياتي لن تنتهي أبدا
وصلت منزل بتول وعادتا ابنتا جابر لقصرهم على الفور ، كم
تعجبني تربيتهما الجيدة لهم ولا أستغرب الآن أنها حين رفضت
أن يستخدمتا عطر الكبار انصاعوا لها وجابر أيضا يبدوا يقف
مع قراراتها ويحترم طريقة تربيتهما لهم فكم من أباء تقول الأم
شيء فيأتي ويكسره أمام أبنائه ليفعلوا ما يريدون
دخلت المنزل واستقبلتني والدة بتول وأوصلتني لغرفتها فدخلت
ووجدتها جالسة هناك وحدها فوقفت في الفور واحتضنتني قائلة

"سما حمدا لله أنك أتيت"

قلت بابتسامة " وكيف لا أحضر زواجك ، كم

تبدين جميلة يا بتول"

ابتعدت عني وقالت " ما قصدك هل كنت قبيحة"

ضحكنا معا ثم قالت " اسمعي عليك أن تتزوجي بعد عام

من الآن حين تصيرين في عمري الآن كي نتعادل"

ضحكت وقلت " ولما"

حركت يدها المخضبة بنقوش الحناء في الهواء وقالت

" لا دخل لي بك لا أريد أن أتزوج وأنجب أبناء

وأنتي عزباء حرة طليقة"

أبعدت يدها من أمامي وقلت " إف أبديها رائحتها مقرفة"

ضحكت وقالت " سنتزوجين وتضعينها رغما عنك وليس في

يديك فقط ولن تتخلي طلبات الرجال"

قلت بقرف " مستحيل أكره رائحتها منذ كنا في الهند

فكم يحبونها هناك"

أخذت الكيس الموجود في يدي وقالت " هدية لي شكرا يا

سما فأنتي بالتحديد كنت أنتظر هديتك"

قلت مبتسمة " أسامة من اختارها لك لأنني لم استطع الخروج

بالأمس فجلبها وقال أنه لا يجوز أن آتي لك بدون هدية"

قالت بحالمية " يا عيني على الوسيم صاحب الذوق

تزوجيه قبل أن تأخذه غيرك"

نظرت للأسفل ولم أتحدث فقالت " لا تكوني لازلت

تحبين ذاك الذي تركك وسافر يا غبية"

أشحت بوجهي جانبا وقلت بحزن " نزار اختار حياته ولا شيء

يجمعنا ولا يحق لي ذكره إلا بالخير فلن أنسى ما فعل من أجلي"

تنهدت وقالت " لكن هذا مؤلم لقلبك كثيرا كيف يذهب هكذا

ويتركك والمرجح أن لا يرجع أبدا"

شعرت بغصة في حلقي وأكثر في قلبي ونظرت للأسفل

وقلت بحزن " اتركينا من هذا الآن"

أمسكت يدي وقالت بحماس " نعم وأخبريني من أحضرك مؤكدا

ابن عمك ذاك ، دائما أبناء العم رائعين اسأليني أنا"

قلت مبتسمة " وما غير رأيك فجأة"

ضحكت وقالت " لا أعلم لكني أصبحت أحبه حقا وأموت

إن نظرت له واحدة ولو من بعيد"

قلت بابتسامة " يعني عليا أن لا أفكر في فعلها"

ضحكت كثيرا ثم قالت " لا طبعا أنتي صديقتي المقربة وعليا

أن أتقبل اقترابك منه ، هيا أخبريني كيف أتيتِ وقد قلت لي بنفسك

أن أسامة لا يمكنه جلبك هذا الوقت ولا تريدي إحراجة"

قلت بهدوء " ليس هوا من أحضرنى بل جابر"

نظرت لي بصدمة وقالت " ماذا جابر !! هل عاد"

كنت سأحدث لكنها سبقتنى بصرختها وركضت للباب

خلفي قائلة " أباى لا أصدق أنك أتيت"

التفت لهما فكانت تحضنه وتبكي وهوا يطبطب على ظهرها

قائلا " يكفي من تبكى فى ليلة زفافها هكذا ، مبارك لك يا

ابنتى وسامحيني فكل شىء خارج عن استطاعتى"

قالت ببكاء وهى متعلقة به " لم يكن سيكون لليوم أى طعم

إن لم تحضر وتزفنى لزوجى"

مسحت دمعتي ونظرت للأرض ، كم أنتى محضوذة يا بتول

فأنا يوم سأتزوج لن يكون أحد معى لا أب لا أخ ولا أم ولا حتى

عم أو خال أو جد سأكون وحيدة وأزف له وحيدة هذا إن

تزوجت ، قالت بتول بحزن " دعونا أعمامى وعمتى ولم يأتى منهم أحد"

مسح على رأسها وقال " لن نجبر أحد على أن يحبنا ويعترف بنا

ما عليكم فعلتموه والذنب ذنبهم الآن"

ثم نظر بعدها لي وقال " سما هذه أنتي" !!

وبدا ينظر لبتول ولي باستغراب ثم قال " هل تعرفان بعضكما"

قالت بتول " نعم درست معي هنا في الثانوية بضعة

أشهر وصرنا صديقتين"

قال " هذه سما التي قلتى أنها صديقتك وزارتك

مرة !! لم أتوقع أنها أنتي"

قالت بتول " والآن أخبرني أنت من أين تعرفها"

قال " درست في ثانويتي في العاصمة أيضا"

قالت مبتسمة " ظهر أنك تعرفين جميع العائلة وأنا من

ظننت أنه لا يعرفك أحد غير جابر"

قال باستغراب " وما علاقة جابر أيضا" !!

ضحكت بتول وقالت " أبي ألم تقرأ ما عجت به الصحف

المحلية بعدما أمسكوا عصابة المصانع"

أمسك أنفها وقال " ومن أين سأقربها وأنا سافرت مع جابر"

قالت " لا تقلق سأعطيك واحدة فيما بعد وتفهم كل شيء

فهما كانت في خطر وجابر من ساعدها"

نظر لي وقال " إذاً ظهر ورائك حكاية كما كان

يقول مدرسك نزار"

نظرت للأسفل وقلت " بلى وهو من ساعدني

وعرّفني على جابر"

قال ضاحكا " وأنا من طردتك لكن نزار ورائك ورائك حتى

اكتشف سرّك فذاك الشاب ينذر وجوده"

نظرت للأرض بحزن وأشعر أنني لحظات وسأبكي ، لما لا

يساعدني أحد على نسيانه رغم أن منزلي تغير والوجوه

وحياتي إلا أن ذكره لم يختفي ويبدو لن ينتهي أبدا

*

*

ركبنا القطار في رحلة لأكثر من ساعة وأنا في حضنه نشاهد

النافذة وتحدث ورضا كما كان لا يسكت أبدا ولم يترك شيئا لم

يستغله ليتغزل فيا به حتى أنه حين نمر بشجرة قريبة يقول

(أنظري يا شجرة هذه حبيبتي الفاتنة) وكم أضحكني ببعض

تعليقاته وكلامه ، حضنت خصره بذراعي بقوة وغصت

بوجهي في كتفه وقلت " لا تتركني ثانيًا يا رضا أرجوك"

ضممني له بقوة وقال " أبدا يقطعوا عنقي ولا أعيدها الموت أهون

علي من ذلك وأقسم أن أعوضك على كل ما كان يا زهرتي"

وقف حينها القطار وكانت محطتنا ونزلنا معا ووقفنا في

المحطة وقلت " أين سنذهب الآن؟"

رفع كتفيه بمعنى لا أعلم فضحكنا معا ثم قلت " ما رأيك

لو نرجع لحفل الزفاف أفضل من أن يسألونا فيما بعد

عن رحلتنا ولا نعرف ما نقول"

ضحك كثيرا ثم قال " لا إلا هذه فستدخلين حيث النساء

وأذهب أنا للرجال فمالي وشيء يبعدي عنك"

اتكأت على كتفه وقلت " إذا خذني حيث تريد المهم أننا معا"

خرج بي من المحطة وركبنا سيارة أجرى ولم يخبرني أين

سنذهب حتى وقفت السيارة ونظرت من حولي وقلت

"ماذا سنفعل هنا" !!

نزل وقال " انزلي وستعرفين حالا"

نزلت ووقفت بجانبه فوضع يده على كتفي وسار بي حيث

باب مدينة الألعاب الكبير فقلت باستغراب " سندخل هنا" !!

قال ضاحكا " نعم فَمَنْ كانت تقول لي في الماضي بصوتها

الطفولي الذي أعشق (رضا لو فقط فقط أدخل مدينة

الألعاب ، لما لا تأخذني لها")

ثم ضمني لكتفه وقال ونحن ندخل " وأنا سأحقق لك كل ما

كنتي تطلبينه طفلة وعجزت عن تحقيقه لك"

مسحت دمعتي وقلت بسعادة " لم أتمنى أكثر من

أن نكون معا"

أمسك أنفي وقال " ولم تكوني تقولينها لي يا مخادعة"

وقفت وقابلته ووضعت يداي وسط جسدي وقلت " كاذب قلتها

لك مرة ووبختني عليها كثيرا وقلت أن هذا الكلام لا

أقوله لأي شاب كان مرة أخرى"

ضحك رافعا رأسه للأعلى ثم نظر لي وقال

"وهل تذكرني ما قلتني لي حينها حتى وبختك ذاك التوبيخ"

ضحكتُ وحككتُ خدي بسبابتي وقلت " قلت لك

تزوجني حين تكبر"

حضني وقال ضاحكا " كدت أجن حينها من الفكرة ومن فكرة

أن تقوليها لغيري من الأطفال ويعتاد لسانك عليها"

حضنته بقوة وقلت " أخفتني يومها فهي كانت أول مرة تصرخ

بي وتوبخني ولم أتحدث عن الزواج بعدها أبدا"

أبعدني عنه وقال مبتسما " أريد فقط أن أعرف يومها من

أين جننتي بها وأنتي منعزلة عن كل شيء"

قلت بعد ضحكة " سمعتهم عند والدتي يتحدثون عن واحدة

تزوجت شخصا وسيعيشان معا في منزل عائلته فركبت الفكرة

في رأسي أن من يتزوج شخصا يذهب معه ويعيشان معا

وكان ذاك كل قصدي وغرضي مما قلت حينها"

أمسك يدي وسار بي قائلا " لو كنت أعلم لقلت لك

وقتها قولي يا رب يتحقق ذلك"

ضحكنا معا ثم أخذني حيث القطار وقال أنني تحدثت عن هذا

تحديدا وأركبني معه مرغمة رغم أنني رفضت وكنت خائفة بحق

لكنه لم يكثرث لي وكنت طوال رحلتنا المرعبة تلك متمسكة به

وأصرخ بقوة وندمت أنني في طفولتي طلبته ، ولم يترك بعدها

شيئا لم يجعلني أركبه وحتى المراجيح بل واشترى لي حلوى غزل

البنات وكل ما كنت أحكي له عنه من رؤيتي لها مرة في التلفاز

مصادفة ، وبعدها انتهى يومنا هناك خرجنا ووقفنا في الخارج

وقلت " والآن أين سنذهب بعدما طردونا وأغلقوها"

ضحك كثيرا ثم سار بي على قدمينا وقال " سنبحث عن

فندق نقضي فيه ليلتنا ونتعشى طبعاً"

وقفت فوقف لوقوفي وقال " ما بك حبيبتي هل هناك شيء"

نظرت ليدي وأنا أحرك بأصابعها زر معطفي الكبير وقلت

بخجل " أمم كنت أود أن ... أن أقول أنني لم أحضر معي

ثيابا ولا أريد ليلتنا الأولى أن تكون إلا مميزة كما أريد"

أمسك يدي وسار بي ونحن نقطع الشارع وقال " أوامرك

زهرتي سنتعشى ونقضي ليلتنا نتسكع كالمجرمين

وصباحا نعود للعاصمة ولشقتنا حسنا"

قلت مبتسمة وأنا أجارى خطواته السريعة " موافقة أخشى

فقط أن يمسكونا الشرطة ويأتي جابر ليخرجنا"

ضحك وقال ونحن نقف عند الرصيف " ستكون حينها

فضيحة بمليون جنيه حينها"

ثم ضحكنا معا وتابعنا سيرنا حيث لا وجهة محددة

*

*

قضيت الوقت في غرفتي وسما معي حتى وقت الزفة ولم

تفارقني أبدا ووحدها من صديقاتي من تركتها تراني أما البقية

فلن أتركهم يروني قبل أن أزف هناك ، لففت يمينا ثم يسارا

وقلت " هل كل شيء مضبوط يا سما"

قالت مبتسمة " نعم كم مرة قلتها لك رائعة وتخطفين الأنظار"

قلت مبتسمة " وهكذا أريد أن أكون في زفتي أمامهن جميعا"

قالت باستغراب " غريب أمرك كل حديثك عن زفتك أمامهم

ولم تذكرني زوجك أبدا وما سيكون رأيه"

رفعت كتفائي وقلت " ذاك لم يترك شيئا مفاجأة فقد سبق ورآني

متزينة في زواج خالي رضا وشقيقته زهور فلن يتغير عليه شيء

رآني دون حجاب مرارا وحتى بالبيجامات القصيرة وبدون

أكمام وأفسد على نفسه"

قالت بحيرة " وإن يكن أنتي اليوم لن تكوني

كيوم زفاف خالك أبدا"

استدرت جهة المرأة وقالت " ستري وسأحكي لك لن يتغير

عنده شيء فحتى كلمة جميلة قالها لي يومها"

دخلت حينها والدتي وقالت " بسرعة فوالدك ينتظر في الأسفل"

قلت بحزن " وخالي رضا؟؟ يبدووا ذهب"

قالت مبتسمة " نعم ولمكان مجهول وأخذ زوجته معه"

نظرت لها بصدمة ثم صرخت وضممت يداي لبعضهما

وقلت " قولي قسما أنها ذهبت معه"

توجهت نحوي ورفعت غطائي وقالت " انزلي بسرعة

بعد أشهر قد تصبحين أمًا ولازلت مجنونة"

تحركت معها وسما تتبعنا وقلت ببرود " أصبحت أما منذ أن

أنجبت لنا ابنيك الأخيرين"

ثم نزلنا للأسفل وغادرت سما لتكون مع المدعويين في قصر

عمي فهم يملكون صالة ضخمة خصصها من أجل المناسبات

غطت لي والدتي جسدي بالغطاء المخصص دون أن ترفع قبعتها

لراسي ووجهي وهي تمسح دموعها وقال والدي " ما يبكيك

الآن وها هي قريبة منك أم تقلدين غيرك فقط"

قالت بضيق " وما شأنك بي لا أعلم مما مخلوقة قلوبكم أنتم الرجال

ثم هي وزوجها سينتقلان للعاصمة قريبا من أجل دراستهما

وهي ابنتي الوحيدة والأولى"

شعرت بالعبرة من كلامها فأمي رغم المسؤوليات التي تلقىها على

عاتقي وانتقادها الدائم لي وتوبيخي باستمرار إلا أنها تحبني ولا تريد

فراقي ، حضنتها وقلت ببكاء " أحبك أمي أطال الله في عمرك حتى
تري أبنائي وتربيهم كما ربيت لك أبنائك"

ضحكت من بين دموعها وضربتني على رأسي وقالت

"استحي من والدك على الأقل"

غطى لي والدي شعري ووجهي وأخرجني من هناك مع والدتي

في سيارته طبعاً رغم أن القصر قريب جداً ونزل بي في القصر

وأوصلني حتى باب القاعة وأزال غطائي ثم قبل جبيني وقال

"أسعدك الله يا بتول يا ابنتي كوني عوناً لزوجك وسنداً له وأبعدي

عك الدلال ، معتصم رجل يُعتمد عليه فلا تخسريه زوجاً كي

لا أخسره صهراً قبل أن يكون ابن شقيقي"

قبلت يده ورأسه وقلت بدمعة علقت في رموشي " ليحفظك الله

لي يا والدي أقسم أنني من دونك لا أساوي شيئاً سامحني

على تقصيري معك"

مسح على خدي وقال " لا أذكرك أنك قصرت معي يوما"

ثم نظر جهة والدتي وقال بابتسامة جانبية " هناك من

عليك طلب هذا منها"

التفت لوالدتي وحضنتها وقلت " سامحيني يا أمي"

حضنتني وقالت بحنان " ليسعدك الله يا بتول ويحفظك لم

أغضب منك يوما لأسامحك ولا أعلم كيف سيصبح المنزل بعدك"

قلت بابتسامة حزينة " كئيب طبعاً وكله ذكور إلا أنتي"

ضحكا معا وقالت والدتي " هيا بسرعة سيدخل لك والدك

فيما بعد فادخلي للضيوف الآن"

قلت بصدمة " من هنا" !!

قالت باستغراب " ومن أين إذا؟؟"

قلت معترضة " من الأعلى طبعاً لأنزل من السلالم الموجود

داخل القاعة كما خططنا أنا وأرجوان"

تنهدت وقالت " ما الفرق ثم ما سيصعد بك السلالم بفتانك هذا"

قلت بتذمر " لا دخل لي لا تفسدوا ما أريد في حفلتي"

تأففت وقالت " أمري لله سأرفع الفستان وأنتي ارفعيه

من الأمام واصعدي"

توجهنا حيث السلام وصعدت للطابق الثالث لأنزل من هناك

فثمة سلام مشترك مع الطابقين ينزل للقاعة مباشرة حيث قاموا

بتزيينه وفرشه بالورود والبساط الأحمر لأنزل للمنصة مباشرة

وإن لم يحدث هكذا كما أريد فسأفقد عقلي لهم هنا

وصلنا للأعلى وكانت أرجوان تنتظري عدلت لي فستاني ثم

نزلت مع والدتي لأنزل وحدي السلام ، انتظرت قليلا ليشغلوا

إضاءة السلام لحظة نزولي ثم توجهت جهتها لأنزل وما أن وصلت

هناك حتى خرج لي معتصم من خلف العمود الضخم في حافتها

ببذلته الرسمية السوداء وشعره مسرح باتقان فقلت بشهقة

"معتصم ماذا تفعل هنا"

أمسك يدي وسحبني منها وحملني بين ذراعيه وقال

"انتظر جميلتي وفانتني طبعاً ، كم مرة سأقول انك في

أجمل حالاتك وتظهرين لي بشكل أروع"

قلت بعدم استيعاب " ماذا تفعل هنا ولما رفعتني هكذا"

قال وهو يلف بي حول العمود للسلام " لأنزلك طبعاً"

شبهت بقوة ولم أعرف ما أقول لأننا نزلنا وظهر لي الحضور من

الخلف ولا مجال لتغيير أي شيء بعدما أفسده ، علمت أن ما أريد

لن يحدث لكن ليس هكذا ، قلت بتذمر وبكاء بين تصفيق

الحاضرات لنا " أفسدت كل شيء يا معتصم"

كنا حيننا منتصف السلام فأنزلني وأمسك يدي ونزل بي قائلا

" أنتي تريدين وأنا أريد والله يفعل ما يريد"

قلت باستياء " بل أنت فعلت ما تريد"

قربت رأسه مني وهمس " ابتسمي فالجميع ينظر لك"

قلت بسخرية " بل ينظرون لك أنت وكل خوفي

أنك جئت ليروك"

ضحك ووصلنا للأسفل وعاد وحملني مجددا حتى المنصة وأجلسني

هناك وغادر بخطوات سريعة وجميع الأنظار بدلا من أن تكون

منتبهة لي أصبحت منتبهة له مغادرا ، ذاك المحتال هل ينقصه

ليعرف أكثر أنه وسيم وملفت للنظر

*

*

وقفت في منتصف الممر الذي أخبرتني عنه فرح وأشعر أن وجودي

هنا كله خاطئ أكاد أدخل قصرهم وأنا رجل غريب ووسن تأخرت
وكم أخشى من نتائج هذا المخطط ، كنت سأراجع وأعود من حيث
جئت حين سمعت كعب حذاء فالتفت ووقفت مكاني أشاهدها وهي
تبحث عن شيء ما أو أحد ما وهذا مخطط شقيقتها توصلها هنا
والباقي علي أنا وعلياً أن أدخل لها ، اقتربت وبقيت لوقت أرسم
تفاصيلها بعيناي المشتاقه وهي لم تنتبه لي ، فكم قاس هوا البعد يا
وسن ولو تعلمي كم أتعذب من الشوق والحنين ولو شعري بي ما
تركنتي يوما واخترت حتى السفر بعيدا عن البلاد التي أنا فيها
بقيت واقفا اروبي عطش عيناى بها بفستانها القرمزي المنحوت
على جسدا ورغم بروز بطنها قليلا إلا أنه لم يفسد فيه شيئا
شعرها مرفوع للأعلى وخصلات منه تعانق جبينها وأطراف
وجهها وكانت هذه المرة الثانية فقط أراها فيها متزينة بعد تلك
المرة في زواج جواد وفرح فلم تترك لنا الظروف أي فرص
فحتى زواجي بها كان في توقيت سيء أبعد ما ستفكر فيه حينها
أن تتزين لي ، انتبهت لوجودي أخيرا ونظرت لي بصدمة واقفة
مكانها لتتحول نظرتها لشيء لا أفهمه ولم أجد له تفسيراً ، قولي

أنه الشوق يا وسن قولي أنه الحب أنه الفقد والاحتياج واركضي

نحوي وارتمي في حضني ، أرخت نظرها لتغلب على ملامحها

نظرة اللوم والعتاب ، لم تكن كرها ولا حقدا كانت جرحا ولوما

نعم ، خطوات ناحيتها عدة خطوات وكنت سأتحدث لولا أن دخل

علينا صوت كعب حذاء آخر خرج من الممر الذي جنت منه ليتحول

نظر وسن هناك وبصدمة حتى خُيل لي أنها لم تعد تتنفس فالتفت

بريبة للواقفة خلفي فكانت مي ، لا ليس أنتي والآن تحديدا ومن هذا

الممر بالذات ، بل لم أتوقع أن تحضر وكيف!

وقفت تنظر لنا بصدمة لا تقل عن صدمتنا ليعيد نظري ضحكة

وسن الصغيرة الساخرة ثم قالت بأسى " لا يترك القدر فرصة

لا يعطيها لك لذبحي يا نواس"

ثم غادرت عائدة من حيث جاءت ، نعم اختفت في لمح البصر

وزادت الظنون لديها ظنونا فما سيخبرها عقلها غير أنني ومي

كنا هناك أو متفقان على اللقاء هنا وهي سبقتنا ، ما هذا الحظ

الذي لديك يا نواس ، عدت أدراجي مجتازا لمي التي لازالت

تنظر لي بصدمة ولم تتحدث بشيء ولا أنا لأنني خرجت فقط

وفي صمت ، ودّعت معتصم لأغادر وباركت له ووصلت عند

جواد الذي كان يتحدث في هاتفه قائلا " ما بها !! حسنا أخرجنا

أنا أنتظركما"

قلت بريية " ما بهم"

قال متوجها لسيارته " وسن يبدوا تعبت في الداخل"

مررت أصابعي في شعري وأشعر أن آخر الحصون التي تبقت

لدي لمقاومة القادم قد انهارت ثم ابتعدت عن السيارة ليخرجنا ولا

تراني وعدت للمزرعة وليلة سوداء مرت علي لم أترك فيها هاتفني

وكلما اتصلت به قال أنها لا تتوقف عن التقيؤ والألم ولا تتحدث

بشيء كعادتها ، بعد ساعتين اتصلت به فأجاب بعد وقت

وقال بصوت فيه نوم " نعم يا نواس"

قلت " كيف هي الآن"

قال ببحة " بخير ونامت أخيرا ، لا تقلق ونم أنت أيضا"

قلت بأسى " وأي نوم سأنام ستصحو من نومها وتعود لأوجاعها

أعرف مرضها جيدا ، اسمع ما سأقول يا جواد"

بقي صامتا يستمع لي وأغمضت أنا عينايا بألم وقلت

بصوت ضعيف " خذاها وسافرا"

قال بصدمة " ماذا تقول " !!

قلت من فوري " نفذ ما أقول فعلى وسن أن تبتعد وتزور الطبيب

المتخصص هناك وتبدأ في العلاج فهنا لن تزداد إلا سوءا ولن

ترضى الذهاب مجددا للطبيب النفسي فأنت تعلم نظرة الناس

هنا لمن يذهبون له"

قال من فوره " ولكن كيف تتركها تذهب ... وأنت"

قلت بحزن " أفضل لي من أن تموت أمام عيني وابني معها"

قال بريبة " ولا تقل أنك ستطلقها"

قلت مباشرة " لا طبعا وهل لي قلب على ذلك لأرجع

وأبحث عن فرصة أتزوجها بها مجددا"

قال بحيرة " لا أعلم ما أقول لقد فاجأتني يا نواس كيف ترضى

بهذا فقد يطول سفرنا لسنوات ثم أنا مقتنع ببقائي هنا ولم

تعد لدي الرغبة في السفر"

قلت " أفعل ذلك من أجلها فعليها أن تشفى ثم

لكل حادث حديث"

قال بهدوء " لا أعلم ما أقول لك"

قلت " ما قلتها هو الصواب فهو أسمى عليا من الجميع

لكن لا حل غيره مؤقتا على الأقل"

تنهد وقال " أخشى أن تكون العواقب بالعكس"

قلت بأسى " لن تسوء أكثر من هذا سأحجز لكم في أقرب رحلة

وخذاها قبل أن أضعف وأغير رأيي ، أقسم لولا خوفي عليها من

مرضها ما وافقت أن تبتعد عني شبرا ولا أن تخرج من المزرعة

ولو مرغمة وسنتصافى إن اليوم أو الغد"

قال بقلّة حيلة " كما تريد ولن أخبرها طبعاً أنك من

طلب هذا كي لا تكبر ظنونها أكثر"

قلت " يكون أفضل واسعياً جهدكما لتبأشر العلاج بسرعة

وكل التكاليف سأرسل ثمنها لك"

قال " حسناً هل تأمرني بشيء آخر"

قلت بغصة " لا واعتنيا بها جيداً وبابني ... وداعاً"

*

*

ما أن انتهى الحفل وغادر الجميع بدأت الخادما في العمل الذي

لن ينتهي قبل الصباح بالتأكيد فوفقت بينهم وقلت ، أنتم تعبتم اليوم

كثيرا وظلم في حقكم أن تسهروا الليل في ترتيب وتنظيف كل هذا

فأخرجوا الطعام من هنا وأغلقوا القاعة واتركوا كل شيء للغد

حتى تناموا وترتاحوا لكن باكرا طبعاً"

كانوا وكان ساعة الفرج جاءتهم وأنارت وجوههم مبتسمات

وبدأن على الفور بإخراج باقي الطعام وصعدت أنا للأعلى وزرت

الفتاتين وأمجد وتأكدت من أنهم ناموا وتغطوا جيدا وتوجهت

لجناحي ، لن أتصرف بغباء كالسابق وأنام بعيدا ولن أَرْضَى عنه

بسهولة طبعاً فكان عليه إخباري بسبب إشاعة زواجه لا أن يأتي

ويذف لي الخبر وكأنه مبسوط جدا برودة فعلي ويريد أن يختبرها

لثاني مرة يفعلها أخفى عني أمر خالته حتى كبرت مشاكلنا وعظمت

والآن كاد يقتلني وابنه لا وحين خيرته لم يكلف نفسه ولو أن يقول لي

الحقيقة وقتها بل خرج وتركني وجلبها لي اليوم ويده على كتفها وقدم

رحلته من أجلها ، أعلم أنها مجرد مسئولية وفتاة يتيمة يرى أنه مسئول

عنها لكن ليراعي مشاعري أيضا أنا في النهاية امرأة وهي امرأة ولو

كانت صغيرة فهي فاتنة ومميزاتها كثيرة ولولا فارق العمر بينهما لكنت

قطعت له يده التي امتدت لها أمامي ، زفرت بقوة بل بضيق وشغلت

التدفئة في الغرفة الباردة وتوجهت لغرفة الملابس أخذت فستانا قطنيا

قصيرا وسميكا وواسعا من الأسفل ليرحني فلن ألبس له قميص نوم

وأحتفل بقدومه ، وضعت فستاني الذي كنت ارتدي حيث الثياب التي

سيتم أخذها لمعمل الغسيل واتكأت على المرأة وسرحت في الأرض

لا أنكر أنني اشتقت له بل واشتقت جدا وكاد يغمى عليا حين رأيته

أمامي قبل موعد قدومه فلم أره منذ ذلك اليوم في المستشفى ولم اسمع

ولا حتى صوته لأنني كنت أتصل لأبنائه به ليكلموه حين يطلبون ذلك

وأنا لم أتحدث معه وحمدا لله أنه حين أشاع ذلك الخبر عن موته كنت

في المستشفى لكنت حينها لن افقد جنيني فقط بل وحياتي معه وهو دبر

كل ذلك ويعرف أنني في المستشفى ولن أعلم قبل الصباح والمخطط

كان أن تسمع خالته لأن ما فهمته من معتصم حين تحدث مع عمه

منصور أن الطبيب اقترح هذا على جابر منذ وقت وهو رفض وقرر

حينها فعلها وطبعا أصبح الجميع يعلم بقصتها وحقيقة أنها ليست والدتهم

وحكت لي بتول ما حدث يومها وكيف انهارت أعصابها وحدثت معهم

أمر هنا لولا عقل معتصم الكبير لخرجت للشارع مجنونة ولن يجدوها

وجاء جابر سريعا وسافر بها كما هوا مخطط لطبيبها هناك ومنذ ثلاث

أشهر وهو وعمه منصور معها هناك ويبدوا عانت كثيرا وما

فهته أن حالتها تحسنت قليلا وجلبوها هنا ووضعوها في مستشفى

خاص حتى يحين وقت إخراجها ، حين كان جابر هناك قرر أن

يرسلوا له والدتي أيضا ويفعل كل ما في وسعه لتتحسن حالتها

ولو قليلا وما أن بدعوا في إجراءاتها أخذ الله أمانته وماتت فكم

حزنت على فراقها فهي بقية أهلي ولم ترى لا أبنائي ولا أبناء

ابنتها حسناء وعانت طويلا وحين كتب لها الله أن تخرج أخيرا

لأنها كانت ميتة بحكم القانون سبق لها الموت

ارتجف كل جسدي وخرجت من أفكار حين سمعت باب الغرفة

وهوا يغلق وهذا جابر بالتأكيد ، وقفت مكاني ولم أتحرك وأنا أسمع

حركته في الغرفة وفتحه للخزانة ثم توجه للحمام يحمل في يده منشفة

ووقف مكانه وعاد خطوة للوراء ونظر لي بالداخل ثم تابع سيره

قائلا " من ماذا هاربة هناك"

تنهدت بضيق وخرجت لحظة دخوله الحمام ، ها قد بدأ بالسخرية

مني مزاجه في أحسن حالاته لكن لا مزاج لي له ويبدوا يسعده تعكير

مزاجي المعكر من أساسه ، أخذت كريمة ترطيب وجلست على

الأريكة وبدأت بذهن يداي وقدماي فخرج سريعا بمنشفته ودخل

غرفة الملابس وخرج بعد قليل يرتدي بنطلونا وقميص داخلي

أبيض فقط وتوجه نحوي وجلس بجواري وأخذ علبة الكريمة

مني ووضعها جانبا وقال " كيف كان الحفل"

لم أجب طبعا فتسللت يده لرأسي وأخرج مشبك الشعر منه

وفتحه لينزل خلف ظهر الأريكة وكان مصير المشبك الأرض

طبعا فها قد جاء عدو المشابك ، خلل يده فيه وقال

" هل سيطول هذا الصمت"

نظرت للأسفل ولم أجب فمد يده الأخرى لوجهي وأمسك ذقني

ورفعه وأدار وجهي له وقال هامسا وعيناه في عيني

" هل أخبرتك اليوم حين أتيت أنك كنتي جميلة"

الله أكبر هذا تطور جديد فلم أسمعها منه سابقا مهما تزينت

ولبست نعم يريد أكل عقلي بكلمتين ، ضننت أنك لا تتقن أسلوب

الرجال هذا في الخداع أو لا تعترف به يا جابر لكني أخطأت

بقيت أنظر له بصمت فقبل شفطاي بشفتيه قبلة صغيرة وتحسسهم

بها فشعرت أنها سرت كارتعاشه في كامل جسدي وتوترت أنفاسي

فأتبعها بأخرى فأبعدت وجهي لأني سأضعف وهذا ما لا أريده حتى

نتفاهم أولا ، أعاد وجهي ناحيته مجددا وقال " أرجوان هناك أمر لم

تعرفيه عني سابقا وهو أني أكره ما لدي أن أتحدث لشخص يتجاهل

ما أقول وكأني جدار أمامه ولا أريد بالفعل أن أخطأ معك

فلا تحديني على ذلك"

أنزلت رأسي للأرض وقلت بحزن " وهل تعرف أنت ما أكره

وتتجنبه أم معادلة من طرف واحد فقط"

وضع ساق على الأخرى وقال " جميل سمعنا صوتك أخيرا"

ثم وضع ذراعه على كتفائي وقال " وما هذا الذي تكرهه"

قلت ونظري لازال للأسفل " أن تتجاهلني أيضا وكأني جدار

في أمور كانت ستضع بل ووضعته حياتنا على المحك خالتك

وحقيقتها ومرضها ثم الفتاة وإخباري بزواجك بها أنا لست من

الإجرام أن أواجه خالتك بحقيقتها لو حكيت لي عنها بل كنت

سأراعيها وأتفهمها وننقد زواجنا من الضياع أو تراني فردا من

عصابة المجرمين وسأسلمهم الفتاة وأخبرهم عنها ، ثم ماذا إن

علمت ليلتها بأي طريقة كانت بخبر موتك المزيف هل فكرت

في ذلك يا جابر ، ماذا سيحدث لو كنت عاملتني كزوجة

كإنسانة كشريكة في السراء والضراء كي لا يغرق

مركبنا وأكون أنا الملامة"

مال لكتفي وقبله وقال " كل هذا تحمليه في قلبك علي "

قلت بحزن " وأكثر "

ضحك وضمني له بذراعه وقال " حسنا قلني كل شيء "

قلت بضيق " جابر لا تعاملني كالمعلولة نفسيا تتركها

تفرغ ما في قلبها وتتجاهل حل كل هذا "

تنهد وقال " حسنا وكيف نحل مشاكل فانت وانتهت "

وقفت ووضعت يداي وسط جسدي وقلت " لا لم تنتهي لأنه

ستتبعها أخرى وغيرها وطبعك لن يتغير لأنك مقتنع

به أنا أعرف أنك رجل عاقل وعادل أو ما كنت تحدثت أبدا "

اتكأ بمرفقه على ظهر الأريكة وسند رأسه بيده ناظرا لي

للأعلى وقال " نعم لكنك نمت في غرفة أمجد سابقا "

قلت بضيق " هل رأيت نفسك كيف تحاسبني أيضا على

كل شيء في الماضي ولا تنساه "

قال ببرود " كي لا يتكرر طبعاً "

تركته وتوجهت للشرفة المغلقة ووقفت أمامها مكتفة يداي

لصدري وقلت " ولما معي كانت مشاكل قديمة لن نحلها الآن "

وقف وتوجه نحوي ووقف خلفي وضمني له بذراعيه وقال ويده

تحضن بطني " حسنا وما حلها في رأيك سيدة أرجوان"

قلت مباشرة " لا تتكرر"

قبل خدي وقال مبتسما " هل أجلس أسرد لك مهامى وعملى

ومخططاتى لكل يوم إذا"

قلت ببرود " لا تسخر منى يا جابر أنت تفهم قصدى جيدا

ما تراه سىتسبب بمشاكل بيننا تعلمنى به وكأنى نفسك وإن

خرج منى حرف منه فاقطع عنقى أنا راضية"

دس وجهه فى شعرى وقال " حسنا أوامرك مولاتى هل

ننتهى باقى ليلتنا على خير"

قلت " لا ... حقق لى شروطى أولا"

قال بعد ضحكة صغيرة " وشروط أيضا كل هذا

ولم تنتهى شروطك"

قلت " نعم فانا لم أتحدث عنها بعد"

تحسس بطنى ببديه وقال " وكيف هى صحة ابن والده"

قلت ببرود " ابنة وليست ابن ولا تهرب من موضوعنا"

قال " فتاة إذا جيد كثر الفرص لأبناء عمى منصور"

لذت بالصمت ولم أعلق فأبعد يداه ولفني ناحيته وقال

"وما هي شروطك لنرى"

نظرت لعينيه وقلت " وتحققها أم ستسمعها وتسخر مني فقط"

قال بابتسامة جانبية " أسمع وأرى"

رفعت سبابتي لشفتاي وقلت " أقسم يا جابر أني لن أنتازل

عنها وإن وصلت بيننا المواويل لأقصاها"

وضع يداه وسط جسده وقال " ولا تنسي يا أم قسم أنك أقسمت

أن لا تطلبي الطلاق وإن ذكرته أمامي مجددا كسرت لك

رأسك ولن أطلقك مهما حدث"

قلت ببرود " لا تخلط المواضيع ببعضها"

قال بضيق " وما قصدك بأن تصل بيننا لأقصاها"

قلت بهدوء " أنت بدأت تفقد أعصابك ولن نتفاهم هكذا"

هز رأسه بلا ولم يتكلم فحضنته أنا هذه المرة ونمت برأسي

على صدره وقلت " جابر أقسم أني أنا هي لم تتغير فراعني

أنا امرأة وبشر ولي حقوق عليك أيضا"

ضمني له بذراعيه وقال " ولم أنكر هذا يا أرجوان ورغم تعبي

جالس معك منذ وقت في حرب بالكلام لنصل لحل لكل هذا"

ثم أبعدني عنه وأمسك وجهي وقال " قولي ما لديك

وسأعمل جهدي لتحقيقه"

قلت مبتسمة " وهذا ما أريد وستستطيع تحقيقه إن أردت ذلك"

أنزل يده عن ذراعي وقال " حسنا قولها ولا تكثري"

لويت شفاتي وقلت " دائما تفسد جملك بكلمات تختتمها بها"

ضحك كثيرا ثم قال " أقسم أنني اشتقت"

نظرت له بصدمة فقال بمكر " اشتقت لأن أتوقع ردود

أفعالك وأخطأ كالسابق"

تهددت بيأس فقال " بسرعة لننام ألا تشعرني بالتعب"

قلت بنصف عين " ننام ... سنرى"

ضحك وقال " كله نوم هيا قولي ما لديك"

قلت " أول شيء أريد منزلا لي وحدي أنا من أمر وأنهى فيه"

أبعد يده عن ذراعي ووضعهما في جيوب بنطاله وقال

" يا ظالمة يا أرجوان ألسنتِ الأمر الناهي هنا ثم نكاد

نجد حلا لمشكلة خالتي وستشفى"

هزرت رأسي بلا وقلت " يبقى ليس منزلك ومنزلي

والجميع حقهم فوقي"

قال " هذه محلولة والمنزل جاهز لكن خالتي لن تكون إلا معي"

هزرت رأسي بحسنا وقلت " ولست أمانع ذلك بل لن

أوافق على غيره"

قال مبتسما " الأولى حللناها فهاتي الثانية والأخيرة"

قلت ببرود " في أحلامك فمزال هناك اثنتين"

قال بذات ابتسامته " أمري لله قولي هيا"

أشرت بأصابعي وقلت " ثنيا تترك الشرطة بجميع مجالاتها

ولا تكون ولا حتى شرطي مرور لا أريد أن نخسرك وأن أسهر

ليلي أكل نفسي انشغالا عليك فكم حرمتني النوم لليالي وأنت

في عمك وحتى أحلامي أصبحت كوابيس بأنهم قتلوك"

أمسك أنفي وقال " حاضر"

قلت بصدمة " حقا وافقت بسهولة ظننتك سترفض"

قال ببرود " وهل كنتي تبحثين عن أمور أرفضها"

هزرت رأسي بلا فقال " هذا لأنني عاهدت نفسي سابقا حين

أصيبت ترف أن أترك الشرطة ما أن تنتهي قضية المصانع

وعنقي وأعادني للوراء نائمة على السرير وقال بهمس

"لو كانت الأهم ما تركتها في الأخير"

قلت باستياء وهو منشغل بقبلاته لخدي وعنقي

"جابر لا أريد لتلك الليلة أن تتكرر وتقتلني بها"

ابتعد عني حينها وقال بضيق " أرجوان والمطلوب في

هذه الليلة الطويلة"

جلست مجددا وقلت " قل فقط أن ما بيننا ليس عشرة وتعود

وغريزة وباقتناع منك ولن أطالب بغيره لأنني يئست منه"

بقيت انظر له منتظرة جوابه لحظة أن سمعنا طرقات على

باب الجناح سريعة ومنخفضة ومتتالية فقفز واقفا وتبعته

قائلة بخوف " يا رب إلا أبنائي"

وخرج وأنا أركض خلف وفتح الباب فكانت بيسان واقفة أمامه

وقالت باكية " بابا ترف مريضة كثيرا تعاليا بسرعة"

فخرج راكضا وأنا اتبعه حتى دخلنا غرفتيهما وكانت في سريرها

تنن وتتنفس بصعوبة يتحرك معها صدرها وينتفض من حين

لآخر فبدأت بالبكاء وحملها جابر وقال " أرجوان يكفي جنون

ولا تنسي صحتك ستكون بخير"

خرج بها وأنا أتبعه قائلة " علمت أن ركضها وحركتها

الكثيرة اليوم لن تمر بخير هذا"

وصل السلام والتفت لي وقال " أحضري لي قميصا بأزرار

بسرعة وأنزليه لي للأسفل ولا تنزلي هكذا"

ثم نزل مسرعا وركضت أنا جهة الجناح ودخلت وأخرجت له

قميصا ولبست عباءتي وحجبي ونزلت فكان قد وضعها في السيارة

فأعطيته القميص وقلت وهو يلبسه " سأذهب معكما لا تمنع

جابر أرجوك"

ركب السيارة وقال " حسنا بسرعة"

ركبت معها في الخلف وغادرنا فورا وكان يغلق أزرار القميص في

الطريق وأنا أحضنها في الخلف وأبكي بصمت وتفكيري معها ومع

بيسان التي بقيت هناك تبكي ، مسكينة يا ابنتي كم ستشهدين من

فواجع وأناس تمرض أمامك ، نظرت لجابر وقلت " بيسان

وحدها هناك وأصبحت تخاف اتصل بالفتاة سما تبقى معها"

أخرج هاتفه فورا واتصل بها فأجابت سريعا وقال " اعذريني

أيقظتك من نومك لكننا خرجنا للمستشفى وأريدك أن تبقى مع بيسان"

سكت قليلا ثم قال " لا ترف تعبت قليلا وأخذناها معا وشقيقتها

تخاف منذ رأتها مصابة وسأطمئن إن كنتي معها"

قال بعدها " شكرا يا سما"

"نعم بالتأكيد سنطمئنك وداعا الآن"

ثم أعاد الهاتف لجيبه ووصلنا للمستشفى وأنزلناها هناك وأدخلوها

قسم الطوارئ ودخل لها طبيبان سريعا وبقينا نحن في الخارج ولم

يتحدث أي منا مع الآخر والتوتر فقط بلغ حده عندي ، خرج الطبيب

سريعا وتوجهنا نحوه فقال في الفور " يبدوا أجهدت نفسيها كثيرا

وقد حذرنا من هذا ، ما بكم وكل شيء كان يسير على ما يرام"

قلت من فوري " حاولت جهدي لكنها طفلة ولعبت

كثيرا مع الأطفال"

هز رأسه وقال " لا تقلقا ستكون بخير ولقد نامت الآن ، رنتها

ما تزال متعبة وعليكم الاهتمام براحتها أكثر أعلم أنه أمر صعب

على طفلة لكن الإهمال ستكون عواقبه سيئة على مستقبل

رنتيها وتنفسها"

قال جابر " هل هي بخير الآن"

قال " نعم سيدي أبقوها هذين اليومين هنا وستكون أفضل"

ثم غادر وتركنا فضمت يداي لصدري وقلت بهمس

"حمدا لله جاءت على هذا"

فحرك جابر رأسه وتنفس بقوة وكأنه يمسك نفسه عن الكلام

فقلت " جابر لا تلقي باللوم علي أقسم أنني كنت أرهاها أكثر من

نفسي وصحتي وأمامك الطبيب قال أن كل شيء كان على ما يرام

ومن كثرة ضغطي عليها ومراقبتها تركتها تلعب بالأمس فقط

حتى الرقص منعتها منه"

نظر للأرض ومرر أصابعه في شعره وقال " دعينا نرجع للقصر

الآن وسنعود صباحا"

أمسكت ذراعه وقلت " أتركني معها"

رفع رأسه ونظر لي فقلت بدمعة محبوسة " ليس من أجلها فقط

بل ومن أجلك وأجلي أتركني حتى تخرج"

هز رأسه بحسنا وغادر وتركني وقد فهم بالتأكيد معنى كلامي

لا أريد أن ترجع تلك الأفكار لرأسي وأشعر مجددا انه ينام معي

من أجل غريزته وتعوده وكل تلك الأشياء التي غرسها في عقلي

سابقا فرفضه الكلام في الأمر سيجعلني أرجع لذات الظنون وقد

أقول أشياء أندم عليها لاحقاً كما حدث في السابق ، أعلم أنه عاد

من سفر دام لأشهر ومن المفترض أن ينام مع زوجته وليس

وحيدا لكن مصاب أخف من أسوء منه

*

*

ما أن وصلنا الفندق ودخلنا جناحنا حتى رمى الغطاء عني والطرحه

وبدأ يفك تسريحة شعري فقلت " معتصم ماذا تفعل"

قال وهو يخرج المشابك ويرميهم " لا يعجبونني هل لديك اعتراض"

قلت باستياء " أنت هكذا تهوى إفساد الأمور خصوصا

لو كانت تخصني"

أزالتها جميعها وأنزل شعري على ظهري ثم أمسك وجهي

وقبل شفطاي قبلة صغيرة وقال " غيري هذا الفستان

والبسي لنخرج"

قلت بصدمة " نخرج" !!

جلس على الأريكة وقال " نعم أم تري من العقل ما يفعله الجميع

وهم يغلقون على الفتاة غرفة ويرعبونها على خوفها وتوترها

وكانهم في سباق مع الزمن وليس كل شيء ملحوق عليه ويأتي

بروية وباستمتاع بسرعة لا تتأخري"

تركته ودخلت الغرفة وأغلقتها خلفي ، تفكيره غريب لكنه سليم

فغلقة علينا الباب الآن سيسبب لي التوتر بالتأكد واقترابه مني

كما يفعل حين يقبلني سيسبب لي الذعر ، غيرت ملابسني وخرجت

له فوقف وقال " هيا فسهرتنا الليلة طويلة ولا تقولي أنك

متعبة وتريدين النوم"

قلت بحماس " لا طبعا فأين سنذهب"

أمسك يدي وأخرجني من الجناح قائلا " لجميع الأمكنة الرائعة

وأولها البرج ولن نرجع قبل الفجر وننام فورا"

خرجت معه وشعرت الآن فقط بمعنى كلامه ومعه حق على

ماذا يستعجل الرجال ، معتصم بالفعل إنسان مختلف لمن يعرفه

عن قرب والمدة الماضية والظروف التي مرت بها العائلة أكدت

لي كل ذلك وأنه رائع حقا فقط لو تبتعد عنه الفتيات بأعينهن

*

*

ما أن اتصل بي جابر حتى خرجت بحثا عن ابنته رغم أنني لا

أعرف كيف أتحرك في قصرهم فهو كبير ولا أحفظ فيه شيئا
وجدت السلالم فنزلت منها للأسفل ولحسن حظي وجدتتها عند
باب المنزل تبكي هناك فتوجهت نحوها ونزلت عندها وحضنتها
وقلت " بيسان توقي عن البكاء والدك اتصل بي وقال أنها بخير"

ابتعدت عني وقالت " هوا اتصل بك"

وقفت وأمسكت يدها وقلت " نعم هيا اصعدي معي لغرفتك حتى يعودا"

هزت رأسها بلا وقالت " سأنتظرهم هنا"

نزلت لها مجددا وقلت بهدوء " هل يرضيك أن يغضب منك والدك"

هزت رأسها بلا فقلت " إذا اسمعي كلامه فهو من طلب مني

أخذك لغرفتك وإن جاء ووجدك هنا سيغضب"

سارت معي وإن مرغمة وصعدنا حيث غرفتها وشقيقتها وهي من

أوصلني لها طبعاً وحاولت جهدي تسليتها بل إلهائها بأن أخرجت

كتب التلوين وقصصهم أسألها عنهم حتى طرقت أحدهم باب الغرفة

ودخل فكان جابر فأنطلقت نحوه مسرعة ونزل لها هوا وحضنها

وقال " هي بخير توقي عن البكاء"

قالت بعبارة متعلقة بحضنه " أين هي لم تحضرها إذا"

قال ماسحا على ظهرها " الطبيب قال من الأفضل تركها ليومين

ووالدتك بقيت معها وستكون بخير هذا فقط لأنها لعبت كثيرا

بالأمس هيا بيسان لا تتعبي سما معك"

ابتعدت عن حضنه تمسح دموعها وقالت " وهل ستأخذني

لأراها اليوم"

مسح على شعرها وقال " إن وجدت وقتا سوف آخذك أو آخذك

غدا هيا لسريرك بسرعة"

توجهت لسريرها في الفور ووقف هوا وقال " سما آسف لإزعاجك

لكن لو لم يكن لديك مانع فنامي معها هنا ولا تتركها"

قلت مبتسمة " أبدا لا أمانع وحمدا لله على سلامة ترفا"

قال مغادرا " سلمك الله وكوني جاهزة باكرا سنغادر معا"

ثم أغلق الباب وغادر وجلست أنا بجوار بيسان في سريرها

حتى نامت ثم نمت على سرير شقيقتها ولم أستيقظ إلا على

صوت يوقظني ففتحت عياني فكانت الخادمة وقالت

" أنستي السيد جابر يطلبك في الأسفل"

وقفت بسرعة ودخلت الحمام، يبدوا أنني نمت بسبب سهري

البارحة ولم أشعر بالوقت ، غسلت وجهي وخرجت وكانت بيسان

ما تزال نائمة ، غيرت ملابسها ونزلت له سريعا فكان جالسا في
الأسفل يتحدث في هاتفه ووقف ما أن رأيته وخارج ولازال يتحدث
به وأنا تبعته حتى ركب سيارته وركبت بجانبه وانطلقنا ثم وضع

هاتفه في جيبه وقال " الجميع ينتظرنا في منزلك هناك"

نظرت له وقلت " تقصد منزل عمي"

نظر لي ثم للطريق وقال " بل منزلك الذي كان منزل جدك
ليعرفوا أول شيء أنه ملك لك رغما عن أنوفهم وستعيشين فيه"

نظرت وقلت " وحدي" !!

وقفنا عند الإشارة وأخرج هاتفه الذي يرن قائلا " هوا ومنزل

عمك في نفس السور إلا إن كنتي تريدين البقاء حيث كنتي"

نظرت للأسفل وقلت " بلى أريد أن أبتعد عنهم لكن

كيف سأعيش وحدي"

أجاب على هاتفه قائلا " نعم أتركوه سآتي له بعد قليل"

ثم أعاده لجيبه وقال " سما العقيد سالم حدثني عنك مجددا كما

أن أسامة أيضا يقترح أن تتزوجا لتكف ألسنتهم عنك"

نظرت له بصدمة وقلت " أسامة قال ذلك" !!

تحرك بالسيارة وهز رأسه بنعم دون كلام فقلت بأسى

"ولما يتزوجني ليضحى من أجل أن لا أبقى وحدي

وأن يحميني منهم"

تهجد وقال " لو لم يكن مقتنعا بذلك ما عرض الأمر علي ولا

تُجبري نفسك على شيء يا سما أنتي صغيرة وليس من حق أحد

إجبارك على الزواج الآن ولا حتى ظروفك ، يمكننا أن نوفر لك

خادمة وامرأة تهتم بشئونك وتبقيين في منزلك هناك ستكون ونيس

لك وستكونين صداقات كثيرة وتُنهي دراستك ثم تقرري الزواج بمن

تريدي كما أن سالم يقترح أيضا خطوبة فقط الآن والخيار لك وحدك"

نظرت جانبا للنافذة ولم أعرف ما أقول هل أرفض الزواج وأنا في

أمسّ الحاجة لمن يكون معي وبجانبي أم أتزوج وأنا غير مقتنعة

بهذا وأراه ليس وقته والأسباب كثيرة!!!

وصلنا حينها لسور منزل جدي وعمي ودخلنا بالسيارة للداخل

وأوقفها أمام منزل جدي ونزل وأنا نزلت معه ودخل أمامي بكل

ثقة وكأنه منزله أو اعتاد زيارته ودخلتُ أنا خلفه ، كانت المرة

الأولى أدخله فمن كثرة ما أنكروا ملكيتي له وأوجعوا لي رأسي

كرهت حتى رؤيته ولو من باب الفضول ، كان كبيرا وفخما وأثائه

وكأنه جديد ولم يُستعمل أبدا ، معهم حق طماعون مثلهم ينكرون
حقي وحدي فيه ، وصلنا للمجلس ووقفوا جميعهم أعمامي وأبنائهم
ما أن دخل جابر فهذا سيحترمونه رغما عن أنوفهم ولو خوفا منه
وقف وأنا بجانبه ووضع يده على كتفي ولم يحيي أيا منهم وكأنهم
جماد أمامه ثم قال بشخصيته تلك التي كنت أراه بها مع رجاله

وصوت ثابت ونبرة حازمة " جميعكم تعلمون لما

أنتم هنا في منزل سما"

نظر لهم بالواحد ثم قال " أقسم وأنا جابر حلمي إن مس أحد قرشا
من أموالها أو جرحها بكلمة ولو صغيرة أن ينسى طعم وشكل الهواء
الخارجي ويتعفن في السجن بل سيدوق عذابا لم يره سابقا ، لقد وكلت
محاميا خاصا لها سيحسب شهريا كل عائداتها وأرباح حصتها من
محلاتها وأسهمها والآلات المستأجرة بل وستدفعون لها إيجار الجزء
الذي تملكه من مستودعات جدتها ولا تضنوا أني غافل عن كل تفصيل
مهما كان صغيرا وسأتابع مع المحامي بنفسه كل شيء وأقسم أن

كل قرش يضيع منها سيحسب لكم سنوات سجن

وهذا منزلها بحكم القانون وستعيش فيه ومن له قوة فليقل غير ذلك
أو يناقشها أو يخرجها منه وسيرى حينها من يكون جابر حلمي ولا

يكن بظنكم أنه لن يصلني ما سيقال لها حتى إن هددتموها بكلام لن

تقوله فسأعلم عنه ومن يمسه سيمسني ويمس سمعتي وشرفي

وتعلمون معنى ذلك جيدا فإن كان لدى أحدكم اعتراض فليقله

أمامي الآن أو ليبلغ لسانه"

سكت ولم يتحدث أحد سوا أعينهم تحقق به في صمت فقال

"هل لديكم اعتراض على ما قلت"

قالوا معا بنبرات مختلفة " لا"

قال بجدية " والمهزلة الأخرى وهي تزويجها بأحد أبنائكم هل

هي فوضى أم حظيرة أغنام ، وصاية سما ستكون لدي أنا لا

أعمامها ولا المحكمة ولن أزوجها إلا برضاها وموافقتي ومن

له رأي فليقله الآن"

وكان الجواب الصمت طبعاً ولو كارهين فنظر لي وقال

" هذا منزلك واتفقت مع أسامة وستصل الخادמות ومديرة المنزل

خلال يومين أو ثلاثة ومدرستك التي اختارها جيدة ومناسبة ، إن

احتجت شيئاً فاتصلي بي فقط ولو برنة حسناً"

هزرت رأسي له بحسنا مبتسمة فقال " سنجتمع غداً ومحاميك

وأسامة معنا طبعاً ونتم باقي الإجراءات اتفقنا

هزرت رأسي بحسنا فربت على كتفي وخرج قائلاً

"أسامة اتبعني"

وخرج أسامة خلفه ليتبعهم البقية الواحد يتبع الآخر ولم يجرؤوا على

قول شيء ولن يفعلوها مجدداً رغم خوفي من مكرهم بي ولو أن جابر

أخافهم ويعلمون جيداً أنه يهدد ويفعل ، تنهدت بارتياح فأخيراً لا

منغصات ولا كلمات طائرة وإهانات وتجريح بل ولن أرى

وجوههم ولو كنت سأعيش وحدي

نظرت من حولي للمكان الواسع الفارغ الميت رغم الرقي والفخامة

ثم تنهدت بأسى ، ترى هل كُتبت لي أن أعيش وحيدة كل عمري ؟

يا رب ألهمني للصواب لأفعله ولو كرهته نفسي

*

*

خرجت من عند ابن عم سما بعدما اتفقنا على كل شيء وعاد

لفتح موضوع الزواج وإن سألتها عنه وأخبرته أنها لم تعطيني

رداً ، يبدو أن هذه الفتاة تدخل قلوب الرجال وبدون دق أبواب

ولن تبقى لك يا أحمق يا نزار حتى تكون كما كنت تحلم وتعود

هذا إن كنت ستفكر فيها بعدما تصير في ذلك الوقت أو لا تجدها

هي خصوصا مع ظروفها الحالية فقد تتزوج ولو كارهة لذلك

ركبت سيارتي وغادرت من عندهم وتوجهت من فوري لمن

ينتظر هنا من ثلاث أشهر بل وأنا أنتظر أكثر منه هذا اللقاء

دفعت الباب ودخلت على صوته قائلا " متى سترحمونني إما

اقتلوني أو أخبروني عن جريمتي"

اقتربت حتى ظهر لي ورأني لتفتح عيناه من الصدمة وقال

" جابر " !!

كان معلقا من يديه للأعلى وقدميه على الأرض فاقتربت منه

وأمسكت قميصه وقلت من بين أسناني " بل سيدك جابر يا إمعة"

قال بخوف " ماذا فعلت ماذا تريد مني"

تركت قميصه بقوة وتوجهت للدرج في المكتبة الصغيرة هناك

وفتحته وأخرجت منه سوط تدريب الخيول وضربت به على الأرض

واقتربت منه قائلا " أريد أن تذوق ما أدقته لغيرك يا متوحش"

قال من فوره " اذهب لها واسألها هي عن"

وسكت صارخا بجلدة مني على وجهه جعلت فمه ينزف دما

وقلت بحدة " تصمت قبل أن تدنسها بكلماتك النجسة يا نجس"

ثم نظرت للواقف معنا وقلت " أخرج وأغلق الباب وابتعد"

فضرب التحية وخرج من فوره وأغلق الباب فجلدته الثانية

وقلت بغضب " لو لك لسان فقل الآن ما كنت تريد قوله"

ضربته مجددا وقلت " شقيقتي أشرف من جد جدك الذين ولدوك

وطبيب من شهد على أن ما حدث لها كان حادثا في طفولتها ، هل

هكذا يتصرف الرجال يا صعلوك ، كنت جلبتها لي إن عفتها فأهلها

لن يعافوها وما كانت ستمتد يدي عليها وأنا شقيقتها لتفعلها

أنت وكنت سأزوجها بسيد سيدك يا حيوان"

وانهلت عليه جلدا ولم أكثرث ولا لصراخه المتوجع فكل ما كان

أمامي حينها صورتها وهي تبكي وسنين سجنها لنفسها وكلام

الطبيب عما أصابها من تشوهات بل وقد تُحرم من الأطفال لكل

عمرها بسبب هذا الهمجي ، ضربته حتى تعبت وكلما غاب عن

الوعي صببت الماء والملح على جسده لكي يجرب كيف كان يفعل

لها ولولا العمر لما عاشت بعد كل الذي رأته

أمسكته من شعره ورفعت رأسه ووجهه المغطى بالدماء وقلت

"شهر كامل من هذا العذاب ولا تفرح بأن اتعب فهناك من سيتناوبون

عليك ، شهر مثلما فعلت بها وبعدها ستسجن لأربع سنين كما حدث

معها تماما وأقسم إن فقدت القدرة على الإنجاب بسببك أن تدفع

الثمن أعلى من الأطفال وأرني وقتها كيف ستجبههم"

ثم خرجت وتركته وقلت للواقفين بعيدا " يرتاح ساعة كي لا

يموت سريعا ثم تعاودون ضربه وساعة بساعة وسأتيه دائما"

ضربا التحية وقال أحدهما " حاضر سيدي"

ثم غادرت من هناك وعدت للقصر ودخلت وقلت للخادمة

التي مرت أمامي " أين سيلا"

وقفت وقالت من فورها " مع الأولاد سيدي"

قلت " أخبريها تجهز ملابس لأرجوان وترف وماذا

عن زهور هل عادت"

هزت رأسها بنعم وقالت " منذ وقت وقالت ستنام

ولا أحد يزعجها"

توجهت للسلام " وصعدت لجناحي واستحمت وحين خرجت

وجدت حقيبة صغيرة ومؤكد وضعتها سيلا وبها الثياب فأخذتهم

معي ونزلت وغادرت القصر مجددا للمستشفى لكن ليس لترف

بل لآخر ودخلت على الطبيب فوقف وصافحني قائلا

"مرحبا سيدي"

صافحته وقلت " كيف هي اليوم"

جلس مع جلوسي وقال " جيدة فبعدها استفاقت بادئ الأمر تذكرت

كل شيء لكن حالات النسيان التام لازالت تزورها وهذا أمر لا

خوف منه قد يزول مع الوقت والعلاج وحتى إن بقي لن يؤثر

فيها كثيرا خصوصا إن استوعبتم حالتها"

قلت " ولن ترجع لحتها السابقة مجددا؟؟"

هز رأسه بلا وقال " لن ترجع هي فقط ستحتاج لوقت لتتجاوز

حزنها فكأنها فقدت أبنائها للتو"

قلت " هل أستطيع رؤيتها"

قال بهدوء " لا أحبذ ذلك الآن ثم سنجمعها بأبنائك أولا"

قلت " ماذا إن عادت لها تلك الحالة برويتهم"

وقف وقال " لا تخف ثم أبنائك فتى وفتاتين ونريد أن ترى الأطفال

أولا ونُعرفها أنهم أبنائك ، هي تذكركم جميعا وتعرف أسمائكم فقط

الصور ستكون لديها مشوشة في عقلها الباطن كما أنها تعلم بأنها

ظنت أنكم أبنائها لسنوات"

وقفت وقلت " جيد نفس النتيجة عند طبيبها هناك"

هز رأسه وقال " لقد بدل مجهودا كبيرا ورائعا معها شككت

أن تنجحوا في ذلك"

قلت بهدوء " رأينا أياما صعبة جدا هناك وكادت تفقد عقلها للأبد"

خرجنا بعدها من مكتبه وتركني أراها من خلف الزجاج ، كانت تجلس

على سريرها وسارحة في الأرض ، أتمنى من الله أن تخرجي قريبا

ولن أكون إلا ابنك جابر الذي عرفته ولن أنسى ما فعلته من أجلنا ما

حييت ولن تكوني إلا والدتي التي فقدتها صغيرا

خرجت بعدها من عندها وركبت سيارتي واتصلت بمعتصم

فأجاب سريعا فقلت " كيف حالكم"

قال " بخير وكيف الجميع هناك"

تحركت بالسيارة وقلت " جيدون ترف تعبت البارحة وأخذناها

للمستشفى وهي أفضل الآن"

قال مباشرة " ما بها"

لففت بالمقود وقلت " لا شيء خطير يبدو لعبت كثيرا مع

الأطفال وتأثرت رنتها ، متى راجعان أنتما"

قال " ليس اليوم"

دخلت المستشفى قائلا " حسنا غدا"

قال " أممم سنرى"

نزلت من السيارة وقلت " أريد أن نجتمع غدا بعد خروج

ترف ولا تتحجج ثم بعدها أذهباً حيث تريدان"

قال ببرود " ها قد قلتها بنفسك ولا تنسى مثلما

أهديت زهور رحلة لنا واحدة"

أنزلت الحقيبة وأغلقت الباب وقلت " حسنا وكأنه لا أموال لديك"

قال ضاحكا " أموال زهور ليست أقل مني هيا وداعا

لأني مشغول"

أعدت الهاتف لجيبي مبتسما ودخلت المستشفى ليرن مجددا

فأخرجته وأحبت قائلا " شعرتم بي سريعا"

ضحك وقال " ومن لم يسمع بعودتك حمدا لله على سلامتكم

ولا تنسى موعدنا المؤجل"

وصلت الغرفة وقلت " حسنا أعطني القليل من الوقت"

ثم دفعت الباب ودخلت

*

*

خرج الطبيب من عندها بعدما أبعدا جهاز التنفس أخيرا وما
كانت لحظات إلا واندفع الباب وكان جابر يحمل حقيبة في يده
ألقي التحية واقترب ووضعها على الطاولة ثم جلس على السرير

مع ترف مقابلا لي ومسح على شعرها وقال

"كيف تشعرين اليوم"

قالت بصوت ضعيف " بخير متى سأخرج"

قال مبتسما " بسرعة هكذا ، ورائك ليلة أخرى هنا"

نظرت له مستاءة فرفع رأسه ونظر لي وقال

"ماذا قال الطبيب اليوم"

نظرت لها وقلت " قال أنها أفضل وغدا يمكننا

إخراجها قبل منتصف النهار"

قالت ترف " بابا صحيح سيصبح لنا أختا صغيرة"

أبعدت نظري وأنزلت رأسي أخفي ابتسامتي وارتبكي

من الموقف وقال هوا بصوت مبتسم " نعم"

قالت مباشرة " ستنام معي إذا"

قال بعد ضحكة صغيرة " يكون أفضل وتخلصينا من

صراخها طوال الليل"

وقفت وقلت " جابر هل نتحدث قليلا"

وقف من فوره وانتقلنا للغرفة الملحقة بغرفتها ووقفت ووقف

أمامي وقال مباشرة " أرجوان ليس مكانه هنا"

نظرت له باستغراب وقلت " جابر ليس ما في عقلك كنت

سأقول ، ما تضمني ناقصة عقل لهذه الدرجة" !!

أبعد نظره عني وقال " بل أخشى أن ترجع أرجوان الغبية تلك

وأنا من ظننت القديمة قد عادت"

تنفست بضيق ونظرت للأرض ، هكذا إذا يحمل في خاطره من

آخر كلامي البارحة في السرير ، لما لا يحق لي سؤاله وأن

يجيب بصراحة أنا كأي أنثى أحببت رجلا وتريد أن تعرف

مكانتها عنده وحقيقة مشاعره نحوها"

رفعتُ رأسي على صوته قائلا " عودي معي للقصر لا

أرى حاجة لبقائك أكثر"

قلت بنظرة حزينة معلقة في عيناه " بل أرى بقائي أفضل

أعرف أنه تصرف خاطئ مني لكنها رغبتني"

تحرك ليغادر فأمسكت يده وقلت " جابر انتظر"

وقف مقابلا لي فقلت وعينا في عينيه " أردتها حلا

للمشكلة لا أن تعقدها أكثر"

غادر دون أي تعلق آخر، أعلم أنه لازال يحمل في خاطره علي

وأنني أخطئ بما أفعل لكنني خفت حقا من أن تأكل الظنون رأسي

مجددا خصوصا بعدما انتهت مشكلة خالته التي كنت أعتقد أنها

سبب كلامه ذاك

تنفست بقوة واستغفرت الله وتعودت من الشيطان ثلاثا وخرجت

عائدة لغرفة ترف و يبدووا أنه كان عليا العودة معه للقصر فهذه

ثاني مرة يطلب مني وأرفض ولم أقدر مشاعره كرجل متزوج

عاد من غياب أشهر للتو ، آخ متى ستتوقفين عن الجنون يا

أرجوان

*

*

استيقظت مبكرا لنجهز أغراضنا فطائرتنا اليوم ولم أسأل لما

وكيف وافق نواس على سفري ولن أسأل أبدا لأنني أعرف

الجواب ، لم أتمنى الموت كما تمنيته تلك الليلة وأنا أراها تدخل
للمكان الذي أتى منه فما يفعل هوا هناك وما جاء بها هي قرب
نهاية الحفل ومن ذاك الممر تحديدا إن كان العريس صديقا لنواس
وهوا طلقها حسب كلامهم ، كم كان وضعي سخيفا ومزريا وأنا
من دفعني الشوق له لحظتها وقرأ ذلك بالتأكيد واضحا في عيني
فلم أتخيل أنه بعد هذه المدة التي أقنعت فيها نفسي كل جهدي أنه
ماض وانتهي ولا يريدني أن تنهار حصوني لحظة ما رأيت
وشعرت بجاذبية لحظنه أقوى من جاذبية الأرض لي ، سحقا لقلبك
يا وسن يستحق دائما ما يأتيه ، أخرجت علبة المسكن من الحقيبة
وأخذت منها واحدة وأعدتها لها ثم لبست حجابي ومعطفي وخرجت
وتقابلت وفرح في الصالة وقالت " جواد ينتظرنا لنذهب

للطبيبة هل أنتي جاهزة"

هزرت رأسي بنعم وأخذت ابنا منها ودخلت هي لغرفتها لتلبس
حجابها وخرجنا معا ونزلنا للأسفل حيث جواد ينتظرنا في السيارة
ركبنا وغادرنا في صمت سوا من صوت فرح وهي تكلم ابنا وتغني
له حتى وصلنا ونزلت وفرح ودخلت للطبيبة وحدي ونمت على

السريير من أجل الكشف الشهري على صحة الجنين ، حرّكت

الجهاز أسفل بطني وقالت وهي تنظر للشاشة أمامها

"كما توقعت كيسين حمل"

قلت باستغراب " ماذا تعني" !!

نظرت لي وقالت مبتسمة " موعذك الشهر الماضي شككت

في هذا لكني لم أخبرك حتى أتأكد أولاً ، يوجد

كيسي حمل يعني توّم"

قلت بصدمة " توّم داخلي أنا"

قالت ضاحكة " نعم داخلك هل علمت الآن سبب سرعة

كبير حجم بطنك وأنتي في شهرك الثالث فقط"

نظرت للسقف وحمدت الله هامسة وأنا أتخيل أن يصبح لدي

توّمان يا رب ما أرحمك ، ثم سرعان ما سألت دمعتي من

طرف عيني حين فكرت في مستقبلنا معا وهم من دون أب وجواد

يأخذ معهم دور العم والوالد وماذا سأقول لهما حين سيسألانني عن

والدهما ، أدارت شاشة الجهاز ناحيتي وقالت وهي تشير عليها

بإصبعها " انظري هاهما هذا واحد وهذا الثاني"

نظرت لهما بحب وابتسامة وقلت " ما جنسهما"

قالت ضاحكة " ما يزال الوقت مبكرا لنعرف ، الشهر

القادم قد يظهر لنا جنس أحدهما"

بقيت لوقت أراقبهما وهي تحرك الجهاز لأراهما جيدا ثم خرجت

من عندها بعد سيل طويل من النصائح بأن أهتم بطعامي وراحتي

وصحتي كي لا يتأثر حملي خصوصا الشهور المتقدمة من الحمل

ركبنا السيارة وعدنا للشقة ودخلت غرفتي مباشرة وأغلقتها خلفي

بالمفتاح وجلست في زاويتها أبكي ، أنا من تريد السفر والابتعاد

فما بي حزينة هكذا ومستاءة وقد زادني خبر الطبيبة لي حزنا فوق

حزني وسيكون الأمر أسوء إن علمت فيما بعد أنه أعادها زوجة

له مجددا ، حضنت ساقي بقوة وزدت بكاء على بكائي حتى طرق

أحدهم الباب فوقفتم ومسحت دموعي وفتحته وتوجهت من فوري

جهة حقيبتي أغلقها فوصلني صوت فرح قائلة " ماذا قالت لك

الطبيبة هل كل شيء على ما يرام"

قلت ببحة " نعم"

توجهت نحوي وأمسكت كتفي ثم أدارتني ناحيتها وقالت

"وسن ما بك هل قالت لك شيئا سيئا"

ارتميت في حضنها أبكي وضممتني هي بذراعيها في صمت

فقلت بعبرة " قالت أنهما تؤم تخيلي اثنان بلا أب لم

أستطع حتى أن أفرح بهما"

ضممتني بقوة أكبر وقالت بسعادة " حقا تؤم كم هذا رائع يا

وسن وكم أنتي محظوظة بل أنا أيضا لأنني خالتهما"

ثم أبعدتني عن حضنها وقالت " وسن يكفيك تعذيب لنفسك وله

أنتي بلسانك قلت للتو ابنان بلا أب فلما يكونان يتيمان ووالدهما

موجود لما رفضت أن تخرجي له حين جاء فجر اليوم

وكل غرضه كان توديعك قبل أن تسافري"

ابتعدت عنها فأمسكت كتفائي مجددا وقالت بحزم " وسن حين

سمعت من جواد أن حال نواس لا يسر لم أصدق لكني حين

رأيت وجهه اليوم أدركت معنى ما يقول يبداوا يكابر

على ألم كبير في داخله"

أغلقت أذناي وقلت ببكاء " يكفي يا فرح يكفي أرجوك

هوا لا يريدني يريد لها هي"

قالت بضيق " ولما يأتي إذا كان يريد لها ، وسن ما بك أعماك

حقدك عليه وغيرتك منها ، لم أكن يوما إلا في صفك ضده

لكني الآن أنجبت وجربت معني الأمومة والحاجة للزوج

وحقه في ابنه أيضا لأنه يتعلق به مثل الأم"

طرق أحدهم الباب ومؤكد جواد فتأففت وخرجت له ، تحدث

ولم أفهمه وقالت هي بصدمة " وماذا تريد" !!

تكلم هوا ثم عادت فرح ناحيتي وأنا أمسح دموعي وأحاول

جر الحقيبة فأخذتها مني وقالت " هناك من يرفعها عنك لما

تحملين همها اهتمي بصحتك يا وسن أرجوك"

ثم وضعتها جانبا وقالت " هناك من يريد مقابلتك في

غرفة الضيوف وليس نواس طبعاً"

خرجت حينها من الغرفة ، لا بد وأنها ملاك فهي قالت لي البارحة

في الهاتف ستزورني اليوم قبل أن نساfer ، توجهت لغرفة الضيوف

وما أن دخلتها حتى وقفت مصدومة من التي وقفت لحظة دخولي

وكانت مي التي نظرت للأسفل وقالت بهدوء

"أسفة جئت بلا موعد مسبق"

شعرت بكل معنى للغيرة شعرت بقلبي ينطقها بالحرف هذه

من أخذت منك حبيبك ولازالت تفعلها ، كنت أشعر باحتقان

شديد في عيناى من حبس الدموع وبقلىبى لىظاا وىافجر وبأن

أحشاى اافاع من الألم ، فافأ فى لأافأ فسااافاى اافاا

"أألفك باالله يا وسن وبأعلى ما لاءك أن ااسمعىنى وللناهاة

وأن ااسمعى اأاىاى كلفا فلا أعااأ أنك ممن ىااااا

ضىوفهم أو ىفأاااا لاسن الضىافاا وأنا الآن ضىفأك

وأعلم بما اااعرى وأااا مشاعرك أىضا"

ااافاا باقوة وشعرا وكأنا ساااا األدا على انفاعلى

واأااااا لانى كنا باالفعل ساأفلاها وأاااها فأأأا

بواهاى ااااا وأاا "افاضلى بالااااا"

فأاااا ماكانها السابق وأاااا أنا فى أقرب كرسى ولم أساااع

النظر لها لأنه أمر فوق اااااى ، ااااا ااااها بهااا "أااااا ااااا

من أكثر من عام اااا اااa

وكاناااa

اااa

وااااا فى أى واااا فأأاااااااااااااااااااااااااa

لها أو يأااا لها ناااااااااااااااااااااااااa

لأاااا وىاااا أاى فى الأاااا وسىاااااااااااااa

فشقيقتها كان يسكر ويضربها ووالدتها ويأخذ مالهم فخرجت وحدي

وأخذت سيارة أجرى ووصلت منزلها ونزلت لأجد الباب مفتوحا

فاتصلت بها فقالت أنها في الداخل فدخلت بحسن نية لأجد ثلاث

شبان لا أعرفهم ولم أراهم من قبل وفي لمح البصر كتفوا يداي

وأغلقوا فمي كي لا أصرخ وأخذوني في سيارة"

كنت أنظر لها بصدمة وهي تمسح دمعته التي نزلت وتابعت

"أخذوني لمكان لا أعرفه مقطوع وبعيد حاولت الفرار فبدءوا

بضربي بوحشية وقسوة حتى أغمي عليا من الضرب والخوف

ولم أسترد وعيي إلا بعد وقت لأجد نفسي في الخلاء في حزن

رجل أخفى الظلام والتعب والدماء ملامحه عني وكان يطمئنني

أن كل شيء على ما يرام وأنه أنقذني منهم وأني بخير ليغمى عليا

بعدها مجددا بسبب كثرة الألم الذي أشعر به وبقيت لبضعة أيام في

المستشفى غائبة عن الدنيا ولا أعلم عما حولي شيئا لأستيقظ بعدها

وأجد المصائب تنتظرنني وأن تلك الفتاة اتصلت بأهلي وأخبرتهم أنني

ذهبت مع شبان وأنها ليست المرة الأولى وأنها نصحتني كثيرا ولم

أسمع لها وأخذت لهم هاتفي بعدما وضعوا فيه ذاكرة خارجية مليئة

بصور وأفلام خليعة وسجلت أرقام لشبان في هاتفى تحت أسماء
مموهة وكانت تكلمهم باسمي وأخبرتهم أنها غيرت رقمها أو أنهم
ذات المجرمين الذين اختطفوني كي حين يتصل بهم أحد بهاتفى
يخاطبوني باسمي ويتأكدوا من أنهم رجال والمصيبة لم تنتهي عند
هذه النقطة فقد نشرت الحكاية وروجت الأكاذيب والإشاعات

حتى أصبحت الحكاية على كل لسان"

مسحت دموعها التي بدأت تنزل بغزارة وقالت " وخرجت من
المستشفى لجحيم لا يعلم عنه إلا الله ضرب وشتم وسب وسجن
وتعذيب طوال النهار وعاملوني كحيوان إن رحموني هم استلموني
زوجاتهم بألسنتهم أي ضرب باليد واللسان ومات والذي بسبب نوبة
قلبية من الصدمة وشقيقي الأكبر قتل أحد الذين اختطفوني بل والوحيد
الذي وجدوه ومن قبل حتى أن يأخذوا شهادته وسُجن أخي وازدادت
مأساتي حتى كان اليوم الذي خطبني فيه نواس فمن يصدق أن الفتاة
التي أصبحت سمعتها في التراب يتقدم لخطبتها شاب ولديه مال كثير
لا ويعرف بقصتها وما حدث لها ووافقوا على الفور طبعا خصوصا
أنه أكد لهم أنه سيكتب في العقد أنه لن يطلقني قبل عام ولن يطلقني إلا
بزوج غيره يكتب عقدنا من سيكتب طلاقنا ، وفي أول ليلة أخذني فيها

لمنزله أخبرني أن والدي كان له فضل كبير في ثروته وأنه هوا

من طلب منه قبل موته أن يخرجني من منزلنا ومن

بطش إخوتي وأخذ عليه عهدا بذلك"

قلت بصدمة " عاهده على ذلك" !!

هزت رأسها بنعم وقالت " بل وعاهد إخوتي وعمي أنه لن يعلم

هنا عن قصتي أحد ولا حتى والدته رحمها الله وعاهدني

وحدني عودا ثالثا وربط نفسه بهم رغم كل ظروفه"

قلت بحيرة " وبما عاهدك"

قالت بهدوء " نواس كان ينوي أن نعيش حياة طبيعية كزوجين

وأن لا يظلمني فوق الظلم الذي رأيته لكن ومن أول ليلة علمت

أنه يجب أخرى وأن حياته معي مستحيلة بل أنها مستوطنة في

قلبه وعقله وأسمها وسن لأنه قاله لي بنفسه فاتفقنا أن نعيش معا

زوجين على ورق فقط حتى يكتب الله أمرا آخر"

وقفت على طولي وقلت بصدمة " م تكونا زوجين كان كان أعني ألم"

قالت من فورها " نعم كان كل واحد منا ينام في غرفة ولم يقربني

أبدا وطلب مني أن لا اخبر أحد وأنه لن يتكلم عما بيننا مهما حدث

كي لا تزداد سمعتي سوءا أكثر بل اكتشفت حديثا أنه فعل ذلك

من أجل شيء أهم"

مسحت دمعها من جديد وقالت بألم " وهو أنا تعرضت للاغتصاب

حقا وهو لم يخبر أحدا عن علاقتنا لكي إن تزوجت بغيره لا يشك

بي من سأتزوجه فإن كان زوجي الأول لم يلمسني فكيف

سأكون لست فتاة"

نواس ضحى كثيرا من أجلي ومن أجل سعادتني ورغم كل

المشاكل بينكما بسبب وجودي لم يتحدث عن سري لا فضيحتي

ولا وضعنا معا وراعا مشاعري وكنت أضن أنكما استمررتما

مع بعض ولم تصلا لهذه المواصيل ولم أعلم سوا ليلة قبل البارحة

في حفل الزواج حين دخلت مصادفة ووجدتكما وعلمت أن الوضع

بينكما سيء ولم يتحسن أبدا ولن يتحسن وأنتي لا تعلمين حقيقة

الحكاية ولولا أصر عليا عاصم يومها ما ذهبت لأنه منذ تعرف

نواس كون صداقة مع أصدقائه المقربين كما أن

الرجل الذي سأتزوجه صديق لهم"

قلت باستغراب " ستتزوجين صديقا لهم" !!

نظرت للأسفل وقالت " نعم فنواس لم يرضى تطليقي حتى أوافق

أن أتزوج وأخذ فتوى بالنسبة لشروط العقد وبما أنهم اختلفوا في

عدة المرأة التي اختلفت بها زوجها دون أن يلمسها سقط الشرط

ثم نظرت لي وقالت " لا أريد أن يحدث معك ما حدث معي فلم

أستطع الزواج ممن أحب لأن الجرح بيننا سيحول كل العمر

واخترت رجلا لا أعرفه كي لا ينتهي زواجي بذاك نهاية زواجك

بنواس لأن ذاك الشخص يعلم عن كل حكايتي وأنهم اغتصبوني

بل كان كل ذلك انتقاما منه فلو أنه هوا من اغتصبي لكان

أرحم عندي ولكان تجاهل الجرح أهون لكن هكذا يستحيل"

قلت بحيرة " غريب وأنتي تحبينه وراض بك"

نظرت جانبا وقالت بحسرة " لن أستطيع تجاهل أنني تم تدنيسي

وأنه يعلم وأنه السبب سيحول ذلك بيننا كل العمر وكلما تشاجرنا

على أمر سنفتح الدفاتر وأجرحه بكلامي وتكبر المشاكل وننتهي

للطلاق لذلك اخترت غيره باقتناع مني ونواس اختاره لي ومدحه

كثيرا ، زوجته متوفاة ولديه طفلين صغيرين قد يكون عوضا

لي وأكون عوضا لأبنائه عن والدتهم"

ثم وقفت وقالت " وسن لا تظلمي نواس ولا تضيعيه من يديك فلم

ترى عيني رجلا أحب امرأة مثله ولم أرى حياتي رجلا يبكي ولم

أتخيل أن يكون ذاك الرجل نواس"

نظرت لها بصدمة فقالت " نعم رأيتك يبكي ليلة تزوجك ولم ينم

ليلتها بين غرفته وغرفتك حتى الصباح"

ضممت يدي لصدري وقلت بدمعة محبوسة " أين كان مخفيا

عني كل هذا عني وأنا ضننت أنه وحدي من ضحى ووحدي

من جُرحت"

قالت بهدوء " بل كان واضحا أمامك حتى راضية استطاعت

أن تفهم حقيقة وضعنا أما أنتي فلا ألومك لو كنت مكانك لما

ترك لي الحزن والحسرة عقلا أرى به شيئا"

ثم اقتربت مني حتى وقفت أمامي وأمسكت ذراعي وقالت

" لا تتركي نواس يا وسن وعودي له فهو أكثر من يستحقك

ويستحق أن يعيش بسعادة فقد عانى كثيرا"

ثم غادرت وتركتني بعدما أهالت عليا حقانقها كالصواريخ

وشعرت بالأرض تخونني وأني سأقع من طولي فتساندت

بالكرسي كي لا أقع ودخلت فرح ثم ركضت مسرعة حين

رأيتني وأوقفتني قائلة " وسن ما بك"

قلت بصوت ضعيف " أحضري لي حجابي "

قالت باستغراب " ماذا ستفعلين به!! "

قلت بضيق " فرح بسرعة أحضريه وأخبري جواد "

ليأخذني لمزرعة نواس "

خرجت مسرعة وأحضرته لي مع معطفي وقالت

" ما به نواس ماذا قالت لك مي "

أخذت حجابي منها وقلت وأنا أله على شعري " لا أستطيع

قول شيء خذوني لزوجي واذهبا للمطار "

قالت بصدمة وفرحة " وسن حقا ستذهبين له "

تحركت من أمامها قائلة " نعم "

فخرجت راكضة أمامي لغرفتهما ثم خرجت وهوا يتبعها وقال

متوجها نحو باب الشقة " سأنتظرك في السيارة "

ولم يسأل حتى ما غير رأيي ولما سأذهب ومؤكد خمننا أن مي

شرحت لي أنه لن يرجعها ولن يتوقعا ما حكته لي أبدا ، نزلت

بعدها لبست المعطف مرغمة بسبب إصرار فرح وركبت السيارة

وأخذني للمزرعة في صمت من كلينا طوال الطريق ، كنت كالتمثال

وهوا احترم صمتي ولم يتحدث حتى وصلنا ونزلت من فوري ودخلت

المنزل أناديه بأعلى صوتي فخرجت راضية راکضة وقالت

"وسن هذه أنتي"

قلت " أين نواس"

قالت من فورها " ليس في المنزل لكنه هنا في المزرعة

لابد وأنه" ...

ولم أتركها تنهي كلامها لأنني خرجت راکضة ولففت حول المنزل

ووصلت ساحة الخيول أبحث عنه في كل جهة وقلت لأحد

العمال " أين نواس"

أشار بإصبعه وقال " في إسطنبول الوسن منذ وقت"

فركضت هناك بسرعة ، نواس يا أغلى ما املك رفضت وسن

أن تراها فجئت لتبقى مع سميتها ، رفضتك وسن واستقبلتك الوسن

فتحت باب الإسطنبول ودخلت لأجده جالسا بجانبها ولجامها في يده

رأسه للأسفل وينظر للأرض فناديته وتوجهت نحوه لكنه لم يرفع

رأسه ولم ينظر لي فنزلت عنده ووضعت يدي على كتفه وقلت

"نوا أ"

ليسقط جانباً وأغلقت فمي بيدي لكن صرختي كانت أقوى من أن

يكتمها شيء

*

*

خرجت بترف اليوم من المستشفى وكان السائق من جاء لإخراجنا

ويبدو أن جابر عاد لغضبه مني مجددا وصرنا كالأطفال يرضى

واحد ليغضب الآخر وحتى إن اعتذرت فلن يعجبه ، وصلنا القصر

ووجدنا الجميع هناك زهور وزوجها وبتول ومعتصم ووالدة بتول

وعمهم وأبنائه ، دخلنا ونظرت لهم ووضعت يداي وسط جسدي

وقلت " كل هؤلاء الرجال هنا والسائق من يحضرنا من

المستشفى ، حسنا ولو من أجل ترفا"

ضحكوا جميعهم وقالت بتول " يبدو أنهم أرادوا أن

يفاجئوكم بوجودهم هنا"

ضربها معتصم على رأسها وقال " أنتي لا تعرفين كيف

تدافعي على زوجك أبدا"

حكيت رأسها ونظرت له وقالت بألم " معها حق ماذا تفعلون

أنتم بل أين والدها المصون"

دخل حينها جابر من ورائنا قائلاً " من هذا الذي يتحدث عني"

أغلقت بتول فمها وقالت " زوجتك"

فنظرت لها بصدمة وضحك علينا الجميع وحمل جابر

ترف وقال " كيف حالك الآن"

قالت مبتسمة " بخير"

رفعها للأعلى وقال ناظرا لها " فعلت لي حسنة بمرضك تلك

الساعة بل بنومك في المستشفى ليومين"

نظرت له بصدمة فما يعني بهذا الكلام أنها خلصته مني أم من

حديثي ذاك والأسوأ أنه يعني خلصته من بقائي معه اليومين

الماضيين ، أنزلها ونظر لي فأشحت بوجهي عنه وانضم للبقية

وأخذ الحديث يكثر وأنا جلست مبتعدة ولم أتحدث أبدا فنظر جهتي

وقال على مسمع من الجميع " ابتسمي لا أريد أن تأتيني

ابنة عابسة طوال الوقت"

فضحكوا جميعهم حتى الأطفال لتخرج الأبخرة من دماغي

ونظرت للجانب الآخر متجاهلة الجميع ، لا وتمزح يا لا خفة

دمك يا رئيس الشرطة الجنائية أدام الله هذا النعيم

قال عمه " لن تجد مثلها ولو جبت البلاد بأكملها"

محممت زوجته حينها فقال ضاحكا " بعد زوجتي طبعاً"

فوقفت وجلست بجواري ويبدو أنها أعلنتها حرباً مثلي واعتزلتهم

فوقفت بتول وانضمت لنا وجلست وقالت " وأنا مع والدتي

وسأغضب معها"

ووقفت زهور وجلست معنا أيضاً قائلة " وأنا مع نون النسوة"

فشهق زوجها وقال " ما الذي فعلته أنا يا زهرتي"

فضحكت وعادت ناحيته وجلست بجواره وقال معتصم

" جابر عليك أن تراضي زوجتك لترضى الباقيات علينا"

قال متجاهلاً الأمر " ترف لا تركضي كثيراً"

قالت زهور " كيف حال خالتي هل زرتها"

قال بهدوء " نعم وقال الطبيب ستخرج قريباً"

توجهت ترف نحوه وجلست على فخذه وقال وهو يمسح على

شعرها " وسننتقل لمنزلنا في العاصمة ما أن تخرج"

قال عمه " وقصركم هذا هل ستتركونه"

قال " لا أعلم قد أبيعته ويأخذ كل حصته"

وقفت بيسان من عز لعبها وقالت " لا بابا ليس قصر

الكونتيسات

قالت زهور " رغم أن أغلب الذكريات فيه تعيسة

لا أريد أن نبيعه"

قالت بتول " زهور ما رأيك لو تغني لنا بصوتك الجميل"

قال معتصم " ضننا أنك غاضبة مع والدتك"

تجاهلته ونظرت لزهور وقالت " هيا ونريد أن تعزفي أيضا"

قال زوجها " لا هذا كثير وثمة ملكية خاصة"

وقفت وتوجهت نحوها وسحبته من يدها قائلة " هيا دعونا نسعد معا"

وقفت معها ضاحكة وقالت بتول " بسرعة جميعنا لغرفة البيانو"

وقف رضا أيضا ومعتصم وغادروا وتبعهم عمهم منصور بعدما

أخذ زوجته معه وتبعهم الأطفال وقفزت ترف من على فخذ

جابر وسحبته من يده قائلة " هيا بابا ألن تذهب معهم"

وقفت أنا حينها وغادرت جهة السلام لأصعد لجناحي فأوقفتني

اليد التي أمسكت يدي وسحبتي معها وكان جابر و سار بي ناحية

الغرفة في صمت حتى دخلنا وكانت زهور واقفة عند البيانو

وقال لها " سأعزف أنا وتغني أنتي فما رأيك"

قالت مبتسمة " موافقة طبعا فلم نسمع عزفك من سنوات"

صفقوا أبنائه بحماس وترك يدي وتوجه نحوها وجلس أمامه

ورفع غطاءه وقالت بتول " ماذا ستغني لنا"

قال لها جابر شيئاً بصوت منخفض فأنحنت له وهمس لها

في أذنها فابتسمت له ووقفت مستوية وقالت

" هيا اسكتوا أو لن أغني"

سكت الجميع وحتى الأطفال وجلسوا جميعهم واكتفيت أنا بالوقوف

عند الجدار حيث كنت وكتفت يداي لصدري وبدأ جابر بالعزف

ونظره على حركة أصابعه وكان بارعاً مثلها تماماً حين سمعتها

تلك المرة وطبعاً لأنني لم أكن أسمع الأغاني لم أعرف ما تكون

وتبدوا من اختياره حتى بدأت زهور بالغناء لتظهر أنها أغنية عبد

الحليم حافظ (أهواك) التي غنيتها سابقاً فرفع حينها رأسه ونظر

ناحيتي وهو لازال يعزف فسافرت بنظري للأرض في صمت

وسكينة دون أي ردة فعل ثم عدتُ ورفعت نظري به وكان لازال

ينظر لي وهي تتابع غنائها فمرت ذكريات ذلك اليوم جميعها أمامي

وكيف كان يريد إيقاعي في حوض الاستحمام واشترط أن أقبله بنفسه

كل كلمة قلناها وكل حركة وهمس مرت أمامي وكأنه اليوم فنزلتُ

من طرف عيني دمعة ورفعتُ أصابعي لها ومسحتها على صوت
تصفيقهم لأن الأغنية انتهت وتوقف جابر عن العزف وتوجه رضا

ناحية زهور وقبل يدها وضمها لكتفه وقال

"لابد وأنه أنا المعني بالأغنية أليس كذلك"

ضحكت وقالت " بل هي من اختيار جابر ولا

أعلم من المعني بها"

ثم غمزت لي مبتسمة فابتسمت لها ونظرت للأرض وقالت بتول

بعدهما ضربت معتصم على رأسه " وأنت لما لا تعزف ولا

تعني مثلهما لا نفع منك أبدا"

ضحك ودفعها وقال " أنا رسمت لك لوحة رائعة إن نسيتي

فأرني أنتي ما تفعلين من أجلي"

صفت بحماس وقالت " أعرف هذا"

ثم أمسكت رأسه وقبلت خده ليضحك الجميع ولم تخجل ولا

من والديها هذه المشاغبة فأنا شعرت بأني سأموت من الإحراج

ووقف والدها حينها وقال " هيا يا أميرة"

وقفت معه وقال جابر " ما بكما الوقت مبكر تناولوا الغداء معنا"

قال مغادرا وهي تتبعه " مالكم والعجوزان استمتعوا بوقتكم

عمر أحضر أخوتك واتبعنا"

وقف عمر حينها متذمرا وحمل عدي وخرج وقصي في يده

وقالت بتول ضاحكة " حمدا لله أول مرة ليس أنا من يوصلهم خلفهم"

فضحك معتصم وقال " دورك في الطريق أريد عشرة أبناء"

وضعت يداها وسط جسها ونظرت له بضيق فهمس لها شيئا

جعلها تضربه فضمها لكتفه وقال جابر " هيه بيننا أطفال"

قال معتصم ببرود " لما لا تنبه شقيقتك وزوجها أولا"

نظرت لهما فكان يحضن كتفها ويتهامسان ويضحكان ورأسيهما

متقاربان ويدها في يده الأخرى ثم نظرت لمعتصم وبتول وتنهت

لما وحدنا وكأنا أقطاب مغناطيس متشابهة إن لم أبادر أنا بالشيء

لا يحدث وكأنها جريمة ، عدتُ بنظري لزهور ورضا ثم نظرتُ

لجابر فكان متكأ بمرفقه على البيانو ومسندا رأسه بيده وينظر لي

نظرة أفهم معناها جيدا وهوا (لا تقارني) فأبعدتُ نظري عنه

ليعيده صوت تمرير إصبعه على النوتات مصدرا صوتا تصاعديا

جعل الجميع ينظر ناحيته ثم ضغط مفتاحين وقال ونظره على مفاتيح

البيانو " حين كنت في كلية الشرطة كنت أرى حديث الشبان هناك

عن العلاقات الغرامية وحب الفتيات من زوجته ومن قريبته ومن
حبيبته وأراها أمور تافهة وأنتقدهم علنا بأنهم يضيعون وقتهم في
تفاهات ويُنزلون من شخصياتهم درجة أن يعاكسوا فتاة في الشارع
ويصبح الشاب كالمهرج وكانوا يقولون (هذا فقط لأنك لم تحب
وتجرب) ومرت بي السنين وتزوجت وأنجبت أبناء ووجدت
أن الأمر كما كنت أجزم عليه وأن كل كلامهم مجرد تخاريف فارغة
ثم رفع نظره بي وتابع والجميع منتبه له " وفي يوم تقابلت وفتاة كنت
ذاها لدق عنقها وكسر قلبها وجلب شيء من حقي أنا منها لأفاجأ
بها تقف في وجهي وتناقض تصرفاتي وقراراتي وترفض رأبي
من أول مرة أراها فيها رغم أنها تعرف مركزي ومكانتي ومع
مرور الأيام تزداد عنادا وتتحدث معي بحزم غير مبالية المهم
عندها ما تريد أن تقول سيقال وما تريد أن تفعل ستفعله فأرتني
المرأة من وجه جديد من منظور آخر لا أعرفه وحين صارت
أقرب إلي رأيت فيها أكثر من ذلك فلم أرى فيها سطحية النساء
وتفكيرهن في أمور ساذجة وسخيفة ، لم أرى فيها الجبن والخوف
من مواجهة الظروف الصعبة بل رأيت فيها الذكاء والحكمة القوة
والصبر لم أتخيل يوما أن ثمة امرأة تستطيع أن تقرأ صمتي ولا

أستطيع أن أتكهن بكلامها الذي ستقوله ، لم أتخيل أنها ستعلمني

معنى أن أحتاج ... أحتاج أشياء كانت لدي ولا تعينني"

عاد بعدها بنظره للبيانو مجددا وعزف مقطعا صغيرا ثم

رفع نظره بي مجددا وقال " لأجل كل ذلك أحبك أرجوان"

فنزلت دمعتي رغما عني ووقف هوا ومد لي بيده فركضت نحوه

وارتميت في حضنه وطوقني بذراعيه فقلت بهمس " ما أسعدني

بك يا جابر هذا كل ما أريد أن لا شعورك نحوي عشرة وتعود

ولن أطلبك بقولها مجددا"

قبل خدي وقال هامسا أيضا " ولا أنا سأقولها إلا في المناسبات"

ضحكت ودسست نفسي في حضنه أكثر فقال معتصم " هيه بيننا أطفال"

فابتعدت عن حضنه حينها أمسح دموعي وقفزت ترف وقالت

"وأنا أريد أن أغني فاعزف لي بابا"

فجلس وقال ضاحكا " حسنا ما هي الأغنية"

قالت مبتسمة " فراشتي فراشتي"

ضحك وقال " لا أعرفها"

مدت شفيتها مستاءة فقال مبتسما " حسنا غني وسأحاول عزف لحن لها"

صفقت بحماس وقالت " رائع"

ثم بدأت تغنيها وهو يحاول عزف لحن لها وما أن كررتها مجددا

حتى عزف لحنها بشكل صحيح وانضمت لها بيسان وبدنتا تغنيان

وهو يعزف وأنا أنظر لهم بسعادة وحب وأشعر أن كل الدنيا اجتمعت

عندي وصرت أملكها ولا أريد أكثر من هذا ، وقف معتصم وهو يغلق

أذنه منزعا منهم وسحب بتول من يدها حتى أوقفها وخرج بها وتبعهم

رضا بزوجته أيضا ثم توقف جابر عن العزف وصفقتا هما معا بحماس

ووقف وهما للبيانو ثم توجه نحوي ومرر أصابعه على خدي وقال

"متعب وأريد أن أستحم وأنام وتاريخ طويل لو أحكيه لك تنهاري

فاسبقيني بملابس فورا"

مررت يدي على صدره وهمست له " من عيناى وقلبي"

أمسك أنفي وقال مبتسما " بل من الخزانة يا زوجة وزير

الداخلية الجديد"

فماتت ابتسامتي وقلت بتذمر " لااااااا ليس هذا اتفاقنا"

*

*

ما أن سمع العمال صرختي حتى ركضوا ودخلوا علينا الإسطبل

وأخرجوه وكان من حسن حظنا أن جواد ما يزال هنا وصديقه
وليد أيضا فأخذوه للمستشفى وأنا ركبت مع جواد ومنذ ذلك الوقت
وأنا هنا وفرح معي بعدما أحضرها جواد لأنني كنت سأجن له في

المستشفى ودموعي حتى الآن لم تخف ولم تنشف

ضمتني لها وقالت " يكفي يا وسن ارحمي نفاك يا شقيقتي أرجوك

من أجل ما في بطنك"

قلت ببكاء " كيف أسكت وكيف ارتاح يا فرح لا أعلم كيف لازلت

بعقلي حتى الآن ولم أمت وطفلاي معي من الصدمة ماذا لو

يموت ماذا سيحدث لي"

مسحت على ذراعي وقالت ببكاء " لن يموت وسيكون

بخير يا وسن أنتي فقط اهدئي"

قلت بعبرة " ليثني لم أتركه يوما ليثني ذهبت معه

فجرا لما حدث ما حدث"

قالت بحزن " لا راد لقضاء الله يا وسن أدعي له بدلا

من التحسر وتعوذي من الشيطان"

قلت بصوت ضعيف مكسور " يا رب احفظه لي ولأبنائي

يا رب لا تتركنا بعده ولا تأخذ منا يا رب"

وبقينا على ذلك الحال ابكي في حضنها وادعوا الله وهي تبكي

معي وتأمم على دعائي حتى خرج الطبيب وركضنا جميعنا

نحوه وقال " من يقرب له منكم"

قال جواد " أنا شقيقه"

قلت من فوري " وأنا زوجته وقدمي على قدميكما"

تحرك حينها قائلا " اتبعوني"

فتبعناه وأشعر في كل خطوة أخطوها خلفهما أن قدماي تتيبسان

خشية ما يخبئه هذا الرجل وما سيفجعنا به و دخل غرفة عيادته

ونحن نتبعه وجلس وجلسنا أمامه وقال مباشرة " جلطة دماغية وحمدا

لله جاءت خفيفة ولأنه صغير في السن سيشفى منها سريعا

هل سبق وجاءته سابقا"

نظرنا لبعضنا وقال جواد " لا"

قال الطبيب " مستحيل سبق وأصيب عصبه بهذه الجلطة ويبدو

كان يتعرض للشمس لساعات طويلة وفترة طويلة أيضا في

ماذا كان يعمل"

قال جواد " عمل لسنوات في البناء وأعمال يدوية مختلفة"

هز رأسه وقال " كما توقعت ويبدو أصيب ذاك الوقت

بجلطة مشابهة وعاودته الآن"

قال جواد " وما نسبة خطورتها وتأثيرها عليه مستقبلا"

حرك نظارته بسبابته وقال " لا خوف منها قد تتعبه في أشياء

بسيطة كضغط العمل والمشاكل والتعرض للشمس طويلا وتكون

في بعض الآلام في الرأس ، سنكتب له علاجا يداوم عليه لفترة

وعليه أن يكشف دائما وكل شيء بيد الله"

خرجت حينها من صمتي وقلت " يعني لم يموت ولن يموت"

قال الطبيب مبتسما " وأين أنتي من كل حديثنا"

هزرت رأسي وقلت بدمعة انسابت على خدي

"قل لم يموت أريد أن أسمعها منك"

قال وهو يكتب في الوصفة أمامه " لم يموت ولن يموت إن شاء الله

أكبر منه سنا يصابوا بهذه الجلطات ويشفوا منها وسريعا أيضا"

مد الورقة لجواد وقال " هذا العلاج يداوم عليه من الآن ومرتين

يومية واتركوه هنا حتى نهاية الأسبوع لنجري له الكشوفات

اللازمة ولا يوقف العلاج حتى آذن له"

أخذها منه وقلت " هل نستطيع أن نراه"

وقف وقال " هوا متعب الآن فشخص واحد ولوقت قليل"

وقفت وقلت " إذا أنا"

قال مغادرا مكتبه " حمدا لله على سلامته ولا تزعجوه

كثيرا من أجل صحته"

ثم خرج ونحن نتبعه وتوجهت فورا نحو غرفته التي نقلوه لها

وفتحت الباب ودخلت فكان ممددا على السرير ومغمضا عينيه

فنزلت دموعي ما أن رأيته وقلت بصوت مخنوق " نواس"

ففتح عينيه قليلا ونظر لي ثم أغمضهما كان يحاول قول شيء

وتحريك يده ولم يستطع فتوجهت نحوه وارتميت على صدره

وقلت ببكاء " نواس لا تركني وابنيك لا ترحل عنا لا

أستطيع العيش من دونك"

شعرت بيده على رأسي وخرج صوته ضعيفا كالهمس " ابني"

رفعت رأسي ونظرت له وقلت " نعم الطبيبة أخبرتني اليوم أنهما

تؤم ابق من أجلي وأجلهما يا نواس أرجوك"

أغمض عيناه مجددا وقال بهمس " حمدا لله حمدا لله"

فضممت يده لصدري ولم أفارقه أبدا رغم أنه ذهب في نوم

عميق ولم يعد يشعر بمن حوله لكني لم أرضى إلا بان أبقى بجانبه

*

*

*

*

*

*

وهكذا تمر الحياة وتتعاقب أقدارنا بعض الفراق لحظات وينتهي
وبعضه سنوات وينتهي وبعضه يدوم للأبد نعيش أحيانا أوجاعا
تسبق عاصفة تحمل وجعا أكبر منها ونعيش أغلب الأحيان ما يعرف
بأوجاع ما بعد العاصفة ونعاني تبعات ذلك الإعصار الذي مر بنا
لا شيء في الحياة اسمه سعادة للأبد ولا تعاسة للأبد لكن في الخيال
كل شيء يجوز فهو يشبه الأحلام

وبما أننا تركنا بطلين من أبطالنا معلقين في مصيرهما ووجعهما
دعونا نحرك عجلة الزمان للأمام لنرى أين سارت بهم الحياة وماذا
أنتج لهم الفراق وعلى ماذا رست عاصفة أوجاعهم

*

*

*

*

بعد مرور أربع سنوات

سحبتُ كوب القهوة من أمامها وقلت " سما كم مرة قلت

لا تشربي القهوة أمامي وأنا حامل"

تجاهلتي ونظرت للجانب الآخر فأشرت بعيني للجالسة معنا

وهزرت رأسي بمعنى ما بها فرفعت كتفيها علامة لا أعلم ثم

أشارت للجريدة على الطاولة وقالت " بتول لم تقرئي خبر

المهندس الذي استلم الإشراف على مشروع أكبر برج

في أوروبا سيبنى حديثاً"

قلت ببرود " وما شأنني به ليس برجي ولا برجك"

ضحكت وقالت " نعم لكن المهندس من بلادنا واسمه"

وقفت حينها سما وقالت " سأرجع للمنزل"

قلت بصدمة " وتتركين محاضرتك غريبة سما من

تتحدث أم واحدة أخرى"

أبعدت نظرها وقالت " نزار مريض منذ الصباح

وبالي منشغل عليه"

قلت ببرود " ذاك المدلل كل أسباب مرضه من تدليك له

لو أخذته للطبيب فلن يجد به شيئاً"

غادرت مستاءة وأحوالها اليوم لا تعجبني ، نظرت للجالسة

بجانبي وقلت " وما جد في الأمر ليست أول مرة يمرض فيها

لما لم تتصل بأسامة ليأخذه للمستشفى كالعادة"

هزت رأسها وقالت " لا أفهم ما يجري معها اليوم لا شيء سوا

ذاك السلسال بالوردة الحمراء تضغط عليه بين أصابعها حتى

كادت تحوله لقطع ولم تتحدث أبداً"

تنهدت بضيق ورفعت الجريدة من على الطاولة وقرأت خبر البرج

بتمعن حتى وصلت لأسم المهندس وانفتحت عيناى من الصدمة

وأنا أقرأ اسمه (نزار وجدي الأحمدى) هذا سر انزعاجها إذا

سما آخر ما كنت أتصور أن يكون هذا الأمر لازال يؤثر بك رغم

كل هذه السنين واختيار كل واحد منكما لحياته وعالمه فها هو أصبح

مهندسا معماريا كبيرا في وقت قياسي ولم يرجع ولن يفكر في ذلك فكل
من سافر للدراسة لا يعود وأنتي رضيت بحياتك واخترت ما يناسبك فيها
فلما ترجعي لنقطة البداية ، رميت الجريدة وتنهدت بضيق فقالت

زهرة " ما بك أنتي أيضا انتقلت لك العدوى ماذا في

هذه الجريدة يعكر المزاج هكذا"

وقفت وقلت " أنا أيضا لن أحضر المحاضرة ابني مريض

وسأرجع للمنزل"

ضحكت وقالت " ما كل هذا التقليد هذا وتخصصك

ليس كتخصصها"

قلت مغادرة " انتهى الحديث في الأمر"

خرجت من مقهى الجامعة ووجدت سما لم تغادر بل تتحدث في

الهاتف فتوجهت نحوها فكانت تقول " نعم يا علياء كيف هي

حرارته الآن"

"حسنا قادمة بعد قليل"

"لا لا داعي لأن تخبريه سأخذه أنا إن لزم

الأمر وداعا الآن"

وضعت يدي على كتفها وقلت " اذهبي لمحاضرتك وأنا

سأذهب لأطمئن عليه"

التفتت لي وقالت " لا تتعبي نفسك يا بتول ثم أنتي أيضا

ورائك محاضرة"

قلت ببرود " ليست أول مرة يمرض يا سما"

أبعدت نظرها وكأنها تهرب من عيناى فقلت " نزار أليس كذلك"

نظرت لي بصدمة ثم أشاحت بوجهها وقالت " لا طبعا فنزار اختار

يوما وكل ذهب في حال سبيله وهذا الكلام لم يعد يجوز يا بتول"

مدت يدي لها وقلت " أعطني السلسال إذا"

نظرت لي بضياع وحيرة فقلت " السلسال الذي طلبت مني من

أربع سنوات أن آخذه للتصليح وقال صاحب المتجر خذوه

للذهاب لأنه ذهب ابيض"

غادرت وتركتني واقفة مكاني فهزرت رأسي بقلة حيلة

وغادرت لمحاضرتي

*

*

حركت يداها في الهواء وكأنهما محروقتان وقالت

"ماما دعيني أمسكه قليلا"

فضحكت ومددته لها برفق فأمسكته بين يديها وقالت

"ما أجمله ماما أجمل من هذه"

صعدت مرام حينها على السرير وقالت

"أنتي قبيحة ، أليد أن أحمله مثلها"

أخذته من ترف وقلت " هذا ليس لعبة ستوقعانه"

دخلت حينها عمتي وقالت " أين أمجد ألم يقل أن والده يريدني"

قلت مبتسمة " بلى وتحدث معك قبل أن يخرج"

أمسكت رأسها بيدها وقالت " نعم نسيت"

ثم غادرت وأنا أراقبها بابتسامة وشفقة فهي أصبحت هكذا

تنسى بسهولة كل شيء لكن المهم أنها عادت لطبيعتها ولا

أصدق أن هذه تلك نفسها ، نظرت للأسفل وأبعدت يدها وقلت

بصدمة " مرام ماذا تفعلين له ، ما يحدث لابنة زهور لن

يتكرر هنا تفهمي"

بكت من فورها وقالت " أين بابا وحده يحبني"

قلت بضيق وأنا ارفعه لحضني " وأين يكون برأيك

ولن تريه حتى تنسي ما حدث"

"من هذا الذي يشتمني هنا"

رفعت رأسي ونظرت له عند الباب وعضضت شفتي بإحراج

وركضت مرام له وحملها ودخل قانلا " هكذا إذا سيدة أرجوان"

حركت كتفي وقلت " ليس على النفساء حرج"

ضحك وجلس على السرير وأنزله وقال " كنا في ليس على

الحامل حرج وصرنا في النفاس وماذا بعد"

ثم حملة من حجري وقبل خده وقال " هل تسمع والدتك

وما تقول بما نعاقبها الآن"

قلت ببرود " لا تُعلم ابني التمرد والعصيان"

ضحك وأعادته لحجري وقال " وما ستعلمينه أنتي"

قلت بمكر " الرومانسية والرقص والغناء طبعاً"

قال ببرود " نعم والنتيجة فنان"

ضحكت وقلت " وما بهم الفنانين"

قال بسخرية " لا لا شيء لكن حينها سأطردك أنتي وهوا للشارع"

ثم نظر جهة الباب وقال " أين أمجد هل يدرس أم لا"

وضعت الصغير جانبا وقلت " لا تخف عليه لن يتغير شيء"

وها هما مسجونان طوال الوقت ويدرسان"

وقف حينها وقال " لا تنسي زوجة وزير الثقافة وابنتيها

سيأتيان الليلة"

رفعت رأسي له وقلت " لم أنسى وكل شيء جاهز"

مال لي وقبل خدي ثم غادر وأنا أراقبه مبتسمة و ليحفظك الله لنا

يا جابر وإن كنا ينسنا من وجودك الدائم معنا فوجودك في الحياة

يكفينا ومن دونك ن نستطيع فعل شيء

*

*

نظرت له وهو يتململ في وقفته ويتأفف وقلت

" اصلب وقفتك هل هذا شكل مهندس"

قال بتذمر " ما هذا الملتقى البانس هل هذا ما نستحقه"

قلت بسخرية " وما به ملتقى طلبة الهندسة لتتعرف على

الشباب الطموح"

قال ببرود " نزار أتركني في همي"

قلت بضيق " عامر نزعت لي مزاجي ماذا أقول أنا طائرتي كانت

ليلة البارحة واليوم واقف هنا تحمل قليلا"

نظر حيث تجمع لطالبات وقالت " حاضر أمرنا لله ها هم قدمات

لك يا دينجوان النساء"

ابتسمت ولم أعلق واقتربن منا وقالت إحداهن " أستاذ هل

ستدرس عندنا في الجامعة"

قلت " لا"

قالت الأخرى " لماذا !! نريد فعلا مدرسين أكفاء"

قال عامر " لا يسمعك أساتذتك ويرموك في الشارع"

ضحكت وقالت " ظننت أنكم جميعكم ثقيل دم"

نظر للبعيد وقال " وما سر أولئك الطلبة هناك طوال الوقت"

التفتت وقالت " أولئك طلبة الهندسة الكهربائية يقدمون

نماذج عن اختراعاتهم"

قالت أخرى " يتعبون أنفسهم سنفوز المدعوة سما الشاطر

كالعامين الماضيين"

نظرت لها بصدمة وقلت " من قلتي !!"

نظرت لي وقالت " سما رفعت الشاكر نابغة طلبة الهندسة

الكهربائية في جامعتنا في العاصمة تدرس في السنة الثالثة الآن"

قالت الأخرى " غريب ليست معهم"

غادروا وهي تقول " يبدوا جامعتهم لم يأتوا"

ثم ابتعدوا عنا وعيناى علقنا على الطلبة هناك ، ياااه يا سما طالبة

في أصعب مجال من مجالات الهندسة و متفوقة أيضا ، لم أتخيل أن

تصلني الأخبار عنك من أول يوم أعود فيه إلى هنا ، ترى أين أنتي

وكيف أصبحت وماذا تغير في حياتك

" هيببييه نزار"

نظرت له وقلت بضيق " ما بك تصرخ هكذا"

قال " دعنا نغادر البعض غادروا قبلنا"

خرجت برفقته وبالي ليس معه ولا معي بل في جامعة العاصمة

للهندسة ، دخلت بالسيارة للمنزل ونزلت ودخلت وصعدت السلالم

ولعرفتي فورا ، جلست على السرير واتصلت بأحدهم وأجاب من

فوره قائلا " سيصلان اليوم لا تقلق"

قلت " أريدهما عربيتان كما أخبرتك أكره الخدم غير العرب

بل ومسلّمات شرط أساسي"

قال من فوره " حسنا هل تريدهما طويلتان ورشيقتان وشقراوان"

ضحكت وقلت " أولئك أتركهم لك ، سأنتظرك الليلة هل ستأتي"

قال من فوره " بالطبع هل أفوتها لا أكون حسام إن فعلتها وداعا الآن"

أنهيت الاتصال منه ثم اتصلت بوجهتي الأساسية فأجاب من في

الطرف الآخر قائلا " مرحبا"

قلت على الفور " مرحبا المهندس نزار الأحمدى معك"

قال من فوره " مرحبا سيد نزار ظننتك سترفض العرض"

قلت " وأنا لم أقبله بعد"

قال بخيبة أمل " ظننتك وافقت ، حسنا درّس لهذا الفصل فقط"

قلت " لا رغبة لي وليس من أجل هذا اتصلت"

قال " تفضل بما نخدمك"

قلت " جدول محاضرات السنة الثالثة هندسة كهربائية"

قال " حسنا هل لديك فاكس أو بريد لأرسله لك"

قلت " لدي الاثنين وسأعطيك عنوانه حالا"

بعد قليل وصلت الورقة وأخرجتها منه وتتبع الأيام ، الخميس

هو يوم الغد جيد المحاضرة الثانية فقط الساعة التاسعة

*

*

وضعه فوقها وأنا أتبعه قائلة " لا نواس أقسم ستوقعه من

عليها فهوا لا يزال صغيرا"

قال وهوا يسير بها وهوا فوقها " ثلاث سنوات ونصف وصغير

هذا رجل لا تعلميه الخوف لديك تؤمته أفسديها كما تريد"

وضعت يداي وسط جسدي أراقبه حتى عاد به وأنزله وقال

" ها هوا سليم ليس به ولا خدش بسيط"

رفعته وقلت " لا تكررهما ثانيًا اجلب أبناء من الشارع وضعهم

فوق خيولك كيف تريد"

ضحك وقال " وأبناء الشارع أليس لديهم أهل يخافون عليهم"

ثم اقترب منا وأخذه مني وأنزله للأرض وقال " ما رأيك بجولة

أم أنتي صغيرة أيضا وستقعين"

قلت بحماس " لا لن أقع وريد أن أركب الوسن"

حملني بين ذراعيه وقال " من يسمعك يظنك لا تركبها أبدا"

تمسكت بعنقه وقلت " ليس معك هذا شيء مختلف"

ثم قبلت خده وحضته وهوا متوجه بي نحوها ووضعني فوقها

وركب خلفي وسار حتى وصلنا لأحمد ومد له يده فأمسكها فورا

وحمله فوقها معنا وقال ضاحكا " رجل خيول كوالدك تماما

وكل الخوف على شقيقتك إن كانت ستكون كوالدها"

ضربته بمرفقي للخلف وقلت " ومن مثلك تكون ابنتك كأمهما"

قال بضحكة " لا أحد طبعا فقط سنصبح في عنيدتان"

*

*

ما أن كانت الساعة التاسعة إلا ربع صباحا حتى خرجت من
المنزل وتوجهت لجامعتها ووقفت عند مواقف السيارات ، أريد
أن أراها ولو من بعيد فقد يكون تزوجت ولديها أبناء ولا يحق
لي الاقتراب منها والتحدث معها ، أعلم أنه سلوك مراقبين
لكن رجوعي هنا من أجلها فقط وإلا ما كنت رجعت ولا شيء

كان سيجعلني أعود

وقفت أنتظر حتى وقفت على مقربة مني قليلا سيارة فاخرة مرتفعة

وزجاجها مظلم وبقي من بداخلها قليلا رغم أنه فتح الباب ثم انفتح

أكثر ونزلت منها نعم هي ضالتي سما بملابسها الأنيقة وحجابها

زهري اللون ، سما ابنة العشرون عاما ، المرأة في كل شيء الآن

وحتى سنها ، أخرجت حقيبتها وبعض الورق وأغلقت الباب ثم وقفت

تخرج هاتفها من الحقيبة وأنا لن أحكي لكم شيئا عن شعوري حاليا

لم أعرف ما أرى في وجهها وأترك ، هذه سما التي كنت أريد أن

تكون لي حتى وقفها وحركاتها نضجت كثيرا أصبحت ملئها ثقة

بل أصبحت أنثى تتفجر أنوثة والنظر لها فقط يشرح النفس

أنزلت رأسي وضغطت على عيناى بأصابعي وقلت " تمهل

يا نزار فقد تكون أصبحت حليلة لغيرك"

رفعتُ بعدها رأسي ولم أجدها ومؤكدا دخلت فتحركت بالسيارة

وخرجت من هناك بعدما أشعلت قلبي بدلا من أن أروي عطشه

كوني لي يا سما أرجوك لا تفجعي قلبي وأجداك لغيري فأن يكون

كل هذا المجتمع فيك لرجل آخر شيء سيحول قلبي لرماد

هزرت رأسي بقوة وسرت بسيارتي ألف الشوارع كالتائه أبحث عن

ماذا لا أعلم وأريد ماذا لا أعلم أيضا وكل ما أعرفه أنى سأصاب

بالجنون إن لم أعرف تزوجت أم لا وويل قلبك يا نزار إن كانت

تزوجت ونسيك ولم تنتظرك ولست ألومها طبعاً

أجريت بعدها بعض مشاويري الضرورية ثم وقفت بسيارتي أمام

منزل جدها وعمها ، قد لا تكون هنا إلا إن لم تتزوج أو تزوجت

أحد أبناء عمها ، تنفست بقوة ونزلت من السيارة فغرضي من هذه
الزيارة هو ابن عمها الذي زارني سابقا ، نظرت للشيك في يدي ثم
لباب منازلهم ، عليا أعيد هذا المال لأصحابه وقد أعلم منه شيئا عنها
وأين هي الآن ، وصلت الباب وأدخلني الحارس حين أخبرته أنني أريد
رؤية السيد أسامة ودخلت الحديقة ووقفت وأشعر أن خطواتي تخونني

هل أنت على استعداد لهذا يا نزار فقد يفجعك بأنها زوجته أو تراها
معه ، عد من حيث أتيت وأعلم من بعيد أفضل لك ، كنت سأراجع
وأعود للخلف لولا أوقفني المنظر الذي أمامي وهو طفل في سن
الثالثة أو قرابة الرابعة يركض نحوي مسرعا وكأنه هارب من
أحدهم لأنه كان ينظر للخلف كل حين حتى وصل عندي وحضن
ساقاي وقال " خبني ماما قادمة وستمسكني"

لأسمع بعدها على الفور صوت من بعيد ينادي

"نزار تعالى فورا سأجذك وستري"

فأغمضت عيني بقوة ، صوتها نعم هي وقال ماما وأسمه نزار
سمته باسمي ، لبيتك لم تأتي لمنزلهم يا نزار بل لبيتك لم ترجع من
هناك ، لا لبيتك لم تراها يوما وتعرفها ، أبعدته عني لأغادر لكنه
تمسك بي بقوة وأعاق حركتي لتخرج من كنت سأهرب منها

قائلة " نزار كم مرة قل"

وسكنت فجأة واستويت أنا في وقفتي فلا أمل من الخلاص منه ولا
من الهروب منها ، كانت تنظر لي بصدمة وعدم استيعاب ومعان
كثيرة في ملامحها ليرتفع تنفسها تدريجيا وتمتلئ عيناها الزرقاء

الواسعة بالدموع وقالت بهمس وابتسامة حزينة " نزار"

ثم هزت رأسها بلا غير مصدقة وأنا جمدت مكاني أنظر لها فقط
وكل تفكيري في أنها ضاعت مني وانتهت وأصبحت لغيري وابنها

عمره يؤكد أنها تزوجت بعد سفري مباشرة أو بأشهر قليلة

كسرت نظري للأسفل أشعر بحسرة لم أشعر بها حياتي ثم رفعته

فجأة حين وصلني صوتها قائلة من حيث تقف على بعد خطوات

"قل أنك نزار ولست مخطئة"

قلت بابتسامة حزينة " كيف حالك يا سما"

لتركض حينها نحوي مسرعة وقفزت لحضني وتعلقت بعنقي

تبكي وتقول " نزار عدت أخيرا لا أصدق لا أصدق"

أغمضت عيناها بألم فما معنى هذا تركض لحضني وابنها يقف

خلفي كيف أفسر كل هذا يا سما أرجوك ، تعلقت بعنقي أكثر

وقالت بعبرة وهمس " اشتقت لك نزار اشتقت حد الوجع"

حينها فقط تحركت يداي وضممتها بذراعي بقوة فأقسم أنك لست

لغيري كيف لا أعرف ولا يهم لكني بث متأكدا من ذلك

بكت كثيرا وبوجع وهي متعلقة في عنقي وتدس وجهها فيه

بكت كل سنين غيابي عنها بكت فراقنا وبكت رحيلي دون

وداعها بل أبكتني معها وعلمتني معنى دمعة تسقط من عين

الرجل ، ضممتها بقوة وقلت " يكفي يا سما يكفي أرجوك"

فارتخت ذراعاها حينها ونزلت للأرض وابتعدت عني ورفعت

رأسها ونظرت لي ورفعت أناملها ومسحت من على جفن عيني

ورموشي الدمعة التي علقت هناك وقالت ببحة " افتقدك يا

أبي وأمي وأخي وكل من كان لي في هذه الحياة"

شعرت حينها بمعنى انكسار الروح وأن فصل السنة تغير من

حولنا فضممتها لحظني بقوة وقلت " لم تتزوجي يا سما أليس

كذلك قولي أنك انتظرتني ولم تتزوجي"

قالت بحزن " ما كان قلبي سيطاوعني لفعالها عاندني لآخر

لحظة ورفض أن يكون لغيرك يا نزار رغم علمه أنه

قد يراك مجددا"

أبعدتها عني ثم نظرت للفتى وقلت " وهذا من يكون"

حملته من الأرض وقالت " هذا ابن الخالة عفراء كانت حاملا

حين وجدوها وأنجبته بعد أشهر من العناء والنزيف وأوصت

أن يعطوه لي ولا يتركوه في دار الأيتام فربيته ولن أتركه ما

حييت لأنه وصيتها لي ولأن الله استجاب دعائي ووجدت

شيئا أرد به فضلها علي"

مسحت بكفي على خده وقلت " وسميته نزار"

نظرت له وقالت بحزن " ما كنت سأنجب ابنا لأسميه

عليك فسميت ابنها"

ثم قالت له مبتسمة " نزار هل تذكر حين أقول لك أن

والدك مسافر وسيعود"

هز رأسه بنعم فنظرت لي وقالت " وهذا هو والد قد عاد"

ارتمى حينها في حضني مبتهجا فأخذته منها وقبلت خده وقلت

"نزار ابن نزار كيف تكون هذه"

مسحت عيناها وقالت مبتسمة " تكون كيفما تكون لا شأن لي بكما"

ثم أمسكت يدي الممسكة له وقالت وكأنها تذكرت شيئا " خالتي"

قلت مبتسما " نعم معي هنا في منزلي وأصبحت تسيير

أيضا وشفيت تماما"

نزلت دموعها مجددا وقالت بابتسامة حزينة " كم أنا مشتاقة لها"

ثم أخذت الفتى مني وقالت " سأعطيه للخادمة وأعود لك

لنذهب لها حالا فلا تذهب انتظرنني"

ثم غادرت مسرعة وأنا أراقب كل خطواتها ، كيف أذهب بعدما

وجدتك يا سما وتنتظريني بلا وعود ولا طلب مني بذلك ، آخر ما

كنت أتخيله أن تبقى على حبها لي حتى الآن أن لا تموت مشاعر

تلك المراهقة لتثبت لي أكثر أنها كانت مراهقة في جسد امرأة بل

وسيدة كل النساء

عادت بعدها تعدل حجابها على رأسها مسرعة حتى وصلت

عندي وسحبتي من يدي وسارت بي قائلة " بسرعة مشتاقة

لرؤيتها حد الجنون"

سرت معها حتى سيارتي وقلت " ستركبين معي أم في سيارتك"

نظرت لي باستغراب وقالت " ومن أين علمت أنه لدي سيارة"

حككت أذني بإحراج وقلت " رأيتك صباحا تنزلين منها في جامعتك"

وضعت يداها وسط جسدها وقالت " هل ستدرس في الجامعة"

هزرت رأسي بلا مصدوما فقالت بضيق " وماذا تفعل هناك هل

تغيرت أطباعك بسبب بنات الغرب"

ضحكت وقلت " لا طبعا"

نظرت جانبا مستاءة وكتفت يداها لصدرها فقرصت خدها

وقلت " سما لا تجعليني أتهور هيا لتري والدتي وأعود

هنا ليزوجك وليك لي اليوم قبل الغد"

قالت متوجهة لسيارتها " وليي ليس هنا ولا يعيش هنا"

ثم فتحت باب سيارتها وقالت " لأنه جابر فجده اليوم إن كنت تقدر"

ثم ركبت السيارة وأغلقت بابها خلفها سحقا جابر وليها يعني لن

أحصل على موعد معه قبل أسبوع وزير الداخلية ذاك

خرجت بسيارتي من هناك وهي تتبعني حتى وصلنا منزلي

هنا ونزلت معي ودخلنا وأمسكتها من يدها وقلت سائرا بها

"أريدها لها مفاجأة"

ثم بحثنا عنها كثيرا حتى وجدناها في الحديقة الخلفية تجلس

على الأريكة ومنشغلة بشيء ما في يدها فاقتربت منها وخبأت

سما خلفي وقلت " أمي هناك مفاجأة لك معي"

نظرت لي باستغراب ثم لأقدامنا لتقف من فورها

وقالت بدهشة " سما قسما أنها سما"

فخرجت حينها من خلفي وركضت لحضنها وارتمت فيه وعادت

للبقاء مجددا وقالت وهي تتمسك بها بقوة " خالتي كم اشتقت

لك ولهذا الحضن أقسم أن بعده لم أجد حضنا ولم أتم في حضن

أحد ، لمن تركتموني ورحلتم لمن ولماذا"

نظرت لي والدتي حينها وهي تمسح دموعها وكأنها تقول لي

(انظر ما فعلت بها) اليوم فقط ندمت أنني لم آخذها معي ورغما

عن الجميع لكن الماضي لا يمكن لأحد تغييره ، ابتعدت عن حضنها

ومسحت لها والدتي دموعها وأجلستها معها على الأريكة وقالت

"كيف حالك يا سما وما هي أخبارك"

نامت في حضنها كعادتها في الماضي وقالت " بخير ما دمتُ

رأيتكم مجددا فاتا بخير أخبريني عنك أنتي"

ضممتها وقالت " كما تري أمامك صرت بأفضل حال ولا ينقصني

غير وجودك ليتزوج هذا الأعزب ويرحمني"

قلت حينها " لا تنكري أنك منذ سافرنا لم تعودي

تذكري الزواج أبدا"

مسحت على رأس سما وقالت " وما شأنك أنت

ارحل هيا واتركنا"

جلست على أحد الكراسي وقلت " في خيالك لن اخرج إلا

وسما معي ولجابر فورا لنتزوج"

ابتعدت حينها سما عن حضنها وقالت " انظري لابنك وما

يقول خالتي ، يريد أن يتزوجني هكذا وبدون ولا حفل زفاف

ثم أنا لم أوافق بعد"

قلت بصدمة " لم توافقي"

ضحكت أمي وقالت " معها حق أنظر لهذه الحسناء الفاتنة التي

زادتها السنين جمالا على جمالها ماذا تفعل بك أنت ، كانت

تريدك ذاك قبل أربعة أعوام"

قلت بضيق " حسنا وما تغير أنا هوا نفسه"

قالت سما " لا انظر كيف أصبح في رأسك بعض الشيب لقد

كبرت كثيرا ، أنت كنت تريد سما المستقبل وأنا الآن

أريد نزار الماضي"

وقفت حينها وتوجهت نحوها وسحبته من يدها قائلا

"قفي معي بسرعة وسنخرج بجابر من تحت الأرض

وأتزوجك الآن واحتفلي فيما بعد كما تريدين"

نهاية الفصل أو نهاية الرواية

أردت أن أتوسع أكثر في ختام قصصهم في المستقبل لكن الوقت لم

يسعني فأحب أن أشكر كل الشكر الأخوات بلومي وتفاحة فواحة على

مساعدهم لي لإنجاح الرواية لتظهر بأفضل وجه كما أشكر الغالية

فيتامين سي شكر كبير على ما قدمته لي

واشكر شكرا من أعماق قلبي

شيماء علي

عمر البعد

فيتامين سي

طعون

حكاية أمل

بلومي

منى سعد

الأميرة البيضاء

أم ميدو

تفاحة فواحة

همس الريح

لولوة بنت عبدالله

شيماء عبدالله

شموخهه

رديناً

ليال شتاء

خناجر الزمان

Obaida

التربوية

sarry boo

أم اسعودي

مالكا قلبي

فيت المشاكسة

لأن القمر في شرفتي أجمل

أريج الأزهار

كيلوبترا

لحظات عمري

Nourarashed

منوني

Rahmouna

بلادي

فأرعة

كوتشي

IMANECRAZYGIRL

روض وسميه

islam ahmed

نذف جروحي

عذرا مأرب

جزيرة

جود صالح اكرم

دمعة خشوع

ابراق نعيم

هلا انور

IMANECRAZYGIRL

أم مروان

امل لا ينتهي

الحالمة دوما

همس الوجوود

هلا انور

غروور

رحاب الماتوليا

أمل وترقب

shosho sabry

ألم الواقع الحزين

ترانيم الصمت

دلال الدلال

الحالمة دوما

أبها

الكنينة

love big

عيون سليمان

Tiha

أم عمووري

najla2013

تيجر

رحيف ال

عشق القمر

حنين الحربي

Daliaa

taleen Syrians

khaledya

meesh

elham farrag

sweety noma

Bisho roze

أسووووم

زهرة البيلسان

تسكعات فكرية

والأخوات متابعاتي في المنتدى الآخر

Hlkdi

هنو العمري

غدور

زيارة خاصة

أم سلطانم

همتي في الثريا

عذراء سوداء القلب

زهرة القمر

huda 87

فلسطينية الهوى

rghd.m

dream amira

dodoalbdol

sloomi

dodah123

حالمهه

Hidaya

أراك حلما

ألم الواقع الحزين

نداء الحق

سمراء الجنوب

نواعم

همتي في الثريا

دلع ألماسة
Lattof

أشكركم على كل كلامكم الطيب في حق روايتي ودعمكم وتشجيعكم

لي أحبكم في الله جميعا ولا تنسوني لأني لن أنساكم

همتي في الثريا